

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح ورقلة



قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

الشاهد الشعري

عند الزمخشري في كتابيه المفصل والكشاف

دراسة في المستويات اللسانية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة و الادب العربي

تخصص: النحو العربي

أعضاء لجنة المناقشة:

إعداد الطالب: مسعود غريب

أ. د. عبد المجيد عيساني رئيسا

أ. د. أحمد جلايلي مشرفا ومقررا

أ. د. أحمد بلخضر مناقشا

أ. د. لحسن بلشير مناقشا

أ. د. الجلالي بن يشو مناقشا

أ. د. محمد بوعمامة مناقشا

السنة الجامعية: 2014/2013

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۝ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ۝ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۝ ﴾

(طه الآيات: 25.26.27.28)

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين، وأفضل الخلق أجمعين وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

أ- تقديم الموضوع:

يعد الاحتجاج بالشعر من أهم الركائز التي أسست عليها علوم اللغة؛ إذ أمدّها الشعر بأفصح التراكيب وأبلغها، وأجزل المعاني وأقواها، وأصح الأساليب وأمتها، فأثره واضح في بناء أصولها، ووضع أسسها، وضبط قواعدها وأقيستها.

كما أن له منزلة سامية، وأثرا بالغا في فهم غريب القرآن الكريم، والوصول إلى معانيه فالشعر قد ساهم مساهمة فاعلة في تأسيس قواعد اللغة، وتفسير معاني القرآن الكريم.

ولعل إدراك هذه الأهمية والعناية بلغة الشعر، والاستشهاد بها على صحة قواعد اللغة وممتها وشرح ألفاظها، وتوضيح أساليبها، وعلى غريب القرآن ومفرداته، وبيان معانيه.

ومادام الشعر يعتبر منبعا قد أمد الدراسات النحوية بالحياة والنمو، وأعان على فهم مُعْضِلَات القرآن الكريم، والوصول إلى معانيه؛ فقد أولاه النحاة والمفسرون عناية خاصة حفظا وتوظيفاً، وكيف لا يحفظ؟ وأن العرب ما اشتهروا بالفصاحة إلا لنبوغهم في الشعر، مما جعل الشاهد الشعري أكثر حضوراً في مصنفات النحاة، وفي كتب التفسير، ومعاني القرآن الكريم؛ وذلك لما تتميز به اللغة الشعرية.

وبالنظر إلى كل هذا الاهتمام الذي أولاه النحاة والمفسرون باللغة الشعرية، وارتكازهم عليها في استنباط الأصول والأحكام والخصائص والأسرار، وتوضيح الغامض من الألفاظ والمعاني؛ مما يدل دلالة واضحة على مكانة الشاهد الشعري، وأهميته في تعويد النحو وتفسير القرآن الكريم.

الأمر الذي رغبني في دراسة موضوع الشاهد الشعري، وبخاصة عند علم من أبرز أعلام العربية الذين كان لهم الباع الطويل في خدمة النحو العربي، والقرآن الكريم، من خلال كتابيه المشهورين: - **المفصل في صنعة الإعراب.**

- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.**

فكان العنوان: الشاهد الشعري عند الزمخشري في كتابيه المفصل والكشاف.

دراسة في المستويات اللسانية

بغية إبراز أهميته، وأبعاده اللغوية والمعرفية، ومنهج الزمخشري في الاستشهاد به، وأثره في تعقيد اللغة، وفي تفسير القرآن الكريم؛ ليكون موضوعاً لرسالة دكتوراه.

وكأي بحث يهدف إلى تقديم نتائج مفيدة ومرضية، لا بد أن ينطلق من إشكالية فعلية وطموحة، وهي كذلك بالنسبة إلى بحثي هذا، والتي تتلخص فيما يأتي:

إذا كان النحاة قد اتكأوا على الشعر في استخلاص أحكام النحو وقواعده، كما استعان المفسرون به في فهم آي القرآن الحكيم وتفسيرها، بل اعتبر لديهم مصدراً أساساً لا غنى لأحد منهم عنه، وذلك بالنظر إلى أن اللغة الشعرية أقلّ تعرّضاً للتصحيح والتحريف، والإنسان أقدر على حفظ الشعر من غيره.

وما دام الأمر كذلك أقول: ما مدى أثر الشاهد الشعري في تقرير الأحكام، وبناء القواعد النحوية عند الزمخشري؟ وما دوره في بيان معاني القرآن الكريم وألفاظه؟ ما منهج الزمخشري في التعامل مع الشاهد الشعري في تعقيد النحو، وتفسير القرآن الكريم؟ وما أسس اختيار الشاهد الشعري عند الزمخشري؟ وما ملامح التجديد لديه؟ ما مدى ارتباط الشاهد الشعري وفحواه بالأساس الفكري والعقدي عند الزمخشري؟

من خلال هذا تتجلى لنا أهمية هذه الدراسة فيما تقدمه من رؤى وتصورات حول وضع الشواهد الشعرية، ودورها البالغ والأساس في تعقيد النحو، والكشف عن أسرار العربية وأصولها وخصائصها، وكذا تفسير القرآن الكريم، وفهم معانيه وتذليل غريبه؛ ومن ثم فقد رमित إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1- بيان أهمية ودور الشواهد الشعرية باعتبارها القلب النابض، والركيزة الأساس التي بني عليها النحو العربي، والدعامة الرئيسة في فهم معاني، وغريب القرآن الكريم.

2- التعرف على منهج الزمخشري اللغوي والمفسر في تعامله مع الشاهد الشعري، وكيفية توظيفه واستغلاله.

3- التأكيد على ضرورة إيلاء اهتمام خاص بالشواهد الشعرية في كتب النحو والتفسير وصفا وتحليلاً وإحصاء.

4- محاولة إضافة دراسة علمية تبرز الدور الذي يضطلع به الشاهد الشعري في مجال النحو، وتفسير القرآن الكريم.

ب- أسباب اختيار الموضوع:

وما دام البحث في موضوع الشاهد الشعري يعتبر من أهم المواضيع التي أولاها النحاة والمفسرون اهتماما بالغاً، وألّفوا فيها الكثير من المصنفات؛ لهذا السبب وأسباب أخرى تجدني مشدوداً لهذا الموضوع، وهي كالاتي :

أولها ذاتي: وهو تلك الرغبة الجامحة التي تدفعني للقيام بإنجاز هذا البحث، وآخر موضوعية يمكن إجمالها فيما يلي:

1- غنى كتابي المفصل والكشاف بمختلف الشواهد الشعرية، وما للزمخشري من أثر بارز، وفهم ثاقب، ورأي متميز في الكثير من قضايا النحو العربي، وتفسير آي الذكر الحكيم.

2- حاجة المكتبة العربية إلى مثل هذه الدراسات التي تبرز أهمية ما أنجز الرجال العظام أمثال الزمخشري بخصوص الشاهد الشعري .

ج- المنهج المتبع في الدراسة:

وبالنظر إلى الإشكالية التي تطرحها هذه الدراسة، والأهداف التي ترمي إليها، فإن المنهج الأنسب لها هو المنهج الوصفي المبني على الاستقراء، حيث سأعمد إلى استقراء الشواهد الشعرية في المدونتين (المفصل والكشاف) باستخراجها وتصنيفها؛ ليأتي بعد ذلك دور التحليل كأداة إجرائية مساعدة في النقد والتفسير.

د- خطة البحث:

وكانت خطة البحث على النحو التالي: مدخل، وثمانية فصول، وخاتمة.

المدخل: وفيه تعرضت إلى تعريف الشاهد لغة واصطلاحاً، ثم عمدت إلى الفصل في مسألة الشاهد والمثال مخافة أن يجر اللبس بينهما إلى نوع من الخلط، وإصدار الأحكام دون روية، لأننتقل بعد ذلك إلى ذكر أنواع الشواهد وتصنيفها وفق موضوعاتها، أو جنسها الأدبي، ذاكراً أهمية الاستشهاد سواء في مجال التوظيف أو البحث، مع تحديد ضوابطه عند النحاة وأغراضه، لأختم ذلك كله بالحديث عن مسألة الاستشهاد بشعر المولدين، وما أثارتها من جدل .

الفصل الأول: تناولت الحديث فيه عن الزمخشري وكتابه المفصل والكشاف. فبعد الحديث عن حياة الزمخشري، ورحلاته، ثم كتبه ومصنفاته، وأقوال العلماء فيه. انتقلت بعد ذلك

إلى الحديث عن كتابه المفصل في صنعة الإعراب، فأشرت في عجالة إلى التأليف النحوي قبله، حتى نتبين من خلاله المكانة التي حظي بها هذا المصنف، حيث أضحى الكتاب المفضل لدى المتعلمين، فأقبلوا عليه يحفظونه، ويطلبون الإجازة فيه، لأكشف بعد ذلك عن الأسباب والدوافع التي كانت من وراء إنجاز هذا العمل المحكم الذي حاز إعجاب الجميع، ثم فصلت القول في طريقة ترتيب وتأليف مواده، وكيفيات عرضها، وفي تنوع شواهد، وما حظي به من اهتمام وإقبال من لدن العلماء والمتعلمين.

أما المبحث الثالث من هذا الفصل فكان الكشف، فبعد الإشارة إلى التفسير وأقسامه وعلاقته بالتأويل، ومدى الحاجة إليهما معا؛ باعتبار الكشف كتاب تفسير قبل كل شيء ذكرت الباعث على تأليفه، فمنهج صاحبه في تفسير آي الذكر الحكيم. ثم انتقلت بعد ذلك إلى الحديث عن قيمته العلمية، وما أثاره من نشاط فكري رغم المآخذ المسجلة عليه. **الفصل الثاني:** وكان أول الفصول العملية التي انتقلت فيها الدراسة من الوصف إلى التحليل، تناولت فيه دراسة الأبيات الشعرية التي أوردها الزمخشري شواهد تثبت مدى صحة مجمل الظواهر الصوتية المعالجة في كتابيه المفصل والكشاف.

الفصل الثالث: وقمت فيه بدراسة الأبيات الشعرية التي أوردها الزمخشري شاهدة على الظواهر الصرفية التي تضمنها المفصل والكشاف. سواء فيما يتعلق بالبنية، أو اشتقاقاتها. **الفصل الرابع:** وتناولت فيه دراسة الأبيات الشعرية التي أوردها الزمخشري شاهدة على مدى صحة ووجهة رأيه في إسناد بعض الوظائف النحوية لقسم معتبر من الأسماء والتي قام بدراستها في كتابيه المفصل والكشاف، مبرزاً مواضع الاستشهاد فيها، وبعض أبعادها المعرفية.

الفصل الخامس: وقد خصصته لمعالجة الشواهد الشعرية المتعلقة بالوظائف النحوية لقسم كبير من الأفعال والحروف، سواء كان ذلك في المفصل أو الكشاف. مع التركيز على أبعادها المعرفية، ومواضع الاستشهاد فيها.

الفصل السادس: وتناولت فيه دراسة الشواهد الشعرية التي أوردها الزمخشري في كتابه الكشف بغية تحديد معاني ومدلولات بعض الألفاظ القرآنية تحديداً معجمياً.

الفصل السابع: وقمت فيه بدراسة الشواهد الشعرية التي جاء بها الزمخشري في كتابه الكشف، وكان هدفه تحديد معاني ومدلولات بعض الألفاظ والتعابير القرآنية من خلال السياق الواردة فيه.

الفصل الثامن: وتناولت فيه دراسة الشواهد الشعرية المتعلقة بالموضوعات البلاغية التي حاول الزمخشري من خلالها عرض صور البيان القرآني منتبعا مزاياها الجمالية، وذلك في معرض تفسيره لأي الذكر الحكيم في كتابه الكشف.

وكان منهجي في معالجتها على النحو الآتي: ففي المفصل: بعد تحديد موضوع الشاهد أذكر ما قال فيه الزمخشري، ثم أورد الشاهد كاملا، فبعد توثيقه، أذكر معناه، وموضع الشاهد فيه مستعرضا بعض الآراء حوله، ثم أعقب ما أمكن ذلك مع استخلاص بعض الأبعاد والأحكام.

أما شواهد الكشف فكانت البداية بتحديد الآية القرآنية التي لها علاقة بالشاهد الشعري ثم أعدد الموضوع، وبعد ذلك أذكر ما قاله الزمخشري، أو ما قاله بعض المفسرين في معرض تفسيرهم لهذه الآية الكريمة أو تلك، ثم أذكر الشاهد الشعري كاملا، فبعد توثيقه أذكر معناه، وموضع الشاهد فيه، ثم أعقب ما أمكن ذلك، وبخاصة ما كان منه محل خلاف، أو كانت له علاقة مما حاول الزمخشري استغلاله لنصرة مذهبه الاعتزالي.

ثم ختمت بحثي بعدة نتائج استخلصتها من خلال فصول البحث وعناصره، وقد اعتمدت في دراستي هذه على جملة من المصادر والمراجع أخص بالذكر من المصادر خزانة الأدب، وشرح شواهد المغني لعبد القادر البغدادي. ومن المراجع: منهج الزمخشري في تفسير القرآن الكريم للساوي الجويني، وابن يعيش النحوي لعبد الإله نبهان.

وبقدر ما تحقق لي من فائدة ومتعة، فإني لاقيت عناء وواجهت عدة عقبات تمثلت في عدم توفر بعض المراجع المتصلة بموضوع البحث، حيث سجلت نقصا في بعض العناوين أذكر منها: الزمخشري لغويا ومفسرا للحوفي، والشواهد والاستشهاد في النحو لعبد الجبار علوان.

وأخيرا يطيب لي في هذا المقام أن أتقدم لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور أحمد جلايلي بجزيل الشكر وخالص العرفان، وقد حظيت بإشرافه على أطروحتي هذه فتعهدا

بالاهتمام، وأثرها بملاحظاته القيمة. كما يسرني أن أشكر كل من ساعدني وأمدّ لي يد
العون من قريب أو بعيد، فلم مني جميعاً فائق الشكر والتقدير والاحترام.
والله الموفق.

غريب مسعود

الحجيرة 27 / 08 / 2013

المدخل: التعريف بالشاهد اللغوي

- 1- الشاهد لغة
- 2- الشاهد اصطلاحاً
- 3- الشاهد والمثال
- 4- أنواع الشواهد وأقسامها
- 4-1 من حيث الموضوع
- 4-1-1 الشواهد المعجمية
- 4-1-2 الشواهد النحوية
- 4-1-3 شواهد البلاغة والنقد والعروض
- 4-1-4 الشواهد الفقهية
- 4-1-5 الشواهد ذات الأغراض المتعددة
- 4-2 من حيث الجنس الأدبي
- 4-2-2 الشواهد القرآنية
- 4-2-3 شواهد الحديث النبوي الحديث
- 4-2-4 شواهد الشعر والرجز
- 4-2-5 شواهد النثر العربي
- 5- أهمية الاستشهاد
- 6- ضوابط الاستشهاد عند النحاة
- 6-2 الضابط الزمني
- 6-3 الضابط المكاني
- 7- أغراض الاحتجاج
- 8- الاستشهاد بشعر المولدين

مما لا شك فيه أن اللغويين العرب قد اهتموا بالشعر اهتماما بالغاً، فكانوا يحتجون به في شتى القضايا اللغوية، ولم لا؟ والشعر ديوان العرب، وسجل مفاخرهم ومآثرهم. فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا، وما ديواننا؟ قال شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم»¹. كما روي أيضاً أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «إذا سألتكم عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب»²، وكان رضي الله عنه يعتبر أول مفسر استشهد بالشعر، حيث كان حين يشرح الكلمة الغريبة، وهو يجيب على تساؤلات نافع بن الأزرق المشهورة يقول مستدلاً: أما سمعت الشاعر مثلاً يقول:....، أو أما سمعت الحطيئة يقول:....³.

وهكذا فالاحتجاج بالشعر كان وليد القرن الأول الهجري، حيث كانت الدلالة الاصطلاحية للشاهد واضحة في الأذهان، ومترجمة عملياً، وإن كانت بداياته الأولى محدودة ومقتصرة على توضيح، وتفسير بعض ألفاظ القرآن الكريم، ليتسع فيما بعد ليشمل قضايا اللغة في شتى علومها، ومختلف مجالاتها.

وقبل الخوض في الحديث عن كل القضايا المتعلقة بالشاهد، وبخاصة الشاهد الشعري وما أكثرها! يجدر بنا أن نوضح، ونحدد ماهية الشاهد لغة واصطلاحاً.

1- الشاهد لغة :

اتضح من خلال البحث عن الدلالة المعجمية للفظ «شاهد»، في أمات المعاجم العربية أن الجميع يتفق على أن الشاهد: هو الحاضر، اللسان، المخبر، المبين. فهذا ابن منظور يقول: «الشاهد اللسان من قولهم: لفلان شاهد حسن، أي: عبارة جميلة»⁴. وكذا صاحب تاج

¹ - شواهد الشعراء المخضرمين في التراث النحوي. مجدي. دار الكتاب المصري. القاهرة ط1. 2000. ص12

² - الإتيان في علوم القرآن للسيوطي. ج3. ص848.

³ - ينظر المصدر نفسه ج3. ص849-902

⁴ - لسان العرب. ابن منظور تح. عامر أحمد حيدر. دار الكتب العلمية. ط1. لبنان. 2003. مادة (شاهد)

العروس بدوره يقول: «الشهادة خبر قاطع كذا في اللسان، والأساس»¹. أما ابن فارس فيلخص لنا معنى الشاهد فيقول: «مادة شهد الشين والهاء والذال أصل يدل على حضور وعلم وإعلام»².

2- الشاهد اصطلاحاً :

فإذا كانت الدلالة الاصطلاحية للشاهد واضحة المعالم في الأذهان، ومترجمة على أرض الواقع منذ أن دعت الضرورة للاحتجاج والاستشهاد. فإن الشاهد كمصطلح لم يكن معروفاً، ولا مستخدماً لا من قبل النحاة، ولا من غيرهم، وبخاصة في القرن الأول الهجري بل من الصعب تحديد الفترة الزمنية التي تم فيها استخدام مصطلح الشاهد وتداوله، وإن كان هناك من يشير إلى ابن إسحاق (110 هـ) واستخدامه لهذا الرمز اللغوي – «فقد روي أن الحجاج سأل سمرة بن الجعد الشيباني إن كان يروي الشعر فقال: إني لأروي المثل والشاهد. فقال الحجاج: المثل قد عرفناه. فما الشاهد؟ قال: اليوم تكون العرب من أيامها عليه شاهد من الشعر، فأني أروي ذلك الشاهد»³. فما مدلول الشاهد اصطلاحاً؟

لقد ورد في معجم المصطلحات النحوية والصرفية أن «الشاهد: قول عربي لقائل موثوق بعربيته يورد للاحتجاج والاستدلال به على قول أو رأي»⁴. وبتوفر هذه الشروط والخصائص يتحقق المعنى الاصطلاحى للشاهد، ويكون هذا الأخير قادراً على أداء الغرض الذي من أجله جيء به. أو هو كما عرفه يحيى عبد الرؤوف جبر: «أما في الاصطلاح اللغوي فهو جملة من كلام العرب، أو ما جرى مجراه، كالقرآن الكريم تتسم بمواصفات معينة، وتقوم دليلاً على استخدام العرب لفظاً لمعناه، أو نسقاً في نظم، أو

¹ - تاج العروس للزبيدي. تح عبد العليم الطحاوي. مطبعة حكومة الكويت . ط2 الكويت. 1987. مادة (شهد)

² - معجم المقاييس في اللغة. ابن فارس. تح شهاب الدين أبو عمرو. دار الفكر. ط2. بيروت 1998. (مادة شهد).

³ - مروح الذهب. للمسعودي. تح كمال حسن مرعي. المكتبة العصرية. ط1. بيروت 2005. ج3. ص114

⁴ - معجم المصطلحات النحوية والصرفية. نجيب اللبدي مؤسسة الرسالة. ط1. بيروت 1985. ص 119.

كلام. أو على وقوع شيء إذا اقترن بغيره، أو على علاقة بين لفظ وآخر، أو معنى وغيره وتقديم وتأخير واشتقاق وبناء، ونحو ذلك مما يصعب حصره، ومما هو محسوب في مناحي كلام العرب الفصحاء»¹.

3- الشاهد والمثال :

من الأمور التي لها علاقة مباشرة بتحديد مفهوم مصطلح الشاهد، والتي ينبغي الوقوف عندها، والفصل فيها، هي مسألة الشاهد والمثال في العربية «مخافة أن يجر اللبس بينهما إلى نوع من الخلط، وإصدار الأحكام دون روية»². الأمر الذي دفع بالعلماء إلى التفريق بينهما. فهذا التهانوي في موسوعته كشف اصطلاحات الفنون يفرق بينهما قائلاً: «المثال: يطلق على الجزئي الذي يذكر؛ لإيضاح القاعدة، وإيصالها إلى فهم المستفيد»³. أما الشاهد: «فهو الجزئي الذي يستشهد به في إثبات القاعدة من التنزيل، أو من كلام العرب الموثوق بعربيتهم»⁴.

ويتضح من هذا أن الشاهد كما عرفه التهانوي هو المأخوذ من القرآن الكريم، أو من كلام العرب نثره وشعره الموثوق بعربيتهم؛ ولذا «فالأقوال التي ينقلها النحوي، أو المعجمي عن العرب بالشروط المذكورة أعلاه تعد من الشواهد، وما يخالف شرطاً من هذه الشروط فلا ينتمي إلى العرب الموثوق بعربيتهم، وليس شاهداً، وإنما يأتي به النحوي أو اللغوي على سبيل التمثيل؛ لأن المثال يمكن أن يكون مصنوعاً يخترعه عالم اللغة، أو منقولاً يأخذه عن غيره، ويهدف به إلى إيضاح القاعدة، وإيصالها إلى فهم المستفيد»⁵.

¹ - الشاهد اللغوي ليحيى عبد الرؤوف جبر. مجلة النجاح للأبحاث م 2 العدد 06 (1992)

² - المثال والشاهد في كتب النحويين والمعجميين العرب ،حسن حمزة ،مكتبة الهلال ط 1، بيروت 2010، ص 19.

³ - كشف اصطلاحات الفنون والعلوم التهانوي تح دحروج ،مكتبة لبنان ط 1، لبنان 1996، مج 02، ص 1447.

⁴ - المصدر نفسه مجلد 02 ، ص 1447.

⁵ - المثال والشاهد حسن حمزة ، ص 27.

4- أنواع الشواهد وأقسامها:

بالنظر إلى مكانة الشاهد في العلوم العربية، والإسلامية تنظيراً وتطبيقاً، فإنه لا يخلو علم من تلك العلوم من شواهد تحقق الغرض، وتلبي الحاجة سواء في جوانبه النظرية، أو التطبيقية بمختلف أشكالها الأدبية، وإذا كان الأمر كذلك؛ فإنه يمكننا تصنيف الشواهد وفقاً لمعيارين:

4-1 من حيث الموضوع :

يمكن تقسيم الشواهد من حيث موضوعاتها تبعاً للغرض منها إلى:

4-1-1 الشواهد المعجمية :

وهي الأكثر عدداً وانتشاراً في المعاجم وكتب اللغة والتفسير؛ لأن نسبتها إلى المعجم لا تعني أنها مقصورة على المعجم. وهذا النوع من الشواهد هو الذي يؤتى به، إما ليكون دليلاً على أن اللفظ المقدم مستعمل في لغة العرب، أو لإعطاء الدليل على معناه، أو على أحد معانيه.

4-1-2 الشواهد النحوية :

ويقصد بها « ما جاء من كلام العرب شاهداً لعامل نحوي، أو لأثر إعرابي، أو علامة بناء أو إعراب أصلية أو فرعية، ونحو ذلك مما يقوم عليه النحو العربي وأصوله... يستوي في ذلك الشاذ النادر والقياس المطرد»¹. ويأتي هذا النوع من الشواهد في المرتبة الثانية من حيث العدد، وسعة الانتشار بعد الشواهد المعجمية.

¹ - الشاهد اللغوي. يحيى عبد الرؤوف جبر ، مجلة النجاح للأبحاث. م.2. العدد06. 1992. ص 266.

4-1-3 شواهد البلاغة والنقد والعروض :

وهي تلك الشواهد التي أتى بها أصحاب هذه العلوم من كلام العرب «لبيان معنى حسن أو دريء، أو صورة مليحة أو قبيحة، أو وزن موسيقى أو زحاف»¹. فهي من جهة أخرى تلك الشواهد التي لا يشترط فيها ارتباطها بعصور الاحتجاج، خلاف الشواهد المعجمية والنحوية التي يشترط فيها ارتباطها بالدائرة الزمانية والمكانية لعصور الاحتجاج؛ لأنها «لا تقوم في جوهرها على الألفاظ لمعانيها، ولا لآثار بعضها في بعض، بقدر على ما يطرأ في ذهن المتلقي عند تلقيها من استجابة، تتمثل في استحسان أو استهجان»².

4-1-4 الشواهد الفقهية :

وهي تلك الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية، أو التدليل عليها. وهي أيضا ما يستعان به من كلام العرب لتفسير معاني القرآن الكريم، أو الحديث النبوي الشريف، أو التدليل عليها أيضا.

4-1-5 الشواهد ذات الأغراض المتعددة :

وهي تلك الشواهد التي يمكن أن يستشهد بها على أكثر من موضوع، فيكون الشاهد الواحد معجميا وبلاغيا وفقهيا في آن واحد، ويضربون لذلك مثلا بالشاهد الآتي:

بنونا بنو أبنائنا وبنائنا بنائنا
بنوهنّ أبناء الرجال الأبعاد³

فهو شاهد نحوي على جواز تقديم الخبر، وشاهد بلاغي كمثال على التشبيه، وشاهد فقهي على الوصية.

¹ - الشاهد اللغوي. يحيى عبد الرؤوف جبر ، ص 266.

² - الاستشهاد والاحتجاج باللغة . عيد محمد ، عالم الكتب . ط3 . القاهرة . 1988 . ص 205.

³ - البيت من الطويل للفرزدق في شرح ابن عقيل . تح . ح . الفاخوري . دار الجيل د . ط . بيروت . 2003 . ج 1 ص 182.

4-2 من حيث الجنس الأدبي :

4-2-1 الشواهد القرآنية :

ويقصد بها تلك الآيات القرآنية التي توصل بها الفقهاء إلى استخلاص الأحكام والتدليل عليها، والتي اعتمد عليها اللغويون العرب في أثناء تقعيد اللغة، وسن قوانينها حيث يمثل القرآن الكريم اللغة المثالية الرفيعة التي فهمها الجميع، وأوثق نص لغوي في العربية يقول صاحب خزنة الأدب: «فكلامه - عز اسمه - أفصح كلام وأبلغه، ويجوز الاستشهاد بمتواتره وشأده»¹.

4-2-2 شواهد الحديث النبوي الحديث :

مما لا اختلاف فيه أن الحديث النبوي الشريف هو المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم؛ لأنه كلام أفصح العرب عليه الصلاة والسلام، بل هو وحي يوحى من رب العالمين، وما دام على هذه الدرجة من القوة والفصاحة، كان من الأجدر أن يعتمد عليه في الاحتجاج اللغوي دون تردد. لكن الواقع اللغوي، وبخاصة عند القدامى لا يعكس ذلك البتة، بل نلاحظ ندرة في الأحاديث المستشهد بها في كتب النحو واللغة، فهذا الكتاب على أهميته وسبقه لا يتجاوز عدد الأحاديث المستشهد بها فيه بضعة أحاديث. وإن كان لهذا الإحجام والتحفظ أسبابه منها: أن بعض الأحاديث قد رويت بالمعنى لا باللفظ، مما جعلهم غير واثقين «أن ذلك لفظ الرسول ﷺ إذ لو وثقوا بذلك، لجرى مجرى القرآن الكريم في إثبات القواعد الكلية»². وإن كانت هذه الحجة «مرفوضة؛ لأن تدوين الحديث إنما تم قبل نهاية عصر الاحتجاج، أي: أنه حتى لو صح ما قيل من تغيير ألفاظ النبي ﷺ، فإن الفاعل من الفصاحة بحيث يصح الاستشهاد بكلامه، وإلا كيف تم لهم

¹ خزنة الأدب. عبد القادر البغدادي. تح. عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي. ط 1. القاهرة. 1997 ج 1. ص 09.

² - المصدر نفسه ج 1. ص 10-11.

الاستشهاد بالشعر الذي قيل في نفس الفترة وبعدها؟ يضاف إلى ذلك أن علماء الحديث قد بينوا لنا الحديث الصحيح والحسن من الأحاديث دون سواهما مما لا يوثق به، ولا يؤخذ¹. وبالرغم من هذا كله نجد من أهل اللغة من ظل ينكر الاستشهاد بالحديث كابن الضائع (680 هـ) وأبي حيان الأندلسي (745 هـ) وجلال الدين السيوطي (911 هـ).

4-2-3 شواهد الشعر والرجز :

لقد نالت الشواهد الشعرية حظا وفيرا في الدرس اللغوي، وبخاصة في النحو العربي، إذ لا بد لكل نحوي من شاهد يستشهد به؛ وذلك ليعزز به موقفه، ويؤيد به وجهة نظره ويدعم به مذهبه، ويتأكد ذلك إذا كان في المسألة اختلاف، أو كانت خارجة عن القياس وبخاصة من الشعر نظرا لمنزلته الكبيرة في نفوس العرب فهو «معدن علم العرب، وسفر حكمتها، وديوان أخبارها، ومستودع أيامها، والسور المضروب على مآثرها، والخندق المحجوز على مفاخرها، والشاهد العدل يوم النفار، والحجة القاطعة عند الخصام»²، وهو كما قال ابن فارس: «ديوانهم وحافظ مآثرهم ومقيد أحسابهم»³. لذا كانت شواهد الشعر أكثر الشواهد عددا، حيث كانت «العنصر الغالب في دراسات النحاة المتقدمين والمتأخرين من بين مصادر الاستشهاد»⁴.

4-2-4 شواهد النثر العربي :

النثر كما هو متعارف عليه في الدراسات الأدبية قسما: نثر فني ويشمل: الخطب والرسائل، والأمثال، والحكم، وإن لم يعتمد في الاحتجاج منه سوى الأمثال والحكم إذ هي كثيرة في مؤلفات النحاة واللغويين، بالنظر إلى قصرها وسهولة حفظها. ونثر عادي:

¹ - الشاهد اللغوي. يحيى عبد الرؤوف جبر ص 269.

² - عيون الأخبار. ابن قتيبة. دار الكتب المصرية. د. ط. القاهرة. 1996. مج 2، ص 185.

³ - الصاحبى، أحمد فارس. المكتبة السلفية. د. ط. القاهرة. 1910. ص 43.

⁴ - الاستشهاد والاحتجاج باللغة. عيد محمد، ص 38.

ويتمثل في لغة الحديث والتخاطب، وقد استشهد به النحاة في كتبهم، إما بالاعتماد على المشافهة مع الأعراب، أو السماع عن الرواة والنقات، وخير دليل عبارة: سمعنا بعض الموثوق بهم... والعرب تقول: ...ومن ذلك قول العرب¹.

5- أهمية الاستشهاد :

إذا لم يستشهد النحاة على أن الفاعل اسم مرفوع، أو على اسمية المبتدأ مثلا باعتبار أن ما جاء على الأصل والقياس، وكان بديهيا مطردا لا يحتاج إلى دليل؛ لأن «من تمسك بالأصل خرج عن عهدة المطالبة بالدليل»². فإنه في حال وجود خلاف، أو خروج عن قياس، أو بغية تفنيد رأي، أو إظهار ضعف هذا المذهب أو ذلك، أو عدم جوازه. لا بد من توظيف الشاهد من أجل تحقيق الاقتناع، وإزالة الشك، وبالتالي رفع نسبة التصديق عند المتلقي.

كما تبرز أهمية الشاهد، وبخاصة في علم النحو في مجال توظيفه، إذ الواقع يعكس مدى اهتمام النحاة به، حتى قيل: إن الشاهد في علم النحو هو النحو. ناهيك عن العدد الكبير من الشواهد بمختلف أنواعها التي تعج بها مؤلفاتهم ابتداء من سيبويه.

أما في مجال البحث فهناك دراسات وبحوث كثيرة تناولت الشاهد شرحا وتحليلا قديما وحديثا، ومدى ارتباطه بالمذاهب النحوية والكلامية.

6- ضوابط الاستشهاد عند النحاة :

1-6 الضابط الزماني: أو ما يسمى بالدائرة الزمانية، ويعنى بها عصر الاحتجاج اللغوي حيث اللغة التي تقع ضمن نطاقه هي اللغة الأصل التي يستشهد بها، وهي أبعد

¹ - الكتاب لسيبويه. تح عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي. ط3 القاهرة. 1988 ج 1، ص 179.

² - الأصول . تمام حسان. عالم الكتب. د.ط. القاهرة. 2000. ص 192.

ما تكون عن الفساد والخطأ، الممتدة من الجاهلية حتى منتصف القرن الثاني الهجري، أي أن اللغويين والنحاة «قد قبلوا الاحتجاج بأقوال عرب الجاهلية، وفصحاء الإسلام حتى منتصف القرن الثاني سواء أسكنوا الحضر أم البادية؟»¹.

وعلى ضوء هذا الضابط الزمني قسموا الشعراء إلى طبقات أربع هي:

- الطبقة الأولى: طبقة شعراء الجاهلية ممن ماتوا قبل ظهور الإسلام.

- الطبقة الثانية: طبقة المخضرمين وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام.

- الطبقة الثالثة: طبقة الإسلاميين الذين لم يدركوا من الجاهلية شيئاً.

- الطبقة الرابعة: طبقة المولدين أو المحدثين وأولهم بشار بن برد².

إلا أنهم لم يحتجوا بشعر جميع هؤلاء الشعراء، وإنما «شبه الإجماع انعقد على صحة الاستشهاد بالطبقتين الأوليين، واختلفوا في الطبقة الثالثة، وذهب عبد القادر البغدادي صاحب خزنة الأدب إلى جواز الاستشهاد بها³. أما الطبقة الرابعة فلا يستشهد بكلام أصحابها في علوم اللغة والنحو والصرف خاصة، وكان آخر من يحتج بشعره على هذا الأساس بالإجماع إبراهيم بن هرمة (150هـ) الذي ختم الأصمعي به الشعر. «أما أهل البادية فقد استمر العلماء يدنون لغاتهم حتى فسدت سلائقهم في القرن الرابع الهجري»⁴.

6-2 الضابط المكاني: أو ما يسمى بالدائرة المكانية، وبعبارة أخرى القبائل التي أخذوا

عنها حيث اعتمدوا كلام القبائل الواقعة في قلب الجزيرة العربية، وبالتالي ردوا كلام كل

القبائل التي على السواحل، أو التي تسكن الحواضر، أو في جوار غير العرب من الأمم

الأخرى. وهذا ما يكشف عنه تصنيف أبي نصر الفارابي لهم في الاحتجاج إذ يقول: «

¹ - في أصول النحو سعيد الأفغاني. مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية. د. ط. 1994، ص 19.

² - الاقتراح. للسيوطي. تح محمود سليمان ياقوت. دار المعرفة الجامعية. د. ط. مصر 2006. ص 147

³ - خزنة الأدب لعبد القادر البغدادي. ج. 1. ص 6

⁴ - في أصول النحو سعيد الأفغاني ص 19-20.

كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً، وأبينها عما في النفس. والذين عندهم نقلت اللغة العربية، وبهم اقتدي، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم: قيس، وتميم، وأسد، فإن هؤلاء هم الذين أخذ عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتكل في الغريب، وفي الإعراب والتصريف. ثم هذيل وبعض كنانة، وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم. وبالجملة، فإنه لم يؤخذ عن حضري، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم الذين حولهم. لم يؤخذ من لحم، ولا من جذام فإنهم كانوا مجاورين لأهل مصر والقبط، ولا من قضاة، ولا غسان ولا من إياد، فإنهم كانوا مجاورين لأهل الشام وأكثرهم نصارى يقرأون بصلاتهم بغير العربية. ولا من تغلب ولا النمر؛ فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية، ولا من بكر؛ لأنهم كانوا مجاورين للنبط والفرس، ولا من عبد القيس؛ لأنهم كانوا من سكان البحرين مخالطين للهند والفرس، ولا من أزد عمان؛ لمخالطتهم للهند والفرس. ولا من أهل اليمن أصلاً؛ لمخالطتهم للهند والحبشة، ولولادة الحبشة فيهم. ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة، ولا من ثقيف وسكان الطائف؛ لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم، ولا من حاضرة الحجاز؛ لأن الذين نقلوا اللغة صادفهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم، وفسدت ألسنتهم»¹.

7- أغراض الاحتجاج :

للاحتجاج غرضان اثنان: غرض لفظي: « يدور حول صحة الاستعمال من حيث اللغة والنحو والصرف»². وغرض معنوي: لا علاقة له باللفظ مما يتبع علم البلاغة من معان وبيان وبديع. ولحرصهم على سلامة اللغة احتجوا بكلام القدامى في اللفظ والمعنى

¹ - الاقتراح للسيوطي ص 101-104.

² - في أصول النحو سعيد الأفغاني ص 16.

واحتجوا بكلام المولدين في المعنى فقط ، كاحتجاج ابن جني بشعر المتنبي، والبحتري وأبي نواس.

8- الاستشهاد بشعر المولدين :

إذا كان من الجائز الاستشهاد بكلام المولدين في المعاني دون الألفاظ حفاظاً على سلامة اللغة من الفساد والخطأ، فإن الدعوة إلى الاحتجاج بشعر العلماء منهم في المعنى واللفظ بدعوى «ما يقوله بمنزلة ما يرويه» دعوة لم تلق رواجاً على المستوى العملي. وإن كان أول من قال هذا وعمل به الزمخشري في تفسيره الكشاف في معرض تفسيره قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾¹ إذ يقول: «وأظلم يحتمل أن يكون غير متعد، وهو الظاهر وأن يكون متعداً منقولاً من (ظلم) الليل، وتشهد له قراءة يزيد بن قُطيب (أظلم) على ما لم يسم فاعله ، وجاء في شعر حبيب بن أوس :

هما أظلما حالِيّ ثمتَ أجلياً ظلاميها عن وجه أمرد أشيب»²

ثم يقول بعد ذلك: «وهو، وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية، فاجعل ما يقوله بمنزله ما يرويه ألا ترى إلى قول العلماء، الدليل على ذلك بيت الحماسة، فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه»³. ويتضح من تبريره هذا أنه يعتبر وبصراحة أن ما قاله أبو تمام من شعر هو بمنزلة ما يرويه تماماً؛ ولذا جاز لنا أن نستشهد بشعره المحاكي للقمامى باعتبار أن تلقيه للشعر العربي أثر في تكوينه الثقافي وأن إتقان الرواية يستلزم إتقان الدراية. وقد أثر بمخالفته هذه «في تحريك الآراء حول الفكرة بين مؤيد ومخالف، وقد انحصرت وجهتا النظر وفروعها حول ما إذا كان إتقان الرواية يستلزم إتقان الدراية، ويترتب على ذلك الثقة بما يأتي عن صاحبها من أقوال، فتجعل

¹ - البقرة من الآية 20.

² - الكشاف. للزمخشري. تح يوسف الحمادي. ج 1 ص 95.

³ - المصدر نفسه ج 1 ، ص 95.

حجة على مسائل اللغة، أو أن إتقان الرواية لا يستلزم إتقان الدراية، فكل منهما ملكة خاصة لها سماتها المميزة إذ تعود الأولى للحفظ والإتقان بينما ترجع الثانية إلى معرفة أوضاع اللغة العربية وطريقة الكلام، وهي بذلك ملكة صناعية لا يعتد بها في الاستشهاد فهي عرضة للزلل بخلاف العرب الخالص، فإنهم أصحاب ملكة أصيلة، وطبع نقي؛ ولذا صح الاستشهاد، والاحتجاج بنطقهم. فإنّان الرواية غير إتقان الدراية، وهذا غير ذلك»¹. كما استشهد الزمخشري بشعر أبي الطيب المتبّي، والمعري، والبحثري، وأبي العتاهية والجاحظ، وابن المعتز، وابن الرومي... واستشهد قبله سيبويه بشعر بشار بن برد، وإن قيل أنه فعل ذلك انتقاء شر لسانه.

¹ - الاستشهاد والاحتجاج. محمد عيد. ص 130

الفصل الأول: الزمخشري وكتابه المفصل والكشاف

1-الزمخشري حياته وأعماله

1-1 عصره وبيئته

2-1 اسمه وكنيته ولقبه

3-1 مولده ونشأته

4-1 رحلاته

5-1 عقيدته

6-1 مذهبه الفقهي

7-1 شيوخه وتلاميذه

8-1 كتبه ومصنفاته

9-1 أقوال العلماء فيه

10-1 مذهبه النحوي

2- المفصل في صنعة الإعراب

1-2 التأليف النحوي قبل المفصل

2-2 بواعث تأليفه

3-2 طريقته في الترتيب والتأليف

4-2 طريقته في عرض المادة

5-2 شواهد

1-5-2 القرآن الكريم

2-5-2 الحديث النبوي

2-5-3 الشعر

2-5-4 الأمثال والحكم من كلام العرب

2-6 قيمته العلمية

2-7 شروحه

2-8 الردّ عليه

3-الكشاف

3-1 التفسير وأقسامه

3-1-1 التفسير لغة

3-1-2 التفسير اصطلاحاً

3-1-3 التأويل في اللغة

3-1-4 التأويل اصطلاحاً

3-1-5 أقسام التفسير

3-2 سبب تأليفه

3-3 منهجه

3-4 قيمته العلمية

3-5 من مأخذه

3-6 ما أثاره من نشاط فكري

1- الزمخشري حياته وأعماله :

1-1 عصره وبيئته:

لقد عاصر الزمخشري تأسيس الدولة الخوارزمية بعد أن أقل نجم الدولة السلجوقية، في خضم التطاحن السياسي الذي شهده المشرق الإسلامي، والذي كان له الأثر الإيجابي على التنافس العلمي والأدبي، وبخاصة في عهد أئسز (52-551هـ)، الذي أدرك منه الزمخشري بضع عشرة سنة¹. فإذا كان عصره محفزاً على طلب العلم والمعرفة، ومشجعاً للعلماء. فإن خوارزم هي أيضاً: «كورة جليلة واسعة كثيرة المدن، ممتدة العمارة... كثيرة المعاصر والمزارع والشجر والفواكه والخيرات، مفيدة لأهل التجارات»²، وهي أيضاً كما قال عنها ياقوت الحموي «وكننت قد جننتها سنة (616هـ). فما رأيت ولاية قط أعمر منها...متصلة العمارة متقاربة القرى، كثيرة البيوت المفردة والقصور في صحاريها، قلماً يقع نظرك في رسائيقها على موضع لا عمارة فيها، هذا مع كثرة الشجر بها... وأكثر ضياع خوارزم مدن ذات أسواق وخيرات ودكاكين»³. وبالنظر أيضاً إلى موقعها الجغرافي المتقدم فهي « ثغر من ثغور الإسلام عرضة لغزوات غير المسلمين، وكان لهذا أثره في الحماس الديني الذي ينشأ عليه أبنائها»⁴. ولا شك أن لهذه الظروف جمعاء أثرها « في صفاء أخيلة أدبائه وشعرائه، ومُلهمًا لهم ببنات الشعر وعقايل النثر»⁵. حيث تذكر كتب التراجم⁶ أن هذا الإقليم قد خرّج العديد من العلماء الذين جمعوا بين علم العربية والأدب والعلوم الدينية ومنهم العلامة الزمخشري فمن هو؟ وما نسبه؟ ومتى ولد؟ وكيف نشأ؟ ما

¹ ينظر الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري..فاضل صالح السامرائي.دار عمار.ط1 عمان2005 ص 09

² أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي مطبعة أبريل. د.ط.لين.1877 ص 284 .

³ معجم البلدان لياقوت الحموي.دار صادر. د.ط، بيروت د.ت ج 2 ص 396.

⁴ منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه. الصاوي الجويني دار المعارف ط2. مصر. د.ت. ص18

⁵ المرجع نفسه ص 19

⁶ نذكر منها: يتيمة الدهر للثعالبي ، ومعجم الأدياء و معجم البلدان للحموي، بغية الوعاة

نشاطه العلمي؟ وما مذهبه الفقهي والعقدي؟ وما هي الرحلات العلمية التي قام بها؟ ومن هم شيوخه وتلاميذه؟ وما هي مؤلفاته؟ وما أقوال العلماء فيه؟

1-2 اسمه وكنيته ولقبه:

الزمخشري: هو محمود بن محمد بن أحمد، المكنى بأبي القاسم مع أنه عاش أعزب الملقب بجار الله، وهو لقب لقب نفسه به؛ لأنه جاور مكة زمناً، فصار هذا اللقب علماً عليه¹، كما لقبه الناس بفخر خوارزم بعد أن توافدوا عليه؛ للانتفاع بعلمه.

1-3 مولده ونشأته:

ولد بزمخشري وهي قرية من قرى خوارزم القريبة جداً منها، فاكتمت شهرته به فخلدها على الدهر، وذلك يوم الأربعاء السابع والعشرين من رجب سنة 467 هـ/1074 م². وبها نشأ وبها تعلم، وذلك في عهد السلطان جلال الدنيا والدين أبي الفتح ملكشاه الذي يقاس عهده في عظمته وفخامته بأزهر عهود الدولة الرومانية، أو العربية حيث ازدهرت التجارة والصناعة، وزهت الآداب والفنون³. في هذا العهد الذي كان يشجع العلم، ويحمي العلماء نشأ الزمخشري، في أحضان «أسرة فقيرة تقية ظفرت بحظ من علم وأدب»⁴. ولما بلغ سن الطلب رحل إلى بخارى لطلب العلم. لكن العامل المهم في نشأته العلمية هو تتلمذه على يد فريد عصره العلامة محمود بن جرير الضبي الأصبهاني المقيم بخوارزم، وقد انتفع بعلمه ومكارم أخلاقه⁵.

¹ وفيات الأعيان. لابن خلكان. تح. إحسان عباس. دار صادر. د. ط. بيروت. د. ت. ج 5 ص 169

² انباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي. تح. محمد أبو فاضل. دار الفكر العربي ط 1 القاهرة. 1989 ج 3 ص 265

³ منهج الزمخشري للساوي. ص 23

⁴ المرجع نفسه ص 27.

⁵ ينظر معجم الأدباء لياقوت الحموي. تح. إحسان عباس. دار الغرب الإسلامي. ط 1. بيروت. 1993 مج 6 ص 2688

1-4 رحلاته :

لما أكمل الزمخشري دراسته الأولى بـ (زمخشر) رحل إلى بخارى لطلب العلم، ومنها انتقل إلى خراسان، ومدح بها جماعة من أصحاب الصولة والدولة، ثم رحل إلى أصفهان حيث مدح ملكها محمد بن أبي الفتح ملكشاه¹، ومنها توجه إلى بغداد فناظر بها، وسمع من علمائها²، ثم رحل إلى مكة فجاورها جواره الأول حيث لقي رعاية من الأمير العلوي علي بن عيسى بن حمزة بن وهاس، وقد «كان شريفا جليلا هماما من أهل مكة وشرفائها وأمرائها ذا فضل غزير، وله تصانيف مفيدة، وقريحة في النظم والنثر مجيدة»³. وقال ف ولو ابن وهاس وسابق فضله رَعَيْتَ هَشِيمًا وَاسْتَسْقَيْتَ مَصْرَدًا⁴

وفي مكة المكرمة قرأ كتاب سيبويه على عبد الله بن طلحة الياقوت⁵ «ت 523هـ» ولبث مجاورا مكة مدة سنتين، وفي هذه الفترة تمكن من زيارة كل بقاع أرض العرب إذ يقول: «وطئت كل تربة في أرض العرب»⁶. ثم تآقت نفسه إلى خوارزم فعاد إليها، ولقي فيها من الحفاوة والحظوة على يد سلطانه خوارزمشاه، ثم من بعده ابنه أئسز؛ مما جعله يستقر ويهنأ، ولكن الشوق عاوده مرة أخرى إلى الجوار بمكة فعزم على الرحيل، وفي طريقة مرّ بالشام، وامتدح صاحبها تاج الملك (ت 526هـ) وفي مكة لقي من ابن وهاس ما كان يلقاه من قبل من حفاوة وتعظيم، وكان ابن وهاس يوافق في مذهبه، فشجعه على

¹ - ينظر منهج الزمخشري للصاوي ص 34

² - المرجع نفسه ص 35.

³ - معجم الأدياء لياقوت الحموي تح. إحسان عباس. مج 4. ص 1832

⁴ - منهج الزمخشري للصاوي ص 37.

⁵ - ينظر بغية الوعاة للسيوطي. تح محمد أبو الفضل. دار الفكر. ط 2. بيروت 1979. ج 2. ص 46

⁶ - أساس البلاغة للزمخشري. تح. محمد باسل عيون السود. دار الكتب العلمية. ط 1. بيروت 1998. ج 1 ص 92

تأليف كتابه «الكشاف» وفي جواره بمكة مرتين، ومدته يقول:

فجاورت ربي وهو خير مجاور لدى بيته المحرم عاكفا

أقمت بإذن الله خمسا كواملا وصادفت سبعا بالمعرف واقفا

وتم لي الكشاف ثم ببليدة بها هبط التنزيل للحق كاشفا¹

وبعد مضي ثلاث سنوات عاوده الحنين إلى وطنه، وفي طريقة إليه مر ببغداد فقرأ بعض كتب اللغة على أبي منصور الجواليقي، ثم بلغ وطنه حيث وافته منيته بجرجانية خوارزم سنة 538 هـ.²

1-5 عقيدته :

كان العلامة الزمخشري معتزلي المعتقد شديد التعصب له، ينتصر له، ويؤيده بكل ما يملك من قوة الحجة، وسلطان الدليل، وكان رحمه الله متظاهرا باعتزاله، مجاهرا به حتى نقل عنه: أنه إذا قصد صاحبه، واستأذن عليه في الدخول؛ يقول لمن يأخذ له الإذن قل له: أبو القاسم المعتزلي بالبواب³.

¹ - منهج الزمخشري. للساوي. ص 40. نقلا عن مخطوط ديوان الأدب ورقة 79

² - بغية الوعاة للسيوطي ج 2 ص 280.

³ - ينظر وفيات الأعيان. لابن خلكان. ج 5. ص 170

1-6 مذهبه الفقهي :

أما مذهبه الفقهي فقد كان حنفي المذهب¹ معتدلاً فيه لا يتعصب له، وقد أحبه حتى قال فيه: «وتد الله الأرض بالأعلام المنيفة، كما وطد الحنيفية بعلوم أبي حنيفة»².

1-7 شيوخه وتلاميذه:

تتلمذ الزمخشري على علماء عصره، وعلى رأسهم أبو مضر محمد بن جرير الضبي الأصفهاني³ الملقب بفريد العصر ووحيد الدهر، يضرب به المثل في أنواع الفضائل أقام بخوارزم مدة، وانتفع الناس بعلومه، ومكارم أخلاقه، وأخذوا عنه علما كثيرا، وتخرج عليه جماعة من الأكابر في اللغة والنحو منهم الزمخشري، «وهو الذي أدخل إلى خوارزم مذهب المعتزلة ونشره بها، فاجتمع عليه الخلق لجلالته، وتمذهبوا بمذهبه منهم الزمخشري»⁴. الذي يجل أستاذه أبا مضر، ويحبه كثيرا وقد رثاه بقوله:

وقائلة ما هذه الدرر التي تساقطها عيناك سمطين سمطين

فقلت لها الدر الذي كان قد حشا به أبو مضر أذني تساقط من عيني⁵

¹ طبقات الحنفية لأبي الوفاء القرشي. تح. عبد الفتاح. هجر للطباعة والنشر. ط2 الرياض. 1993. ج.3. ص.447

² الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري. فاضل صالح السامرائي ص 15

³ بغية الوعاء للسيوطي 2/279.

⁴ معجم الأدباء لياقوت الحموي. تح. إحسان عباس. مج 6. ص.2686

⁵ نزهة الألباء لابن الأنباري تح. إبراهيم السامرائي. مكتبة المنار. ط3 الأردن. 1985. ص 290.

كما تتلمذ على أبي الحسن بن المظفر النيسابوري¹، وسمع الحديث من شيخ الإسلام أبي منصور الحارثي، ومن أبي سعد الشقاني². وقرأ عن أبي منصور بن الجواليقي بعض كتب اللغة³. كما قرأ في مكة على عبد الله بن طلحة اليابري كتاب سيبويه⁴.

أما تلاميذه فهم كثر قال القفطي: «ما دخل بلدا إلا واجتمعوا عليه وتعلموا له، واستفادوا منه. وكان علامة الأدب، ونسابة العرب، أقام بخوارزم تضرب إليه أكباد الإبل، وتحط بفنائهم رجال الرجال، وتُحدى باسمه مطايا الآمال»⁵ نذكر منهم: أبو علي بن محمد بن أحمد بن هارون العمراني الخوارزمي الملقب حجة الأفاضل وفخر المشايخ⁶، ومحمد بن أبي القاسم الخوارزمي الآمدي النحوي أبو الفضل الملقب زين المشائخ⁷، كما تتلمذ له أبو يوسف يعقوب بن علي بن محمد بن جعفر البلخي، ثم الجندي أحد الأئمة في الأدب⁸ ومنهم الموفق بن أحمد بن أبي سعيد إسحاق أبو المؤيد المعروف بأخطب خوارزم⁹ وعلي بن عيسى بن حمزة بن وهاس أبو الطيب أمير مكة¹⁰.

¹ - بغية الوعاة للسيوطي. ج 2 ص 279.

² - المصدر نفسه. ج 2 ص 279.

³ - انباه الرواة. للقفطي. ج 3 ص 270.

⁴ - بغية الوعاة للسيوطي. ج 2 ص 46.

⁵ - انباه الرواة للقفطي. ج 3 ص 266.

⁶ - ينظر معجم الأدباء لياقوت الحموي تح إحصان عباس. مج 5 ص 1961.

⁷ - ينظر المصدر نفسه. مج 06 ص 2618.

⁸ - ينظر المصدر نفسه. مج 06 ص 2844.

⁹ - بغية الوعاة للسيوطي ج 2 ص 308.

¹⁰ - معجم الأدباء لياقوت الحموي تح. إحصان عباس. مج 4 ص 1832.

1-8 كته ومصنفاته :

وقد استوفاهما تعدادا وتحليلا الكثير من الباحثين والدارسين نذكر منها الكتب والمصنفات المطبوعة الآتية¹:

- 1- أساس البلاغة وهو عبارة عن معجم لغوي طبع عدة مرات في القاهرة، وبيروت.
- 2- أطواق الذهب ترجم إلى الألمانية والفرنسية وطبع بفينا، وباريس، وبمصر، وبيروت
- 3- أعجب العجب طبع عدة مرات بالقسطنطينية، والقاهرة .
- 4- الأمكنة والجمال والمياه والبقاع المشهورة في أشعار العرب طبع بليدن، وبغداد.
- 5- الأنموذج في النحو، وهو مقتضب من المفصل طبع بالقاهرة واسطنبول وطهران .
- 6- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار مختارات شتى من الأدب والتاريخ والعلوم. طبع في بولاق، والقاهرة، وبغداد، وحديثا في بيروت.
- 7- شرح المقامات طبع بالقاهرة مرتين .
- 8- عقل الكل طبع عدة مرات بالهند، والقاهرة.
- 9- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، وهو تفسير للقرآن الكريم طبع أول مرة في بولاق، ثم في القاهرة، وطبع حديثا عدة مرات. وهو المدونة. وسأخصه بحديث مفصل.
- 10- المستقصى في أمثال العرب وهو معجم للأمثال العربية مرتب على حروف الهجاء طبع لأول مرة بمطبعة بحيدر آباد، وفي بيروت.
- 11- المفصل وهو المدونة وسيأتي الحديث عنه بالتفصيل.

¹ - شرح المفصل للزمخشري. لابن يعيش تح أميل بديع يعقوب. دار الكتب العلمية. ط1. بيروت. 2001 ج 1 ص 11-12-13-14-15 (ترجمة الزمخشري).

12- نوابع الكلم وهو عبارة عن حكم قصار. طبع في مصر وببيروت، وفي باريس مع الترجمة إلى الفرنسية، وفي استنبول.

1-9 أقوال العلماء فيه :

لقد اشتهر الزمخشري بوصف العلامة لسعة علمه، وكثرة فضله، وتفننه في شتى العلوم فكان إماما في التفسير، والنحو، واللغة، والأدب، والبيان؛ فلقب بفخر خوارزم. قال فيه صاحب البغية: «كان واسع العلم، كثير الفضل، غايةً في الذكاء وجودة القريحة متفنا في كل علم»¹. وقال فيه ابن خلكان: «الإمام الكبير في التفسير، والحديث، والنحو، واللغة، وعلم البيان، كان إمام عصره من غير مدافع تشد إليه الرحال في فنونه»². وقال فيه القفطي: «وكان رحمه الله ممن يضرب به المثل في علم الأدب والنحو واللغة... وما دخل بلدا إلا واجتمعوا عليه، وتعلموا له، واستفادوا منه. وكان علامة ونسابة العرب، أقام بخوارزم تضرب إليه أكباد الإبل، وتحط بفنائنه رجال الرجال، وتُحدى باسمه مطايا الآمال»³. وقال فيه أيضا: «وكان الزمخشري أعلم فضلاء العجم بالعربية في زمانه وأكثرهم أنسا واطلاعا على كتبها، وبه ختم فضلاؤهم»⁴. وقال فيه ياقوت الحموي: «كان إماما في التفسير والنحو واللغة والأدب، واسع العلم، كبير الفضل، متفنا في علوم شتى»⁵. وقال أبو الحسن علي بن عيسى بن حمزة الحسني :

جميع قرى الدنيا سوى القرية التي تبوأها داراً فداءً زمخشرا

¹ - بغية الوعاة للسيوطي. ج2 ص279.

² - وفيات الأعيان. لابن خلكان. ج 5. ص. 168.

³ - إنباه الرواة ج3. ص265-266.

⁴ - المصدر نفسه ج3. ص270

⁵ - معجم الأدباء لياقوت الحموي تح. إحسان عباس. مج6. ص2687-2688

وأحرِبَ بأن تُزهِىَ زمخشرُ بامرئٍ إذا عُدَّ في أسدِ الشَّرِّى زَمَخَ الشَّرِّى¹.

وقال فيه محمد الطيب المكي: «أستاذ الدنيا فخر خوارزم، جار الله العلامة أبو القاسم محمد الزمخشري من أكابر الأمة، وقد أَلقت العلوم إليه أطراف الأزمّة، واتفقت على إطرائه الألسنة، وتشرفت بمكانه وزمانه الأمكنة والأزمنة»².

10-1 مذهب النحوي :

إن المتعقّب لآراء الزمخشري النحوية يدرك مما لا يدع مجالاً للشك، أنه في عمومها متفقاً مع آراء النحاة البصريين، بل معتبراً في كثير من الأحيان نفسه واحداً منهم. فقد جاء في المفصل، وفي أكثر من مبحث قوله: «أصحابنا البصريون» من ذلك ما جاء في مبحث التنازع قوله: «واليه ذهب أصحابنا البصريون»³، أي إعمال الأقرب، وكذلك ما جاء في مبحث فعل الأمر قوله: «وهو مبني على الوقف عند أصحابنا البصريين، وقال الكوفيون هو مجزوم باللام مضمرة، وهذا خلف من القول»⁴. وهذا لا يعني أنه يخطئ الكوفيين دوماً، بل أحياناً يختار رأي الكوفيين عندما يراه هو الأصوب. من ذلك قوله في مبحث حرف التعليل: «وكيمه مثل فيمه، وعمه، ولمه دخل حرف الجر على ما الاستفهامية محذوفاً ألفها، ولحقت هاء السكت. واختلف في إعرابها فهي عند البصريين مجرورة، وعند الكوفيين منصوبة بفعل مضمّر، كأنك قلت كي تفعل ماذا، وما أرى هذا القول بعيداً من الصواب»⁵. وقد يختار أحياناً بعض آراء البغداديين من ذلك إعرابه «ما»

¹ - انباه الرواة للقطبي. ج 3 ص 268.

² - المصدر نفسه. ج 3 ص 269.

³ - المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري. تح. أميل بديع يعقوب. دار الكتب العلمية. ط 1. بيروت 1999 ص 49.

⁴ - المصدر نفسه ص 229.

⁵ - المصدر نفسه ص 421.

في مثل قوله تعالى: ﴿فَنِعْمًا هِيَ﴾¹ نكرة تامة منصوبة على التمييز². وذلك هو إعراب أبي علي الفارسي لها، البغدادي المذهب. وإلى جانب هذا وذاك تراه من حين إلى آخر ينفرد بآراء منها: اعتباره أن العامل في رفع الخبر هو الابتداء فقط، إذ يقول: «وكونهما مجردين للإسناد هو رافعها؛ لأنه معنى قد تناولهما معا تناولا واحدا»³.

ونختم هذه الترجمة بشيء من شعره⁴ عبر فيه عن تفرغه للعلم والتأليف، واعتزاله النساء ونسلهن، واختياره العزوبة على الزواج ملتصبا العذر لنفسه:

تصفحت أولاد الرجال فلم أكدُ	أصادفُ من لا يفضحُ الأمَّ والأبَا
رأيت أبا يشقى لتربية ابنه	ويسعى لكي يدعى مُكيسا ومُنجيا
أراد به النشاء الأغرَّ فما درى	أيوليه حِجرا أم يعلِّيه منكبَا
أخو شقوة مازال مركبَ طفله	فأصبح ذاك الطفل للشر مركبَا
لذاك تركت النسل واخترت سيرةً	مسيحيةً أحسنُ بذلك مذهبا

وقال أيضا :

كأنكم لم تسمعوا أن من له عيالٌ شقيٌّ دهره ليس يُفْلِح

وعندما لامه قومه قال :

¹ - البقرة. من الآية 271.

² - شرح المفصل للزمخشري. تأليف ابن يعيش. ج 4 ص 398 والمدارس النحوية. شوقي ضيف. دار المعارف. ط5.

القاهرة. د.ت. ص 285.

³ - المفصل في صنعة الإعراب. للزمخشري. ص53

⁴ - منهج الزمخشري. للصاوي ، ص 43

يموه قومي بالنتصح لومهم وإن عناء لومهم والنتصح

يلومونني أي نأيت بجانب عن النسل ألوي عنه رأسي وأجمح

وقال أيضا :

وحسبي تصانيفي وحسبي رواتها بنين بهم سيقت إليّ مطالبي

2- المفصل في صنعة الإعراب :

2-1 التآليف النحوي قبله:

لاشك أن السبب الرئيسي لوضع النحو هو الحفاظ على القرآن الكريم؛ وذلك بالنظر إلى شيوع اللحن بين الخاصة من الأمة وعامتها، بسبب اتساع نطاق الدولة الإسلامية واختلاط العرب بغيرهم من العجم، الأمر الذي أدى إلى التفكير في جمع اللغة، ووضع ضوابط لها. ومن ثم بدأت حركة التآليف النحوي، فشمروا الكثير من الرجال عن السواعد لوضع حد لهذا الوباء الذي لا تحمد عقباه، بل أصبح من الضروري دراسة النحو، وتعلم العربية وتعليمها.

فكانت البدايات الأولى ما ذكرته المصادر أن عيسى بن عمر ألف «في النحو كتابين: كتابا مختصرا، وكتابا مبسوطا فسمى أحدهما الإكمال، والآخر الجامع»¹، ولا نعرف عنهما شيئا إلا أنها شمس وقمر².

وإذا انتقلنا إلى تلك الرسالة الصغيرة المنسوبة إلى خلف الأحمر والموسومة بـ «مقدمة في النحو» الموجهة أساسا للمبتدئين، نجد أنها «ليست قائمة على ترتيب معين، وإنما يوزع

¹ مراتب النحويين. لأبي الطيب اللغوي. تح. محمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية. ط2 بيروت. 2002 ص 37.

² - ينظر المصدر نفسه ص 37

المرفوعات في أماكن متعددة، وكذلك المنصوبات، والمخفوضات»¹. ناهيك عن اضطراب المصطلحات. مما جعلنا نجزم القول بأن أول كتاب كامل شامل وصل إلينا في هذه الصناعة، هو كتاب سيبويه «وإن لم يكن مرتبا على أساس منطقي واضح»². إضافة إلى ما يكتنف أسلوبه من غموض. وعلى أهميته، وذيوع صيته ظهر المقتضب للمبرد، وكان من المفروض أن يكون أفضل إلا أن المبرد «لم يتمكن من وضع ترتيب جديد لأبواب النحو يغري طلاب العربية بالإقبال عليه، والإعراض عن الكتاب»³. مما دفع بابن السراج في كتابه: الأصول في النحو «لإعادة صياغة سيبويه بأسلوب جديد يتسم بالسهولة، إذا قيس بأسلوب سيبويه، واستطاع أن يجمع شمل ما شئت في الكتاب، وأن يعرضه في موضع واحد. كما اتبع ترتيب سيبويه لأبوابه تقريبا بعد أن خلاصها من التداخل»⁴. وحاول في كتابه: «الموجز في النحو» أن يوجز ما أورده في الأصول. وهو كتاب تغلب عليه الصبغة التعليمية مكتفيا ابن السراج فيه بالأساسيات. أما كتاب «الجملة للزجاجي» فرغم أنه مضطرب الترتيب والتنسيق⁵، إلا أنه كان «كتاب المصريين وأهل المغرب وأهل الحجاز واليمن والشام إلى أن اشتغل الناس بـ«اللمع» لابن جنّي، و«الإيضاح» لأبي علي الفارسي»⁶. فظهور الإيضاح كما ذكر القفطي كان سببا في إخمال «الجملة»، حيث «أضحى مرجع المتعلمين، وعليه المعول في تلقين النحو، وربما كان أول كتاب جامع بعد كتاب سيبويه مركزا موجزا»⁷. لكن اللمع كان «أشد إيجازا من الإيضاح، كما أنه أكثر بساطة وسهولة ولعل ابن جنّي كان يبغى تقديم كتاب موجز سهل، لا تعترض المتعلم فيه صعوبة ما، وكأنه كان يريد لكتابه أن يحل محل الإيضاح، ومحل الجملة، وأن يغدو كتاب التعليم

¹ - الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري ص 36-37.

² - المرجع نفسه ص 34.

³ - ابن يعيش النحوي. عبد الإله نبهان. منشورات اتحاد كتاب العرب. د.ط. 1997. ص 72.

⁴ - المرجع نفسه. ص 76.

⁵ - ينظر الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري ص 38.

⁶ - انباه الرواة. للقفطي. ج 2 ص 161

⁷ - ابن يعيش النحوي. عبد الإله نبهان ص 84.

الأساسي»¹. حيث جمع بين سهولة «الجمال» وترتيب «الإيضاح»، الأمر الذي اعتبر على أساسه أنه آخر كتب تعليم النحو العربي التي نالت الشهرة، واهتم الشراح بها قبل ظهور المفصل في صناعة الإعراب².

من خلال هذا الموجز لأهم الكتب النحوية التي اعتمدت في تعليم العربية قبل ظهور «المفصل»، نستطيع أن نتبين المكانة التي حظي بها المفصل رغم المآخذ والملاحظات .

2-2 بواعث تأليفه :

تبين مما سبق أن كتاب «المفصل» أهم الكتب التي ألفت لتعليم النحو في القرنين السادس والسابع الهجريين، حتى إن الملك المعظم عيسى الأيوبي شرط لمن يحفظه مائة دينار وخلعة³. فما هي الأسباب والدوافع التي كانت من وراء إنجاز هذا العمل المحكم الذي حاز إعجاب الجميع؟ يمكننا أن نرجع ذلك إلى البواعث الآتية:

- استياء الزمخشري لما يحدث في خوارزم، وغيرها من بلدان الخلافة الإسلامية في المشرق من ترك للعربية، وإقبال على اللغات المحلية، بل كانوا «يجحدون فضلها ويدفعون خصلها، ويذهبون عن توقيرها وتعظيمها، وينهون عن تعلمها، ويمزقون أديمها ويمضغون لحمها، فهم في ذلك كالمثل السائر «الشعير يؤكل ويذم»⁴.

- الرغبة في تسهيل تعليم العربية، وتعلمها بالنظر إلى «ما بالمسلمين من الأرب إلى معرفة كلام العرب، وما بي من الشفقة والحدب على أشياء من حفة الأدب»⁵.

¹ - ابن يعيش النحوي .عبد الإله نبهان ص 96.

² - ينظر المرجع نفسه ص 97.

³ - ينظر تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان .موفم للنشر .د.ط.الجزائر .1994. ج3 ص77.

⁴ - مقدمة المفصل في صناعة الإعراب للزمخشري.ص30

⁵ - المصدر نفسه. ص31

- ليكون الإقبال المتوقع للطلاب على تعلم العربية بصدور هذا الكتاب، أبلغ رد على الشعبية.

2-3 طريقته في الترتيب والتأليف :

عرفنا فيما سبق أن التأليف النحوي في بداياته كان يتسم من حيث الترتيب بسوء التنظيم والتنسيق، وبالغموض من حيث الأسلوب والمصطلح إلى أن ظهر علينا أبو علي الفارسي بكتابه «الإيضاح»، وتلميذه ابن جني بكتابه «اللمع». فلاحظنا نقلة نوعية تمثلت في حسن ترتيب المواد وتصنيفها، وسهولة الأسلوب، ووضوح المصطلح واستقراره إلى حد بعيد. ويتألف الزمخشري كتابه «المفصل»، وإنهائه في غرة محرم سنة (515 هـ) يكون قد أتى «بترتيب جديد، وإيجاز فريد لم يسبق إليه»¹. مما جعله يحظى باهتمام الجميع، ومدعاة لصفهم عما سواه من كتب النحو ومصنفاته. والجديد فيه أيضا هو عرضه لمنهجه في التأليف في مقدمة الكتاب على غير عادة من سبقوه في التأليف في هذا الباب إذ يقول: «فأنشأت هذا الكتاب المترجم بكتاب: «المفصل في صنعة الإعراب» مقسوما أربعة أقسام:

القسم الأول : في الأسماء

القسم الثاني : في الأفعال

القسم الثالث : في الحروف

القسم الرابع: في المشترك من أحوالها .

¹ - ابن يعيش النحوي .د. عبد الإله نبهان ص 109.

وصنفت كلا من هذه الأقسام تصنيفاً، وفصلت كلا منها تفصيلاً... ولم أدخّر فيما جمعت فيه من الفوائد المتكاثرة، ونظمت من الفوائد المتناثرة مع الإيجاز غير المخل والتلخيص غير الممل، مناصحة لمقتبسيه»¹.

لقد قسّم الزمخشري كتابه «المفصل» أربعة أقسام، كما صرّح بذلك في المقدمة حيث تحدث بعدها عن الكلمة وأقسامها، والكلام وأضرابه، كمدخل إلى موضوعات الكتاب وإشارة منه إلى أقسامه، ثمّ شرع بعد ذلك في الحديث عن القسم الأول من الكتاب: وهو قسم الأسماء، فعرف الاسم بادئ ذي بدء، وعرض خصائصه من جنس وعلم، وذكر أصنافه: الاسم المعرب المنصرف، والممنوع من الصرف، ثمّ تطرق بعد ذلك إلى الحديث عن وجوه إعرابه، وقسمها إلى أقسام:

- **المرفوعات:** وهي تشتمل على المباحث التالية: الفاعل، المبتدأ والخبر وما يتعلق بهما من أحكام من تقديم وحذف وتعريف وتكثير وتعدد، وإن وأخواتها، لا النافية للجنس، وما ولا المشبهان بليس.

- **المنصوبات:** وقد بدأ بالمفعول المطلق، فالمفعول به، فالمنادى، والتحذير، والمضمر على شريطة التفسير، فالمفعول فيه، فالمفعول معه، والمفعول له، الحال، التمييز الاستثناء، خبر كان، اسم إنّ، اسم لا النافية للجنس، خبر ما ولا المشبهتين بليس ولات .

- **المجرورات:** فتحدث عن الإضافة وأنواعها، وما يتعلق بها من أحكام.

وهكذا بعد إنهاء الحديث عن الوجوه الإعرابية للاسم. عقد باباً للحديث عن التوابع فتحدث عن التأكيد والوصف، والبدل، وعطف البيان، والنسق. وبذلك يكون قد أنهى الحديث عن الاسم المعرب، فانتقل إلى الحديث عن الاسم المبني. فبحث فيه: المضمرات فأسماء الإشارة، والموصولات، وأسماء الأفعال والأصوات، والظروف، والمركبات،

¹ - مقدمة المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري. ص 32

والكنايات، ثم انتقل إلى ما يتعلق بتثنية الاسم وجمعه، وأنواع الجموع، وإلى ما يتعلق بتقسيمها من حيث: التنكير والتعريف، والتذكير والتأنيث، والتصغير، والنسبة. ثم خصص فصولا للحديث عن العدد، والمقصور والممدود، وأنواع المشتقات. وختم قسم الأسماء بالحديث عن أبنيتها فجعل بابا للثلاثي، وآخر للرباعي، وثالثا للخماسي. وبذلك يكون الزمخشري قد استوفى الحديث عن مباحث الاسم النحوية والصرفية عدا المشترك فيها في إيجاز غير مخل، وتلخيص غير ممل. ثم انتقل إلى القسم الثاني من الكتاب، وهو قسم الأفعال: فتناول فيه الحديث عن الماضي، وعن المضارع، وفعل الأمر، وعن المعتدي واللازم والمعلوم والمجهول، وعن أفعال القلوب، والأفعال الناقصة، وأفعال المقاربة والمدح والذم، وفعلي التعجب. ثم انتقل إلى الحديث عن بنية الفعل من حيث التجريد والزيادة ومعانيها. لينتقل بعد ذلك إلى قسم الحروف، وهو القسم الثالث من الكتاب: فتناول فيه الحديث عن حروف الجر، وإنّ وأخواتها، وحروف العطف، والنفي، والتثنية، والنداء وحروف التصديق والإيجاب، وحروف الاستثناء، وحرفي الخطاب، وحروف الصلة وحرفي التفسير، والمصدر، وحروف التحضيض، وحرف التقريب، وحروف الاستقبال، وحرفي الاستفهام، وحرفي الشرط، وحرف التعليل، وحرف الردع، ثم الحديث عن أنواع اللامات وتاء التأنيث، والنون المؤكدة، وهاء السكت، وشين الوقف، وحرف الإنكار، وحرف التذكّر. وأخير القسم الرابع من الكتاب، وهو قسم المشترك ويتمثل في المباحث الآتية: الإمالة، الوقف، القسم، تخفيف الهمز، التقاء الساكنين، حكم أوائل الكلم، زيادة الحروف، إبدال الحروف، واعتلالها، وإدغامها. وبالإدغام يكون الزمخشري قد استوفى مباحث النحو والصرف، وقدمها مقسمة على نحو لم يسبق إليه، مستفيدا من تجارب الذين سبقوه في هذا المجال.

4- طريقته في عرض المادة :

إذا كان هذا هو المنهج المعتمد في ترتيب مواد كتاب «المفصل» نحواً وصرفاً، والذي تظهر فيه قدرة وبراعة الزمخشري في الترتيب المنطقي الذي ينم عن فكر منهجي منظم وحس علمي راق. فإن الحديث عن مادة الكتاب ذاتها في هذا المبحث؛ يؤدي بنا إلى الكشف عن طبيعتها، وطريقة عرضها.

أقول لقد استطاع الزمخشري أن يعالج تلك المباحث النحوية والصرفية علاجاً تميز بإحاطته لكافة أبواب النحو والصرف، في إيجاز غير مخل، مع خلوه من الحشو والاستطراد، وتركه الخلافات إلا ما ندر، ويعدّه عن التعليقات العقلية، والمنطقية باستثناء بعض الإشارات العابرة التي «لا تعوق الكتاب عن هدفه، ولا تستنزف جهد المؤلف في ذكرها وتسويغها، أو دفعها والردّ عليها»¹. كما أنّه كان حريصاً على تدعيم مادة الكتاب، والاستدلال على صحة ما يستخلصه من قواعد بالشواهد الشعرية وغيرها.

وسيتبين لنا جلياً من خلال الوصف الآتي لمادة الكتاب وطريقة عرضها، كيف أن الزمخشري كان حريصاً في مستهل كل فصل من فصول الكتاب على تحديد المفاهيم وضبطها، بشكل جامع مانع، فالكلمة: «هي اللفظة الدالة على معنى مفرد، وهي جنس تحته ثلاثة أنواع: الاسم، والفعل، والحرف، والكلام: هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى»². والاسم: «ما دل على معنى في نفسه دلالة مجردة عن الاقتران، وله خصائص»³. واسم الجنس «وهو ما علق على شيء، وعلى كل ما أشبهه، وينقسم إلى: اسم عين واسم معنى»⁴. ومن أصناف الاسم العلم: «وهو ما علق على شيء بعينه

¹ - ابن يعيش النحوي . عبد الإله نبهان ص 113 .

² - المفصل في صنعة الإعراب ص 33

³ - المصدر نفسه ص 34

⁴ - المصدر نفسه ص 34

غير متناول ما أشبهه»¹. والاسم المعرب: «ما اختلف آخره باختلاف العوامل لفظاً بحركة، أو بحرف، أو محلاً»². واسم الفاعل: «ما كان المسند إليه من فعل، أو شبهه مقدماً عليه أبداً»³، والمبتدأ والخبر: «هما الاسمان المجردان للإسناد... والمراد بالتجريد إخلاؤهما من العوامل»⁴. المفعول المطلق: «هو المصدر سمي بذلك؛ لأن الفعل يصدر عنه»⁵. والمفعول به: «هو الذي يقع عليه فعل الفاعل»⁶.

وهكذا مع بقية الوجوه الإعرابية للاسم. أما الاسم المبني فـ«هو الذي سكون آخره وحركته لا بعامل، وسبب بنائه مناسبتة ما لا تمكّن له بوجه قريب، أو بعيد يتضمن معناه»⁷. والمنسوب «هو الاسم الملحق بآخره ياءً مشددة مكسور ما قبلها»⁸. واسم الفاعل: «هو ما يجري على «يفعل» من فعله»⁹. وهكذا مع بقية المباحث الصرفية للاسم. وإذا انتقلنا إلى قسم الأفعال نجده يعرف الفعل بأنه: «ما دلّ على اقتران حدث بزمن»¹⁰، والفعل الماضي «وهو الدال على اقتران حدث بزمن قبل زمانك»¹¹. وفي قسم الحروف، «الحرف ما دل على معنى في غيره»¹². وفي قسم المشترك الإمالة: «وهي أن تتحو بالألف نحو الكسرة، فتتميل الألف نحو الياء»¹³. والقسم: «يشترك فيه الاسم والفعل، وهو

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 34.

² - المصدر نفسه ص 44

³ - المصدر نفسه ص 47.

⁴ - المصدر نفسه ص 43

⁵ - المصدر نفسه ص 62

⁶ - المصدر نفسه ص 65.

⁷ - المصدر نفسه ص 161.

⁸ - المصدر نفسه ص 255

⁹ - المصدر نفسه ص 289

¹⁰ - المصدر نفسه ص 311

¹¹ - المصدر نفسه ص 313

¹² - المصدر نفسه ص 363

¹³ - المصدر نفسه ص 441.

جملة فعلية، أو اسمية تؤكد بها جملة موجبة أو منفية»¹. و«الحروف الزوائد هي التي يشتملها قولك: «اليوم تنساه»»².

والملاحظ أن الزمخشري كلما أورد تعريفا من هذه التعاريف الخاصة بمبحث من مباحث الكتاب، إلا وأتبعه بجملة من القواعد المتصلة به على «أن تكون تلك القواعد شاملة محيطية ودقيقة موجزة، وكل حكم يدعم بشاهد، دون الإشارة لموضع الاستشهاد سواء في ذلك: الآية القرآنية، أو البيت الشعري، أو المثل»³. فالترتيب والتقسيم سمة بارزة من سمات «المفصل» سواء فيما يخص مباحثه العامة، أو داخل المبحث الواحد؛ مما يوحي بأثر الثقافة المنطقية وانعكاساتها بجلاء ووضوح. ولنضرب لذلك مثلا بمبحث المفعول المطلق في المنصوبات، فبعد أن عرفه ذكر كل ما يتعلق به من قواعد وأحكام في أربعة فصول: ما يأتي مفعولا مطلقا، إضمار الفعل الناصب للمفعول المطلق، ما ينوب عن المصدر في المفعولية المطلقة، وأخيرا إضمار المصدر. مدعما كل حكم بشاهد من القرآن الكريم، أو من الشعر العربي الفصيح.

كما يجدر بنا أن نشير إلى أن الزمخشري قد دأب من مبحث إلى آخر على ذكر عدد من آراء النحاة المتعارضة، وبخاصة آراء الخليل، وسيبويه، والأخفش، ويونس، فمن ذلك ما أورده في الاسم الممنوع من الصرف إذ يقول: «وأما السبب الواحد فغير مانع أبدا، وما تعلق به الكوفيون في إجازة منعه في الشعر ليس بثبت، وما أحد سببيه أو أسبابه العلمية فحكمه الصرف عند التنكير، كقولك: «رب سعاد وقطام» لبقائه بلا سبب، أو على سبب واحد إلا نحو: «أحمر»، فإنه فيه خلافا بين الأخفش وصاحب الكتاب»⁴.

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 453.

² - المصدر نفسه ص 470

³ - ابن يعيش النحوي. عبد الإله نبهان ص 114.

⁴ - المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري. ص 45

كما ذكر خلافا بين يونس والخليل في الفصل الذي عقده للمندوب¹. وكذلك ما أورده في حديثه عن حروف الصلة إذ يقول: «وتزاد (من) عند سيبويه في النفي خاصة... وعن الأخفش زيادته في الإيجاب»². وفي فصل تخفيف الهمزة يقول: «ومنهم من يقول: (المرأة) و(الكماة) فيقبلها ألفا، وليس بمطرد، وقد رآه الكوفيون مطردا»³. فمن خلال عرض هذه العينة من الآراء نستطيع القول: إن الزمخشري كان يبدي رأيه بصراحة فيعارض الآراء التي لا يأخذ بها كقوله: في الاسم الممنوع من الصرف لسبب واحد، كما يكتفي أحيانا بعرض ذلك دون تعليق، أو ترجيح وكأني به «إذا ذكر رأيين متعارضين، ولم يرد أحدهما، فهما مقبولان لديه، إذ لو لم يكونا لاختار أحدهما»⁴.

2-5 شواهد :

لقد اعتاد النحاة منذ نشأة النحو على استحضار الشاهد؛ باعتباره الركيزة والحجة التي يعتمد عليها النحوي في إثبات صحة القاعدة النحوية وتقريرها، وبخاصة عند محاولته تجويز ما جاء مخالفا للقياس، أوفي حال الردّ على المخالف، وتفنيد رأيه. والزمخشري كغيره من النحاة عمل على دعم مادة مفصله بعدد كبير من الشواهد: من القرآن الكريم، ومن الشعر، وكلام العرب، إضافة إلى عدد من الأحاديث النبوية. ولا شك أن تلك الشواهد وبخاصة الشعرية منها مستمدة من كتب ومدونات من سبقه في هذا الميدان، وهم أكثر، حيث ذلك هو السبيل الوحيد، فاللغة قد جمعت ودونت، وعصر الاحتجاج قد ولى منذ ربح من الزمن.

¹ - المفصل في صنعة الإعراب. للزمخشري ص 74

² - المصدر نفسه ص 404.

³ - المصدر نفسه ص 460.

⁴ - ابن يعيش النحوي. عبد الإله نبهان ص 119.

2-5-1 القرآن الكريم :

لقد استشهد الزمخشري بالكثير من الآيات القرآنية حيث «تكاد لا تخلو صفحة من صفحات المفصل من آية يسوقها المؤلف لتأييد قاعدة، أو التمثيل لها»¹. ففي مبحث المفعول المطلق يقول: «وقد يقرن بالفعل غير مصدره مما هو بمعناه، وذلك على نوعين: مصدر وغير مصدر. فالمصدر على نوعين: ما يلاقى الفعل في اشتقاقه كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾². وقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾³ «⁴. وفي مبحث الجزم يقول: «وإن لم تقصد الجزاء فرفعت كان المرفوع على أحد ثلاثة أوجه: إمّا صفة كقوله تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾⁵ (5) يرثني. أوحالا كقوله تعالى: ﴿وَنذَرُهمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾⁶ «⁷.

2-5-2 الحديث النبوي :

لقد استشهد الزمخشري بعدد معتبر من الأحاديث النبوية الشريفة قياسا بمن سبقه حيث كان يورد الحديث ويقول لنا: وعن زيد بن ثابت⁸. وعن ابن عباس⁹. وفي حديث طلحة¹⁰. وفي قوله عليه السلام. مما يدل على أنه كان على وعي مما يفعل في ظل إجماع عمر طويلا عن الاحتجاج بالحديث النبوي؛ لأسباب تبدو لي أنها غير وجيهة. فمن ذلك الحديث النبوي «ألا أخبركم بأحبكم إليّ وأقربكم منّي مجالس يوم القيامة أحاسنكم

¹ - ابن يعيش النحوي . عبد الإله نبهان ص 122.

² - نوح الآية 17.

³ - المزمّل الآية 08.

⁴ - المفصل في صنعة الإعراب ص 62

⁵ - مريم من الآيتين 06.05

⁶ - الأنعام من الآية 110.

⁷ - المفصل في صنعة الإعراب ص 324.

⁸ - المصدر نفسه ص 43

⁹ - المصدر نفسه ص 107

¹⁰ - المصدر نفسه ص 142

أخلاقا الموطؤون أكنافا الذين يألون ويؤلفون، ألا أخبركم بأبغضكم إليّ، وأبعدكم مني مجالس يوم القيامة أساؤكم أخلاقا الثرثارون المتفيهقون»، في مبحث أحكام اسم التفضيل¹.

2-5-3 الشعر :

لقد أكثر النحاة من الاستشهاد بالشعر متبوعاً المرتبة الأولى من حيث الاستعمال والزمخشري واحد من أولئك، بل نستطيع القول بأنه أوغل في ذلك قياساً بحجم المفصل الذي «لا يكاد يبلغ عشر كتاب سيبويه»². والملاحظ أن أغلب تلك الشواهد، بل جلها لشعراء من عصر الاحتجاج سواء التي نسبتها إلى أصحابها، أو التي لم ينسبها. خلا بيتاً لأبي نواس³، وأخرى لربيعة الرقي⁴، كما يلاحظ أن معظم تلك الشواهد، أو كلها مما ورد في كتب سابقه سواء كتب النحو، أو معاجم اللغة، وبخاصة في «الكتاب» إذ كان الزمخشري يشير إلى ذلك بقوله: وبيت الكتاب... وأنشد سيبويه.

2-5-4 الأمثال والحكم من كلام العرب :

من المؤكد أن الزمخشري احتج بعدد ليس بالقليل من أمثال العرب وعباراتهم مما تناقلته كتب النحو ومعاجم اللغة، ومن أمثلتها ما جاء في مبحث: ما يضاف إلى الفعل. إذ يقول: «وذو في قولهم: (أذهبُ بذِي تَسْلَمُ)»⁵. ومنها أيضاً ما جاء في مبحث حذف الواو والتعويض عنها بحرف التنبيه قوله: «وتحذف الواو ويعوض عنها حرف التنبيه في قولهم:

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 125.

² - ابن يعيش النحوي ص 125.

³ - المفصل في صنعة الإعراب ص 293.

⁴ - المصدر نفسه ص 199

⁵ - المصدر نفسه ص 134. والمعنى: بالأمر الذي يسلمك

«لاها الله ذا»¹.

2-6 قيمته العلمية :

لقد حظي المفصل باهتمام كبير لدى العلماء، فأقبلوا عليه ثناء وشرحا ونظما واختصارا وردًا على أخطائه، كما ذاع صيته بين المتعلمين، فأضحى كتابهم المفصل فأقبلوا عليه يحفظونه، ويطلبون الإجازة فيه، وذلك يعود لأسباب نذكر منها: المكانة العلمية التي يحظى بها الزمخشري إضافة إلى ظروف العصر آنذاك، وحاجة الناس إلى مثل كتاب «المفصل» في الدقة والإيجاز والتيسير، وحسن الترتيب والتنظيم، علاوة على تشجيع الحكام على الاعتناء به، والدعوة إلى حفظه وتدارسه. ومن الذين أثنوا عليه ابن يعيش إذ يقول في مقدمة كتابه شرح المفصل: «فلما كان الكتاب الموسوم بالمفصل من تأليف الإمام العلامة أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، رحمه الله، جليلا قدره، نابها ذكره قد جمعت أصول هذا العلم فصوله، وأوجز لفظه، فتيسر على الطالب تحصيله»². وقال فيه حاجي خليفة صاحب كشف الظنون بأنه كتاب: «عظيم القدر»³. وقال عنه الزمخشري نفسه: «ولقد ندبني ما بالمسلمين من الأرب إلى معرفة كلام العرب، وما بي من الشفقة والحذب على أشياعي من حفدة الأدب؛ لإنشاء كتاب في الإعراب، محيط بكافة الأبواب، مرتب ترتيبا يبلغ به الأمد البعيد بأقرب السعي، ويملا سجالهم بأهون السقي، فأنشأت هذا الكتاب المترجم بكتاب: (المفصل في صنعة الإعراب)»⁴. وقال الشاعر:

وإذا ما أردت النحو هاك محصلا عليك من الكتب الحسان مفصلا

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 458.

² - شرح المفصل للزمخشري ، تأليف ابن يعيش ج 1 ، ص 39.

³ - كشف الظنون. حاجي خليفة. تح محمد شرف الدين والمعلم رفعت الكليسي. دار إحياء التراث العربي. د.ط. بيروت د.ت. ج 2 . ص 1774.

⁴ - المفصل في علم العربية للزمخشري . دار الجيل .د.ط، بيروت .د.ت ص 05.

وقال آخر :

مفصل جار الله في الحسن غايةً وألفاظه فيه كدُرّ مفصلٍ
ولولا التقى قلت: المفصل معجز كأي طوال من طوال المفصل¹

7-2 شروحه :

بالنظر إلى المكانة العالية التي حظي بها كتاب المفصل كما ذكرنا، فلا غرو بعد هذا أن يقبل عليه الكثير من أئمة النحو بالشرح له، أو لأبياته، أو أبنيته، وبالتعليق والتلخيص والمحاكاة والتقليد، وحتى النظم. ومن أشهر شروحه كما جاء في: «كشف الظنون» ما يأتي:²

- عرائس المحصل من نفائس المفصل لفخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت 606 هـ).
- التخمير لصدر الأفاضل القاسم بن الحسين الخوارزمي (ت 617 هـ).
- شرح موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي المعروف بابن يعيش النحوي (ت 643 هـ)
- المفضل في شرح المفصل لعلم الدين أبي الحسن علي بن محمد السخاوي (ت 64 هـ)
- الإيضاح في شرح المفصل لأبي عمر عثمان بن عمر بن الحاجب (ت 646 هـ)
- المحصل في شرح المفصل للقاسم بن أحمد اللُّورقي (ت 661 هـ)
- المقتبس في توضيح ما التبس في شرح المفصل لأبي عاصم الإسفندري (ت 698 هـ)
- الموصل في شرح المفصل: لحسام الدين الحسن السغناقي (ت 710 هـ).
- الإقليد لتاج الدين أحمد بن محمود بن عمر الجندي (ت 700 هـ).

8-2 الردّ عليه :

رغم المكانة التي بلغها المفصل والقيمة العلمية التي حظي بها، فإنه لم يسلم من النقد

¹- كشف الظنون لحاجي خليفة ص 1774

²- ينظر المصدر نفسه ص 1774-1776

والانتقاد، فهذا أبو الحجاج يوسف بن معزوز القيسي الأندلسي (ت 625 هـ) كتب كتاباً ردّ فيه على المفصل سماه: «التبويه على أغلاط الزمخشري في المفصل، وما خالف فيه سيبويه»¹، وكتب محمد بن عبد الله بن أبي الفضل المرسي السلمي (ت 655 هـ). تعليقة على المفصل تكلم فيها على مفصل الزمخشري، وأخذ عليه عدّة مواضع². كما حاول الدكتور فاضل صالح السامرائي في كتابه: «الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري». أن يكشف عن بعض المآخذ والملاحظات³ على المفصل لعلها تكون من بين ما أخذه على المفصل أبو الحجاج يوسف بن معزوز، وابن أبي الفضل المرسي؛ باعتبار أن الكتابين مفقودان.

3- الكشاف :

3-1 التفسير وأقسامه :

إن التفاسير في الدنيا بلا عدد وليس فيها لعمرى مثل كشافى
 إن كنت تبغى الهدى فالزم طريقته فالجهل كالداء والكشاف كالشافي
 فالكشاف كما قال عنه صاحبه كتاب تفسير، وما أكثر كتب التفسير، إلا أنه كتاب مشهود له من بينها بالمكانة الرفيعة، جم الفوائد متنوعها، وذلك باعتباره كشافاً عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل بلا منازع . فما التفسير؟ وما التأويل؟ وما الفرق بينهما؟ وما مدى حاجة الناس إليهما؟.

3-1-1 التفسير لغة: الإيضاح والتبيين والكشف والإظهار. جاء في لسان العرب:

«الفسر: البيان، فسّر الشيء يفسره بالكسر، ويفسره بالضم، وفسره: أبانه، والتفسير: مثله...»

¹- ينظر كشف الظنون لحاجي خليفة ج 2 ص1776.

²- ينظر المصدر نفسه ج 2 ص1775.

³- الدراسات النحوية واللغوية. صالح فاضل السامرائي ص 113-147.

والفسر: كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل»¹. وجاء على التفعيل لأنه للتكثير، و«قيل مأخوذ من التفسرة، وهي اسم لما يعرف به الطبيب المرض»². فيكشف عن علة المريض، كما يكشف المفسر عن شأن الآية وقصتها.

3-1-2 التفسير اصطلاحاً: «علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة، والنحو والتصريف وعلم البيان، وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ»³.

3-1-3 التأويل في اللغة: قال ابن منظور: «الأول الرجوع، آل الشيء يؤول أولاً ومآلاً رجع وأوّل: رجع وألت عن الشيء ارتددت، وفي الحديث: «من صام الدهر فلا صام ولا آل» أي لا رجع إلا خير... وأول الكلام وتأوله: دبّره وقدره، وأوله وتأوله: فسّره»⁴. أي أن التأويل إرجاع الكلام إلى ما يحتمله من المعاني .

3-1-4 التأويل اصطلاحاً: هو «صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقتضيه، وهذا هو التأويل الذي يتكلمون عليه في أصول الفقه ومسائل الخلاف»⁵. أو هو: «حمل الظاهر على المحتمل المرجوح...»⁶. والفرق بين التفسير والتأويل أن التفسير: «بيان وضع اللفظ: إما حقيقة أو مجازاً، كتفسير الصراط بالطريق، والصيب بالمطر... والتأويل تفسير باطن اللفظ المأخوذ من الأوّل، وهو الرجوع لعاقبة الأمر، فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد، والتفسير إخبار عن دليل المراد؛ لأن اللفظ يكشف عن المراد والكاشف دليل، مثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾⁷ تفسيره: أنه من الرصد يقال: رصدته: إذا رَقَبْتَهُ، والمرصاد: مفعال منه، وتأويله: التحذير من التهاون بأمر الله، والغفلة

¹ - لسان العرب. ابن منظور مادة (فسر)

² - الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ج 6 ص. 2261

³ - البرهان في علوم القرآن. للزركشي. تح. محمد أبو الفضل إبراهيم. مكتبة التراث. د. د. ط، القاهرة د. ت ج 1 ص 13.

⁴ - لسان العرب مادة (أول)

⁵ - التفسير والمفسرون. للذهبي مكتبة وهبة . د. د. ط، القاهرة د. ت. ج 1 ص. 15

⁶ - المرجع نفسه ج 1 ص. 15.

⁷ - الفجر الآية 14.

عن الأُهبّة والاستعداد للعرض عليه»¹، وقيل أيضا: «التفسير ما يتعلق بالرواية، والتأويل ما يتعلق بالدراية»². باعتبار أن التفسير هو «الكشف والبيان، والكشف عن مراد الله تعالى لا نجزم به إلا إذا ورد عن رسول الله ﷺ، أو عن بعض أصحابه، الذين شهدوا نزول الوحي، وعلموا ما أحاط به من حوادث ووقائع، وخالطوا رسول الله ﷺ ورجعوا إليه فيما أشكل عليهم من معاني القرآن الكريم. وأما التأويل فملحوظ فيه ترجيح أحد احتمالات اللفظ بالدليل، والترجيح يعتمد على الاجتهاد، ويتواصل إليه بمعرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها في لغة العرب واستعمالها بحسب السياق، ومعرفة الأساليب العربية، واستنباط المعاني من كل ذلك»³. وعليه فالحاجة إلى التفسير كالحاجة إلى التأويل، وليس ذلك بالأمر الجديد فالصحابية رضوان الله عليهم أولئك العرب الخُص كانوا يستفسرون عن معاني بعض الألفاظ القرآنية. ثم ازدادت حاجة التابعين، وكلما ابتعد الناس عن عصر النبوة زادت الحاجة إلى التفسير؛ لأنه لا يمكن أن نتصور استغناء من جاء بعدهم عن علم يضبط لهم الفهم السديد لآي القرآن الكريم. والألسن قد فسدت، واللحن قد نقشى هذا بالنسبة إلى التفسير. أما حين تغيّب الرواية وتعدم، فلا بدّ من الدراية.

3-1-5 أقسام التفسير :

تعددت اتجاهات التفسير وتباينت، لكن يمكن حصرها في اتجاهين: التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي. فهناك من المفسرين من اعتمد في تفسيره المأثور أي: المنقول عن الله تبارك وتعالى، والمنقول عن النبي ﷺ وكذلك المنقول عن الصحابة والتابعين، وهو اتجاه « يهدف إلى معنى النص عن طريق تجميع الأدلة التاريخية واللغوية التي تساعد على فهم النص فهما موضوعيا، أي: كما فهمه المعاصرون لنزول هذا النص من خلال

¹ - الإتيان في علوم القرآن ج 6 ص 2263.

² - المصدر نفسه ج 6 ص 2263.

³ - التفسير والمفسرون. للذهبي ج 1. ص 18.

المعطيات اللغوية التي يتضمنها النص وتفهمها الجماعة»¹. وعليه فمنهج المفسر بالمأثور هو «ذكر الآية، ونقل ما روي في تفسيرها عن الصحابة والتابعين بالسند مثل تفسير سفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، وعبد الرزاق وغيرهم، ولم تصل إلينا هذه التفسيرات وإنما وصل إلينا ما تلا هذه الطبقة، وأشهرهم ابن جرير الطبري»². وهناك اتجاه ثان قائم على الاجتهاد العمدة فيه مؤهلات المفسر الذاتية، أي على المفسر أن يكون «عارفا بقوانين اللغة خبيرا بأساليبها، وأن يكون بصيرا بقانون الشريعة، حتى ينزل كلام الله على المعروف من تشريعه»³، وهو ما يعرف بالتفسير بالرأي. هذا من الناحية النظرية. أما من الناحية العملية الواقعية، فهناك تداخل بينهما، حيث المفسر بالمأثور يضطر عند غياب السند إلى الاجتهاد، كما يضطر المفسر بالرأي إلى النقل والسماع؛ ولذا لا يخلو كتاب مصنف من التفسير بالمأثور من محاولات اجتهادية، كتفسير الطبري مثلا، كما لا يخلو كتاب مصنف ضمن التفسير بالرأي من النقل، كتفسير الكشاف للزمخشري الذي لم يخل من ذكر الروايات المأثورة عن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين. وسأبين ذلك.

2-3 سبب تأليفه:

لقد ذكر الزمخشري في مقدمة تفسيره السبب الذي دفعه إلى تأليف هذا الكتاب فقال: «ولقد رأيت إخواننا في الدين من أفاضل الفئة الناجية العدلية، الجامعين بين علم العربية والأصول الدينية. كلما رجعوا إليّ في تفسير آية، فأبرزت لهم بعض الحقائق من الحجب أفاضوا في الاستحسان والتعجب، واستطبروا شوقا إلى مصنف يضم أطرافا من ذلك، حتى اجتمعوا إليّ مقترحين أن أملي عليهم الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، فاستعفيت فأبوا إلا المراجعة، والاستشفاع بعظماء الدين،

¹ - إشكاليات القراءة وآليات التأويل. نصر حامد أبو زيد. المركز الثقافي . ط7 المغرب. 2005. ص 15.

² - فجر الإسلام أحمد أمين. دار الكتاب العربي. ط10 بيروت. 1969. ص 206.

³ - الكشاف. للزمخشري. تح عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض. مكتبة العبيكان ط1. الرياض. 1998 ج

وعلماء العدل والتوحيد...»¹؛ لهذا السبب أَلَّفَ الزمخشري هذا الكتاب استجابة لرغبة إخوانه من المعتزلة وسماه: «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل» باعتبار أن التفسير: هو الإظهار والإبانة والكشف، أي أن الكتاب: سيكشف عن الحقائق وعن خيار المعاني.

3-3 منهجه :

لا أكون مبالغاً إن قلت: إن الكشاف كتاب تفسير عام أو شبه عام²، بصرف النظر عن تعصبه للمذهب الاعتزالي، والدفاع عنه بكل ما أوتي من قوة، وذلك لاشتماله على أكثر من جانب: فكر، تفسير، لغة، نحو، صرف، بلاغة، استدلال، فقه، مذاهب، «بحيث يحتاج إليه غير المعتزلي قبل المعتزلي، وغير المذهبي قبل أصحاب المذاهب الضيقة المتهافئة أياً كانت، وبحيث يعوز كل ذي صلة بالتفسير أياً كان موقعه، وأياً كانت غايته وهدفه»³. وما دام الأمر على هذه الدرجة من الأهمية: فإنه يجدر بنا أن نتساءل عن منهجه وطريقة عرضه لهذه المادة. وإذا كان من المفترض أن يرسم كل باحث في مقدمه مصنفه المعالم الكبرى التي سوف يسلكها في بناء مصنفه، فإن الزمخشري لم يفعل ذلك وإنما اكتفى بالتلميح إلى الهيكل العام الذي أقام عليه مصنفه قائلاً: «فأمليت عليهم مسألة في الفواتح، وطائفة من الكلام في حقائق سورة «البقرة»، وكان كلاماً مبسطاً كثير السؤال والجواب، طويل الذيول والأذنان، وإنما حاولت التنبيه على غزارة نكت هذا العلم، وأن يكون لهم منارا يَنْتَحُونَهُ ومثالا يَحْتَدُونَهُ»⁴. وحين عاوده الشوق إلى مكة، وحطَّ الرحل بها عزم على إتمام تفسيره، ولكن بطريقة مختلفة إذ يقول: «قد ضاقت على المستعفي الحيل، وعيَّت به العلل، ورأيتني قد أخذت مَنِّي السنّ، وتقعقع الشنّ، وناهزت العشر التي سمتها

¹ - الكشاف للزمخشري. ج 1 ص 18-19.

² - المصدر نفسه. ج 1 ص 08

³ - المصدر نفسه. ج 1 ص 09.

⁴ - المصدر نفسه ج 1 ، ص 19.

العرب دقاقة الرقاب فأخذت في طريقة أخصر من الأولى مع ضمان التكثر من الفوائد والفحص عن السرائر»¹. فيستخلص من هذا كله أن الهيكل العام الذي بنى عليه مصنفه يتمثل في طريقة السؤال والجواب، أو ما يعرف بالفنقلة (فإن قلت...: قلت...:)، مع ملاحظة اختلاف طريقة التفسير في المرحلتين، حيث في المرحلة الأولى كان الكلام مبسطا طويلا الذبول والأذنان، لم يترك صغيرة ولا كبيرة في علم ما إلا أشار إليها، وتناولها بالشرح والتحليل والتوجيه. حيث كانت غايته التنبيه على غزارة نكت علم التفسير. بينما في المرحلة الثانية وقد أخذت منه السن، فإنه مال إلى الاختصار والتركيز، وإيثار ما هو أجدى، مع ضمان التكثر من الفوائد والكشف عن السرائر. هكذا الملح العام لطريقة تفسيره، أما إذا أردنا التفصيل، فإنه يمكننا أن نبسط ذلك في الخطوات الآتية:²

1- قبل الشروع في تفسير السورة يذكر اسمها أو أسماءها، وعدد آياتها، وهل هي مكية أم مدنية، وربما ذكر أسباب النزول، ثم بعد ذلك يبتدئ في بيان معاني آياتها واحدة تلو الأخرى، مستعينا على إيضاحها بالنحو واللغة والبلاغة، مستخدما أسلوب ما يعرف بالفنقلة.

2- جعله كل آية من آيات الذكر الحكيم محكمة متى وافق معناها الظاهر آراء المعتزلة ومبادئهم. ومتشابهة متى خالفت ظاهر أصولهم، ومن ثم يقوم بتوجيهها توجيهها يخدم مذهبه مستعينا باللغة والنحو وأوجه المجاز والقراءات، بل حتى الأحاديث الضعيفة والموضوعة. من ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا﴾³. إذ يقول: «كيف جاز وصف القديم سبحانه به، [أي باستحياء] ولا يجوز عليه التغير والخوف والدم، وذلك في حديث سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ حَيَّ كَرِيمٌ

¹ - الكشاف. للزمخشري. ج 1 ص 20.

² - ينظر المسائل الاعتزالية في الكشاف. لصالح الغامدي. دار الأندلس للنشر. ط. 1. حائل. 1998. ج 1، ص 47 ومنهج الزمخشري في تفسير القرآن. للصابوي. ص 280-283.

³ - البقرة من الآية 26.

يستحيي إذا رفع إليه العبد يديه أن يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا»¹. فقلت: هو جار على سبيل التمثيل مثل تركه تخييب العبد، وأنه لا يرد يديه صفرا من عطائه لكرمه»². إذ يلاحظ كيف أول نسبة الحياء إلى الله عز وجل، كما جاء في حديث سلمان رضي الله عنه بما يناسب مذهبه الاعتزالي، بحيث اعتبر ذلك مما لا يجوز نسبته إلى الله سبحانه وتعالى، وجعلها من باب التمثيل ليس إلا. وهو أمر مردود عليه؛ «لأن الصفات والمعاني المضافة إلى الله تكون على ما يليق بجلاله وعظمته. لأن ذاته وصفاته ليست كذوات المخلوقين وصفاتهم. فيجب حينئذ إثبات ما أثبتته الله لنفسه، أو أثبتته له رسول الله ﷺ، إنباتا كاملا على ما يليق به سبحانه من غير تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل»³.

3- تبيينه أوجه القراءات في الآية بغية توضيح المعنى، وعمله على كشف الفرق اللغوي بين تلك القراءات، وما يترتب على ذلك من اختلاف في المعنى من ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أُنْفَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَّءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾⁴. إذ يقول: «قرئ بشق الأنفس بكسر الشين وفتحها، وقيل هما: لغتان في معنى المشقة، وبينهما فرق، وهو أن المفتوح مصدر شق الأمر عليه شقا، وحقيقته راجعة إلى الشق الذي هو الصدع، وأما الشقّ فالنصف كأنه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد»⁵، وكما بين في هذه الآية الكريمة أوجه القراءات في كلمة شق، وبيّن الفرق اللغوي بين قراءتي فتح الشين وكسرها، وما يترتب على ذلك من اختلاف معنى الآية، مما ساعد على توضيح المعنى، وإن لم يختر هذه المرة قراءة بعينها فإنه قد «يختار القراءة التي يرى أنها تجري والنسق المعنوي للقرآن في مضمار واحد، بحيث تحفظ على الأسلوب القرآني جماله، وقوة معناه»⁶، من

¹ - سنن ابن ماجه .تح محمد فؤادعبد الباقي.دار إحياء التراث العربي.دط.دت.ج2ص1271

² - الكشاف.للزمخشري ج 1 ص 119.

³ -المسائل الاعترالية في الكشاف. صالح الغامدي. ج 1 ص 202.

⁴ -النحل الآية 07.

⁵ -الكشاف.للزمخشري ج 2 ص 429.

⁶ -المسائل الاعترالية في الكشاف. صالح الغامدي ج 1 ص 47.

ذلك ما جاء في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَلْتَجِدْنَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾¹. إذ يقول: «فإن قلت: لم قال ﴿عَلَى حَيَاةٍ﴾ بالتكثير؟ قلت: لأنه أراد حياة مخصوصة، وهي الحياة المتطاولة؛ ولذلك كانت القراءة بها أوقع من قراءة أَبِي (على الحياة)»². ومع ذلك فهو «يرى أن ضبط القراءة بحاجة إلى أهل النحو»³. من ذلك ما أشار إليه مما له علاقة بقواعد اللغة، يخص إحدى قراءات قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾⁴. إذ يقول: «وقرى: فيغفر ويعذب مجزومين عطفًا على جواب الشرط، ومرفوعين على فهو يغفر ويعذب». فإن قلت: كيف يقرأ الجازم؟ قلت: يظهر الراء ويدغم الباء، ومُدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشًا، وراويہ عن أبي عمرو مخطئ مرتين: أنه يلحن، وينسب إلى أعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم، والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة. والسبب في قلة الضبط قلة الدراية، ولا يضبط نحو هذا إلا أهل النحو»⁵. نلاحظ كيف تبين أن رواية القراءات القرآنية في حاجة ماسة إلى أهل النحو؛ لضبطها مما جعله يخطئ راوي قراءة أبي عمرو بجزم يغفر ويعذب، وإدغام الراء في اللام. باعتبار أن هذا الأخير غير صحيح⁶، إذ «المانع من إدغام الراء في اللام والنون، هو تكرير الراء وقوتها والأقوى لا يدغم في الأضعف»⁷. ولم يكتف بما نسبه إلى رواية القراءات القرآنية من لحن فادح، واتهامهم بقلة الضبط بسبب قلة الدراية، بل خطأ كل قراءة تخالف القاعدة النحوية. من ذلك تغليطه لابن عامر في قراءة قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلٌ

¹ - البقرة من الآية 96

² - الكشاف. للزمخشري ج 1 ص 167.

³ - المسائل الاعتزالية في الكشاف. صالح الغامدي ج 1 ص 47.

⁴ - البقرة الآية 284

⁵ - الكشاف ج 1 ص 307.

⁶ - الكتاب لسيبويه. تح. عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي. ط 2. القاهرة 1988. ج 4. ص 448

⁷ - الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي. تح. أحمد محمد خراط. دار

العلم. د. ط. دمشق د. ت. ج 2 ص 690.

أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءُهُمْ¹. برفع القتل ونصب الأولاد وجر الشركاء إذ يقول: «أما قراءة ابن عامر: قتل أولادهم شركائهم برفع القتل ونصب الأولاد وجر الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء، والفصل بينهما بغير الظرف، فشيء لو كان في مكان الضرورات، وهو الشعر لكان سمجا مردودا... فكيف به في الكلام المنثور؟ فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته؟»². مع أن: «هذه القراءة متواترة صحيحة»³. وابن عامر: «أعلى القراء السبعة سندا، وأقدمهم هجرة»⁴. كما وصف بعض القراءات المتواترة بأن ليست الأفصح في اللغة.

4- ومن معالم منهجه أيضا تفسيره القرآن بالقرآن تفسيراً ظاهراً لا تأويل فيه، وبخاصة في الآيات التي لا يمس ظاهرها مذهبه الاعتزالي، كنحو قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁵. إذ يقول: «نها أن يوالوا الكافرين لقربة بينهم، أو صداقة قبل الإسلام، أو غير ذلك من الأسباب التي يُتَّصَدَّقُ بها ويُتَعَاشَرُ، وقد كرر ذلك في القرآن ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾⁶، ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾⁷، ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾⁸». كما يستشهد بالأحاديث النبوية، وكلام أعلام الصحابة والتابعين، كاستشهاده بالحديث النبوي «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» عند تفسير الآية 89 من سورة النحل. ويبين الناسخ والمنسوخ من الآيات كقوله عن (الآية 15) من سورة النساء ﴿فَأَمْسِكُوهُمْ فِي النَّبِيِّاتِ﴾: «قيل معناه: فخلدوهم محبوسات في بيوتكم، وكان ذلك عقوبتهن في أول

¹ - الأنعام من الآية 137.

² - الكشاف ج 1 ص 661.

³ - الدر المصون ج 5 ص 162.

⁴ - المصدر نفسه ج 5 ص 162.

⁵ - آل عمران من الآية 28.

⁶ - المائدة من الآية 51.

⁷ - النساء من الآية 144.

⁸ - المجادلة من الآية 22.

⁹ - الكشاف. للزمخشري. ج 1. ص 323

الإسلام، ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾¹ «². ويستعين بالمأثور إن لم يعارض مذهبه العقدي، دون تعصب لمذهبه الفقهي كقوله: «والمتعة دِرْعٌ وَمِلْحَفَةٌ وَخِمَارٌ عَلَى حَسَبِ الْحَالِ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ»³ عند تفسيره الآية 237 من سورة البقرة. وفي الأخير يختم تفسير السورة بذكر فضائلها حيث يورد أحاديث نبوية في ذلك الشأن قيل عنها أنها أحاديث ضعيفة، وبعضها موضوع، كقوله: «عن رسول الله ﷺ من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التي أنزلها الله تعالى كلها»⁴، وغيره من الأحاديث، والتي هي بعدد سور القرآن الكريم. وما يكمن قوله في نهاية هذا المبحث أن الزمخشري باعتبار معتقده الاعتزالي قد اعتمد في تفسيره هذا على المنهج العقلي متمثلاً في أسلوبه الحوارية القائم على طريقة الفنقلة: (فإن قلت، قلت)، «فإن قلت: لم قيل: واتخذ قوم موسى عجلاً والمتمخذ هو السامري؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما أن ينسب الفعل إليهم؛ لأن رجلاً منهم بأشهره، ووُجد فيما بين ظهرانبيهم... والثاني أن يراد واتخذوه إليها وعبدوه»⁵. وكذا استخدامه مصطلحات الفلسفة، وعلم الكلام في شرح المفردات القرآنية، كتعريفه للموت بأنها: «فساد بنية الحيوان، وقيل عَرَضٌ لَا يَصِحُّ مَعَهُ إِحْسَاسٌ مَعَاقِبٌ لِلْحَيَاةِ»⁶، وغيرها من الملامح الدالة على استخدامه لهذا المنهج، وقدرته الفائقة على كشف وجوه الإعجاز القرآني بين فواصل الآيات ومضمونها المعنوي⁷، وعلى استنباط الأحكام مجارة للفقهاء، كقوله من الآية الكريمة: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾⁸: «وفيه أن السحاب من السماء ينحدر ومنها يأخذ ماءه لا كزعم من يزعم أنه يأخذه من البحر، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَيُنزِّلُ مِنْ

¹ - النور من الآية 02.

² - الكشاف للزمخشري ج. 1. ص 439

³ - المصدر نفسه ج 1 ص 271.

⁴ - المصدر نفسه ج 4 ص 708.

⁵ - المصدر نفسه ج. 2 ص 65 (الآية 148 الأعراف)

⁶ - المصدر نفسه ج 1 ص 94 (الآية 19 البقرة)

⁷ - الآية 12 والآية 13 من سورة البقرة (لا يشعرون... لا يعلمون)

⁸ - البقرة الآية 19.

السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ¹.² لكن في اعتقادنا أنه لا تناقض بين نزوله من السماء، وبين أخذه من البحر. لكن إلى جانب هذا كله لم يكن مفسرا عقليا فحسب بل كان أيضا مفسرا نقليا. حين نراه يعتمد في تفسيره على آراء المفسرين الذين سبقوه، مبديا أحيانا رأيه في هذه النقول. مسندا إياها إلى أصحابها أحيانا، أو يأتي بها مسبوقه بقوله: قيل، أو روي حين لا يعزوها إلى أصحابها. والملاحظ أن (قالوا) لها دلالتها في منهجه هذا، حيث إذا قالها، فهي دليل على تفتنه لبطلان الاستدلال بهذه الآية على الحكم المذكور، فمن ذلك قوله في الآية الكريمة: ﴿ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾³: «قالوا: فيه دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان»⁴. فهذه الملامح في عمومها تدل دلالة قاطعة على أن النزعة التعليمية كانت هي الطابع العام، والسمة البارزة في الكشاف، وأن أثرها بين في أسلوبه وطريقة شرحه، ورغبته الملحة في التكثر من الفوائد والفحص عن السرائر، مع خلوه من الحشو والتطويل، وسلامته من القصص الإسرائيلي.

3-4 قيمته العلمية :

الكشاف من التفاسير التي تبوأ مكانة رفيعة عند أهل العلم؛ لما يتمتع به صاحبه من قدرة علمية فائقة لاسيما في لغة العرب وأشعارها، وإحاطته الواسعة الشاملة لعلوم شتى من نحو وبلاغة وإعراب وأدب، وبخاصة علم المعاني والبيان. فالكشاف بلا منازع أول كتاب في علم التفسير يكشف لنا فعلا عن سر بلاغة القرآن الكريم، ويبين لنا عن وجوه الإعجاز فيه.

¹ - النور من الآية 43.

² - الكشاف. للزمخشري ج 1. ص 91

³ - البقرة من الآية 187.

⁴ - الكشاف. للزمخشري ج 1 ص 225.

وقد كان لأهل العلم وقفات مع الكشاف، فهذا محمد حسين الذهبي يقول: «الكشاف - الحق يقال - قد بلغ في نجاحه مبلغا عظيما، ليس فقط؛ لأنه لا يمكن الاستغناء عنه في بيان الأقوال الكثيرة لقدماء المعتزلة، بل لأنه استطاع أيضا أن يكون معترفا به من الأصدقاء والخصوم على السواء ككتاب أساسي للتفسير، وأن يأخذ طابعا شعبيا يغري الكل ويتسع للجميع، وكما اعتبرنا تفسير الطبري ممثلا للقمة العالية في التفسير بالمأثور فأطنبنا في وصفه، وأطنا الكلام عليه، فهنا كذلك سنعتبر الكشاف للزمخشري القمة العالية للتفسير الاعتزالي؛ لأنه الكتاب الوحيد من تفاسير المعتزلة الذي وصل إلينا متاولا القرآن كله، وشاملا للأفكار الاعتزالية التي تتصل بالقرآن الكريم باعتباره أصل العقيدة، ومعتمد ما يتشعب عنها من آراء وأفكار»¹. ويقول كذلك الجويني: «تفسير الكشاف للزمخشري الذي يمثل أصدق تمثيل منزع المتكلمين في تفسيرهم للقرآن، ويعالج إعجاز القرآن على نحو لم نألفه في تفسير من التفاسير التي بين أيدينا اليوم»²، ويضيف قائلا: «فهو الذي يمثل قمة مجده العلمي بحق - كما نرى - إذ أودعه الزمخشري رحمه الله تعالى خلاصة علمه ولبّ معارفه، وامتزج فيه صدق العاطفة نحو الاعتزال كمذهب ونحو الإسلام كدين، وقوة العقل بما استودعه من علم كلامي، ونضج المعرفة بما وعاه من ثقافة متعددة الأطراف»³. وهناك من يرى بأن هذا الانجاز الهام في قلبه الأدبي الرائع والبديع لا يأتي لغير الزمخشري إذ يقول الشيخ حيدر الهروي: «وبعد فإن كتاب الكشاف كتاب عالي القدر رفيع الشأن، لم ير مثله في تصانيف الأولين، ولم يرو شبيهه في تأليف الآخرين اتفقت على متانة تراكيبه الرشيقة كلمة المهرة المتقنين، واجتمعت على محاسن أساليبه الأنيقة السنة الكلمة المفلقين ما قصر في قوانين التفسير، وتهذيب براهينه وتمديد قواعده وتشبيد معاقده وكل كتاب بعده في التفسير، ولو فرض أنه لا يخلو عن النقيير

¹ - التفسير والمفسرين. للذهبي. ج 1 ص 312-313.

² - منهج الزمخشري في تفسير القرآن الكريم للجويني ص 16.

³ - المرجع نفسه ص 62.

والقظمير، إذا قيس به لا تكون له تلك الطلاوة، ولا يوجد فيه شيء من تلك الحلاوة على أن مؤلفه يقتفي أثره ويسأل خبره، وقلما غير تركيباً من تراكيبه إلا وقع في الخطأ والخلط، وسقط من مزلق الخبط والزلل، ومع ذلك كله إذا فتشت عن حقيقة الخبر فلا عين منه ولا أثر، ولذلك تداولته أيدي النظار فاشتهر في الأقطار، كالشمس في وسط النهار»¹.

3-5 من مأخذه :

رغم الصورة المشرقة والمكانة الرفيعة التي حظي بها هذا المصنف دون غيره من مصنفات الأولين والآخرين، إلا أن العلماء قد سجلوا عليه بعض المآخذ الخطيرة نذكر منها:

- تسخير الكتاب لخدمة مذهبه الاعتزالي، والدعوة إليه من ذلك تأويله للفظ القرآني بما يتفق ومذهبه، كتفسيره قوله تعالى: ﴿وَجُودَةٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاضِرَةٌ² إذ يقول: «فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظورا إليه محال، فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص، والذي يصح معه أن يكون من قول الناس: أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي؟ تريد معنى التوقع والرجاء»³. أي أن معنى ناظرة منتظرة؛ لأن الآية تثبت رؤية المؤمنين الله عز وجل يوم القيامة، وهذا مردود عند المعتزلة.

- إيغاله في التأويل بالتمثيل والتخييل إذا حاصره النص القرآني من ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾⁴ إذ يقول: «وفي قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ أربعة أوجه: أحدها: أن كرسيه لم يضق عن السموات والأرض لبسطته وسعته، وما هو إلا

¹ - كشف الظنون ج2 ص 1483.

² - القيامة الآية 22، 23.

³ - الكشاف، للزمخشري. ج4 ص 565.

⁴ - البقرة من الآية 255

تصوير لعظمته وتخيل فقط، ولا كرسي ثمة، ولا قعود، ولا قاعد، كقوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾¹ من غير تصور قبضة وطى ويمين، وإنما هو تخيل لعظمة شأنه وتمثيل حسي².

- حمله للآيات المتشابهات على المحكمات إذا تصادمت مع مذهبه كحمله قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ (22) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ على قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾³.

- احتجاجه بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾⁴ على أن صاحب الكبيرة مخلد في نار جهنم، كما يرى المعتزلة. إذ يقول: «فإن قلت: هل فيها دليل على خلود من لم يتب من أهل الكبائر؟ قلت: ما أبين الدليل، وهو تناول قوله: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ﴾ أي قاتل كان من مسلم أو كافر تائب أو غير تائب، إلا أن التائب أخرجه الدليل. فمن ادعى إخراج المسلم غير التائب فليأت بدليل مثله»⁵.

- تفسيره لسورة الفلق نافيا السحر حسب معتقد إخوانه من أهل التوحيد والعدل، إذ يقول: ﴿النَّفَّاثَاتِ﴾: «النساء، أو النفوس، أو الجماعات السواحر اللاتي عَقَدْنَ عُقْدًا فِي خِيوطِ وَيَنْفُثْنَ عَلَيْهَا وَيَرْقِينَ... ولا تأثير لذلك اللهم إلا إذا كان ثم إطعام شيء ضار، أو سقيه أو إشمامه، أو مباشرة المسحور به على بعض الوجوه، ولكن الله عز وجل قد يفعل عند ذلك فعلا على سبيل الامتحان الذي يتميز به الثبت على الحق من الحشوية والجهلة من العوام، فينسبه الحشوية والرعاع إليهن وإلى نفثهن، والثابتون بالقول الثابت لا يلتفتون إلى

¹ - الزمر، من الآية 67.

² - الكشاف، ج 1 ص 284.

³ - الأنعام، من الآية 103.

⁴ - النساء من الآية 93.

⁵ - الكشاف، ج 1، ص 491.

ذلك ولا يعأون به... ويجوز أن يراد بهن النساء الكيادات من قوله: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾¹ تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث في العقد، أو اللاتي يفتنّ الرجال بتعرضهن لهم، وعرضهن محاسنهن كأنهن يسحرن بذلك»².

- استشهاده بالأحاديث الضعيفة والموضوعة خصوصا في فضائل السور التي يوردها عند نهاية كل سورة.³ كما يؤخذ عليه إيراده بصيغة التمريض حديث أبي هريرة المتفق عليه: «ما من مولود إلا الشيطان يمسه فيستهل صارخا من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها»⁴. إذ يقول: «فإن الله أعلم بصحته»⁵.

- إساءته الأدب مع النبي ﷺ وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكذا في حق بعض الصحابة رضوان الله عليهم⁶. وكذلك نبزه لأهل السنة والجماعة بالألفاظ القبيحة كالحشوية، والمشبهة، وتكفيرهم وتبديعهم⁷.

3-6 ما أثاره من نشاط فكري :

الكشاف بما له وما عليه، أثار اهتمام العلماء والدارسين منذ القرن السابع الهجري إلى يومنا هذا، وذلك متجسد في الكثير من الأعمال العلمية التي اجتهد أصحابها في الكشف عما تضمنه من الاعتزاليات والرد عليها، أو الانتصار لها، وكذا الكثير من الحواشي التي

¹- يوسف من الآية 28.

²- الكشاف، ج 4 ص 707.

³- المسائل الاعتزالية في الكشاف ، ج1، ص 55.

⁴- الحديث متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى: ﴿واذكر في كتاب مريم﴾ ج14 ص138 والحديث من رواية أبي هريرة رضي الله عنه.

⁵- الكشاف ج 1 ص 328

⁶- ينظر المصدر نفسه ج2ص163 (الآية 43التوبة) ، الكشاف ج4 ص378 (التحريم 01)، الكشاف

ج2ص266(هود46)، الكشاف ج4 ص608 (الآيات 19-22)، الكشاف ج2 ص290 (الآيتان 107،106هود)

⁷- المصدر نفسه ج1 ص364 (الآية105آل عمران) ،الكشاف ج2ص223 (الآية39 يونس)

اهتم أصحابها بشرح غوامضه، وبيان لغوياته، كما اهتم آخرون بشرح شواهده، اهتم آخرون بتلخيصه، وتخريج أحاديثه، والسير على خطاه. نذكر من هذه المؤلفات بمختلف أنواعها ما يأتي:¹

- الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال للإمام أحمد بن المنير (683 هـ).
- الإنصاف لعلم الدين العراقي (ت 704 هـ) وله: الانتصار للزمخشري من ابن المنير.
- كشاف الكشاف لعمر بن عبد الرحمن البلقيني (ت 743).
- التمييز لبيان ما في تفسير الزمخشري من الاعتزال في الكتاب العزيز للسكوني (707 هـ)
- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب لشرف الدين الطيبي (ت 743 هـ) (حاشية).
- الكشف عن مشكلات الكشاف لعمر الفارسي القزويني (ت 745)
- الكشاف على الكشاف لشيخ الإسلام سراج الدين البلقيني ب (ت 805 هـ)
- خطبة الخشاف لحل خطبة الكشاف ونغمة الرشاف من خطبة الكشاف لمجد الدين الفيروزآبادي (ت 817 هـ) شرح فيهما خطبة الكشاف .
- الإنصاف على الكشاف لولي الدين أحمد بن زين الدين أبو زرعة العراقي (ت 826 هـ)
- غاية الأمان في تفسير الكلام الرباني للمولى أحمد بن إسماعيل الكوراني (ت 893 هـ)
- أورد فيه مؤاخذات على الزمخشري والبيضاوي .
- الإسعاف في شرح شواهد القاضي البيضاوي والكشاف لخضر الموصلي (ت 1008 هـ)
- مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف للشيخ محمد عليان المرزوقي.

¹ - منهج الزمخشري للجويني ص 268-275

- غاية الإتحاف فيما خفي من الكلام القاضي والكشاف للشيخ محمد بن أحمد المغربي.
- كشف الكشاف وهو حاشية على الكشاف للشيخ عمر البهبائي الكناني القزويني.
- جوامع الجوامع لعلي الطوسي (ت 561 هـ) قام باختصار الكشاف .
- أنوار التنزيل للقاضي العلامة ناصر الدين البيضاوي وفيه (ت 692 هـ) يخص الكشاف وأجاد فأزال عنه الاعتزال.
- الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصة الكشاف لعبد الله بن الهادي (810 هـ).
- خلاصة الكشاف لحسن صديق خان (ت 1307 هـ).
- الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف للحافظ شهاب الدين بن حجر (852 هـ)
- تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات لمجد الدين أفندي الحموي (ت 1016 هـ)
- سبب الانكفاف عن إقراء الكشاف للشيخ تقي الدين السبكي (ت 756 هـ).
- الإنصاف في الجمع بين الثعلبي والكشاف للإمام أبي السعادات مبارك بن محمد بن الأثير الجزري (ت 606 هـ) وهو تفسير كبير جمع فيه تفسير الثعلبي والكشاف.¹
- مختصر الراشف من زلال الكاشف من التفاسير للشيخ الإمام بدر الدين محمد المقري الحلبي المعروف بالقاذمي (ت 705 هـ).
- الكفيل بمعاني التنزيل للعماد الكندي قاضي اسكندرية النحوي (720 هـ)
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي مسعود العمادي (ت 982 هـ) والمعروف بتفسير أبي السعود.
- الطراز للإمام يحيى بن حمزة العلوي (749 هـ) وهو كتاب في علمي المعاني والبيان.

¹- كشف الظنون ج 1. ص 182

الفصل الثاني: شواهد المستوى الصوتي.

- تخفيف الموصول
- استفهام الواقف عن نكرة ب ((من))
- أن في لغة بني تميم وأسد
- لام التعريف في لغة حمير
- أضرب التنوين
- حذف نون التوكيد الخفيفة
- سكون التنوين
- وجوب تسكين هاء السكت
- الوقف بنقل الحركة
- حذف الواو والياء في الوقف
- إبدال التاء هاء في الوقف
- إجراء الوصل مجرى الوقف
- الوقف على الأسماء المبنية
- إبدال النون ألفا عند الوقف
- تخفيف الهمزة
- النقاء همزتين
- النقاء الساكنين
- الأصل فيما حرك من الساكنيين الملتقيين
- سقوط همزة الوصل في الدرج نطقاً
- تسكين هاء ((هو)) و((هي))
- زيادة حرف الهاء
- زيادة اللام
- إبدال الهمزة
- إبدال الياء
- إبدال الميم
- إبدال التاء
- إبدال الهاء
- إبدال اللام

- إبدال الدال
- إبدال الجيم
- إبدال الصاد
- إدغام اللام
- قلب تاء افتعل وإدغامها
- الحذف بدل الإدغام
- إياك وقرأاتها
- أمين بالمد والقصر
- الهمز والتسهيل
- لغات الفعل بقي
- الفعل حبّ وأحبّ
- حذف التنوين
- تسكين عين الفعل
- الإشباع
- إجراء الوصل مجرى الوقف
- الاجتزاء بالضمّة عن الواو
- حذف نون التوكيد الخفيفة
- الترخيم

تهدف اللسانيات إلى دراسة اللغة ككل متكامل، وذلك من خلال المستويات اللسانية ابتداءً بمستوى إنتاج الصوت، على أساس أن الأصوات هي اللبنة أو العناصر الأولى في تشكل الكلمات أو الوحدات الدالة، وما لها من علاقة وطيدة بالأداء اللغوي السليم مروراً بالمستوى الصرفي، ومدى أهمية تلك المباني الصرفية، ودلالاتها على المعاني فالمستوى النحوي، سواء فيما يخص المعاني النحوية العامة، أو الخاصة، انتهاءً بالمستوى الدلالي. لتؤدي في النهاية إلى حصول عملية التواصل. هذا ما حاولت الكشف عنه من خلال دراستي للشواهد الشعرية عند الزمخشري في كتابيه المفصل والكشاف، حيث تنوع الغرض من إيراد تلك الشواهد؛ لأنه كما يمكن أن تكون الظاهرة المستدل عليها صوتية، قد تكون صرفية، أو نحوية، وقد تكون دلالية، كما تكون أحياناً بلاغية خالصة. وهكذا كانت الأبيات الشعرية الآتية شاهدة على الظواهر الصوتية الآتية:

تخفيف الموصول:

ذكر الزمخشري أن العرب لما استطالوا اسم الموصول الذي بصلته، مع كثرة الاستعمال «خففوه من غير وجه، فقالوا «اللذ» بحذف الياء، ثم «اللذ» بحذف الحركة، ثم حذفوا رأساً واجتزؤوا عنه بالحرف الملتبس به، وهو لام التعريف... وقد حذفوا النون من مثاه ومجموعه»¹. وقد فعلوا كذلك بمؤنثه. ويشهد على فصاحة ذلك، وصحة استعماله قول الأخطل:

أَبْنِي كُؤَيْبٍ إِنَّ عَمِّي اللَّذَا قَتَلَا الْمُلُوكَ وَفَكَكَ الْأَغْلَالَ²

إذ يفخر على جرير قائلاً: يا بني كليب إن عمي من أبطال تغلب، وقد قهرا الملوك وفككا الأغلال عن الأسرى، وحطما القيود. والشاهد فيه قوله: «اللذا» ويريد اللذان، فحذف

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 179

² - البيت من الكامل للأخطل في ديوانه تح، مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ط 2، 1994

النون تخفيفاً؛ لاستطالة الموصول بالصلة. وقال غيره أيضاً:

وَإِنَّ الَّذِي حَانَتْ بِفُلْجٍ دِمَاؤُهُمْ [هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدٍ]¹

ومعناه: إن الذين هلكوا، أو قتلوا بهذا الموضع (فلج) وذهبت دماؤهم هدرًا ليسوا قلة، بل هم القوم جميعاً، باعتبارهم سادة القوم وكبراءهم. والشاهد فيه قوله: «الذي» حيث أصله الذين، فحذفت النون تخفيفاً بدليل قوله: «دماؤهم» .

استفهام الواقف عن نكرة بـ «من» :

قال الزمخشري: «وإذا استفهم بها الواقف عن نكرة، قابل حركته في لفظ الذاكر من حروف المد بما يجانسها. تقول إذا قال: «جاءني رجل»: «منو»؟ وإذا قال: «رأيت رجلاً»: «منًا»؟ وإذا قال: «مررت برجل»: «منِي»؟ وفي التثنية «منان»، وفي الجمع «منون» و«منين» وفي المؤنث: «منَّة» و«مئتان» و«مئتين» و«منات» والنون والتاء ساكنتان، وأما الواصل فيقول في هذا كله: «من يا فتى»؟ بغير علامة². ولذا اعتبر الزمخشري أن الشاعر قد ارتكب شذوذين حين قال :

أَتَوْا نَارِي فَقُلْتُ مَنْونَ أَنْتُمْ؟ [فقالوا: «الجنُّ». قلت: «عموا ظلامًا»]³

يقول: أتى قوم ناري التي أوقدتها لهداية الضالين فقلت لهم: من أنتم؟ فقالوا: نحن جن. فقلت لهم: أنعموا ظلاماً. والشاهد فيه قوله: «منون أنتم» حيث وقع فيه شذوذان: الأول زيادة الواو والنون في الوصل، والثاني تحريك النون التي من حقها أن تكون ساكنة «وكان أبو

¹ - البيت من الطويل للأشهب بن زميلة في خزنة الأدب ج 6 ص 07

² - المفصل في صنعة الإعراب ص 184

³ - البيت لشمر بن الحارث في الحيوان للجاحظ تح ، عبد السلام محمد هارون ، بشركة مكتبة ومطبعة مصطفى

الحلبي وأولاده بمصر ط 2 1966 ج 4 ص 482

إسحاق يقول فيه: إن الشاعر اعتقد الوقف على «منون» ثم ابتداءً بما بعده¹.

أن في لغة بني تميم وأسد:

قال الزمخشري: «وتميم وأسد يحولون همزتها عيَّنًا»². قال ذو الرمة:

أن ترسمت من خرقاء منزلةً [ماء الصبابة من عينيك مسجومًا]³

أترك تأملت مكانة خرقاء بين جوانحك، فرحت تبكي، وتسيل دموع شوقك إليها. والشاهد: أن بني تميم وأسد ينشدون قول الشاعر: «أن ترسمت» «أعن ترسمت» بقلب همزة أن عينا، وهي التي تسمى عنعنة بني تميم.

لام التعريف في لغة حمير:

قال الزمخشري: «وأهل اليمن يجعلون مكانها الميم ومنه:» ليس من امبر امصيام في السفر»⁴. قال الشاعر:⁵

[ذاك خليلي وذو يعاتبني] يرمي ورائي بامسهم وامسلمة⁶

ذاك خليلي الذي يعاتبني على ما كان مني من تقصير، يدافع عني بالسهام والحجارة. والشاهد فيه: مجيء الميم مكان اللام على لغة حمير.

¹ - شرح المفصل لابن يعيش ج 2 ص 420

² - المفصل في صنعة الإعراب ص 413.

³ - البيت من البسيط لذي الرمة في ديوانه شرح الخطيب التبريزي تح: مجيد طراد دار الكتاب العربي بيروت ط2 199-6، ص 130.

⁴ - أخرجه ابن ماجه في سننه. تح محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي. دط. دت. ج 2. ص 1664-1665.

⁵ - المفصل في صنعة الإعراب ص 424

⁶ - البيت من المنسرح لبجير بن عمة في شرح شواهد المغني. للبغدادي. تج. عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق. دار المأمون للتراث. ط2 بيروت. 1988 ج 1 ص 289.

أضرب التنوين:

ومن أصناف الحرف: التنوين: «وهو على خمسة أضرب: الدال على المكانة في نحو «زيد»، و«رجل»، والفاصل بين المعرفة والنكرة في نحو «صه» و«مه» و«إيه»، والعوض من المضاف إليه في نحو «إذ»، و«حينئذ»...، والنائب مناب حرف الإطلاق في إنشاد بني تميم... والتنوين الغالي... ولا يلحق إلا القافية المقيدة»¹. فالتنوين النائب مناب حرف الإطلاق في إنشاد بني تميم، هو كما جاء في نحو قول جرير:

أَقْلِي اللُّومَ عَاذِلَ وَالْعِتابَ نُنْ وَقَوْلِي إِنْ أَصَبْتُ لَقَدْ أَصَابُنْ²

أي: لا تعذليني يا عاذلة، وصوبيني فيما أفعله. والشاهد فيه: أن النون الساكنة في قوله: «العتابن»، و«أصابن» هي تنوين الترجم جيء بها للترجم والغناء، وإلا فقياسه العتابا وأصابا بالألف للإطلاق. أما التنوين الغالي، وسمي بذلك من الغلو، وهو تجاوز الحد؛ ولأنه يدخل على آخر كلمة القافية بعد أن يكتمل وزن البيت. كما جاء في قول رؤبة:

وقاتمِ الأعماقِ خاوي المُخْتَرِقِينَ³

ربّ مكان مظلم الأطراف خالي الطريق من المارة والعلامات، قطعته، ولم أتهيئه. والشاهد فيه: النون في «المُخْتَرِقِينَ» زائدة، وتسمى هذه النون تنوين الغالي. والغرض من إلحاقه الدلالة على الوقف، ولهذا لا يلحق إلا القافية المقيدة، أي: الساكنة الروي.

سكون التنوين:

قال الزمخشري: «التنوين ساكن أبدا إلا أن يلاقي ساكنا آخر فيكسر، أو يضم،... وقد

¹ - المفصل في صناعة الإعراب ص 428.

² - البيت من الوافر لجرير في خزنة الأدب ج 1 ص 69

³ - الرجز لرؤبة في ديوانه. تح وليم بن الورد البروشي. دار بن قتيبة للطباعة والنشر. الكويت. د. ط. د. ت. ص 104

يُحذف¹». قال أبو الأسود الدؤلي:

فَأَلْفَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَعْتَبٍ وَلَا ذَاكِرَ اللَّهِ إِلَّا قَلِيلًا²

يصف امرأة كان قد تزوجها، فرآها على غير ما يجب من الأخلاق. والشاهد فيه: أنه حذف التنوين من «ذاكر»؛ لالتقاء الساكنين، أو لضرورة الشعر.

حذف نون التوكيد الخفيفة:

قال الزمخشري: «وإذا لقي الخفيفة ساكنٌ بعدها، حُذفت حذفًا، ولم تحرك كما حرك

التنوين، فتقول: لا تَضْرِبَ ابْنَكَ³. قال الشاعر:

لا تَهِينِ الْفَقِيرَ عَلَيْكَ أَنْ تَرَى كَعَّ يَوْمًا وَالدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ⁴

لا تحقرن من هو دونك، ربما تدور عليك الدوائر، وينال منك الدهر في ذلك، ويأتي معه فيرفعه. والشاهد فيه قوله: لا تَهِينِ حيث حذف نون التوكيد الخفيفة، والأصل لا تَهِينُنْ منعًا من التقاء الساكنين، وبقيت الفتحة دليلًا عليها.

وجوب تسكين هاء السكت:

قال الزمخشري: «وحقها أن تكون ساكنة، وتحريكها لحن⁵. فهاء السكت قياسًا لا تكون إلا ساكنة؛ لأنها موضوعة أصلاً للوقف» والوقف إنما يكون على الساكن، وتحريكها لحن وخروج عن كلام العرب؛ لأنه لا يجوز ثبات هذه الهاء في الوصل فتحرك، بل إذا

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 429-430.

² - البيت من المتقارب لأبي الأسود الدؤلي في ديوانه. تأليف أبي سعيد الحسن السكري. تح. محمد حسن. دار الهلال. ط2. بيروت لبنان 1998. ص 54

³ - المفصل في صنعة الإعراب ص 432.

⁴ - البيت من الخفيف للأضبط بن قريع في خزنة الأدب 450/11.

⁵ - المفصل في صنعة الإعراب 434.

وصلت استغنيت عنها لما بعدها من الكلام»¹. ولهذا اعتبر قول عروة بن حزام العذري مخالفا للقياس، واستعمال الفصحاء إذ يقول:

يا مرحباً بعمارٍ عفراء²

فالشاعر رحب بهذا الحمار لما أخبر أنه حمار عفراء لمحبتة لها، وأعدّ له الشعير والحشيش والماء. والشاهد فيه قوله: «مرحبا»، حيث أثبت هاء السكت في الوصل، وحركها وإنما حقها التسكين، وبذلك يكون قد ارتكب خطأين: إثبات هاء السكت في الوصل وتحريكها، وقد فسّر ذلك بإجراء الوصل مجرى الوقف للضرورة، وفسر تحريكها بتشبيهها بهاء الضمير المتصل المبني في نحو «له»، إلا أن الزمخشري يعد تحريكها لحنًا. وقد اعتبر ابن جنّي³ ثباتها في الوصل متحركة منزلة بين المنزلتين. وفيه إشارة إلى أن هاء السكت تروى بالضم حيناً، وبالكسر حيناً آخر، فالكسر لالتقاء الساكنين، والضم على التشبيه بهاء الضمير. ويروى أيضا قول الشاعر:

يا مرحباً بعمارٍ ناجية

حيث يرحب الشاعر أيضا بحمار محبوبته ناجية. والشاهد فيه كالذي في سابقه، والكلام على هذا كالكلام على ذلك.

الوقف بنقل الحركة:

قال الزمخشري: وبعض العرب يحوّل ضمة الحرف الموقوف عليه وكسرتة على الساكن قبله، دون الفتحة في غير الهمزة. فيقول: هذا «بُكْرٌ»، و«مَرَزْتُ بِيكِرٌ»، ويجري

¹ - شرح المفصل ج 5، ص 177.

² - الرجز لعروة بن حزام في خزنة الأدب. ج 7 ص 272.

³ - الخصائص لابن جنّي. تح. النجار. المكتبة العلمية. د. ط. د. ت. ج 2، ص 358.

أيضا في حال التعريف»¹. قال الشاعر:

تَحْفَرُهَا الْأَوْتَارُ وَالْأَيْدِي الشُّعْرُ وَالنَّبْلُ سَتَّوْنَ كَأَنَّهَا الْجَمْرُ²

يتحدث عن سهام تطلقها قسي من أيد شعُر، فتتطلق كالجمر. الشاهد فيه قوله: «الشُّعْرُ وَالْجَمْرُ» حيث وقف عليها بالسكون، فنقل حركة الآخر، وهي الضمة إلى ما قبل الآخر والأصل: الشُّعْرُ وَالْجَمْرُ. «ومن الناس من يكره اجتماع الساكنين في الوقف، كما يكره ذلك في الوصل»³. وقال زياد الأعجم:

عَجِبْتُ وَالِدَهُ كَثِيرَ عَجْبُهُ مِنْ عَنزِي سَبَنِي لَمْ أَضْرِبُهُ⁴

عجبت من شخص منسوب إلى هذه القبيلة قد شتمني، وما ضربته. والشاهد فيه: أن قوله «لم أضربه» أصله: «لم أضربه» نقلت حركة الهاء، وهي الضمة إلى الباء قبلها. باعتبار ذلك حكما من أحكام الوقف عند بعض العرب. وقال أبو النجم:

فَقَرَّيْنِ هَذَا وَهَذَا زَحْلُهُ⁵

أي: قرّب هذا، وهذا بعده، وسمي زُحَل به؛ لبعده عن الأرض أكثر من غيره من النجوم. والشاهد فيه قوله: «زَحْلُهُ» حيث وقف عليه فنقل حركة الهاء، وهي الضمة إلى ما قبل الآخر والأصل: زَحْلُهُ. والملاحظ أن هذه الشواهد الثلاثة تخدم غرضا واحدا إلا أن الوقف فيها يختلف بحسب الموقوف عليه، فقد يكون اسما كالشاهد الأول، أو فعلا

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 445.

² - البيت بلا نسبة في شرح المفصل ج 5، ص 216.

³ - شرح المفصل ج 5 ص 215

⁴ - الرجز لزياد الأعجم في شرح شواهد الإيضاح. لأبي علي الفارسي. تأليف عبد الله بري. تح عيد مصطفى درويش. الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية. دط القاهرة. 1985. ص 286.

⁵ - الرجز لأبي النجم في الكتاب ج 4 ص 180

مضارعا مجزوما، وعلامة جزمه السكون كما في الشاهد الثاني، أو فعل أمر مبني على السكون في الشاهد الثالث.

حذف الواو والياء في الوقف:

قال الزمخشري: «وكل واو أو ياء لا تحذف، تحذف في الفواصل والقوافي»¹. ويشهد على ذلك قول الشاعر:

[ولأنت تقري ما خلقت] وبَعُ ضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرُ²

إنك إذا تهيات لأمر، وعزمت عليه أمضيته، في حين أن بعضهم يعزم على الأمر، ثم يعجز عنه ضعفا. والشاهد فيه: قوله «يَفْرُ» حيث حذف الياء من آخر الفعل لمكان القافية والأصل «يَفْرِي». وأنشد سيبويه:

لَا يُبْعِدُ اللَّهُ إِخْوَانًا تَرَكْتُهُمْ لَمْ أَدْرِ بَعْدَ غَدَاةِ الْبَيْنِ مَا صَنَعُ³

أي لا يهلك الله إخوانا تركتهم، ولم أعلم ما صنعوا بعد التفريق. والشاهد فيه: قوله: «صَنَعُ» حيث حذف الواو ضمير الرفع؛ لمكان القافية. والأصل صنعوا.

إبدال التاء هاء في الوقف:

قال الزمخشري: «وتاء التانيث في الاسم المفرد تقلب هاء في الوقف، نحو «غُرْفَه» و«ظَلْمَه» ومن العرب من يقف عليها تاء»⁴. قال الشاعر:

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 448.

² - البيت من الكامل لزهير ابن أبي سلمى في ديوانه. تح. حسن فاعور. دار الكتب العلمية. ط 1. بيروت. 1988. ص 56.

³ - البيت من البسيط لتميم بن مقبل في الكتاب. ج 4 ص 211.

⁴ - المفصل في صنعة الإعراب ص 449.

بَلْ جَوَزِ تَيْهَاءَ كظَهْرِ الْحَجَفَتِ¹

يبدو أن الشاعر شبه شيئاً، ثم استدرِك فشبهه بوسط صحراء تشبه ظهر الترس المتشابه الأجزاء. والشاهد فيه قوله: «الجحفت»، حيث وقف على تاء التأنيث بالتاء لا بالهاء كلغة أهل طيء، والقياس في اللغة العامة الوقوف عليها هاء. كما يعتبر البيت شاهداً على جر «جَوَزِ» بـ «رَبِّ» المحذوفة دون أن يأتي بالواو عوضاً عنها.

إجراء الوصل مجرى الوقف:

قال الزمخشري: «وقد يجري الوصل مجرى الوقف»². ومنه قول الشاعر:

[كَأَنَّهُ السَّيْلُ إِذَا اسْلَحَبَا] مثل الحريق وافق القَصَبَا³

يصف الجراد الذي يخشى أن يراه، وقد أخصبت الأرض هاجماً على الأرض كالسيل الجارف، وكالحريق الذي يلتهم القصب. والشاهد فيه قوله: «القَصَبَا» حيث شدد الباء، كأنه وقف عليها بالتضعيف، مع أنه وقف باجتلاب ألف الوصل، وهذا ضرب من معاملة الوصل معاملة الوقف.

الوقف على الأسماء المبنية:

قال ابن يعيش: «الياء في (ضربني) و(غلامي)»، ففيها لغتان: الفتح والإسكان. فمن فتح فلأنها اسم على حرف واحد، فقوي بالحركة كالكاف، ومن أسكن فأراد التخفيف؛ لنقل الحركة على الياء المكسور ما قبلها. فمن فتح الياء فالوقف فيها على وجهين: الإسكان نحو قولك: «زيد ضربني»، و«هذا غلامي» ولا تحذف الياء؛ لأنها قد قويت بالحركة في حال الوصل، ولم تحذف في الوقف، وجرت مجرى ياء «القاضي» في حال النصب. والوجه

¹ - الرجز لسؤر الذئب في لسان العرب مادة (جحف)

² - المفصل في صنعة الإعراب ص 450

³ - البيت من الرجز لرؤية في ديوانه ص 169، وبلا نسبة في خزنة الأدب ج 6 ص 138

الثاني أن تقف بالهاء لبيان الحركة، فتقول: (ضَرِينِيَّة)، (غَلَامِيَّة)... ومن أسكن الياء فيهما فالوقف على وجهين أيضا: أجودهما إثبات الياء؛ لأنه لا تتوين معه يوجب حذفها فهي ثابتة في الوصل، ولا تحذف في الوقف، وجرى مجرى ياء «القاضي»؛ لأنها ياء ساكنة بعد كسرة في اسم، فثبتت كسرتها. والوجه الآخر أن تحذفها فيهما، فنقول (ضَرِينُ)، و«هذا غُلامٌ» وأنت تريد «غلامي»، و«ضريني»؛ لأن ني اسم¹. ودليل ذلك قول الأعشى:

ومن شانيء كاسفٍ وجُـهُهُ إِذَا مَا انْتَسَبْتُ لَهُ أَنْكَرَنُ²

أي: إذا لقيني العدو عبس وجهه، وإذا أظهرت له نسبي أنكرني. والشاهد فيه قوله: «أَنْكَرَنُ». أصله أنكرني، فحذفت الياء للوقف على لغة من أسكن الياء في الوصل، ثم سكنت نون الوقاية، فصار أَنْكَرَنُ.

إبدال النون ألفا عند الوقف:

قال الزمخشري: « والنون الخفيفة تبدل ألفا عند الوقف »³. قال الأعشى:

[وإِيَّاكَ وَالْمَيْتَاتِ لَا تَقْرَبْنَهَا] وَلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهَ فَاغْبَدًا⁴

إِيَّاكَ أَنْ تَأْكُلَ الْمَيْتَةَ وَاعْبُدِ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَالْبَيْتِ مِنْ كَلِمَةٍ يَمْدَحُ بِهَا النَّبِيَّ ﷺ. والشاهد فيه قوله: «فاعبدا» حيث أبدل النون الخفيفة ألفا في الوقف فأصله «عَبَدْنَ».

تخفيف الهمزة:

وفي تخفيفها ثلاثة أوجه: الإبدال، والحذف، وأن تجعل بين بين. « فالإبدال أن تزيل

¹ - شرح المفصل ج 5 ص 237-238

² - البيت من المتقارب للأعشى في ديوانه ص 16

³ - المفصل في صنعة الإعراب ص 451.

⁴ - البيت من الطويل للأعشى في ديوانه. تح. محمد حسين مكتبة الاداب بالجماميزت. د. ط. د. ت. ص 137.

نبرتها فتلين، فحينئذ تصير إلى الألف والواو والياء على حسب حركتها، وحركة ما قبلها»¹. قال الفرزدق:

[رَاحَتْ بِمَسْلَمَةَ الْبَغَالِ عَشِيَّةً] فَارْعَى فِرَارَةَ لَا هَنَّاكَ الْمَرْتَعُ²

يدعو على فزارة، وكان مسلمة واليا على خراسان، فعزل عنها، ووليها بعده رجل من فزارة. والشاهد فيه: قلب الهمزة في هناك ألفا، وكان القياس أن تجعل بين بين، إلا أنه لم يتزن له البيت بحرف متحرك، فأبدل منها الألف ضرورة، فقال هناك. وقال حسان بن ثابت:

سالت هُذَيْلُ رَسولَ اللَّهِ فَاحِشَةً ضَلَّتْ هُذَيْلٌ بِمَا سَأَلَتْ وَلَمْ تُصِيبِ³

هذيل قبيلة عربية معروفة، وقد وفدوا على رسول الله ﷺ وسألوه أن يحل لهم الزنا، وهي الفاحشة التي سألوها رسول الله ﷺ؛ وبذلك قد ضلوا بسؤالهم هذا. والشاهد فيه: إبدال الألف من الهمزة في سألت لأنه أصله: «سألت». قال عبد الرحمن بن حسان:

[وَكُنْتَ أَذْلٌ مِنْ وَتَدٍ بِقَاعٍ] يَشَجُّ رَأْسَهُ بِالْفَهْرِ وَاجِي⁴

البيت من قصيدة يهجو بها ابن الحكم بن أبي العاص قائلا له: لو لم تكن الخلفاء منكم، لكنت أذل من وتد في الأرض. والشاهد فيه: إبدال الياء من همزة واجي باعتبار أن الهمزة طرف، والطرف مما يسكن في الوقف، والهمزة تقلب ياء إذا سكنت، وانكسر ما قبلها.

¹ - شرح المفصل ج 5. ص 265.

² - البيت من الكامل للفرزدق في ديوانه. تح. علي فاعور. دار الكتب العلمية. ط 1. بيروت. 1987. ص 353.

³ - البيت من البسيط لحسان بن ثابت في ج 1 من ديوانه. تح. وليد عرفات. دار صادر. د. ط. بيروت. 2006. ص 443.

⁴ - البيت من الوافر لعبد الرحمن بن حسان في الخصائص لابن جني ج 3 ص 152

التقاء همزتين:

قال الزمخشري: « وإذا التقت همزتان في كلمة، فالوجه قلبُ الثانية إلى حرف لين... وإذا التقتا في كلمتين، جاز تحقيقهما وتخفيف إحداهما بأن تجعل بين بين،...ومن العرب من يُقحم بينها ألفا». ¹ قال الشاعر:

أَنْتِ أُمُّ أُمَّ سَالِمٍ ²

والشاهد فيه هذه المرّة: أنه أدخل بين الهمزتين ألفا كراهة؛ لاجتماعهما. وقال الشاعر:

حُزِقُ إِذَا مَا الْقَوْمُ أَبَدُوا فَكَاهَةً تَفَكَّرَ آيَاهُ يَعْنُونَ أُمَّ قَرْدًا ³

أي: أن هذا الرجل لدمايته وقصره إذا جلس القوم، فنكلموا بكلام يضحكون به، تفكر أن القوم يعنونه بهذا الكلام، أم القرد. والشاهد فيه قوله: «آياه» حيث أقحم ألفا بين الهمزتين همزة الاستفهام، وهمزة إياه.

التقاء الساكنين:

إذا التقى ساكنان و«كان الساكن الأول غير مدّة، فأئك لا تحذفه، بل تحرك الثاني» ⁴. ويشهد على ذلك قول الشاعر:

عجبت لمؤلوذٍ وليس له أبٌ وذي ولدٍ لم يئدّه أبوان ⁵

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 462.

² - البيت من الطويل. لذي الرمة في ديوانه. تح مجيد طراد. دار الكتاب العربي. ط 2 بيروت 1996. ص 271

³ - البيت من الطويل بلا نسبة في رصف المعاني. للمالقي. تح. أحمد محمد الخراط. دار القلم. ط 3 دمشق

2002. ص 119

⁴ - شرح المفصل ج 5 ص 290.

⁵ - البيت من الطويل لرجل من أزد السراة في الكتاب ج 2 ص 266.

إنه يعجب من مولود ليس له أب، ويعني بذلك عيسى عليه السلام، ويعجب ممن ولد ولم يكن ولده أبواه، ويعني بذلك آدم وحواء عليهما السلام. والشاهد فيه قوله: «لَمْ يَلِدْهُ» والأصل لَمْ يَلِدْهُ، فسكّن الشاعر اللام للضرورة الشعرية، فالتقى ساكنان، فحرك الساكن الثاني بالفتح لأنه أخف، أو أنه نقل سكون الدال العارض بسبب الجزم إلى اللام قبلها تشبيها لها بكتف.

الأصل فيما حرك من الساكنين الملتقيين.

قال الزمخشري: «والأصل فيما حُرِّكَ منهما أن يحرك بالكسر،... وقد حركوا في نحو: «رُدَّ»، و«لَمْ يَرُدَّ» بالحركات الثلاث»¹. قال جرير:

فَعُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ [فَلَا كَعْبًا بَلَعْتَ وَلَا كِلَابًا]²

أي: الأولى لك أن تنكس رأسك، وتخفض جبينك خجلا وعارا، فإنك من قبيلة وضيعة ولست من كعب، ولا كلاب الأشراف. والشاهد فيه قوله: «فَعُضَّ» حيث يروى بضم الضاد وبفتحها، وكسرهما. فالضم على الإتيان لضمة الغين قبلها، والفتح بغية التخفيف، أما كسرهما فعلى الأصل. وقال جرير أيضا:

ذُمَّ الْمَنَازِلَ بَعْدَ مَنَزِلَةِ اللَّوِيِّ [وَالعَيْشَ بَعْدَ أَوْلَائِكَ الْأَيَّامِ]³

والشاهد فيه قوله: «ذُمَّ» كالذي في سابقه «عُضَّ».

سقوط همزة الوصل في الدرج نطقا:

قال الزمخشري: «وإثبات شيء من هذه الهمزات (همزات الوصل السماعية منها، والقياسية)

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 465.

² - البيت من الوافر لجرير في ديوانه تأليف الله الصاوي، المكتبة التجارية الكبرى ط 1، مصر د. ت ص 75.

³ - البيت من الكامل لجرير في ديوانه. ص 551.

في الدرج خروج عن كلام العرب، ولحن فاحش فلا تقل: الإسم والإطلاق...»¹.

أمّا قول الشاعر:

إذا جاوز الإثنين سرّ فإنّه [ينشر وتضييع الحديث قمين]²

ومعناه أن السرّ لا يعود سرا إذا جاوز الاثنين، فإنه يشيع وينتشر. والشاهد فيه: قطع ألف الاثنين الوصلية للضرورة الشعرية، فلا يعتد به؛ لكونه ناقضا للأصل، وخارجا عن كلام العرب.

تسكين هاء «هو» و«هي»:

قال الزمخشري: «وأمّا إسكانهم أول «هو» و«هي» متصلتين بالواو والفاء ولام الابتداء وهمزة الاستفهام، ولام الأمر متصلة بالفاء والواو،...فليس بأصل، وإنما شُبّه الحرف عند وقوعه في ذا الموقع بضاد «عضد» وباء «كبد»، ومنهم من لا يسكن»³. قال الشاعر:

[فقلت لزور مرتاعاً فأرّقني] فقلْتُ أهي سَرَت أم عادي حُمُ⁴

رأى محبوبته في المنام، وظن أنها قد أتته، فلما استيقظ قال في نفسه: أهي أتتني حقيقة أم أتاني خيالها في النوم؟ والشاهد فيه قوله: «أهي» حيث سكن الهاء في هي مع همزة الاستفهام. وهو ليس بأصل.

زيادة حرف الهاء:

قال الزمخشري: «والهاء زيدت زيادة مطردة في الوقف لبيان الحركة، أو حرف المد نحو:

¹ - المفصل في صنعة الإعراب صص 467.

² - البيت من الطويل لقيس بن الخطيم في ديوانه. تح. ناصر الدين الأسد. دار صادر. د. ط. بيروت. د. ت. ص 162.

³ - المفصل في صنعة الإعراب صص 468-469.

⁴ - البيت من البسيط لزياد بن منقذ في خزنة الأدب 244/5.

«كتابه»، و«ثمه»، و«وازيده»... وغير مطردة في جمع «أم» وقد جاء بغير هاء، وقد جمع اللغتين من قال:

إذا الأمهاتُ قَبَحْنَ الوُجُوهَ فَرَجَّتْ الظلامُ بِأُمَّاتِكَا¹»²

يريد أن أمهات المخاطب نقيات الأعراض، إذا ما تدنس عرض أمهات الناس بالفجور فأخزين أولادهن بذلك. والشاهد فيه قوله: «أماتكا» حيث استعمل الأمات في الإنسان على خلاف الغالب، إذ الغالب استعمال الأمهات في الإنسان، والأمات في البهائم. وقد زاد «ها» في الواحد من قال:

أُمَّهَتِي خِنْدِفٌ وَالْيَاسُ أَبِي³

الشاهد فيه قوله: «أمهتي» حيث الشاعر أدخل الهاء في الواحد.

زيادة اللام:

قال الزمخشري: «واللام جاءت مزيدة في «ذلك»، و«هنالك» و«أولالك»⁴. قال الأعشى:

[أولئك قومي لم يكونوا أشابة] وهل يعظ الضليل ألالكا⁵

يصف قومه بالصفاء والنصح يقول: إن أنسابهم صريحة وصافية، وأنه لا يقوم الضال الفاسق غير قومه؛ لكمال عقولهم، وانقياد الناس إليهم. والشاهد فيه: زيادة اللام في أولالك مما يدل على صحة الاستعمال.

¹ البيت من المتقارب بلا نسبة في رصف المباني للمالقي ص 401

² المفصل في صنعة الإعراب ص 473.

³ البيت من الرجز لقصي بن كلاب في خزنة الأدب 379/7.

⁴ المفصل في صنعة الإعراب ص 474.

⁵ البيت من الطويل للأعشى في شرح المفصل ج 5 ص 346. ولأخي الكلبة في خزنة الأدب 394/1.

إبدال الهمزة:

قال الزمخشري: «فالهمزة أبدلت من حروف اللين، ومن الهاء والعين... ومن كل واو واقعة أولاً شفعت بأخرى لازمة، في نحو: «أواصل»، و«أواق» جمعي «واصل»، و«واقية»... وعن العجاج أنه كان يهمز «العالم» و«الخاتم»... وحكى «بأز»، «وقوقأت الدجاجة»¹. فإبدالها من الواو نحو قول الشاعر:

[ضربت صدرها إليّ وقالت] يا عُدَيُّ لَقَدْ وَقَّتْكَ الْأَوَاقِي²

أي: أنها عجبت من سلامته، وخلصه من الأعداء، فضربت صدرها بيدها، وتلك عادة في النساء إذا رأين شيئاً ينكرنه أن يضرين بأيديهن على صدورهن، ثم دعت له أن يحفظه الله ويقيه. والشاهد فيه قوله: «الأواقي» حيث أبدل الهمزة من الواو، فالأصل الواقي لأنه جمع واقية.

أما إبدالها من الألف فقد جاء في شعر العجاج إذا يقول:

[مباركٍ للأنبياء خاتمٍ] فَخِنْدِفٌ هَامَةٌ هَذَا الْعَالَمُ³

فخندف قبيلة من قبائل العرب، وهامة الشيء أعلاه. والشاهد فيه: على رواية الزمخشري قول العجاج «العالم» حيث أبدل الهمزة من الألف في كلمة العالم. وهي رواية ابن يعيش في شرحه للمفصل:

يا دار سلمى يا سلمى ثم اسلمي فخِنْدِفٌ هَامَةٌ هَذَا الْعَالَمُ

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 476-477.

² - البيت من الخفيف للمهمل بن ربيعة في ديوانه. شرح وتقديم. طلال حرب. الدار العالمية. دط. دت. ص 58. وفي خزنة الأدب ج 2 ص 165.

³ - الرجز للعجاج في شرح المفصل ج 5 ص 353.

إذ «روي هذا البيت مهموزاً، وذلك من قبل أن الألف في «العالم» تأسيس، لا يجوز معها إلا مثل «الساجم» و«اللازم»، فلما قال: «يا دار سلمى يا سلمى ثم اسلمي»، همز «العالم» لتجري القافية على منهاج واحد في عدم التأسيس»¹. وقال رؤبة في إبدال الهمزة من الألف أيضاً:

يَا دَرَا مِيَّ بَدَكَدِيكَ الْبُرْقُ صَبْرًا فَقَدْ هَيَّجَتْ شَوْقَ الْمُشْتَقِّ²

يا دار ميّ الحبيبة أعطيني صبرا، فقد زدت شوق المشتاق. والشاهد فيه قوله: «المشتق» حيث همز المشتاق وذلك ضرورة حين «اضطر إلى حركة الألف قبل القاف من «المشتاق»؛ لأنها تقابل لام «مستقلن» فلما حركها، انقلبت همزة...حركها بالكسرة؛ لأنه أراد الكسرة التي كانت في الواو المنقلبة الألف عنها، وذلك أنه «مفتعل» من «الشوق» وأصله «مُشْتَوِّقٌ»، ثم قلبت الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها، فلما احتاج إلى حركة الألف، حركها بمثل الكسرة التي كانت في الواو»³. وقال الراجز في إبدال الهمزة من الهاء:

وَبَلَدَةٌ قَالِصَةٌ أَمْوَاهَا مَاصِحَةٌ رَأَدَ الضَّحَى أَفْيَاؤُهَا⁴

كم بلدة مرتفعة المياه قصيرة الظلال، قطعنها أو بلغتها. والشاهد: أنه جمع ماء على أمواه، وقد أبدل الهمزة من الهاء والأصل أمواه. وقال الراجز أيضاً في إبدال الهمزة من العين:

أَبَابُ بَحْرِ ضَاكِكِ زَهْوِقِ⁵

¹ - شرح المفصل ج5، ص356.

² - البيت من الرجز لرؤبة في شرح شواهد الشافية للبغدادي. تح. محمد نور الحسن. محمد الزفراف. محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الكتب العلمية. دط. بيروت. 175. 1982. وبلا نسبة في الخصائص ج3 ص145.

³ - شرح المفصل ج5، ص356.

⁴ - البيت من الرجز بلا نسبة في رصف المباني ص84.

⁵ - الرجز بلا نسبة في سر صناعة الإعراب. لابن جني. تح. حسن الهداوي. دار القلم. ط2. دمشق. 1992. ص106.

وبعني: عباب بحر ممتلئ بعيد القعر. والشاهد فيه: أنه أبدل الهمزة من العين لقرب مخرجيهما قال ابن جنّي «أمّا ما أنشده الأصمعي من قول الراجز: «أباب بحر ضاحك زهوق». فليست الهمزة فيه بدلا من عين «عباب» وإن كان بمعناه، وإثما هو «فعال» من أب: إذا تهيأ... وذلك أن البحر يتهيأ لما يزخر به. فلهذا كانت الهمزة أصلا غير بدل من العين، وإن قلت إنها بدل منها، فهو وجه وليس بالقوي»¹.

إبدال الياء:

قال الزمخشري: «والياء أبدلت من أختيها، ومن الهمزة، ومن أحد حرفي التضعيف ومن النون، والعين، والتاء، والباء، والسين، والتاء».²

فإبدالها من أحد حرفي التضعيف قال الشاعر:

نَزُورُ امْرَأٍ امَّا الْإِلَهَ فَيَتَّقِي وَأَمَّا بَفَعْلِ الصَّالِحِينَ فَيَأْتِمِي³

أي: نزور امرأة يتقي الله ويقنتدي بفعل الصالحين. والشاهد فيه: إبدال الياء من الميم حيث يأتي أصله يأتيم. كما أبدلت من التاء الأولى في قول الراجز:

وَأَيَّتَصَلَّتْ بِمِثْلِ ضَوْءِ الْفَرْقَدِ⁴

أي: واتصلت بمثل ضوء الكوكب. والشاهد فيه: قلب إحدى التائين من اتصلت ياء استكراها للتضعيف؛ لما فيه من الثقل على اللسان. أمّا إبدال الياء من العين فقد قال الراجز:

¹ - سر صناعة الإعراب ص 106-107.

² - المفصل في صنعة الإعراب ص 479-480.

³ - البيت من الطويل بلا نسبة في سر صناعة الإعراب ص 760/2

⁴ - البيت من الرجز بلا نسبة في سر صناعة الإعراب 764/2.

وَمَنْهَلٍ لَيْسَ لَهُ حَوَازِقُ وَلِضَفَادِي جَمَّهُ نَقَانِقُ¹

أي: ورب منهل قفر لا وارد له، ماؤه كثير. وكنتى عن هذا المعنى بكثرة ضفادعه. والشاهد فيه: قوله لضفادي حيث أبدلت الياء من العين، والأصل ضفادع .

وكذا إبدال الياء من الباء فقد قال الشاعر:

لها أشاريـرُ من لحم تتمّمـرُهُ من الثّعالـي وَوَحْزُ من أرانيها²

إن لهذه العقاب قطعا من لحم الثعالب، ولحم الأرنب تقددها؛ لتأكلها أي: أن اللحم متوفر عندها، فهي تأكله طريا وقديدا. والشاهد فيه: قوله: «ثعالي وأرانيها»، فإن أصلها ثعالب وأرنب حيث أبدلت الباء فيها ياء. وقال الشاعر أيضا، وقد أبدل الياء من السين:

إذا ما عُدّا أرعةً فسألُ فزَوجُكَ خامِسُ وأبوك سادي³

إذا عد الناس من القوم خساسا، فزوجك خامسهم، وأبوك سادسهم. والشاهد فيه: قلب السين ياء في سادي، فإن أصله سادس. وقال الراجز، وقد أبدل الياء من الثاء:

قد مرّ يومان وهذا التالي وأنت بالهجران لا تبالي⁴

مضى يومان، وهذا هو الثالث، وأنت لا تبالي بالهجران. والشاهد فيه قوله: التالي حيث أبدلت الياء من الثاء، والأصل الثالث.

¹ - الرجز بلا نسبة في الكتاب ج2 ص273 وقال الشنتمري: هو مصنوع، لخلف الأحمر

² - البيت من البسيط لأبي كاهل النمر بن لولب اليشكري في شرح أبيات سيبويه. للنحاس. تح. زهير غازي زاهد. عالم

الكتب. ط1. بيروت. 1986. ص143

³ - البيت من الوافر بلا نسبة في سر صناعة الإعراب ص741.

⁴ - البيت بلا نسبة في سر صناعة الإعراب ص764.

إبدال الميم:

قال الزمخشري: «والميم أبدلت من الواو، واللام، والنون، والباء»¹. فأبدالها من النون كما جاء في قول رؤبة:

يا هَال ذات المنطق التَّمْتام وكَفَّكَ الْمُخَضَّبِ البَنَامِ²

أي: يا هالة ذات الكلام الذي يكثر فيه التاء، وذات الكف المخضَّب. والشاهد فيه قوله: «البَنَام» ويريد البنان، حيث أبدل النون ميما، كما أبدلت منها في عنبر فقيل: عَمْبَر، وفي حنظل فقيل: حمظل؛ لما بينها من المقاربة. أما إبدالها من الباء فقد قال الشاعر:

فبادرت شاتها عجلي مثابرةً حَتَّى اسْتَقَت دون مَحْنَى جِيدها نُغْمًا³

إن هذه المرأة إذا نزل بها ضيف، أسرع إلى شاتها فاحتلبت منها جرعا من اللبن وقدمتها إلى الضيف مكتفية بذلك عن ذبحها. والشاهد فيه قوله: «نُغْمًا» حيث أبدلت الميم من الباء، والأصل نُغْبًا وقال ابن السكيت: «نُغبت من الإناء بالكسر نُغْبًا»، أي جرعت منه جرعا»⁴.

إبدال التاء:

قال الزمخشري: «والتاء أبدلت من الواو، والياء، والسين، والصاد، والباء»⁵. فأبدالها من الواو، كما جاء في قول الشاعر:

¹ - المفصل في صناعة الإعراب ص 483.

² - الرجز لرؤبة في سر صناعة الإعراب ص 422.

³ - البيت من البسيط بلا نسبة في سر صناعة الإعراب ص 426.

⁴ - إصلاح المنطق ابن السكيت مادة (نُغبت)

⁵ - المفصل في صناعة الإعراب ص 484.

[رَبِّ رَامٍ مِنْ بَنِي ثُعَلٍ] مُثَلِّجٌ كَفَيْهِ فِي قُتْرِهِ¹

إن هذا الصائد يجعل يديه في ناموسه؛ لئلا يهرب منها الصيد. والشاهد فيه: إبدال التاء من الواو في مثلج؛ لأن الأصل مولج اسم فاعل من أولج. أما إبدالها من السين فيشهد على ذلك قول الشاعر:

يَا قَاتِلَ اللَّهِ بَنِي السَّعَلَاتِ عَمْرُو بْنُ يَرْبُوعٍ شَرَارَ النَّاتِ

غَيْرَ أَعْقَاءٍ وَلَا أَكِيَاتِ²

يدعو الشاعر أن تنزل لعنة الله على بني السعلات، وهم أكثر الناس شرًا. والشاهد فيه: إبدال التاء من السين في النات وأكيات، فإن الأصل الناس، وأكياس. كما يشهد البيت الآتي على إبدالها من الصاد:

[قَتْرُكُنْ نَهْدًا عُيْلًا أَبْنَاؤَهَا وَبَنِي كِنَانَةَ] كَاللُّصُوتِ الْمَرْدِ³

أي: تركن تلك القبيلة نهذا باكيا أبناؤها. والشاهد فيه قوله: «كاللصوت» حيث أبدل التاء من الصاد، فإن أصله اللصوص.

إبدال الهاء:

قال الزمخشري: «والهاء أبدلت من الهمزة، والألف، والياء، والتاء»⁴. فيما يخص إبدالها من الهمزة، فقد قال الشاعر:

¹ - البيت من المديد لامرئ القيس في ديوانه ص 123.

² - الرجز لعباء بن أرقم في لسان العرب. مادة (نوت) وبلا نسبة في بقية المصادر ومظان اللغة.

³ - البيت من الكامل لعامر بن جوبين في شرح شواهد الشافية ص 475.

⁴ - المفصل في صنعة الإعراب ص 486.

وَأَتَى صَوَاحِبَهَا فَقُلْنَ هَذَا الَّذِي مَنَحَ الْمَوَدَّةَ غَيْرَنَا وَجَفَانَا¹

أتى ذلك الرجل نساء صواحب حبيبة له فقلن: إذا الذي أحب غيرنا وآذانا؟ والشاهد فيه قوله: «هذا الذي» حيث جاءت الهاء مبدلة من الهمزة، والأصل إذا الذي؟ ومنه فالهاء ليست للتثنية. كما أبدلت من الألف في قوله:

[قَدْ وَرَدَتْ مِنْ أَمْكِنِهِ مِنْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا]

إِنْ لَمْ تُرَوِّهَا فَمَه²

فالشاهد فيه: إبدال الهاء من الألف في قوله «فمه»، فإن الأصل «فما»، ولما أراد الوقف على الألف، والألف يكره الوقف عليه؛ لخفائها أبدل منها الهاء، والمراد ماذا أصنع؟ ويحتمل «أن يكون قوله: «فمه» زجراً أي: فمه يا إنسان، كأنه يخاطب نفسه، ويزجرها»³ قائلاً لها إن لم ترّوها، فكفّ عنها، ودعها لمن يقدر على ذلك.

وأبدلت كذلك من ألف منقلبة عن واو يقول الشاعر:

وقد رابني قولها يا هَنَاه [ويحك أَلحقت شرا بشر]⁴

لقد رابني قول تلك المرأة يا إنسان ويحك، زدت شرا على شر. والشاهد فيه: «أن الهاء في «هَنَاه» مبدلة من ألف منقلبة عن واو، وأصله هَنَاو على وزن فعال، قلبت واوه ألفا كما قلبت في كساء، وإنما لم تقلب همزة؛ لئلا يلتبس بفعال من التهئة، وليست هذه الهاء هاء السكت، كما قيل؛ لأنها لا تكون في الدرج»⁵.

¹ البيت من الكامل لجميل بثينة في لسان العرب مادة (ذا)

² الرجز بلا نسبة في لسان العرب. مادة (ما)

³ شرح المفصل ج5 ص402.

⁴ البيت من المتقارب لامرئ القيس في ديوانه. تح عبد الرحمن المصطفاوي دار المعرفة ط2. بيروت 2004. ص623.

⁵ هامش المفصل في علم العربية ص369.

إبدال اللام:

قال الزمخشري: «واللام التي أبدلت من النون والضاد»¹. فإبدالها من النون نحو قول الشاعر:

وقفت فيه أصيلاً أسألها [عَيْتٌ جَوَابًا وما بالرُّنْع من أحدٍ]²

وقفت بدار المحبوبة قبيل غروب الشمس أسألها، فعجزت عن الجواب، وما بها أحد يجيبني. والشاهد فيه: إبدال اللام من النون في «أصيلاً»، والأصل أصيلان؛ لأن جمع أصيل أصلان، وتصغيرها أصيلان. أما إبدالها من الضاد فقد قال الشاعر:

[لَمَّا رَأَى أَنْ لَا دَعَا وَلَا شَبَعَ] مال إلى أرطاة حِقْفٍ فَالطَجَعُ³

لما رأى الذئب أن لا راحة له في طلب ظبي، ولا شبع لعدم إمكان دركه، مال إلى أرطاة فاضطجع تحتها. والشاهد فيه قوله: «الطجع»، والأصل اضطجع حيث أبدل الشاعر الضاد لامًا.

إبدال الدال:

قال الزمخشري: «والدال أبدلت في التاء»⁴. قال الشاعر:

[فَقُلْتُ لِصَاحِبِي لَا تَحْبِسْنَا بِنِزْعِ أَصُولِهِ] وَأَجْدَرُ شَيْحًا⁵

يقول لصاحبه: لا تحبسنا عن شيء اللحم بنزع أصول الشجر، بل خذ ما تيسر من قضبانة وعيدانه، وأسرع إلى الشيء. والشاهد فيه: إبدال الدال من التاء في قوله «أجدز»

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 488

² - البيت من البسيط للناطقة الذبياني في ديوانه. تح عباس عبد الستار دار الكتب العلمية. ط 3. بيروت. 1996 ص 09.

³ - الرجز لمنظور بن حية الأسدي في شرح التصريح ج 1 ص 367.

⁴ - المفصل في صنعة الإعراب ص 489.

⁵ - البيت من الوافر لمضرس بن ربعي في شرح شواهد الشافية ص 481.

وأصله اجْتَزَّ. والملاحظ أن الشاعر قد خاطب الواحد خطاب الاثنين لغرض المبالغة والتأكيد.

إبدال الجيم:

قال الزمخشري: «والجيم أبدلت من الياء المشددة في الوقف»¹. لاتحادهما صفة ومخرجا وقد أجرى الوصل مجرى الوقف. إذ يقول الشاعر:

خالي عُويْفٌ وأبو عَلِجٍ المَطْمَعانِ الشَّخْمَ بالعِشِجِ²
وبالغداة كُتِلَ البَرْنِجِ يُفْلَعُ بِالوُدِّ وَالصَّيِّجِ³

ومعناهما: خالي عويف وأبوعلي اللذان يطعمان الضيف بالعشي الشحم، وبالغداة التمر الذي يقلع بالوتد. والشاهد فيه: إبدال الجيم من الياء المشددة في قوله: «أبوعليج» و«العشج» و«البرنج»، و«الصصج». والأصل: أبوعلي، والعشي، والبرني، والصيصي. وقال أبو النجم:

كَأَنَّ فِي أذْنَابِهِنَّ الشَّوْلِ مِنْ عَبَسِ الصَّيْفِ قَرُونَ الإِجْلِ³

كأنّ أذئاب هذا الإبل مما التصق بها من البعر قرون تيس الجبل. والشاهد قوله: «الإجل» حيث أبدل الجيم من الياء المشددة مجريا الوصل مجرى الوقف. وقد أبدلت الجيم من غير الياء المشددة حملا على المشددة:

لأهْمَ إِنْ كُنْتَ قَبْلَتْ حَجَّتِجَ فَلَا يَزَالُ شَاحِجٌ يَأْتِيكَ بَحْجُ

أَقْمُرُ نَهَاتٍ يَنْزِي وَفَرْتِجِ⁴

¹ - المفصل في صناعة الإعراب ص 490.

² - الرجز بلا نسبة في سر صناعة الإعراب ص 175.

³ - الرجز لأبي النجم في سمط الآلي ص 712.

⁴ - الرجز لرجل من اليمانيين بلا نسبة في سر صناعة الإعراب ص 177.

اللهم إن كنت قبلت حجّتي، فلا يزال يأتي بي شاحج هذه صفاته. والشاهد فيه قوله: «حَجَّتَج»، و«بِجْ»، و«فرتج» فإن أصلها حَجَّتِي، بي، وفرتي. فأبدل الشاعر من الياء جيما، وإن كانت غير مشددة حملا على المشددة. وقال الراجز:

حتّى إذا ما أمسجتْ وأمَسَجَا¹

والشاهد فيه قوله: «أمسجت»، و«أمسجا»، والأصل أمسيت، وأمسيا. حيث أبدل الجيم من الياء.

إبدال الصاد:

قال الزمخشري: «والصاد الساكنة إذا وقعت قبل الدالّ جاز إبدالها زايا خالصة في لغة فصحاء من العرب»². قال الشاعر:

ودع ذا الهوى قبل القلى تركُ ذي الهوى متينَ القوى خَيْرٌ من الصرْمِ مَزْدَرًا³

اترك محبة من تحب قبل أن يحل البغض بينكما، فترك المحب، وعرى المودة وثيقة أفضل من هجره وقطعه. والشاهد فيه: إبدال الصاد من الزاي في قوله «مَزْدَرًا» ويقصد مصدرًا.

إدغام اللام:

قال الزمخشري: «واللام إن كانت المعرفة، فهي لازم إدغامها في مثلها، وفي الطاء والدال، والتاء، والظاء، والذال، والثاء، والصاد، والسين، والزاي، والشين، والصاد، والنون والراء، وإن كانت غيرها، نحو: لام «هل» و«بل» فإدغامها فيها جائز. ويتفاوت جوازه إلى

¹ - الرجز للعجاج في ملحق ديوانه ج 2 ص 278.

² - المفصل في صنعة الإعراب ص 493.

³ - البيت من الطويل بلا نسبة في أمالي ابن الحاجب. تح. فخر صالح سليمان. در الجيل. دط. بيروت. 1989 ج 1 ص 312 وسر صناعة الإعراب ص 196.

حسن وهو إدغامها في الراء، كقولك: «هل رأيت؟»، وإلى قبيح، وهو إدغامها في النون كقولك: «هل تُخرج؟» وإلى وسط، وهو إدغامها في البواقي...»¹. وأنشد سيبويه:

فَدَّرَ ذَا وَلَكِنْ هَتُّعِينَ مَتِيَّماً عَلَى ضَوْءِ بَرْقٍ آخَرَ اللَّيْلِ نَاضِبٍ²

يقول لصاحبه: دع الذي أنت في ذكره، وأخبرني: هل لك أن تعينني على ضوء البرق. وأراد بذلك أن يسهر معه؛ ليخفف عنه ما يعانيه من وجد كلما لمع البرق؛ لأن ذلك البرق يلمع من جهة محبوبته، فيفارقه النوم. والشاهد فيه: إدغامه اللام في التاء من قوله: «هتّعين» لقرب مخرجها، والأصل هل تُعِينُ. وقال طريف بن تميم العنبري:

تَقُولُ إِذَا أَهَلَكْتُ مَالاً لِلدَّةِ فَكِيهَةٌ هَشْيَاءٌ بِكَفَّيْكَ لَائِقٌ؟³

تقول له فكيهة كلما أنفق شيئاً من ماله للذة: وهل أنت مبق على شيء من مالك؟ والشاهد فيه: إدغام اللام في الشين في «هَشْيَاءٌ» والأصل هل شَيْءٌ؟

قلب تاء افتعل وإدغامها:

قال الزمخشري: «وتقلب مع تسعة أحرف، إذا كنّ قبلها: مع الطاء، والظاء، والصاد والضاد طاء؛ ومع الدال، والذال، والزاي، دالاً. ومع الناء، والسين تاء وسيناً، فأما مع الطاء فتدغم ليس إلاّ، كقولك: «أطلب»، و«اطعنوا». ومع الطاء تُبَيِّنُ وتدغم بقلب الطاء طاء، أو الطاء ظاء، كقولهم: «اظلم»، و«أظلم»، و«أظلم». قال زهير:

هُوَ الْجَوَادُ الَّذِي يُعْطِيكَ نَائِلُهُ عَفْوًا وَيُظْلِمُ أَحْيَانًا فَيَظْلِمُ⁵

¹ - المفصل في صناعة الإعراب ص 525.

² - البيت من الطويل للمزاحم العقدي في الكتاب 4/459، وسر صناعة الإعراب 348.

³ - البيت من الطويل لطريف بن تميم العنبري في الكتاب ج 4 ص 458.

⁴ - المفصل في صناعة الإعراب ص 528.

⁵ - البيت من البسيط لزهير ابن أبي سلمى في سر صناعة الإعراب ص 219.

إن هذا الرجل يعطي من غير أن يسأل، وإذا سئل فوق طاقته، فإنه يحتمل الظلم. والشاهد فيه: قوله يظلم؛ فإن أصله يظنلم فقلبت التاء طاء لمجاورتها الطاء، ثم أدغمت في الطاء، وفي حال الإدغام من العرب من يقلب الطاء طاء، ثم يدغم، ومنهم من يدغم الطاء في الطاء على القياس فيصير «يظلم». أما مع الذال فتقلب دالا. قال أبو حكاك:

تَنحِي عَلَى الشُّوكِ جُرَازًا مَقْضَبًا وَالهِزْمَ تُذْرِيهِ اذْدِرَاءً عَجَبًا¹

ومعنى البيت: «أن هذه الناقة تعرض على الشوك أسنانا قاطعة، والهزم تفرقه بمشارفها كما تفرق الريح التراب»². والشاهد فيه قوله: «اذرء» بإظهار التضعيف، وأصله: اذترء قلبت تاؤه دالا. وقد شبهوا تاء الضمير بتاء الافتعال فقال علقمة الفحل:

وَفِي كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَبَطُ بِ نَعْمَةٍ [فَحَقُّ لَشَاسٍ مِنْ نَدَاكَ ذُنُوبٌ]³

إنك لم تخصّ بإكرامك أحدا، ولم يحرم من عطائك قوم؛ فحق لي أن ينالني من عطائك نصيب. والشاهد فيه قوله: «خبط» فإن أصله: خَبَطْتُ حيث قلبت تاء الخطاب طاء تشبيها لها بتاء الافتعال، ثم أدغمت، فصارت خَبَطُ .

الحذف بدل الإدغام:

قال الزمخشري: «وقد عدلوا في بعض مَلَاقِي المثلين أو المتقاربين لإعواز الإدغام إلى الحذف، فقالوا: في «ظَلَلْتُ»، و«مَسَسْتُ»، و«أَحَسَسْتُ»: «ظَلَلْتُ»، و«مَسَسْتُ»، و«أَحَسَسْتُ»⁴.

قال أبو زيد الطائي:

¹ - البيت من الرجز لأبي حكاك في سر صناعة الإعراب ص 187.

² - هامش المفصل في علم العربية ص 403.

³ - البيت من الطويل لعلقمة الفحل في الكتاب ج 4 ص 471.

⁴ - المفصل في صناعة الإعراب ص 531.

[سوى أن العتاق من المطايا] أَحَسَّنَ بِهِ فَهُنَّ إِلَيْهِ شَوْسٌ¹

أي: أن الكريم والأصيل من الإبل والدواب، لما أحسن بالأسد نظرن إليه نظرة غيظ أو تكبر عليه. والشاهد فيه قوله: «أَحَسَّنَ» أصله: أَحَسَسَنَ. فلما لما يكن الإدغام عدلوا إلى الحذف فقالوا: أَحَسَّنَ. وقال القطري بن الفجاء:

غَدَاةٌ طَفَّتْ عَلْمَاءَ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ وَعَاجَتِ صَدُورُ الْخَيْلِ شَطْرَ تَمِيمٍ²

وجاء في شرح شواهد الشافية «البيت من قصيدة عدتها اثنا عشر بيتا لأحد الخوارج قالها في وقعة دولا³ وهزموا أهل البصرة حتى غرق أكثرهم، وعطفوا على بني تميم فأصابوا»⁴. وقوله: وطفت على الماء. أي: علت على الماء؛ حيث الذين غرقوا في الماء من بكر لما فروا من الخوارج. وخلاصة معنى البيت: قتل هؤلاء وقصد أولئك. والشاهد فيه قوله: «عَلْمَاءَ». والأصل على الماء سقطت همزة الوصل من «الماء»، وحذفت ألف على لالتقاءها مع لام المعرفة، فصار اللفظ على عَلمَاءَ، فحذفت لام «على» كراهة اجتماع المثليين، فصار اللفظ في النهاية عَلمَاءَ؛ لأن العرب إذا التقت في مثل هذا اللامان استجازوا حذف إحداهما استئقالا للتضعيف.

إِيَّاكَ وَقَرَأَتْهَا: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾⁵.

قال الزمخشري: «وقرئ: «إِيَّاكَ» بتخفيف الياء، و«إِيَّاكَ» بفتح الهمزة والتشديد

¹ - البيت من الوافر لأبي زيد الطائي في سمط اللالي على الآلي في شرح أمالي القالي لأبي عبيد البكري. نح عبد العزيز الميمني. ص 438

² - البيت من الطويل لقطري بن فجاءة في شرح شافية ابن الحاجب. القسم الثاني الخاص بشرح شواهد. ص 498

³ - دولا³: قرية بقرب الأهواز كانت بها وقعة بين أهل البصرة وأميرهم مسلم بن عبيس وبين الخوارج وأميرهم بن الأرزق.

⁴ - شرح شافية ابن الحاجب للإسترابادي ج 4 ص 498.

⁵ - الفاتحة الآية 5

و«هَيَّاك» بقلب الهمزة هاء¹. ومن هذه القراءات ما ورد في قول الشاعر:

فَهَيَّاكَ وَالْأَمْرَ الَّذِي تَرَاخَبْتِ مَوَارِدُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ مَصَادِرُهُ²

يحذر الشاعر من الأمور الذي يسهل الدخول فيها، غير أن الخروج منها في غاية الصعوبة. والشاهد فيه: قلب همزة إِيَّاكَ هاء، وهي لغة بعض القبائل. وقد أورده المفسر في سياق الإشارة إلى القراءات المتعددة لكلمة «إِيَّاكَ» وبالنظر إلى معنى البيت، وما يحمله من حكمة تتم عن عقل عربي راجح، وتوجيه تربوي يكشف عن تجربة رائدة، نستطيع القول أن الاختيار كان سديداً، والإشارة إلى لغة بعض القبائل العربية كانت مفيدة.

أمين بالمد والقصر:

قال الزمخشري: «أمين: صوت سُمي به الفعل الذي هو «استجب»، كما أن: «رويد» و«حيهل» و«هلم»: أصوات سميت بها الأفعال التي هي: «أمهل»، و«أسرع»، و«أقبل»... وفيه لغتان: مد ألفه وقصرها³. قال مجنون ليلي العامرية:

[يا ربَّ لا تسلبني حبَّها أبدا] وَيَرْحَمُ اللهُ عَبْدًا قَالَ آمِينًا⁴

يدعو الشاعر أن يديم الله حب ليلي له، كما يدعو بالرحمة على من يؤمن على دعائه. والشاهد فيه قوله: «أمين» على زنة «فاعيل» بالمد، وهي اللغة الأوضح. وقد أورده المفسر والذي يليه ليستدل بهما على أن اسم الفعل «أمين» فيه لغتان: إحداهما الواردة في هذا الشاهد، والثانية أمين على وزن فعيل بالقصر أوالتقصير، وهي الواردة في الشطر الثاني من قول الشاعر:

¹ - الكشاف ج 1. ص 31

² - البيت من الطويل لمضرس بن ربيعي في شرح شواهد الشافية ص 476.

³ - الكشاف ج 1 ص 35

⁴ - البيت من البسيط وهو لمجنون ليلي العامرية في ديوانه. دراسة وتعليق يسرى عبد الغني. دار الكتي العلمية. ط 1. بيروت. 1999 ص 31.

[تَبَاعَدَ عَنِّي فَطَحَلْ إِذْ دَعَاؤُهُ] آمِينَ فَزَادَ اللَّهُ مَا بَيْنَنَا بُعْدًا¹

وقد سأل الشاعر فطحلا فأعرض عنه وأبى، فدعا عليه. والشاهد فيه: كما أشرنا إلى ذلك سابقا. قصر أمين، وهو الأصل ثم أشبعت همزته.

الهمز والتسهيل: قال الله تعالى: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾²

هناك من القراء من يهزم الواو في قوله تعالى: ﴿يُوقِنُونَ﴾، ومنهم أبو حية النميري³ فقد «جعل الضمة في جار الواو كأنها فيه، فقلبها قلبَ واو وجوه، ووُوقنتت»⁴. ولهذه القراءة وجه من وجوه العربية إذ يقول الشاعر:

لَحُبِّ الْمُؤَقْدَانِ إِلَيَّ مُؤَسَى وَجَعْدَةٌ إِذَا أَضَاءَهُمَا الْوَقُودُ⁵

حيث يكشف جرير عن مدى تعلقه بولديه موسى وجعدة، وبخاصة إذا علا اللهب فأثار وجهيهما، وزادهما إشراقا. ووجه الاحتجاج فيه قوله: «المؤقدان... مؤسى»، كما همز أبو حية النميري يوقنون. ومنه فالهمز في مثل هذه المواضع عربي صحيح فصيح.

لغات الفعل بقي: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾⁶.

ذكر الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية أنّ الحسن رضي الله قد قرأ «مَا بَقِيَ بِقَلْبِ الْبِئَاءِ أَلْفَا عَلَى لُغَةِ طِيءٍ، وَعَنْهُ مَا بَقِيَ بِيَاءِ سَاكِنَةً»⁷. أي: أن الحسن رضي الله عنه قرأ

¹ البيت من الطويل وهو لجبير ابن الأضبط في إصلاح المنطق. لابن السكيت. تح. أحمد محمد شاكر. وعبد السلام محمد هارون. دار المعارف. ط4. القاهرة. دت. ص179.

² البقرة من الآية 04

³ أبو حية النميري من علماء القرآن والقراءات اسمه الهيثم ابن الربيع أدرك ابن أمية وبنى العباس

⁴ - الكشاف ج1 ص56

⁵ البيت من الوافر لجرير في ديوانه ص147.

⁶ - البقرة من الآية 278.

⁷ - الكشاف ج1 ص299.

﴿مَا بَقِيَ﴾ مرّة بقلب الكسرة فتحة والياء ألفا، ومرّة بتسكين الياء. ويشهد قول جرير الآتي على تسكين الياء:

وهو الخليفةُ فَارْضَوْا مَا رَضِيَ لَكُمْ ماضي العزيمةِ مَا فِي حُكْمِهِ جَنَفٌ¹

أي: هو الخليفة الكامل فارضوا بما يرتضيه لكم؛ لأنه جدير بذلك نافذ الحكم ليس في حكمه ميل عن الحق إلى غيره. والشاهد فيه: تسكين ياء الفعل الناقص «رضي» فإذا كانت القراءة الأولى توافق لغة لطيء ولبعض العرب، فإن القراءة الثانية تعد لغة شاذة².

الفعل حبّ وأحبّ: قال الله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾³.

قال الزمخشري: «وقرئ تحبون ويحببكم ويحبكم من حبه يحبه»⁴. وفي هذا الصدد يقول ابن يعيش: «الفعل حبّ، وهو من المضاعف الذي عينه ولامه من واد واحد، وفيه لغتان: «حببتُ» و«أحببتُ» و«أحببتُ» أكثر في الاستعمال، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ﴾ فهذا من «أحبّ»، فأما حببت فمعند في الأصل ووزنه فعل بفتح العين»⁵. فالملاحظ أن أحبّ الرباعي هي اللغة الغالبة، وأن الثلاثي منه حبّ يحبه بكسر فاء مضارعه نادر سواء من حيث كونه ثلاثيا، أو من جهة فاء مضارعه؛ لأن القياس كما هو معلوم ضم فاء الثلاثي المضاعف المتعدّي في المضارع مثل ردّ يردّ. ومنه فقراءة «يحبون» و«يحبكم» لها وجه من العربية، وإن كان نادرا كما أشرنا. قال الشاعر:

أحبُّ أبا ثروان من حبّ تمره وأعلم أن الرّفقَ بالجار أرفقُ

¹ البيت من البسيط لجرير في ديوانه ص 390

² ينظر الكشف تحقيق. عادل أحمد عبد الموجود. وعلي محمد معوض ج 1 ص 508

³ آل عمران من الآية 31.

⁴ الكشف ج 1 ص 326.

⁵ شرح المفصل ج 4 ص 405.

ووالله لولا تمره ما حببته ولا كان أدنى من عبيد ومشرق¹

فالشاعر في هذين البيتين يذكر ويصدق أنه يحبّ أبا ثروان من أجل حبّ تمره، ويعلم أن الرفق بالجار أشدّ رفقاً، وأنه يقسم بالله لولا تمره ما حبّه، ولا كان أدنى إلى قلبه من ابنه عبيد ومشرق. والشاهد فيهما أحبّ، حببته، بفتح الهمزة من حبّ الثلاثي وأنه متعدّ

حذف التنوين: قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾².

ذكر الزمخشري³ فيما يخص قراءة قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ أن اليزيدي قرأها على الأصل، وأن الأعمش قرأها بطرح التنوين مع النصب. يظهر أن هناك أكثر من قراءة لقوله تعالى: ﴿ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ فقراءة الجمهور بخفض الموت بالإضافة، وقراءة اليزيدي بالتنوين ونصب الموت على المفعولية، وقراءة الأعمش بحذف التنوين لالتقاء الساكنين وهو مراد ونصب الموت على المفعولية. وهذه القراءة الأخيرة تحتاج إلى ما يشهد على توجيهها باعتبار أن القراءة الأولى هي قراءة الجمهور، والثانية هي الأصل وما جاء على أصله لا يحتاج إلى دليل، ومن أجل ذلك أورد الزمخشري، وغيره من اهتموا بتوجيه القراءات القرآنية، والاستدلال على عربيتها قول أبي الأسود الدؤلي:

[فألفيته غير مستعجب] ولا ذاكرَ الله إلا قليلاً⁴

يتحدث أبو الأسود الدؤلي عن امرأة تزوجها فوجد فيها غير ما توقع منها، وقد كتّى بضمير المذكر عنها استحياء. والشاهد فيه: ولا ذاكرَ الله حذف تنوينه وهو مراد، مع أنه غير مضاف لالتقاء الساكنين، ونصب لفظ الجلالة الله بذاكر، وهو نظير قوله تعالى: ﴿ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾.

¹ - البيتان من الطويل لغيلان النهشلي في لسان العرب (حبّ) وشرح المفصل ج 4 ص 405.

² - آل عمران من الآية 185.

³ - الكشاف ج 1 ص 408

⁴ - البيت من المتقارب لأبي الأسود الدؤلي في ديوانه ص 54

تسكين عين الفعل:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾¹.

قال الزمخشري: «وقرئ لَعَلِمَهُ بِإِسْكَانِ اللَّامِ»². وقال صاحب الدرّ المصون: «وقرأ أبو السّمّال لَعَلِمَهُ بِسُكُونِ اللَّامِ قال ابن عطية: «هو كتسكين ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾»³. وليس مثله؛ لأنّ تسكين فعل بكسر العين مقيس، وتسكين مفتوحها شاذ»⁴. وهذا يعني أنّ كلّ فعل على فَعَلٍ يمكن تسكين عينه؛ ولذا قرأ أبو السّمّال «لَعَلِمَهُ»، وإن كان تسكين العين لا يجوز عند إسناد الفعل إلى ضمائر الرّفْع لالتقاء الساكنين. ومما يدلّ على أنّ تسكين وسط الفعل الثلاثي من باب فعل مقيس هو كثرة الشّواهد، منها قول الأخطل:

فإنَّ أَهْجَهُ يَضْجُرُ كَمَا ضَجَرَ بَازِلٌ من الأدم دبّرت صفحتاه وعرّبه⁵

إذ يقول: «إذا ما قلت شعرا أعدد مساوئه وعيوبه يتبرّم، وتضيق نفسه، كما يضيق البعير الفتّيّ الأسمر عندما يتقرّح جسمه من الأعلى ومن الجانبين»⁶. والشّاهد فيه: ضجّر دبّرت حيث سكن وسطه؛ لأنّهما من باب فعل، وهذا له صلة بقراءة ابن السّمّال «لَعَلِمَهُ».

¹ - النساء، من الآية 83.

² - الكشف، ج 1، ص 482.

³ - المحرر الوجيز، ج 2، ص 84.

⁴ - الدرّ المصون، ج 4، ص 52.

⁵ - البيت من الطّويل للأخطل في لسان العرب مادة (ضجر).

⁶ - شرح المفصل، ج 4، ص 391.

الإشباع: قال الله تعالى: ﴿وَتَحْتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾¹

ذكر الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية أنّ الحسن رضي الله عنه قد قرأ وتحتون بفتح الحاء، وتحتاتون بإشباع الفتحة². ثم استشهد على ذلك بقول الشاعر عنتره واصفا عرق ناقته من السير:

ينباع من ذفري أسيل حُرّة [زيّافة مثل الفئيق المكرم]³

والشاهد فيه: إشباع فتحة الباء فتولد منها ألف؛ فصارت ينباع كتحتاتون، وقد عبّر ابن جنّي عن هذا الأسلوب بمطل الحركات فقال: «وإذا فعلت العرب ذلك أنشأت عن الحركة الحرف من جنسها فتنشئ بعد الفتحة الألف، وبعد الكسرة الياء، وبعد الضمة الواو»⁴. وقد أورد عدة شواهد على مطل الفتحة والكسرة والضمة، ولكن يبدو أنّ هذا الإشباع مرهون في الشعر لإقامة الوزن «ألا ترى لو قال ينبع من ذفري لصحّ الوزن إلا أنّ فيه زحافا هو الخزل»⁵.

إجراء الوصل مجرى الوقف: قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾⁶

قال الزمخشري: «وقرئ نُحدث وتُحدث بالنون والتاء، أي تُحدث أنت، وسكّن بعضهم

التاء للتخفيف»¹. وهذا يعني أن قوله تعالى: ﴿يُحْدِثُ﴾ قد قرئ بضم لام الفعل، وهي قراءة الجماعة، وقرئ بالنون نحدث، وبالتاء تحدث، كما قرئ بتسكين لام الفعل، وقد «خُرِّجَ

¹ - الأعراف، من الآية 74.

² - الكشاف، ج 2، ص 34.

³ - البيت من الكامل لعنترة بن شدّاد، في ديوانه 166.

⁴ - الخصائص، ج 3، ص 121.

⁵ - المصدر نفسه، ج 3، ص 193.

⁶ - طه الآية 113.

على إجراء الوصل مجرى الوقف، أو على تسكين الفعل استئقالا للحركة»². فلا ضير وقد فعل ذلك امرؤ القيس إذا يقول:

فَالْيَوْمَ أَشْرَبُ غَيْرَ مُسْتَحْقَبٍ إِثْمًا مِّنَ اللَّهِ وَلَا وَاعِلٍ³

قال هذا «وقد نذر ألا يشرب حَمْرًا حتى يأخذ بثأر أبيه الذي قتله بنو أسد، وهو ملك عليهم، وما زال حتى وقى بيمينه، فقتل عددًا منهم»⁴. والشاهد فيه: تسكين أشرب بدون جازم، ولعله للتأكيد استئقالا للحركة، أو على أساس إجراء الوصل مجرى الوقف.

الاجتزاء بالضمّة عن الواو: قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾⁵

قال الزمخشري: ﴿أَفْلَحَ﴾ دخل في الفلاح كأبشر: دخل في البشارة ويقال: أفلحه: أصاره إلى الفلاح، وعليه قراءة طلحة بن مصرف أفلح على البناء للمفعول، وعنه أفلحوا على: أكلوني البراغيث، أو على الإبهام والتفسير، وعنه أفلح بضمّة بغير واو، اجتزاء بها عنهما»⁶. فقراءة طلحة بن مصرف «أفلح بفتح الهمزة واللام وضمّ الحاء، وتخريجها على أنّ الأصل: أفلحوا المؤمنون. بلحاق علامة جمع قبل الفاعل كلغة: أكلوني البراغيث»⁷ فالواو حذفت، كما قال الزمخشري اجتزاء بالضمّة عنها. وقد نظرّها بقول الشاعر:

فَلَوْ أَنَّ الْأَطِبَّاءَ كَانُوا حَوْلِي [وكان مع الأطباء الأساءة]⁸

فالأصل كانوا حولي فحذف واو كانوا، وهمزة الأطباء لضرورة الوزن، ولكن كيف يصح

¹ - الكشاف ج3، ص80.

² - الدار المصون ج8، ص110.

³ - البيت السريع لامرؤ القيس في ديوانه ص523

⁴ - الكشاف ج3، ص80.

⁵ - المؤمنون الآية 01.

⁶ - الكشاف ج3، ص155.

⁷ - الدار المصون ج8، ص314.

⁸ - البيت من الوافر بلا نسبة. في الكشاف ج3، ص155

تنظير الآية بالبيت؟ والحال أن حذف الواو «من الآية ضروري، ومن البيت ضرورة»¹.

حذف نون التوكيد الخفيفة: قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾².

قال الزمخشري: «وقرئ ﴿لَيَبْغِي﴾ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة، وحذفها كقوله:

اضربَ عنك الهموم طارقها [ضربك بالسيف قونس الفرس]³»⁴

أي: اصرف عن نفسك هموم الحياة، كما تضرب نتوء أذني الفرس ليستقيم. والشاهد فيه: حذف النون الخفيفة، ولو لم يكن بعدها ساكن على توهم الساكن.

الترخيم: قال الله تعالى: ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾⁵

قال الزمخشري: «وقرأ عليّ وابن مسعود رضي الله عنهما «يامالٍ» بحذف الكاف للترخيم»⁶. وأصل الترخيم «من قولهم: «صوت رخيم» إذا كان لنا ضعيفا، والترخيم ضعف في الاسم، ونقص له عن تمام الصوت»⁷. وقال الشاعر:

[يحيي رفات العظام بالية] والحق يا مالٍ غير ما تصف⁸

أي: يحيي الله المتفتت من العظام حال كونها بالية، والحق غير ما تذكره يا مالك. والشاهد فيه: ترخيم يا مالك بحذف الكاف على لغة من ينتظر.

¹ - الدار المصون ج8، ص315.

² - سورة ص من الآية 24.

³ - البيت من المنسرح لطرفة بن العبد في الدر المصون. ج9. ص371

⁴ - الكشف ج4 ص82.

⁵ - الزخرف من الآية 77

⁶ - الكشف ج4 ص231.

⁷ - شرح المفصل لابن يعيش ج1 ص374.

⁸ - البيت في المنسرح لعمر بن امرئ القيس في لسان العرب (فجر)

الفصل الثالث: شواهد المستوى الصرفي

- وقوع العلم جملة
- إجراء المعاني مجرى الأعيان
- تأويل العلم
- تعريف المبني والمجموع من الأعلام
- الاسم الثلاثي الساكن الوسط ومنعه من الصرف
- المثني
- تثنية المحذوف لامه
- تثنية الجمع
- جعل المثني على لفظ الجمع
- أوزان الثلاثي
- جمع المؤنث الثلاثي الساكن الوسط المعتله المنتهي بالتاء
- حكم المؤنث الساكن الوسط غير المنتهي بالتاء
- جمع ما وزنه أفعل
- المؤنث الحقيقي والمؤنث المجازي
- حكم الفعل المسند إلى ضمير الجمع في التذكير والتأنيث
- النسبة إلى المسمى بلفظ مثني
- النسبة إلى المنقوص
- النسبة إلى المضاف
- ما شذَّ في النسبة عن القياس
- الاجتزاء بلفظ الفرد عن الجمع
- حكم العقود في التذكير والتأنيث
- الاسم الممدود القياسي
- مصدر الفعل الثلاثي المزيد فيه والرباعي المجرد
- المصدر على وزن الفاعل والمفعول
- بناء المصدر من المعتل اللام من فعَل
- حذف « مِنْ » من أفْعَل التفضيل
- استخدام « دنيا » و « جُلِّي »، بغير « الـ »
- اشتقاق اسمي الزمان والمكان من الثلاثي المزيد فيه والرباعي

- فعلا المدح والذم
- تأنيث ((نعم)) وتنكيره
- الفعل ((حبّ))
- من معاني تفعل
- من معاني تفاعل
- تصحيح العين شذوذا
- إعلال اسم المفعول
- رأي سيبويه والأخفش في المعتل العين بالياء الساكنة التي قبلها ضمة
- إعلال الاسم الثلاثي المجرد
- من أحكام الإعلال
- الإعلال في الجمع
- جمع ما آخره واو
- جمع المعتل الآخر على فعول
- مجيء الإدغام بدل الإعلال
- إنابة المفرد عن الجمع
- حكم الفعل المسند إلى ضمير الجمع
- اشتقاق الفعل من الاسم الجامد
- معاني الزيادة في مزيد فعّل
- ضم عين مضارع صار وكسرها
- حذف فاء الفعل المثال
- تفعل بمعنى استفعل
- توحيد الزّاجع إلى المثني
- الإصباح أم الأصباح
- طائف أم طئف
- فعل وأفعل بمعنى واحد
- جمع الجمع
- أفراد الضمير العائد إل المثني
- المصدر الميمي
- مؤنث فعل
- عودة الضمير المؤنث على شيء مذكر

- وصف الواحد بالجمع
- فعيل بمعنى فعل
- اسم الجمع
- مصدر فعّل
- مصدر الثلاثي المزيد بحرف
- تصغير الثلاثي
- الإعلال بالحذف

بالنظر إلى أهمية المستوى الصرفي باعتبار أن المبنى الصرفي أساسي في فهم المعاني الصرفية، والنحوية على السواء، فإني حاولت تخصيص هذا الفصل لدراسة الأبيات الشعرية التي أوردها الزمخشري شاهدة على الظواهر الصرفية الآتية:

وقوع العلم جملة:

الاسم العلم «ماعلق على شيء بعينه غير متناول ما أشبهه»¹ وهو على ثلاثة أصناف: اسم، أو كنية، أو لقب، كما ينقسم إلى مفرد، ومركب، ومنقول، ومرتل. أما المركب فنوعان: إما جملة وإما غير جملة. ويشهد على وقوع العلم جملة، كما أورده الزمخشري، قول الشاعر:

نُبِّئْتُ أَحْوَالي بَنِي يَزِيدُ ظُلْمًا عَلَيْنَا لَهُمْ قَدِيدٌ²

وفيه يقول: أخبرت أن بني يزيد، وهم أقربائي يكثرون من الصياح علينا؛ بغية إلحاق الأذى بنا، وظلمهم علينا. والشاهد فيه قوله: «يزيد»، وهو اسم علم مركب من فعل مضارع ماضيه «زاد»، مشتمل على ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو؛ وبالتالي فهو منقول من جملة فعلية مركبة من فعل وفاعل، وينبغي الإشارة إلى أن «يزيد» دون شكل، أو دون الاعتماد على الرواية الشفوية، لا يمكن أن نميز بين كونها مركبا إسناديا، أم هي من قبيل ما لا ينصرف؛ لأن «يزيد» بالضم يعني «أنه قدره منقولا من قولك: المال يزيد، ولو قدر منقولا من قولك: يزيد المال لأعربه، فقال: بني يزيد، بالفتح»³. أما من حيث «يزيد» أم «تزيد» فإن ابن يعيش يقول: «صوابه بالتاء المعجمة بثنتين من فوقها، وهو: «تزيد بن

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 34

² - البيت من الرجز لرؤبة بن العجاج في ملحق ديوانه. تح. وليم بن الورد البروسي. دار ابن قتيبة للطباعة. الكويت.

د. ط. د. ت. ص 172

³ - تخليص الشواهد لابن هشام. تح. عباس مصطفى الصالحي. دار الكتاب العربي. لبنان. ط 1. 1986. ص 97

حلوان» أبو قبيلة معروفة، إليه تنسب البرود التزيدية.¹ إلا أنّ قوله هذا مردود من وجهين: أن الرواية في الشاهد بالياء، وأن «تزيد» مفرد لا جملة بدليل قول الشاعر:

يَعْتُرْنَ فِي حَدِّ الطُّبَاتِ كَأَتَمًا كُسَيْتُ بُرُودَ بَنِي تَزِيدِ الأَذْرَعِ²

أما المنقول فهو أنواع: منقول من اسم عين، ومنقول من اسم معنى، ومنقول عن صفة ومنقول عن فعل ماض، أو مضارع، أو أمر. وذكر الزمخشري من الأبيات الشاهدة على نقله عن فعل أمر قول الراعي:

أَثَلَى سَلُوقِيَّةً بَاتَتْ وَبَاتَ بِهَا بَوَحْشٍ إِصْمِتَ فِي أَصْلَابِهَا أَوْدُ³

إذ يقول: إن الصياد قد أغرى كلابه السلوقية؛ فباتت تلك الكلاب المحدودة، وبات الصياد بذلك الموضع المسمى «إِصْمِتَ» يطارد وحوشها. والشاهد فيه قوله: «إِصْمِتَ» وهو اسم علم منقول عن فعل أمر، كما يعتبر البيت شاهداً على التنازع على مذهب البصريين.

وإذا كان الزمخشري قد اكتفى بالاستشهاد عن نقل فعل الأمر دون الفعل الماضي، أو المضارع؛ فإن ذلك يعود في اعتقادي إلى شيوع النقل عن الماضي والمضارع حيث اكتفى بالتمثيل: إما ماض ك «شَمَّرَ» و «كَعَسَبَ»، ومضارع ك «تَغَلَّبَ» و «يَشْكُرُ»، أما الأمر فليس كذلك؛ ولذا احتاج إلى دليل، مع أن ابن يعيش في شرحه للمفصل قد ذكر لكل نوع من أنواع الفعل شاهداً. أمّا فيما يخص عين الفعل صَمَتَ في المضارع، وهمزة القطع في أمره «إِصْمِتَ» «فالمسموع في مضارع «صَمَتَ يَصْمُتُ» بالضم. والكسر هنا إما أن يكون لغة أو من تغيير الأسماء، كما قطعت الهمزة في التسمية»⁴. وللتأكيد على صحة استعمال

¹ - شرح المفصل لابن يعيش ج1 ص97

² - البيت من الكامل وهو لأبي ذؤيب الهذلي في سر صناعة الاعراب لابن جني. ج1. ص134

³ - البيت من البسيط لعبيد بن حصين النميري الملقب بالراعي في ديوانه. تح. رابنهرت قايرت. دار النشر. بيروت. دط.

1980. ص69

⁴ - شرح المفصل لابن يعيش. ج1. ص103

هذا النوع من النقل عن فعل الأمر، لم يكتف الزمخشري بالشاهد السابق، فأضاف شاهداً ثانياً، وهو قول الهذلي:

عَلَى أَطْرَقًا بِالْيَاثِ الْخِيَامِ إِلَّا الثَّمَامُ وَإِلَّا الْعِصِيَّ¹

أي: أنه عرف ديار محبوبته على هذه المفازة، وقد بليت خيامها، ولم يبق منها إلا الثَّمَامُ وَالْعِصِيَّ. والشاهد فيه قوله: «أطرقاً»، وهو اسم علم لموضع، أصله فعل أمر، كما يعتبر البيت شاهداً على العطف على المعنى، وتوهم اللفظ؛ لأنه من نصب الثمام، ورفع العصي حمله على المعنى، وذلك أنه لما قال: بليت إلا الثمام، كان معناه بقي الثمام، فعطف على هذا المعنى، وتوهم اللفظ. والملاحظ أن الزمخشري قد أورد الشاهد على جهة كون «أطرقاً» أمراً، ولو أوردته على جهة كونه أنه مركب من حيث هو جملة تتكون من فعل وفاعل لجاز ذلك أيضاً، كما يلاحظ أن «أطرقاً»، أصبحت «اسم علم على المفازة من أطرق، أي اسكت، وانظر إلى الأرض، كأن السائر فيها يقول لرفيقه: اسكتا، وانظرا إلى الأرض لئلا تضلا وتهلكا»²، كما يمكن القول أنه كان في إمكان الزمخشري أن يكتفي بـ «إصميت»، واعتبار «أطرقاً» جملة، أولى من اسم مفرد، حتى يتجنب التكرار.

إجراء المعاني مجرى الأعيان:

يقول ابن يعيش: «اعلم أنهم قد علقوا الأعلام على المعاني أيضاً، كما علقوها على الأعيان إلا أن تعليقها على المعاني أقل، وذلك لأن الغرض منها التعريف، والأعيان أعقد في التعريف من المعاني»³، ولذلك «سموا التسبيح بـ«سبحان»، والمنية بـ«شعوب» و«أم

¹ - البيت من المتقارب لابي ذؤيب الهذلي في خزنة الأدب ج2. ص317 .

² - المفضل في شرح أبيات المفضل. محمد بدر الدين أبي فراس النعساني الحلبي في هامش المفضل في علم العربية.

للزمخشري. دار الجيل لبنان . ط2 . د.ت . ص8

³ - شرح المفضل لابن يعيش ج1. ص119

قشعم»، والغدر بـ(كيسان)، وهو في لغة بني فهم¹. ومن الأبيات التي تشهد على تعليقهم الأعلام على المعاني قول الشاعر:

إِذَا مَا دَعَوْا كَيْسَانَ كَانَتْ كُهُولُهُمْ إِلَى الْغَدْرِ أَدْنَى مِنْ شَبَابِهِمُ الْمُرْدِ²

يهجو الشاعر حيا من أحياء بني تميم كانوا يسمون الغدر في جاهليتهم كيسان، حيث كان كهولهم أهل الوقار أسرع إلى الغدر من شبابهم المرد. والشاهد فيه قوله: (كيسان) حيث استعمله اسما للغدر مجريا اسم المعنى الغدر مجرى اسم العين، ومما يدل على علمية (كيسان)، وروده ممنوعا من الصرف للعلمية والألف والنون، وفيه توجيهان: بالنصب مفعول به، وبالرفع منادى مبني على الضم في محل نصب. أما نسبه إلى لغة بني فهم فالمؤكد مما ذكره المؤرخون أن هذه القبيلة تعد من أفصح العرب، ومن أقرب القبائل في لهجتهم إلى لغة قريش، منهم الشاعر (تأبط شرا) الصعلوك المشهور.

ومن إجرائهم المعاني مجرى الأعيان أيضا أنهم «كنُوا الضربة بالرجل على مؤخر الإنسان بـ (أم كيسان)، والميرة بـ (برة)، والفجرة بـ (فجار)، والكلية بـ (زوبر)». ³ والشاهد على تكتيتهم (الكلية) بـ (زوبر) قول الطرماح:

إِذَا قَالَ غَاوٍ مِنْ تَنُوحٍ قَصِيدَةً بِهَا جَرَبٌ عُدَّتْ عَلَيَّ بِزُوبَرًا⁴

حيث يعجب كيف ينسب إليه من القصائد المعيبة بكاملها ما ليس له، ولم يصدر عنه! والشاهد فيه قوله: (زوبر) حيث كُتِيَ عن الكلية بزوبر، فأصبحت اسم علم، ولم تصرف للعلمية والتأنيث المعنوي، مع أن الكلية من المعاني، كما يعد هذا البيت حجة على الابتداء بالنكرة، وعلى حذف ياء المنقوص في حالتها الرفع والتكثير. وجاء في لسان العرب «وقال محمد بن حبيب: الزوبر الداهية، قال ابن بري: الذي منع (زوبر) من الصرف أنه اسم علم للكلية مؤنث، قال: ولم يسمع بـ (زوبر) هذا إلا في شعره (يقصد ابن الأحمر

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 38

² - البيت من الطويل للنمر بن تولب في ديوانه. تح. محمد نبيل طريقي. دار صادر. بيروت. ط. 1. 2000. ص 60

³ - المفصل في صنعة الإعراب. ص 38

⁴ - البيت من الطويل لابن الأحمر في ديوانه. تح. حسين عطوان. م. مجمع اللغة العربية. دمشق. د. ط. د. ت. ص 85

قائل البيت)»¹. ومما ينبغي الإشارة إليه أيضا، أن البيت الشاهد مختلف في روايته، ففي رواية «غاوٍ من تنوخ» وهي إحدى قبائل اليمن، وفي أخرى «غاوٍ من معد»، وأرى أنه لا تضارب بين الروایتين، ولا خلل في التفعيلة؛ لأن من ذكر تنوخ كان يشير الى حلف تنوخ الذي يضم مجموعة من قبائل العرب، منهم قبيلة معد، ومن ذكر معد، فكان يقصد معد بعينها، وهي جزء من حلف تنوخ.

تأويل العلم:

قد أولوا العلم «بواحد الأمة المسماة به، فلذلك من التأول يُجرى مُجرى (رجل) و(فرس) فيجتراً على إضافته، وإدخال اللام عليه»²؛ لأن العلم الخاص «لا يجوز إضافته، ولا إدخال لام التعريف فيه، لاستغنائه بتعريف العلمية عن تعريف آخر، إلا أنه ربما شورك في اسمه أو اعتُقد ذلك، فيخرج عن أن يكون معرفة، ويصير من أمة كل واحد له مثل اسمه ويجري حينئذ مُجرى الأسماء الشائعة»³. مما يمكن إضافته، وإدخال الألف واللام عليه. وقد أورد الزمخشري من الأبيات ما يشهد على صحة هذا الاستعمال، فذكر قول الشاعر:

عَلَا زَيْدُنَا يَوْمَ النَّقَا رَأْسَ زَيْدِكُمْ بِأَبْيَضَ مَاضِي الشَّفْرَتَيْنِ يَمَانٍ⁴

ومعناه فلا فخر بقتل زيدنا بزيدكم؛ لأنه جرى ذلك بحكم قضائي، وبعد مدة، فلا يكون مثل قتل زيدكم يوم النقا من قوة البأس والشجاعة، «وذلك أن رجلا من طي يقال له عروة بن زيد الخيل قتل رجلا من بني أسد يقال له زيد، ثم أقيد به بعد»⁵. والشاهد في هذا البيت قوله: «زيدنا... زيدكم» حيث أجرى زيدا في الموضوعين مجري النكرات، ثم عرفه بإضافته إلى الضمير. إلا أن هناك من النحاة من اعتبر ذلك من قبيل إضافة الموصوف

¹ - لسان العرب مادة ((زير))

² - المفصل في صنعة الإعراب. ص 40

³ - شرح المفصل لابن يعيش ج 1. ص 134

⁴ - البيت من الطويل لرجل من طي في المغني. لابن هشام. ج 1. ص 328

⁵ - مغني اللبيب. لابن هشام. تح عبد اللطيف محمد الخطيب. التراث العربي. ط 1. الكويت. 2000 ج 1 ص 328

إلى القائم مقام الوصف؛ أي علا زيد صاحبنا زيد صاحبكم. إلا أن الرضي صاحب شرح الكافية ذهب إلى أنه يجوز أن يضاف العلم مع بقاء تعريفه، فلا مانع من اجتماع التعريفين. كما يعتبر البيت شاهداً على النسب إلى اليمن حيث قالوا: في المنسوب إليه يمان، باعتبار أن الألف عوض عن ياء النسبة. ثم ذكر قول أبي النجم:

بَاعَدَ أُمَّ الْعَمْرُو مِنْ أُسَيْرِهَا حُرَّاسُ أَبْوَابٍ عَلَى قُصُورِهَا¹

ومعناه لقد أبعدني حراس القصر عن أم العمرو، وأوصدوا الأبواب دوني، وأحكموا غلقها. والشاهد فيه قوله: «أم العمرو» حيث عرف العلم عمرو بزيادة «أل» عليه، وذلك لتقديره أنه من الأسماء الشائعة. ومما يسجل من خلال هذا البيت، أن الفعل باعد وأبعد بمعنى واحد. وذكر أيضاً قول الشاعر:

رَأَيْتُ الْوَلِيدَ بْنَ الْيَزِيدِ مُبَارَكًا شَدِيدًا بِأَحْنَاءِ الْخِلَافَةِ كَاهِلُهُ²

يرى الشاعر أن الوليد بن يزيد رجل مبارك، وجدير بتحمل أعباء الخلافة. والشاهد فيه قوله: «الوليد بن اليزيد» حيث أدخل عليهما «أل» وذلك لتقدير شيوعهما «إلا أن ابن يعيش³ يعتبر أن الوليد من باب الحسن والعباس، وليس مما فيه تأويل؛ لأن تعريفه بالعلمية، «وإنما دخلت اللام، لأنها كانت ثابتة فيها قبل النقل، فأقرت بعده إيذاناً بالوصفية.»⁴ ومن ذلك أيضاً قول الأخطل:

وَقَدْ كَانَ مِنْهُمْ حَاجِبٌ وَابْنُ أُمَّه أَبُو جَنْدَلٍ وَالزَّيْدُ زَيْدُ الْمَعَارِفِ⁵

فإذا كان حاجب اسم رجل، وأبو جندل كنية رجل آخر، فإن الزيد اسم رجل من هؤلاء الجماعة، وهو موضع الشاهد حيث عرفه بـ «أل» لتقدير التكرير فيه.

¹ البيت من الرجز لأبي النجم في شرح المفصل لابن يعيش. ج 1. ص 44، وبلا نسبة في لسان العرب مادة (وبر)

² البيت من الطويل لابن ميادة في ديوانه. تح. حنا جميل حداد. مطبوعات المجمع اللغة العربية. دمشق. د. ط.

1982. ص 192

³ ينظر شرح المفصل لابن يعيش ج 1. ص 135

⁴ شرح المفصل لابن يعيش. ج 1. ص 139

⁵ البيت من الطويل للأخطل في شرح المفصل لابن يعيش. ج 1. ص 44

ويبدو من خلال استعراض هذه الشواهد الأربعة الخاصة بتأويل العلم، أن الزمخشري اكتفى بشاهد واحد حول التعريف بالإضافة، والباقي حول التعريف بـ«أل»، مع أن إدخال اللام على العلم ليس مطرداً، كاطراد الإضافة في الأعلام، بل ورد في الشعر وبقلة¹. وهذا ما جعل الزمخشري يكثر من ذكر شواهد التعريف بـ«أل»، ويتنوع في الأعلام: العمرو الوليد، اليزيد، الزيد، كأني به يريد أن يثبت أن تعريف الأعلام بـ«أل» على قلته عربي فصيح لا يأباه القياس.

تعريف المبني والمجموع من الأعلام:

قال الزمخشري «وكل مثني أو مجموع من الأعلام فتعريفه باللام»²، والشاهد على ذلك قول الشاعر:

وقبلي مات الخالدان كلاًهما عميد بني جحوان وابن المضلل³

إذ يقول: إذا دنا يومي، واقترب أجلي، فلست بأول الموتى، وقد مات قبلي الخالدان: خالد بن فضلة، وخالد بن قيس بن المضلل، وهما سيدان عظيمان من بني أسد. والشاهد فيه «أنه لما ثنى الخالدان تنكراً، ولما أريد تعريفهما عرفهما بـ«أل» فصار تعريفهما بعد التثنية تعريف عهد، بعد أن كان تعريف علمية»⁴. باعتبار أن العلم إذا تثنيته «تتكر وزال عنه تعريف العلمية لمشاركة غيره له في اسمه، وصيرورته بلفظ لم يقع به التسمية في الأصل، فيجري مجرى «رجل» و«فرس»⁵. ومن ذلك أيضاً السعديين في قول الشاعر:

أنا ابن سعاد أكرم السعدينا⁶

¹ - ينظر شرح المفصل. ج 1 ص 137 - 138

² - المفصل في صنعة الإعراب ص 42

³ - البيت من الطويل للأسود بن يعفر في لسان العرب مادة (خلد)

⁴ - شرح المفصل لابن يعيش ج 1. ص 143

⁵ - المصدر نفسه. ج 1 ص 140

⁶ - البيت من الرجز لرؤية في الكتاب ج 2 ص 153، وشرح المفصل ج 1 ص 139

إذ يقول: مفتخرا أنا ابن سعد أكرم من تُسمى بهذا الاسم، وذلك؛ لأن «السعود في العرب كثير؛ منهم: سعد بن مالك في ربيعة، وسعد بن ذبيان في غطفان، وسعد بن بكر في هوازن، وسعد بن هُذيم في قضاة»¹. مع العلم أن الشاعر رؤية من بني سعد بن زيد مناة بن تميم. والشاهد فيه «السعدين» حيث عرف العلم المجموع بـ «أل» بعد أن تتكرر وفارق التعريف بالعلمية، ويلاحظ أن أكرم يجوز نصبه وجره، فإن نصب فهو على المدح؛ أي أمدح أكرم السعدين، ويعرب مفعولا به، وإن جر فهو على النعت مع أن الرواية بالفتح، وهي أبلغ دلالة، وبخاصة الشاعر في مقام مدح وفخر. وإذا اعتبرنا أن كل علم إذا ثني أو جمع، فإنه ينكر ويصبح في حاجة إلى تعريف ثان، فإنه قد جاءت أعلام معارف بلفظ التثنية والجمع نحو: أبانين، عمايتين، عرفات، أذرعات. وما يلاحظ أيضا أن أغلب الشواهد المختارة في هذا الباب، اهتمت بتصوير الجوانب السلبية من حياة العرب: صياح، وحشة، خوف، غدر، قتل...

الاسم الثلاثي الساكن الوسط ومنعه من الصرف:

الاسم لا ينصرف «متى اجتمع فيه اثنان من أسباب تسعة، أو تكرر واحد منها»². لكن « ما فيه سببان من الثلاثي الساكن الحشو، كـ «نوح»، «لوط» منصرف في اللغة الفصيحة التي عليها التنزيل، لمقاومة السكون أحد السببين، وقوم يجرونه على القياس، فلا يصرفونه»³.

ومن الأبيات التي أوردها الزمخشري شاهدة على الجمع بين صرف الاسم، ومنعه من الصرف في أن واحد قول الشاعر:

لَم تَلْفَعْ بِفَضْلِ مِئْزَرِهَا دَعْدُ وَلَمْ تُسَقِّ دَعْدُ فِي الْعَلْبِ⁴

¹ - شرح المفصل لابن يعيش ج 1. ص 144

² - المفصل في صنعة الإعراب ص 44

³ - المصدر نفسه ص 45

⁴ - البيت من المنسرح لجريير في ديوانه. تح. محمد إسماعيل عبد الله الصاوي. مطبعة الصاوي. ط 1. د.ت. ص 82

أي أنها لم تغط وجهها بما يفضل من مئزرها عن جسمها، بل لها نقاب وبرقع، ولا تشرب من العلب، وإنما تشرب من الكأس، فهي من قوم ذوي غنى وشرف، فالملاحظ أن مضمون هذا البيت يعكس جانبا من حياة العرب الاجتماعية التي توصف بالتحضر ورقة العيش. والشاهد فيه قوله: «دعد»، «دعد» حيث جمع ما بين صرفها، ومنعها من الصرف ومنه فكلا الأمرين جائز باعتبار أن الذين قالوا بصرفها أرجعوا ذلك إلى مقاومة السكون أحد السببين؛ أي: أنهم صرفوا هذا النوع من الأعلام لخفته بسكون وسطه، فكأن الخفة قاومت أحد السببين، فبقي سبب واحد فانصرف، أما الذين قالوا بمنع صرفها، فقد أجروها على القياس. إلا أن ابن يعيش يرى أن صاحب الكتاب (الزمخشري) لم يفرق بين «هند» و«جمل» وبين «لوط»، و«نوح»، وجعل حكم «نوح»، و«لوط» في الصرف ومنعه ك«هند» و«دعد»؛ وهو القياس إلا أن المسموع ما ذكرنا¹. حيث المسموع عن العرب أن مثل «هند» و«دعد» يجوز فيه الصرف والمنع، وفي مثل «نوح» و«لوط» الصرف فقط.

المثنى:

بعد أن عرّف الزمخشري المثنى ذكر أنه «من شأنه إذا لم يكن مثنى منقوص أن تبقى صيغة المفرد فيه محفوظة، ولا تسقط تاء التانيث إلا في كلمتين: خصيان وآليان»².
والدليل على ذلك ما يأتي:

1- كَأَنَّ حُصْيَيْهِ مِنَ التَّادُلِ ظَرْفُ عَجُوزٍ، فِيهِ ثِنْتَا حَنْظَلٍ³

شبه الشاعر خصيتي هذا الشيخ بظرف عجز فيه حنظلتان، وخص العجز؛ لأنها لا تدخر في جرابها إلا الحنظل، ونحوه من الأدوية، وذلك حين شأخت. والشاهد فيه: أنه

¹ - شرح المفصل لابن يعيش ج 1. ص 194

² - المفصل في صنعة الإعراب ص 223.

³ - البيت من الرجز لخطام المشاجعي، أو لجندل بن المثنى، أو لسلمى الهذلية، أو للشما الهذلية في خزنة الأدب.

قال: (لخصييه) حيث حذف التاء في التثنية، وهو شذوذ في القياس دون الاستعمال، كما أن هناك شذوذاً آخر في قوله: تَنَّا حنظل، والقياس أن يقول: حنظلتان.

2- تَرْتَجُ أَلْيَاهُ ارْتِجَاجِ الوَطْبِ¹

يصف الشاعر هذا الرجل بعظم الكفل، وارتخاء اللحم تتحرك إلياته تحرك سقاء اللبن. والشاهد فيه: أنه قال: (ألياه) بحذف التاء، وكان القياس أن يقول: ألياته، وهو شذوذ في القياس دون الاستعمال أيضاً.

تثنية المحذوف لامه:

قال الزمخشري: «والمحذوف العجز يرد إلى الأصل، ولا يُرَدُّ»². أي: ضرب منه يرد عجزه المحذوف مثل: أخ وأخوان، وضرب لا يرد مثل: يدٌ ويدان. إلا أنه قد ورد عن العرب: يديان، بردٌ لامه شذوذاً، كما قالوا: دميان.

1- يَدَيَانِ بِيضَاوَانٍ عِنْدَ مُحَلِّمٍ [قد تمنعانك أن تضاماً وتضهداً]³

ومعناه: للملك مُحَلِّمٌ يدان: الجود والكرم تمنعان عنك أن تضام، وأن تظلم. والشاهد فيه: أنه ثنى اليد على «يديان»، فرد لامه شذوذاً أي: ثنى اليد برد الساقط مع أنها لا ترد عند الإضافة. وقد حمله البصريون على القلة والشذوذ، وجعلوه من قبل الضرورة، ويقول ابن يعيش «والذي أراه أن بعض العرب يقول في اليد: (يدى) في الأحوال كلها، يجعله مقصوراً كـ (رحى)، و«فتى» مثل ذلك قول الراجز:

يا رُبَّ سَارٍ باتَ ما تَوَسَّداً إلا ذارعَ العَنَسِ أو كَفَّ اليَدَا⁴

2- ولو أنا على حجرٍ ذُبِحْنَا جَرَى الدَّمْيَانِ بِالخَبَرِ اليَقِينِ⁵

¹ - البيت من الرجز بلا نسبة في خزنة الأدب 7/528، 525، 507.

² - المفصل في صنعة الإعراب ص 225

³ - البيت من الكامل بلا نسبة في خزنة الأدب ج 7 ص 476.

⁴ - شرح المفصل لابن يعيش ج 3 ص 205.

⁵ - البيت من الوافر للمتعب العبدى أو لعلى بن بدال في خزنة الأدب ج 7 ص 482

يقول لو ذبحنا على حجر واحد لم يختلط دمي بدم صاحبي، لشدة العداوة بيننا؛ لأن العرب كانت تعتقد أن دماء العدو لا تمتزج، بل تسيل في اتجاهين مختلفين، حتى لو ذبحنا على حجر واحد، وقيل: يعلم منه الشجاع من الجبان، حيث دم الشجاع يجري، ودم الجبان لا يجري بل يجمد. والشاهد فيه: مجيء دميان في تثنية دم، مع أن اللام لا ترد عند الإضافة، وقد اختلف اللغويون في دم أهو من الواو، أم من الياء؟

تثنية الجمع:

قال الزمخشري: «وقد يثني الجمع على تأويل الجماعتين والفرقتين»¹. أي أنه يجوز تثنية اسم الجمع على تأويل فرقتين وجماعتين، فقد جاء في كلام العرب من عصور الاحتجاج:

1- لنا إبِلان فيهما ما عَلِمْتُمْ [فَعَن أَيُّهُم ما شِئْتُمْ فَتَتَكَبَّوْا]²
أي: لنا قطيعان من الإبل فيهما ما علمتم من قرى الأضياف، وتحمل الغرامات، فاختراروا منها ما يرضيكم، وتتكبوا، واعدلوا عما لا يرضيكم منها. والشاهد فيه: أنه يجوز تثنية اسم الجمع على تأويل فرقتين وجماعتين، فقد قال: إبِلان تثنية لاسم الجمع، والقياس يأباه؛ «لأن الغرض من الجمع الدلالة على الكثرة، والتثنية تدل على القلة، فهما معنيان متدافعان، ولا يجوز اجتماعهما في كلمة واحدة»³.

2- لأصْبَحَ الحَيُّ أوبَادا ولم يَجِدُوا عند التَفَرُّقِ في الهَيْجَا جِمالَيْنِ⁴

[سعى عقالا فلم يترك لنا سبداً فكيف لو سعى عمرو وعقالين]

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 226.

² - البيت من الطويل لشعبة بن قمير في شرح شواهد الإيضاح. عيد مصطفى درويش الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية دط. القاهرة 1985 ص 562 وبلا نسبة في خزنة الأدب 564/7.

³ - شرح المفصل لابن يعيش ج 3 ص 209.

⁴ - البيت من البسيط لعمر بن العداء الكلبى في خزنة الأدب ج 7 ص 579.

حيث «استعمل معاوية بن أبي سفيان ابن أخيه عمرو بن عتبة بن أبي سفيان على صدقات كلب، فاعتدى عليهم، فقال عمرو بن العداء الكلبى هذا الشعر»¹. ومعناه: لو ولي عمرو بن عتبة أمر الصدقات عاما ثانيا، لأصبح بنو كلب في ضيق لم يجدوا معه شيئا لديهم. والشاهد فيه: أنه يجوز تثنية الجمع المكسر، فإن جمالين مثى جمال أي: قطيعان من الجمال باعتبارهما صنفين: صنفا لترحلّهم يحملون عليها أثقالهم، وصنفا لحربهم يركبونه إذا جنبوا خيلهم.

3- [تَبَقَّلت في أول التَّبَقُّلِ] بين رِمَاحِي مَالِكٍ وَنَهْشَلٍ²

ومعناه: أن قوم الشاعر جاؤوا إلى ذلك المكان، فرعوه، ولم يخافوا رماح هذين الحيين مالك ونهشل لعزتهم ومناعتهم. والشاهد فيه قوله: «(بين رماحي مالك ونهشل)» حيث ثنى الجمع (رماح) على تأويل رماح قبيلة مالك، ورماح قبيلة نهشل.

جعل المثنى على لفظ الجمع:

قال الزمخشري: «ويجعل الاثنان على لفظ الجمع إذا كانا متصلين³ كقولك: «ما أحسن رؤوسهما»، وفي التنزيل ﴿فَاقْطِعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾⁴»،⁵ أي: أن الواحد منهما والوحيد متصل بالجسد لا ينفصل عنه كالرأس، والبطن، والأنف، والظهر «فإنك إذا ضمنت إليه مثله، جاز فيه ثلاثة أوجه: أحدهما الجمع، وهو الأكثر... والوجه الثاني: التثنية على الأصل... والوجه الثالث: الإفراد»⁶. وقد أنشد الزمخشري ما يشهد على صحة استعمال الوجهين الأول والثاني معا، إذ يقول الشاعر:

¹ - خزنة الأدب ج 7 ص 581

² - البيت من الرجز لأبي النجم في سمط اللائي عبد العزيز الميمني مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر دط. 1936 ج 1 ص 581.

³ - أي: الواحد منهما متصل بالجسد لا ينفصل عنه كالرأس والأنف...

⁴ - المائدة من الآية 38

⁵ - المفصل في صنعة الإعراب ص 228

⁶ - شرح المفصل لابن يعيش ج 3 ص 210

[وَمَهْمَيْنِ قَدْ فَيْنِ مَرْتَيْنِ] ظَهْرَاهُمَا مِثْلُ ظُهُورِ التُّرْسَيْنِ¹

وصف فلاتين لا نبت فيهما، ولا ماء، ولا شيء يستدل به، فشبهما بالترسين. والشاهد فيه: أنه جمع بين اللغتين: التثنية على الأصل - مع كراهية اجتماع التثنيتين في اسم واحد - والجمع، حيث أتى بتثنية المضاف في قوله: «ظهرهما» وجمعه في قوله: «ظهور الترسين»، والمراد في المعنى ظهران، وهذا جائز بالنظر إلى العرب، فإنها تنزل المثني منزلة الجمع نحو قول الاثنين: «نحن فعلنا».

أوزان الثلاثي:

بعد أن عدّ الزمخشري ألفاظ الجمع² لأبنية الثلاثي المجرد، وذكر أنها عشرة أمثلة، ليس من بينهم وزن فعلى، قال: «وقد جاء حِجْلِي في جمع حجل»؛ لأنه «قليل لم يأت منه في الثلاثي إلا هذا المثال، ولذلك لم يذكره صاحب الكتاب مع أمثلة الجموع»³. وقد أنشد ما يشهد على استعمال حجلي جمعا:

[أَرْحَمُ أَصَابِيَّتِي الَّذِينَ كَأَنَّهُمْ] حِجْلِي تَدْرَجُ فِي الشَّرِيَّةِ وَقَعٌ⁴

أرحم أولادي الصغار برحمتك إياي، فأنا معيهم. والشاهد فيه قوله: «حِجْلِي» جمع فَعَل على فعلى، وكان القياس أن يجمع على أفعال في القلة، وفعال وفعول في الكثرة.

جمع المؤنث الثلاثي الساكن الوسط المعتله المنتهي بالتاء:

قال الزمخشري: «فإذا اعتلت، فالإسكان كـ «بَيْضَات»... و«دولات» إلا في لغة هذيل»⁵. والشاهد قول أحد هم:

¹ البيت من السريع لخطام المجاشعي في خزانة الأدب 314/2 والكتاب 48/2

² ينظر المفصل في صنعة الإعراب ص 231 وشرح المفصل لابن يعيش ج 3 ص 232

³ شرح المفصل لابن يعيش ج 3 ص 243

⁴ البيت من الكامل لعبد الله بن الحجاج في شرح شواهد الإيضاح ص 364

⁵ المفصل في صنعة الإعراب ص 232

أخو بيضات رائح مُتَأَوَّبٌ [رفيقٌ بمسح المنكبين سبوح]¹
 يصف جملة في سرعة سيره كالظلم الذي له بيضات، يسير ليلا ونهارا ليصل إليها.
 والشاهد فيه قوله: «بيضات» حيث فتح العين فيها على لغة هذيل التي تفتح العين في
 جمع فعلة صحيحا كان، أم معتلا، والقياس التسكين في المعتل.

حكم المؤنث الساكن الوسط غير المنتهي بالتاء:

قال الزمخشري: «وحكم المؤنث مما لا تاء فيه كالذي فيه تاء، قالوا: «أرضات»، «أهلات»
 في جمع «أرض»، و«أهل»² أي: أن حكم الاسم المؤنث الساكن الوسط الذي لا تاء فيه إذا
 جمع جمعا مؤنثا سالما، كحكم ما فيه التاء من حيث فتح ثانيه مثل: دعد دعدات، وتمرة
 تمرات، ومنها أرض أرضات، وأهل أهلات .
 ويشهد على ذلك قول الشاعر:

1- فَهْمٌ أَهْلَاتٌ حَوْلَ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ إِذَا أَدَلَّجُوا بِاللَّيْلِ يَدْعُونَ كَوَثِرًا³
 ومعناه: أنهم حول هذا الرجل كأنهم أهله، يحدون إبلهم بمدحه، ويصفونه بالجد، حيث
 كوتر كلمة يكنى بها عن الجواد الكثير العطاء. والشاهد فيه: جمعه أهل على «أهلات»
 بالألف والتاء، وتحريك الحرف الثاني؛ لأن حكم ما يجمع بالألف والتاء من باب فعلة
 وكان من الأسماء، أن يحرك ثانيه ومن العرب من يسكنه. إلا أن ابن يعيش⁴ يعتبر أن
 أهلات جمع أهلة وليس أهل.

2- عَيْرَاتُ الْفَعَالِ وَالسُّودِدِ الْعِدِّ دِ إِلَيْهِمْ مَحْطُوطَةٌ الْأَعْكَامِ⁵

¹ البيت من الطويل لأحد الهذليين في شرح التصريح ج2 ص517

² المفصل في صنعة الإعراب ص 232

³ البيت من الطويل للمخبل السعدي في خزنة الأدب ج8 ص96-99

⁴ ينظر شرح المفصل لابن يعيش ج3 ص262

⁵ البيت من الخفيف للكُميت في شرح المفصل لابن يعيش ج3 ص 261 وبلا نسبة في أمالي ابن الحاجب ج1

ومعناه: أن الفَعَال الجميل، والسؤدد العظيم قد حطت أثقالها لدى آل بيت النبي ﷺ، فهم أهل لذلك ومنبعه. والشاهد فيه: أن المؤنث الذي لا ينتهي بتاء مما هو معتل العين، قياس جمعه تحريك عينه، وهو قوله: «عيرات».

جمع ما وزنه أفعل:

قال الزمخشري: «و «أفعل» إذا كان اسما مثال واحد: «أفاعل» نحو «أجادل». وللصفة ثلاثة أمثلة: «فُعَل»، «فُعَلان»، «أفاعل»... وإنما يجمع بـ «أفاعل» «أفعل» الذي مؤنثه «فُعَلِي» ويجمع أيضا بالواو والنون»¹. ويشهد على ذلك قول الأعشى، وقد جاء فيه جمع ما وزنه أفعل تارة بالنظر إلى الوصفية، وتارة أخرى بالنظر إلى الاسمية:

أتاني وعيدُ الحوصِ من آل جعفرِ فيا عبدَ عمرو لو نَهَيْتُ الأحاوصا²

يقول: أخبرت أن الأحاوص توعدونني بالقتل، ثم راح يخاطب زعيمهم عبد عمرو قائلا له: لو نهيتهم عن ذلك كان خيرا لكم، وأصون لأعراضكم. والشاهد فيه: أنه جمع أحوص على حوص أي: على فُعَل، ثم على أحاوص أي: على أفاعل نظرا إلى جانب الوصفية في الأول، والاسمية في الثاني.

المؤنث الحقيقي والمؤنث المجازي:

المؤنث نوعان: حقيقي التأنيث، وغير حقيقي يعود أمر التأنيث فيه إلى اللفظ، ولكن الحقيقي أقوى «ولذلك امتنع في حال السعة «جاء هند»، وجاز (طلع الشمس)، وإن كان المختار: «طلعت»، فإن وقع فصل، استجيز، نحو قولهم: حضر القاضي اليوم امرأة»³. حيث يشهد على صحة هذا الاستعمال قول جرير، وإن كان التأنيث أكثر وأوسع:

لقد ولد الأخيطلَ أمُّ سوءٍ [على باب استنها صُلبٌ وشامٌ]⁴

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 236

² - البيت من الطويل للأعشى في ديوانه تح . محمد حسين المطبعة النموذجية . دط. مكة دت ص 149

³ - المفصل في صنعة الإعراب ص 243

⁴ - البيت من الوافر لجرير في شرح ديوانه تأليف: عبد الله الصاوي المكتبة التجارية الكبرى ط 1 مصر دت ص 515

إذ يقول إن أم الأخطل إمراة سوء، حيث الناس يعرفون ما على مواضع العفة منها من علامات، وهو هجاء في غاية القبح، وتعريض أشد قبحا منه. والشاهد فيه قوله: «لقد ولد الأخطيل أم سوء» حيث لم يصل بالفعل تاء التأنيث، مع أن فاعله مؤنث حقيقي، وذلك لفصله عن فاعله بالمفعول، وهذا جائز، وأكثر «إذا كان الفعل مسندا إلى ظاهر الاسم، فإذا أسند إلى ضميره، فالحاق العلامة»¹. ومن الشواهد التي تثبت ذلك، وتوجب تأنيث الفعل قول الشاعر:

[فَلَا مَزُونَةٌ وَدَقَّتْ وَدَقَّهَا] وَلَا أَرْضَ أَبْقَلَ إِبْقَالَهَا²

يصف سحابة غزيرة المطر، وأرضا كثيرة البقل، فيقول: لا سحابة أمطرت كمطرها، ولا أرض نبتت كنباتها. والشاهد فيه قوله: «ولا أرض أبقل إبقالها»، والقياس: «أبقلت إبقالها»؛ لأن الفعل المسند إلى ضمير عائد على الأرض، وهو مؤنث مجازي، وما حذف التاء إلا ضرورة، ومجازه على تأويل أن الأرض مكان، فكأنه قال: ولا مكان أبقل إبقالها، والمكان مذكر، وهناك من يعتبر أنه ما دام الأرض مما يذكر ويؤنث، فلا شاهد في البيت.

حكم الفعل المسند إلى ضمير الجمع في التذكير والتأنيث:

قال الزمخشري: «وأما ضميره، فنقول في الإسناد إليه: الرجال فعلت وفعلوا، والمسلمات فعلت وفعلن، وكذلك الأيام»³. فبعد أن ذكر حكم الفعل المسند إلى الجمع من حيث التذكير والتأنيث، وذكر حكم الفعل المسند إلى ضميره المستخلص من الأمثلة التي أوردتها، والذي مفاده أن الفعل إذا أسند إلى ضمير الجمع «فلا يخلو الجمع من أن يكون مكسرا، أو غير مكسر فإن كان مكسرا، وكان المذكر ممن يعقل، نحو: «الرجال» و«الغلمان» كان ذلك فيه وجهان: أحدهما أن تلحقه تاء التأنيث نحو: «الرجال قامت» فتؤنثه وتفرده؛ لأنه يرجع إلى تقدير الجماعة، وهي حقيقة واحدة مؤنثة. ويجوز أن يرجع إلى

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 243

² - البيت من المتقارب لعامر بن جوين في تلخيص الشواهد ص 483 وبلا نسبة في الخصائص 411/2

³ - المفصل في صنعة الإعراب ص 246

اللفظ وهو جمع مذكر عاقل، فتظهر علامة ضميره بالواو، نحو: «الرجال قاموا»؛ لأن الواو للمذكرين مما يعقل... وإن كان المكسر لغير أولي العقل؛ نحو: «الأيام»... فلك فيه وجهان: أحدهما أن تلحق الفعل التاء، فنقول: «الأيام فعلت» على تقدير جماعة الأيام، وإن شئت قلت: «فعلن»... وإن كان مذكرا... والمؤنث السالم نحو الهندات تقول: «الهندات قامت» على معنى الجماعة، وقمن على اللفظ... وأما الجمع المذكر السالم، فمضمرة بالواو: «الزيدون قاموا» لا غير¹. ويشهد قول سلمى بن ربيعة على صحة إلحاق تاء التانيث بالفعل المسند إلى ضمير الجمع:

وإذا العذاري بالدُّخانِ تَقَنَّعتِ واستعجلتِ نَصَبَ القُدُورِ فَمَمَّتْ²

يمدح هؤلاء القوم بإكرام الضيف، ولا أدل على ذلك من قيام الأبقار من بناتهم بخدمة الضيوف. والشاهد فيه قوله: تقنعت، استعجلت، فملت، حيث ألحق تاء التانيث بالفعل المسند إلى ضمير الجمع.

النسبة إلى المسمى بلفظ مثى:

قال ابن يعيش: «إذا سمينا رجلا بمثى، أو مجموع جمع السلامة، قلنا فيه مذهبان: أحدهما وهو الأجود، أن تحكي الإعراب، بل التسمية فنقول هذا «زَيْدَان»... فتعربه بالحروف كما كان إعرابه قبل التسمية بها. فعلى هذا إذا نسبت إلى شيء من ذلك، حذفنا علامتي التنثية والجمع، فنقول: هذا زَيْدِي والثاني: أن لا تحكي الإعراب بعد التسمية، وتجرى الإعراب في التنثية على النون، وتجعل قبل النون ألفا لازمة، وتجعله من قبيل «عثمان» و«مروان» فنقول: «هذا مُسْلِمَانُ»... فعلى هذا تكون النسبة إليه بإثبات علامة التنثية والجمع من غير حذف شيء منهما فنقول: «هذا زَيْدَانِي»³. وقد جاء في كلام العرب من أسماء

¹ - شرح المفصل ج3 ص379-381

² - البيت من الكامل لسلمى بن أبي ربيعة الضبي في خزنة الأدب ج8 ص68

³ - شرح المفصل لابن يعيش ج3 ص443.

الأمكنة ما هو على لفظ المثني. حيث أعربوه بالحركات على المذهب الثاني، وألزموه الألف، من ذلك قول الشاعر:

أَلَا يَا دِيَارَ الْحَيِّ بِالسَّبْعَانِ [أَمَلَّ عَلَيَّهَا بِالْبَلَى الْمَلَوَانِ]¹

ينادي الشاعر أهل ديار الحي الكائنة بهذا الموضع (سبعان)، وكله أسف، وقد غير البلى ديارهم لابتعادهم عنها وتركهم إياها. والشاهد فيه: أنه أعرب ((السبعان)) بالحركات وأجراها مجرى سلمان، وأنزعه الألف، ولو أجراه مجرى التثنية لقال بالسبعين، فعلى هذا النسبة إليه سُبْعَانِي.

النسبة إلى المنقوص:

قال الزمخشري: «والياء المكسور ما قبلها في الآخر لا تخلو من أن تكون ثالثة، أو رابعة أو خامسة فصاعدا، فالثالثة تقلب واوا كقولك: ((عَمَوِيٌّ))، و((شَجَوِيٌّ))، وفي الرابعة وجهان: الحذف وهو أحسنهما، والقلب، كقولك: ((قَاضِيٌّ))، و((حَانِيٌّ))، و((قَاضَوِيٌّ)) و((حَانَوِيٌّ))² وهذا يعني أن الاسم المنقوص إذا نسب إليه تقلب ياؤه واوا، إذا كانت ثالثة، وتحذف أو تقلب إذا كانت رابعة، وتحذف فيما وراء ذلك. حيث يشهد على جواز قلب يائه إذا كانت رابعة قول الشاعر:

وَكَيْفَ لَنَا بِالشُّرْبِ إِنْ لَمْ تَكُنْ لَنَا دَرَاهِمُ عِنْدَ الحَانَوِيِّ وَلَا نَقْدُ³

ومعناه: إذا لم تكن لنا دراهم عند بائع الخمر ولا نقد، فمن أين لنا أن نشرب من عنده. والشاهد فيه قوله: ((الحَانَوِيٌّ)) نسبة إلى الحانة بالقلب، ويصح ((الحَانِيٌّ)) بالحذف، وهو أجود ما دامت الياء رابعة.

¹ - البيت من الطويل لابن أحمر في شرح الأشموني على ألفية ابن مالك تح محمد محي الدين عبد الحميد. دار الكتاب العربي بيروت ط 1 1955 ج 3 ص 849 ولاين مقبل في خزنة الأدب ج 7 ص 302.

² - المفصل في صنعة الإعراب ص 257.

³ - البيت من الطويل لتميم بن مقبل في أساس البلاغة، مادة (عين)

النسبة إلى المضاف:

قال الزمخشري: «والمضاف على ضربين: مضاف إلى اسم معروف يتناول مسمى على حياله كـ ((ابن الزبير)) و ((ابن كراع)) ومنه الكنى كـ ((أبي مسلم))، و ((أبي بكر)) ومضاف إلى ما لا ينفصل في المعنى عن الأول كـ ((امرئ القيس))، و ((عبد القيس)) فالنسب إلى الضرب الأول زُبَيْرِيٌّ... وإلى الثاني عبدِيٌّ»¹. ويشهد على صحة استعمال الضرب الثاني قول ذي الرّمة:

ويذهب بينها المرئي لغوا [كما ألغيت بالدية الحوار]²

ومعناه: أن بيوت المجد إذا عدت، لم يكن بيت امرئ القيس من جملتها: وإنما يقع إذا ذكر معها لغو لا يعتد به، كما لا يعتد بالحوار إذا كان في الدية؛ لأنه لا يقبل فيها إلا الكبار. والملاحظ أن الشاعر ذا الرّمة لا يهجو امرأ القيس الشاعر، بل آخر اسمه كذلك. والشاهد فيه قوله: ((المرئي)) نسبة إلى امرئ القيس حيث نسبه إلى الجزء الأول من المركب الإضافي، وهذا مما يدل على جوازه.

ما شدّ في النسبة عن القياس:

قال الزمخشري: «ومن المعدولة عن القياس قولهم: ((البادية))، ((البصرة)) و ((العالية)) و ((هذيل))»³ وهذا يعني «أن العرب قد نسبت إلى أشياء، فغيروا لفظ المنسوب إليه فاستعمل ذلك، كما استعملته العرب، ولا يقاس عليه غيره»⁴. فمن ذلك قولهم: ((هُذَلِيٌّ)) في النسب إلى ((هذيل)) والقياس ((هُذَلِيٌّ)). وقد أنشد ما يشهد على ذلك، إذ يقول الشاعر:

هُذَلِيَّةٌ تَدْعُو إِذَا هِيَ فَآخَرَتْ أَبَا هُذَلِيًّا مِنْ غَطَارِفَةٍ نُجْدٍ⁵

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 259

² - البيت من الوافر لذي الرّمة في ديوانه. شرح التبريزي. تح طراد. دار الكتاب العربي ط 2. بيروت 1996 ص 474

³ - المفصل في صنعة الإعراب ص 260.

⁴ - شرح المفصل ج 3 ص 475.

⁵ - البيت من الطويل بلا نسبة في الإنصاف. للأنباري. المكتبة العصرية. دط. بيروت. 1987 ج 1 ص 351.

أي: أن هذه المرأة إذا فاخرت، انتسبت إلى أب كريم من قوم عريقين في المجد معروفين بالشجاعة والإقدام. والشاهد فيه قوله: «هُذَلِيَا» حيث عدل عن القياس في النسبة إلى هذيل فاللغة الفصيحة إثبات الياء، وهي أن تقول: «هُذَيْلِيَّ» ويشهد على ذلك قوله: هُذَيْلِيَّةٌ ، كما يمكن القول أن النسبة إلى فَعِيلٍ فَعَلِيٍّ بحذف الزوائد.

الاجتزاء بلفظ الفرد عن الجمع:

قال الزمخشري: «ومما شدّ من ذلك قولهم: ((ثلاثمائة)) إلى ((تسعمائة)) اجتزأوا بلفظ الواحد عن الجمع»¹. وذلك لأن القياس في ثلاثمائة إلى تسعمائة أن تجمع المائة باعتبار أن معدود ثلاثة إلى عشرة يكون جمعا. وقد أنشد الزمخشري من شواهد الكتاب، ما يدل على جواز الاجتزاء بلفظ المفرد عن الجمع إذ يقول الشاعر:

كُلُوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمْ تَعَفُّوا فَإِنْ زَمَانِكُمْ زَمَنْ خَمِيصٌ²

يصف شدة الزمان قائلا: كلوا قليلا تعفوا عن كثرة الأكل، وتكتفوا باليسير؛ فإن الزمان ذو مخمصة وجدب. والشاهد فيه: وضع البطن مكان البطون؛ لأنه اسم جنس ينوب واحده عن جمعه، فأراد اجتزاء بلفظ الواحد عن الجمع، لأنه لما أضاف البطن إلى ضمير الجماعة علم أنه أراد الجمع؛ لأنه لا يكون للجماعة بطن واحداً. قال سيبويه: «وليس بمستتكر في كلامهم أن يكون اللفظ واحداً، والمعنى جميع»³. وإذا كان هذا ممّا شد، فإنه قد رجع إلى القياس من قال:

ثَلَاثُ مِئِينَ لِلْمُلُوكِ وَفِي بِهَا رِدَائِي وَجَلَّتْ عَن وُجُوهِ الْأَهَاتِمِ⁴

أي: أن الشاعر قد قتل في يوم من أيامهم ثلاثة ملوك، دياتهم ثلاثمئة من الإبل، فرهن رداءه بدياتهم، وذلك دليل شرفه، ويعمله هذا يكون قد كشف عن وجوه الأهاتم الخزي

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 262.

² - البيت من الوافر بلا نسبة في خزنة الأدب ج 7 ص 537.

³ - الكتاب ج 1 ص 209.

⁴ - البيت من الطويل للفرزدق في خزنة الأدب ج 7 ص 370.

والعار. والشاهد فيه قوله: ثلاث مئین حيث جمع مئة إلى مئین. لكن إضافة ثلاث إلى الجمع، وإن كان قياساً غير مستعمل إلا نادراً. أما قول ابن ضبع الفزاري، فهو من قبيل ضرورة الشعر:

إذا عاش الفتى مائتين عاماً فقد ذهب اللذاتُ والفتاء¹

يصف الشاعر هرمه، وذهب لذاتته وفتوته، وقد نيّف على المائتين. والشاهد فيه قوله: «مائتين عاماً» حيث أفرد الاسم المميز «عاماً» ونصبه بعد مئتين، وكان الوجه حذف نون «مئتين» وجر ما بعدها، إلا أنها شبّهت للضرورة بالعشرين ونحوها مما تثبت نونه وينصب ما بعده.

حكم العقود في التذكير والتأنيث:

قال الزمخشري: «وما لحق بآخره الواو والنون، نحو «العشرين» و«الثلاثين» يستوي فيه المذكر والمؤنث، وذلك على سبيل التغليب»²؛ لأنه كلما «اجتمع المذكر والمؤنث، غلب المذكر؛ لأنه الأصل»³. وقد أنشد ما يشهد على تغليب العرب للمذكر في حال اجتماع الجنسين إذ يقول الشاعر:

دعّتي أخاها، بعد ما كان بيننا من الأمر، ما لا يفعل الأخوان⁴

يقول دعّتي هذه المرأة أخاها بعد أن وقع مني ومنها ما لا يقع من الأخوين. والشاهد فيه: أنه غلب المذكر على المؤنث فقال: أخوان، ولم يقل: أختان. حيث عبّر عن نفسه وعنهما بالأخوين.

الاسم الممدود القياسي:

يعتبر كل مصدر مضموم الأول، يدل على صوت نحو: العواء والرّغاء له نظير من

¹ - البيت من الوافر للربيع بن ضبع الفزاري في خزنة الأدب 379/7.

² - المفصل في صنعة الإعراب ص 265.

³ - شرح المفصل ج 19 ص 19.

⁴ - البيت من الطويل بلا نسبة في الكامل للمبرد. تح. محمد أحمد الدالي. مؤسسة الرسالة. دط بيروت. 1992 ص 161.

الصحيح نحو الصّراخ اسماً ممدوداً قياسياً، ومما يستدل به أن واحده ممدود أيضاً» ما كان في الجمع على مثال أفعلة نحو: (قَبَاء)، و(أَقْبِيَّة)، (كسَاء)، و(أَكْسِيَّة)... فأماً (ندى) و(أندية) فشاذ فيما ذكره سيبويه¹ «². إذ القياس لندى هو أنداء يقول الشاعر:

في ليلة من جُمَادَى ذاتِ أُنْدِيَّةٍ [لا يبصر الكلبُ من ظلماتها الطُنْبًا]³

ومعناه: أن هذا الممدوح يقري الضيوف في ليلة مظلمة شديدة البرد، وهذا من تمام الكرم. والشاهد قوله: (أندية) فإنه جمع ندى على غير قياس، والجمع القياسي لـ (ندى) هو أنداء.

مصدر الفعل الثلاثي المزيد فيه والرباعي المجرد:

قال الزمخشري: «ويجرى في أكثر الثلاثي المزيد فيه والرباعي على سنن واحد»⁴ أي «أن ما جاوز من الأفعال الماضية ثلاث أحرف، سواء كانت بزيادة، أو بغير زيادة، فإن مصادرها تجري على سنن لا يختلف، وقياس واحد مطرد في غالب الأمر وأكثره. وذلك لأن الفعل بها لا يختلف»⁵. من ذلك ما كان على وزن «تَفَعَّل»، فمصدره «تَفَعَّل» إلا أنه كما قالوا: في فَعَّلَ فِعَالٌ قالوا أيضاً: في تَفَعَّلَ تَفَعَّالٌ بكسر أوله، وزيادة ألف قبل آخره، كما فعلوا ذلك في أفعال. ويشهد على ذلك ما أنشده الزمخشري إذ يقول الشاعر:

ثلاثة أحباب: فحُبُّ علاقةٌ وَحُبُّ تَمِلاقٌ، وَحُبُّ هو القَتْلُ⁶

فالحبُّ ثلاثة أحباب، حب ملازم للقلب، وآخر فيه تودد وتضرع فوق ما ينبغي، والثالث يودي بصاحبه لشدته. والشاهد فيه قوله: (تَمِلاق) فالغرض من إنشاده وجود هذا الوزن

¹ - الكتاب ج 3 ص 541.

² - شرح المفصل ج 4 ص 41.

³ - البيت من البسيط لابن محكان في الخصائص لابن جني . ج 3 ص 52

⁴ - المفصل في صنعة الإعراب ص 269.

⁵ - شرح المفصل ج 4 ص 53.

⁶ - البيت من الطويل بلا نسبة في لسان العرب مادة (ملف).

تَفَعَّلَ إِلَى الْفِعْلِ تَفَعَّلَ إِلَى جَانِبِ تَفَعَّلَ. وَأَمَّا "فَعَّلَل" لَهُ مَصْدَرَانِ: فَعَّلَلَةٌ وَفَعَّلَالٌ. وَيَشْهَدُ عَلَى صِحَّةِ اسْتِعْمَالِ الْوِزْنِ فَعَّلَالٌ مِنْ فَعَّلَلٌ قَوْلُ الرَّاجِزِ:
 قَدْ سَرَهَفُوهَا أَيَّمَا سِرْهَافٍ¹

وسرعهته وسرهفته بمعنى واحد: أحسنت غذاءه. والشاهد فيه قوله: سرهاف حيث جاء مصدرا على وزن فَعَّلَالٌ للفعل سرهف على وزن فعلل.

المصدر على وزن الفاعل والمفعول:

قال الزمخشري: «وقد يرد المصدر على وزن اسمي الفاعل والمفعول، كقولك: قمت قائما»². ويشهد على صحة وروده في كلام العرب - وإن كان قليلا - ما يلي:

1- [على حلفةٍ لا أَشْتُمُ الدهرَ مسلماً] ولا خارجا من في زور كلام³
 أي أنه تاب عن الهجاء، وقذف المحصنات، وعاهد الله على ذلك. والشاهد فيه: قوله «خارجا»، حيث نصب لوقوعه موقع المصدر، والتقدير: ولا يخرج خارجا. «وكان عيسى بن عمر يذهب إلى أن «خارجا» حال»⁴.

2- كفى بالنأي من أسماء كافي [وليس لحبها إن طال شافي]⁵
 أي: أنه سلا عنها بعدما بعدت عنه، حيث كفاه نأيها غوائل حبها، وإن كان يخشى إن تمادى به الحب أن لا يجد الشفاء من حبها. والشاهد فيه: نصب «كافي» على المصدر وإن كان لفظه لفظ اسم الفاعل، فكافيا مفعول مطلق مؤكد لقوله: «كفي» وكان القياس أن يقول كافيا بالنصب، لكنّه حذف التنوين ووقف بالسكون «إذ كان من العرب من يستقل الفتحة

¹ - البيت من الرجز. وقد روي: سرعهته ما شئت من سرعاف. وهو للعجاج في شرح المفصل ج 4 ص 56. ولرؤية في خزنة الأدب 45/2.

² - المفصل في صنعة الإعراب ص 271

³ - البيت من الطويل للفرزدق في ديوانه. 212/2، وفي تذكرة النحاة ص 85.

⁴ - شرح المفصل ج 4 ص 61.

⁵ - البيت من الوافر لبشر بن حازم في خزنة الأدب ج 4 ص 439 وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي. تح أحمد أمين. وعبد السلام هارون. دار الجيل. ط 1. بيروت 1991. ص 294

في الياء، والتقدير: كفى النأي من أسماء كافيا أي كفاية. وقد جاء في المثل: «اعط القوس باريها» بسكون الياء في باريها، ولم يرو أحد باريها بالفتح»¹.

3- الْحَمْدُ لِلَّهِ مُمَسَّانًا وَمُصْبَحَنَا بِالْخَيْرِ صَبَّحْنَا رَبِّي وَمَسَّانًا²

الشاهد فيه: استعمال مُمَسَّى، ومُصْبِحٍ بمعنى الإمساء والإصباح، والمراد وقتها، وهما على وزن اسم المفعول من الفعل الثلاثي المزيد فيه.

4- [وقد دُفُّمُونَا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ] وَعَلِمَ بَيَانَ الْمَرَّةِ عِنْدَ الْمُجَرَّبِ³

إنكم قد جربتمونا وعرفتم شدة بأسنا، والأشياء يعرف حالها بالاختبار، وعندما يقف الإنسان على حقيقة أمرها، ويكشف مكنوناتها. والشاهد فيه قوله: المجرب حيث ورد مصدرًا على وزن اسم المفعول من الثلاثي المزيد فيه، حيث المراد به التجربة.

5- [تُرَادَى عَلَى دِمْنِ الْحِيَاضِ فَإِنْ تَعَفَّ] فَإِنَّ الْمُنْدَى رِحْلَةً فَرُكُوبُ⁴

أي: تعرض الإبل على ماء الحياض الآسن، فإن شربت، وإلا فتنديتها أن تركب وتحمل. والشاهد فيه: أنه استعمل المندى بمعنى التندية، وهذا على أن رحلة وركوبا مصدران، أما على أنها موضعان، كما فسر بذلك، فالمندى على حاله، ولا شاهد في البيت.

6- إِنْ الْمُوقَى مَثَلُ مَا وَقَّيْتُ [أَنْقَذَنِي مِنْ خَوْفٍ مَا خَشَيْتُ]⁵

الشاهد فيه: الموقى حيث ورد مصدرًا على وزن اسم المفعول من الفعل وقى، وهو بمعنى التوقية، أي أن التوقية مثل توقيتي.

¹ - شرح ديوان الحماسة للمرزوقي 294.

² - البيت من البسيط لأمية بن أبي الصلت في ديوانه تح. سجع الحبيلي. دار صادر بيروت ط 1. 1998. ص 134.

³ - البيت من الطويل بلا نسبة في شرح الأشموني. تح. محمد محي الدين عبد الحميد. دار الكتاب العربي بيروت. ط 1955 ج 2 ص 351 وقيل: لرجل من بني مازن.

⁴ - البيت من الطويل لعقمة بن عبدة الفحل في سمط الآلي. لأبي عبيد البكري. تح. عبد العزيز الميمني. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر د. ط. 1936. ص 254.

⁵ - الرجز لرؤية في ديوانه. تح. وليم بن الورد البروشي. دار بن قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع. الكويت د. ط. د. ت. ص 25.

7- أُقاتل حتى لا أري لي مقاتلا [وأنجو إذا حُمَّ الجبانُ من الكرب]¹
 أي: أقاتل حتى لا تبقى لي قدرة على القتال، وأفر عند الغلبة حيث يهلك الجبان الذي لا طاقة له على القتال، أو إذا ضاق الأمر، ولم يهتد إلى الفرار إلا عقلاء الرجال، والكيّس منهم. والشاهد فيه: استعماله مقاتل بمعنى القتال حيث جاء على وزن اسم المفعول من الفعل «قوتل».

8- كأن صوت الصنّج في مُصلّصه²

حيث يشبه صوت الفرس بصوت الصنّج بضرب بعضها ببعض. والشاهد فيه: مُصلّصه حيث ورد مصدرا على وزن اسم المفعول، وهو بمعنى الصلصلة.

بناء المصدر من المعتل اللام من فَعَل:

إذا كان فَعَل «له في الصحيح مصدران: «التفعيل»، و«التفعلة»، نحو كرمته تكريماً وتكرمة... و«التفعيل» هو الأصل، لأنه هو اللازم، فأما إذا كان معتل بالياء أو الواو ألزموه «تفعلة» ولم يأتوا بالمصدر الآخر، لئلا يجتمع في آخره ياءان قبلهما كسرة، فيُحتمل ثقل وعنه مندوحة إلى المصدر الآخر، وذلك قولك: «عزيتة تعزية»³. ولكن قد جاء التفعيل منه في الشعر دون النثر إذ يقول الراجز:

فهي تُنْزِي دَلْوَهَا تَنْزِيًّا كَمَا تُنْزِي شَهْلَةً صَبِيًّا⁴

ومعناه: أن المتحدث عنها تحرك دلوها لاستخراج الماء تحريكا ضعيفا كما تحرك المرأة العجوز صبيا ترقصه. والشاهد فيه: أنه قال تنزياً وكان اللازم أن يقول: تنزية، إلا أنه لما اضطر رجع إلى الأصل المرفوض، إذ الغرض بيان وروده على ذلك الأصل.

¹ - البيت من الطويل لكعب بن مالك في لسان العرب. مادة (قتل)

² - الرجز بلا نسبة في الخصائص ج 1 ص 368.

³ - شرح المفصل لابن يعيش ج 4 ص 72

⁴ - الرجز بلا نسبة في الخصائص ج 2 ص 302

حذف « مِنْ » من أفعل التفضيل:

يقول ابن يعيش: «أعلم أنهم قد يحذفون « مِنْ » من «أفعل» إذا أريد بها التفضيل، ومعنى الفعل، وهم يريدونها فتكون كالمنطوق بها»¹. ومما يشهد على ما حذفته منه « مِنْ » وهي مقدره:

1- يا ليتها كانت لأهلي إبلاً أو هُزِلت في جذبٍ عامٍ أولاً²
حيث يتحسر على ذهاب إبله في هذه السنة الخصبة، متمنيا أن لو غنمها أهله، أو هلكت في عام الجذب. والشاهد فيه قوله: «عام أولاً» حيث حذفته « مِنْ » من أفعل التفضيل وهي مقدره عام أول من هذا العام، ونظيره قولنا: الله أكبر تقديره: الله أكبر من غيره. قال الفرزدق:

2- إن الذي سَمَك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعزُّ وأطول³
إن الله الذي رفع السموات بنى لنا بيتاً من المجد دعائمه أعزُّ، وأطول من غيره، وقيل: أن الله بنى لنا بيتاً عزيزاً طویل الدعائم. والشاهد فيه قوله: «أعز وأطول» حيث حذف منه المفضول، أي أعز من دعائم كل بيت، أو من دعائم بيتك مخاطباً جريراً، وقيل: إنه استخدمها هنا في غير التفضيل، إذ لو فاضل بين عز بيته، وعز بيت مهجوه، لاعترف بأن للمهجو بيتاً عزيز الجانب، وطويل الدعائم، وهذا ما لا يريده الفرزدق. ويجوز أن يكون المحذوف مضافاً إليه أي: بنى لنا بيتاً أعز دعامةً وأطولها، كما يجوز أن «يكون أفعل بمعنى فعيل وفاعل، غير موجب تفضيل شيء على شيء، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾⁴ «⁵ بمعنى هيِّن.

¹ - شرح المفصل ج 4 ص 131

² - البيت من الرجز لأبي النجم العجلي، في شرح شواهد الإيضاح، لعبد الله بري. تح عيد مصطفى. المطابع الأميرية. د. ط. القاهرة. 1985 ص 353.

³ - البيت من الكامل للفرزدق في ديوانه تح الأستاذ علي فاغور. دار الكتب العلمية بيروت ط 1، 1987، ص 489.

⁴ - سورة الروم. من الآية 27

⁵ - خزنة الأدب ج 8 ص 243

استخدام « دنيا » و « جُلِّي »، بغير « ال »:

قال الزمخشري: «وقد استعملت (دنيا) بغير ألف ولام... لأنها غلبت، فاختلفت بالأسماء ونحوها (جُلِّي)»¹. حيث «القياس في (دنيا) أن يكون بالألف واللام؛ لأنه صفة في الأصل على زنة (فعلَى) ومذكر (الأدنى)، مثل (الأكبر)، و (الكبرى)، وهو من (دنوت) فقلبت الواو في الأدنى ألفا؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها، وذلك بعد قلبها ياء لوقوعها رابعة. وقد تقدم أن الألف واللام تلزم هذه الصفة إلا أنهم استعملوا (دنيا) استعمال الأسماء فلا يكادون يذكرون معه الموصوف... فلما غلب عليها حكم الأسماء، أجروها مجرى الأسماء، وكانت الألف واللام لا تلزم الاسم، فاستعملوها بغير ألف ولام كسائر الأسماء»². ويشهد على ذلك قول العجاج:

[يوم ترى النفوس ما أعدت] في سعي دنيا طالما قد مدت³

يصف أمر الآخرة، ويرغب فيها، وقد مدت أمنيات الناس آمالهم في طلب الدنيا. والشاهد فيه استعمال (دنيا) من غير ألف ولام إجراء لها مجرى الأسماء؛ لكثرة استعمالها ولهذا لم تجر على موصوف غالبا، كما غلبت الاسمية على نحو الأجرع والأبطح⁴. وكذلك (جُلِّي) الواردة في قول الشاعر:

وإن دعوتِ إلى جُلِّي ومكرمة [يوما سراة كرام الناس فادعينا]⁵

أي إن دعوتِ سادات الناس وخيارهم إلى أمر جليل، فادعينا؛ لأننا من أولئك الكرام ومن جملتهم. والشاهد فيه: أن (جُلِّي) مثل (دنيا) في استعماله مجردا من الألف واللام والإضافة، وإن كان من أفعال التفضيل، وذلك لكونها جاءت بمعنى الخطة العظيمة، إذ

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 291

² - شرح المفصل ج 4 ص 138.

³ - البيت من الرجز للعجاج في خزنة الأدب ج 8، ص 296.

⁴ - خزنة الأدب ج 8 ص 269.

⁵ - البيت من البسيط لبشامة بن حزم النهشلي في خزنة الأدب ص 8، ص 301.

ليس فيها معنى التفضيل. ولذا حمله ابن يعيش على المصدر إذ يقول: «فالجيد أن يكون مصدرا كـ(الرجعي) بمعنى الرجوع، و(البشرى)، بمعنى البشارة وليس بتأنيث (الأجل) على حد (الأكبر) و(الكبرى)؛ لأنه إذا كان مصدرا، جاز تعريفه وتكثيره، فتقول: (بشرته بشرى والبشرى)، و(جرعته رجعي والرجعي)، فلذلك حملناه على المصدر، ولم نحمله على الصفة»¹. أما (سوءى) في قول الشاعر:

ولا يجوزون من حسن بسوءى [ولا يجوزون من غلظٍ بليين]²

ومعناه: أنهم قوم يضعون الأشياء مواضعها، فيحسنون إلى من يحسن إليهم، ولا يقابلون الجافي الغليظ باللين والرفاة. والشاهد فيه: أن (سوءى) مصدر كالرجعي والبشرى، وليست مؤنث أسوأ، فإن جعلناه صفة، فهو شاذ. وروي بسوء، وعليه لا شاهد فيه. وقد خطأ النحاة أبا نواس «لكونه استعمل (صغرى كبرى) نكرة، وهذا الضرب من الصفات لا يستعمل إلا مُعَرَّفًا»³. ولذا قال الزمخشري في مفصله «وقد خُطِءَ ابن هانيء»⁴. في استعماله صغرى وكبرى نكرة. «ولم يقل أنه ضرورة؛ لأن المولد لا يسوغ له استعمال شيء على خلاف الأصل للضرورة إلا أن يرد به سماع، فيتوقف فيه على محل سماع، ولا يقاس عليه، وصغرى ما ورد فيه سماع»⁵. وذلك في قوله:

كأن صغرى وكبرى من قواقعها [حصباء درّ على أرض من الذهب]⁶

يصف خمرا، وما عليه من الحبيب، حيث شبه ذلك الحبيب بالدرّ، والخمر تحته بأرض من ذهب. ووجه الخطأ كما أشار النحاة إلى ذلك أنه أتت صغرى وكبرى المجردين من أل والإضافة، مع العلم أن أفعل التفضيل إذا كان كذلك، يجب إفراده وتكثيره فتأنيثه لحن.

¹ - شرح المفصل ج4 ص 138

² - البيت من الوافر لأبي الغول الطعوي في الحيوان. للجاحظ. تح عبد السلام هارون مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده ط2. مصر 1966 ج3 ص106.

³ - خزنة الأدب ج8، ص315-316.

⁴ - المفصل في صنعة الإعراب ص293

⁵ - خزنة الأدب ج8 ص316

⁶ - البيت من البسيط لأبي نواس في خزنة الأدب ج8 ص277

إلا أن ابن يعيش حاول أن يعتذر عنه قائلا: «والاعتذار عنه أنه استعمله استعمال الأسماء؛ لكثرة ما يجيء منه بغير تقدم موصوف، نحو «صغيرة»، و«كبيرة»، فصار ك «الصاحب» و«الأجرع»، و«الأبطح» فاستعمله لذلك نكرة. ويجوز أن يكون لم يرد به التفضيل، بل معنى الفاعل»¹. أما بيت الأعشى ف«ليست (مِنْ) فيه بالتي نحن بصدددها، هي نحو (مِنْ) في قولك: «أنت منهم الفارس الشجاع» أي: من بينهم»². إذ يقول:

ولست بالأكثر منهم حصى [وإنَّما العزَّة للكائر]³

فقوله: «ولست بالأكثر منهم حصى» يبدو في ظاهره أنه جمع بين «أل» و«مِنْ» في أفعل التفضيل، وهو ما لم يرد في كلام العرب، وقد بيّن ابن جني سبب امتناع العرب من إلحاق «مِنْ» بأفعل إذا عرفته بـ«أل» قائلا: «وذلك أن «مِنْ» - لعمري - تكسب ما يتصل به: من أفعل هذا تخصيصا ما، ألا تراك لو قلت: دخلت البصرة، فرأيت أفضل من ابن سرين لم يسبق الوهم إلا إلى الحسن رضي الله عنه (فبمن ما صحت لك) هذه الفائدة، وإذا قلت الأحسن، أو الأفضل أو نحو ذلك، فقد استوعبت اللام من التعريف أكثر مما تفيده (مِنْ) من حصتها من التخصيص، فكرهوا أن يتراجعوا بعد ما حكموا به من قوة التعريف إلى الاعتراف بضعفه، إذا هم أتبعوه (مِنْ) الدالة على حاجته إليها، وإلى قدر ما تفيده: من التخصيص المفاد منه»⁴. أما فيما يخص تعلق أبي عثمان الجاحظ بظاهر هذا البيت، واعتباره نقضا لما أصله النحاة من امتناع الجمع بين الألف واللام و«مِنْ». فقد فنده ابن جني «وذلك أن (مِنْ) هذه ليست التي تصحب أفعل. هذا لتخصيصه فيكون ما رامه أبو عثمان من جمعها مع لام التعريف. وذلك لأنَّها إنّما هي حال من تاء «لست» كقولك: لست

¹ - شرح المفصل ج4، ص139.

² - المفصل في صنعة الإعراب ص293

³ - البيت من السريع للأعشى في خزنة الأدب جص253.

⁴ - الخصائص لابن جني جص233-234.

فيهم بالكثير مالا، وما أنت منهم بالحسن وجهها، أي: لست من بينهم، وفي جملتهم بهذه الصفة؛ كقولك: أنت والله من بين الناس حر، وزيد من جملة رهطه كريم»¹.

ومنه فالشاهد في بيت الأعرابي أن «مِنْ» ليست لابتداء الغاية حتى يقال: أنه جمع بين الألف واللام و«مِنْ»، وذلك ممتنع، وإنما هي بيان الجنس مثلما في قولهم: أنت منهم الفارس أي: أنت الفارس من بينهم، هذا ما أكدّه الزمخشري وعلق عليه بقوله السابق. وهذا يعني أن «مِنْ» في بيت الأعرابي تبعية، وليست تفضيلية. إذ يقول صاحب خزنة الأدب: «والأكثر على أن «مِنْ» هنا للبيان. قال أبو حيان: من في البيت للبيان، لا للتفضيل»².

اشتقاق اسمي الزمان والمكان من الثلاثي المزيد فيه والرباعي:

قال الزمخشري: «وما بني من الثلاثي المزيد فيه والرباعي، فعلى لفظ اسم المفعول ك«المُدْحَل»، و«المُخْرَج»، و«المُعَار»³. أي: أن اسمي الزمان والمكان يصاغان من غير الثلاثي، ومن الرباعي المجرد على زنة اسم المفعول منه، أو على وزن مضارعه بإبدال حرف المضارعة ميما مضمومة، وفتح ما قبل آخره. ويشهد على صحة هذا الاستعمال قول الشاعر:

1- [وما هي إلا في إزار وعِلقَةٍ] مُعَار ابن هَمَامٍ على حيِّ خَنَعَمًا⁴

يصف جارية بصغر السن، حيث كانت تلبس ثيابا قصيرة خاصة بالأطفال، عندما أغار ابن همام على حي خنعم. والشاهد فيه: أن «مُعَار» اسم زمان جاء على وزن مُفَعَل أي: على بناء المفعول من الفعل الثلاثي المزيد «أغار». وقال العجاج:

¹ - الخصائص. لاجني ج 3 ص 234.

² - خزنة الأدب ج 8 ص 256.

³ - المفصل في صنعة الإعراب ص 295.

⁴ - البيت من الطويل لحميد بن ثور الحصالي في شرح أبيات سيويه. للنحاس. تح زهير غازي زاهد. عالم الكتب. ط 1.

بيروت. 1986 ص 846.

2- مُحْرَنْجُمُ الْجَامِلِ وَ النَّوْيِ¹

أي: أن المكان الذي كان مزدحم الإبل والنوي اندرس، وخلا أهله منه، وقد أورد الزمخشري هذا المصراع ليستدل على صحة بناء اسمي المكان والزمان من غير الثلاثي على وزن اسم المفعول منه. ويشهد على ذلك قول الشاعر: «محرّنجم» حيث جاء اسم المكان على وزن اسم المفعول ليصبح قياساً مطرداً في بابه.

فعلا المدح والذم:

فعلا المدح والذم العامين هما: «نعم» و «بئس» وفيهما أربع لغات²: فَعَلٌ، فِعْلٌ، فِعْلٌ، وفَعِلٌ بوزن حَمِدَ، وهو أصله، ويشهد على ذلك قول الشاعر:

[مَا أَقَلَّتْ قَدَمٌ نَاعِلَهَا] نَعِمَ السَّاعُونَ فِي الْأَمْرِ الْمُبِيرِ³

نفسى فداء هذه القبيلة ما أقلت قدم ناعلها، لأنهم نعم الساعون في الأمر الشديد الذي لا يطيق غيرهم القيام به. والشاهد فيه: استعمال «نعم» على الأصل بفتح النون وكسر العين.

تأنيث «نعم» وتذكيره:

يؤنث الفعل «نعم» ويذكر، إما باعتبار اللفظ، أو بالحمل على المعنى «وعلى هذا تقول: «هذه الدار نعمت البلد»، فتؤنث؛ لأنك تعني داراً، فهو من الحمل على المعنى»⁴. ومن ذلك قول الشاعر:

أَوْ حَرَّةٌ عَيْطَلٌ تَبْجَاءُ مُجْفَرَةً دَعَائِمُ الزُّورِ نِعْمَتْ زورقُ الْبَلَدِ⁵

يصف ناقه كريمة الأصل عيطل عظيمة عظام الصدر، هي كالسفينة في البحر. والشاهد فيه: «نعمت زورق البلد» أنت الفعل «نعم» مع أنه مسند إلى مذكر، وهو زورق

¹ البيت من الرجز للعجاج في خزنة الأدب ج¹¹، ص 275.

² ينظر المفصل في صنعة الإعراب ص 350.

³ البيت من الرّمل لطرفة بن العبد في خزنة الأدب 394/9-399.

⁴ شرح المفصل لابن بعيش ج 4 ص 402

⁵ البيت من البسيط لذي الرّمة في ديوانه ص 68.

البلد لأنه يريد به الناقة، فأنت على المعنى، كما أنت مع البلد في قوله: نعمت البلد حين أراد به الدار.

الفعل «حَبَّ»:

قال الزمخشري: «ومعنى «حَبَّ» صار محبوباً جداً، وفيه لغتان: فتح الحاء وضمها»¹ أي حَبَّ وزنه (فَعَلَ) فإذا أريد به المدح نُقِلَ إلى فَعُلَ وقد روي على هاتين اللغتين:

[فَعُلْتُ أَقْتُلُهَا عَنْكُمْ بِمَزَاجِهَا] وَحُبَّ بِهَا مَقْتُولَةً حِينَ تُقْتَلُ²

يدعو الشاعر السقاة إلى مزج الخمر بالماء؛ لأن مزجها يكسر من حدتها، ويزيد طعمها حسناً ومذاقها لذة. والشاهد فيه على أنه جاء في حبَّ، لغتان: فتح الحاء، وضمها.

من معاني تفَعَّلَ:

قال الزمخشري: «و (تَفَعَّلَ) تجيء مطاوع (فَعَلَ) نحو: (كسرتَه فتكسّر)، و (قطعتَه فتقطع) وبمعنى التكلف نحو: (تشجّع)، و (تصبر)، و (تحلم)، و (تمرأاً)»³. ويشهد على صحة إرادة معنى التكلف قول حاتم الطائي:

تَحَلَّمًا عَنِ الْأَذْنِينَ وَاسْتَبَقَ وَدَهَمَ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ الْجِلْمَ حَتَّى تَحَلَّمًا⁴

كَلَّفَ نَفْسَكَ الْحِلْمَ، وَاحْمَلْهَا عَلَيْهِ، وَاسْتَبَقَ وَدَ أَقَارِيكَ بِتَحْمَلِ مَا تَرَاهُ مِنْهُمْ، مِمَّا لَا يَسْرُكُ فَإِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تَكُونَ حَلِيمًا حَتَّى تَكْلِفَ نَفْسَكَ الْحِلْمَ. والشاهد فيه: مجيء «تَفَعَّلَ» بمعنى التكلف، أي: أن تفَعَّلَ بناءً يكون لمن أدخل نفسه في الشيء وإن لم يكن من أهله، كما قالوا: تعرّب وتقيّس»⁵.

¹ - المفصل في صناعة الإعراب ص 352

² - البيت من الطويل للأخطل. في ديوانه. تح مهدي محمد ناصر الدين. دار الكتب العلمية. ط 2. بيروت. 1994. ص 224.

³ - المفصل في صناعة الإعراب ص 358.

⁴ - البيت من الطويل لحاتم الطائي في شرح أبيات المغنى للديب. للبغدادي. تح عبد العزيز رباح ودفاف. دار الثقافة العربية ط 2. دمشق. 1993. ج 8، ص 39.

⁵ - شرح أبيات المغنى ج 8، ص 39.

من معاني تفاعل:

قال الزمخشري: «ويجيء ليُريك الفاعل أنه في حال ليس فيها، نحو: (تغافلت)» و«تعاميت» و«تجاهلت»¹. أي: أن من معاني تفاعل التكلف. ويشهد على صحة هذا المعنى قول الشاعر:

إِذَا تَخَارَزْتُ وَمَا بِي مِنْ خَزْرٍ²

أي: قاربت ما بين جفوني إيهاما مني لغيري أي لا أدقق النظر. والشاهد فيه تخازر بمعنى تكلف الخزر.

تصحيح العين شذوذا:

قال الزمخشري: «وقالوا: (عَوْرٌ)، و«صَيْدٌ»، و«أَزْدَوْجُوا»، و«أَجْتَوْرُوا»، فصححوا العين لأنها في معنى ما يجب فيه تصحيحها، وهو «أفعال»، و«تفاعلو»، ومنهم من لم يلمح الأصل فقال «عار يعار»³. قال الشاعر:

[وسائلة بظهر العيب عني] أعارت عينه أم لم تُعاز⁴

لما استفهم عن العين الواحدة هل عورت؟ عطف بالاثنتين. والشاهد فيه: قلب الواو ألفا في قوله عارت العين، والصواب تصحيحها، والأصل أعورت عينه أم لم تعورا؟

إعلال اسم المفعول:

قال الزمخشري: «وإعلال اسم المفعول منهما أن تسكن عينه، ثم إن المحذوف منها ومن واو مفعول، واو مفعول عند سيبويه، وعند الأخفش العين... وقد شد نحو: (مخيوط)، و«مزيوت»، و«المبيوع»، و«تفاحة مطبوية»⁵. قال الشاعر:

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 395.

² - الرجز لأرطبة بن سهية في سمط اللالائي لأبي عبيد البكري ، ص 299.

³ - المفصل في صنعة الإعراب ص 498.

⁴ - البيت من الوافر لابن أحرر في ديوانه. تح. حسين عطوان. مطبوعات مجمع اللغة العربية. دط. دمشق. دت. ص 76.

⁵ - المفصل في صنعة الإعراب ص 500.

[حَتَّى تَذْكَرَ بَيِّضَاتٍ وَهَيَّجَهُ] يوم رَذَا، عليه الدَّجْنُ مَغِيومٌ¹

لما تذكر الظليم بيضاته أسرع إليها، وهيجه ذلك رذاذ وريح وغيم. والشاهد فيه قوله: مغيوم حيث جاء به على أصله بدون إعلال، والقياس فيه: مغيوم.

رأي سيبويه والأخفش في المعتل العين بالياء التي قبلها ضمة:

قال الزمخشري: «ورأي صاحب الكتاب² في كل ياء هي عين ساكن مضموم ما قبلها أن تقلب الضمة كسرة، لتسلم الياء»³. و«كان أبو الحسن الأخفش يخالفه في هذا الأصل ويبدل من الياء الواو»⁴. وبالنظر إلى هذين الرأيين المتباينين يعتبر قول الشاعر:

وكنت إذا جاري دعا لمضوفة أشمر حتى يبلغ الساق منزري⁵

أي: إذا أصاب جاره مكروها، ودعاه لمساعدته، شمر عن ساعديه، وهب لنصرته. والشاهد فيه قوله: «لمضوفة»، وهو على رأي سيبويه شاذ في القياس والاستعمال. إذ القياس عنده مضيفة، وهو في الشذوذ ك«القود»، و«القصوى»، وهو عند الأخفش قياس، وفيه تقوية لمذهبه لأنه جار على قياسه.

إعلال الاسم الثلاثي المجرد:

قال الزمخشري: «والمصدر يعل بإعلال الفعل. قولهم: «حَالَ جَوَالًا» ك«القود» و«فعل» إذا كان من الواو، سُكِّنَتْ عينه، لاجتماع الضمتين والواو، فيقال: «نور»، و«عون» في جمع «نوار» و«عوان» ويثقل في الشعر»⁶. قال عدِّي بن زيد:

[عن مبرقات بالبُرَيْنَ فيبدو] بالأكُفِّ اللَّامِعَاتِ سُورُ⁷

¹ - البيت من البسيط لعقمة بن عبدة في خزنة الأدب ج 11 ص 295.

² - الكتاب ج 3 ص 384.

³ - الفصل في صناعة الإعراب ص 500

⁴ - شرح المفصل ج 5 ص 454

⁵ - البيت من الطويل لابي جندب الهذلي في خزنة الأدب 417/7.

⁶ - المفصل في صناعة الإعراب ص 501.

⁷ - البيت من الكامل لعددي بن زيد في الكتاب ج 4 ص 359

هؤلاء النسوة يتزيّن، ويظهرن حليهن؛ ليميل إليهن الرجال. حيث البرون: الخلاخل
والسور جمع سوار. والشاهد فيه قوله: «سُورٌ». حيث لم يلتزم الشاعر بتسكين العين
لاجتماع الضمتين لأنها على وزن فَعْل. ويبقى التحريك ضرورة شعرية، كما هو جار في
هذا البيت.

من أحكام الإعلال:

قال الزمخشري: «وقالوا: «تَيَّرَ»، و«لَيَّم» للإعلال الواحد والكسرة. وقالوا: «ثَيَّرَةٌ» لسكون
الواو في الواحد والكسرة، وهذا قليل. والكثير «عَوْدَةٌ»، و«كوزة»، و«زوجة» وقالوا: «طَوَالٌ»
لتحرك الواو في الواحد»¹. قال الشاعر، وقوله ليس بالأعراف:

[تبيّن لي أن القماء ذلّة] وأنّ أعرّ الرجال طيّاها²

تبيّن له بالتجربة صغر القامة ذلة ومهانة، وأن الرجل العزيز هو الطويل. والشاهد فيه
قوله: طيّاها في جمع طويل، وهو شاذ قياسا واستعمالا، إذ القياس طولها «وفي بعض
الروايات طولها، وعليه فلا شاهد في البيت»³.

الإعلال في الجمع:

قال الزمخشري: «وإذا اكتنفت ألف الجمع الذي بعده حرفان واوان، أو ياءان أو واو
وياء، قلبت الثانية همزة، كقولك في «أول»: «أوائل» و«خَيْر»: «خِيائر» وفي «سَيِّقة»: «سَيائق»
وفي «فوعلة» من البيع «بوائع»... وإذا كان الجمع بعد ألفه ثلاثة أحرف، فلا قلب كقولك
«عواوير» و«طواويس»»⁴. أما قول الرّاجز:

وَكَحَلَّ العَيْنَيْنِ بالعواوير⁵

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 503.

² - البيت من الطويل لأتيف بن زبان في شرح شواهد الشافية. للبغدادى. تح محمد نور الحسن. ومحمد الزفزاف. ومحمد
محيي الدين عبد الحميد. دار الكتب العلمية. دط. بيروت. 1982. ص 385.

³ - هامش المفصل في صنعة الإعراب ص 503.

⁴ - المفصل في صنعة الإعراب ص 504

⁵ - الرجز للعجاج في الخصائص ج 3 ص 326

يصف الراجز ما أحلّ به من قذى في العين وألم، ما يقوم مقام الكحل. والشاهد فيه: «تصحيح واو (العواور) الثانية؛ لأنه ينوي الياء المحذوفة (الأصل: عواوير) والواو إذا وقعت في هذا الموقع تهمز لبعدها عن الطرف الذي هو أحق بالتغيير والاعتلال، ولو لم تكن منويّة فيه للزم همزها كما همزت (أواول) فقليل: (أوائل)، في جمع أول¹. هذا ما عبّر عنه الزمخشري بقوله: «إنّما صح لأن الياء مرادة»². وقال الراجز عكس السابق:

فيها عيائيل أسود ونُمُر³

وفيها عيائيل جمع عيّل، والمراد به أشبال السباع. والشاهد فيه قوله: «عيائيل»، حيث أبدل الهمزة من ياء «عيائيل»؛ لأن أصله «عيائل» جمع عيّل، والياء الثانية زائدة للإشباع. وقال الشاعر:

[ألا طرقتها مية ابنة مُنذر] فما أرق النيام إلا سلامها⁴

هلا زارته محبوبته مية ليلا، فما أرق النائمين إلا سلامها، أو كلامها. والشاهد فيه قوله: «النيام في جمع نائم، والقياس النوام، والأصل النيوام قلبت الياء واوا، وأدغمت في الواو فصار النوام وقلب الواو ياء، وإدغامها في الياء شاذ»⁵.

جمع ما آخره واو:

قال الزمخشري: «ولرفضهم في الأسماء المتمكنة أن تتطرف الواو بعد متحرك، قالوا في جمع (دلو) و(حقو) على (أفعل)، وفي جمع (عزقوة)، و(قلنسوة) على حدّ (تمرة) و(تمر): (أدل)، (أحق)، و(عزق)، و(قلنس)»⁶. قال الراجز:

¹ - هامش المفصل في صنعة الإعراب ص 504.

² - المصدر نفسه ص 504.

³ - الرجز لحكيم بن معية في شرح أبيات سيبويه 397/2.

⁴ - البيت من الطويل لذي الرمة في خزانة الأدب ج 3 ص 419.

⁵ - هامش المفصل في صنعة الإعراب ص 505.

⁶ - المصدر نفسه ص 514.

لا صَبْرَ حَتَّى تَلْحَقِي بَعْنَسٍ أَهْلَ الرِّبَاطِ البِيضِ والقَانَسِي¹

يقول مخاطبا ناقته: لا أرفق بك حتى تلحقي بعنس. والشاهد فيه قوله: القانسي، حيث قلب واو (قائسوة) إلى ياء، وضمة السين إلى كسرة؛ لأنه ليس في الأسماء ما آخره واو قبله ضمة.

جمع المعتل الآخر على فعول:

قال الزمخشري: «قالوا: (عُتِيَّ)، و(جُتِيَّ)، و(عُصِيَّ) ففعلوا بالواو المتطرفة بعد الضمة في (فعول)، مع حَجَزِ المدة بينهما ما فعلوا بها في (أدل)، و(قائس)، كما فعلوا في (الكساء) نحو فعلهم في (العصا). وهذا الصنيع مستمرّ فيما كان جمعاً... ولم يستمرّ فيما ليس بجمع، قالوا: (عُتُوَّ)، و(مَعْرُوَّ) وقد قالوا: (عُتِيَّ)، و(مَعْرِيَّ)². قال الشاعر:

وقد علمت عِرْسِي مليكةً أنِّي أنا اللَّيْثُ مَعْدِيًّا عليه وعاديًّا³

قد علمت زوجي أني بمنزلة الليث، إن عدوت أهلك، وإن اعتدى عليّ أحد لم ينل مني. والشاهد فيه قوله: (مَعْدِيًّا)، والأصل فيه مَعْدُوُّ على وزن مَفْعُول، فقلبت الواو الأخيرة ياءً استتقالاً للضمة والواو، وتشبيهاً بما يلزم قلبه من الجمع، فصار مَعْدُوِّي فقلبت الواو ياء، وأدغمت في الياء فصار مَعْدِيًّا فأبدلت ضمة الدال كسرة فصار مَعْدِيًّا.

مجيء الإدغام بدل الإعلال:

قال الزمخشري: «وقد أجروا نحو: (حَيِّيَّ)، و(عَيِّيَّ) مجرى بَقِيَّ، ونَفِيَّ، فلم يعلّوه، وأكثرهم يُدْغِمُ، فيقول: (حَيَّ)، و(عَيَّ) بفتح الفاء وكسرهما⁴. قال عبيد بن الأبرص:

عَيَّوْا بِأَمْرِهِمْ كَمَا عَيَّتْ بِيضَتِهَا الحَمَامَةُ⁵

¹ - الرجز بلا نسبة في الخصائص ج1 ص235.

² - المفصل في صنعة الإعراب ص515.

³ - البيت من الطويل لعبد يغوث بن وقاص الحارثي في خزنة الأدب 101/2.

⁴ - المفصل في صنعة الإعراب ص518.

⁵ - البيت من م الكامل لعبيد بن الأبرص في ديوانه. تح. أشرف أحمد. دار الكتاب العربي. ط1. بيروت. 1994. ص138.

يقال: «إن سبب إنشاده هذا الشعر أن حجرا أب امرئ القيس غضب على قوم عبيد وهم بنو أسد فقتل منهم خلقا كثيرا، فأنشده عبيد أبياتا منها هذا البيت يستعطفه بها عليهم فعفا عنهم وخلي سبيلهم»¹. وهو في هذا البيت «يصف قومه بالعجز عن التخلص من أيدي الملك والتحير في ذلك، وضرب لذلك مثلا بخرق الحمامة وتحيرها في التمهيد لبيضاها»². والشاهد فيه قوله: «عَيُّوا»، و«عَيْتَ»، وقد أجراهما مجرى الصحيح، فسلما من الإعلال والحذف. فالقياس أن تقلب الياء الأولى ألفا؛ لتحركهما وانفتاح ما قبلها.

إنابة المفرد عن الجمع:

لقد حاول الزمخشري أن يكشف عن اللمسة اللغوية اللطيفة الواردة في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾³ أين ورد لفظ السمع مفردا في حين ورد لفظ القلب والبصر جمعاً، وقد أرجع المفسر ذلك إلى أسباب هي كالاتي:

- لمح الأصل حيث السمع مصدر في أصله، والمصادر لا تجمع.
- تقدير مضاف محذوف: أي وعلى حواس سمعهم.
- قراءة ابن أبي عبله «على أسماعهم».
- جمع الأذن في قوله تعالى ﴿وَفِي أَذَانِنَا وَقْرٌ﴾⁴ دليل على أن السمع مصدر لا يجمع ومع عدم جمعه يمتد إلى الكثير.
- أن العرب يفعلون ذلك إذا أمن اللبس ومنه قول الشاعر:

كلوا في بعض بطنكم تعفوا [فإن زمائكم زمنٌ خميص]⁵

يدعونا الشاعر إلى أن نحسب للأيام حسابها، ونعف عن كثرة الأكل، ونقنع باليسير فالزمان ذو مخمصة وجذب. والشاهد فيه: «وضع (البطن) موضع (البطن)»، لأنه اسم

¹ - هامش المفصل في علم العربية للزمخشري، دار الجيل، ط. بيروت، دت. ص 392.

² - المصدر نفسه ص 392.

³ - البقرة من الآية 07

⁴ - فصلت من الآية 05

⁵ - البيت من الوافر بلا نسبة في تخلص الشواهد ص 57&.

جنس ينوب واحده عن جمعه، فأفرد اجتزاء بلفظ الواحد عن الجمع، لأنه لما أضاف «البطن» إلى ضمير الجماعة؛ علم أنه أراد الجمع، إذ لا يكون للجماعة بطن واحد»¹. وهذا ما يريد المفسر إثباته بالنسبة إلى لفظ السمع.

حكم الفعل المسند إلى ضمير الجمع:

يقول صاحب المفصل: «فتقول في الإسناد إليه «الرجال فعلت» و«فعلوا»، و«النساء فعلت» و«فعلن»، وكذلك الأيام»². ويقول في الكشف في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾³ فإن قلت: فهلاً جاءت الصفة مجموعة كما في الموصوف؟ قلت: هما لغتان فصيحتان يقال: النساء فعلن وهن فاعلات وفواعل، والنساء فعلت وهي فاعلة»⁴. وهذا ما يؤكده بيت الحماسة:

وإذا العذاري بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فمّلت⁵
حيث الشاعر يصف العذاري، متلفعات بالدخان، مستعجلات نصب القدور، وقد منعن من ذلك، فأسرعن بدفن الخبز. والشاهد فيه: استعمال «تقنعت» مكان تقنعن وكلتا اللغتين فصيحة، ولذلك ورد على إحدى هاتين اللغتين قوله تعالى: ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾ «والمعنى وجماعة أزواج مطهرة، وقرأ زيد بن علي مطهّرات»⁶. إلا أنّ صاحب التحرير والتنوير⁷ يعتبر أنّ التركيب ممّا هو شائع في كلام العرب لا يحتاج الاستشهاد.

¹ - شرح المفصل لابن يعيش ج4، ص12.

² - المصدر نفسه، ج 3، ص 378.

³ - البقرة، من الآية 25.

⁴ - الكشف، ج 1، ص 116.

⁵ - البيت من الكامل، لسلمي بن ربيعة، في شرح أبيات الحماسة للمرزوقي . تح أحمد أمين. عبد السلام هارون. دار

الجيل. ط1. بيروت. 1991. ص 55.

⁶ - الكشف، ج 1، ص 116.

⁷ - التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور. الدار التونسية للنشر. د.ط. تونس. 1984. ج 1، ص 357.

اشتقاق الفعل من الاسم الجامد: ﴿وَأَذِنَّاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾¹.

ذكر الزمخشري أنّ الفعل يشتقّ من الأسماء الجامدة كاشتقاقه من المصادر فقال: «وفرعون علم لمن ملك العمالقة، كقبيصر لملك الروم، وكسرى لملك الفرس، ولعتوّ الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان إذا عتا وتجرّب»². وجاء في لسان العرب: «وقد تفرعن، وهو ذو فرعنة أي دهاء وتكبر»³. والشاهد على صحّة هذا النوع من الاشتقاق، واستعماله من لدن الفصحاء من العرب ما ورد من مُلح بعضهم:

لقد جاءه موسى الكلوم فزاد في أقصى تفرّعه وفرط عرامه

وفي هذا البيت يسخر الشاعر بأحد العتاة المتجرّبين جاءه يحاول أن يهديه وينقذه من ضلاله فما زاده ذلك إلا استكبارا. والشاهد فيه: اشتقاق الفعل تفرعن من فرعون.

معاني الزيادة في فعّل:

ذكر الزمخشري في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾⁴. «﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ﴾ فمن عجلّ في النفر أو استعجل النفر وتعجّل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجلّ. يقال: تعجّل في الأمر واستعجل، ومتعديين يقال: تعجل الذهاب واستعجله. والمطاوعة أوفق لقوله: ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾. فالفعل المزيد تعجل يفيد المطاوعة، أو التعدي للفعل عجل إلا إن إفادته للمطاوعة في الآية الكريمة أوفق»⁵ بالنظر إلى مطابقتها لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾، كما نص على ذلك الزمخشري. وهذا يماثل تماما ما جاء في قول الشاعر:

¹ - البقرة من الآية 49

² - الكشاف، ج 1، ص 140.

³ - لسان العرب، ابن منظور، مادة (فرع).

⁴ - البقرة من الآية، 203.

⁵ - الكشاف، ج 1، ص 240.

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزَّلُّ¹.
 أي أن بعض الحاجات يناسبها التمهّل والتأني، وبعضها التعجل. والشاهد قوله:
 المستعجل، وما تفيده من المطاوعة كما تفيدها المتأني. والملاحظة أن الشاعر قد أخذ
 معنى بيته من قول عدى بن زيد العبّادي حيث يقول: قد يدرك المبطئ من حظه، والخير
 قد يسبق جهد الحريص.

ضم عين مضارع صار وكسرها: قال الله تعالى: ﴿فَخَذُ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرَهُنَّ إِلَيْكَ﴾²
 قال الزمخشري: «﴿فَصُرَهُنَّ إِلَيْكَ﴾: بضم الصاد وكسرها بمعنى فأملهنّ واضممنهنّ
 إليك»³. والشاهد على ضم الصاد قول الشاعر :

[وما صَيَّرَ الأعناق فيهم جبلة] ولكنّ أطراف الرماح تصوورها⁴
 أي ليس ميل الأعناق طبيعة فيهم وسجية، ولكن ما يميلها كثرة الرماح فوق رؤوسهم .
 والشاهد فيه: «تصورها» على معنى صُرهن في الآية بضم الصاد. أما ما يشهد على كسر
 الصاد فقول الشاعر الآخر:

وفرع يصير الجيد وحفٍ كأنه على اللّيت قنوان الكروم الدوالح⁵
 إذ يصف شعر من يحب بأنه شعر يميل الجيد لغزارته وثقله عليه مشبها إياه بعناقيد
 الكروم المثقلات. والشاهد فيه: يصير بكسر العين في المضارع بمعنى يميل.

حذف فاء الفعل المثال: قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾⁶
 قال الزمخشري: «﴿إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ إلى يسار وقرئ بضم السين كمقبرة ومقبرة ومشرفة

¹ - البيت من البسيط للقطامي في ديوانه. تح. إبراهيم السامرائي. دار الثقافة. ط1. بيروت. 1960. ص 25. ولأعشى في

تخليص الشواهد، ص 102.

² - البقرة من الآية 260.

³ - الكشاف ج 1 ص 289.

⁴ - البيت من الطويل بلا نسبة. في الكشاف ج 1 ص 289.

⁵ - البيت من الطويل بلا نسبة في خزنة الأدب 405/3.

⁶ - البقرة من الآية 280.

ومشرفة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الإضافة¹. وبهذا يكون قد أشار إلى ما يمكن أن تتعرض له هذه الصيغة (مفعلة) من الفعل المثال «يسر» من تغيير في الشكل والبناء، وحذف التاء في بعض القراءات وفق قواعد اللّغة، فقد قرأ كل من «عطاء ومجاهد إلى ميسره بضم السين وكسر الراء بعدها ضمير الغريم، وقرئ كذلك بفتح السين وخرج ذلك على حذف التاء لأجل الإضافة»². وقد استشهد الجميع على جواز هذا النوع من الحذف بقول الشاعر:

[إِنَّ الْخَلِيْطَ أَجْدُوا الْبَيْنَ وَأَنْجَرْدُوا] وَأَخْلَفُوكَ عِدَّ الْأَمْرِ الَّذِي وَعَدُوا³

إذ يندد الشاعر بأخلاق هؤلاء الخليط الذين أحدثوا الفرقة، وذلك قد وعدوه بدوام الألفة ولكنهم لم ينجزوا هذا الوعد، بل أخلفوه. والشاهد فيه: حذف التاء من عدة، إذ من المعلوم أن الفعل «إذا كان ثلاثيا واوي الفاء مفتوح العين، فإن فاءه تحذف في أمثلة المضارع وفي الأمر، وفي المصدر المبني على فعلة ويجب في المصدر تعويض الهاء من المحذوف»⁴. غير أن حذف تاء التانيث من مثل عدة هو «حذف العوض والمعوض عنه وهو لا يجوز، كما لا يجوز الجمع بين العوض والمعوض عنه. والجمهور على أن هذا الحذف شاذ سواء أضيف الاسم... أم لم يضيف، وذهب الفراء إلى أن الاسم إذا أضيف... لم يكن بأس بأن تحذف تاء التانيث، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾⁵. والمحذوف من عدة كالمحذوف في ميسر عند الإضافة.

¹ - الكشاف ج 1 ص 300.

² - البحر المحيط. لأبي حيان. تح عادل أحمد عبد الموجود. وعلي محمد معوض. دار الكتب العلمية. ط1. بيروت. 1993 ج 2 ص 355.

³ - البيت من البسيط لأبي أمية الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب في شرح التصريح 2/ 396 و بلا نسبة في أوضح المسالك 407/4.

⁴ - أوضح المسالك ج 4 ص 406.

⁵ - المصدر نفسه ج 4 ص 407.

تَفَعَّلَ بِمَعْنَى اسْتَفْعَلَ: قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾¹.

قال الزمخشري «فتقبلها بذي قبول حسن أي بأمر ذي قبول حسن، وهو الاختصاص ويجوز أن يكون معنى فتقبلها فاستقبلها كقولك: تعجله بمعنى استعجله، وتقصاه بمعنى استقصاه، وهو كثير في كلامهم من استقبل الأمر إذا أخذه بأوله وعنوانه»². وهكذا فتقبل تأتي بمعنى قبل، وهذا هو المعنى الأساس، كما يجوز أن تكون بمعنى استقبلت الشيء، أي: أخذته أول مرة. ويقول صاحب الدر المصون في هذا الموضوع أن: «تفعل يحتمل وجهين أحدهما: أن يكون بمعنى المجرد، أي: فقبلها بمعنى رضيها مكان الذكر المنذور، ولم يقبل أنثى منذورة مثل مريم... والثاني أن تفعل بمعنى استفعل، أي: استقبلها ربها»³. وقد استشهد الزمخشري على صحة ما ذكر بقول القطامي:

وخيرُ الأمور ما استقبلت منه وليس بأن تتبَّعه اتباعاً⁴

إذ يذكر أن خير الأمور ما تستقبله، وتنتظره فتأخذه أول إتيانه، وليس خيرا ما تصبر عنه حتى يفوتك، ويمضي ثم تتبَّعه اتباعاً. والشاهد فيه: أن استقبل تأتي للمبادرة بالتقبل وأخذ الشيء أول مرة، وهو ما يريد الزمخشري إسقاطه على معنى تقبل في الآية الكريمة حيث تقبل بمعنى استقبل. وقال الزمخشري أيضا في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْخَيْبَ بِالطَّيِّبِ﴾⁵: «ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم، وما أبيع لكم من المكاسب ورزق الله المبتوث في الأرض فتأكلوه مكانه. أولا تستبدلوا الأمر الخبيث وهو اختزال أموال اليتامى بالأمر الطيب، وهو حفظها والتورع منها، والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز منه التعجل بمعنى الاستعجال، والتأخر بمعنى الاستئخار»⁶. وقال

¹ - آل عمران من الآية 37.

² - الكشاف ج 1 ص 329.

³ - الدر المصون ج 3 ص 139.

⁴ - البيت من الوافر للقطامي في ديوانه. تح. إبراهيم السامرائي. دار الثقافة. ط. 1. بيروت 1960 ص 35.

⁵ - النساء، من الآية 2.

⁶ - الكشاف، ج 1، ص 422.

السّمين الحلبي: «وتفعل هنا بمعنى استفعل، وهو كثير نحو تعجل وتأخر بمعنى استفعل واستأخر»¹. فالمؤكد أنّ تفعل بمعنى استفعل في العربية كثير، وليس بعزيز، ومنه فتبدل بمعنى استبدل. ويشهد على ذلك قول ذي الرمة:

فيا كرم السّكن الذين تحمّلوا عن الدار والمستخلف المتبدل²

أي يا كرم أصحاب الدار الذين ارتحلوا عنها، ويا لؤم المستخلف المتبدل، والمراد بذلك التنويه بالمرتحل والإزاء بالمستخلف. والشاهد فيه: استخدام المتبدل بمعنى المستبدل وفيه ما يوحي بمعنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْخَيْبَ بِالطَّيِّبِ﴾، ويعقب الأستاذ يوسف الحمادي محقق الكشاف على فهم الزمخشري لمعنى البيت إذ يقول: «وليس قول المفسر بواضح قاطع في معنى البيت³؛ لأنّ بعض المفسرين يرون أنّه يدلّ على كرم الراحلين والمتخلفين جميعاً⁴.

توحيد الرّاجع إلى المثني:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ﴾⁵ قال الزمخشري: «فإنّ قلت: لم وحد الرّاجع في قوله ﴿لَيَفْتَدُوا بِهِ﴾ وقد ذكر شيان قلت: هو نحو قوله: فإنّي وقيار بها لغريب. أو على إجراء الضمير مجرى اسم الإشارة، كأنه قيل ليفتدوا بذلك، ويجوز أن يكون الواو في ﴿مِثْلَهُ﴾ بمعنى مع فيتوحد المرجوع إليه»⁶. أشار المصنّف إلى أنّه قد وحد الضمير ﴿به﴾ في هذه الآية الكريمة، وإن كان يعود على شيئين معطوف عليه ومعطوف، وهما ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ و﴿مِثْلَهُ﴾ وتخرّج ذلك إمّا على أساس إجراء الضمير في ﴿به﴾ مجرى اسم الإشارة، كأنه قيل ليفتدوا بذلك. وإمّا على أساس

¹ - الدرّ المصون، ج 3، ص 556.

² - البيت من الطويل لذّي الرمة، في ديوانه، ص 498.

³ - يقول الزمخشري في معنى البيت: "أراد ويا لؤم ما استخلفته الدار واستبدلته"، الكشاف، ج 1 ص 422.

⁴ - هامش الكشاف، ج 1، ص 422.

⁵ - المائدة، من الآية 36.

⁶ - الكشاف ج 1 ص 557

اعتبار الواو في ﴿وَمِثْلَهُ﴾ واو المعية، الأمر الذي يجعل المرجوع إليه موحدًا كما جيء بالضمير مفردًا إن تقدمه شيئان لأتّهما في حكم شيء واحد. وهذا نظير قول الشاعر:

[فمن يك أمسى في المدينة رحله] فإني وقيارًا بها لغريب¹

يتحدّث عن نفسه وعن غلامه قيّار، وقيل فرسه، وقيل جملة، فيذكر أنّهما بالمدينة غريبان، وقد حبسه عثمان بن عفّان رضي الله عنه لما هجا بني نهشل². والشاهد فيه: الإخبار عن المثني بالمفرد باعتبار أنّ خبر المبتدأ قيار محذوف تقديره: كذلك.

الإصباح أم الأصباح: قال الله تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾³.

قال الرّمخشري: «الإصباح مصدر سمّي به الصّبح وقرأ الحسن بفتح الهمزة جمع صبح»⁴. وقال صاحب الدرّ المصون: «والظّاهر أنّ الإصباح في الأصل مصدر سمّي به الصّبح وكذا الإمضاء، وقرأ الحسن وأبو رجاء وعيسى بن عمر الأصباح بفتح الهمزة وهو جمع صبح نحو: فُعل أفعال وبرد وأبراد»⁵. وخلاصة القول: أنّ الإصباح مصدر أصبح وبه سمى الصبح، وأما الأصباح فجمع صبح، ولهذا الأخير نظير من شعر السليقة إذ يقول الشاعر:

أفنى رباحًا وبني رباحٍ تتاسخُ الأمساء والأصباح⁶

يتحدّث الشاعر عن إحدى قبائل العرب «رباح» وعن ذويها وقد أفنتهم الأيام، ومضى بهم كَرّ الغداة ومرّ العشيّ. والشاهد فيه: تتاسخ الأمساء والأصباح، أو الإصباح والإمساء فهما جمعان، أو مصدران.

¹ - البيت من الطويل، لضابئ بن الحارث البرجي في تخلص الشواهد، ص 385.

² - ينظر الكشاف تح عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض. ج 2، ص 231.

³ - الأنعام من الآية 96.

⁴ - الكشاف، ج 1، ص 645.

⁵ - الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون. لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي. تح د. أحمد محمد خراط. دار

القلم. د. ط. دمشق. دت ج 5، ص 58-59.

⁶ - البيت من الرّجز بلا نسبة في لسان العرب (صبح).

طائف أم طيف:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ اتَّقُوا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾¹.

ذكر الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية «طَيْفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ» لمة منه مصدر من قولهم: طاف به الخيال يطيف طيفا»². وذكر صاحب الدر المصون: أنه قرأ كل من «ابن كثير وأبو عمرو والكسائي (طَيْفٌ))، والباقون (طَائِفٌ)) بزنة فاعل فأما طَيْفٌ ففيه ثلاثة أوجه، أحدها: أنه مصدر من طاف يطيف كباع يبيع... والثاني: أنه مخفف من فيعل، والأصل طَيْفٌ بتشديد الياء، فحذف عين الكلمة كقولهم: في مَيْتٍ مَيْتٍ وفي لَيْنٍ لَيْنٍ وفي هَيْنٍ هَيْنٍ، ثم طَيْفٌ الذي هو الأصل يحتمل أن يكون من طاف يطيف أو من طاف يطوف، والأصل طَيْوْفٌ فقلب وأدغم، وهذا قول أبي بكر الأنباري. والثالث: أن أصله طَوْفٌ من طاف يطوف فقلبت الواو ياء... وأما طائف فاسم فاعل، يحتمل أن يكون من طاف يطوف فيكون كقائم وقائل، وأن يكون من طاف يطيف فيكون كبائع ومائل. وقد زعم بعضهم أن طَيْفاً وطائفاً بمعنى واحد ويُعزى للفراء³ «⁴». وقد استدلل الزمخشري على أن (طَيْفٌ) مصدر للفعل طاف يطيف بقول كعب بن زهير:

أَتَى أَلْمَ بَكَ الْخِيَالَ يَطِيفُ [ومطافه بك ذُكْرَةٌ و شُعُوف]⁵

حيث يتساءل: أين رأيت طيفها وألم بك خيالها؟ فطاف بك. والشاهد فيه: يطيف والتي

مصدرها الطيف.

1- الأعراف، من الآية 201.

2- الكشف، ج 2، ص 93.

3- معاني القرآن للفراء. عالم الكتب. ط 3 بيروت. 1983 ج 1 ص 402

4- الدرّ المصون، ج 5، ص 546.

5- البيت من الكامل، لكعب بن زهير في ديوانه، صنعة الإمام أبي سعيد السكري. تح مفيد قميحة. دارالشواف للطباعة والنشر. ط 1. السعودية. 1989. ص 84.

فَعَلَ وَأَفْعَلَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾¹

قال الزّمخشرى: «يقال نكره، وأنكره، واستنكره»². وجاء في لسان العرب: «ويقال أنكرت الشيء وأنا أنكره إنكاراً، ونكرته مثله»³. وذكر أبو عبيدة في كتابه مجاز القرآن: «نكرهم وأنكرهم سواء... وكذلك استنكرهم»⁴. وذكر النحاس في كتابه إعراب القرآن: «﴿نَكِرَهُمْ﴾ هذه لغة أهل الحجاز، ولغة أسد وتميم أنكرهم»⁵. وقد استدللّ الجميع بقول الأعشى:

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيبَ والصلعاً⁶

وفيه يقول: إنّ محبوبته جهلته ونفرت منه، وما كان الذي نكرته من الحوادث إلا الشيب والصلع. والشاهد فيه استخدام الأعشى أنكروا ونكر لمعنى واحد «وقيل نكر فيما يرى، وأنكر بما لا يرى من المعاني. فكان الشاعر قال: وأنكرت مودّتي ثم جاءت تنكر الشيب والصلع ممّا يرى بالبصر»⁷ وهكذا تبدو للبيت صلته في المعنى بالآية الكريمة. وذكر أيضاً في معرض تفسيره للآية الكريمة: «الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ»⁸. أن الحسن قد قرأ: «ويصدّون بضمّ الياء وكسر الصاد يقال: صدّه عن كذا وأصدّه»⁹. وذكر صاحب الدرّ المصون: «ويصدّون من أصدّ، وأصدّ منقول من أصدّ اللازم والمفعول محذوف، أي غيرهم أو أنفسهم»¹⁰. ويبدو من كلام الشيخين أنّ الفعل (صدّ) إن اعتبر فعلاً متعدّياً فهو يرادف الفعل أصدّ حيث يقال صدّه عن كذا

¹ - هود، من الآية 70.

² - الكشف، ج 2، ص 274.

³ - لسان العرب، مادة (نكر).

⁴ - مجاز القرآن، ج 1، ص 293.

⁵ - إعراب القرآن، للنحاس، تح زهير غازي زاهد. عالم الكتب. ط. 2. 1985 ج 2، ص 292.

⁶ - البيت من البسيط، للأعشى في ديوانه، ص 1017.

⁷ - البحر المحيط، ج 5، ص 242.

⁸ - إبراهيم، من الآية 03.

⁹ - الكشف، ج 2، ص 383.

¹⁰ - الدرّ المصون، ج 7، ص 69.

وأصدّه بمعنى واحد، وإن اعتبر لازماً، فالفعل أصدّ منقول منه والهمزة فيه همزة التعديّة أو النّقل. ولذا فالزمخشري قد ذكر بيت ذي الرّمّة شاهداً على قولهم: أصدّ لغة في صدّ إذ يقول:

أناسٌ أصدّوا النَّاسَ بالسَّيْفِ عنهم صدودَ السّوافي في أنوفِ الحَوَائمِ¹
 هم رجال دفعوا أعداءهم عنهم بسيوفهم، كما تصدّ وتدفع الرّياح السّوافي عن أنوف الإبل الحواميم. والشّاهد فيه: أصدّوا، وما له من ارتباط بقراءة الحسن: «ويُصدّون عن سبيل اللّهِ». وذكر الزمخشري أيضاً في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبْغٍ لِلآكِلِينَ﴾² أنه: «قرئ: تُنْبِتُ وفيه وجهان: أحدهما أن أنبت بمعنى نبت... والثاني: أن مفعوله محذوف، أي تُنْبِتُ زيتونها وفيه الزيت»³. وقد استشهد على صحة الوجه الأول بقول زهير:

رأيتُ ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم حتى إذا أنبت البقل⁴
 يصف من يمدحهم بأن ذوي الحاجات يتجمعون حول بيوتهم، ويقيمون لا يتحركون إلى حين ينبت البقل. والشاهد فيه: أن أنبت بمعنى نبت، ولهذا المعنى صلة بمن قرأ: {تُنْبِتُ بِالذَّهْنِ}. كما ذكر في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُغْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾⁵ أن: «﴿يَسْلُكْهُ﴾ قرئ بالنون مضمومة ومفتوحة، أي: نُدْخِلْهُ ﴿عَذَابًا﴾ والأصل: نسلكه في عذاب كقوله: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾⁶، فعدي إلى مفعولين: إما بحذف الجار وإيصال الفعل، كقوله: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾⁷. وإما بتضمينه معنى ندخله، يقال: سلكه

¹ - البيت من الطويل لذي الرّمّة في الدرّ المصون، ج 3، ص 325.

¹ - المؤمنون الآية 20.

³ - الكشاف ج3، ص 161.

⁴ - البيت من الطويل لزهير بن أبي سلمى في الكشاف ج3، ص 161.

⁵ - الجن الآية 17

⁶ - المدثر الآية 42

⁷ - الأعراف من الآية 155

وأسلكه»¹. وهذا يعني أن سلك وأسلك بمعنى واحد، وهو فعل متعد إلى مفعول واحد، وعدّي إلى مفعولين: إما بحذف الجار وإيصال الفعل أي: يسلكه في عذاب، وإما بتضمينه معنى يدخله. وقد ورد في كلام العرب ما يدل على فعل وأفعل بمعنى واحد. إذ يقول الشاعر:

حتى إذا أسلوكهم في قتائده [شكلا كما تطرد الجمالة الشردا]².

أي: أسلوكهم بمعنى سلوكهم، وقد ضمن معنى أدخلوهم.

وذكر أيضا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَمْ نُهَكِّ الْأَوَّلِينَ﴾³ أن قتادة قرأ «نُهَكِّ» بفتح النون، من هلكه بمعنى أهلكه»⁴ أي: أن فعل وأفعل في مادة «هلك» بمعنى واحد فنقول: هلكه، أو أهلكه؛ ولذا قرأ قتادة بفتح نون «نُهَكِّ»، وقرأ الباقر بضمها، والمعنى واحد. ويستشهد على ذلك بقول العجاج:

ومهمه هالك من تعرجا [لا يرتجى الخريت منه مخرجا]⁵

يقول: قطع مفازة بعيدة مقفرة تهلك من يعرج بها، فلا يرجو الدليل مخرجا منها إذا ولجها، فما بال غيره. والشاهد فيه: هالك بمعنى مهلك من هلك الثلاثي.

جمع الجمع:

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾⁶.

قال الزمخشري: «الأساطير جمع أسطار: جمع سطر... وهي ما كتبه الأولون مما لا

¹ - الكشاف ج 4 ، ص 536.

² - البيت من البسيط لعبد مناف بن ربح الهذلي في خزنة الأدب 39/7.

³ - الرسائل الآية 16

⁴ - الكشاف ج 4 ص 580

⁵ - الرجز للعجاج في الدار المصون ج 10 ، ص 634

⁶ - المؤمنون الآية 83.

حقيقة له، وجمع أسطورة أوفق»¹. يتضح مما قاله أنّ الأساطير جمع جمع، أو جمع أسطورة، وهو أوفق الرأيين، وإن كان الوجه الأول له ما يعززه من كلام العرب الموثوق بعربيته إذ يقول رؤبة:

إتّي وأسطار سَطْرِن سَطْرَا [لقائل يا نصرُ نصرُ نَصْرًا]²

أقسم بأسطار سطرِن سطرَا، بأنه سينادي نصرًا ليعطيه ويساعده. والشاهد فيه: أسطار جمع سطر، ومنه أساطير جمع أسطار.

إفراد الضمير العائد إل المثنى:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾³.

قال الزمخشري: «معنى ﴿إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ إلى رسول الله كقولك: أعجبنى زيد وكرمه تريد كرم زيد»⁴. أي أنه أفرد الضمير في قوله تعالى: ﴿لِيَحْكُمَ﴾ وقد تقدمه اسمان: وهما الله تعالى ورسوله؛ لأن حكم الرسول هو حكم الله؛ لأنّه لا يحكم إلا عن وحي، وهو شبيهه بقول القائل: أعجبنى زيد وكرمه، أي أعجبنى كرمُ زيد. ومنه أيضا قول الشاعر:

[ومنهل من الفيافي أوسطه] غلّسنه قبل القطا وفرطه⁵

أي: أنّه يبتدئ السير قبل السابقات من القطا. والشاهد فيه قوله: قبل القطا وفرطه والمراد: قبل فرط القطا.

المصدر الميمي: قال الله تعالى: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنْبئُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ﴾⁶

قال الزمخشري: «فإن قلت: قد جعلت الممرِّق مصدرا... فهل يجوز أن يكون مكاناً؟

¹ - الكشاف ج3، ص176.

² - الرجز لرؤبة في ديوانه 174.

³ - النور من الآية 48.

⁴ - الكشاف ج3، ص217.

⁵ - البيت من الرجز بلا نسبة في لسان العرب (غبط).

⁶ - سبأ من الآية 07.

قلت: نعم، ومعناه: ما حصل من الأموات في بطون الطير والسباع، وما مرت به السيول فذهبت به كل مذهب، وما سفته الرياح فطرحته كل مطرح¹. فممزق فيه احتمالان: أحدهما أنه مصدر ميمي من غير الثلاثي على زنة اسم مفعوله، بمعنى كل تمزيق. والثاني: أنه ظرف مكان أي كل مكان تمزيق من القبور، و«بطون الوحش والطيور». ومما جاء مفعّل مجيء التفعيل قول الشاعر:

ألم تعلم مُسَرَّحِي القَوَافِي فلا عِيًّا بهنّ ولا اجتلاباً²

يتساءل الشاعر: أمّا علمت بالقوافي ترسل عني متدفقة متتابعة في غير عجز، وفي غير استكراه. والشاهد فيه: مسرّح مثل ممزق بمعنى تسريح.

مؤنث فَعْلٌ : قال الله تعالى: ﴿بِيضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾³.

قال الزمخشري: ﴿لَذَّةٌ﴾ إما أن توصف باللذّة كأنها نفس اللذّة وعينها، أو هي تأنيث اللذ. يقال لذّ الشيء فهو لذ ولذيذ ووزنه فَعْلٌ كقولك: رجل طَبٌّ⁴. والشاهد على ذلك قول الشاعر:

ولذّ كطعم الصرّخديّ تركته بأرض العدا من خشية الحدّثان⁵

ورُبّ شيء لذّيع يعني النوم كطعم التراب الطيب تركته بأرض العدا خشية الحدّثان. والشاهد فيه: لذّ بمعنى لذّيع.

عودة الضمير المؤنث على شيء مذكر:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾⁶

قال الزمخشري: ﴿اتَّخَذَهَا﴾ أي: اتخذ الآيات هُزُوًا ولم يقل اتخذها للإشعار بأنه أحس

¹ - الكشاف ج 3، ص 508

² - البيت من الوافر لجريير من أبيات الكتاب في ديوانه ص 62.

³ - الصافات الآية 46.

⁴ - الكشاف ج 4 ص 40.

⁵ - البيت من الطويل بلا نسبة في لسان العرب (لذذ)

⁶ - الجاثية من الآية 09.

بشيء من الكلام أنه من جملة الآيات التي أنزلها الله تعالى على محمد ﷺ خاض في الاستهزاء بجميع الآيات، ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه... ويجوز أن يرجع الضمير إلى شيء، لأنه في معنى الآية¹ وهذا يعني أن قوله تعالى: ﴿اتَّخَذَهَا﴾ الضمير المؤنث فيه، وجهان: أحدهما: أنه عائد على ﴿آيَاتِنَا﴾. والثاني: أنه يعود على ﴿شَيْئًا﴾ وإن كان مذكراً؛ لأنه بمعنى الآية². وقد استشهد الزمخشري على هذا بقول أبي العتاهية:

نفسى بشيء من الدنيا معلقةً الله والقائم المهديُّ يكفيها³

يقول: نفسي معلقة بشيء من الدنيا يقصد «عتبة» التي يحبها وأن تحقيق أمله في يد الخليفة المهدي بعد الله. والشاهد فيه: عودة الضمير «ها» في يكفيها على شيء وهو مذكر لأنه كُنِيَ بالشيء عن الجارية «عتبة»، ولذلك أعاد عليه الضمير مؤنثاً.

وصف الواحد بالجمع: قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾⁴.

قال الزمخشري: «والرصد مثل الحرس اسم جمع للراصد على معنى نوي شهاب راصدين بالرجم، وهم الملائكة الذين يرمونهم بالشهب، ويمنعونهم من الاستماع، ويجوز أن يكون صفة للشهاب بمعنى الراصد، أو كقوله:

[كَأَنَّ قَتُودَ رَحْلِي حِينَ ضَمْتِ حَوَالِبَ غُرَزًا] وَمِعَى جِيَاعًا⁵»⁶

وهذا يعني أن كلمة الرصد يجوز أن تعرب صفة للشهاب بمعنى الراصد، أو تعتبر من باب وصف الواحد، وهو الشهاب بالرصد، وهو اسم جمع لكونه مفرداً في معنى الجمع كما وصف القطامي الواحد، وهو المِعَى بالجمع جِيَاع. وهو الشاهد في البيت. أي: أقام

¹ - الكشاف ج 4 ، ص 250.

² - الدر المصون ج 9 ، ص 643.

³ - البيت من البسيط لأبي العتاهية. في البحر المحيط لأبي حيان. تح عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض.

دار الكتب العلمية. ط1. بيروت. 1993. ج.8. ص45

⁴ - سورة الجن من الآية 09.

⁵ - البيت من الوافر للقطامي في ديوانه ، ص 41.

⁶ - الكشاف ج 4 ، ص 533.

الواحد مقام الجمع .

فعليل بمعنى فعل : قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾¹.

قال الزمخشري: ﴿رَهِينَةٌ﴾ ليست بتأنيث رهين في قوله: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾² لتأنيث النفس، لأنه لو قصدت الصفة لقل: رهين، لأن فعيلًا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث، وإنما هي اسم بمعنى الرهن، كالتثيمة بمعنى الشتم، كأنه قيل: كل نفس بما كسبت رهنًا³. فرهينة بمعنى رهن، كشتيمة بمعنى شتم؛ لأنه لو قصدت الصفة لقل: رهين على وزن فعيل بمعنى مفعول مما يتساوى فيه المذكر والمؤنث، وإنما رهينة اسم بمعنى رهن، وليست صفة. ومنه بيت الحماسة :

أبعد الذي بالنعف نعف كويكبٍ رهينة رمسٍ ذي تراب وجندل⁴
أي: أبعد قتل أبي الذي أودعته القبر بعنف كويكب أفرح بالدية؟ لأنه كما قيل: لما قتل أبوه زيادة عرض عليه مقابل ذلك سبع ديات، فأبى إلا الثأر. والشاهد فيه: رهينة بمعنى رهن أي: فعيلة بمعنى فعل .

اسم الجمع : قال الله تعالى: ﴿وَجَنَاتٍ أَلْفَافًا﴾⁵

قال الزمخشري: ﴿أَلْفَافًا﴾ ملتفة ولا واحد له كالأوزاع⁶ والأخفاف⁷ وقيل: الواحد لفٌ وقال صاحب الإقليد⁸: أنشدني الحسن بن علي الطوسي:

جنةٌ لِفٌ وعيشٌ مغدِقٌ وندامى كلهم بيض زُهْر⁹

¹ - المدثر الآية 38

² - الطور من الآية 21

³ - الكشاف ج 4 ، ص 558

⁴ - البيت من الطويل لسور بن زيادة الحارثي في أساس البلاغة مادة (دهن)

⁵ - النبا الآية 16

⁶ - الأوزاع: الجماعات

⁷ - الأخفاف : أولاد الأم من آباء شتى

⁸ - الإقليد اسم تفسير لأبي الفتح الهمداني

⁹ - البيت من الطويل لحسن الطوسي في الدر المصون ج 10 ص 652.

وزعم ابن قتيبة أنه لَفَاءٌ وَلُفٌّ ثم أَلْفَاءٌ. وما أظنه واجدا له نظيرا من نحو: خُضِرَ وأخْضار وحمَر وأحمار، ولو قيل: هو جمع ملتفة بتقدير حرف الزوائد لكان قولاً وجيهاً¹. فيبدو أن في «أَلْفَاءٍ» أوجها: منها أنه اسم جمع لا واحد له من لفظه كالأوزاع والأخفاف، أو أنه جمع الجمع (أَلْفٌ لَفَاءٌ لُفٌّ أَلْفَاءٍ)، أو جمع لِفٍّ، كما جاء في قول الحسن بن علي الطوسي. لكن يبدو لي أن «أَلْفَاءٍ» هي اسم جمع لا واحد له من لفظه.

مصدر فَعَّلَ : قال الله تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾².

قال الزمخشري: «كِذَابًا» تكذيباً وفعال في باب فَعَّلَ فاش في الكلام فصحاء العرب لا يقولون غيره وسمعتهم أفسرُ آية فقال: لقد فسرتها فساراً ما سمع بمثله، وقرئ بالتخفيف وهو مصدر كذب³. يتضح من كلام الزمخشري أن مصدر فَعَّلَ فِعَّالٌ، وأنه فاش في كلام فصحاء من العرب لا يقولون غيره، إلا أنه قرئ بالتخفيف فيهما فقالوا: كَذَّبَ كِذَابًا، والدليل قول الأعشى:

فَصَدَّقْتُهَا وَكَذَّبْتُهَا وَالْمَرْءُ يَنْفَعُهُ كِذَابُهُ⁴

يقول: صدقتها حيناً، وكذبتها حيناً، والمرء قد يغني عنه كذابه. والشاهد فيه: كذابه بالتخفيف مصدر كذب.

مصدر الثلاثي المزيد بحرف : قال الله تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾⁵.

قال الزمخشري: «والإيلاف: من قولك آلفت المكان أولفه إيلافاً إذا ألفتها، فأنا مؤلف... وقرئ لئلاف قريش، وقيل: يقال ألفتها إلفاً وإيلافاً، وقرأ أبو جعفر لإلف قريش⁶. والملاحظ أن قراءة قوله تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ قد تعددت، ولكل منها تخريج، فمن قرأ «إيلاف»

¹ - الكشاف ج 4، ص 586

² - النبأ الآية 28

³ - الكشاف ج 4، ص 589

⁴ - البيت من مجزوء الكامل للأعشى في لسان العرب مادة (صدق)

⁵ - قريش الآية 01

⁶ - الكشاف ج 4 ص 688

بإثبات الياء، فهو على اعتبار أنه مصدر للفعل الثلاثي المزيد بحرف همزة القطع في أوله على زنة أفعل ومصدر إفعال. أما من قرأ: «إلاف قريش» أي: لمؤلفة قريش، فهو على اعتبار أنه مصدر للفعل الثلاثي المزيد بحرف الألف بعد فائه على زنة فاعل فعال ومفاعلة. وأما من قرأ إفا فهو على اعتبار أنه مصدر للفعل الثلاثي. أما من قرأ إفا وإفا فهو على اعتبار أنه مصدر للفعل الثلاثي المجرد على زنة فعل فعلا وفعالا. وقد استشهد الزمخشري على ورود ذلك في كلام العرب بما يلي:

[شددت إليك الرحل فوق شملة] من المؤلفات الزهوية غير الأوراك¹

يقول لممدوحه: قصدتك فوق ناقة نشيطة سريعة التي ألفت السير الطويل بعد الورود وليست من النوق التي تلزم الأراك، وتلبث بالمرعى. والشاهد فيه: المؤلفات من ألف إيلافا أي المعتادات. وقد جمعها من قال :

زعمتم أن إخوانكم قريش لهم إلف وليس لكم إلف²

يخاطب بني أسد مكذبا زعمهم، ويربأ بقريش أن يكونوا إخوة لهم، فلقريش إلف وحرم وليس لبني أسد شيء من ذلك. والشاهد فيه: إلف وإلاف مصدران للفعل ألف الثلاثي المجرد.

تصغير الثلاثي : قال الله تعالى: ﴿لِإِيْلَافِ قُرَيْشٍ﴾³

قال الزمخشري: «قريش ولد النضر بن كنانة سماوا بتصغير قريش، وهو دابة عظيمة في البحر تعبت بالسفن، ولا تطاق إلا بالنار... والتصغير للتعظيم وقيل من القرش، وهو الكسب»⁴ فقريش اسم علم على وزن فُعيل تصغير للاسم الثلاثي قرش سواء كان بمعنى

¹ - البيت من الطويل بلا نسبة في لسان العرب (زها)

² - البيت من الوافر لمساور بن هند بن قيس في لسان العرب (ألف)

³ - قريش الآية 01

⁴ - الكشاف ج 4 ص 689

الحيوان البحري، أو بمعنى الكسب، والغرض من التصغير هو: التعظيم. هذا ما ورد في كلامهم إذ يقول أحدهم:

وَقُرَيْشٌ هِيَ الَّتِي تَسْكُنُ الْبَحْرَ رَ بِهَا سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشًا¹

أي: في البحر دابة تسمى قريشا(تصغير قريش) منها أخذ اسم قريش. فالشاهد فيه: سميت قريشا قريشا .

الإعلال بالحذف: قال الله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ﴾²

قال الزمخشري: « قرئ:أريت بحذف الهمزة، ليس بالاختيار؛ لأن حذفها مختص بالمضارع ، ولم يصح عن العرب ريت، ولكن الذي سهل من أمرها وقوع حرف الاستفهام في أول الكلام»³. فالملاحظ أن قراءة «أريت» بحذف الهمزة، والتي هي عين الكلمة، تعني أن الكلمة حصل فيها إعلال بالحذف، فهي على زنة أفلت، وقد اعتبر الزمخشري هذا الإعلال ليس بالاختيار، حيث لم يصح عن العرب (ريت) إلا أن الذي جوز ذلك هو وقوع حرف الاستفهام في أول الكلام، ولولاه ما جاز للشاعر أن يقول:

صاح هل ريت أو سمعت براع ردّ في الضرع ما قرى في الحلاب⁴

يقول: يا صاحبي هل رأيت يوما راعيا يردّ إلى الضروع ما حلبه في أوعية اللبن. والبيت من باب التمثيل، والمعنى أن الماضي لا يعود. والشاهد فيه: ريت بحذف الهمزة لوقوع حرف الاستفهام (هل) في أول الكلام .

¹ - البيت من الخفيف للمشمرج بن عمرو الحمري في خزنة الأدب 204/1.

² - الماعون الآية 01.

³ - الكشف ج4 ص690

⁴ - البيت من الخفيف لاسماعيل بن بشار في لسان العرب (رأى)

الفصل الرابع : شواهد المستوى النحوي قسم الأسماء

- الفاعل المضمر
- جواز حذف المبتدأ أو الخبر
- مجيء المبتدأ والخبر معرفتين
- حذف خبر إن وأخواتها
- خبر «لا» التي لنفي الجنس
- إعمال لا عمل ليس
- المنادى النكرة
- المنادى المنصوب محلاً
- تابع المنادى المضاف
- الوصف بابن وابنة
- وصف المنادى المبهم
- نداء المعروف بالـ
- تكرار المنادى
- نداء المضاف إلى ياء المتكلم
- الاختصاص
- حذف المنادى
- المنصوب على الاشتغال
- حذف المفعول به
- المفعول فيه
- المفعول معه
- المفعول له
- الحال
- وقوع المصدر حالاً
- تنكير صاحب الحال
- التمييز
- المنصوب على الاستثناء
- تقديم المستثنى ولزوم نصبه
- المستثنى بـ «لاسيما»

- حمل إلا على غير في الوصفية
- حمل البدل على محل الجار والمجرور لا على اللفظ
- المنصوب بلا التي لنفي الجنس
- الإضافة المعنوية
- إضافة ما فيه الألف واللام إلى الضمير المتصل
- إضافة الأسماء المبهمة
- أي المضافة
- حكم ما يضاف إليه كلا
- إضافة الاسم إلى غيره
- عدم جواز الإضافة
- إضافة المسمى إلى اسمه
- إقحام المضاف
- إضافة أسماء الزمان إلى الأفعال
- الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالظرف
- حذف المضاف إليه من الأول استغناء عنه بالثاني
- الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف
- حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه
- جواز إعطاء حكم المضاف المحذوف في غير الإعراب إلى المضاف إليه
- حذف المضاف وترك المضاف إليه على إعرابه
- حذف المضاف والمضاف إليه معا
- حكم ما أضيف إلى ياء المتكلم
- إضافة الأسماء الستة
- التأكيد
- التأكيد النكرة « كل » و « أجمعون »
- حذف الموصوف وإقامة الصفة مكانه
- عطف البيان
- الفرق بين عطف البيان وعطف البدل
- العطف على الضمير
- الاسم المبني
- عدم جواز إحلال الضمير المنفصل بدل الضمير المتصل

- من الأساليب التي يجيء فيها الضمير منفصلاً
- توالي ضميرين ثانيهما منفصل
- ضمير كان وأخواتها
- ضمير الشأن أو القصة
- الضمائر بعد لولا
- الضمائر بعد عسى
- أسماء الإشارة
- الموصلات
- أوجه أي
- ذا بمعنى الذي
- من أسماء الأفعال: (هيا)
- أحكام حيهل
- أحكام بله
- أحكام هيهات
- اسم فعل شتآن
- بناء أسماء الأفعال وإعرابها
- من أسماء الأصوات
- الظروف
- من أحكام حيث
- من أحكام إذ وإذا
- لدى ولغاتها
- ظرف الزمان «أمس»
- ظرفاً الزمان قطً وعوض
- حكم كيف
- المركب من الأسماء
- الفصل بين كم الخبرية وبين مميزها
- إعراب جمع المذكر السالم بالحركات
- إعمال المصدر
- حمل المعطوف على محل المعطوف عليه المجرور
- إعمال مبالغة اسم الفاعل

- عمل اسم الفاعل المثني والمجموع
- مسألة إعراب «حسن وجهه»
- أحكام اسم التفضيل
- عدم إعمال اسم الزمان واسم المكان
- اجتماع ضميري الفاعل والمفعول في أفعال القلوب
- حكم الواو والياء لامين إذا سكن ما قبلها
- إعراب الحكاية
- اسم الإشارة ومطابقته للمشار إليه
- اسم الإشارة أولئك
- الاسم النكرة
- جواز رجوع الضمير إلى محذوف
- حذف مفعول شاء
- إجراء الصفة مجرى الاسم
- حذف العائد
- الحال شبه جملة
- بين وإضافتها إلى مفرد
- التمييز المعرفة
- إعراب كافة
- الإخبار بالمصدر
- نصب قليل ورفعها
- الحال المؤكدة أو النصب على المدح
- عودة ضمير المؤنث على مذكر
- جعل الموصوف ظرفاً للصفة
- إبدال الاسم الظاهر من الضمير
- عطف الظاهر على المضمرة
- الاستثناء المنقطع
- حذف الموصوف
- المخالفة الإعرابية على نية التقديم والتأخير
- العلم المنادى الموصوف بابن مضاف إلى علم آخر
- الفصل بين الفعل والفاعل

- الانتصاب على الظرفية
- حكم الزايط بعد كل اسم ظاهر مسبوق بضمير حاضر
- جريان الخبر على غير ما هو له
- عطف المصدر المؤول على المصدر الصريح
- الوصف بالمصدر
- الضمير العائد
- من نكرة موصوفة
- أوجه إعراب سيرتها
- الجملة الاستثنائية
- صرف سبأ ومنعها
- حذف المنادي
- التقديم البديع في الجملة الاسمية
- من أسماء الأصوات
- المصدر المؤول
- جواز الرفع والنصب باختلاف التقدير
- تأنيث الفعل لتأنيث المستثنى في الاستثناء المفرغ
- المفعول معه
- المنصوب على نزع الخافض
- مما ينوب عن المصدر
- إضمار الخبر
- إضمار الفاعل

من المعلوم أنه ليس للنحو من المباني إلا ما يقدم له جاهزا، ومن ثم ندرك مدى الترابط بين مستويات اللغة وتكاملها، حتى ليصبح التفريق بينها، لا تبرره إلا الرغبة في التحليل. حيث يبحث في هذا المستوى في كلمات الجملة وتراكيبها وترتيبها، وأثر كل كلمة منها في الأخرى تقديما وتأخيرا، أي علاقة كلمات الجملة ببعضها البعض، وكذلك أنواع الجمل. وهو الأمر الذي حاولت الكشف عنه في هذا الفصل الخاص بالحديث عن وظائف الأسماء، والذي يليه، وقد خصصته للحديث عن وظائف الأفعال والحروف، وذلك من خلال جملة من الشواهد الشعرية قد أوردها الزمخشري في كتابيه المفصل والكشاف بغية الاستدلال على الكثير من الوظائف النحوية، لما ورد في كلام العرب من كلمات كانت محل خلاف أو اختلاف، وكذلك بغية توجيه بعض القراءات القرآنية. فكانت الموضوعات على النحو الآتي:

الفاعل المضمر:

قال الزمخشري: «ومضمره في الإسناد إليه كمْظَهَرِه تقول: (ضربت)، (وضربنا)، (ضربوا) و«ضربن»، وتقول: (زيد ضرب) فتتوي في (ضرب) فاعلا، وهو ضمير يرجع إلى زيد شبيهه بالتاء الراجعة إلى «أنا»، (وأنت) في «أنا ضربت»، «وأنت ضربت»¹. ومما يعتبر من إضمار الفاعل أيضا قولك: (ضربت وضربني زيد). «تضمر في الأول اسم من ضربك وضربته إضمارا على شريطة التفسير»²، وهو ما يطلق عليه مصطلح التنازع، أو الإعمال حيث «يتقدم عاملان أو أكثر ويتأخر معمول أو أكثر، ويكون كل من المتقدم طلبا لذلك المتأخر»³. مع العلم أنه: «لا خلاف في جواز إعمال أي العاملين، أو العوامل شئت، وإنما الخلاف في المختار. فالكوفيون يختارون إعمال الأول لسبقه، والبصريون

¹ - المفصل في صنعة الإعراب. الزمخشري. تح. إميل بديع يعقوب. دار الكتب العلمية. ط1 لبنان 1999 ص48

² - المصدر نفسه ص 48

³ - شرح قطر الندى وبل الصدى. ابن هشام الأنصاري تح محمد محي الدين عبد الحميد. دار رحاب للطباعة والنشر

والتوزيع . د. ط. د. ط. ص216

يختارون إعمال الأخير لقربه»¹، أي لقربه من العامل. ومن شواهد البصريين على إعمال العامل الأخير لقربه من المعمول قول طفيل الغنوي:

وَكُمًّا مُدَمَّاءَ كَأَنَّ مُتُونَهَا جَرَى فَوْقَهَا وَاسْتَشَعَرَتْ لَوْنَ مُذْهَبٍ²

وفيه يصف الشاعر خيلاً قائلاً: بأنها ذات ألوان حمراء شديدة الحمرة، مائلة إلى اللون الذهبي كأن عليها شعار ذهب. والشاهد فيه قوله: «جرى فوقها واستشعرت لون»، حيث تقدم عاملان، وهما: جرى واستشعرت، وتأخر عنهما معمول واحد «لون»، وأول العاملين يطلب فاعلاً، وثانيهما يطلب مفعولاً، وقد أعمل الشاعر الثاني؛ بدليل أنه لو أعمل الأول لرفع «لون» وأظهر ضمير المفعول في استشعرت فقال: استشعرت. ومن شواهد الكوفيين على إعمال العامل الأول؛ لسبقه قول عمر بن أبي ربيعة:

[إذا هي لم تستكُ بعودِ أراكِ] تَنخَّلَ فَاسْتَاكَتْ بِهِ عُوْدُ إِسْحَلِ³

يقول: إن محبوبته إذا لم تنظف أسنانها بعود الأراك، تنظفها بعود إسحل ذي الرائحة الطيبة دلالة على تنعمها. والشاهد فيه قوله: «تنخل فاستاكت به عود إسحل» حيث تقدم عاملان تنخل واستاكت، وتأخر عنهما معمول واحد وهو «عود»، وأول العاملين يطلب نائب فاعل؛ لأنه فعل مبني للمجهول، والثاني يتعدى إليه بحرف الجر «الباء»، وقد أعمل الشاعر العامل الأول تنخل فرفع «عود» على أنه نائب فاعل، وأضمر ضمير هذا المعمول مع العامل الثاني «به»، ولو فرضنا أنه أعمل العامل الثاني لقال: تنخل فاستاكت بعود إسحل، على شرط أن يكون في تنخل ضمير مستتر تقديره «هو» يعود إلى عود إسحل المتأخر. ويبدو أن الزمخشري بصري المذهب؛ لأنه مع إعمال الثاني باعتباره «أقرب إلى المعمول، وليس في إعماله تغيير للمعنى، إذ لا فرق في المعنى بين إعمال الأول والثاني، وتكتسب به رعاية جانب القرب وحرمة المجاورة. ومما يدل على رعايتهم جانب

1 - شرح قطر الندى وبل الصدى. ابن هشام الأنصاري ص 216

2 - البيت من الطويل. لطفيل الغنوي في ديوانه. تح. حسان فلاح أوغلي. دار صادر ط 1 بيروت. 1997 ص 32

3 - البيت من الطويل لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه. شرح محمد العناني. مطبعة السعادة. د ط. 1911 ص 498.

القرب والمجاورة أنهم قالوا: «حجر ضب خرب»، و«ماء شن بارد»¹. وكيف لا؟ وهو القائل: «وقد يعمل الأول وهو قليل»². ومما يدل أيضا على توجهه هذا، نفيه أن يكون من باب التنازع قول امرئ القيس:

[ولو أنّ ما أسعى لأدنى معيشة] كفاني ولم أطلب قليل من المال³

ومعناه: أني لو سعيت إلى منزلة دنية، كفاني قليل من المال، ولم أطلب الكثير، وإنما أسعى لطلب معالي الأمور كالملك ونحوه. والشاهد فيه قوله: «كفاني ولم أطلب قليل» حيث اعتقد البعض، وتوهموا أن البيت من باب التنازع، وحجة لأولوية إعمال الفاعل الأول لسبقه، حيث: قليل فاعل كفاني، ولكن في الحقيقة البيت ليس من باب التنازع؛ لأن من شرط التنازع صحة توجه كل واحد من العاملين إلى المعمول المتأخر مع بقاء المعنى صحيحا، والأمر هنا ليس كذلك، فالعامل الأول موجه إلى القليل، والثاني موجه إلى الملك بدليل قوله في البيت التالي للبيت السابق :

ولكنّما أسعى لمجد مؤثّل وقد يدرك المجد المؤثّل أمثالي

ولو نصب قليلا ب«أطلب» لاستحال المعنى، وصار التقدير كفاني قليل ولم أطلب قليلا.

جواز حذف المبتدأ أو الخبر:

يقول ابن يعيش: «اعلم أن المبتدأ والخبر جملة مفيدة تحصل الفائدة بمجموعهما فالمبتدأ معتمد الفائدة، والخبر محل الفائدة، فلا بد منهما، إلا أنه قد توجد قرينة لفظية، أو حالة تغني عن النطق بأحدهما، فيحذف لدالاتها عليه»⁴. ومن شواهد الزمخشري على حذف المبتدأ جوازا قول المرقش:

¹ - شرح المفصل. ابن يعيش. تح. إميل بديع يعقوب. دار الكتب العلمية.. ط1. بيروت 2001 ج1 ص 211

² - المفصل في صنعة الإعراب. الزمخشري. ص49

³ - البيت من الطويل لامرئ القيس في ديوانه. ص 139

⁴ - شرح المفصل. ابن يعيش. ج1 ص239

وَلَا يُبْعِدُ اللَّهُ التَّلْبُوبَ وَالْغَارَاتِ إِذْ قَالَ الْخَمِيسُ نَعَمْ¹

يدعو ربه أن يبقيه على أهبة الاستعداد للقاء الأعداء منتظرا إشارة الجيش؛ لاستلاب العرب ماشيتهم وأنعامهم، وكأن الحرب طريق مشروع للتكسب وجمع المال؛ ولذا فالبيت لاشك أنه يصور جانبا من حياة العرب في جاهليتهم المبنية على السلب والنهب والاعتداد بالقوة. والشاهد فيه قوله: «نعم» خبر لمبتدأ محذوف تقديره هذا نعم فاطلبوه، إلا أنه حذف للعلم به، ولوجود القرينة؛ وهي ذكر الغارات، وليست حرف جواب، كما قد يُعتقد ذلك، وإلا لا شاهد في البيت؛ حيث «النعم في البيت الشاهد واحد الأنعام. وهي المال الراعية، قال ابن سيده الإبل والشاء يذكر ويؤنث... وقال الفراء، النعم ذكر لا يؤنث»². ومن شواهد على حذف الخبر جوازا قول ذي الرمة :

فِيَا ظَبْيَةَ الْوَعَسَاءِ بَيْنَ جُلَاجِلٍ وَبَيْنَ النَّقَا أَنْتِ أَمْ أُمُّ سَالِمٍ؟³

يقول: أيتها الظبية بين رمال جبال الدهناء، أيكما أجمل وأبهي؟ أنت أم أم سالم، تلك المرأة الحسنة، إنكما التبستما علي لشدة تشابهكما. والشاهد فيه قوله: «أنت أم أم سالم»؟ حيث حذف خبر المبتدأ أنت، والتقدير: أنت أجمل أم أم سالم؟ أو أنت الظبية أم أم سالم؟ لوجود قرينة لفظية (ظبية)؛ لأن الخبر إذا فهم دون التلفظ به، جاز حذفه «لأن الألفاظ إنما جيء بها للدلالة على المعنى، فإذا فهم المعنى بدون اللفظ، جاز أن لا تأتي به، ويكون مرادا حكما وتقديرا»⁴. كما اعتبر البيت شاهدا على زيادة ألف بين ألف الاستفهام، وبين الهمزة إذا التقتا؛ لاستئصال اجتماعهما، واستقامة الوزن بها .

¹ البيت من السريع للمرقش الأكبر في لسان العرب مادة ((عم))، وإصلاح المنطق لابن السكيت. تح. أحمد محمد

شاكِر، عبد السلام محمد هارون. دار المعارف. القاهرة ط4. د ت. ص60

² لسان العرب مادة ((نعم))،

³ البيت من الطويل. لذي الرمة في ديوانه. تح. مجيد طراد. دار الكتاب العربي. ط2 بيروت 1996. ص271

⁴ شرح المفصل لابن يعيش. ج1. ص239

مجيء المبتدأ والخبر معرفتين :

إذا كان الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة، والخبر أن يكون نكرة «فإنه قد يقع المبتدأ والخبر معرفتين معا، كقولك: زيد المنطلق، والله إلهنا»¹، ويشهد على ذلك قول أبي النجم:

أنا أبو النجم وشعري شعري²

مفتخرا بشخصه بأنه ذلك الرجل المعروف المشهور، وشعره المتميز بالفصاحة الذي لا نظير له فيها. والشاهد فيه قوله: «أنا أبو النجم» حيث وقع المبتدأ والخبر معرفتين معا وكذلك قوله: «شعري شعري»، مع العلم أنه في هذه الحالة، لا يجوز تقديم الخبر على المبتدأ؛ لأنه يشكل ويلتبس، اللهم إلا إذا كان في اللفظ ما يدل على المبتدأ منهما، كقول الفرزدق:

بنونا بنو أبنائنا وبنائنا بنوهنَّ أبناء الرجال الأبعاد³

حيث قدم الخبر «بنونا» على المبتدأ «بنو أبنائنا»، مع تساويهما في التعريف؛ بالنظر إلى فهم السامع، أن المراد في البيت: أن بني أبنائنا مثل بنينا دون لبس، وهو الأمر الذي كان ينبغي أن يشير إليه الزمخشري.

حذف خبر إن وأخواتها:

وجاء في شرح المفصل لابن يعيش «واعلم أن أخبار هذا الحروف إذا كانت ظرفا، أو جارا ومجرورا، فإنه قد يجوز حذفها، والسكوت على أسمائها دونها، وذلك لكثرة استعمالها الاتساع فيها... ودلالة قرائن الأحوال عليها»⁴. ومن الأبيات الشعرية التي ذكرها الزمخشري شاهدة على حذف خبر إن، قول الأعشى:

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 55 - 56

² - البيت من الرجز لأبي النجم في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي. تح. أحمد أمين، عبد السلام هارون. دار الجيل

بيروت. ط 1. 1991. ج 1. ص 103

³ - البيت من الطويل للفرزدق في شرح ابن عقيل. تح. ح. الفاخوري. دار الجيل بيروت. د. ط. 2003. ج 1. ص 182

⁴ - شرح المفصل لابن يعيش. ج 1. ص 259

إِنَّ مَحَلًّا وَإِنَّ مُرْتَحَلًا وَإِنَّ فِي السَّفَرِ إِذَا مَضَوْا مَهَلًّا¹
 ومعناه: إن لنا محلا في الدنيا إذا عشنا، ولنا مرتحلا إلى الآخرة إذا متنا، ولنا في
 المسافرين قبلنا عبرة لنا لنتعظ. والشاهد فيه قوله: «(إِنَّ مَحَلًّا)» حيث حذف خبر إنَّ لدلالة
 الحال عليه، والتقدير: إن لنا محلا، ومادام اسمها جاء نكرة في مثل هذا الشاهد وغيره
 «فالكوفيون لا يرون حذف الخبر إلا مع النكرة، والبصريون يرونه مع المعرفة والنكرة
 وكان الفراء يذهب إلى أنه إنما يحذف مثل هذا إذا كررت إنَّ، ليعلم أن أحدهما مخالف
 للآخر عند من يظنه غير مخالف، وحكي أن أعرابيا قيل له: «الزبابة الفأرة»، وقال: «(إِنَّ
 الزبابة، وَإِنَّ الفأرة)» ومعناه: إن هذه مخالفة لهذه، والخلاف الذي بين الاسمين يدل على
 الخبر»². وكذلك قول العجاج:

يَا لَيْتَ أَيَّامَ الصَّبَا رَوَّاجِعَا [إِذَا كُنْتُ فِي وَادِي الْعَقِيقِ رَاتِعَا]³
 حيث يتمنى ويلهفة أن يعود به الزمان إلى أيام الشباب، أيام كان في وادي العقيق
 يلهو ويرتع، ولكن هيهات هيهات. والشاهد فيه قوله: «(ليت أيام الصبا رواجعا)» حيث حذف
 خبر ليت والتقدير: يا ليت أيام الصبا لنا رواجعا. إلا أن هناك من العرب من «ينصب الاسم
 والخبر بعد ليت شبيها لها بـ«وددت» و«تمنيت»، لأنها في معناها، وهي لغة بني تميم
 يقولون: «(ليت زيدا قائما)»، كما يقولون: «(ظننت زيدا قائما)»، وعليه الكوفيون»⁴، وكذلك المثل
 العربي: «(ليت القسي كلها أرجلا)»، ومادام الشاعر تميميا، فالصواب في اعتقادي، أنه
 نصب أيامَ ورواجعا وفق لغة قومه بني تميم، وبالتالي لا شاهد على الحذف في هذا
 البيت، بل هو شاهد على نصب الجزئين بليت.

1 - البيت من المنسرح للأعشى في ديوانه ص 34

2- شرح المفصل لابن يعيش. ج.1. ص.260

3- البيت من الرجز للعجاج في ملحق ديوانه. تح. السطلي. مكتبة أطلس. دط. دمشق. دت. ج 2 ص 306

4 - شرح المفصل لابن يعيش. ج.1. ص.261

خبر «لا» التي لنفي الجنس:

لقد اختلف أهل الحجاز، وبنو تميم في خبر لا النافية للجنس، من حيث إظهاره وظهور عمله «فأهل الحجاز يظهرون الخبر فيظهر فيه العمل، وبنو تميم لا يظهرونه البتة، فلا يظهر فيه عمل لا»¹. باعتبار أن «أفضل» في قولهم: «لا رجل أفضل منك» نعت لـ«الرجل» على الموضع، وخبر «لا» مقدر. وقد أورد الزمخشري قول حاتم الطائي على أساس أنه يحتمل الأمرين، إذ يقول:

[إِذَا اللَّقَاحُ غَدَتِ مَلَقَى أَصْرَتَهَا] وَلَا كَرِيمَ مِنَ الْوَلْدَانِ مَصْبُوحٌ²

يصف سنة شديدة الجذب، حيث الناقة الحلوب قد تركت أصرتها، فاللبن عندهم متعذر لا يسقاه الوليد الكريم فضلا عن غيره. والشاهد فيه: وفق نسبته إلى حاتم الطائي قوله: «ولا كريم من الولدان مصبوح» حيث قوله: «مصبوح» يحتمل وجهين: الأول أن يكون «مصبوح» خبر «لا» لنفي الجنس على اللغة الحجازية، وإن كان الشاعر تميميا، على افتراض أنه قد ترك طائيته، وثانيهما: ألا يكون خبر لا، بل هو صفة محمولة على موضع الموصوف أعنى اسم «لا» وهذا ما عبر عنه الزمخشري بقوله أنه: «يحتمل أمرين: أحدهما أن يترك فيه طائيته إلى اللغة الحجازية، والثاني أن لا يجعل «مصبوح» خبرا، ولكن صفة محمولة على محل «لا». مع المنفي»³. ولكن قولهم: أن الحجازيين يجيزون إظهار خبر لا النافية للجنس والتميميين لا يجيزون ذلك أمر فيه نظر؛ لأنه إذا كان المقصود بالتميميين النحاة منهم فهذا أمر مقبول، ولهم أن يتأولوا ما ظهر مخالفا لأصولهم، أما أن يكون المقصود بالتميميين بني تميم عموما، أعتقد أنهم لا يعرفون شيئا من هذه التأويلات، بل

1 - شرح المفصل لابن يعيش ج1 ص 263

2 - البيت من البسيط لحاتم الطائي في ديوانه. دار صادر. د. ط. بيروت 1981 ص 8

3 - المفصل في صنعة الإعراب ص 59

هم يفعلون ما قاله الزمخشري: « وبنو تميم لا يثبتونه في كلامهم أصلاً»¹؛ ومنه فكل كلام فصيح ظهر فيه خبر لا النافية للجنس، ينسب و فقط لأهل الحجاز، وبنو تميم منه براء .

إعمال لا عمل ليس:

لا النافية للوحدة حرف مشبه بليس، وحكمه حكم (ما) في الشبه والإعمال، إلا أن (لا) لم تدخل «إلا على النكرة، فقيل: «لا رجلٌ أفضلَ منك»، وامتنع «لا زيد منطلقاً»، واستعمال لا بمعنى ليس قليل»². ومما يشهد على إعمال (لا) قول الشاعر، وهو من أبيات الكتاب :

مَنْ صَدَّ عَنْ نَيْرَانِهَا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَاخُ³

يصف الشاعر نفسه بالشجاعة والثبات على موقفه في الحرب، فهو ابن قيس لا يفر منها، إذا فرَّ الأقران تعريضاً بالحارث بن عباد، واعتزاله حرب بكر وتغلب. والشاهد قوله: «(لا براح)؛ أي لا براح لي، حيث أعمل (لا) عمل ليس، فرفع بها (براح) وحذف الخبر، ومما تجدر الإشارة إليه أن نصب «ابن قيس» على الاختصاص أجود، من جعله خبراً، كما جاء في هذه الرواية، ما دام الشاعر ليس بالنكرة، وإنما يريد أن يفخر بنفسه، ويُعلي من شأنها.

المنادى النكرة:

ومن الشواهد التي ذكرها الزمخشري على نصب المنادى النكرة غير المقصودة بعامل لايجوز إظهاره، ولا اللفظ به قول الشاعر :

فيا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضَتْ فَبَلَّغْنِ نَدَامَايَ مِنْ نَجْرَانَ أَلَّا تَلَاقِيَا⁴

إذ يخاطب الشاعر كل راكب إذا أتى مكة والمدينة، فليبلغ أصحابه بأني لن ألتقي بهم

¹ - المفصل في صنعة الإعراب.ص60

² - المصدر نفسه.ص61

³ - البيت من مجزوء الكامل لسعد بن مالك في شرح أبيات المغني للبيгдаي.تح عبد العزيز رباح.وأحمد يوسف دقاق. دار الثقافة العربية.ط2.دمشق.1993 ج.4.ص313.

⁴ - البيت من الطويل.لعبد يغوث بن وقاص في شرح المفصل ج1ص215

بعد اليوم. والشاهد فيه: نصب (راكبا)، لأنه منادى نكرة غير مقصودة، ولو أراد راكبا بعينه لبناه على الضم، وإنما قال هذا لأنه كان أسيرا، إلا أن أبا عبيدة ذهب إلى أن الشاعر «أراد يا ركباه للندبة فحذف الهاء كقوله تعالى: ﴿يَا أَسْفَ عَلَى يُوْسُفَ﴾¹، ولا يجوز يا راكبا بالتثوين، لأنه قصد به راكبا بعينه»².

المنادى المنصوب محلا:

ويكون المنادى في محل نصب «إذا كان مفردا معرفة، كقولك: (يا زيد)، و(يا غلام) و(يا أيها الرجل)، أو داخلة عليه لام الاستغاثة، أو لام التعجب»³. ومن شواهد المنادى الداخلة عليه لام الاستغاثة مما هو منصوب في التقدير والموضع. قول الشاعر:

يَا لَعَطَافِنَا وَيَا لِرِّيَّاحِ وَأَبِي الْحَشْرَجِ الْفَتَى النَّفَّاحِ⁴

يرثى هؤلاء الرجال: عطاف، ورياح، وأبي الحشرج خيرة قومه، لما ذهبوا، لم يبق للعلا والمساعي النبيلة من يقوم بها من بعدهم. وفيه دلالة على تعلق القبيلة برجالها الذائدين عنها. والشاهد فيه: دخول لام الاستغاثة على المنادى عطاف، ورياح، ونصبهما محلا.

تابع المنادى المضاف:

قال الزمخشري: «تابع المنادى المضموم غير المبهم إذا أفردت حملت على لفظه ومحلّه⁵ أي: أن المنادى العلم المفرد لك أن تصفه، وتؤكدده، وتبدل منه، وتعطف عليه بحرف العطف وعطف البيان، ويكون حكم تابعه الرفع على اللفظ، أو النصب على الموضع. «إلا البدل ونحو زيد وعمرو من المعطوفات»⁶. لم يكن فيهما إلا البناء والضم

¹ - سورة يوسف من الآية 84

² - الصحاح مادة (عرض)

³ - المفصل في صنعة الإعراب ص 68

⁴ - البيت من الخفيف بلا نسبة في الكتاب ج 2 ص 217

⁵ - المفصل في صنعة الإعراب ص 68

⁶ - المصدر نفسه ص 68

لكن «إذا أضيفت فالنصب»¹؛ أي إذا كان هذا التابع للمنادى العلم المفرد مضافا لم يكن فيه إلا النصب. والشاهد على ذلك قول الشاعر:

أزِيدُ أَخَا وَرَقَاءَ إِنْ كُنْتَ ثَائِرًا فَفَدُّ عَرَضَتْ أَحْنَاءُ أَمْرِ فَخَاصِمٍ²

ومعناه: قد ظهرت جوانب الحق، فإن كنت طالبا لتأرك فقد أمكنك ذلك فأطلبه، وخاصم فيه. والشاهد فيه قوله: «أخا ورقاء» حيث نصب الصفة أخا؛ لأنها مضافة، وكذلك سائر توابع هذا النوع من المنادى إذا كانت مضافة تكون منصوبة؛ لأنها مستهدفة لدخول حرف النداء عليها.

الوصف بابن وابنة:

من المعلوم أنه إذا وقع ابن أو ابنة وصفا بين علمين، أو ما يجري مجرى الأعلام من الكنى والألقاب فإنهم «استجازوا فيه من التخفيف ما لم يستجيزوه مع غيره، فحذف ألف الوصل من ابن؛ لأنه لا يقوى فصله مما قبله... وحذفوا تنوين الموصوف أيضا كأنهم جعلوا الاسمين اسما واحدا؛ لكثرة الاستعمال، وأتبعوا حركة الاسم الأول حركة الاسم الثاني»³. ولكن العرب «قد جوزوا في الوصف التنوين في ضرورة الشعر»⁴.

جَارِيَةٌ مِنْ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ⁵

يصف جارية من قبيلة قيس بن ثعلبة. والشاهد فيه أنه أثبت التنوين في موصوف «بن» بين العلمين قيس وثعلبة، وذلك شاذ باعتباره مستوفيا للشروط المذكورة آنفا، فالقياس حذفه، وإنما ذكره للضرورة الشعرية، إلا أن ابن جني يرى الوجه أن يكون «بدلا من زيد لا

¹ البيت من الطويل بلا نسبة في شرح المفصل لابن يعيش 330/1

² البيت بلا نسبة في الكتاب ج 2 ص 183

³ شرح المفصل لابن يعيش ج 1 ص 333

⁴ المفصل في صنعة الإعراب ص 69

⁵ البيت من الرجز للأغلب العجلي في خزنة الأدب. عبد القادر البغدادي. تح. عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي. ط 4.

القاهرة. 1997 ج 2 ص 236

وصفا له؛ لأنه لو كان وصفا لحذف تنوينه»¹، ولكن في حقيقة الأمر هذا لم يغب عن الزمخشري، وشراح المفصل باعتبار أن التنوين ضرورة شعرية و فقط.

وصف المنادى المبهم:

قال الزمخشري: «والمنادى المبهم شيان أي، واسم الإشارة، فأَيُّ يُوصف بشيئين: بما فيها الألف واللام مقحمة بينهما كلمة التنبيه، وباسم الإشارة كقولك: «يأيها الرجل، ويا أيهذا»². ومن شواهد وصف المنادى المبهم سواء باسم الإشارة، أو بما فيه الـ:

1- قول ذي الرمة:

أَلَا أَيُّهَذَا الْبَاخِعُ الْوَجْدُ نَفْسَهُ لَشَيْءٍ نَحْتَهُ عَنْ يَدَيْهِ الْمَقَادِرُ³
ومعناه: يا من قتل الوجد نفسه لشيء نحتة عنه المقادر، إنَّ ذلك ليس مغنيا عنك.
والشاهد فيه قوله: «ألا أيهذا الباخع» حيث وصف الاسم المبهم «أي» باسم الإشارة «ذا»
ووصف اسم الإشارة بمعرفة هي الباخع .

2- قول خرز بن لوذان:

يَا صَاحِبِ يَا ذَا الضَّامِرِ الْعَنْسِ [وَالرَّحْلُ ذِي الْأَنْسَاعِ وَالْحَلْسُ]⁴
يا صاحبي صاحب الناقة القوية التي أضرها السفر، والترحال المتواصل. والشاهد فيه
قوله: «يا ذا الضامر العنس» حيث جاء ما فيه الألف واللام وصفا مرفوعا لاسم الإشارة
«ذا»، وقد علمنا أن صفة المنادى إذا كانت مضافة فحكمها النصب. ولم جاءت مرفوعة
في هذا البيت؟ مردّ ذلك إلى أن الإضافة غير محضة إذ التقدير يا ذا الذي ضممت
عنسه، ولا شك أن الموصول مع صلته بمنزلة اسم مفرد؛ ولذلك رفعت.

3- قول عبيد بن الأبرص:

¹ - الخصائص. لابن جني. تح. علي محمد النجار. المكتبة العلمية. د. ط. مصر. دت ج 2 ص 491.

² - المفصل في صنعة الإعراب ص 70.

³ - البيت من الطويل لذي الرمة في ديوانه. شرح التبريزي. تح. مجيد طراد. دار الكتاب العربي. ط 2. بيروت. 1996 ص 361

⁴ - البيت من الكامل لخرز بن لوذان في خزنة الأدب ج 2 ص 230-233 والكتاب ج 2 ص 190.

يا ذا المخوفنا بمقتل شَيْخِهِ حُجْرٍ تَمْنِي صاحبِ الأحلام¹
 يخاطب امرأ القيس بن حجر الذي توعد بني أسد الذين قتلوا أباه قائلاً له: إن ما تمنيته
 لن يقع البتة، فهو مجرد أحلام، وأنت لا تقدر على أخذ ثأرك، وما توعدتنا به من إبادة.
 فالبيت يعكس جانبا من التقاليد العربية المبنية على الصراحة. والشاهد فيه: وصف اسم
 الإشارة (ذا) بصفة معرفة بـ(أل) المخوفنا. ويبدو من خلال هذه الشواهد الثلاثة أن هناك
 تكرارا، ما دام الشاهد الأول قد جمع فيه الشاعر بين وصف المنادى المبهم باسم الإشارة
 (أي هذا)، وما فيه الألف واللام (الباع).

نداء المعرفة بالـ:

قال الزمخشري: «ولا ينادى ما فيه الألف واللام، إلا (الله) وحده لأنهما لا تفارقانه، كما
 لا تفارقان (النجم)، مع أنهما خَفَّ عن همزة (إله)»².

مِنْ أَجْلِكَ يَا الَّتِي تَيَّمَّتْ قَلْبِي وَأَنْتِ بَخِيلَةٌ بِالْوَصْلِ عَنِّي³
 يخاطب محبوبته التي تيمت قلبه العاشق، وبخلت عليه بالمحبة قائلاً: من أجلك كل
 هذه المعاناة. والشاهد فيه قوله: (يا التي) حيث دخلت (يا) على التي، ودخول حرف النداء
 على ما فيه (أل) لا يجوز إلا على لفظ الجلالة، ومنه فدخولها هنا شاذ للضرورة الشعرية
 «قياساً واستعمالاً، فأما القياس فلما في نداء ما فيه الألف واللام على ما ذكر، وأما
 الاستعمال فظاهر لم يأت منه إلا ما ذكر، وهو حرف أو حرفان»⁴.

تكرار المنادى:

قال الزمخشري: «وإذا كرر المنادى في حال الإضافة، ففيه وجهان أحدهما: ينصب

¹ - البيت من الكامل لعبيد الأبرص في خزانة الأدب للبغدادى. ج. 2. ص 212

² - المفصل في صنعة الإعراب ص 71.

³ - البيت من الوافر بلا نسبة في أسرار العربية. للأنباري. تح. محمد بهجت البيطار. مطبوعات المجمع العلمي العربي.
 دط. دمشق. دت. ص 230.

⁴ - شرح المفصل. لابن يعيش ج 1 ص 344.

الاسمان معا... والثاني أن يضم الأول»¹. وهذا يعني أن المنادى إذا كان مضافا، وكرر المضاف دون المضاف إليه ففيه وجهان: أحدهما نصب الأول والثاني معا باعتبار أن الأول هو المضاف، والثاني ضرب من التأكيد؛ إذ يقول سيبويه: «لأن قد علمنا أنك لو لم تكرر الاسم الثاني، لم يكن إلا منصوبا، فلما كررته بقي على حاله»²؛ ولذا شبه الخليل³ هذا النوع من التركيب بـ«(لا أبالك)». والثاني: رفع الأول ونصب الثاني، وهو القياس باعتبار أن الأول مفرد معرفة ينبغي أن يبنى على الضم، والثاني اسم مضاف ينبغي أن ينصب. ومن شواهد الوجه الأول قول جرير:

1- يَا تَيْمَ تَيْمَ عِدِّي، لَا أَبَا لَكُمْ لَا يُلْقَيْنَكُمُ فِي سَوْءَةٍ عُمَرُ⁴

ومعناه: يا بني تيم كفوا شاعركم عمر عن هجوي، وتنبهوا، وإلا أوقعكم في هجاء فاحش مني. مع أنه لم يفعل ذلك مع صاحبيه الأخطل والفرزدق. والبيت لا شك أنه يكشف عن أهمية الشاعر، وضرورة اتقاء لسانه. والشاهد فيه قوله: (يا تيم تيم عدي) حيث كرر المنادى في حال الإضافة، فجاز فيه وجهان: نصب الاسمين معا، وقد فعل الشاعر ذلك أو ضم الأول، ونصب الثاني، قال الخليل ويونس⁵ هما سواء في المعنى، وهما لغة العرب، وذكر ابن يعيش أن البيت قد روى على الوجهين المذكورين⁶.

قال بعض ولد جرير:

2- يَا زَيْدَ زَيْدَ الْيَعْمَلَاتِ الدُّبْلِ تَطَاوَلَ اللَّيْلُ عَلَيْكَ فَأَنْزَلِ⁷

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص. 72.

² - الكتاب لسيبويه ج 2 ص. 206.

³ - المصدر نفسه ج 2 ص. 205.

⁴ - البيت من البسيط لجرير في ديوانه. تح. محمد الصاوي. المكتبة التجارية الكبرى ط 1. مصر د ب ص 285.

⁵ - ينظر الكشف ج 2 ص 205.

⁶ - ينظر شرح المفصل لابن يعيش ج 1 ص 348.

⁷ - البيت من الرجز لبعض بني جرير في شرح المفصل 1/348 والكتاب 2/206 ولعبد الله بن رواحة في ديوانه. تح.

وليد قصاب، دار العلوم للطباعة والنشر ط 1 الرياض 1981 ص 152 مع ملاحظة أن رواية هديت بدل عليك أنسب

لأن الشاعر في مقام النصيح والإرشاد، وأكثر تعبيراً عن ثقافة الشاعر إن كان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه.

يقول: قد ملت الإبل، وأصابها الإعياء من كثرة السير؛ فانزل عنها وأخذ لها؛ ليزول عنها ما نزل بها. والشاهد فيه قوله: «يا زيد زيد العملات» حيث كرر المنادى في حال الإضافة، فنصب الاسمين معا على الوجه الأول. وبهذا اكتفى الزمخشري بالاستشهاد على رواية النصب، وللمرة الثانية باعتبار أن الوجه الثاني قياسي جاء على الأصل؛ فهو لا يحتاج إلى دليل.

نداء المضاف إلى ياء المتكلم:

قال الزمخشري: «وقالوا «يا ابن أمي»، و«يا ابن عمي»، و«يا ابن أم»، «يا ابن عم» و«يا ابن أم»، و«يا ابن عم»، وقال أبو النجم:

يا ابنة عمّا لا تلومي واهجعي ألم يكن يبيضُ لو لم يصلع¹

جعلوا الاسمين كاسم واحد². أي: إذا كان القياس في قولهم: «يا ابن أخي» أن لا تحذف الياء؛ لأن النداء لم يقع على الأخ إلا أنه ورد عن العرب، كما ذكر الزمخشري في قولهم: «يا ابن أمي»، «يا ابن عمي» أربعة أوجه مسموعة هي: إثبات الياء، وهو القياس حذف الياء مع الفتح، وحذف الياء مع الكسر، وجعل مكان الياء ألفا. ويعتبر ما قاله أبو النجم شاهدا على هذا الوجه الأخير، أين قام العرب بإبدال الياء ألفا تخفيفا ليس إلا باعتبار أن الأوجه الأخرى مما هو قياسي لا يحتاج إلى دليل، ومنها ما هو مجرد تحوير للوجه القياسي.

الاختصاص: قال ابن مالك:

الاختصاصُ كنداءٍ دون يا ك «أيها الفتى» بإثْرٍ «أرجونيا»
وقد يُرى ذَا دون «أيّ» تَلَوَّ «أل» كمثل «نحن العُربُ أسخى من بذل»

¹ - البيت من الرجز لأبي النجم في خزنة الأدب ج 1 ص 364

² - المفصل في صنعة الإعراب ص 73-74

فالاختصاص كما أشار إليه ابن مالك نوعان مختلفان من جهة اللفظ، أحدهما: اختصاص يقع للمتكلم نحن: «اللهم اغفر لنا أيتها العصابة»، جعلوا «أيًا» مع صفته دليلاً على الاختصاص والتوضيح¹. وللمخاطب نحو: أنتم تفعلون أيها القوم، ومنه فهذا النوع من الاختصاص «يأتي على صورة نداء المحلى بـ(أل) مع (أي) فقط، غير متضمن معنى الإنشاء، ولا مصاحب حرف النداء»². وثانيها: اختصاص «يجري على مذهب النداء من النصب بفعل مضمر غير مستعمل إظهاره، وليس بنداء على الحقيقة»³، نحو: «نحن العرب أقرى الناس للضيف»، إلا أن الاختصاص من النوع الأول مختص بـ(أي) دون غيرها من الأسماء. أما النوع الثاني فيكون في سائر الأسماء، وإن كان صاحب كتاب التخمير⁴ قد استخلص من كلام الزمخشري أن الاختصاص أربعة أضرب: المختص بأيّ والمعرف بـ(أل)، والمعرف بالإضافة، والنكرة المعطوفة. وقد ذكر الزمخشري من الشواهد ما دل على أنه قد جاء نكرة، وذلك في قول الهذلي:

وَيَأْوِي إِلَى نِسْوَةٍ عَطَلٍ وَشُعْنًا مَرَّاضِيَعٍ مِثْلَ السَّعَالِي⁵

يصف صيادا قائلاً: إن هذا الصياد يغيب عن أهله، وإذا عاد إليهن رأهن مثل السعالي في قبح المنظر، وسوء الحال. والشاهد فيه قوله: «نسوة عطل وشعنا» حيث نصب «شعنا» على الترحم لفعل محذوف تقديره: أعني شعنا، وقد جاء نكرة، والأصل فيه أن يكون معرفة؛ مما دفع بالزمخشري إلى استحضار هذا الشاهد. كما أشير إلى أنه كان من المفروض أن يقول: شعث بالجر صفة لنسوة، وما دام صفة شعث أسوأ حالا من عطل

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 75.

² - شرح بن عقيل. تج. ح. الفاخوري. دار الجيل. دط. بيروت. 2003 ج 2 ص 296.

³ - شرح المفصل. لابن يعيش ج 1 ص 371.

⁴ - ينظر التخمير. لصدر الأفاضل. تج. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين. دار الغرب الإسلامي. دط. السعودية. دت. ج 1 ص 359-361.

⁵ - البيت من المتقارب لأمية بن عائد الهذلي في خزنة الأدب ج 2 ص 42.

اختصها، ونصبها على الترحم بفعل مضمر، أما من رواه بالجر فلا شاهد فيه، مع العلم أن الواو الداخلة بين الصفة والموصوف، إنما هي لتأكيد لحاق الصفة بالموصوف.

حذف المنادى:

قال الزمخشري: «وقد يحذف المنادى فيقال: (يا بؤس لزيد) بمعنى (يا قوم بؤس لزيد)»¹. وهذا يعني أن العرب «كما حذفوا حرف النداء لدلالة المنادى عليه، كذلك أيضا قد يحذفون المنادى لدلالة حرف النداء عليه»². والشاهد على ذلك قول الشاعر: وهو من أبيات الكتاب التي لم يعرف لها قائل:

يا لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْأَقْوَامِ كُلِّهِمِ الصَّالِحُونَ عَلَى سِمَعَانَ مِنْ جَارٍ³

ومعناه: يا قوم لعنة الله، والأقوام الصالحين على سمعان من حيث هو جار لي. والشاهد فيه قوله: (يا لعنة الله) حيث حذف المنادى بـ (يا) والتقدير: يا قوم لعنة الله، أو يا هؤلاء لعنة الله. كما يعتبر البيت أيضا شاهدا على جواز العطف على المحل حيث «والصالحون» اسم معطوف على محل لفظ الجلالة، لأنه فاعل في المعنى، مرفوع بالواو لأنه جمع مذكر سالم، كما يروى بالجر عطفًا على اللفظ. ويمكن أن أسجل من خلال هذا الشاهد الأمور الآتية:

- لعنة ليست مناداة بدليل أنها ليست منصوبة مع أنها مضافة.
- وقال سيبويه: «و"يا" لغير اللعنة»⁴ أي: أن المنادى محذوف وهو غير اللعنة.
- «من» في البيت حرف جر زائد «جار» اسم مجرور لفظا منصوب محلا على أنه تمييز.
- جواز اعتبار «يا» لمجرد التنبيه، كأنه نبه الحاضرين على سبيل الاستعطاف لاستماع دعائه.

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 77.

² - شرح المفصل لابن يعيش في ج 1 ص 385-386.

³ - البيت من البسيط بلا نسبة في الكتاب لسيبويه. ج 2 ص 219.

⁴ - الكتاب لسيبويه ج 2 ص 220.

المنصوب على الاشتغال:

الاشتغال: «أن يتقدم اسم ويتأخر عنه فعل عامل في ضميره، يكون ذلك الفعل بحيث لو فرغ من ذلك المعمول وسلط على الاسم الأول لنصبه»¹. وهو ما عبر عنه الزمخشري بقوله: «ومن المنصوب باللازم إضماره ما أضمر عامله على شريطة التفسير في قولك: (زيدا ضربته)، كأنك قلت: ضربت زيدا ضربته، إلا أنك لا تبرزه استغناء عنه بتفسيره»².

ومن الأبيات التي أنشدها الزمخشري شاهدة على هذه الظاهرة قول ذي الرمة
إذا ابن أبي موسى بلالاً بلغته فقام بفأسٍ بين وصليك جازر³
يخاطب ناقتة: إذا أوصلتني إلى قاضي البصرة بلال بن أبي بردة بن أبي موسى
الأشعري تخليت عنك، لأنني سوف أستغني عن الرحيل إلى غيره. والشاهد فيه قوله: «إذا ابن
أبي موسى» حيث جاء «ابن» مفعولاً به لفعل مضمر بعد إذا يفسره بلغته، كأنه قال: إذا
بلغت ابن أبي موسى بلالاً بلغته، وما يمكن استخلاصه من هذا الشاهد من فوائد هي
كالآتي:

• يجوز دخول الفاء الرابطة لجواب الشرط على الفعل الماضي إذا كان يفيد الدعاء ولذا
فقوله: «فقام بفأس بين وصليك جازر» دعاء، ولولا ذلك لم يجز دخول الفاء، ألا ترى أنك
تقول: «إن أتاني زيد أتيت» ولا يجوز فأتيت؟ وتقول: «إن أتاني زيد فأحسن الله جزاءه» لأن فيه
دعاء⁴. وقد عيب على الشاعر ذلك فقالوا: «كان سبيله إذا أوصلته إلى مقصوده ومطلوبه
أن يعاملها بالحسنى، وينظر إليها، لا أن ينحرها؛ فهو إذا إلى الهجاء أقرب»⁵.

¹ - شرح قطر الندى. لابن هشام تح. محمد محي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية. ط1. بيروت. 1994. ص210.

² - المفصل في صنعة الإعراب ص81.

³ - البيت من الطويل لذي الرمة في ديوانه ص1042.

⁴ - شرح المفصل. لابن يعيش ج1 ص402.

⁵ - المصدر نفسه ج1 ص402-403.

- يروى «ابن» بالنصب وهو الشاهد، وبالرفع على أنه نائب فاعل؛ لفعل محذوف يفسره ما بعده، ولكن المؤكد أن ذا الرّمة أنشد البيت بإحدى الروایتين، فمن أين جاءت الثانية؟
- حروف المجازاة تليها الأفعال دون الأسماء، فلا يجوز أن يرتفع ما بعدها على الابتداء.

- لا يجوز إظهار العامل المضمر إذا فسر الظاهر، وإذا كان المختار في قولهم: زيدا ضربته هو الرفع، أي زيد ضربته «لأن الرفع لا يحتاج إلى إضمار ولا تقدير المحذوف والنصب يفتقر إلى إضمار فعل وفاعل»¹ فكيف لا؟ وهذا سيبويه يقول: «النصب عربي كثير، والرفع أجود»². ويكون النصب لازما ومختارا فالمختار في موضعين³:
- أن تعطف هذه الجملة على جملة فعلية لقولك: لقيت القوم حتى عبد الله لقيته، ورأيت عبد الله، وزيدا مررت به.

- أن يقع موقعا هو بالفعل أولى، وذلك أن يقع بعد حرف الاستفهام أو بعد إذا، وحيث وفي الأمر والنهي، وفي الدعاء، أو بعد حروف النفي. ومن شواهد هذا النوع المختار فيه النصب بعد النفي قول جرير:

فلا حَسَبًا فَخَرْتُ بِهِ لِتَيْمٍ ولا جَدًّا إِذَا ازْدَحَمَ الْجُدُودُ⁴

- حيث يهجو الشاعر عمر بن لجأ قائلا له: إنك لم تذكر لتيم نسبا شريفا تفخر به، ولا جدًّا يعول عليه في المفاخرة إذا ازدحم الناس على المفاخرة بجدودهم، من حيث علو الشأن والجاه والسمعة. والشاهد فيه قوله: «فلا حسبا» حيث نصب حسبا بعد النفي بفعل مضمر فسرته ما بعده فخرت، والنصب فيه هو المختار. وفي الدعاء كقول أبي الأسود الدؤلي:

¹ - شرح المفصل. لابن يعيش ج 1 ص 404.

² - الكتاب لسيبويه ج 1 ص 82.

³ - المفصل في صنعة الإعراب ص 82.

⁴ - البيت من الوافر لجرير في شرح ديوانه. عبدالله الصاوي. مطبعة الصاوي. ط 1 مصر. دت. ص 165

[أَمِيرَانِ كَانَا صَاحِبِي كِلَاهِمَا] فَكُلًّا جَزَاهُ اللهُ عَنِي بِمَا فَعَلْتُ¹

حيث يشير إلى ابن عباس رضي الله عنهما الذي كان يحسن إليه، وإلى بن عامر الذي قاطعه وجافه، اللذين ولي كل منهما البصرة على التوالي، فيدعو الله أن يثيب كلا منهما بما قدمت يداه. والشاهد فيه قوله: «كلا جزاه الله» حيث انتصب «كلا» بفعل محذوف مقدر لوقوعه في الدعاء الذي هو بمنزلة الأمر، والتقدير فجزى الله كلا جزاه الله. أما اللازم أن تقع الجملة بعد حرف (إن، ألا، هلا، لولا، لوما) لا يليه إلا الفعل. ومن شواهد ذلك وقوع الجملة بعد إن ونصب الاسم الموالي لها في قول الشاعر:

لَا تَجْزَعِي إِنْ مُنَفِسًا أَهْلَكْتُهُ [وَإِذَا هَلَكْتُ فَعِنْدَ ذَلِكَ فَاجْزَعِي]²

حيث يخاطب الشاعر زوجته قائلاً لها: لا تجزعي على إتلافي المال على نفاسته خوفاً من الفقر، ولكن إذا مت فاغتمي؛ فإنك لن تجدي بعدي من يؤمن لك حاجتك. والشاهد فيه قوله: «(إن منفساً أهلكته)» حيث نصب «منفساً» نصبا واجبا بإضمار فعل دل عليه ما بعده لأن حرف الشرط يقتضى فعلاً مظهراً، أو مضمراً.

حذف المفعول به:

لقد حذف العرب المفعول به في كلامهم وبكثرة» لما كان فضلا تستقل الجملة دونه، و ينعقد الكلام من الفعل والفاعل بلا مفعول؛ جاز حذفه وسقوطه³. إلا أن حذفه على نوعين:⁴ أن يحذف لفظاً ويراد معنى وتقديراً. وأن يحذف إعرافاً عنه، كأن فعله لازماً. ومن شواهد النوع الثاني: قول ذي الرمة:

وَإِنْ تَعْتَذِرُ بِالْمَحَلِّ عَنْ ذِي ضُرُوعِهَا إِلَى الضَّيْفِ يَجْرُحُ فِي عِرَاقِيهَا نَصْلِي⁵

¹ البيت من الطويل لأبي الأسود الدؤلي في ديوانه. تح. محمد آل ياسين. مكتبة الهلال ط 2 بيروت 1998 ص 100.

² البيت من الكامل للنمر بن تولب في ديوانه. تح. محمد نبيل طريقي. دار صادر. ط 1. بيروت 2000 ص 84

³ شرح المفصل. لابن يعيش ج 1 ص 419

⁴ ينظر المفصل في صنعة الإعراب ص 85.

⁵ البيت من الطويل لذي الرمة في ديوانه. شرح الخطيب التبريزي. ص 61

يقول: إن تعتذر ناقتي إلى ضيفي بجفاف ضروعها بسبب القحط، فإن سيفي ينحرها فأقدم لحمها إكراما لضيفي. والشاهد فيه قوله: «يجرح في عراقبيها نصلي» حيث حذف مفعول يجرح على أنه من باب قولهم: فلان يعطي ويمنع، وصار نسيا منسيا تقديره: يجرح جراحه في عراقبيها، أو حذف المفعول به للفعل يجرح؛ لتضمنه معنى يؤثر نصلي في عراقبيها بالجرح، أو «ضمن يجرح معنى يَغْتُ فُجُعَ لازما ثم عُدِّي بفي كما يتعدى اللازم مبالغة»¹. وقد عُد الفعل المتعدي المتضمن معنى فعل لازم من الأفعال اللازمة.

المفعول فيه:

المفعول فيه: «هو ظرفا الزمان والمكان»² على شريطة أن يكون «منتصبا على تقدير (في)» واعتباره بجواز ظهورها معه»³، إلا أنه «قد يذهب بالظرف عن أن يقدر فيه معنى في اتساعا فيجرى ذلك مجرى المفعول به»⁴. وهذا يعني أنك إذا «اعتقدت أنه مفعول به على السعة، لم تظهر (في) معه؛ لأنها لم تكن منوية مع الظاهر فتقول: «اليوم قمته»»⁵. والشاهد على هذا الاتساع بجعل الظرف مفعولا به مجازا، عن طريق الإضمار عنه هو قول الشاعر:

ويومِ شَهِدناه سُلَيْمًا وعامرًا قليلِ سِوَى الطعنِ النَّهالِ نَوَافِلُهُ⁶

يقول: رب يوم حضرنا فيه قبيلتي سليم وعامر، فقل عطاؤه سوى الطعن بالرماح، وما تقاطر من دم عليها. والشاهد فيه قوله: شهدناه حيث نصب ضمير اليوم تشبيها بالمفعول به اتساعا، ولو جعله ظرفا لقال شهدنا فيه، ويمكن أن نستخلص من هذا الشاهد ما يلي:

¹ - هامش مغني اللبيب. لابن هشام. تح . محمد الخطيب. التراث العربي. ط. 1. الكويت. 2000. ج 5 ص 678.

² - المفصل في صنعة الإعراب ص 87.

³ - شرح المفصل. لابن يعيش ج 1 ص 423.

⁴ - المفصل في صنعة الإعراب ص 87.

⁵ - شرح المفصل. لابن يعيش ج 1 ص 433.

⁶ - البيت من الطويل لرجل من بن عامر في شرح المفصل ج 1 ص 433.

- يبدو أن الشاعر كان يقدم نقداً لذلك الوضع المزري الذي كان يعيشه العرب في جاهليتهم، ويؤرخ للاضطراب الذي كان يسود الجزيرة العربية.
- قول الشاعر: «سليماً وعامراً» يبعد كون الشاعر من بني عامر¹.
- جاء في لسان العرب: «العطشان والناهل الريان وهو من الأضداد»²؛ ولذا شرحوا النهال بقولهم: العطاش والمرتوية.
- الفرق بين الظرف والظرف المشبه بالمفعول به، أن الظرف هو على تقدير في، وأن الظرف المشبه بالمفعول به لا تقدير فيه لـ «في».
- لولا الاتساع لقال الشاعر شهدنا فيه.
- ومن شواهد الاتساع بجعله مفعولاً به على السعة عن طريق الإضافة إليه، قول الشاعر:

يا سارقَ الليلةِ أهْلَ الدَّارِ³.

- والشاهد فيه قوله: «سارق الليلة» حيث أضاف سارق إلى الليلة، وهي ظرف، إضافة المشتق إلى ما ينصبه على المفعولية في المعنى، وذلك على التوسع في الظروف.
- المفعول معه:**

المفعول معه: «هو المنصوب بعد الواو الكائنة بمعنى مع، وإنما ينتصب إذا تضمن الكلام فعلاً»⁴؛ أي أن المفعول معه لا يكون إلا بعد الواو التي بمعنى مع، والعامل فيه «فعل لازم أو منته في التعدي»⁵ مظهر أو مضمحل. ومن الشواهد التي ذكرها الزمخشري على المفعول معه المنصوب بعد الواو، وبفعل مظهر قبله ما يأتي:

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 56

² - لسان العرب. لابن منظور مادة ((نهل))

³ - البيت من الرجز بلا نسبة في خزنة الأدب ج 3 ص 108.

⁴ - المفصل في صنعة الإعراب ص 89.

⁵ - شرح المفصل. لابن يعيش ج 1 ص 439.

1- فُكُونُوا أَنْتُمْ وَبَنِي أَبِيكُمْ مَكَانَ الْكُلَيْتَيْنِ مِنَ الطَّحَالِ¹

أي: كونوا مع إخوانكم في اتفاق وتقارب، كقرب الكليتين من الطحال، وفي هذا دعوة إلى الائتلاف والتقارب الفكري. والشاهد فيه قوله: «وبني أبيكم» حيث نصب بني على أنه مفعول معه بالفعل الذي قبله، وهو «فكونوا» بوساطة الواو مع جواز العطف على اسم كان. ومن الأبيات التي ذكرها الزمخشري شاهدة على المفعول معه المنصوب بعد الواو وبفعل مضمَر:

2- فَمَالِكَ وَالتَّلْدُدِ حَوْلِ نَجْدٍ وَقَدْ غَصَّتْ تِهَامَةً بِالرَّجَالِ²

أي: مالك تقيم بنجد وتتردد فيها مع جذبها، وتترك تهامة، وقد غصت بالرجال لخصبها. والشاهد فيه قوله: «والتلدُد» حيث نصبه على المعية بإضمار فعل تقديره ما تصنع، ولا يصح العطف على الكاف؛ لأنه «ضمير مخفوض، والعطف على الضمير المخفوض لا يصلح إلا بإعادة الخافض»³. ومن شواهد المفعول معه أيضا:

3- إِذَا كَانَتْ الْهَيْجَاءُ وَانْشَقَّتِ الْعَصَا فَحَسْبُكَ وَالضَّحَّاكَ سَيْفٌ مُهَنْدٌ⁴

أي: إذا اشتعلت نار الحرب، وتفرقت كلمة الأقسام فيكفيك أن تصحب السيف الضحاك بيميناك. والشاهد فيه قوله: «والضحاك» حيث نصبه على المعية، والعامل فيه قوله: وحسبك لأنه بمعنى يكفيك؛ لامتناع حمله على الضمير المخفوض. وقد يمتنع النصب على المعية ومن شواهد:

1- [بَا زَبْرِقَانُ أَخَا بَنِي خَلْفٍ] مَا أَنْتَ وَيُبَّ أَبِيكَ وَالْفَخْرُ⁵

¹ - البيت من الوافر للأقرع بن معاذ في سمط اللآلي. لأبي عبيد البكري. تح. عبد العزيز الميمني. مطبعة لجنة التأليف.

دط . الهند. دت ص 914

² - البيت من الوافر لمسكين الدرامي في الكتاب لسبويه. ج. 1. ص. 308. وهو ربعة بن عامر بن أنيق ، وإنما قيل له المسكين لقوله: سميت مسكينا وكانت لحاجة واني لمسكين الى الله راغب

³ - شرح المفصل. لابن يعيش ج 1 ص 442

⁴ - البيت من الطويل بلا نسبة في خزنة الأدب ج 7. ص 571

⁵ - البيت من الكامل للمخبل السعدي في خزنة الأدب للبغدادي ج 6. ص 91

يهجو الزبيرقان بن بدر بأنه ليس أهلاً للمفاخرة. والشاهد فيه قوله: «والفخر» مرفوع بالعطف على أنت مع ما في الواو من معنى المعية؛ لامتناع النصب منه على أنه مفعول معه لعدم العامل لفظاً أو معنى. وإذا كان الوجه هو الرفع؛ فان سيبويه¹ قال بجواز النصب في هذا الباب بإضمار كنت وتكون. وما يمكن الإشارة إليه من خلال هذا الشاهد:

- أن ويب ، ويل، ويح، ويس، أربعة ألفاظ بمعنى واحد لا خامس لها ولا أفعال.
- من يقرأ البيت الموالي للشاهد يلاحظ تدنيا وبذاءة في الهجاء.

هل أنت إلا في بني خلف كالأستين علاهما البَطْرُ

2- [وَكُنْتَ هُنَاكَ أَنْتَ كَرِيمَ قَيْسٍ] فما القَيْسِيُّ بَعْدَكَ وَالْفَخَارُ²

الشاعر يرثي رجلاً من قيس يقول: قد كنت وأنت حي، كريم هذه القبيلة، وكبيرها الذي تفاخر به، فلما مت تركت قيس المفاخرة؛ لأنها لم يبق لها من تفاخر الناس به. فالبيت بقدر ما فيه من تمجيد للمرثي، فيه هجاء لاذع لأبناء القبيلة كلهم. والشاهد فيه: عطف الفخار على القيسي بالرفع مع ما في الواو من معنى المعية؛ لعدم العامل لفظاً أو معنى ولذا لا يجوز النصب إلا على إضمار كنت أو تكون. ولا فرق بين هذا الشاهد، والذي سبقه إلا كون المعطوف عليه ضميراً منفصلاً أو اسماً ظاهراً. ويجوز النصب على التأويل: ومن شواهد قول الشاعر:

فَمَا أَنَا وَالسَّيْرَ فِي مُتَلَفٍ يُبْرِحُ بِالذَّكْرِ الضَّابِطِ³

أي مالي أتجشم المشاق بالسير في الفلوات المتلفة. والشاهد فيه: نصب السير على تأويل فعل مضمر، كأنه قال: فما كنت أنا والسير، أو ما أكون أنا والسير. ويقول ابن

¹ - الكتاب لسيبويه ج1 ص302-303

² - البيت من الوافر بلا نسبة في الكتاب لسيبويه ج1 ص 300

³ - البيت من المتقارب لأسامة بن حبيب الهذلي في الكتاب لسيبويه ج1. ص303

يعيش: «لو رفع لكان أجود»¹. وجاء في شرح المفصل أن أبا الحسن الأخفش قال: «وقوم من النحويين يقيسون هذا في كل شيء لكثرة ما جاء منه، وهو مذهب أبي الحسن ورأي أبي علي، وقوم يقصرونه على السماع، لأنه شيء وقع موقع غيره فلا يصار إليه إلا بسماع من العرب ويوقف عنه»².

المفعول له:

المفعول له: «هوعلة الإقدام على الفعل، وهو جواب لـمه»³. ولنصبه شروط: ⁴ أن يكون مصدرا، وأن يكون فعلا لفاعل الفعل المعلن، ومقارنا له في الوجود؛ أي الزمن. ولا يشترط فيه أن يكون معرفة أو نكرة، وقد جمعهما العجاج في قوله:

يَرْكَبُ كُلَّ عَاقِرٍ جُمُهورٍ مَخَافَةً وَزَعَلَ المَحْبُورِ

والهَوَلُ مِنَ تَهَوُّلِ الهُبُورِ⁵

حيث شبه تغيره بثور وحشي لا يسير إلا على كل تل من الرمل المتراكب الذي لا نبات فيه؛ لخوفه من الصائد أو من السبع، أو لنشاطه وحبوره وحيويته، فيترك الأراضي المطمئنة المنخفضة فيعدل عنها إلى كل عاقرة. والشاهد فيه: وقوع مخافة مفعولا له وهو نكرة، ووقوع زعل والهول كذلك، وهما معرفتان وهذا مذهب سيبويه إذ يقول: «وحسن في ذلك الألف واللام؛ لأنه ليس بحال، فيكون في موضع فاعل»⁶. وقد ذكر الزمخشري أنه يأتي معرفة ونكرة «ردا على من زعم أن هذه المصادر التي هي المفعول له، نحو: (ضربته تأديبا له)، من قبيل المصادر التي تكون حالا، نحو: (قتلته صبورا) و(أتيته ركضا) أي: صابرا، وراكضا، حكى ذلك ابن السراج وغيره. وهو مذهب أبي عمر الجرمي

¹ - شرح المفصل. لابن يعيش ج1 ص448

² - المصدر نفسه ج1 ص448

³ - المفصل في صنعة الإعراب ص93

⁴ - المصدر نفسه ص93

⁵ - الرجز للعجاج في خزانة الأدب للبغدادي. ج3. ص114

⁶ - الكتاب لسيبويه ج1. ص370

والرياشي، فهو عندهم نكرة، و«مخافة الشر» ونحوها مما هو مضاف من قبيل «مئلك» و«غيرك» و«ضارب زيد غدا» في نية الانفصال»¹. وإذا علمنا أن المفعول له أو لأجله أو من أجله إنما «هو المصدر الفضلة المعلل لحدث شاركه في الزمان والفاعل»². فإن مما استوفى هذه الشروط فانتصب على أنه مفعول لأجله ما أشار إليه الزمخشري في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾³ حيث ﴿حَذَرَ﴾ مفعول له مضاف. والشاهد على ذلك من كلام العرب قول حاتم الطائي :

وَأَغْفِرُ عَوْرَاءَ الْكَرِيمِ ادِّخَارَهُ [وَأَعْرَضُ عَنْ شَتْمِ اللَّئِيمِ تَكْرُمًا]⁴

فحاتم كريم العرب يفتخر بصفيتين على غاية من الأهمية، أنه يستر عوراء الكريم حرصا على الاحتفاظ بصداقته، وأنه يعرض عن شتم اللئيم ترفعا وتكرما، والشاهد فيه: نصب ادخاره وتكرما، فكلاهما مفعول لأجله نصب كما نصب حذر. ومما اعتبره الزمخشري مفعولا له، أوحالا ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾⁵. حيث قال: «﴿حَسْرَاتٍ﴾: مفعول له يعني: فلا تهلك نفسك للحسرات... ويجوز أن يكون حالا، كأن كلها صارت حسرات لفرط التحسر»⁶. فقوله تعالى: ﴿حَسْرَاتٍ﴾ «فيه وجهان: أحدهما: أنه مفعول من أجله، أي: لأجل الحسرات. والثاني: أنه في موضع الحال على المبالغة كأن كلها صارت حسرات لفرط التحسر»⁷، كما جاء في قول الشاعر:

مشق الهواجر لحمهن مع السرى حتى ذهبن كلاكلا وصدروا⁸

¹ - شرح المفصل. لابن يعيش ج 1 ص 453

² - شرح شذور الذهب. لابن هشام. تح. محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الطلائع. دط. القاهرة. 2004 ص 253

³ - البقرة من الآية 19

⁴ - البيت من الطويل لحاتم الطائي في ديوانه. دار صادر. دط. بيروت 1981 ص 81

⁵ - فاطر من الآية 08.

⁶ - الكشف ج 3، ص 537.

⁷ - الدر المصون ج 9، ص 215.

⁸ - البيت من الكامل لجربير في الكشف ج 3. ص 537

يقول جرير: ذهبته الهواجر والسرى بلحوم هذه الإبل حتى لم يبق منها إلا كلاكها وصدورها. والشاهد فيه: أن كلاكها وصدورها حالٌ وفق الوجه الثاني لإعراب حشرات. وكقوله أيضا:

فعلى إثرهم تساقطُ نفسي حشراتٍ وذكرهم لي سقام¹

يصور الشاعر ما حلّ بنفسه في آثار فراق من يحب ويقول: تساقطت نفسي في آثار رحليهم عنها، ولم تبق إلا الذكرى، وهي لها عناء وسقام. والشاهد فيه: إعراب حشرات مفعولا لأجله، أو حالا.

الحال:

الحال: « وصف هيئة الفاعل أو المفعول »². وعرفه ابن هشام بقوله: « وصف، فضلة يقع في جواب كيف »³. ومنه فالحال تكون بيانا لهيئة الفاعل أو المفعول «وقد تكون الحال منهما معا، فإن كانتا متفقين نحو (قائم) و(قائم)... فأنت مخير إن شئت فرقت بينهما فقلت: (ضربت زيدا قائما قائما)... وإن شئت جمعت بينهما، فقلت: (ضربت زيدا قائمين)»⁴ والشاهد على ذلك قول عنتره :

متى ما تلقني فردين ترجف روائف أليتيك وتسطارا⁵

حيث يهجو عمارة بن زياد وقد تناول عليه، وتمنى أن يلقاه خاليا؛ فيعلمه بأنه مجرد عبد. فبلغه ذلك فقال فيه: إذا التقينا منفردين ترتعد فرائصك، وترتجف أليتك، وتكادان تطيران من الخوف والهلع. والشاهد فيه: مجيء الحال وهو (فردين) لبيان هيئتي الفاعل والمفعول معا أي: أنا فرد، وأنت فرد. والملاحظ في هذا البيت أن الفعل (تستطارا) يجوز:

¹ - البيت من الخفيف بلا نسبة في الدر المصون ج9 ص215

² - شرح المفصل لابن يعيش. ج2 ص04

³ - شرح قطر الندى. لابن هشام. تح محمد محيي الدين. دار رهاب. دط. الجزائر. دت. ص254

⁴ - المفصل لابن يعيش ج2 ص05

⁵ - البيت من الوافر لعنترة في خزنة الأدب. ج4. ص297

- أن يكون فعلا مضارعا مجزوما، وعلامة جزمه حذف النون .
- وأن يكون فعلا مضارعا مبنيا على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد الخفيفة المنقلبة ألفا.

وقوع المصدر حالا :

قال الزمخشري: « وقد يقع المصدر حالا»¹ مثل: أتيتك ركضا أي أتيتك ركضا؛ لأن الصفة بدورها تقع مصدرا، فكل منهما يؤول بالآخر. والشاهد على وقوع الصفة مصدرا، كما وقع المصدر حالا قول الشاعر:

[أَلَمْ تَرِنِي عَاهَدْتُ رَبِّي وَإِنِّي لَبَيْنَ رُتَاجٍ قَائِمًا وَمَقَامٍ]
[عَلَى حَلْفَةٍ لَا أَشْتَمُ الدَّهْرَ مُسْلِمًا] وَلَا خَارِجًا مِنْ فِي زُورٍ كَلَامٍ²

حيث يعلن أنه قد تاب عن الهجاء وقذف المحصنات، وعاهد الله على ذلك بين رتاج باب الكعبة، ومقام إبراهيم عليه السلام. ولكن أترى هل عاد إلى الهجاء، أم صدق فيما عاهد الله عليه؟. والشاهد فيه قوله: («خارجا») حيث نصبه علما أنه مفعول مطلق لوقوعه موقع المصدر، والتقدير: ولا يخرج خارجا، ويرى بعضهم أنه حال، والتقدير: عاهدت ربي غير شاتم ولا خارج، أي: عاهدته صادقا؛ ومنه فالشاهد يثبت بشكل عكسي أن المصدر قد يقع حالا.

تتكير صاحب الحال:

الأصل في الحال أن تكون نكرة، والأصل في صاحبها أن يكون معرفة؛ ولذا ف«تتكير ذي الحال قبيح إلا إذا قدمت عليه»³. وهذا يعني أن تتكير ذي الحال جائز مع قبحه ويصير غير قبيح إذا قدمت عليه الحال؛ لأنه يمتنع أن تعرب صفة مع التقدم. ومن شواهد تتكير ذي الحال وتقديم الحال عليه قول الشاعر:

¹ - المفصل في صناعة الإعراب ص 96

² - البيتان من الطويل للفرزدق في ديوانه. تح علي فاعور. دار الكتب العلمية. ط 1. بيروت. 1987. ص 539

³ - المفصل في صناعة الإعراب ص 97

لَعَزَّةٌ مُوَحِّشًا طَلَّلٌ قَدِيمٌ [عَفَاءٌ كُلُّ أَسْحَمٍ مُسْتَدِيمٌ]¹

- يصف آثار ديار محبوبته عزة واندراسها، وتعفية السحب إياها، فصارت توحش من مر بها، ونظر إليها. والشاهد فيه قوله: «موحشا طلل» حيث قدمت الحال (موحشا) على صاحبها (طلل)؛ لأنه نكرة، وهو غير قبيح. ويستخلص من هذا الشاهد:
- أن الأصل في ذي الحال أن يكون معرفة، لكن لا يقبح مجيئه نكرة إذا تقدمت عليه الحال؛ وذلك لامتناع جواز تقديم الصفة على الموصوف.
 - المقصود بقولهم: «أحسن القبيحين» أن الحال من النكرة قبيح، وتقديم الصفة على الموصوف أقبح؛ ولذا فتقديم الحال هو وجه الكلام، وهو أحسن القبيحين.
 - لما بطل النعت تعين النصب على الحال.

التمييز:

التمييز: «ويقال له التبيين والتفسير، وهو رفع الإبهام في جملة أو مفرد بالنص على أحد احتمالاته»². وما من معمول إلا وله عامل، وكذلك التمييز سواء كان هذا العامل فعلا، أو معنى، وإذا كان من الجائز تقديم المعمول على العامل في بعض الظواهر اللغوية، فإن سيبويه³ لا يرى تقدم المميز على عامله سواء كان هذا العامل فعلا، أو معنى، فلا يجوز أن تقول: نفسا طببت، ولا قمحا عندي كيسان، إلا أن هناك من أجاز ذلك محتجا بقول الشاعر في البيت الآتي⁴:

[أَتَهْجُرُ لَيْلَى بِالْفِرَاقِ حَبِيبَهَا] وَمَا كَانَ نَفْسًا بِالْفِرَاقِ تَطِيبٌ⁵

¹- البيت من الوافر لكثير عزة في شرح التصريح. لابن هشام. تح محمد باسل عيون السود. دار لكتب العلمية. ط1. بيروت. 2000. ص584

²- المفصل في صناعة الإعراب ص100

³- ينظر الكتاب. لسبويه ج1 ص205

⁴- ينظر الإنصاف في مسائل الخلاف. ابن الأنباري. تح. جودة مبروك. مكتبة الخانجي. ط1. القاهرة. دت. ص828-832

⁵- البيت من الطويل للمخبل السعدي في الخصائص. ج2. ص384

ومعناه: إن تهجر سلمى حبيبها، وتتباعده عنه؛ فإنه ذلك لا يطيب، ولا ترضى عنه. والشاهد فيه: «(نفسا)» حيث وردت تمييزا متقدما على عامله تطيب، والقياس تطيب نفسا. وما يمكن تسجيله حول هذا المسألة وهذا الشاهد:

- إن مسألة تقديم التمييز على عامله مسألة خلافية.
- رواية أبي إسحاق الزجاج: وما كاد نفسي بالفرق تطيب. لا شاهد فيها.
- الجمهور على أن تقديم التمييز على عامله في هذا البيت ضرورة، فلا يقاس عليه.

المنصوب على الاستثناء:

الاستثناء: «صرف اللفظ عن عمومته بإخراج المستثنى من أن يتناوله الأول»¹. أي: إخراج بعض من كل، ومن أدواته إلا وهي أم الباب، وعدا وخلا، وغير، وسوى، ليس، لا يكون. وقال الزمخشري: «فأما «معدا»، و«ماخلا» فللنصب ليس إلا»². والشاهد على ذلك قول ليبيد:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ، مَاخَلَا اللَّهُ، بَاطِلٌ وَكُلُّ نَعِيمٍ، لَا مَحَالَةَ، زَائِلٌ³

ومعناه: كل شيء في هذا الوجود ماض إلا الله سبحانه وتعالى ذا الجلال والإكرام، وكل نعيم ينعم به المرء في الدنيا زائل لا محالة. والشاهد فيه قوله: «ماخلا الله» حيث ورد لفظ الجلالة بعد «ماخلا» منصوبا، فدل ذلك على أن الاسم الواقع بعدها يكون منصوبا؛ لأن ما هذه مصدرية، وما المصدرية لا يكون ما بعدها إلا فعل، وكذلك يجب نصب ما بعدها على أنه مفعول به، ويجوز جر ما بعد خلا إذا ما كانت حرفا، وهي لا تكون حرفا متى سبقها الحرف المصدرية. وفي البيت شاهد آخر، وهو توسط المستثنى بين جزأي الكلام حيث يريد: ألا كل شيء باطل ماخلا الله.

تقديم المستثنى ولزوم نصبه:

¹ - شرح المفصل لابن يعيش ج 2 ص 46

² - المفصل في صناعة الإعراب ص 102

³ - البيت من الطويل لليبيد بن ربيعة في ديوانه. دار صادر. د. ط. بيروت. د. ت. ص 132

من الأوجه التي لا يكون المستثنى فيها إلا منصوباً؛ لتقدمه على المستثنى منه، حيث الاستثناء تام منفي، ومادام كذلك ففيه وجهان: البذل، والنصب، فلما قُدِّم المستثنى امتنع البذل، وتعين النصب¹. والشاهد في ذلك من كلام العرب قول الكميت :

وَمَا لِي إِلَّا آلَ أَحْمَدَ شِيعَةً وَمَا لِي إِلَّا مَذْهَبَ الْحَقِّ مَذْهَبٌ²

يقول: ما لي أعوان غير آل محمد ﷺ وما لي مذهب إلا مذهب الحق، حيث الشاعر اشتهر بتشيعه لأهل البيت فأكثر من مدحهم. والشاهد فيه: أن المستثنى ((آل)) لما تقدم على المستثنى منه تعين فيه النصب، وكذلك قوله: ((مذهب)) ويروى مشعب؛ لأن المذهب هو الطريق، وكذلك المشعب. وما يمكن الإشارة إليه في هذا الوجه أن البذل امتنع؛ لأنه لا يتقدم على المبدل فيه، باعتباره من التوابع، وبالتالي تعيين النصب للضرورة ومن النحويين من يسمى هذا بأحسن القبيحين .

المستثنى بـ «الاسيما»:

من ضروب المستثنى ما يجوز «فيه الجر والرفع وهو ما استثنى بـ لاسيما»³. والشاهد على ذلك قول امرئ القيس فهو « يروى مجروراً ومرفوعاً وقد روي فيه النصب»⁴ إذ يقول:

[أَلَا رَبُّ يَوْمٍ صَالِحٍ لَكَ مِنْهَا] وَلَا سِيِّمًا يَوْمٌ بِدَارَةِ جُلْجُلٍ⁵

ومعناه: رب يوم طيب صالح فزت فيه بمعاشرة النساء، لكن لا مثل يوم من تلك الأيام مثل يوم في دارة جلجل؛ فإنه كان أطيّب. والشاهد فيه قوله: «(ولا سيما يوم)» حيث يجوز في يوم: الجر، والرفع، والنصب، فالجر لوجهين: أن يكون مجروراً بإضافة سيّ إليه، وما

¹ - ينظر شرح المفصل لابن يعيش ج2. ص 52

² - البيت من الطويل للكميت في تخليص الشواهد. لابن هشام. تح. عباس مصطفى الصالي. دار الكتاب العربي. ط1. بيروت. 1986. ص82

³ - المفصل في صنعة الإعراب ص104

⁴ - المصدر نفسه ص104

⁵ - البيت من الطويل لامرئ القيس في الجنى الداني. للمراي. تح. فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل. دار الكتب العلمية. ط1. بيروت. 1992. ص344

زائدة والثاني أن يكون بدلا من المضاف إليه على تقدير أن ما نكرة. وأما الرفع؛ فلأنه خبر مبتدأ محذوف، وما في هذه الحالة إما نكرة على تقدير: لا مثل يوم هو يوم بدارة جلجل، وإما موصولة تقديره: لا مثل الذي هو يوم بدارة جلجل، وأما النصب فعلى الاستثناء، أو التمييز.

حمل إلا على غير في الوصفية:

الأصل في إلا أن تكون للاستثناء، وفي غير أن تكون وصفاً، ولكن العرب «قد حملوا إلا على غير في الوصفية، فوصفوا بها، وجعلوها وما بعد ها تحليةً للمذكور بالمغايرة وأنه ليس إياه، أو مَنْ صفته كصفته، ولا يراد به إخراج الثاني مما دخل في الأول»¹. فإذا كانت إلا بمعنى غير، وقعت هي وما بعدها صفة لما قبلها، مع العلم «أنه لا يجوز أن تكون (إلا) صفة إلا في الموضع الذي يجوز أن يكون فيه استثناء. وذلك أن تكون بعد جمع أو واحد في معنى الجمع إما نكرة منفية، وإما فيه الألف واللام لتعريف الجنس؛ لأن هذا هو الموضع الذي تجمع فيه هي و«غير» فتقارضا»². ومن شواهد ذلك قول الشاعر:

وَكُلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلَّا الْفَرَقْدَانُ³

أقسم الشاعر بقوله: لعمر أبيك على أن لا بد للأخ أن يفارق أخاه يوماً، ما عدا الفرقدان. والشاهد فيه قوله: «إلا الفرقدان» حيث نعت «كل» بقوله: «إلا الفرقدان» على تأويل غير والتقدير: كل أخ غير الفرقدان مفارقه أخوه. إلا أن ابن الحاجب⁴ يعتبر أن هذا البيت من قبيل الشاذ؛ لأن من شرط وقوع إلا صفة في زعمه أن يتعذر الاستثناء، وفي البيت وقعت إلا صفة مع احتمال نصب الفرقدان على الاستثناء. كما أشار ابن الحاجب إلى أنه كان ينبغي أن يوصف المضاف إليه، وهو القياس، وليس المضاف، كما أنه

¹ - شرح المفصل. لابن يعيش ج 2 ص 72

² - المصدر نفسه ج 2 ص 73

³ - البيت من الوافر لعمر بن معدى يكرب في ديوانه. تح الطرابيشي. م مجمع اللغة العربية. ط 2. دمشق 1985 ص 178

⁴ - ينظر شرح الرضي على الكافية. تح. يوسف حسن عمر. م جامعة قان بونس. ط 2. بنغازي. 1996. ج 2. ص 130

فصل بين الصفة والموصوف، وهو قليل. وما يمكن تسجيله أيضا حول هذا الشاهد أن الوصف لا يكون بإلا وحدها، وإنما هو بها وتاليها «ولذلك ظهر الإعراب في تاليها، ومن قال: إن إلا يوصف بها، فقد تجوز في العبارة، وإنما صح أن يوصف بها وتاليها؛ لأن مجموعهما يؤدي معنى الوصف وهو المغايرة»¹. ومنه لو كان وصفا لأخ، وهو المضاف إليه، لقال: إلا الفرقدين؛ «لأن إعراب ما بعد إلا في الوصف يكون إعرابه تابعا لإعراب ما قبلها»². كما يمكن الإشارة إلى أن البيت قد استشكل من حيث معناه، فقيل: كيف يعتقد صحابي ببقاء الأشياء؟ لا بد أن يكون قد قاله في الجاهلية، بينما الأمر في اعتقادي أن المراد: كونهما لا يفترقان أي: أنهما يبقيان ما بقيت الدنيا، لا أنهما يبقيان على الدوام ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾³

حمل البدل على محل الجار والمجرور لا على اللفظ:

قال الزمخشري: «وتقول: (ما جاني من أحد إلا عبد الله)، (وما رأيت من أحد إلا زيدا) (ولا أحد فيها إلا عمرو) فتحمل البدل على محل الجار والمجرور، لا على اللفظ وتقول: (ليس زيد بشيء إلا شيئا لا يُعبأ به)»⁴. حيث ليس فيه إلا النصب على البدل من المحل، لأنه في محل نصب تقديره: ليس زيد شيئا إلا شيئا لا يُعبأ به. والشاهد على ذلك قول طرفة:

أَبْنِي لُبَيْتِي لَسْتُ بِمِيدٍ إِلَّا يَدًا لَيْسَتْ لَهَا عَضُدٌ⁵

¹ - الجنى الداني. للمرادي ص 518

² - شرح المفصل لابن يعيش ج 2 ص 73

³ - سورة الرحمن الآية 26-27

⁴ - المفصل في صنعة الإعراب ص 106

⁵ - البيت من الكامل لأوس من حجر في ديوانه تح. محمد يوسف نجم. دار بيروت للطباعة والنشر. دط. بيروت.

1980 ص 21، ولطرفة بن العبد في ديوانه تح. مهدي محمد ناصر الدين. دار الكتب العلمية ط 2. بيروت. 2002 ص 33؛ ولذا نسبه الزمخشري إلى طرفة

ومعناه: يا بني لبيني إنكم لا تقدرون على القتال، والدفاع على حوزتكم، كما لا تقدر اليد المقطوعة العضد الدفاع والبطش. والشاهد فيه: أنه نصب يدا الثانية لوقوعها بعد إلا بدلا من محل الجار والمجرور؛ لتعذر حمله على لفظ المخفوض، لأن ما بعد إلا موجب حيث الاستثناء بعد النفي إثبات، والباء مؤكدة للنفي، أي أنه أبدل على الموضع بعد أن تعذر الإبدال على اللفظ.

المنصوب بلا التي لنفي الجنس:

قال الزمخشري: « فإذا كان مفردا فهو مفتوح وخبره مرفوع، كقولك: «لا رجلَ أفضلُ منك»¹. وهذا يعني أنه إذا «كانت النكرة بعد «لا» مضافة، أو مشابهة للمضاف، تبيين النصب، فظهر الإعراب»². ولكن إذا ورد نكرة منصوبة منونة؛ فإن نصبه ليس بـ «لا» وإنما بإضمار فعل، هذا ما ذهب إليه سيبويه والخليل³. ومن شواهد هذا النوع من الإضمار:

1- لا نَسَبَ اليَوْمَ ولا خُلَّةً [اتَّسَعَ الفَتقُ على الراتق] ⁴

ومعناه: لا نسب ولا قرابة بيننا اليوم، فقد وقعت العداوة بيننا، وتفاقم الخطب بحيث لا يرجى صلاحه، فهو كفتق واسع لا يقدر أحد على رتقه. والشاهد فيه أن قوله: «لا خلة» منصوب بفعل مقدر تقديره: «لا أرى»؛ لأنه لا يصلح البتة أن يكون اسم «لا» لتتوبنه.

2- ألا رَجُلاً جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا [يَدُلُّ على محصَّلة تبيت] ⁵

فالشاعر يتمنى أن يجد من الرجال من يدلّه على امرأة تعرف قيمته، فتغدو زوجا له

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 111

² - شرح المفصل لابن يعيش ج 2 ص 91

³ - ينظر الكتاب ج 2 ص 308-309

⁴ - البيت من السريع لأبي عامر حارثة السلمي. في شرح شواهد المغني. للبغدادي. تح عبد العزيز رباح. دار الثقافة

العربية. ط. دمشق ج 4 ص 343

⁵ - البيت من الوافر بلا نسبة في تخليص الشواهد. لابن هشام. عباس مصطفى الصالحي. دار الكتاب العربي. ط 1.

بيروت. 1986 ص 176

وجزاه الله عنه خير الجزاء. والشاهد فيه قوله: «(ألا رجلاً)» حيث نصب رجلاً بفعل مضمر والتقدير: «(ألا تُروني رجلاً)». وقد استشهد الزمخشري بهذا البيت؛ ليثبت من خلاله أن ما ذهب إليه من إضمار فعل في قول الشاعر: و«(لا خلة)» هو من قبيل ما ذهب إليه الخليل¹ من إضمار فعل في قول الشاعر: «(ألا رجلاً)». وإذا كان القياس أن يكون اسم لا النافية للجنس نكرة، فإنه «قد جاءت أسماء قليلة ظاهرها التعريف والمراد بها التتكير»². ومن هذه الأسماء ما ورد في قول الشاعر:

لا هَيْثَمَ اللَّيْلَةَ لِلْمَطِيِّ³

والمراد: أن هيثماً قد رحل، ولم يبق من يقوم مقامه، فيجيد الحداء للإبل، وبالتالي لا يريد هيثماً ذاته، وإنما يريد أمثال هيثم. والشاهد فيه: لا هيثم حيث عملت لا النافية للجنس في المعرفة هيثم، وذلك على تقدير التتكير «لأنه أراد أمثال هيثم ممن يقوم مقامه في جودة الحداء للمطي»⁴. باعتبار أن «مثل» لا يتعرف بالإضافة إلى المعرفة فهو دوما نكرة. ومن الأسماء التي يراد بها التتكير أيضاً ما ورد في قول ابن الزبير الأسدي:

أَرَى الْحَاجَاتِ عِنْدَ أَبِي خُبَيْبٍ نَكِدْنَ وَلَا أُمِيَّةً بِالْبِلَادِ⁵

أي لا خير يرجى عند عبد الرحمن بن الزبير، فحياته أضحت متعسرة لا يستطيع أن يمنح السائلين شيئاً، ولا مثل أمية في العطاء وقضاء الحاجات. والشاهد فيه قوله: «(ولا أمية)» حيث عملت لا النافية للجنس في المعرفة أمية، وذلك على تقدير التتكير؛ لأنه أراد ولا أمثال أمية. ومن المفيد أن أشير إلى أن، قصة عبد الله بن الزبير بن العوام، وعبد الله بن زبير بن فضالة قد أوردها ابن يعيش في شرح المفصل⁶.

¹ - الكتاب لسيبويه ج2 ص308

² - شرح المفصل لابن يعيش ج2 ص97

³ - البيت من الرجز بلا نسبة في تلخيص الشواهد ص179

⁴ - شرح المفصل. لابن يعيش ج2 ص97، 98

⁵ - البيت من الوافر لعبد الله بن الزبير في خزنة الأدب ج4 ص61

⁶ - شرح المفصل لابن يعيش ج2 ص98-99

وللمنصوب بـ «لا» التي لنفي الجنس أحكام هي كالاتي:

1- إذا كان بعدها لام الإضافة: قال ابن يعيش «إذا كان بعد الاسم المنفي لام الإضافة نحو: «لا غلام لك»، ولا «لا ناصر لزيد» فلك في الاسم المنفي وجهان:
أحدهما: أن يبنى مع «لا»... وتكون اللام في موضع الخبر، أو في موضع الصفة ويكون الخبر محذوفاً، وهذا الوجه هو الأصل والقياس. والوجه الثاني: أن يكون مضافاً إلى ما بعد اللام، وتكون اللام زائدة مقحمة... ويكون المنفي معرباً غير مبني منفصلاً من «لا» النافي وليس كالثيء الواحد»¹. ومن شواهد الوجه الأول قول نهار بن توسعة اليشكري:

أبي الإسلام لا أب لي سواهُ إذا افتخروا بقَيسٍ أو تميمٍ²
يقول: إنه لا يفتخر بأبائه وانتمائه إلى قبائل العرب، وإنما يفتخر بالإسلام وكفى.
والشاهد فيه قوله: «لا أب لي» على البناء، وتركيب النافي والمنفي، وجعلهما شيئاً واحداً والجار والمجرور «لي» خبر «لا»، ولو كان قاصداً للإضافة، وتوكيدها باللام الزائدة لقال:
لا أبالي .

2- حكم المعطوف على اسمها: قال الزمخشري: «وحكم المعطوف حكم الصفة إلا في البناء»³. وهذا يعني أن الاسم المعطوف على اسم «لا» يجوز فيه الإعراب بالنصب، أو الرفع مع التتوين، فالنصب بالحمل على لفظ المنفي، أو بالحمل على الموضع المنفي، أما الرفع بالحمل على موضع المنفي والنافي. ومن شواهد العطف على اسم «لا» دون تكرارها:

- العطف بالنصب حملاً على لفظ اسمها:

¹ - شرح المفصل لابن يعيش ج2 ص100

² - البيت من الوافر لنهار بن توسعة اليشكري في الكتاب ج2 ص382

³ - المفصل في صنعة الإعراب ص114

فلا أب وابناً مثل مَرَوَانِ وابنيه [إذا هو بالمجد ارتدى وتأزراً]¹

يمدح الشاعر مروان بن الحكم، وابنه عبد الملك إذا يقول: لا يوجد أب وابن مثل مروان وابنه فقد تأزرا بالمجد وارتدياه. والشاهد فيه قوله: «(لا أب وابناً)» حيث عطف على اسم لا النافية للجنس دون أن يكررها، وجاء بالمعطوف منصوباً منونا، لتعذر البناء حملاً على لفظ اسمها مما يدل على جواز هذا النوع من العطف، كما يجوز في المعطوف الرفع على أنه معطوف على محل «(لا)» واسمها، فإنهما في محل رفع مبتدأ.

- العطف بالرفع حملاً على موضع النافي والمنفي:

[هذا، لَعَمْرُكُمُ، الصَّغَارُ بَعِينِهِ] لا أُمَّ لِي إِنْ كَانَ ذَلِكَ وَلَا أَبٌ²

يقسم الشاعر بحياة مخاطبيه أن ما تصنعونه من تفضيل أحد عليّ، هو الذل والهوان بعينه، فإن قبلت ذلك فأنا ساقط الحسب والنسب. والشاهد فيه قوله: «(ولا أب)» حيث جاء قوله: «(أب)» معرباً معطوفاً على محل «(لا)» مع اسمها. وهذا ما يثبت جواز العطف بالرفع حملاً على موضع النافي والمنفي.

3- حكم اسم «(لا)» إذا كرر: قال الزمخشري: «ويجوز رفعه إذا كرر قال الله تعالى: ﴿فَلَا

رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾³، وقال: ﴿لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ﴾⁴، فإذا جاء مفصلاً بينه وبين «(لا)»، أو معرفة وجب الرفع والتكرير، كقولك: «(لا فيها رجل، ولا امرأة)»، و«(لا زيد فيها ولا عمرو)»⁵.

لا شك أن قوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ شاهد على جواز الرفع مع التكرير لكن إذا تم الفصل بين المنفي والنافي نحو: «(لا فيها رجل وامرأة)»، أو كان المنفي معرفة نحو: «(لا زيد فيها ولا عمرو)»، فإنه لا يجوز الرفع إلا مع التكرير. لكن ما ورد من الشعر ناقضاً لهذه

¹ - البيت من الطويل لضمرة بن جابر في خزنة الأدب ج 2 ص 38

² - البيت من الكامل لرجل من منحج في الكتاب ج 2 ص 292

³ - البقرة من الآية 197

⁴ - البقرة من الآية 254

⁵ - المفصل في صنعة الإعراب ص 116

القاعدة أي: الرفع من غير تكرير، فقد حاول الزمخشري تخريجه بالبحث عن مسوغاته. فأما:

1- قول الشاعر:

وَأَنْتَ امْرُؤٌ مَنَّا خُلِقْتَ لَغَيْرِنَا حَيَاتُكَ لَا نَفْعَ وَمَوْتُكَ فَاجِعٌ¹

ومعناه أن المخاطب ينتسب إلى قبيلة الشاعر إلا أن نفعه لغيرهم، وما دام أمره كذلك فحياته لا تنفعهم، مع أن موته يفجعهم. فالشاهد فيه قوله: «حَيَاتُكَ لَا نَفْعَ وَمَوْتُكَ» حيث رفع ما بعد «لا» من غير تكرير في المعنى؛ لأن قوله: «حَيَاتُكَ لَا نَفْعَ وَمَوْتُكَ فَاجِعٌ» بمعنى لا نفع، ولا ضرر².

2- أما قول الآخر:

قَضَتْ وَطَرًا وَاسْتَرْجَعَتْ ثُمَّ آدَنْتُ رَكَائِبُهَا أَنْ لَا إِلَيْنَا رَجوعُهَا³

حيث يصور الشاعر مدى ما حل بمحبوبته من جزع يوم الوداع خوف الفراق، وأنها طلبت الرجوع من الرحيل لصعوبة ذلك الموقف، ولما سارت الركائب علم أن لا سبيل إلى رجوعها. والشاهد فيه قوله: «لا إِلَيْنَا رَجوعُهَا» حيث الرفع ب«لا» من غير تكرير ضرورة وسوغه شبه «لا» ب«ليس» من حيث النفي، وهو عند سيبويه⁴ ضعيف من قبيل الضرورة لأنه لم يكرر لا. ومنه يستخلص أنه لا يجوز ترك تكرير لا مع الفصل والمعرفة.

الإضافة المعنوية:

قال الزمخشري: «إضافة الاسم للاسم على ضربين: معنوية ولفظية. فالمعنوية ما أفاد تعريفاً، كقولك: «دار عمرو»، أو تخصيصاً، كقولك: «غلام رجل»... واللفظية أن تضاف الصفة إلى مفعولها، في قولك: «هو ضارب زيد»...، أو إلى فاعلها، كقولك: «زيد حسن

¹ - البيت من الطويل للضحاك بن نهام في خزنة الأدب. ج 4 ص 36 ولرجل من سلول في الكتاب ج 2 ص 305

² - شرح المفصل ج 2 ص 114

³ - البيت من الطويل بلا نسبة في خزنة الأدب 34/4

⁴ - ينظر الكتاب ج 2 ص 298-299

الوجه)، ولا تفيد إلا تخفيفاً في اللفظ والمعنى»¹. فالإضافة المعنوية أو المحضة «أن يجردها لها المضاف من التعريف»²، أي: إنَّ المضاف لا يكون إلا نكرة، حيث يبتغي من الإضافة المعنوية التعريف، أو التخصيص، أما «ما تقبله الكوفيون من قولهم: (الثلاثة الأثواب)» و«الخمسة الدراهم» فبمعزل عند أصحابنا [البصريين] عن القياس واستعمال الفصحاء»³. والشاهد على ما ذهب إليه البصريون من الاكتفاء بتعريف الثاني قول بعض فصحاء العرب:

1- قال الفرزدق:

[مَازَالَ مُذْ عَقَدَتْ يَدَاهُ إِزَارَهُ] فَسَمَا وَأَدْرَاكَ خَمْسَةَ الْأَشْبَارِ⁴

البيت من قصيدة يمدح بها يزيد بن المهلب ابن أبي صفرة قائلاً: مازال هذا الرجل مذ قدرت يده على عقد إزاره، وبلغ خمسة أشبار. يتولى قيادة الجيوش، ويخوض غمار الحروب، وهذا دأبه من أول إلى أن مات فهو أمير منذ أن كان صغيراً. والشاهد فيه: تعريف الثاني «الأشبار» والاكتفاء بذلك عن تعريف الأول «خمسة» هذا ما تم نقله عن الفصحاء، وبرزاه القياس. فالمضاف في مثل هذا النوع من الإضافة ينبغي أن يكون نكرة سواء كان عدداً أو غيره. وقد استشهد ابن هشام في كتابه المغني بهذا البيت على أن مذ مما يليها الجمل الفعلية، كما تليها الجمل الاسمية.

2- قال ذو الرمة:

[وَهَلْ يُرْجَعُ التَّسْلِيمَ أَوْ يَكْشِفُ الْعَمَى] ثَلَاثُ الْأَثَافِي وَالْدِّيَارُ الْبَلَّاقِعُ⁵

يريد أن يقول: إن ديار الأجابة أقفرت، ولم يبق فيها من يرد السلام، أو يجيب عن سؤال حيث الأثافي، ورسوم الدار لا ترد سلاماً، ولا تجيب عن سؤال مستخبر. والشاهد فيه

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 119

² - المصدر نفسه ص 119

³ - المصدر نفسه ص 119

⁴ - البيت من الكامل للفرزدق في ديوانه. تح علي فاعور ص 267. وشرح المفصل ج 2 ص 229

⁵ - البيت من الطويل لذو الرمة في ديوانه. تح أحمد حسن بسج. دار الكتب العلمية. ط 1 بيروت. 1995 ص 155

كسابقه حيث اكتفى بتعريف المعدود عن تعريف العدد أي: عرف المضاف إليه حين أراد تعريف ما أضيف إليه.

إضافة ما فيه الألف واللام إلى الضمير المتصل:

ذكر الزمخشري: «وإذا كان المضاف إليه ضميراً متصلاً، جاء ما فيه تتوين أو نون وما عدم واحداً منهما شرعاً في صحة الإضافة»¹. ويفهم من قوله هذا «أنه يتساوى ما فيه تتوين أو نون وما ليس فيه واحد منهما في صحة الإضافة، وذلك نحو: «الضاريك» و«الضارياتك» و«الضاريوك»»². كما يستخلص منه أيضاً: أن الضمير المتصل المضاف إلى اسم الفاعل لا يكون إلا مجروراً، وقد خالف ابن يعيش الزمخشري الرأي قائلاً: «والصواب أنها في موضع نصب، وذلك على رأي سيبويه، وأبي الحسن جميعاً»³. وقد أنشد الزمخشري لعبد الرحمن بن حسان ما يشهد على صحة إضافة ما فيه الألف واللام إلى الضمير المتصل، إذ يقول هذا الأخير:

أيها الشاتمي ليُحسب مثلي إنما أنت في الضلال تهيم⁴

ومعناه: «أنت عالم بأن قدرك دون قدري، وإنك لست ممن يشاتمني، وإنما تفعل ذلك لتظهر بالمشاتمة أن ثمة مماثلة لما يظهر بها في العادة، مع علمك بخلافه، ثم رد بعجز البيت هذا الغرض الذي قصده، فقال: إنما أنت في الضلال تهيم. والشاهد فيه قوله: «الشاتمي» في صحة إضافة ما فيه الألف واللام إلى الضمير المتصل، وفيه دليل على أن ما فيه تتوين، أو نون، وما عدم واحد منها سواء في صحة الإضافة. أما قول الشاعر:

هم الأمرون الخيرَ والفاعِلونَه [إذا ما خَشَوْا من حادثِ الدَّهرِ مُعظماً]⁵

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 121.

² - شرح المفصل لابن يعيش ج 2 ص 135

³ - المصدر نفسه ج 2 ص 136

⁴ - البيت من الخفيف لعبد الرحمن بن حسان في شرح المفصل لابن يعيش ج 2 ص 133

⁵ - البيت من الطويل بلا نسبة في الكتاب ج 1 ص 188.

يمدح هؤلاء القوم فهم يأمرن بالمعروف ويفعلونه، وخاصة حين يكون الناس واقعين في الكرب الذي لا يقدرن على دفعه. والشاهد فيه قوله «الفاعلونه» حيث جمع ما بين النون والضمير (ه) ضرورة، والقياس «الفاعلوه»؛ لأن حكم الضمير «أن يعاقب النون والتتوين»¹ مما دفع بسببويه إلى القول بان البيت مصنوع². وذهب أبو العباس المبرد إلى أن الهاء هي هاء السكت³.

إضافة الأسماء المبهمة:

ذكر الزمخشري في مفصله: «وكل اسم معرفة يتعرف به ما أضيف إليه إضافة معنوية إلا أسماء توغلت في إبهامها، فهي نكرات، وإن أضيفت إلى المعارف وهي نحو: «غير» و«مثل»، و«شبه»، ولذلك وصفت بها النكرات فقيل: «مررت برجل غيرك ومثلك وشبهك» ودخل عليها «رب»⁴. وقد أنشد الزمخشري ما يشهد على أن هذه الأسماء نكرات، ولو أضيفت إلى المعارف؛ لأنها متوغلة في الإبهام إذ يقول الشاعر:

يا ربَّ مثلك في النساءِ غريرةٍ [بيضاء قد متعتها بطلاق]⁵

مهدها زوجته بالطلاق، ومخوفا إياها عاقبة الغرور، قائلا لها: كثير من النساء مثلك في الحسن والجمال داخلها الغرور، فمتعتها بطلاق. والشاهد فيه دخول رُبَّ على «مثلك» مما يدل قطعا على أنها نكرة، فربُّ لا تدخل إلا على النكرات.

أي المضافة:

قال الزمخشري: «و«أي» إضافة إلى اثنين فصاعدا، إذا أضيف إلى المعرفة كقولك:

¹ - شرح المفصل لابن يعيش ج 2 ص 136.

² - الكتاب لسببويه ج 1 ص 188

³ - شرح المفصل ج 2 ص 137

⁴ - المفصل في صنعه الإعراب ص 122

⁵ - البيت من الكامل لأبي محجن الثقفي في الكتاب ج 1 ص 427

«أي الرجلين وأيُّ الرجال عندك؟» و «أيهما وأيهم وأي من رأيت أفضل»، و «أي الذين لقيت أكرم»، وأما قولهم: «أيُّ وأيُّك كان شرا فأخزاه الله»، فكقولك: «أخزى الله الكاذب مني ومنك»، و «هو بيني وبينك»، والمعنى: أيُّنا ومنا وبيننا»¹. وهذا يعني أنَّ «أيُّ» هي بعض ما تضاف إليه، ولذا ينبغي أن يكون المضاف إليها مما يتبعُّ اثنين فصاعداً، أما قول أحدهم: «أيُّ وأيُّك كان شرا فأخزاه الله». فالملاحظ أنه أضاف «أيُّ» إلى الضمير الذي هو ضمير النفس، وهو معرفة، فإنما سوغ ذلك أنه عطف عليه ضمير المخاطب بإعادة الخافض بالواو... وذلك بمنزلة التثنية والجمع، كأنك قلت: «أيُّنا»... والفرق بينهما أنك إذا قلت: «أيُّنا» فقد اشتركا في: «أيُّ وأيُّك وإذا قلت: «أيُّ وأيُّك» فقد أخلصته لكل واحد منهما فهو أبلغ»². وقد أشد الزمخشري بيت العباس بن مرداس شاهداً على إفراد: «أيُّ» لكل واحد من الاسمين والمراد أيُّنا، إذ يقول:

فَأَيُّي مَا وَأَيُّكَ كَانَ شَرًّا فَقَيَّدَ إِلَى الْمُقَامَةِ لَا يَرَاهَا³

يريد من كان منَّا شراً أعماه الله في الدنيا، حتى يقاد إلى مجلسه⁴. والشاهد فيه: إفراد أيُّ لكل واحد من الاسمين، والمستعمل إضافته إليهما معاً، فيقال: أيُّنا.

حكم ما يضاف إليه كلا:

قال الزمخشري: «وحق ما يضاف إليه (كلا) أن يكون معرفة ومثى، أو ما هو في المعنى المثى»⁵. فالأصل في (كلا) أنها تستعمل لتأكيد المثى المعرفة ف«إن خرج عن سنن التأكيد بأن يكون مبتدأ، نحو: (كلا أخويك جاءني)، أو فاعلاً نحو: (جاءني كلا أخويك)، فلن يخرج عن حكم التأكيد ومعناه»⁶، أي: ينبغي أن يكون المضاف إلى كلا

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 123

² - شرح المفصل لابن يعيش ج 2 ص 163

³ - البيت من الوافر للعباس بن مرداس في ديوانه ص 163

⁴ - وكان يقصد بدعائه هذا خفاف بن ندبة السلمي في أمر شجر بينهما (هامش المفصل في علم العربية ص 87)

⁵ - المفصل في صنعة الإعراب ص 124

⁶ - شرح المفصل لابن يعيش ج 2 ص 154

مثنى، أو ما هو في معنى المثنى، وأن يكون معرفة، وهذا ما نص عليه الزمخشري في مفصله وأكده. ومن الأبيات التي أنشدها شاهدة على أن المضاف إليه (كلا) ينبغي أن يكون معرفة ومثنى، أو ما هو في معنى المثنى قول الشاعر:

فإن الله يعلمني ووهباً ويعلم أن سيلقاه كلاً¹

أي: إن الله يعرف سرائري وسرائر وهب، ويعلم أنه سيلقاه كل منا يوم الحشر. والشاهد فيه قوله: (كلاً) إنما يضاف إلى تثنية حيث أضاف كلا إلى الضمير (نا) «وهو ضمير جمع و (كلاً) إما يضاف إلى تثنية؛ وذلك لأن الاثنين والجمع والكناية عن المتكلم واحد، وإن شئت أن تقول: هو الجمع، ولكنه حمل الكلام عن المعنى لأنه نفسه ووهباً»². وتجدر الإشارة إلى أن البيت قد روي «سيلقاه كلاً»، فكلنا في الرواية الأولى فاعل، وفي الثانية تأكيد لضمير المتكلمين.

إن للخير وللشر مدى وكلاً ذلك وجهه وقبل³

ومعناه: لأن للخير والشر غاية ونهاية، وكلاهما أمر واضح لا يجمله أحد. قال هذا يوم أحد قبل إسلامه. والشاهد فيه قوله: (كلاً ذلك) حيث أضاف كلا إلى ذلك، وهي معرفة ومثنى «لأن وإن كانت حقيقية في الواحد إلا أنها مشار بها إلى الاثنين، وهو الخير والشر»⁴.

إضافة الاسم إلى غيره:

ذكر الزمخشري في مفصله: «ويضاف الشيء إلى غيره بأدنى ملابسة بينهما كقول أحد حاملي الخشبة لصاحبه: «خذ طرفك»»⁵. وهذا يعني أنه إذا كان الغرض من الإضافة

¹ - البيت من الوافر للنمر بن تولب في ديوانه ص 137

² - المصدر نفسه ج 2 ص 155

³ - البيت من الرمل لعبد الله بن الزبيري في شرح التصريح على التوضيح للأزهري محمد باسل عيون السود . دار

الكتب العلمية بيروت ط 2000 ج 1 ص 707.

⁴ - شرح التصريح على التوضيح للأزهري ج 1 ص 708.

⁵ - المفصل في صنعة الإعراب ص 126.

المحضة هو بيان جنس المضاف، أو تعريفه، أو تخصيصه؛ فإنه «قد يضاف الشيء إلى الشيء بأدنى ملابسة نحو قولك: ((لقيته في طريقي)) أضفت الطريق إليك لمجرد مرورك فيه»¹. وقد أنشد الزمخشري ما يشهد على صحة هذا الاستعمال:

1- إِذَا كَوَّكَبُ الْخِرْقَاءِ لَاحَ بِسُحْرَةٍ [سهيل أذاعت غزلها في القرائب]²

إذ يقول: أن هذه المرأة لحمقها تترك العمل في الصيف، فإذا لاح سهيل، وبدت علامات الشتاء، وأقبل البرد اجتهدت في نسج غزلها، بين قريباتها ليساعدها فيه. والشاهد فيه قوله: ((كوكب الخرقاء)) حيث أضاف كوكب إلى الخرقاء لأدنى ملابسته بينهما، وهي أنها كانت تجتهد في العمل عند طلوعه، بينما الكيسة تستعد صيفا، فتنام وقت طلوع سهيل، وهو الإعلان عن حلول فصل البرد.

2- إِذَا قَالَ: قَدْ نِي. قَالَ: بِاللَّهِ حَلْفَةٌ لِيُعْنِي عَنِي ذَا إِنَائِكَ أَجْمَعًا³

يصف رجلا مضيفا إذ يقول له الضيف: يكفيني ما شربته من اللبن، فيقول له: أقسم بالله لتشرين اللبن الذي في الإناء كله. والشاهد فيه قوله: ((إنائك)) حيث أضاف الإناء إلى الضيف، وإن كان هو للمضيف، لأدنى ملابسة، وهي الشرب منه، كما يمكن اعتبار موضع الشاهد هو قوله: ذَا إِنَائِكَ حيث أضاف ذَا بمعنى صاحب، وأريد به اللبن إلى الإناء لملابسته إياه، لكونه فيه. ويعتبر البيت شاهدا أيضا على جواز لحاق نون الوقاية بقد التي بمعنى حسب: لحفظ السكون وجواز التأكيد بأجمع، دون أن تسبق بكل، وهو تأكيد لقوله: ذَا إِنَاءٍ بِمَعْنَى اللَّبَنِ.

¹ - شرح المفصل لابن يعيش ج 2 ص 164.

² - البيت من الطويل بلا نسبة في شرح المفصل ج 2 ص 163.

³ - البيت من الطويل لحريث بن عناب في خزنة الأدب تأليف عبد القادر البغدادي عبد السلام تح هارون مكتبة الخانجي القاهرة. ط 1 1983 ج 11 ص 434. وبلا نسبة في تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد. ابن هشام. عباس مصطفى الصالحي دار الكتاب لعربي لبنان ط 1 1986 ص 107.

عدم جواز الإضافة:

قال الزمخشري: «ولا يجوز إضافة الموصوف إلى صفته، ولا الصفة إلى موصوفها»¹ ولذا فما جاء في ظاهره من باب إضافة الموصوف إلى صفته، فهو على تأويل، فقولهم: مسجد الجامع، أي: مسجد الوقت الجامع، وكذلك ما جاء في ظاهره من باب إضافة الصفة إلى موصوفها نحو قولهم: أخلاق ثياب، إذ المعنى: ثياب أخلاق، أي: بالية فقدم الصفة، «وأزالتها عن الوصفية، وأضافها إلى الاسم إضافة البعض إلى الكل على مذهب «خاتم الذهب» والمراد من ذهب»² كذلك: أخلاق من ثياب، لأنه لما قدم الصفة «أخلاق» أزالتها عن الوصفية، فاحتملت أشياء، فأضافها إلى الثياب إضافة بيان وتخليص. وقد أنشد الزمخشري قول النابغة الذبياني شاهدا على ما يبدو في ظاهره من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، والتأويل فيها على غير ذلك، إذ يقول:

والمؤمن العائذاتِ الطيرِ يمسحُها رُكبانُ مَكَّةَ بين الغيلِ والسَّندِ³

ومعناه أقسم بالذي يؤمن الطير العائذات بالحرم حتى أن ركبان مكة تمسحها، فلا تفرع منها. والشاهد فيه قوله: «العائذات الطير» إضافة إلى الطير، إضافة بيان وتخليص، لا تقديم للصفة على الموصوف. فهو من قبيل «أخلاق ثياب».

إضافة المسمى إلى اسمه:

قال الزمخشري: «وقد أضيف المسمى إلى اسمه في نحو قولهم: «لقيته ذات مرة»»⁴ فالمضاف وهو المسمى «ذات» بمعنى صاحب، والمضاف إليه، وهو اسمه «مرة»، والمراد الزمن المسمى بهذا الاسم «مرة». وقد أورد الزمخشري من الأبيات الشعرية ما يشهد على صحة هذا النوع من الإضافة فيما صح من لغة العرب:

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 127.

² - شرح المفصل لابن يعيش ج 2 ص 163.

³ - البيت من البسيط. للناطقة الذبياني في خزنة الأدب ج 5. ص 71 وبلا نسبة في شرح المفصل ج 2 ص 167.

⁴ - المفصل في صنعة الإعراب ص 128.

1- عَزَمْتُ عَلَى إِقَامَةِ ذِي صَبَاحٍ لِأَمْرِ مَا يُسَوِّدُ مِنْ يَسُودُ¹

يقول عزمت على أن أقيم إلى وقت الصباح، لأمر يجعلني سيذا. والشاهد فيه قوله: (الذي صباح) حيث أضاف ذي إلى صباح، وهو اسمه؛ لأن المقصود من هذه الإضافة: «على إقامة صاحب هذا الاسم، وصاحبه هو صباح، فكأنه قال: على إقامة صباح»².
قال الكمي:

2- إِلَيْكُمْ ذَوِي آلِ النَّبِيِّ تَطَّلَعَتْ نَوَازِعٌ مِنْ قَلْبِي ظِمَاءً وَأَلْبُوبُ³

أي: إليكم يا أصحاب هذا الاسم، تشوقت إلى لقاءكم مدفوعاً إلى ذلك برغبة جامحة. والشاهد فيه قوله: «ذوي آل النبي» وهذا من باب إضافة المسمى إلى الاسم أي أصحاب هذا الاسم، وقد أنشد الزمخشري هذا الشاهد، لا ليدل على صحة إضافة المسمى إلى اسمه فحسب، بل ليرد على من زعم أن ذا في مثل هذا الاستعمال زائدة. فالملاحظ أن الشاعر «لو قال: يا آل النبي لم يكن فيه ما في قوله: «يا ذوي آل النبي» من المدح والتعظيم... لأنه لما قال: «يا ذوي آل النبي» فقد جعلهم أصحاب هذا الاسم، وهو آل النبي، ومن كان صاحب هذا الاسم، كان ممدوحاً معظماً لا محالة»⁴.

إِقْحَامُ الْمُضَافِ:

يعتبر الاسم مقحماً حيث إذا أسقط لا يختل المعنى، ومن ذلك إقحام المضاف. إذ ورد في كلام العرب ما يشهد على هذا النوع من الإقحام.

1- قال ليبي:

¹- البيت من الوافر لأنس بن مدركة في الحيوان للجاحظ. تح عبد السلام محمد هارون مكتبة ومطبعة مصطفى الباي.

ط مصر 1965. ج3. ص81

²- شرح المفصل ج2 ص171.

³- البيت من الطويل للكميت في لسان العرب (ظماً)، (البب) والخصائص، ابن جني. تح. محمد علي النجار، دار الكتب المصرية دط . دت. ج3 ص27.

⁴- شرح المفصل ج2 ص171.

إلى الحول ثم اسم السّلام عليكما وَمَنْ يَبِكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَدَرَ¹
 يخاطب ابنتيه حين حضرته الوفاة، يوصيهما أن تذكراه، وترثياه، وتظلا كذلك إلى
 الحول قائلًا: إذا تمّ الحول، فالسلام عليكما، لا أريد منكما أكثر من هذا، فإنه من يبك
 سنة فهو معذور. والشاهد فيه قوله: «اسم السلام عليكما» حيث أقحم اللفظ «اسم»، وهو
 مضاف ودخوله وخروجه لا يؤثر في المعنى باعتباره مقحما. إلا ابن جنّي له في هذه
 المسألة رأي مخالف إذ يقول: «فأبو عبيدة يدّعي زيادة ذي واسم، ونحن نحمل الكلام على
 أن هناك محذوفًا. قال أبو علي: وإنما هو على حد حذف المضاف، أي: ثم اسم معنى
 السلام عليكما، واسم معنى السلام هو السلام، فكأنّه قال: ثم السلام عليكما. فالمعنى -
 لعمرى- ما قاله أبو عبيدة ولكنه من غير الطريق التي أتاه هو منها، ألا تراه هو اعتقد
 زيادة شيء، واعتقدنا نحن نقصان شيء»².

2- قال ذو الرّمة:

[لَا يَنْعَشُ الطَّرْفَ إِلَّا مَا تَخَوَّنَهُ] دَاعٍ يُنَادِيهِ بِاسْمِ الْمَاءِ مَبْغُومٌ³
 يصف ولد ظبية يظل في نومه لا يرفع طرفه من شدة نعاسه، إلى أن تأتي إليه أمه
 فتدعوه بصوتها «ماء» متعهدة إياه، فعند ذلك ينعش ويقوم. والشاهد فيه قوله: «اسم الماء»
 حيث جاءت فيه كلمة «اسم» زائدة مقحمة دخولها وخروجها سواء.

3- تَدَاعَيْنِ بِاسْمِ الشَّيْبِ⁴ فِي مُتَنَلِّمٍ [جَوَانِبُهُ مِنْ بَصْرَةٍ وَسِلَامٍ]⁵
 يصف إبلا قد وردت على حوض متهدّم، فشربت، ودعت غيرها إلى الشرب بصوت
 مشارفها عند الشرب. والشاهد فيه قوله: «اسم الشيب» حيث جاءت كلمة «اسم» فيه زائدة

¹ - البيت من الطويل للبيد بن ربيعة في خزنة الأدب 337/4 والخصائص 29/3 وفي ديوانه. تح. إحسان عباس مطبعة
 حكومة الكويت. الكويت دط 1962 ص 214.

² - الخصائص ج 3 ص 30.

³ - البيت من البسيط لذي الرّمة في خزنة الأدب ج 4 ص 344 والخصائص ج 3 ص 29.

⁴ - شيب حكاية صوت جذب الماء ورشفه عند الشرب

⁵ - البيت من الطويل لذي الرّمة في خزنة الأدب ج 4 ص 343، وإصلاح المنطق لابن السكيت. تح. أحمد محمد شاكر
 وعبد السلام هارون، دار المعارف دط. مصر. دت ص 69.

مقحمة، إلا أنّ هناك من ردّ ذلك، باعتبار أنّه «لو كان البيت على إقحام الاسم لقال باسم شيب، والشاعر إنّما قال باسم الشيب بالألف واللام، ولفظهما غير موجود في صوت الإبل، فإنّما أراد تداعين بصوت يشبه في اللفظ اسم الشيب أعنى جمع أشيب»¹، كما يعتبر البيت شاهداً على اسم الصوت إذا ركّب جاز إعرابه، وإن كان الأصل فيه البناء.

4- يا قُرَّ إن أباك حيّ خويلد قد كنتُ خائفهُ على الإحماق²

يصف مخاطبه بالحمق قائلاً: «إني كنت أرى من أبيك مخايل أخشى منها، أن يلد له مولود أحمق، وقد تحقق ذلك بولادته إياك. والشاهد فيه قوله: «أباك حيّ خويلد» حيث أقحم اسم «حيّ» بحيث إذا سقط لا يختل المعنى، مع أنه هناك من يعتبر لفظ حيّ غير زائد من حيث المعنى؛ لأنه يفيد نوعاً من تحقير ما أضيف إليه.

5- [دَعَرْتُ بِهِ الْقَطَا] وَنَفَيْتُ عَنْهُ مَقَامَ الذُّنْبِ [كَالرَّجْلِ اللَّعِينِ]³

إذ يقول مفتخراً قد وردت ماء لا يؤمّه بشر، فدعرت عنه القطا، وطردت عنه الذئب، كالرجل اللعين الذي ينفي الوحوش والطيور عن الزرع. والشاهد فيه قوله: «مقام الذئب» حيث جاءت كلمة «مقام» زائدة مقحمة، إلا أنها لا تخلو من فائدة، فهي تؤكد «نفي الذئب؛ لأنه إذا نفي موضع قيامه فقد نفاه قطعاً»⁴.

إضافة أسماء الزمان إلى الأفعال:

قال ابن يعيش: «إن الإضافة إلى الأفعال مما لا يصح، لأن الإضافة ينبغي بها تعريف المضاف، وإخراجه من إبهام إلى تخصيص على حسب خصوص المضاف إليه في نفسه، والأفعال لا تكون إلا نكرات، ولا يكون شيء منها أخص من شيء، فامتنتعت

¹ - ينظر خزنة الأدب ج 4 ص 343.

² - البيت من الكامل لجبار بن سلمى في خزنة الأدب ج 4 ص 334.

³ - البيت من الوافر للشماخ في ديوانه. تح صلاح الدين الهادي. دار المعارف. دط. مصر. دت. ص 321.

⁴ - خزنة الأدب ج 4 ص 348.

الإضافة إليها لعدم جدواها، إلا أنهم قد أضافوا أسماء الزمان إلى الأفعال»¹. ويشهد على جواز ذلك قول الشاعر:

حَنَّتْ نُوَارٌ وَلَاتَ هَنَّا حَنَّتْ [وبدا الذي كانت نُوَارٌ أَجَنَّتْ]²

ومعناه: اشتاقت نوار إلى أهلها، وليس الوقت وقت الحنين، وظهر ما كانت تستره من الشوق إلى ديارها. والشاهد فيه قوله: «لات هَنَّا حَنَّتْ» حيث أضاف اسم الزمان «هنا» إلى الفعل حَنَّتْ مع أن «هنا أصلها المكان، وفيها ثلاث لغات: «هَنَّا» و«هِنَّا»، و«هَنَّا» وقد أجريت مجرى الزمان مجازاً»³. وذكر الزمخشري: «ومما يضاف إلى الفعل «آية» لقرب معناها من معنى الوقت»⁴. أي: أنهم لما أضافوا أسماء الزمان إلى الفعل، فإنهم أضافوا إلى الفعل مما هو يشبه الزمان في الدلالة، فأضافوا آية «لأنها بمنزلة الوقت وذلك أن الآية: العلامة، والأوقات علامات لمعرفة الحوادث»⁵. وقد استشهد الزمخشري بما صح من كلام العرب على إضافة آية إلى الفعل.

1- بآية يُقَدِّمُونَ الْخَيْلَ شُعْنًا كَأَنَّ عَلَى سَنَابِكِهَا مُدَامًا⁶

ومعناه: أبلغهم عني هذه الرسالة، بعلامة تقديمهم الخيل إلى الحرب شعناً، كأن حوافرها مداما، «وكأن الشاعر لما حمل إنساناً أن يبلغ قوما رسالته، قال له ذلك الإنسان: بأي علامة هؤلاء القوم؟ فقال: بعلامة تقديمهم الخيل إلى الحرب»⁷. والشاهد فيه قوله: «بآية يقدمون» حيث أضاف آية إلى يقدمون باعتبار «آية» مما جرى مجرى الزمن، حيث لما جاز أن يضاف الزمن إلى الفعل جاز ذلك في آية، فكان الشاعر قال: بعلامة وقت يقدمون.

¹ - شرح المفصل لابن يعيش ج 2 ص 180.

² - البيت من الطويل لشبيب بن جعيل في خزانة الأدب ج 4 ص 195، وبلا نسبة في تخلص الشواهد ص 130

³ - شرح المفصل لابن يعيش ج 2 ص 182.

⁴ - المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري ص 133.

⁵ - شرح المفصل ج 2 ص 184.

⁶ - البيت من الوافر للأعشى في خزانة الأدب 512/6 ولسان العرب (سلم).

⁷ - خزانة الأدب ج 6 ص 514.

2- أَلَا مُبْلِغٌ عَنِّي تَمِيمًا بآيةٍ مَا يُحِبُّونَ الطَّعَامَا¹
يهجو بني تميم قائلًا: من يبلغ تميما عني ما أقول فيهم، وعلامتهم أنهم يحبون الطعام إشارة إلى حرصهم على الطعام، و كناية عن تعبيرهم بذلك. والشاهد فيه: إضافة آية إلى الفعل يحبون ويرى بعضهم أن (ما) مصدرية، وليست زائدة، وأن آية مضافة إلى المصدر المؤول من ما والفعل بعدها، ولهذا الشاهد علاقة بالمثل العربي المشهور «إن الشقيّ وافدُ البراجم»².

الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالظرف:

قال الزمخشري: «ويجوز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالظرف في الشعر»³. وهذا يعني أن الفصل بينهما في غير الشعر لا يجوز؛ لأنهما كالشيء الواحد. ومن شواهد الفصل بينهما بالظرف:

1- قول عمرو بن قميئة:

لما رأْتُ سَاتِيَدَمًا اسْتَعْبَرْتُ لله دُرٌّ، اليَوْمَ، من لَامِهَا⁴
يصف امرأة مرت بجبل ساتيدما، فتذكرت بلادها لقربها من هذا الجبل، فبكت. فقال: لله دُرٌّ من لامها على بكائها وشوقها وقيل⁵: إن البيت لا يعني به إلا نفسه، لما خرج مع امرئ القيس إلى ملك الروم. والشاهد فيه قوله: «لله دُرٌّ اليوم من لامها» حيث فصل بين المضاف «دُرٌّ» والمضاف إليه «من» بالظرف «اليوم».

2- قول دُرْنَا:

¹ البيت من الوافر ليزيد بن عمرو بن الصعق في الكتاب ج3 ص117

² ينظر خزانة لأدب ج526/6.

³ شرح المفصل ج134.

⁴ البيت من السريع لعمرو بن قميئة في ديوانه تح حسن كامل الصيرفي . معهد م العربية دط1965 ص182.

⁵ ينظر خزانة لأدب ج4 ص407.

هما أخوا في العرب من لا أخا له [إذا خَاف يوماً نبوةً فدَعَاهُمَا]¹
 تقول راثية: كانا ينصران من لا ناصر له إذا داهمه العدو، وبأخذان بيده إذا غشيه
 الهول. والشاهد فيه قولها: «أخوا في الحرب من لا أخا له» حيث فصلت بين المضاف
 «أخوا»، والمضاف إليه «من» بالجار والمجرور «في الحرب»، بدليل حذف النون.
حذف المضاف إليه من الأول استغناء عنه بالثاني:

من الشواهد التي أوردها الزمخشري باعتبارها أنها ليست من باب الفصل بين المضاف
 والمضاف إليه.

1- قول الفرزدق:

[يا من رأى عارضاً أُسْرُ به] بَيْنَ ذِرَاعِيَّ وَجِبْهَةِ الْأَسَدِ²
 ومعناه: أيها القوم من رأى منكم عارضاً ممطراً، يسير به بين موقعي ذراعي الأسد
 وجبهته يبشرنني به، فأفرح وتفرحوا. والشاهد فيه قوله: «بين ذراعي وجبهة الأسد» حيث
 حذف المضاف إليه الأول، بقريضة المضاف إليه الثاني أي: بين ذراعي الأسد، وجبهته.
 2- قول الأعشى:

[ولا نقاتل بالعِصِيِّ ي ولا نرمي بالحجارة]
 إلا عُلَّالَةً أو بُبْدَا هَةَ سَابِحٍ [نهدِ الجِزَارَةَ]³
 أي: لا نقاتلكم بالعصي، أو بالحجارة، وإنما بخيل هذه صفاتها. والشاهد فيه قوله:
 «علالة أو بداهة سابح» حيث أن المضاف إليه الأول حذف استغناء عنه بالثاني، فعلالة
 مضاف إلى سابح في الأصل، وبداهة مضاف إلى ضميره. والتقدير: إلا علالة سابح، أو
 بداهته، ثم حذف الضمير وجعل بداهة بين المتضايقين.

¹ البيت من الطويل لدرنا بنت عبة في الكتاب 180/1 ولعمرة الخثعمية في لسان العرب وفي شرح أبيات الحماسة
 للمرزوقي عبد السلام هارون وأحمد أمين. دار الجيل دط بيروت، 1991 ص 1083.

² البيت من المنسرح للفرزدق في الكتاب ج 1 ص 180

³ البيت من مجزوء الكامل بلا نسبة في تخلص الشواهد ص 82، والكتاب 176/1.

الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف:

ومما أنكره الزمخشري، وبرأ سيبويه من عهده، ما جاء في بعض نسخ الكتاب:

فَرَجَّجْتُهَا بِمِرْجَجَةٍ زَجَّ الْقُلُوصَ أَبِي مَزَادَةَ¹

أي رميتها بشيء في طرفه زَجَّ كالحربة، كما يزج أبو مزاده الناقة الفتية. والشاهد فيه قوله: «زَجَّ الْقُلُوصَ أَبِي مَزَادَةَ» حيث فصل بين المضاف «زَجَّ» والمضاف إليه «أبي مزادة» بالمفعول «القلوص» وقد برأ الزمخشري سيبويه من هذا؛ لأن سيبويه لا يرى الفصل بغير الظرف، وإذا كان هذا مذهبه، فكيف يورد بيتا على خلاف مذهبه؟² إلا أن الأشموني اعتبر هذا النوع من الفصل بين المتضايفين مما هو جائز في السعة خلافا للبصريين الذين أخصوا ذلك بالشعر، كما جاء في قراءة ابن عامر ﴿ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءَهُمْ ﴾³.

حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه:

قال الزمخشري: « وإذا أمنوا الإلباس، حذفوا المضاف، وأقاموا المضاف إليه مقامه وأعربوه بإعرابه. والعلمُ فيه قوله: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾⁴؛ لأنه لا يلبس أن المسؤول أهلها لا هي»⁵ ولذا اعتبر من الملبس في الشعر:

عَشِيَّةَ فَرِّ الْحَارِثِيِّونَ بَعْدَمَا قَضَى نَحْبَهُ فِي مُلْتَقَى الْقَوْمِ هَوْبِرُ⁶

يقول: عشية فرّ هؤلاء القوم بعد أن قتل ابن سيدهم ورأسهم هوبر في ملتقى القوم. والشاهد فيه: حذف المضاف «ابن»، ويقصد به يزيد ابن هوبر الحارثي، وإقامة المضاف إليه «هوبر» مقامه، وهو من الحذف الملبس؛ لأنه من المحتمل أن السامع لا يعرف «ابن

¹ - البيت من مجزوء الكامل بلا نسبة في الكتاب ج 1 ص 176 وتخليص الشواهد ص 82 وخزانة الأدب 4/415.

² - خزانة الأدب ج 4 ص 416.

³ - الأنعام من الآية 137.

⁴ - سورة يوسف من الآية 82.

⁵ - المفصل في صنعة الإعراب ص 137.

⁶ - البيت من الطويل لذي الرمة في ديوانه ش التبريزي. تح مجيد طراد. دار الكتاب العربي. ط 2 بيروت 1996.

هوبر»، وليس هناك قرينة تشير إلى ذلك، إلا أن المخاطب بهذا البيت، والمشاهد لذلك لا يشكل عليه ذلك.

[فَهَلْ لَكُمْ فِيهَا إِلِيٌّ فَإِنِّي طَبِيبٌ] بما أعيان النَّطَاسِيَّ حَذِيمًا¹
 أي لك ميل في رد المعزى إليّ، فاني طبيب حاذق بالداء الذي عجز أشهر الأطباء عن
 علاجه ومداواته، وفي هذا تهديد ووعيد. والشاهد فيه: أنه حذف المضاف، وهو ابن، وأقام
 المضاف إليه «حذيم» مقامه؛ لأن المشهور في عالم الطب هو ابن حذيم، لا حذيم نفسه،
 حيث جاء في المثل العربي: «أطب من ابن حذيم».

جواز إعطاء حكم المضاف المحذوف في غير الإعراب إلى المضاف إليه:

قال الزمخشري: «وكما أعطوا هذا الثابت حق المحذوف في الإعراب، فقد أعطوه حقه
 في غيره»². ويشهد على ذلك قول الشاعر:

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ عَلَيْهِمْ بَرْدَى يُصَفِّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ³
 أي: أنهم كرام يسقون الواصل عليهم أجود أنواع الخمر، أو الشراب الممزوج بالماء
 العذب. والشاهد فيه قوله: «بردى يصفق» حيث حذف المضاف وهو «ماء» وأبقى المضاف
 إليه «بردى» وأقامه مقام المضاف، وأعطاه حكمه في التقدير إضافة إلى الإعراب، بدليل
 يصفق، فإنه ذكر الضمير - وإن كان المرجوع إليه مؤنثا - نظرا إلى حكم تذكير المضاف
 المحذوف وهو الماء، ولو لم يقم مقامه في التذكير، لوجب أن يقال تصفق بالتاء للتأنيث.

حذف المضاف وترك المضاف إليه على إعرابه:

قال الزمخشري: «وقد حذف المضاف، وترك المضاف إليه على إعرابه في قولهم: «ما

¹ البيت من الطويل لأوس بن حجر في ديوانه. تح يوسف نجم دار بيروت للطباعة بيروت دط 1980 ص 111.

² المفصل في صنعة الإعراب ص 138.

³ البيت من الكامل لحسان بن ثابت في ديوانه. وليد عرفات دار صادر بيروت دط 2006 ج 1 ص 74.

كل سمراء تمرّة ولا بيضاء شحمة»¹. وقد أورد من الشعر ما يؤكد هذا الاستعمال إذ يقول أبو دؤاد:

أَكَلَّ امْرِيَّ تَحْسَبِينَ امْرَأً وَنَارٍ تَوَقَّدُ بِاللَّيْلِ نَاراً²
 أي لا تحسبي أن كل من كان على هيئة رجل هو رجل فعلاً، ولا كل نار توقد بالليل هي نار، وكأنني به يريد أن يقول: إنما الرجل الحقيقي: هو من اتصف بالصفات الحقيقية للرجل، والنار هي: التي توقد للضيوف. والشاهد فيه قوله: «ونار» حيث حذف المضاف «كل» وأبقى المضاف إليه مجروراً كما كان قبل الحذف، وذلك لأن المضاف المحذوف «كل» معطوف على مماثل له، وهو «كل»، مع «أن حذف المضاف وإبقاء عمله ضعيف في القياس، قليل في الاستعمال»³.

حذف المضاف والمضاف إليه معا:

إذا سبق وأن أشرنا أن العرب قد حذفوا المضاف، وأبقوا المضاف إليه على إعرابه فإنهم قد حذفوا المضاف إليه أيضا في مثل قولهم: «مررت بكل قائما» وقد جاء محذوفين معا⁴. والشاهد على ذلك:

[أَيَا مَنْ رَأَى لِي رَأْيِي بَرْقٍ شَرِيقٍ] أَسَالَ الْبَحَارَ فَاثْتَحَى لِلْعَقِيقِ⁵
 يصف برقاً حيث أجرى ماء سحابه البحار والعقيق، وهما موضعان. والشاهد فيه قوله: «أسال البحار»، حيث حذف المضاف والمضاف إليه معا، والتقدير: أسال ماؤه البحار أو أسال سقيا سحابه البحار؛ أي الأماكن المتسعة؛ لأنه «لما حذف المضاف والمضاف

¹ - المفصل في صنعة الإعراب، ص 139.

² - البيت من المتقارب لأبي دؤاد في شرح أبيات المغني للبغدادي، تح عبد العزيز رباح وأحمد دقاق، دار الثقافة العربية، دمشق، ط2، 1989، ج3، ص 304

³ - شرح المفصل، لابن يعيش، ج2، ص 197.

⁴ - المفصل في صنعة الإعراب، ص140.

⁵ - البيت من الطويل لأبي دؤاد الأيادي في شرح المفصل، ج2، ص200.

إليه معاً، أقيم الضمير المجرور مقام المضاف، وصار مرفوعاً، فاستكن الفعل حين أسند إليه الفعل»¹.

[فَأَدْرَكَ إِبْقَاءَ الْعَرَادَةِ ظَلْعُهَا] وَقَدْ جَعَلْتَنِي مِنْ حَزِيمَةٍ إصْبَعًا²

ومعناه: أن فرسي أصيب بالظلع، فلم أستطع أسر حزيمة، فقد بقى بيني وبينه مسافة إصبع، وإلا كنت أسرتة. والشاهد فيه قوله: «إصبعاً» فقد حذف المضاف والمضاف إليه والتقدير: ذا مسافة إصبع، وذلك «لما تكرر، وأقام المضاف إليه الثاني مقام المضاف الأول، وأعربه بإعرابه، وهو النصب»³.

حكم ما أضيف إلى ياء المتكلم:

قال الزمخشري: «وما أضيف إلى ياء المتكلم، فحكمه الكسر، نحو قولك في الصحيح والجارى مجراه: «غلامي»، «دلوي» إلا إذا كان آخره ألفاً، أو ياء متحركا ما قبلها، أو واوا أما الألف فلا يتغير إلا في لغة هذيل... يجعلونها إذا لم تكن للنثنية ياء، ويدغمونها»⁴. وقد أنشد قول أبي ذؤيب الهذلي شاهداً على قلب الألف ياء في لغة هذيل، وإدغامها بياء المتكلم في كل اسم آخره ألف، ما لم تكن للنثنية إذ يقول:

سَبَقُوا هَوِيَّ وَأَعْنَقُوا لِهَوَاهُمْ [فَتَخَرَّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعٌ]⁵

راثيا بنيه الخمسة الذين هاجروا إلى مصر، فماتوا بالطاعون في سنة واحدة، فقال كنت أهوى حياتهم، فسبقوا هويي، أي انقرضوا كلهم. والشاهد فيه قوله: «هويي». وأصله هوي فقلب الألف ياء على لغة هذيل، وأدغمها في الياء الثانية، وهي ياء المتكلم.

¹ - شرح المفصل، لابن يعيش، ج2، ص204.

² - البيت من الطويل للأسود بن يعفر في شرح المفصل، لابن يعيش، ج2، ص204، أو للكعبة اليربوعي في خزانة الأدب، ج4، ص401

³ - شرح المفصل لابن يعيش، ج2 ص205

⁴ - المفصل في صناعة الإعراب، ص141.

⁵ - البيت من الكامل لأبي ذؤيب الهذلي في سر صناعة الإعراب، لابن حنى، تح. حسن الهداوي دار العلم، دمشق، ط2، 1993، ج2، ص700.

إضافة الأسماء الستة:

قال الزمخشري: « والأسماء الستة متى أضيفت إلى ظاهر أو مضمر ما خلا الياء، فحكمها ما ذكرنا؛ فأما إذا أضيفت إلى الياء، فحكمها حكمها غير مضافة، أي: تحذف الأواخر إلا «ذو»، فإنه لا يضاف إلا إلى أسماء الأجناس الظاهرة»¹. وهذا يعني أن الأسماء الستة «حكمها إذا أضيفت إلى ياء النفس أن لا يعاد اللام المحذوف، بل تبقى على حالها محذوفة اللام كما لو لم تذفها»² إلا «ذو»، فإنه لا يضاف إلى مضمر، بل يضاف إلى أسماء الأجناس الظاهرة فقط، ولذا اعتبر قول كعب من الشاذ:

صَبَحْنَا الْخَزْرَجِيَّةَ مُرَهَفَاتٍ أَبَارَ ذَوِي أُرُومَتِهَا ذُوهَا³

أي: صَبَحْنَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ بِسُيُوفٍ قَوَاطِعَ، أَفْنَى أَصْحَابِ تِلْكَ السُّيُوفِ أَصْلَ تِلْكَ الْقَبِيلَةِ الْخَزْرَجِيَّةِ. الشاهد فيه قوله: «ذوها»، حيث أضاف «ذوو» إلى الضمير شنودا، أو للضرورة وهو إنما يضاف إلى اسم جنس ظاهر. وإذا كان المعتمد في الأسماء الستة، ألا تعاد اللام المحذوف إذا أضيفت إلى ياء المتكلم؛ فإن المبرد⁴ قد أجاز ردّها، فيقول: «(أبي) و» «أخي» وأنشد:

[قَدَّرَ أَحْلَكَ ذَا الْمَجَازِ وَقَدْ أَرَى] وَأَبِيَّ مَالِكَ نُو الْمَجَازِ بَدَارِ⁵

يخاطب الشاعر نفسه قائلاً لها: قضاء الله وقدره أحلك في هذا الموضع، وأعلم يقينا أنه ليس لك في ذي المجاز منزل تقيمين فيه. والشاهد قوله: «(أبي)» وهي عند المبرد مفرد ردّ لامه عند الإضافة إلى ياء المتكلم، كما ترد عند الإضافة إلى غير ياء المتكلم من الظاهر والمضمر، فأصله أبوي، فقلبت الواو ياء، وأدغمت في ياء المتكلم عملاً بالقاعدة

¹ - المفصل في صنعة الإعراب، ص 142

² - شرح المفصل لابن يعش، ج 2، ص 214.

³ - البيت من الوافر لكعب بن زهير في ديوانه. صنعة الإمام أبي سعيد السكري، تح. مفيد قميحة، دار الشواق للطباعة والنشر، ط 1، 1989، ص 166.

⁴ - ينظر المفصل في صنعة الإعراب ص 143

⁵ - البيت من الكامل للمؤرخ السلمي في خزنة الأدب، ج 4، ص 467.

حيث اجتماعاً، وكان أولهما ساكناً، ثم أبدلت ضمة الباء كسرة، ورأى المبرد، وإن كان موافقاً للقياس إلا أنه لم يَقم عليه دليل قاطع؛ لأن « صحة محمله على الجمع...تدفع ذلك»¹. كما جاء في قول الشاعر:

[فَلَمَّا تَبَيَّنَ أَصْوَاتَنَا بَكَيْنًا] وَفَدَيْتَنَا بِالْأَبِينَا²

ومعناه: أن قومه لما رجعوا من الحرب، وقد أبلوا فيها بلاءً حسناً، وفعلوا بالأعداء ما فعلوا عرف نسوتهم أصواتهم، فخرجن إليهم باكيات من شدة الفرح يقلن لهم: جعل الله آباءنا فداءً لكم. والشاهد فيه قوله: (بالأبينَا) حيث جمع الأب جمعاً صحيحاً بالواو والنون، وعليه حمل (أبي) في الشاهد السابق «على الجمع إذ ليس من قرينة تخلصه للأفراد، وبذلك يسقط الاحتجاج به فيكون أصله على هذا» (أبين) سقطت النون للإضافة، وأدغمت ياء الجمع في ياء المتكلم»³.

التأكيد:

التأكيد والتوكيد نوعان: لفظي، ومعنوي، أو صريح، وغير صريح، فالصريح نحو قولك: رأيت زيداً زيداً⁴. ويشهد على هذا النوع من التوكيد الصريح قول أعشى همدان:

مُرَّ إِنِّي قَدِ امْتَدَحْتُكَ مُرًّا وَاثِقًا أَنْ تُثَيِّبَنِي وَتَسْرًا
مُرَّ يَا مُرَّ مُرَّةً بِنِ تُلَيْدٍ مَا وَجَدْنَاكَ فِي الْحَوَادِثِ غُرًّا⁵

ومعناها: يا مرّة إني قد امتدحتك لتسر فتكافئني على مدحي إياك، وقد اخترتكَ عند الشدائد، وحلول المصائب، فما وجدناك غرّاً مغفلاً. والشاهد فيه: وقوع التأكيد اللفظي بتكرير اللفظ «مرّة» في قوله: «مُرَّ يَا مُرَّ مُرَّةً بِنِ تُلَيْدٍ».

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 144

² - البيت من المتقارب لزيد بن واصل السلمي في خزنة الأدب، ج 4 ص 474.

³ - هامش المفصل في صنعة الإعراب، ص 144.

⁴ - المصدر نفسه ص 145.

⁵ - البيتان من الخفيف للأعشى الهمداني في شرح المفصل لآين يعيش ج 2 ص 219

تأكيد النكرة ب ((كل)) و ((أجمعون)):

قال الزمخشري: «ولا يقع ((كل)) و ((أجمعون)) تأكيدين للنكرات... وقد أجاز ذلك الكوفيون فيما كان محدوداً»¹؛ أي: معلومة الأقدار. واستدلوا على ذلك بقول الشاعر:

قَد صِرَّتِ الْبَكْرَةُ يَوْمًا أَجْمَعًا²

ومعناه: ظلت البكرة يوماً كاملاً وهي تصوت، أي ما انقطع استقاء الماء في البئر يوماً كاملاً. وإذا كان الفعل مبنيًا للمجهول، فالمعنى أن الفتية من الإبل قد شد عليها الصرار لئلا يرضعها ولدها يوماً كاملاً. والشاهد فيه قوله: «يومًا أجمعًا» حيث أكد النكرة المحدودة «يومًا» ب «أجمعًا» وهو مذهب الكوفيين، الأمر الذي ينفيه البصريون باعتبار أن النكرات لا تؤكد بالتأكيد المعنوي «لأن النكرة لم تثبت لها حقيقة، والتأكيد المعنوي إنما هو لتمكين معنى الاسم، وتقرير حقيقته، وتمكين ما لم يثبت في النفس محال»³، إضافة إلى أن الألفاظ التي تؤكد بها هي «في المعنى معارف، فلا تتبع النكرات توكيدا لها، لأن التوكيد كالصفة»⁴. هذا وشاهدهم مجهول القائل مع شذوذه وربما هو مصنوع.

حذف الموصوف وإقامة الصفة مكانه:

قال الزمخشري: «وحق الصفة أن تصحب الموصوف إلا إذا ظهر أمره ظهوراً يستغني معه عن ذكره، فحينئذ يجوز تركه، وإقامة الصفة مقامه»⁵. ويشهد على جواز حذف الموصوف وإقامة الصفة مكانه ما يأتي:

¹ - المفصل في صنعة الإعراب، ص 147.

² - البيت من الرجز بلا نسبة في خزنة الأدب، ج 1، ص 181، وأسرار العربية، لابن البركات الأنباري، تح محمد البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دط، دمشق دت، ص 291.

³ - شرح المفصل لابن يعيش، ج 2، ص 227.

⁴ - المصدر نفسه ج 2، ص 227.

⁵ - المفصل في صنعة الإعراب، ص 151.

وعليهما مسرودتان قضاهما داؤد أو صنع السوايح تبع¹

يصف بطلين عليهما درعان مسرودتان فاخرتا الصنع كأن داود عليه السلام نسجهما، أو كأن ملك اليمن تفضل بصنعهما. والشاهد فيه قوله: «عليها مسرودتان» حيث حذف الموصوف «درعان» وأقام الصفة «مسرودتان» مقامه لظهور أمر الموصوف ظهوراً يستغنى به عن ذكره، باعتبار أن صفة مسرودة غالبية على الموصوف الدرع حتى صار يعرف بها، وإن لم يذكر معها، وكذلك صنع السوايح.

رباء شماء لا يأوى لقلتها إلا السحاب وإلا الأوب والسبل²

يرثي الشاعر ابنه بأبيات منها هذا الشاهد فيقول: إنه كان طليعة قومه، يرقب لهم الأعداء على متن هضبة شماء مرتفعة، لا يصل إلى قلتها إلا السحاب وإلا النحل والمطر. والشاهد فيه قوله: رباء شماء حيث حذف الموصوف هضبة، وأقام الصفة شماء مقامه، والتقدير هو رباء هضبة شماء. وتجدر الإشارة إلى أن حذف الموصوف وإقامة الصفة مكانه باب واسع، لكن على شرط أن تكون «الصفة مفردة متمكنة في بابها غير ملبسة، نحو قولك: «مررت بظريف»...، وشبهها من الأسماء الجارية على الفعل، فأما إذا كانت الصفة غير جارية على الفعل، نحو: مررت برجل أي رجل وأيما رجل، فإنه يمنع حذف الموصوف، وإقامة الصفة مقامه... وكذلك لو كانت الصفة جملة، نحو: «مررت برجل قام أخوه»، و«لقيت غلاماً وجهه حسن»، ولم يجر حذف الموصوف فيه أيضاً؛ لأنه لا يحسن إقامة الصفة مقام الموصوف فيه... وربما جاء شيء قليل من ذلك وما أقله!»³ من هذا القليل قول النابغة حيث الصفة شبه جملة:

كأنك من جمال بني أقيش يُقعقع بين رجائيه بشن⁴

¹ البيت من الكامل لأبي ذؤيب في سر صناعة الإعراب. لابن جني. تح حسن الهنداوي. دار القلم. ط3. دمشق.

1993. ج2. ص760

² البيت من البسيط للمنتخل الهذلي في خزنة الأدب ج5 ص3

³ شرح المفصل لابن يعيش، ج2 ص253 - 254.

⁴ البيت الوافر للنابغة الذبياني في ديوانه تح عبد الستار، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت 1996، ص137.

يهجو مخاطبه، فيصفه بالجبن والضعف، حيث شبهه بجمل من جمال بني أقيش المشهورة بالنفور، وإذا قرع بين قدميه كان أشد نفورا«وسبب هذا الشعر أن بني عبس قتلوا رجلا من بني أسد، فقتلت بنو أسد رجلين من عبس، فأراد عيينة بن حصن الفزاري أن يعين بني عبس، وينقض العهد الذي بين بني ذبيان وبني أسد، وبينه حلف وتناصر فقال: كأنك من جمال بني أقيش، أي: سريع الغضب تنفر مما لا ينبغي لعاقل أن ينفر منه»¹. والشاهد فيه قوله: «كأنك من جمال» حيث حذف الموصوف واستعمل الصفة مكانه استغناء عنه بدلالة الكلام وتقديره: كأنك جمل من جمال أقيش. «والذي حسن حذف الموصوف ههنا كونه خيرا، والخبر يكون جملة، وجارا ومجرورا»². ومنه أيضا قول الشاعر حيث الصفة جملة فعلية مضارعية:

لو قلت ما في قومها لم تيّم يفضّلها في حسبٍ وميسمٍ³

ومعناه: لو قلت ما في قومها أحد يفضلها في الحسب والجمال لم تكن آثما؛ لأنك صادق. والشاهد فيه قوله: «ما في قومها يفضلها» حيث حذف الموصوف، وأبقى الصفة مكانه، وهي جملة «يفضلها» وأصل الكلام: لو قلت ما في قومها أحد يفضلها. ومنه أيضا قول الشاعر حيث الصفة جملة فعلية فعلها ماض:

2- أنا ابنُ جَلَا [وطلّأُ الثنايا متى أضع العِمامةَ تُعرفُوني]⁴

يصف إقدامه وبسالته، وأنه رجل لا يهاب أحدا، قادر على الاضطلاع بعظام الأمور لا يبرز إلى الحرب إلا حاسر الرأس، حتى عرف بذلك. والشاهد فيه قوله: «أنا ابن جلا» حيث حذف الموصوف، وأبقى الصفة وهي الجملة الفعلية «جلا» وتقدير الكلام: أنا ابن رجل جلا الأمور ويرى سيبويه أن «جلا» مع ضميره المستتر جملة محكية جعلت علما، وبالتالي لا شاهد فيه .

¹ - شرح المفصل لابن يعيش، ج2، ص 254.

² - المصدر نفسه ج 2، ص 254.

³ - البيت من الرجز لحكيم بن معية في خزنة الأدب، ج5 ص 62.

⁴ - البيت من الوافر لحسيم بن وثيل في الكتاب ج3 ص207

3- [جَادَتْ] بِكَفِّي كَانَ مِنْ أَرْمَى الْبَشَرَ¹

وقبله: مَالِكٌ عِنْدِي غَيْرُ سَهْمٍ وَحَجْرٌ وَغَيْرُ كَبْدَاءٍ شَدِيدَةِ الْوَتْرِ
حيث الشاعر يهدد مخاطبه بقوله: ليس عندي غير سهم مصيب، وحجر قاتل، وقوس شديدة تجود بأفضل ما عندها، وخاصة عندما يستخدمها أقوى الناس وأقدرهم على الرمي وأجودهم معرفة به. والشاهد فيه قوله: «بكفي كان» حيث حذف الموصوف وأبقى صفته وهي جملة: «كان من أرمى البشر» والتقدير: بكفي رجل كان من أرمى البشر والأولى: رام من أرمى البشر. وإذا كان الزمخشري قد ذكر كل هذه الشواهد الدالة على حذف الموصوف، وإقامة الجملة الوصفية مكانة على قلة هذه الظاهرة، فإنها لا تخلو من تنويع في الصفة، أو في الموصوف. فهو تارة خبر، وتارة مبتدأ، وتارة أخرى مضاف إليه .

عطف البيان:

عطف البيان «هو اسم غير صفة يكشف عن المراد كشفها، وينزل من المتبوع منزلة الكلمة المستعملة من الغريبة إذا ترجمت بها»². وقد أنشد الزمخشري ما يشهد على صحة هذا التعريف فقد قال الراجز:

أَقْسَمَ بِاللَّهِ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ مَامَسَّهَا مِنْ نَقَبٍ وَلَا دَبْرُ³
حيث يروى «أن أعرابيا أتى عمر فقال: يا أمير المؤمنين، إن أهلي بعيد، وأني على ناقة دبراء، فاحملني، فقال عمر: كذبت، والله ما بها نقب ولا دبر فانطلق الأعرابي فحل ناقته، ثم استقبل البطحاء، وجعل يقول وهو يمشي خلف ناقته:

أَقْسَمَ بِاللَّهِ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ مَامَسَّهَا مِنْ نَقَبٍ وَلَا دَبْرُ
إِغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ فَجْرٌ

¹ - البيت من الرجز بلا نسبة في خزانة الأدب ج5 ص65

² - المفصل في صنعة الإعراب ص 157

³ - البيت من الرجز لرؤية في شرح المفصل ج2 ص272 أو لأعرابي في خزانة الأدب 145/5 وهو أول زجر قاله أعرابي لعمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه مقبل من أعلى الوادي فجعل إذا قال: اغفر له اللهم إن كان فجز، قال: اللهم صدق! حتى التقيا فأخذ بيده فقال: ضع عن راحلتك فوضع فإن هي كما قال، فحمله على بعير وزوده وكساه¹. والشاهد فيه قوله: «أبو حفص عمر» حيث أراد بقوله: «عمر» عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد جاء «عمر» ترجمة للكنية كاشفا عنها؛ لقيامه بالشهرة دونها.

الفرق بين عطف البيان وبين البديل:

الأصل أن «كل ما جاز أن يكون عطف بيان، جاز أن يكون بدلا نحو: «ضربت أبا عبد الله زيدا»². ولكن ما يفصل عطف البيان من البديل شيان: أحدهما: «أن يكون التابع خاليا من «أل» والمتبوع «بأل» وقد أضيفت إليه صفة «بأل» نحو: «أنا الضارب الرجل زيد» فيتعين كون «زيد» عطف بيان، ولا يجوز كونه بدلا من الرجل؛ لأن البديل على نية تكرار العامل، فيلزم أن يكون التقدير: أنا الضارب زيد وهو لا يجوز»³. ويشهد على هذا الفارق الأول قول الشاعر:

أنا ابنُ التاركِ البكريِّ بشرٍ عليه الطيرُ ترقبُهُ وُقوعاً⁴

أي: أنا ابن الذي ترك بشرا البكري طريحا على الأرض جريحا، قد أحاطت به الطير تنتظر موته لتأكل من لحمه. إنها حادثة مروعة تعكس بوضوح حال المجتمع العربي في عصر الشاعر. والشاهد فيه: أن «بشر» «يتعين كونه عطف بيان على «البكري» ولا يجوز أن يكون بدلا منه؛ لأن البديل في نية إحلاله محل الأول، ولا يجوز أن يقال أنا ابن التارك بشر؛ لأن الصفة المقرونة بـ«أل» كـ التارك، لا تضاف إلا لما فيه «أل» كـ «البكري»⁵. وهذا

¹ - خزانة الأدب ج5 ص154

² - شرح ابن عقيل ، تح ، ح الفاخوري ، دار الجبل ، د ط ، بيروت 2003 ، ج 2 ص 230

³ - المصدر نفسه ج 2 ص 231

⁴ - البيت من الوافر للمرار الأسدي في شرح التصريح على التوضيح . الأزهرى ، تح محمد باسل عيون السود ، دار

الكتب العلمية ط 1 ، بيروت 2000 ، ج 2 ص 150

⁵ - شرح التصريح على التوضيح ج 2 ص 150

هو الفارق الأول الذي أشار إليه الزمخشري من خلال إنشاده هذا الشاهد. أما الفارق الثاني «أنَّ الأول ههنا هو ما يعتمد بالحديث، وورود الثاني من أجل أن يوضح أمره، والبدل على خلاف ذلك، إذا هو، كما ذكرت المعتمد بالحديث، والأول كالبساط لذكره»¹.

العطف على الضمير:

قال الزمخشري في مفصله: «والضمير منفصله بمنزله المظهر: يعطف ويعطف عليه... وأما متصله، فلا يتأتى أن يعطف ويعطف عليه، خلا أن يشترط في مرفوعه أن يؤكد بالمنفصل»². أما قول عمر بن أبي ربيعة فهو من ضرورات الشعر إذ يقول:

فُلْتُ إِذْ أَقْبَلْتُ وَزُهْرٌ تَهَادَى [كَنِعَاجِ الْفَلَا تَعَسَّفَنَّ رَمَلًا]³

قلت إذا أقبلت الحبيبة مع مجموعة من النسوة الزهر، يتبخترن كنعاج الصحراء يتعسفن رملا. والشاهد فيه قوله: «أقبلت وزهر» حيث عطف «زهر» على الضمير المستتر في أقبلت من غير توكيد أو فصل، والوجه فيه أن يقال: أقبلت هي وزهر. وقد اعتبر الزمخشري ذلك من ضرورات الشعر «ولا ضرورة فيه؛ لأنه كان يمكنه أن يقول: وزهرا بالنصب على أنه مفعول معه»⁴

الاسم المبني:

المبني «وهو الذي سكون آخره وحركته لا بعامل»⁵، ومن أسباب بنائه⁶ إضافته إلى غير متمكن من الأسماء، مثل: يومئذ وحينئذ وساعئذ، وقد أجروا «غيرا»، و«مثلا»، مجرى

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 158

² - المصدر نفسه ص 159

³ - البيت من الخفيف لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه، ع بشير يموت، المطبعة الوطنية ط 1 بيروت، 1934، ص 234

⁴ - المفصل في علم العربية للزمخشري وبذيله كتاب المفضل في شرح أبيات المفصل للسيد محمد بدر الدين أبي فراس النعساني الحلبي، دار الجيل، بيروت ط 2، د ت، ص 124.

⁵ - المفصل في صنعة الإعراب ص 161.

⁶ - ينظر شرح المفصل لابن يعيش ج 2 ص 287، وقد فصل أسباب بناء الاسم وشرحها، كما ذكرها الزمخشري إجمالاً واقتصرنا نحن على ما له علاقة بالشاهد

الظرف في ذلك؛ لإبهامها. وللغرض نفسه أنشد الزمخشري البيت الآتي شاهداً على بناء «غير» لإضافتها إلى غير متمكن إذ يقول الشاعر:

لم يَمْنَعِ الشُّرْبَ مِنْهَا غَيْرَ أَنْ نَطَقْتُ حَمَامَةً فِي غُصُونِ ذَاتِ أَوْقَالٍ¹
أي: لم يمنع من ورود الماء سوى حمامة صوتت على غصون الشجر، فأهاجت الحنين والذكريات. والشاهد فيه قوله: «غير» حيث جاء بها مبنية على الفتح في محل رفع فاعل لإضافتها إلى غير متمكن، وإن كان في موضع رفع. كما أنشد البيت الآتي شاهداً على بناء حين لإضافتها إلى غير متمكن أيضاً إذ يقول الشاعر:

على حينَ عاتبتُ المشيبَ على الصِّبَا [فقلتُ: أَلَمَّا تَصْحُ وَالشَّيْبُ وَانْعُ]²
يقول: عاقبت المشيب على فعل الصبيان قائلاً له: لِمَ لَمْ تَفُقْ مِنْ سَكَرِكَ، وتماديك في المعاصي ويمنعك المشيب؟ والشاهد فيه قوله: «على حين عاتبت» حيث بنى حين لأنه أضيفاً إلى الفعل الماضي عاتب، إلا أن «الإعراب جائز على الأصل، غير أن البناء ههنا أوجه منه في قوله: «غير أن نطقت»؛ لأن الظرف ههنا مضاف إلى فعل محض وفي قوله: «غير أن نطقت» مضاف إلى اسم متأول فكان الإعراب فيه أظهر»³.

عدم جواز إحلال الضمير المنفصل بدل الضمير المتصل:

بَرَّرَ الزَّمْخَشَرِيُّ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: « وَلَأَنَّ الْمَتَّصِلَ أَخْصَرَ، لَمْ يَسُوغُوا تَرْكَهُ إِلَى الْمُنْفَصِلِ إِلَّا عِنْدَ تَعَذُّرِ الْوَصْلِ فَلَا تَقُولُ: ضَرَبْتُ أَنْتَ، وَلَا هُوَ، وَلَا ضَرَبْتُ إِيَّاكَ إِلَّا مَا شَذَّ⁴. » وذكر مما شذ قول حميد الأرقط:

[أَنْتَكَ عَنَسُ تَقَطَّعُ الْأَرَاكَا] إِيَّاكَ حَتَّى بَلَغْتَ إِيَّاكَ⁵

¹ البيت من البسيط لأبي قيس بن الأسلت في ديوانه. تح محمد بن جوده، دار التراث، د ط. القاهرة. د ت ص 85

² البيت من الطويل للنابعة الذبياني في ديوانه ص 53

³ شرح المفصل لابن يعيش ج 2 ص 288

⁴ المفصل في صنعة الإعراب ص 163 ، 164

⁵ البيت من الرجز لحميد الأرقط في تخلص الشواهد ص 92

يخاطب ممدوحه: سارت هذه الناقة إليك حتى بلغتك. والشاهد فيه قوله: «بلغت إياك» حيث وضع الضمير المنفصل «إياك» موضع الضمير المتصل «الكاف» وهذا من الشاذ والقياس: بلغتك. وذكر صاحب خزنة الأدب¹: أن الزجاج قال: «أراد بلغتك إياك، فحذف الكاف ضرورة» ومما شذ أيضا ما أنشده بعض اللصوص:

كَأَنَّا يَوْمَ قُرَىٰ إِنِّي نَمَانَقُتْلُ إِيَانَا²

إذ يقول كأن أعداءنا الذين قتلناهم يوم قرى³ هم نحن، أي: كأن قتلنا أنفسنا، لأنهم كانوا منا «وقيل إن المقتولين كانوا بنى عمه»⁴. والشاهد فيه قوله: «نقتل إيانا» حيث وضع الضمير المنفصل «إيانا» موضع الضمير المتصل «نا» وذلك لأنه لا يمكنه أن يأتي بالمتصل فيقول نقتلنا، لأنه يتعدى فعله إلى ضميره المتصل، فكان حقه أن يقول: نقتل أنفسنا.

من الأساليب التي يجيء فيها الضمير منفصلا:

من خلال الأمثلة المذكورة في هذا الفصل حاول الزمخشري أن يكشف عن الأساليب التي يجيء فيها الضمير منفصلا، وهو لا يكون إلا في موضع رفع أو نصب، في موضع رفع إذا كان مبتدأ، أو خبرا، أو خبر إن أو إحدى أخواتها، أو بعد حرف العطف أو بعد حرف الاستثناء، كما جاء في قول الشاعر:

[قَدْ عَلِمْتُ سَلْمَىٰ وَجَارَاتِهَا] مَا قَطَّرَ الْفَارِسَ إِلَّا أَنَا⁵

يقول: قد علمت سلمى وصويحباتها أنى صارع الفارس وملقيه على أحد قطريه. والشاهد فيه قوله: «ما قطر الفارس إلا أنا» حيث فصلت «إلا» الضمير «أنا» الذي كان يجب

¹ - خزنة الأدب ج 5 ص 280

² - البيت من الهزج لأبي الأصعب العدوانى في خزنة الأدب ج 5 ص 280

³ - قرى: موضع في بلاد بني الحارث (معجم البلدان ج 4 ص 340)

⁴ - المفصل في علم العربية ص 129

⁵ - البيت من السريع لعمر بن معد يعرب في ديوانه، مطاع الطرايشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق ط 2

أن يكون متصلاً، وذلك لتعذر الاتصال. وفي موضع نصب¹ إذا تقدم على عامله مثل «وإياك أكرمت» أو كان مفعولاً ثانياً، أو ثالثاً، أو كان إغراءً للمخاطب. وقد يضطر الشاعر فيضع المتصل موضع المنفصل، كما في قول الشاعر:

وما نُبَالِي إِذَا مَا كُنْتُ جَارَتَنَا أَلَّا يُجَاوِرَنَا إِلَّاكَ دِيَارُ²

أي: لا يهمننا ألا يجاورنا أحد غيرك، فجوارك يغني عن الجميع. والشاهد فيه: وقوع الضمير المتصل بعد إلا وهو شاذ، والقياس وقوعه بعدها منفصلاً، فالشاعر مضطر لا شك في ذلك.

توالي ضميرين ثانيهما منفصل:

ذكر الزمخشري فيما يخص توالي ضميرين³ نحو قولهم: «الدرهم أعطيتكه» أنه يجوز أن يتصلاً، أو أن ينفصل الثاني، ولكن ينبغي إذا اتصل أن يراعي الترتيب، فيقدم منهما ما للمتكلم على غيره، وما للمخاطب على الغائب، أما إذا انفصل الثاني فلا يراعى ذلك وقد جاء في الغائبين نحو قولهم: «أعطاها»، و«أعطاهاها» أي أنهم جمعوا بين ضميرين بلفظ الغيبة، وهو قليل والقياس فصل الثاني، ويشهد على ذلك قول مفلس بن لقيط الأسدي:

وَقَدْ جَعَلْتُ نَفْسِي تَطِيبُ لِضَغْمَةٍ لِضَغْمِهَاهَا يَفْرَعُ الْعَظْمُ نَابَهَا⁴

يصف شدة أصابه بها رجلان، وقيل: إنها أخواه مرة، ومدرك. حيث لما مات أخوه أطيظ اظها له العداوة. فقال: وقد جعلت نفسي تطيب لإصابتها بمثل الشدة التي أصاباني بها. والشاهد فيه قوله: «لضغمةهاها» حيث جمع بين ضميري الغيبة في

¹ - ينظر شرح المفصل ، ج 2 ، ص 319

² - البيت من البسيط بلا نسبة في خزنة الأدب ج 5 ص 278

³ - ينظر المفصل في صنعة الإعراب ص 166

⁴ - البيت من الطويل لمفلس بن لقيط في تلخيص الشواهد ص 94

الاتصال، وهو شاذ، والقياس وهو الكثير لضغهما إياها كراهة اجتماع ضمائر الغائبين البارزة في جنس واحد.

ضمير كان وأخواتها:

قال الزمخشري: « والاختيار في ضمير كان وأخواتها الانفصال»¹. أي: أن ضمير كان وأخواتها إذا كان يجوز فيه الاتصال نحو كأنه أو كأنتي، فإن الاختيار هو الانفصال ويشهد على الوجه الجيد في ضمير كان وأخواتها ما يأتي:

لئن كان إياه لقد حال بعدنا عن العهد والإنسان قد يتغير²

لئن كان هذا الرجل هو الشخص الذي كنا نعرفه، لقد تغير، والدهر قد يغير الإنسان ويبدل أحواله. والشاهد فيه قوله: «لئن كان إياه» حيث جاء خبر كان ضميراً منفصلاً، وهو الاختيار والقياس، ومنه فالبيت يعبر عن الوجه الجيد.

[ليت هذا الليل شهر لا نرى فيه غريباً]

ليس إياي وإياك ولا نخشى رقيباً³

ومعناها: ليت هذا الليل الذي نجتمع فيه طويل كالشهر، لا نبصر فيه أحداً، ولا نخاف فيه رقيباً. والشاهد فيه قوله: «ليس إياي وإياك» حيث جاء خبر ليس ضميراً منفصلاً، وهو الاختيار الجيد، ولأن الأصل في الخبر الانفصال، ولو وصل لقال: ليسني. أما قول رؤية فهو شاذ إذ يقول :

[عددت قومي كعديد الطيس] إذ ذهب القوم الكرام ليسي⁴

أي: عددت قومي وكانوا بعدد الرمال كثرة، ومع ذلك ما بقي فيهم كريم غيري. والشاهد فيه قوله: ليسني حيث جاء خبر ليس متصلاً على خلاف الاختيار وهو شاذ، إضافة إلى

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 166

² - البيت لعمر بن أبي ربيعة في تخلص الشواهد ص 94

³ - البيت من مجزوء الكامل لعمر بن أبي ربيعة في خزنة الأدب ج 5 ص 322

⁴ - البيت من الرجز لرؤية بن العجاج في ديوانه، تح. ابن الورد. دار ابن فتيية ، د.ط ، الكويت د. ت ، ص 175

حذفه نون الوقاية. وحقه أن يقول: ليسني وذلك لقلّة تمكّنها، وعدم تصرفها تشبيها لها بالحرف.

ضمير الشأن أو القصة:

قال الزمخشري: « ويقدمون قبل الجملة ضميرا يسمى ضمير الشأن والقصة، وهو المجهول عند الكوفيين»¹. وهو ضمير يأتي منفصلا، أو متصلا، أو مستترا مفردا مذكرا ويجيء مؤنثا إذا كان في الكلام مؤنث «لان التذكير على إضمار المذكر، وهو الأمر والحديث، فجائز إضمار القصة والتأنيث لذلك»². ويشهد على جواز تأنيث ضمير الشأن والقصة إذا كان في الجملة المفسرة له مؤنث، وذلك على إرادة القصة:

عَلَى أَنَّهَا تَعْفُو الْكُلُومَ [وَإِنَّمَا تُوَكَّلُ بِالْأَذْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي]³

أي: أن الكلوم تتدمل، ويذهب أثرها حتى لا يبقى لها أثر يذكرها المجروح به، وإنما نحزن على الأقرب فالأقرب من المصائب، وننسى ما مضى وبعد عهده، وإن كان هو أجل وأوجع مما قرب منا، وهذا يجري مجرى الاعتذار عن قوله قبله وهو:

فو الله لا أنسي قتيلا رزيته بجانب قوسي ما مشيت على الأرض

والشاهد في قوله: «على أنها» حيث الضمير في أنها ضمير القصة، وأنت للدلالة على تأنيث القصة، إذ بعدها مؤنث وهو الكلوم، ولو قال: على أنه لجاز.

الضمائر بعد لولا:

إذا كان الاسم الظاهر بعد لولا يرتفع بالابتداء، فإنه «إذا كني عنه فينبغي أن لا يختلف إعرابه؛ لأن العامل في الحالين شيء واحد... ويكون لفظه من الضمائر المرفوعة المنفصلة

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 169

² - شرح المفصل لابن يعيش ج 2 ص 339

³ - البيت من الطويل لأبي خراش الهذلي. في سمط اللآلي. لأبي عبيد البكري. تح. عبد العزيز الميمني. مطبعة لجنة

التأليف. ط. الهند. دت ص 601

هذا هو القياس، وعليه أكثر الاستعمال»¹. إلا أنه «قد روى الثقات عن العرب: (لولاك) (ولولاي)»². ويشهد على صحة هذه اللغة، وإن كانت قليلة قول الشاعر:

وكم موطن لولاي طحت كما هوى بأجرامه من قلة النيق منهوي³

يعاتب مخاطبه قائلاً: كم موضع حققت فيه نصراً بفضل جهودي حيث كانت الأجساد تتساقط فيها وتتهالك، كتساقط المنهوي من قلة الجبل. والشاهد فيه قوله: ((لولاي)) حين اتصل الضمير ((الياء)) بلولا وذلك خلاف اللغة الكثيرة، والقياس ((لولا أنا)) ولكن ما رواه العرب الثقات لا يكمن رده. وإن كان مخالفاً للقياس؛ لأن لولا من حروف الابتداء والياء في لولاي في موضع خفض عند الخليل وسيبويه، لأن لفظها لفظ المكنى المخفوض، وقال الفراء والأخفش: إنها في موضع رفع؛ لأنها في موضع أنا فاستعير للرفع ههنا، كما قالوا ولا أنت كأننا فاستعير ضمير الرفع للخفض⁴.

[أَوَمَّتْ بِعَيْنَيْهَا مِنَ الْهُودَجِ] لَوْلَاكَ هَذَا الْعَامَ لَمْ أَحْجُجْ⁵

أشارت إليه بعينيها من الهودج داعية إياه إلى لقائها، مدعية بأنها لولاه ما خرجت إلى الحج هذا العام. والشاهد فيه قوله: ((لولاك)) حيث اتصل بـ ((لولا)) الامتناعية ضمير متصل هو الكاف، والقياس يقتضي لولا أنت.

الضمائر بعد عسى:

عسى فعل من أفعال المقاربة يعمل عمل كان، إذا وقع اسمها ضميراً متصلاً، ينبغي أن يكون مرفوع الموضع نحو: عسيت وعسيت. إلا أنه قد ورد عن العرب ((عساك)) ((عساني)). وقد أنشد الزمخشري ما يستدل به على صحة ذلك، وإن كان قليلاً.

¹ - شرح المفصل ج 2 ص 341

² - المفصل في صناعة الإعراب ص 170

³ - البيت من الطويل ليزيد بن الحكم في الأزهية في علم الحروف، للهروي، تح عبد المعين الملوحى. مطبوعات مجمع اللغة العربية. ط2 دمشق. 1995. ص 171

⁴ - ينظر الأزهية ص 172

⁵ - البيت من السريع لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه تح بشير يموت. المطبعة الوطنية. ط1. بيروت 1934. ص 11

1- قال الراجز:

[تقولُ بنتي قد أنى أناكاً] يَا أَبْتَا عَلكَ أَوْ عَسَاكَا¹

تقول البنت لأبيها الشاعر: قد حان ارتحالك في سفر تطلب فيه الرزق علك أو عساك ان تصيب خيراً، وأن تعود لنا سالماً. والشاهد فيه قوله: «عساك» حيث وضع ضمير النصب موضع ضمير الرفع على اللغة القليلة، والكثيرة كما هو معلوم «عسيت». وقال الشاعر:

ولي نفس أقول لها إذا ما تَنَازِعَني لَعَلِّي أَوْ عَسَانِي²

يقول: إذا نازعتني نفسي في أمر الدنيا خالفتها، وقلت: لعلي أتورط فيها فأكف عما تدعوني إليه. والشاهد فيه قوله: «عساني» حيث اتصل ضمير النصب بـ «عسي»، والقياس عسيت، ودخول نون الوقاية في عساني دليل على أن الضمير في موضع نصب، وتجدر الإشارة إلى أن لـ «عسي» و«لولا» مع الضمير حالاً تخالف الظاهر³.

أسماء الإشارة:

بعد أن عدد الزمخشري أسماء الإشارة أفراداً وتثنية وجمعا ذكر أن «(أولاً)» بالقصر والمد مستويًا في ذلك أولو العقل وغيرهم⁴. ثم أنشد قول جرير شاهداً على ذلك:

ذُمَّ المَنَازِلَ بَعْدَ مَنزِلَةِ اللّوَى والعَيْشَ بَعْدَ أولئِكَ الأيَامِ⁵

مجيباً الفرزدق: لا منزلة أطيب، ولا أحلى من اللوى، ولا عيش بعد عيشنا في تلك الأيام أي لا منازل ترضيه، ولا عيش يحلو له إلا في منزلة اللوى (موضع) ومع أهلها. والشاهد فيه قوله: «(أولئك الأيام)» حين أشار بأولاء إلى جمع غير العاقل، وهو الأيام مما

¹ البيت من الرجز لرؤية في ملحقات ديوانه ص 181

² البيت من الوافر لعمران بن خطاب في تذكرة النحاة، لأبي حيان، تح عفيف عبد الرحمان، مؤسسة الرسالة ط 1، بيروت 1986 ص 440

³ ينظر شرح المفصل لابن يعيش ج 2 ص 345-446. فهناك تفصيل وعرض لمختلف الآراء

⁴ المفصل في صنعة الإعراب ص 176

⁵ البيت من الكامل لجرير في تخلص الشواهد ص 123، وخزانة الأدب ج 5 ص 430

يدل على جواز ذلك والغالب أن يستعمل للعاقل، ومن يروي «الأقوام» بدل «الأيام» فلا شاهد فيه. والملفت للانتباه: أنه كيف يصح بناء قاعدة على بيت تعددت روايته؟ فمن قائل: «الأقوام» وهو كذلك في ديوانه، ومن قائل: «الأيام».

الموصلات:

أشار الزمخشري بعد ذكره الموصلات إلى أن «نو» الطائفة بمعنى الذي. ويشهد على ذلك ما جاء في قول عارق الطائي:

[لئن لم تغيّر بعض ما قد صنعتم] لأنتجين للعظم ذو أنا عارفة¹

آليت إن لم تغير صنيعك، وتترك إيداعك إياي. لأذهبن عرضك بالهزاء وغيره «وقد أحسن في التوعد وفي الكناية عن فعله وعما يهم به بعده»². والشاهد فيه قوله: «نو أنا عارقه» حيث جاءت «نو» بمعنى الذي في لغة طي، والجملة الاسمية «أنا عارقه» صلته. أوجه أي:

قال الزمخشري: «(وأي) ك (من) في وجوها»³ أي تكون استفهاما، وجزاء، وموصولة وموصوفة «وهي عند سيبويه مبنية على الضم إذا وقعت صلتها محذوفة الصدر»⁴. ويشهد على بنائها على الضم قول الشاعر، كما قال سيبويه حيث صلتها محذوفة الصدر:

إذا ما أتيت بني عامرٍ فسلم على أيهم أفضل⁵

فالشاهد فيه قوله: «على أيهم» حيث جاء «أي» اسما موصولا مضافا، وصلته محذوفة والتقدير: أيهم هو أفضل ولهذا بني على الضم، ويروى أيهم معربة أي: مجرورة. قال ابن

¹ البيت من الطويل لعارق الطائي في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي. تح أحمد أمين، عبد السلام هارون. دار الجيل.

ط1. بيروت. 1991 ص 1746

² شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص 1747

³ المفصل في صنعة الإعراب ص 185

⁴ المصدر نفسه ص 185

⁵ البيت من المتقارب لغسان بن وعة في شرح التصريح ج 1 ص 157

مالك :

أَيُّ كَمَا، وَأُعْرِبْتُ مَا لَمْ تُضَفْ وَصَدْرُ وَصَلَهَا ضَمِيرٌ انْحَدَفَ

ذا بمعنى الذي:

وورود ذا بمعنى الذي مسألة خلافية، حيث «لم يثبت سيوبه ذا بمعنى الذي إلا في قولهم ماذا»¹. أما الكوفيون فقد أثبتوا ذلك محتجين بقول الشاعر :

عَدَسٌ مَا لِعَبَادٍ عَلَيْكَ إِمَارَةٌ أَمِنْتُ وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقٌ²

يخاطب الشاعر بغلته بعد أن تمكن من الهروب من سجن عباد قائلًا لها: ما لعباد عليك حكم وإمارة، والذي يركبك حر طليق. والشاهد فيه قوله: «وهذا تحملين طليق» حيث ذهب الكوفيون إلى أن «هذا اسم موصول، مبتدأ ولم يتقدم عليه «ما» ولا «من»، وتحملين: صلته، والعائد محذوف، وطلاق: بمعنى مطلق خبر المبتدأ، أي والذي تحملينه طليق وعندنا معشر البصريين أن «هذا» اسم إشارة على أصله لا موصول؛ لأن «ها» التثنية لا تدخل على الموصولات، وهو مبتدأ، و«طليق» خبره، وهي جملة اسمية وتحملين حال»³. أما «ذا» في جملة «ماذا صنعت؟» فهي على وجهين⁴:

- أن تكون اسم موصول بمعنى الذي، وجملة: «صنعت» من الفعل والفاعل صلته، وهو في محل رفع خبر للمبتدأ «ما» .

- أن يكون «ماذا» كما هو بمنزلة اسم واحد يستفهم به بمعنى «ها» في محل نصب بالفعل الذي بعده. ويشهد على الوجه الأول قول لبيد بن ربيعة :

أَلَا تَسْأَلَانِ الْمَرْءَ مَاذَا يُحَاوِلُ أَنْحَبُ فَيَقْتَضِي أَمْ ضَلَّالٌ وَبَاطِلٌ⁵

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 186

² - البيت من الطويل لابن مفرغ في ديوانه تج . عبد القدوس أبو صالح.م الرسالة.ط2. بيروت1982 ص170

³ - شرح التصريح ج 1 ص 165

⁴ - الكتاب لسبويه ج2 ص416-417

⁵ - البيت من طويل للبيد ربيعة في ديوانه ، دار صادر ، د ط ، بيروت دت ، ص 131

أسألاً من كان حريصاً على جمع الدنيا، أهو نذر نذره على نفسه لا بد من إنجازها، أم هو ضلال وباطل من أمره. والشاهد فيه قوله: «ماذا يحاول؟» حيث «ذا» اسم موصول والجملة بعده صلته. ما استفهامية. وهو في موضع رفع خبر «ما» ولذا رفع «نحب» على البدل من «ما».

من أسماء الأفعال: (هيا)

ذكر الزمخشري في هذا الفصل أن أسماء الأفعال ضربان¹: ضرب لتسمية الأوامر وضرب لتسمية الأخبار، كما تنقسم إلى متعد ولأزم. فالمتعدي نحو: رويدا زيدا، هلمّ زيدا هات الشيء. وغير المتعدي نحو: صه، مه، هل، هيّك، وهيّك، وهياً، أي: أسرع فيما أنت فيه. ثم ذكر ما يستشهد به على مجيء «هيا» بمعنى الأمر، ذلك في قول ابن ميادة:

لَتَقْرَبَنَّ قُرْبًا جُلُودِيَا مَا دَامَ فِيهِنَّ فَصِيلٌ حَيًّا

فَقَدَّ دَجَا اللَّيْلُ فَهَيَّا هَيَّا²

يخاطب ناقته حاثاً إياها على سرعة السير، حتى ترد الماء في الغد، قبل أن يحول الظلام بينها وبينه، ما دام في الإبل فصيل حيّ. والشاهد فيه: مجيء هيا بمعنى أسرع فيما أنت فيه، فهي اسم فعل أمر بمعنى أسرع، وفاعله ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت .

أحكام حيهل:

حيهل³ اسم فعل أمر مبني على الفتح، مركب من «حيّ» و«هل» فيه عدة لغات: حيهل بالبناء على الفتح، حيهلا منون للتكثير، حيهلا بالألف من غير تنوين. حيّهل بالبناء على السكون، حيّهل بسكون الهاء وفتح اللام، وحيهلا بسكون الهاء مع الألف، ويتعدى بنفسه وحرف الجر، ويكون لازماً وذلك على اختلاف تقدير الفعل المسمى. وقد أنشد الزمخشري

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 179

² - الرجز لابن ميادة في ديوانه تح ، د ، جن جميل حداد ، مطبوعات م اللغة العربية ، د ط دمشق 1982 ص 237

³ - ينظر المفصل في صنعة الإعراب ص 191

من الشعر ما يشهد على ذلك :

بَحْيَهَلَا يُزْجُونَ كُلَّ مَطِيَّةٍ أَمَامَ الْمَطَايَا سَيْرُهَا الْمُتَقَاذِفُ¹

أنهم يسرعون في السير، ولعجلتهم يسوقون مطاياهم بقولهم: حيهلا مع أن مطاياهم سريعة ومتقدمة. والشاهد فيه: تركه حيهلا بلا تنوين على لفظه محكيا متعديا، كما يعتبر البيت شاهدا على أن من معانيها الاستحاث والعجلة .

وَهَيَّجَ الْحَيِّ مِنْ دَارٍ فَظَلَّ لَهُمْ يَوْمٌ كَثِيرٌ تَنَادِيهِ وَ حَيَّهْلُهُ²

أي: ارتحل أهل هذا الحي من ديارهم في يوم شديد كثير اللغظ، والتنادي، والحث على الهرب لما سمعوا بجيش قادم نحوهم، فلادوا بالهرب خوفا منه. والشاهد فيه: إعراب حيهله بالرفع؛ لأنه جعله، وإن كان مركبا اسما للصوت بمزلة (معدى كرب) في جعله اسما لشخص. وذكر الزمخشري: «ويستعمل حيّ وحده بمعنى (أقبل)»، ومنه قول المؤذن: (حي على الصلاة) و«هلا» وحده³. قال الشاعر النابغة الجعدي:

أَلَا أَبْلِغَا لَيْلَى وَقَوْلَا لَهَا : هَلَا [فَفَقَدَ رَكْبَتِ أَمْرًا أَعْرَّ مُحَجَّلًا]⁴

البيت من أبيات يهجو فيها ليلى الأخيلية يقول فيه مخاطبا إياها: لقد ركبت أمرا خطيرا ظاهرا لا خفاء فيه، فكفي واسكني. والشاهد فيه قوله: «قولا لها: هلا» حيث استعمل هلا وحده بعد فصله من حيّ .

أحكام بله:

ذكر الزمخشري: «أن (بله) على ضربين: اسم فعل، ومصدر بمعنى: الترك، ويضاف فيقال: (بله زيد) كأنه قيل: ترك زيد»⁵. ثم أورد ما أنشده أبو عبيدة شاهدا على أن «بله»

¹ - البيت من الطويل للأعشى الجعدي في الكتاب ج 3 ، ص 301 ، ولسان العرب (قذف)

² - البيت من البسيط بلا نسبة في خزنة الأدب 266/6 والكتاب 300/3

³ - المفصل في صنعة الإعراب ص 192

⁴ - البيت من الطويل للنابغة الجعدي في ديوانه تح ، واضح الصمد ، دار صادر بيروت ، ط 1 1998 ص 133

⁵ - المفصل في صنعة الإعراب ص 193

اسم فعل أو مصدر بمعنى الترك: أو بمعنى كيف؟ .

[تَذَرُ الْجَمَاعِمَ ضَاحِيًا هَامَاتِهَا] بَلَهُ الْأَكْفَ كَأَنَّهَا لَمْ تُخْلَقْ¹

يصف سيوف قومه التي تترك رؤوس الأعداء مشقوقة، وملقاة على الأرض تركها الأكف مقطوعة كأنها لم تخلق. والشاهد فيه قوله: «بله الأكف» حيث أنشد البيت بنصب الأكف على أن بله اسم فعل، وبجره على أن بله مصدر، وبرفعه على أن بله بمعنى كيف؟

أحكام ما جاء من الأسماء على وزن فَعَالٍ:

ذكر الزمخشري² أن فعال على أربعة أضرب: التي في معنى الأمر، والتي في معنى المصدر المعرفة، والمعدولة عن الصفة، والمعدولة عن الفاعلة في الأعلام. فالتى بمعنى الأمر كتراك هي قياس عند سيبويه³ في جميع الأفعال الثلاثية وقليلة في الأفعال الرباعية. كقرقار في قول الشاعر:

[حَتَّى إِذَا كَانَ عَلَى مُطَارٍ يُمْنَاهُ وَالْيُسْرَى عَلَى الثَّرَثَارِ]

قالت له ريحُ الصبا قَرَقَارٌ⁴

ومعناه: أن السحاب إذا انتشر في الأفق، حتى صار طرفه الأيمن على مطار، وطرفه الأيسر على ثرثار، قالت له ريح الصبا قرقر يا سحاب بالرعد، كأنها أمرته بذلك. والشاهد فيه: أن قرقار بمعنى قرقر اسم فعل أمر من فعل رباعي قرقر، وهو قليل. وكذلك عرعار في قول النابغة:

[مُتَّكِنِي جَنْبِي عُكَّازَ كِلَيْهِمَا] يَدْعُو وَلِيْدُهُمْ بِهَا عَرْعَارٌ⁵

¹ - البيت من الكامل لكعب بن مالك في ديوانه تح ، سامى مكي ، مطبعة المعارف. ط1، بغداد ، 1966 ص 245

² - المفصل في صنعة الإعراب ص193-196.

³ - ينظر الكتاب ج3 ص280

⁴ - الرجز لأبي النجم في خزنة الأدب/6/307-309

⁵ - البيت من الكامل ديوانه للنابغة الذبياني تح عباس عبد الستار. المكتبة العلمية.. ط2 بيروت 1996 ص87

ومعناه: إن هؤلاء قد نزلوا جنبي عكاظ، وقد خرجوا إليه عن بكرة أبيها، لم يتخلف أحد منهم. والشاهد فيه: مجيء عرعار على وزن فعال اسم فعل أمر من الفعل الرباعي وهو قليل، ومن المهم الإشارة إلى أن النحاة قد اختلفوا في الضرب الأول من فعال. فمنهم من اعتبره مطردا في كل فعل ثلاثي، ومنهم سيبويه، ومنهم من يعتبره سماعيا وليس لأحد أن يتبع اسما لم يتكلم به العرب. أما فعال المعدولة عن الصفة مما اختص به النداء كقولهم: يا فساق، وأصلها يا فاسقة، وقد وردت في غير النداء، فخرجت مخرج الأعلام نحو حلاق للمنية، سباط للحمى، كما قالوا «قطاط» وهو معدول عن قاطة أي كافية، يقال: «قطاط» بمعنى حسبي من قولهم: «قطك درهم»، أي: حسبك وكافيك، مأخوذ من القط وهو القطع، كأن الكفاية قطعت عن الاستمرار¹. ويشهد على صحة ذلك قول الشاعر:

أَطَلْتُ فِرَاطَهُمْ حَتَّى إِذَا مَا قَتَلْتُ سَرَائِهِمْ كَانَتْ قَطَاطٍ²

يقول: إنه أهمل أعداءه طويلا إلى أن أخذ ثأره منهم بقتله أشرافهم، واكتفى بذلك فكانت تلك الفعلة قاطة لثأره. والأصل أن يقول: فراطكم، ولكنه محمول على الالتفاف، وهو الانتقال من الخطاب إلى الغيبة، لأن الشاعر يخاطب بني مازن الذين قتلوا أخاه عبد الله. والشاهد فيه: أن قطاط معدول عن قاطة، أي كافية. ويقال: (كويته وقاع) أي أكويه بين قرني رأسه، أو أكوي أم رأسه. ويشهد على صحة هذا الاستعمال قول الشاعر:

وَكُنْتُ إِذَا مُنَيْتُ بِخَصْمِ سَوْءٍ دَلَفْتُ لَهُ، فَأَكْوِيهِ وَقَاعٍ³

أي: إذا ابتليت بخصم سوء، تقدمت إليه بثبات، فأصرعه، ثم أكويه، كما تكوى الدواب تميزا لها من غيرها. والشاهد فيه قوله: «فأكويه وقاع» حيث جاء بالاسم المبني «وقاع» معدولا عن صفة غالبية على وزن «فاعلة» إذ الأصل: أكويه كية واقعة على أم رأسه.

¹ - شرح المفصل لابن يعيش ج3 ص63.

² - البيت من الوافر لعمرو بن معدي يكرب في خزنة الأدب ج6 ص352

³ - البيت من الوافر لعوف بن الأحوص في شرح المفصل لابن يعيش ج3 ص65.

وأضاف الزمخشري: «والبناء في المعدولة لغة أهل الحجاز، وبنو تميم يعربونها ويمنعونها الصرف، إلا ما كان آخره راء كقوله: «حضار» لأحد المحلفين، و«جعار» فإنهم يوافقون فيه الحجازيين إلا القليل منهم»¹. ومن ذلك القليل قول الأعشى:

[أَلَمْ تَرَوْا إِرْمًا وَعَادًا أودى بها الليل والنهار]²
ومرّ دهرٌ على وبارٍ فهأكت جهرّة وبارٍ

أي: لم تعتبروا بما حل بآرم وعاد ووبار. والشاهد فيه: إعراب «وبار» الثانية رغم أن آخرها راء، ومن المعلوم أن بني تميم والحجازيين بينونها على الكسر.

أحكام هيهات:

قال الزمخشري: ««هيهات» بفتح التاء لغة أهل الحجاز، وبكسرهما لغة أسد وتميم ومن العرب من يضمها، وقرئ بهنّ جميعاً، وقد تتون على اللغات الثلاثة»³. وأنشد من الشعر ما يشهد على صحة ما ذكر:

تَذَكَّرْتُ أَيَّامًا مَضَيْنَ مِنَ الصَّبَا فهيهات هيهات إليك رجوعها⁴
حيث الشاعر يتأسف على أيام الصبا، وهو يعلم أن ذلك لا يجدي نفعاً، فأنى لما مضى أن يعود. والشاهد فيه: مجيء هيهات بالكسر وبلا تنوين، وبالكسر مع التنوين، وهما لغتان في اسم الفعل «هيهات»

هيهاتُ من مُصْبِحِهَا هَيْهَاتِ⁵

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 197.

² - البيتان من مطلع البسيط للأعشى في أوضح المسالك لابن هشام. تح. محي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية. بيروت. دط. دت. ج 4. ص 130.

³ - المفصل في صنعة الإعراب ص 197.

⁴ - البيت من الطويل لأحوص في ديوانه. تح. عادل سليمان جمال مكتبة الخانجي ط 2. القاهرة 1990. ص 150.

⁵ - الرجز لحميد في لسان العرب مادة (عرض)

ذكر ابن يعيش أن الشاعر: « يصف إبلا قطعت بلادا حتى صارت في القفار»¹ والشاهد فيه: مجي «هيهات» بضم التاء مرة، وبكسرها مرة أخرى.

اسم الفعل: شتّان:

قال الزمخشري: «المعنى في شتان تباين الشئيين في بعض المعاني والأحوال، والذي عليه الفصحاء «شتان زيد وعمرو»، و«شتان ما زيد وعمرو»².

ويشهد على فصاحة هذا الاستعمال لشتان:

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرٍ³

أي: أن يومي على رحل هذه الناقة، ويوماً مع حيان – وقد كان نديماً للأعشى – بعيدان والبعد بينهما شاسع، فهذا يوم سفر ونصب، والثاني يوم لهو ومرح. والبيت من قصيدة طويلة يهجو بها علقمة بن علا، ويمدح عامر بن الطفيل. والشاهد فيه: مجيء شتان بمعنى تباين، فهو قد اقتضى فاعلين (يومي، يوم) لأن التباين لا يكون من واحد، وهو ما عليه الاستعمال الفصيح دون زيادة لفظ بين، وما زائدة.

شَتَّانَ هَذَا وَالْعِنَاقُ وَالنُّومُ وَالْمَشْرَبُ الْبَارِدُ فِي ظِلِّ الدَّوْمِ⁴

أي: الفرق كبير بين ما أنا فيه من حرقة استماع اللوم، وتلك، حيث العناق والنوم والماء البارد والظل الدائم، إذ يقول في البيت الذي قبله:

يَا قَوْمٍ قَدْ حَرَقْتُمُونِي بِاللُّومِ وَلَمْ أَقَاتِلْ عَامِرًا قَبْلَ الْيَوْمِ

والشاهد فيه قوله: «شتان هذا والعناق» حيث شتان بمعنى افتراق، ولا يكون من واحد فارتفع الفاعل «هذا»، وارتفع الاسم «العناق» بعده بالعطف، وهذه اللغة الفصيحة. أما نحو

قول الشاعر:

¹ - شرح المفصل لابن يعيش ج 3 ص 74.

² - المفصل في صنعة الإعراب ص 198.

³ - البيت من السريع للأعشى في خزنة الأدب ج 6 ص 276

⁴ - الرجز للقيط بن زرارة في خزنة الأدب ج 6 ص 284

لَشْتَانِ مَا بَيْنَ الْيَزِيدَيْنِ فِي النَّدَى يَزِيدِ سُلَيْمٍ وَالْأَعْرَّابِ بْنِ حَاتِمٍ¹

أي: هناك تفاوت كبير، وتباين بين يزيد بن أسيد السلمي، ويزيد بن حاتم المهلبّي فهذا كريم همه فعل الخير، وذاك بخيل شحيح همه جمع المال، كما يظهر في البيت التالي لهذا البيت. والشاهد فيه «لشتان ما بين اليزيديين» حيث أنكره الأصمعي «ووجه إنكاره أن شتان يقتضي اسمين و«ما» ههنا إن جعلتها موصولة، كان ما بعدها اسما واحدا بمنزلة «شتان زيد»، ولذلك لا يجوز»². في حين أن غيره من أهل اللغة والاختصاص لم يستبعدوا قياسه، نظرا إلى ما موصولة فهي فاعله، وهي ذات معنى متعدد «وقال قوم: لا يبعد جواز ذلك، لأنه إذا تباعد ما بينهما، فقد تباعد، وفارق كل واحد منهما صاحبه»³. مع أن ابن يعيش يعتبر الشاعر مولدا لا يؤخذ بشعره.

بناء أسماء الأفعال وإعرابها:

ذكر الزمخشري أن أسماء الأفعال على ثلاثة أضرب⁴، منها ما يستعمل نكرة ومعرفة ك «صه وصه»، ومنها ما يستعمل معرفة نحو بلة، ومنها ما يستعمل نكرة ك «إبهّا» في الكف، و«ويها» في الإغراء، و«واها» في التعجب... ومنه: «فداء له فلان» بالكسر والتتوين أي ليفدك. ويشهد على صحة ورود هذا الأخير في لغة العرب باعتباره يبدو غريبا قول الشاعر:

مَهْلًا فِدَاءٍ لَكَ الْأَقْوَامُ كُلُّهُمْ [وَمَا أَثْمَرُ مِنْ مَالٍ وَمِنْ وَلَدٍ]⁵

ومعناه: لا تعجل علي بالانتقام، ليفدك الأقوام كلهم، وما أجمعوا من مال وولد. والبيت من قصيدة يمدح بها النعمان بن المنذر بعد هروبه منه إلى آل جفنة ملوك الشام. والشاهد فيه: أن فداء بالكسر والتتوين اسم فعل منقول عن المصدر، بمعنى ليفدك.

¹ - البيت من الطويل لربيعة الرقي في خزنة الأدب ج6 ص 275.

² - شرح المفصل لابن يعيش ج3 ص78.

³ - المصدر نفسه ج3 ص78.

⁴ - المفصل في صنعة الإعراب ص200.

⁵ - البيت من البسيط للناطقة الذيباني. في ديوانه. تح عباس عبد الساتر دار الكتب العلمية ط3 بيروت 1996 ص16.

من أسماء الأصوات:

ذكر الزمخشري أن من أسماء الأصوات¹ قول المتندم والمتعجب «وَيَّ»، و«ضربه فما قال حسّ ولا بسّ»، أي: لم يتوجع، ولا استكفّ، و«مضّ» بمعنى اعذّر، و«بَحَّ» عند التعجب و«إِخَّ» عند التكره، و«هَلَا» جزر للخيل، وهَيِّدَ وهَادِ لِلإِبِلِ... وقد أنشد من الأبيات ما يشهد على صحة استعمال ذلك في لغة العرب:

سَأَلْتُهَا الْوَصْلَ، فَقَالَتْ مِضُّ²

ومعناه: أنه سألتها الوصل، فأشارت إليه بلسانها ورأسها أن لا وصل. والشاهد قوله: «مضّ» بكسر الميم والضاد، اسم صوت لمعنى لا يرد به المحتاج.

وَصَارَ وَصَلُ الْغَانِيَاتِ أَخَا³

ومعناه: لقد شاخ وهرم، وصار وصل الغانيات تأوه وتوجع. والشاهد فيه: «أخا» حيث جاء به اسم صوت يقال عند التكره، لكنه هنا جعله كالمصدر فأعربه .

دَعَاهُنَّ رِدْفِي فَارَعَوِينَ لَصَوْتِهِ كَمَا رُعَتَ بِالْجَوْتِ الظَّمَاءَ الصَّوَادِيَا⁴

ومعناه: إن رديفه دعا النسوة فأرعوين لصوته، ورجعن إليه، كما لو دعوت إلى الشرب الإبل، فالتفنن وتضامن للشرب. والشاهد فيه: دخول أداة التعريف على اسم الصوت وهو «جَوْتٌ» وقد ذكر الزمخشري ذلك، فقال بعدما أنشد البيت: «بالفتح محكيا مع الألف واللام»⁵

سَفَرْتُ فَقُلْتُ لَهَا: هَجِّ، فَتَبَرَّقَعْتُ فَذَكَرْتُ حِينَ تَبَرَّقَعْتُ ضَبَّارًا⁶

¹ - ينظر المفصل في صنعة الإعراب ص 201-203

² - البيت من الرجز بلا نسبة في لسان العرب مادة "مضض" وشرح المفصل لابن يعيش ج 3 ص 83.

³ - البيت من الرجز للعجاج في ديوانه. تح . عبد الحفيظ السطلي مكتبة أطلس دط. دمشق دت ج 2 ص 280.

⁴ - البيت من الطويل لعويف القوافي في خزانة الأدب ج 6 ص 381.

⁵ - المفصل في صنعة الإعراب ص 202.

⁶ - البيت من الكامل بلا نسبة في تذكرة أبي حيان تح . غفيف عبد الرحمن م الرسالة بيروت ط 1 1986 ص 658.

إن هذه المرأة لما كشفت عن وجهها أمام الشاعر زجرها بما يزجر به الكلب، فغطت وجهها ثانية، فتذكر الشاعر حينئذ «ضبار» لتشابه صورتيهما. والشاهد فيه مجيء «هج» اسم صوت لزجر الكلب.

الظروف:

الظروف «منها الغايات وهي (قبل)، و(بعد)، (فوق)، و(تحت)، و(أمام)، و(قدام)، (وراء)، و(خلف)، و(أسفل)، و(دون)، و(من عل)، و(أبدأ بهذا أول)، وقد جاء ما ليس ظرفاً غاية، نحو: «حسب»، و«لاغير»، و«ليس غير»، والذي هو حد الكلام، وأصله أن ينطق بهنّ مضافات، فلما أقتطع عنهنّ ما يُضفّن إليه، وسُكت عليهن، صرن حدوداً يُنتهى عندها فذلك سُمّين غايات»¹؛ لأن «غاية كل شيء ما ينتهي به ذلك الشيء، وهذه الظروف إذا أضيفت كانت غايتها آخر المضاف إليه؛ لأن به يتم الكلام، وهو نهايته. فإذا قطعت عن الإضافة وأريد معنى الإضافة، صارت هي غايات ذلك الكلام؛ فذلك من المعنى قيل لها غايات»². وقال الزمخشري أيضاً: «وإنما يُبَيِّنُ إذا نُوي فيهن المضاف إليه، وإن لم يُنَوِّ فالإعراب»³. وقد استشهد على ذلك بقول الشاعر:

فساغَ لي الشَّرَابُ وكُنْتُ قَبْلًا أَكَّادُ أَعْصُ بِالْمَاءِ الْفُرَاتِ⁴

لما أدرك بأثره، ونال مبتغاه هنو عيشه، وطاب شرابه، وكان من قبل لا يستصيح الماء العذب. والبيت من أبيات يذكر فيها انتقامه من الربيع بن زياد العبسي. والشاهد فيه إعراب قبل لقطعه عن الإضافة، وعدم نية المضاف إليه، وأصله قبل هذا، فحذف المضاف إليه ولم ينو لفظه ولا معناه؛ ولهذا نكر فنون.

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 204

² - شرح المفصل لابن يعيش ج 3 ص 104.

³ - المفصل في صنعة الإعراب ص 204

⁴ - البيت من الوافر ليزيد بن الصعق في خزنة الأدب 426./1

[نحن بني أصحاب الجمل] رُدُّوا علينا شَيْخَنَا ثُمَّ بَجَلٌ¹

يقول: نحن أخص بني ضبة الذين خرجوا مع عائشة رضي الله عنها، وقاتلوا يوم الجمل يطالبون بالثأر لدم عثمان رضي الله عنه، فإن أدركنا ثأره فحسبنا ذلك في الكف عن قتالكم. فالجمل إشارة إلى موقعة الجمل، والشيخ هو عثمان رضي الله عنه. والشاهد فيه: مجيء بَجَلٌ بمعنى حسب، وموضع بجل رفع على الابتداء وخبره مضمر، كأنه قال: ثم بجلنا ذلك، أي حسبنا ذلك.

من أحكام حيث:

قال الزمخشري: «وشبّه «حيث» بالغايات من حيث ملازمتها للإضافة... ولا يضاف إلى غير الجملة»². ولكنه أنشد ما يشهد على إضافتها إلى الاسم المفرد، فقد روي من الرجز: أما ترى حيث سهيل طالعا [نجماً يضيء كالشهاب ساطعاً]³ يعني: أما ترى مكان سهيل طالعا...؟ والشاهد فيه قوله: «حيث سهيل» فقد أضاف الظرف «حيث» إلى مفرد وهو نادر، وروي برفع سهيل على أنه مبتدأ محذوف الخبر، أي: موجود فتكون «حيث» مبنية مضافة إلى الجملة. وروى ابن الإعرابي:

[وَنَطَعْتُهُمْ حَيْثُ الْحَبِي بَعْدَ ضَرْبِهِمْ بَبِيضِ الْمَوَاضِي] حَيْثُ لِي الْعَمَائِمُ⁴

ومعناه: أنهم يطعنون الأعداء بالرماح، بعد أن ضربوا رؤوسهم بالسيوف القاطعة. والشاهد فيه قوله: «حيث لي العمائم» حيث أضاف الظرف «حيث» إلى المفرد، وهذا نادر والقياس إضافته إلى الجملة.

¹ البيت من الرجز للأعرج المعني في شرح ديوان الحماسة ص 291.

² المفصل في صنعة الإعراب ص 205.

³ البيت من الرجز بلا نسبة في خزنة الأدب 3/7.

⁴ البيت من الطويل بلا نسبة في شرح شواهد المغني. للبغدادي. تح. عبد العزيز رباح، أحمد يوسف دقاق. دار الثقافة

العربية . ط 2 . دمشق. 1989 ج 3 ص 144 .

من أحكام إذ وإذا:

قال الزمخشري: «(إذ) لما مضى من الدهر، و(إذا) لما يستقبل منه، وهما مضافتان أبدأ، إلا أن (إذ) تضاف إلى كلتا الجملتين، وأختها لا تضاف إلا إلى الفعلية»¹. ولذا إن وقع بعد (إذا) اسم مرفوع « فعلى تقدير فعل قبله، لأنه لا يقع بعدها المبتدأ والخبر؛ لما تضمنته من الشرط والجزاء. والشرط والجزاء مختصان بالأفعال»². وقد أورد من كلام العرب ما يشهد على وقوع الاسم المرفوع بعد إذا على تقدير فعل قبله يفسره ما بعده. قال جحدر بن ضبيعة:

إِذَا الرَّجَالُ بِالرَّجَالِ التَّفَّتْ³

أي: تلاحقت الرجال بالرجال، واشتملت طائفة بطائفة، ويروى: إذا الكماة بالكماة التفت ويروى: إذا العوالي بالعوالي التفت. والشاهد فيه: (إذا الرجال) حيث جاءت إذا وبعدها اسم مرفوع لفعل محذوف وجوبا يفسره ما بعده، والكوفيون يجيزون وقوع المبتدأ والخبر بعدها. قال الزمخشري: «وفي (إذا) معنى المجازاة دون إذ، إلا إذا كفت وقد تقعان للمفاجأة»⁴ فإذا كان في (إذا) معنى المجازاة «لأن جوابها يقع عند الوقت الواقع، كما تقع المجازاة عند وقوع الشرط»⁵ فان (إذ) ليس كذلك إلا إذا دخلت عليها «ما» فكفتها عن الإضافة، وصارت مبهمة مثل (متى) حينئذ تجوز المجازاة بها. ويشهد على ذلك قول عباس ابن مرداس:

إِذَا دَخَلْتَ عَلَى الرَّسُولِ فَقُلْ لَهُ حَقًّا عَلَيْكَ إِذَا اطمأنَّ المجلسُ⁶

أي إذا قدمت على الرسول عندما ينعقد المجلس، ووقفت بين يديه، فقل له ما عندك

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 206.

² - شرح المفصل لابن يعيش ج 3 ص 121

³ - الرجز لجحدر بن ضبيعة في شرح المفصل ج 3 ص 120

⁴ - المفصل في صنعة الإعراب ص 207.

⁵ - شرح المفصل لابن يعيش ج 3 ص 124.

⁶ - البيت من الكامل للعباس بن مرداس في ديوانه تح يحي الجبوري مؤسسة الرسالة ط 1 بيروت. 1991.

فقد حق القول عليك» والبيت من قصيدة قالها في غزوة حنين يخاطب بها النبي ﷺ¹. والشاهد فيه قوله: «إذما دخلت» حيث دخلت ما على إذ، فكفتها عن الإضافة، فجازت المجازاة بها، وهي حرف عند سيبويه². وإذا كانت «إذا» فيها معنى المجازاة، فإنها تقع للمفاجأة. ويشهد على ذلك قول الشاعر:

وَكُنْتُ أَرَى زَيْدًا، كَمَا قِيلَ، سَيِّدًا إِذَا أَنَّهُ عَبْدُ الْقَفَا وَاللَّهَازِمِ³

أي: كنت أعلم زيدا سيدا من السادات، فإذا هو دليل خسيس عبد البطن حيث قوله: «عبد القفا واللهازم» كناية عن الخسة والخسارة. والشاهد فيه: وقوع «إذا» بمعنى المفاجأة، كما يعتبر شاهدا على جواز كسر همزة إن أو فتحها، وذكر الزمخشري أيضا: «وكان الأصمعي لا يستفصح إلا طرحها في جواب «بيننا»، و«بينما»⁴ أي: أن الأصمعي كان لا يرى إلا طرح إذ وإذا في جواب بينا وبينما. ومما استشهد به، ما أنشده من قول الشاعر:

فَبَيْنَا نَحْنُ نَرْفُئُهُ أَتَانَا مُعَلَّقَ وَفُضَةٍ وَزِنَادٍ رَاعِي⁵

أقبل إلينا بينا كنا في انتظاره، يعلق على كتفه زوادته، وعودين لإشعال النار عند الحاجة. والشاهد: استعمال بينا بغير «إذ» وهو الأفصح. والمراد بقوله: «بيننا نحن» بين أوقات نحن نرقبه.

لدى ولغاتها:

ذكر الزمخشري: «لدى... وفيها ثماني لغات: «لدى»، و«ولدن»، و«لذن»، و«لأذ» بحذف نونها و«لذن»، و«لذن» بالكسر للالتقاء الساكنين، و«لأذ» و«لأذ» بحذف نونها. وحكمها أن

¹ - خزانة الأدب ج9 ص30.

² - ينظر الكتاب لسيبويه ج3 ص56.

³ - البيت من الطويل بلا نسبة في أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك لابن هشام. تح محيي الدين عبد الحميد. المكتبة المصرية، مط. بيروت دت. ج1 ص338.

⁴ - المفصل في صنعة الإعراب ص208

⁵ - البيت من الوافر لنصيب بن رباح في ديوانه. تح داود سلوم، مطبعة الإرشاد. دط، بغداد 1967 ص104.

يجر بها على الإضافة... وقد نصبت العرب بها «غدوة» خاصة¹. وباعتبارها ظرفاً، فإنه يجر ما بعدها بالإضافة كسائر الظروف، إلا أن من العرب من ينصب بها «تشبيهاً بالميمز في نحو: «عندي راقود خلا»، و«جبة صوفاً» والمفعول في نحو: «هذا ضارب زيدا» و«قاتل بكراً»². ويشهد على نصب «غدوة» بعد «لُدُن» قول الشاعر، وإن كان مجهول النسبة:

لُدُنْ غُدُوَّةٌ حَتَّى أَلَادَ بِخَفِّهَا بَقِيَّةٌ مَنقُوصٍ مِّنَ الظِّلِّ قَالِصٍ³

ومعناه: يقول سرنا أول النهار إلى أن نقص الظل، حتى لم يبق من ظل الناقة إلا ما يحيط بخفها، ويجتمع حوله، أي: إلى وقت الزوال. والشاهد فيه قوله: «لُدُنْ غُدُوَّةٌ» حيث نصب «غدوة» بعد لدن تشبيهاً لنونها بالتتوين.

ظرف الزمان «أمس»:

أمس: ظرف من ظروف الزمان مبني على الكسر عند الحجازيين، ممنوع من الصرف عند بني تميم، ويشهد على عدم انصرافه قول الراجز، وإن كان مجهول النسبة:

لَقَدْ رَأَيْتُ عَجَبًا مُذْ أَمَسَا عَجَائِزًا مِثْلَ السَّعَالِي خَمْسًا⁴

يقول: رأيت عجباً أمس، خمسا من العجائز يشبهن خمسا من السعالي. الشاهد فيه قوله: «مذ أمسا» حيث جاءت كلمة «أمس» غير منصرفة للعلمية والعدل، فجرت بالفتحة والألف للإطلاق. وما ينبغي الإشارة إليه أن تشبيه العجائز بالسعالي له علاقة بما يعتقدونه العرب في جاهليتهم، لأن من معاني السعلاة ساحرة الجن

ظرفاً الزمان قَطُّ وَعَوَضَ:

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 209

² - شرح المفصل لابن يعيش ج 3 ص 130.

³ - البيت بلا نسبة في شرح المفصل لابن يعيش ج 3 ص 136

⁴ - البيت من الرجز بلا نسبة على كثرة الاستشهاد فيه في أسرار العربية ص 32، خزنة الأدب ج 7 ص 17، شرح قطر الندى ص 16، الكتاب ج 3 ص 274، لسان العرب مادة (أمس).

قال الزمخشري: «و(قَطُّ)، و(عَوْضٌ)، وهما لزمانِي المَضْي والاسْتِقْبَال على سبيل الاستغراق، ولا يستعملان إلا في موضع النفي»¹. فعوض ظرف لاستغراق المستقبل مختص بالنفي، مبني إن لم يضاف على الضم، أو الكسر أو الفتح «لشبهه بالحرف في إبهامه، لأنه يقع على كل ما تأخر من الزمان»². قال الأعشى:

رَضِيَ عَيِّ لِبَانٍ تَدِيٍّ أُمَّ تَقَاسَمَا بِأُسْحَمٍ دَاجٍ عَوْضٍ لَا نَتَفَرَّقُ³

ومعناه: تعاهد أخوان رضعا من أم واحدة أن لا يتفرقا أبدا، وأقسما على ذلك. والشاهد فيه: مجيء «عَوْضٍ» ظرفا لـ «نتفرق» والتقدير: لا نتفرق أبدا. وقال أبو حيان: «وقد كثر استعمال عوض حتى أجروه مجرى القسم»⁴. والبيت شاهد على ذلك حيث استعملت «عَوْضٍ» مع القسم. باعتبار جملة «لانتفرق» جواب قسم لا محل لها من الإعراب.

حكم كيف:

قال الزمخشري: «وكيف جارٍ مجرى الظروف، ومعناه السؤال عن الحال... وفي معناه أتى، قال الله تعالى: ﴿فَاتُوا حَرْتَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾⁵»⁶. ويشهد قول الكميت على مجيء أتى بمعنى كيف:

أَتَى وَمِنْ أَيْنَ أَبَكَ الطَّرْبُ [مِنْ حَيْثُ لَا صَبَوَةٌ وَلَا رَيْبُ]⁷

يعجب من نفسه كيف عاوده الطرب بعد انقضاء أيام الصبا واللعب. والشاهد فيه: مجيء أتى بمعنى كيف «إلا أنهم يجازون (بأنى) دون (كيف)»⁸. قال ليبيد بن ربيعة:

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 210.

² - همع الهوامع. للسيوطي. تح أحمد شمس الدين. دار الكتب العلمية. ط 1. بيروت. 1998. ج 2 ص 157.

³ - البيت من الطويل للأعشى في خزنة الأدب ج 7 ص 138

⁴ - همع الهوامع. للسيوطي ج 2 ص 157

⁵ - البقرة. من الآية 223

⁶ - المفصل في صنعة الإعراب ص 211.

⁷ - البيت من المنسرح للكميت في شرح هاشمياته. تح داود سلوم ونوري حمودي القيسي عالم الكتب ط 2 بيروت

1986-ص 100.

⁸ - المفصل في صنعة الإعراب ص 211.

فَأَصْبَحَتْ أَنَّى تَأْتِيهَا تَلْتَبِسُ بِهَا [كِلَا مَرْكَبِيهَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ شَاجِرٌ]¹

البيت من أبيات يعاتب فيها عمه بن عامر، ويذكر قبيح ما أسداه إليه، حيث ضرب جارا له بالسيف. قائلا له: «إِنَّكَ رَكِبْتَ أَمْرًا لَا خَلَاصَ لَكَ مِنْهُ، فَأَنْتَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ رَكِبَ نَاقَةَ صَعْبَةٍ لَا يَقْدِرُ عَلَى النُّزُولِ مِنْهَا سَالِمًا؛ لِأَنَّ رِجْلَيْهِ قَدْ اشْتَبَكَا بِرِكَابِيهَا»². والشاهد فيه: جواز المجازاة بأنى دون كيف، كما جاء في البيت وهو قوله: أَنَّى تَأْتِيهَا تَلْتَبِسُ.

المركب من الأسماء:

بعد إنهاء الحديث عن المفرد من الأسماء، تناول المركب منها فقال: «هي على ضربين، ضرب يقتضي تركيبه أن يبنى الاسمان معا، وضرب لا يقتضي تركيبه إلا بناء الأول منهما»³. وبعد أن فصل بين ضربي المركبات شرع في ذكر معانيها، فقولهم: «وقع هذا الأمر بين بين فيبينونهما اسما واحدا؛ لأن الأصل بين هذا، وبين هذا، فلما سقطت الواو تخفيفا والنية نية العطف، بني لتضمنه معنى الحرف، وهو في موضع الحال أيضا إذ المراد بقولهم: وقع (بين بين) أي: وسطا»⁴. والشاهد على صحة الاستعمال قول عبيد الأبرص:

[نَحْمِي حَقِيقَتَنَا] وَبَعْدَ ضُ الْقَوْمِ يَسْقُطُ بَيْنَ بَيْنًا⁵

مخاطبا امرأ القيس معيرا إياه بمقتل أبيه، مفتخرا بقومه قائلا: إنا بني أسد نحمي ما يجب علينا حمايته، وبعض القوم يعجز عن ذلك، حيث عجز قوم امرئ القيس عن حماية أبيه ملكهم وأسلموه للقتل، وفروا عنه. والشاهد فيه: استعمال (بين بين) بمعنى بين هذا وبين

¹ - البيت من الطويل للعبيد بن ربيعة في ديوانه. تح . إحسان عباس وزارة الإرشاد. دط الكويت 1962 ص220.

² - خزانة الأدب ج7 ص94.

³ - المفصل في صنعة الإعراب ص213.

⁴ - شرح المفصل لابن يعيش ج3 ص151.

⁵ - البيت من م الكامل لعبيد ابن الأبرص في ديوانه. تح أشرف أحمد دار الكتاب العربي ط1 بيروت 1994 ص118.

هذا. أمّا قولهم: « (تفرقوا شغرا وبغرا) ، أي منتشرين في البلاد هائجين ، من اشتغرت عليه ضيعته إذا فشت وانتشرت ، وبغر النجم: هاج بالمطر »¹. قال العجاج:

بَغْرَةَ نَجْمٍ هَاجَ لَيْلاً فَاثْكَدَرَ²

والشاهد فيه: أن « بغرا » في (شغرا وبغرا) مأخوذ من: بغر النجم، إذا سقط، وهاج بالمطر. ومن الأسماء المركبة «خازياز» وفيه « سبع لغات وله خمسة معان »³.

- ضرب من العشب: ويشهد على صحة ورودها بهذا المعنى قول الشاعر:

رَعِيْتُهَا أَكْرَمَ عَوْدٍ عُوْدَا الصَّلِّ وَالصَّنْصِلَ وَالْيَعْضِيْدَا
وَالخَازِيَازِ السَّنِمِ المَجُودَا [يَحِيْثُ يَدْعُو عَامِرٌ مَسْعُوْدَا]⁴

ومعناه: رعيت الناقة هذه النباتات الكريمة، والخازياز المجدد المبلل بالمطر الذي طال وارتفع لكثرة ما جاء من مطر شديد بحيث يدعو عامر مسعودا؛ لأنه لا يراه من كثافة النباتات، وتعبيرا عن الفرح. والشاهد فيه: مجيء الخازياز بمعنى العشب، وذلك من خلال قوله: «والخازياز السنم المجدود»

- ذباب أزرق يكون فوق العشب: قال ابن أحرر:

[تَفَقَّأَ فَوْقَهُ القَلْعُ السَّوَارِي] وَجُنَّ الخَازِيَازِ بِهِ جُنُونَا⁵

يصف مكانا تشقق السحاب فوقه، ومطر ليلا ونهارا، فكثرت فيه صوت الخازياز لكثرة العشب فيه، لأن كثرة الذباب ما هي إلا كناية عن شدة خصب المكان الذي يصفه. والشاهد: استعمال الخازياز بمعنى ذباب في العشب كقوله: «(وجن الخازياز)» فيحتمل أن يريد بـ «(الخازياز)» العشب، ويحتمل أن يريد به الذباب نفسه فإنه يقال: «جن النبات»، إذا

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 214.

² - البيت من الرجز للعجاج في ديوانه. تح . عبد الحفيظ السطلي، مكتبة أطلس دط. دمشق دت ج 1/ 28.

³ - المفصل في صنعة الإعراب ص 215.

⁴ - الرجز بلا نسبة في الإنصاف لأبي البركات بن الأتباري تح جودة مبروك مكتبة الخانجي ط1 القاهرة دت ص 270.

⁵ - البيت من الوافر لابن أحرر في ديوانه. تح حسين عطوان مجمع اللغة العربية. دط. دمشق دت ص 159.

خرج زهره»¹. والأصل أن الخازياز صوت الذباب، وبه سمي، وهو يظهر في الربيع ويدل على خصب السنة.

-داء في اللهازم: وقد ورد بهذا المعنى في كلام العرب وشهد على ذلك قول أحدهم :

يا خازيازِ أُرْسِلِ اللَّهَازِمَا [إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ لِأَزْمًا]²

يا داء أترك هذا الموضع، فإنه أخاف أن لا تفارقه. والشاهد فيه قوله: «خازياز» حيث جاء به للدلالة على أنه مرض يصيب اللهازم جمع لهزيمة، وهي طرف الحلقوم.

الفصل بين كم الخبرية وبين مميّزها:

قال الزمخشري: «وإذا فصل بين الخبرية ومميّزها، نصب كقولك: (كم في الدار رجلاً)»³. وهذا يعني أنه إذا كانت الخبرية في الأصل تجر مميّزها مفرداً، أو مجموعاً فإنه حين يفصل بينها وبينه بفاصل، ينصب. ويشهد على صحة هذا الاستعمال قول القطامي، وهو من شواهد سيبويه:

كم نالني مِنْهُمْ فَضْلاً عَلَى عَدَمٍ [إِذْ لَا أَكَادُ مِنَ الْإِقْتَارِ أَحْتَمِلُ]⁴

يقول أنه: في حال فقره، وعدم وجود راحلة لديه يرتحل عليها؛ لطلب قوته، كانوا كثيراً ما يبرونه، ويتفضلون عليه حتى لا يكاد يرتحل عنهم لطلب الرزق.

والشاهد فيه أنه لما فصل بين كم الخبرية، ومميّزها بالجار والمجرور (منهم) نصب المميّز. أما جره مع الفاصل لا يجيزه إلا الفراء⁵. وقال سيبويه: «قال الخليل: إذا فصلت بين كم وبين الاسم بشيء استغنى عليه السكوت، أو لم يستغن فاحمله على لغة الذين يجعلونه بمنزلة اسم منون، لأنه قبيح أن يفصل بين الجار والمجرور، لأن المجرور داخل

¹ - شرح المفصل لابن يعيش ج3 ص157.

² - البيت من الرجز بلا نسبة في لسان العرب مادة (خوز)

³ - المفصل في صنعة الإعراب ص219.

⁴ - البيت من البسيط للقطامي في ديوانه. تح . ابراهيم السامرائي دار الثقافة ط1 بيروت 1960. ص30

⁵ - خزنة الأدب ج6 ص447.

في الجار، فصارا كأنهما كلمة واحدة. والاسم المنون قد يفصل بينه وبين الذي يعمل فيه»¹ مع أن سيبويه أيضا يقول بجواز رفع الفضل على أنه فاعل للفعل نالني قائلا: «وإن شاء رفع فجعل كم المرار التي ناله فيها الفضل»². ويشهد على هذا أيضا قول زهير ابن أبي سلمى:

تَوُّمٌ سِنَانًا وَكَمْ دُونَهُ مِنْ الْأَرْضِ مُحْدَوِّدِيًا غَارُهَا³

إن ناقتي تقصد سنانا، لتتال من نواله رغم ما يفصلها عنه ما يتعذر قطعه، والخلوص منه إليه، من أرض محدودة مختلفة التضاريس؛ لما بها من أحكام ومتون. والشاهد فيه قوله: «كم دونه من الأرض محدوبا» حيث فصل بين كم، ومحدوبا بالظرف والجار والمجرور، فوجب نصب محدوبا، وامتنع الجر عند البصريين، وهذا يعني أن الكوفيين يجيزون الجر رغم قبح الفصل بين الجار والمجرور، ولكنه مع وجوب النصب في حال الفصل إلا أنه «جاء الجر في الشعر مع الفصل»⁴. إذ قال الفرزدق:

كَمْ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرِ سَيِّدٍ ضَخْمِ الدَّسِيعَةِ مَا جِدِ نَفَّاعٍ⁵

كم سيد في بني سعد ضخمة العطية شريف كثير النفع، حيث قبيلة بني سعد لها مكانتها التاريخية بين مجمل القبائل العربية، كونها استمدت تاريخها من عمق الحضارة اليمنية القديمة. والشاهد فيه قوله: «كم في بني سعد بن بكر سيد» حيث جر سيد بـ(كم) مع الفصل بينهما بالجار والمجرور (في بني) للضرورة. وبالنظر إلى أحكام ما بعد كم، قد ينشد بيت الفرزدق:

كَمْ عَمَّةٍ لَكَ يَا جَرِيرُ وَخَالَةٍ فَدَعَاءُ قَدْ حَلَبَتْ عَلَيَّ عِشَارِي⁶

¹ - الكتاب ج 6 ص 164.

² - المصدر نفسه ج 2 ص 164.

³ - البيت من المتقارب لزهير بن ابي سلمى في الكتاب 165/2 وشرح المفصل لابن يعيش ج 3 ص 172.

⁴ - المفصل في صنعة الإعراب ص 219.

⁵ - البيت من الكامل للفرزدق في خزنة الأدب 476/6 والكتاب 168/2 ولم يذكر الزمخشري قائله.

⁶ - البيت من الكامل للفرزدق خزنة الأدب ج 6 ص 458

أي: كم عمّة وخالة لك فدعاء، قد خدمتني في حلب نوقي ورعي ماشيتي. والشاهد فيه قوله: «عمّة» حيث يجوز فيها «النصب على الاستفهامية، والجر على الخبر، والرفع على معنى: كم مرة حلبت علي عماتك»¹. ومنه فالنصب على التمييز، والجر على الإضافة والرفع على الابتداء.

إعراب جمع المذكر السالم بالحركات:

قال الزمخشري: « وقد يجعل إعراب ما يجمع بالواو والنون في النون، وأكثر ما يجيء ذلك في الشعر، ويلزم الياء إذ ذاك»². وقد اعترض ابن يعيش على هذا الإطلاق بقوله: «وذلك إنما يكون فيما يجمع بالواو والنون عوضاً من نقص لحقه، نحو قولك: «سنون» (فُلُون)، «تُبُون»، والشيخ قد أطلق هاهنا، والحق ما ذكرته»³. ومما يشهد على صحة استعمال ذلك عند الزمخشري قول الشاعر:

1- دعاني من نجدٍ فإنّ سنيّنه لعبن بنا شيبا وشيبتنا مُزدا⁴

يقول: يا خليلي أتركاني من ذكر نجد، فإن سنيّنه قد شيبتني وأنا أمرد، وأوحشت أحوالي في حال مشيبي. والشاهد فيه قوله: «فإن سنيّنه» حيث نصب سنيّين بالفتحة على لغة بعض العرب ولو عاملها معاملة جمع المذكر السالم، لقال سنيّه؛ لأن نون الجمع تحذف عند الإضافة.

2- وماذا يدري الشعراء منّي وقد جاوزت حدّ الأربعين⁵

ماذا يريد الشعراء منّي؟ وقد بلغت سن الأربعين، وهي سن الحنكة والتجربة والاختبار. والشاهد فيه قوله: «الأربعين» حيث أعرب بالحركات، فجر بالكسرة على خلاف الأصل في

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 221.

² - المصدر نفسه ص 229.

³ - شرح المفصل لابن يعيش ج 3 ص 227.

⁴ - البيت من الطويل للصمة القشيري في تلخيص الشواهد ص 71 وخرزانة الأدب ج 8 ص 58.

⁵ - البيت من الوافر لسحيم بن وثيل في تلخيص الشواهد ص 74. وتذكرة النحاة ص 480.

جمع المذكر السالم، والملحق به. وقيل: كسرت النون للتخلص من التقاء الساكنين وبالتالي لا شاهد فيه.

إعمال المصدر:

يُعمَل المصدر إعمال فعله سواء كان مفرداً، أو مضافاً، أو معرفاً بالألف واللام « وهو أضعفهما لأن الألف واللام لا تكون في أسماء الأجناس التي هي الأصول إلا معرفة فلذلك ضعف إعمالها»¹. ويشهد على إعمال المصدر المعرف بـ«ال» قول الشاعر:

ضعيفُ النكايةُ أعداءه يَخَالُ الفِرَارَ يُرَاخِي الأَجَلَ²

يهجو رجلاً فيقول: هو ضعيف على أن ينال من أعدائه، وجبان فلا يثبت في الحرب بل يفِرّ ظناً منه أن الفرار يؤخر الأجل. والشاهد فيه قوله: «النكاية أعداءه» حيث نصب المصدر المقترن بـ«ال» وهو قوله النكاية مفعولاً به وهو قوله: «أعداءه».

[لَقَدْ عَلِمْتُ أَوْلَى المَغِيرَةِ أَنِّي] كَرَّرْتُ فلم أنكُلُ عَن الضَّرْبِ مِسْمَعًا³

لقد علم أول المغيرين أنني لما لقيتم هزمتهم، ولحقت سيدهم فلم أرجع عنه، حتى قتلاته بسيفي «وكانت بنو ضبيعة قد أغارت على باهلة فلحقتهم باهلة فهزمتهم»⁴. والشاهد فيه: إعمال المصدر المحلى بـ«ال» وقد روي الشطر الثاني لحقت فلم أنكل...، وعلى هذا، فلا شاهد فيه؛ لأن مسمع معمول لحقت، و«ال» في الضرب عوض عن المضاف إليه أي: فلم أنكل عن ضربه، على أنه يجوز أن يكون مسمع منصوباً بنزع الخافض أي: كررت على مسمع.

حمل المعطوف على محل المعطوف عليه المجرور:

¹ - شرح المفصل ج 4 ص 75 .

² - البيت من المتقارب بلا نسبة في خزانة الأدب 127/8. وهو من شواهد الكتاب التي لم يعرف لها قائل (الكتاب 1/192).

³ - البيت من الطويل للمرار الأمدي في الكتاب ج 1 ص 193 ولمالك بن زغبة الباهلي في شرح المفصل ج 4 ص 73.

⁴ - شرح المفصل ج 4 ص 80.

قال ابن يعيش: «إذا عطفت على ما خفض بالمصدر جاز لك في المعطوف وجهان: أحدهما: أن تحمله على اللفظ، فتخفضه، وهو الوجه. والآخر: أن تحمله على المعنى، فإن كان المخفوض مفعولا في المعنى، نصبت المعطوف، وإن كان فاعلا رفعته»¹. ومما يشهد على حمل المعطوف على محل المعطوف عليه المجرور، وهو من أبيات الكتاب:

قد كنتُ دابنتُ بها حَسَانَا مَخَافَةَ الْإِفْلَاسِ وَاللَّيَانَا²

قد دابنت هذا الرجل بالإبل مخافة إفلاسه ومماطلته. والشاهد فيه قوله: «الليانا» حيث عطف الليان على الإفلاس، فتبعه في المحل، وهو مفعول به للمصدر مخافة، وقيل³: معطوف على مخافة؛ أي: ومخافة الليان، ثم حذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه. ومما يدل على جواز حمل المعطوف على محل المعطوف عليه المجرور أيضا، حملهم الصفة على محل الموصوف، حيث النعت كالعطف في جواز الحمل على اللفظ والمعنى. إذ يقول الزمخشري في هذا الباب: «وإنما نصب فيه المعطوف محمولا على محل المعطوف عليه؛ لأنه مفعول، كما حمل لييد الصفة على محل الموصوف، في قوله:

[حتي تَهَجَّرَ في الرواح وَهَاجَهُ] طَلَبَ الْمُعَقَّبِ حَقَّهُ الْمَظْلُومُ⁴

أي: كما يطلب المعقَّبُ المظلومُ حَقَّهُ»⁵. حيث يصف لييد عيرا سار في الهاجرة، وهاجه الحر، فطلب الماء طلبا شديدا مثل طلب الدائن الممتول بدينه حقه. والشاهد فيه قوله: ((المظلوم)) وهو نعت.

¹ - شرح المفصل ج4 ص81.

² - البيت من الرجز لرؤية في ملحق ديوانه ص187.

³ - ينظر: شرح شواهد الإيضاح لأبي علي الفارسي تأليف عبد الله بن بزري تح. عيد مصطفى درويش الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية د.ط القاهرة 1995 ص131.

⁴ - البيت من الكامل للييد بن ربيعة في خزنة الأدب ج2 ص242.

⁵ - المفصل في صنعة الإعراب ص278 .

إعمال مبالغة اسم الفاعل:

قال الزمخشري: «قال سيبويه¹: وأجروا اسم الفاعل، إذا أرادوا أن يبالغوا في الأمر، مجراه إذا كان على بناء فاعل»²؛ أي إذا كان اسم الفاعل يعمل عمل فعله المضارع إذا أريد به الحال، أو الاستقبال، فإن العرب «قد أجروا ضرباً من أسماء الفاعلين مما فيه معنى المبالغة»³. مجراها إذا كان على بناء فاعل، حيث أعملوا الأولى عمل الثانية وبنفس الشروط. ومن شواهد إعمال مبالغة اسم الفاعل ما أسنده الزمخشري للفلاخ إذ يقول هذا الأخير:

1- أخوا الحرب لبَّاسًا إليها جلالها ولئيسَ بولَّاجِ الخوالفِ أعقلا⁴

يريد أن يقول: إنه رابط الجأش قوي النفس عند الهول، وإذا قامت الحرب لا يستتر في البيت، ويقعد مع الناس، بل يحارب. والشاهد فيه قوله: «لبَّاسًا إليها جلالها» حيث أعمل صيغة المبالغة لباسا عمل الفعل «لبس» فنصب بها المفعول به «جلالها».

2- ضروبٌ بنصلِ السِّيفِ سوقَ سمانِها [إذا عَدِموا زادا فإِنَّكَ عاقرُ]⁵

أي: أنه كريم ينحر للأضياف سمين النوق، حيث كان يعرِّق الإبل للضيفان إذا عدموا الزاد واشتدت السنة. والشاهد فيه قوله: «ضروب بنصل السيف سوق سمانها» حيث أعمل صيغة المبالغة «فَعُول» كإعمال صيغة «فَاعِل» وهي قوله: ضروب فرفعت الفاعل وهو الضمير المستتر فيها، ونصبت المفعول وهو قوله: «سوق» كما تنصبه بضارب.

[بكِيتَ أخوا اللأواءِ يُحمَدُ يومُهُ] كريمٌ رؤوسَ الدارعينَ ضروبُ⁶

¹ - الكتاب لسيبويه، ج 1 ص 110.

² - المفصل في صنعة الإعراب ص 279.

³ - شرح المفصل ج 4 ص 88.

⁴ - البيت من الطويل للفلاخ بن حزم في خزنة الأدب، ج 8 ص 157.

⁵ - البيت من الطويل لأبي طالب بن عبد المطلب في خزنة الأدب 242/4 والكتاب 111/1.

⁶ - البيت من الطويل لأبي طالب في شرح المفصل ج 4 ص 89.

يقول: إن هذا الرجل صابر في الشدة يحمد الناس شأنه، وهو كريم شجاع ماهر باستعمال السيف والسلاح تهابه الأعداء. والشاهد فيه قوله: «رؤوس الدارعين ضروب» حيث أعمل ضروب، وهو مبالغة اسم الفاعل في رؤوس الدارعين، وفيه دلالة على جواز تقديم معموله عليه.

عمل اسم الفاعل المثني والمجموع:

قال الزمخشري: «وما ثني من ذلك وجمع مصححا أو مكسرا يعمل عمل المفرد. كقولك: «هما ضاربان زيدياً»، و«ضاربون عمراً»، و«هم قطان مكة»، و«هن حجاج بيت الله» و«عواقد حُبك النطاق»¹. وهذا يعني أن مثني وجمع اسم الفاعل سواء كان صحيحاً أم مكسراً يعمل عمل فعله، كما يعمل اسم الفاعل المفرد عمل فعله، وهذا ما تشهد على صحته استعماله النصوص الشعرية الآتية:

1- قال العجاج: أوالفاً مكة من ورق الحامي²

أي: الحمام الورق التي ألفت العيش في مكة، ورضيت به. والشاهد فيه قوله: «أوالفا مكة» حيث عمل جمع اسم الفاعل «أوالفا» عمل اسم الفاعل المفرد فنصب مفعولاً به مكّة. 2- وقال طرفة:

ثم زادوا أتهم في قَوْمِهِم غُفْرٌ ذُنُوبَهُمْ غَيْرُ فُخْرٍ³

أي أنهم زادوا على أمثالهم بأنهم يغفرون ذنوب المذنبين، ولا يفتخرون على من عداهم. والشاهد فيه قوله: «غفر ذنبهم» حيث عمل جمع التفسير «غُفْرٌ» عمل مفردة «غفور» الذي يعمل عمل فعله فنصب المفعول «ذنب» .

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 281.

² - الرجز للعجاج في الكتاب ج 1 ص 26.

³ - البيت من الرمل لطرفة في ديوانه. تح مهدي محمد ناصر الدين. دار الكتب العلمية، ط 3 بيروت، 2002 ص 43.

3- شُمَّ مَهَاوِينَ أَبْدَانَ الْجَزُورَ مَخَا مَيْصَ الْعَشِيَّاتِ لَا خُورٍ وَلَا قَزَمٍ¹

هم سادة الناس وكرماؤهم، يهينون أبدان الجزور للأضياف والمساكين يؤخرون العشاء لأجل ضيف محتمل، فهم ليسوا ضعافا ولا لئاما. والشاهد فيه قوله: «مهاوين أبدانَ الجزور» حيث أعمل جمع صيغة المبالغة مهاوين عمل مفردة «مهوان» الذي يعمل عمل فعله فنصب المفعول به «أبدان».

مسألة إعراب «حسن وجهه»:

ذكر الزمخشري أن في مسألة إعراب «حَسَنٌ وَجْهُهُ»² سبعة أوجه؛ أي سبعة أوجه جائزة في الكلام: حسنٌ وجهه وهو الأصل، حيث ارتفع «وجهه» على الفاعلية، وحسن الوجه، وهو الوجه المختار بعد الأول، حيث جر «الوجه» بالإضافة. أما بقية الأوجه فقد أورد الزمخشري نظائرها من الشعر الفصيح للاستشهاد على صحة استعمالها بالأوجه المذكورة، وإن كانت غير مطردة اطراد الوجه الأول والثاني، وهي على التوالي:

1- حَسَنٌ وَجْهًا: أي نصب الاسم النكرة بعد الصفة المشبهة على التشبيه بالمفعولية

أو على التمييز، ونظيره قول أبي زيد الطائي:

هَيْفَاءُ مَقْبَلَةٌ عِزَاءُ مَدْبَرَةٌ مَحْطُوطَةٌ جُدَاتُ شَنْبَاءُ أَنْيَابًا³

يصف امرأة فيقول: هي ضامرة البطن إذا توجهت إلي، وعظيمة الكفل إذا أدبرت ممدودة الظهر ألطف خلقها، شنباء الثغر. والشاهد فيه قوله: «شنباء أنيابا» حيث نصب أنيابا بالصفة المشبهة «شنباء» على التشبيه بالمفعول به، أو تمييز منصوب، كما نصب «وجهًا» بـ «حسن» في «حسن وجهها».

¹ البيت من البسيط للكميت بن زيد تح. محمد نبيل الطريفي، دار صادر، ط1 بيروت، 2000، ص388.

² ينظر المفصل في صنعة الإعراب ص284.

³ البيت من البسيط لأبي زيد الطائي في الكتاب ج1، ص198.

2- حسنُ الوجهة: أي نصب الاسم المعرفة بعد الصفة المشبهة على المفعول به

ونظيره قول النابغة:

وتأخذُ بعده بذناب عيشٍ أجَبَّ الظهر ليس له سنًا¹

يصف النعمان بن المنذر، وقد اشتد به المرض قائلاً: إن هلك صار الناس في أسوأ حال وأضيق عيش، وتمسكوا بمثل ذنب بعير أجب. والشاهد فيه قوله: «أجب الظهر» حيث نصب الظهر بأجب على التشبيه بالمفعول به، كما نقول: مررت بحسنِ الوجهة.

3 - حسنُ وجهه: أي جر الاسم النكرة بعد الصفة المشبهة بالإضافة، ونظيره قول

حميد الأرقط: لاحق بطنٍ بقراً سمين²

يصف فرساً بضمور البطن نافياً أن يكون ضموره هذا ناجماً عن هزال، بدليل قوله: «بقراً سميناً». والشاهد فيه: إضافته لاحق، وهي صفة مشبهة إلى بطن مع حذف «ال» مما يجيز الوجه الخامس أي: إضافة حسن إلى وجه، ومما ينبغي الإشارة إليه أن قوله: «لاحق بطن»، وإن كان أصله اسم الفاعل كـ«ضارب»، «وخارج» فإنما ذكر في هذا الباب لأنه أجرى مجرى الصفة المشبهة، فقدر «لاحق بطنه»، كما قدر «حسن وجه» بـ«حسن وجهه» فـ«البطن» فاعل في المعنى، كما أن «الوجه» فاعل في المعنى، واسم الفعل لا يضاف إلى الفاعل لا نقول: «هذا ضارب زيدٌ وزيدٌ فاعل، لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه، وليس كذلك الصفة»³.

4- حسنُ وجهه: أي إضافة الصفة المشبهة إلى اسم ظاهر مضاف إلى ضمير

صاحبها. ونظيره قول الشماخ:

أقامت على ربعيها جارتاً صفًا كُمَيِّتًا الأعالي جَوْنَتًا مصطلاهما⁴

¹ - البيت من الوافر للنابغة الذبياني في ديوانه تح عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية ط3 بيروت 1996. ص106

² - الرجز لحميد الأرقط في الكتاب ج1 ص197.

³ - شرح المفصل ج4 ص113.

⁴ - البيت من الطويل للشماخ. تح. صلاح الدين الهادي. ص308

ومعناه: أن رعي الدمنتين المذكورتين في بيت سابق قد أقفرا من السكان، ولم يبق فيهما إلا أحجار الأثافي تلوح للناظر كميتة أعاليها مُسودّ محل إضرار النار فيها. والشاهد فيه قوله: «جونتا مصطلاهما» حيث أضاف الصفة المشبهة «جونتا» إلى اسم ظاهر مضاف إلى ضمير صاحبها «مصطلاهما» حيث وجنتا مثني بمنزلة حسنتا ومصطلاهما بمنزلة وجههما فكأنه قال: حسنتا وجههما. إلا أن ابن عصفور لا يجوز خفض معمول الصفة المشبهة في حال إضافته إلى ضمير موصوفها إلا عند الاضطرار؛ لأن الخفض لا يجوز إلا من نصب¹.

5- حسن وجهه: أي نصب معمول الصفة المشبهة في حال إضافته إلى ضمير موصوفها نحو: مررت برجل حسن وجهه. وهو نظير قول الراجز:

[أنعته إتي من نُعَاتِهَا] كُومَ الذَّرَى وَادِقَّةً سُورَاتِهَا²

يصف نوقا يقول: إنها عظمت سنامها، ودنت سراتها إلى الأرض نظرا إلى فرط سمنها مفتخرا بكونه من واصفيها العارفين بها جيدا. والشاهد فيه قوله: «وادقة سراتها» حيث نصبت سراتها بالصفة المشبهة «وادقة» كما نصب وجهه ب: حسن في حسن وجهه وقد اعتبر ابن عصفور ذلك من ضرورة الشعر قائلا: «ألا ترى أنه قد نوّن «وادقة» ونصب معمولها، وهي مضافة إلى ضمير موصوفها، وكان الوجه أن يرفع السرات، إلا أنه اضطر إلى استعمال النصب بدل الرفع فحمل الصفة ضميرا مرفوعا عائدا على صاحب الصفة، ونصب معمول الصفة إجراء له في حال إضافته إلى ضمير الموصوف مجراه إذا لم يكن مضافا إليه»³. وهكذا حاول الزمخشري أن يثبت مدى جواز هذه الأوجه السبعة في الكلام العادي، ولم يعتبر بعض الأوجه منها من ضرورات الشعر، كما جاء في كتاب ضرائر

¹ - ينظر ضرائر الشعر لابن عصفور الإشبيلي تح. السيد إبراهيم محمد دار الأندلس. ط1 القاهرة 1980 ص 287.

² - الرجز لعمر بن لجأ في خزنة الأدب ج 8 ص 222.

³ - كتاب ضرائر الشعر لابن عصفور الإشبيلي ص 287.

الشعر لابن عصفور، وكأني بصاحب المفصل قد تفرد بالحديث عنها، وبالاستدلال على مدى صحتها، والقياس على منوالها.

أحكام اسم التفضيل:

من المعلوم أن اسم التفضيل إذ عرف بـ «ال» «أنت وثنى وجمع، وإذا أضيف ساغ فيه الأمران»¹. أي: الأفراد في كل حال، والتثنية والجمع إذا وقع على مثنى أو جمع. ويشهد قول ذي الرمة على جواز ذلك إذ يقول:

وميةٌ أحسنُ الثقلين جيداً وسالفةٌ وأحسُّه قذالاً²

يصف هذه المرأة قائلاً: إنها أحسن الإنس والجن عنقا وشعرا ورأسا. والشاهد فيه قوله: «أحسن الثقلين»، وقوله: «أحسنه» إذ هو قد قام بـ «تذكير» «أفعل» وإن كان جارياً على مؤنث، ألا ترى أنه قال: «أحسن الثقلين»، وهو خبر عن مية. فأما الأفراد الراجع في قوله: «أحسنه قذالاً» وإن كان ما تقدم تثنية في معنى الجمع، فهو من قبل أنه موضع يكثر فيه استعمال الواحد، كقولهم هو أحسن فتى في الناس، وإن كان الأصل الجمع، والواحد واقع موقعه فترك الأصل، فوجب الوضع على الأفراد؛ لأنه مما يؤلف، ولذلك يقولون: «هو أحسن الرجال، وأجمله»³. أي أن اسم التفضيل إذا أضيف يستوي فيه المذكر والمؤنث وكذا التثنية والجمع؛ فلذلك قال: أحسن الثقلين، ولم يقل حسنى الثقلين جيداً، وحسناهم قذالاً. وقال الزمخشري أيضاً: «ولا يعمل عمل الفعل»⁴. أي أن اسم التفضيل لا يعمل في المظهر عمل الفعل باعتبار أنه «لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث، فبَعَدَ من شبه اسم الفاعل وصار كالأسماء الجوامد التي لم تؤخذ من الأفعال، كقولك: «مررت برجل قطن جبته، وبرجل كتان ثوبه» ألا ترى أن القطن لا يثنى ولا يجمع وكذلك الكتان، وجعلاً مبتدأ أو

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 289.

² - البيت من الوافر لذي الرمة في خزانة الأدب ج 3 ص 393.

³ - شرح المفصل ج 4 ص 130

⁴ - المفصل في صنعة الإعراب ص 294.

خبرا في موضع النعت، كقولك: « مررت برجل أخوك أبوه»¹. فأما قول عباس بن مرداس:

[أَكْرَّ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ] وَأَضْرَبَ مِنَّا بِالسِّيُوفِ الْقَوَانِسَا²

أي: لم أر مثل هؤلاء أكرَّ وأحمى للحقيقة، ولا أضرب منَّا بالسيوف يوم التقينا. والشاهد فيه: نصب «القوانس» بأضرب كما يبدو، والحقيقة نصبه بإضمار فعل دل عليه «أضرب» وتقديره ضربنا بالسيوف، أو نضرب بالسيوف القوانس؛ لأنه لا يجوز أن ينصب بأضرب هذه التي للتفضيل والمبالغة. للأسباب التي ذكرناها.

عدم إعمال اسم الزمان واسم المكان:

قال الزمخشري: «ولا يعمل شيء منها»³؛ أي «لا يعمل اسم المكان والزمان عمل المصدر لأنه ليس في معنى الفعل»⁴. وهذا ما جعله يشير إلى كلمة «مجر» الواردة في قول النابغة:

كَأَنَّ مَجْرَ الرَّامِسَاتِ ذُيُولَهَا عَلَيْهِ قَضِيمٌ نَمَّقَتْهُ الصَّوَانِعُ⁵

يصف رسما عفا بعد أهله، فأصبح بفعل الرياح كقطعة جلد عليها آثار كتابة. والشاهد فيه أن «مجر» ليس اسم مكان؛ لأنك «إن جعلته اسم مكان فسد إعماله ونصبه ذُيُولَهَا لأنك لا تقول: «جلست في مجر زيد ذيله»، وأنت تريد المكان، وإنما تقول: «في محل ذيل زيد» كما تقول: «(في مكان زيد)»⁶. وإنما هو مصدر بمعنى الجر عامل عمل فعله ناصب «ذُيُولَهَا» على المفعولية. وليس اسم مكان كما بينا لأنه لا يعمل شيئا. إلا أن ابن يعيش⁷

¹ - شرح المفصل ج 4 ص 138.

² - البيت من الطويل للعباس بن مرداس في شرح التصريح ج 1 ص 191.

³ - المفصل في صنعة الإعراب ص 296.

⁴ - شرح المفصل ج 4 ص 150.

⁵ - البيت من الطويل للناطقة الذبياني في ديوانه. تح عباس عبد الساتر. دار الكتب العلمية. ط 3. بيروت. 1996. ص 53.

⁶ - شرح المفصل ج 4 ص 150 - 151.

⁷ - المصدر نفسه ج 4 ص 151.

يرى أن في الشاهد حذف مضاف أي: كأن أثر مجرّ الرامسات «لأنه إن كان مصدرا فلا يصح الإخبار بقول قضيّم، وإن كان اسم مكان فلا يصح نصبه المفعول»¹. وعلى هذا التأويل فمجر مصدر مضاف لفاعله وذيولها مفعوله. أما رواية جر «ذيولها» على أنه بدل من الرامسات فمجر اسم مكان ولا حذف، وبالتالي لا شاهد في البيت.

اجتماع ضميري الفاعل والمفعول في أفعال القلوب:

قال الزمخشري: «ومنها أنك تجمع فيها بين ضميري الفاعل والمفعول، فتقول: «علمتني منطلقاً» و«وَجَدْنَكَ فَعَلْتَ كَذَا»، و«رأه عظيمًا»، وقد أجرت العرب «عدمًا»، و«فقدتُ» مجراها، فقالوا: «عدمتي» و«فقدتني»². أي: أن أفعال القلوب ليس كغيرها من الأفعال الأخرى حيث «يتعدى ضمير الفاعل فيها إلى ضمير المفعول الأول دون الثاني، فتقول: «ظننتني عالمًا»، و«حسبتك غنيًا»، وذلك لأن تأثير هذه الأفعال إنما هو في المفعول الثاني، ألا ترى أن الظن والعلم إنما يتعلقان بالثاني؛ لأن الشك وقع فيه، والأول كان معروفًا عنده فصار ذكره كاللغو؟ فلذلك جاز أن يتعدى ضمير الأول إلى الثاني؛ لأن الأول كالمعدوم والتعدي في الحقيقة إلى الثاني»³. إلا أن العرب قد أجرت «عدمًا» و«فقدتُ» مجراها. فقالوا: «عدمتني» و«فقدتني»، «وذلك لأن معناها يؤول في التحصيل إلى معناها. ألا ترى أن معنى «عدمت الشيء»: علمته غير موجود»⁴. ويشهد على صحة ذلك من كلام العرب قول جرّان العود:

لقد كان لي عن ضرتين عدمتني وعمّا ألقى منهما متزحزح⁵

¹ - خزانة الأدب ج 2 ص 453-454.

² - المفصل في صنعة الأعراب ص 336.

³ - شرح المفصل ج 4 ص 333.

⁴ - المصدر نفسه ج 4 ص 334.

⁵ - البيت من الطويل. لجرّان العود في شرح المفصل ج 4 ص 334.

لقد كان لي مترشح عن الجمع بين ضرتين، لو كنت أعلم بالذي سينالني من أذاهما والشاهد فيه قوله: «عدمتي» حيث استعمل هذا الفعل استعمال أفعال القلوب، فجمع فيه بين ضميري الفاعل، والمفعول، فكانه أجرى مجراها في ذلك.

حكم الواو والياء لامين إذا سکن ما قبلها:

قال الزمخشري: «وتُجران في تحمل حركات الإعراب مجرى الحروف الصاح إذا سکن ما قبلها في نحو: (لدو)، (ظبي)، و(عدو)، (عدي)، و(واو)، و(زاي)، و(آي) وإذا تحرك ما قبلها لم يتحملاً إلا النصب نحو: (لن يغزو)، و(لن يرمي)، و(أريد أن تستقي وتستدعي)، و(رأيت الرامي والعمي والمضوضي)»¹. وقد جاء الإسكان في قول الشاعر:

[فما سَوَدَّتْني عَامِرٌ عن وراثَةِ] أبى الله أن أسمو بأٍ ولا أبٍ²

إنه وإن كان كريم الأصل شريفاً، إلا أنه لم يرث السيادة عن آبائه وجدوده، وإنما سيادته من نفسه: والشاهد فيه أنه سکن واو «أسمو» مع الناصب للضرورة. وقال الأعشى:

فأليتُ لا أرثي لها من كلالَةٍ ولا من حَفَى حتى تلاقي مُحَمَّداً³

قال هذا عندما خرج يريد النبي ﷺ وقد آلى على نفسه أن يتم لقاءه بالنبي ﷺ مهما كانت العوائق. والشاهد فيه قوله: «حتى تلاقي» حيث أسكن الياء، وحقها الفتح، لأن الفعل منصوب بأن مضمرة، والفتحة تظهر على الياء. فالأصل حتى تلاقي، وسكن كما يبدو للضرورة. وقال غيره:

يا دارَ هِنْدٍ عَفَتْ إِلا أثافيها [بين الطويِّ فصاراتٍ فواديها]⁴

يصف دار محبوبته، ويقول إنها عفت وطمست آثارها، ولم يبق منها ما تعرف به إلى مواعد النيران. والشاهد فيه: إسكان ياء «أثافيها»، ضرورة، وهو مستثنى منصوب. وقال

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 507

² - البيت من الطويل لعامر بن الطفيل في الحيوان. للجاحظ ج 2 ص 85. وخزانة الأدب 8/343.

³ - البيت من الطويل للأعشى في خزانة الأدب ج 1 ص 177.

⁴ - البيت من البسيط للحطيئة في ديوانه. شرح ابن السكيت. تح نعمان أمين طه. مكتبة ومطبعة مصطفى الباي الحلبي وأولاده. ط 1. مصر. 1958. ص 201.

الشاعر أيضا:

[تَكَادُ تَذْهَبُ بِالدُّنْيَا وَبِهَجَّتْهَا] مَوَالِي كَكَيْشِ الْعُوسِ سُحَّاحٌ¹

أي إن هؤلاء الموالى الذين دخلوا الإسلام يكادون يذهبون ببهجة الحياة بسبب ما يقدمون عليه من إساءات. والشاهد فيه قوله: «الموالي» حيث قام بضم الياء ونونها ضرورة والقياس تسكينها. ورُوي لجرير:

فيوما يجازين الهوى غير ماضي ويوما ترى منهن غولا تغول²

إن النساء يجازين الرجال العشاق بوصل متقطع، إنهن يتلَوْنَ في معاملتهم. والشاهد فيه: تحريك الياء في «ماضي» للضرورة، والقياس إسكانها لأنه اسم فاعل من مضى يمضي كقاض من قضى يقضي. وقال ابن قيس الرقيات:

لا بـأرـك الله في الغواني يصـبـحـن إلا لهـن مـطـأـب³

فالشاعر يدعو على الغواني بأن لا يبارك الله فيهن؛ لكثرة طلباتهن. والشاهد فيه: تحريك ياء «الغواني» للضرورة، والقياس إسكانها. وقال الشاعر أيضا:

مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا أَرَى فِي مُدَّتِي كَجَوَارِي يَلْعَبْنَ فِي الصَّحْرَاءِ⁴

فالشاعر لم ير، ولن يرى مثل هؤلاء الجواري الحسان اللواتي يلعبن في الصحراء. والشاهد فيه: إظهار حركة الجر على الياء في الاسم المنقوص كـ «جواري» للضرورة الشعرية. قال ابن عصفور: «فيه ضرورتان: إحداهما: إثبات الياء وتحريكها، وكان حقه أن يحذفها فيقول: كجوار. والثانية: أنه صرف ما لا ينصرف، وكان الوجه لما أثبت الياء إجراء

¹ البيت من البسيط بلا نسبة في شرح شافية ابن الحاجب. لرضي الدين. تح. محمد نور الحسن... دار الكتب العلمية. دط. بيروت. 1982 ج3 ص182.

² البيت من الطويل لجرير في شرح ديوانه. لعبد الله الصاوي. مطبعة الصاوي. دط. مصر. دت ص455.

³ البيت من المنسرح لعبيد الله بن قيس الرقيات في ديوانه. تح. محمد يوسف نجم. دار بيروت للطباعة والنشر. دط. بيروت. 1980 ص03.

⁴ البيت من الكامل بلا نسبة في خزنة الأدب ج8 ص341.

لها مجرى الحرف الصحيح أن يمنع الصرف فيقول: «كجوارِي»¹. وقال زيان بن العلاء:
 هجوت زِيَان ثم جئْت مُعْتَذِرًا من هجو زِيَان لَمْ تَهْجُو ولم تدع²
 لقد هجوت زِيَان، ثم اعتذرت له، فكأنك لم تشتمه، ولم تتركه سالمًا؛ لأنك هجوته.
 والشاهد فيه قوله: «تهجو» حيث لم يحذف حرف العلة، وذلك للضرورة الشعرية. وقال زيد
 ابن قيس:

ألم يأتِيك والأنباء تَنَمِي بما لاقت لبونُ بني زياد³
 يتساءل مفتخرًا بشجاعته عما إذا ما بلغ الناس بما فعل ببني زياد، فقد استاق إبلهم
 استيفاء لحقه. والشاهد فيه: إثبات ياء «يأتي» مع الجازم للضرورة الشعرية. وقال عبد يغوث
 ابن وقاص:

وتضحك مني شِيخة عَبْشَمِيَّة كأن لم ترى قبلي أسيرًا يمانيا⁴
 يذكر أن امرأة عجوزاً من بني عبد شمس تضحك ساخرة منه، وكأنه الأسير الأول من
 اليمن في قومها. والشاهد فيه قوله: «لم ترى» حيث أثبت الشاعر الألف، والأصل حذفها
 وذلك للضرورة الشعرية. وجاء في صناعة الإعراب أن قول الشاعر: «كأن لم ترى» «جاء
 به على تقديره محققاً (كأن لم تَرًا)، ثم إن الراء لما جاورت هـي ساكنة- الهمزة
 متحركة، صارت الحركة كأنها في التقدير قبل الهمزة، واللفظ بها: «كأن لم تَرًا» ثم أبدلت
 الهمزة ألفًا لسكونها وانفتاح ما قبلها، فصارت «ترا». فالألف على هذا التقدير بدل من
 الهمزة التي هي عين الفعل، واللام محذوفة للجزم على مذهب التحقيق»⁵. وقال الحصين
 ابن قعقاع:

¹ - ضرائر الشعر لابن عصفور ص 44

² - البيت من البسيط بلا نسبة في خزنة الأدب ج 8 ص 359.

³ - لبيت من الوافر لزيد بن قيس في خزنة الأدب ج 8 ص 397.

⁴ - البيت من الطويل لعبد يغوث بن وقاص في شرح شواهد المغني للبيدادي. تح عبد العزيز رباح... دار المأمون للتراث.

ط 1. دمشق. 1978. ج 5. ص 137

⁵ - سر صناعة الإعراب ص 76.

ما أنسَ لا أنساه آخر عيشتي ما لاح بالمعزاء ريعُ سَراب¹
يقول: إن أنس كل شيء، لم أنسه، ما تحرك سراب في الأفق. أي: مدى حياتي.
والشاهد فيه قوله: «(لا أنساه)» حيث ثبتت الألف مع أنّ الفعل مجزوم في جواب الشرط. وقال
رؤبة بن العجاج:

إذا العَجُورُ غَضِبَتْ فَطَلَّقَ وَلَا تَرْضَاهَا وَلَا تَمَلِّقُ²
إذا غضبت الزوج العجوز فطلقها غير مرتضٍ لها، وغير متودد أو متلطف. الشاهد
فيه قوله: «(ترضّاها)» حيث لم يحذف حرف العلة للجازم ضرورة.
إعراب الحكاية:

قال الزمخشري: «والحكاية أن تجيء بالقول بعد نقله على استبقاء صورته الأولى»³.
قال الشاعر:

وَجَدْنَا فِي كِتَابِ بَنِي تَمِيمٍ «أَحَقُّ الْخَيْلِ بِالرَّكْضِ الْمَعَارُ»⁴
أي: وجدنا في كلام أجدادنا هذا الكلام. والشاهد فيه: أن الشطر الثاني من البيت جملة
محكية نقلت كما هي سدت مسد مفعولي وجدنا، وقد ساقها المفسر كدليل على صحة ما
ذهب إليه أن فواتح السور من الحروف المقطعة ضرب منها محكي ليس إلا، وضرب
شائع فيه الأمران الإعراب والحكاية، وإذا كان الشاهد السابق، كما علمنا دليلا على
الإعراب، وقد أردف الزمخشري هذا الشاهد بشاهدين آخرين؛ ليثبت اطراد هذه الظاهرة في
الكلام العربي الفصيح. إذ يقول ذو الرمة:

سمعت الناس ينتجعون غيثا فقلتُ لصيـدح انتجعي بلالا⁵

¹ - البيت من الرجز لحصين بن قعقاع في شرح شافية ابن الحاجب. ج 4 ص 413.

² - البيت من الرجز لرؤبة في ديوانه. تح. وليم بن الورد. دار ابن قتيبة. دط. الكويت. دت. ص 179 .

³ - الكشف ج 1 ص 39.

⁴ - البيت من الوافر لبشر بن أبي خازم في ديوانه. تح. مجيد طراد. دار الكتاب العربي. ط 1 بيروت 1994 ص 68

⁵ - البيت من الوافر لذي الرمة في ديوانه. تح. مجيد طراد. ص 680 وبلا نسبة في خزنة الأدب ج 9 ص 218.

يقول ذو الرمة: إنه لما سمع هذه المقولة «الناس ينتجعون غيثاً» عزم على الرحيل هو أيضاً، وقال لناقته صيدح: هياً بنا إلى حيث يقيم بلال، فهو أجود من الغيث وأنفع منه. والشاهد فيه: الجملة المحكية (الناس ينتجعون غيثاً) وقد وقعت مفعولاً به للفعل سمعت. وقال آخر:

تَنادوا بِالرَّحِيلِ غَدًا وفي تَرحالهم نَفسي¹

لم يهتم الزمخشري بنسبة البيت إلى قائله رغم المشاعر المتدفقة والنفس المتحسرة على فراق من يحب، وكأن محبوبه أخذ روحه وغادره ميتاً، وإنما من الواضح كان اهتمامه منصباً على موضع الشاهد تلك الجملة المحكية (الرحيل غدا) على أن الرحيل مبتدأ، وغدا خبره، والجملة في محل نصب مفعول به للفعل تتادوا، وروي بالنصب: مصدر لفعل محذوف، وذلك كله على الحكاية، وروي بالجر على الأصل، ولا شاهد فيه.

اسم الإشارة ومطابقته للمشار إليه:

اسم الإشارة كما هو معلوم «ما دل على مسمى، وإشارة إلى ذلك المسمى»². وقد خصوا المذكر منه بأسماء والمؤنث بأسماء أخرى، لكن في قوله تعالى ﴿الم(1) ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾. المشار إليه مؤنث، وهي السورة، واسم الإشارة مذكر، وهو ذلك. الأمر الذي دفع بالزمخشري إلى إيجاد مسوغ نحوي لهذا التأليف محتجا له بما صح من كلام العرب فقال: «فإن قلت: لم دُكِّر اسم الإشارة والمشار إليه مؤنث، وهو السورة؟ قلت: لا أخلو من أن أجعل الكتاب خبره أو صفته، فإن جعلته خبره كان ذلك في معناه، ومسماه مسماه فجاز إجراء حكمه عليه في التذكير، كما أجري عليه في التأنيث في قولهم: من كانت أمك؟ وإن جعلته صفته فإنما أشير به إلى الكتاب صريحا؛ لأن اسم الإشارة مشار به إلى الجنس الواقع صفة له. تقول: هند ذلك الإنسان، أو ذاك الشخص فعل كذا»³. وهذا يعني أن لفظ

¹ - البيت من مجزوء الوافر بلا نسبة في سر صناعة الإعراب ص 232.

² - شرح شذور الذهب. لابن هشام. تح. محمد محيي الدين. دار الطلائع. دط. القاهرة. دت. ص 172

³ - الكشاف ج 1 ص 46-47

﴿الْكِتَابُ﴾ في هذه الحالة يعرب إما خبراً لـ ﴿ذَلِكَ﴾، أو صفة له ونحن نعرف أن الخبر هو المبتدأ في معناه ومسماه، حيث إذا قلنا زيد منطلق فالمنطلق هو زيد وزيد هو المنطلق وإذا اعتبرناه صفة لـ ﴿ذَلِكَ﴾ فنحن نعلم أيضاً أن اسم الإشارة يشار به إلى الجنس الواقع صفة له، وهكذا إذا كان ﴿الْكِتَابُ﴾ خبراً لذلك فـ ﴿الْم﴾ مبتدأ خبره الجملة الاسمية: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ أما إذا كان صفة له، و﴿الْم﴾ خبر لمبتدأ محذوف، أي هذه ﴿الْم﴾ ويكون ذلك خبراً أو بدلاً، ويمكن اعتبار «هذه ﴿الْم﴾» جملة، و﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ جملة أخرى، أما إذا اعتبرنا ﴿الْم﴾ بمنزلة الصوت لا محل لها من الإعراب يكون ﴿ذَلِكَ﴾ مبتدأ خبره ﴿الْكِتَابُ﴾، أو ﴿ذَلِكَ﴾ مبتدأ و﴿الْكِتَابُ﴾ صفة له والخبر ما بعده. والشاهد على ذلك قول الذبياني:

نُبِّئْتُ نِعْمَى عَلَى الْهَجْرَانِ عَاتِبَهُ سَقِيًّا وَرَعِيًّا لِذَاكَ الْعَاتِبِ الزَّارِي¹

يقول النابغة: أنه بلغه أن محبوبته عاتبة عليه، ولكن لا يلومها على ذلك، بل يتمنى لها كل الخير. وموضع الشاهد في هذا البيت هو أن الشاعر يشير إلى مؤنث، وهي نعمى واستعمل اسم الإشارة المذكر «ذاك» جاعلاً إياها شخصاً زارياً عاتباً وهي مؤنث. وهو الأمر الذي يتأكد من خلاله صحة ما ذهب إليه الزمخشري في تفسير وإعراب قوله تعالى: ﴿الْم ذَلِكِ الْكِتَابُ﴾ حيث المشار إليه مؤنث، واسم الإشارة مذكر.

اسم الإشارة أولئك: قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾².

يقول الزمخشري: «وفي اسم الإشارة الذي هو أولئك إيذان بأن ما يرد عقبيه فالمذكورون قبله أهل لاكتسابه من أجل الخصال التي عدت لهم، كما قال حاتم الطائي: (ولله صلوك) ثم عدد له خصالاً فاضلة، ثم عقب تعديدها بقوله:

فذلك إن يهلك فحَسْبِي ثناؤه وإن عاش لم يَقْعُدْ ضعيفاً مُذَمَّماً³»⁴

¹ البيت من البسيط للنابغة الذبياني في الدر المصون. للسمين الحلبي. تح. أحمد محمد الخراط. دار القلم. دط. دمشق.

دت. ج3 ص 107.

² البقرة من الآية 05

³ البيت من الطويل لحاتم الطائي في الدر المصون ج1 ص104

⁴ الكشاف ج1، ص57

فبعد أن عدد حاتم لهذا الصعلوك كثيرا من الخصال النبيلة كالجرأة والإقدام ومغالبة الحياة، همه من العيش أن يلقي لبوسا ومطعما، ختمها بالبيت الشاهد والذي فيه يثني على هذا الصعلوك مستخدما اسم الإشارة ذلك. إيدانا منه أن ثناءه له هو أهل له، من أجل الخصال التي عددها له.

الاسم النكرة: قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾¹.

إذا كان الاسم النكرة يدل على غير معين، فإن الزمخشري حاول أن يعطي للتكثير بعدا دلاليا أعمق متفردا في نوعه فهو يقول: «نكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره كأنه قيل: على أي هدى كما تقول: لو أبصرت فلانا لأبصرت رجلا»². ومن أجل إثبات صحة هذا التوجه، ورسوخ قدمه في العربية ساق الشاهد الآتي:

فلا وأبي الطير المرية بالضحي على خالدٍ لقد وقعت على لحم³

حيث يرثي الشاعر أبو حراش الهذلي خالد بن زهير حالفا للطير بأنها وقعت على جثمان عظيم اللحم. والشاهد فيه: تكثير لحم ودلالاتها على اللحم الجسيم. وهذا هو اللسان العربي المبين الذي نزل به القرآن الكريم. لكن يبدو أن المفسر الفاضل قد ذهب أبعد من هذه الدلالة اللغوية إذ يقول: فإن قلت لم قيل: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ والمتقون مهتدون؟ قلت: هو كقولك: للعزيز المكرم أعزك الله وأكرمك تريد طلب الزيادة إلى ما ثابت فيه، واستدامته»⁴.

جواز رجوع الضمير إلى محذوف: قال تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾⁵

قال الزمخشري: «وجاز رجوع الضمير في ﴿يَجْعَلُونَ﴾ غلي أصحاب الصيب مع كونه

¹ - البقرة من الآية 05

² - الكشاف ج1، ص58.

³ - البيت من الطويل لأبي حراش الهذلي في خزنة الأدب ج5 ص75.

⁴ - الكشاف ج1، ص49

⁵ - البقرة من الآية 19

محدوفا قائما مقامه الصيب... لأن المحذوف باق معه وإن أسقط لفظه»¹. ويشهد على صحة جواز ذلك قول الشاعر حسان:

يَسْتُونُ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ عَلَيْهِمْ بَرَدَى يُصَفِّقُ بِالرَّحِيْقِ السَّلْسَلِ²

يمدح ملوك بني غسان بالشام فيقول: إنهم كرام يقدمون للوافدين عليهم أجود أنواع الخمر أو الشراب الممزوج بالماء العذب. والشاهد فيه قوله: «بَرَدَى يَصَفِّقُ» حيث حذف المضاف وهو ماء، وأبقى المضاف عليه «بردى»، وأقامه مقام المضاف من حيث التذكير بدليل تذكيره يصفق؛ لأن المعنى «مَاءُ بَرَدَى» فقد عول على بقائه.

حذف مفعول شاء: قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾³.

يقول الزمخشري: «ومفعول شاء محذوف لأن الجواب يدل عليه والمعنى: وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَذْهَبَ بِسَمْعِهِمْ، وأبصارهم لذهب بها، ولقد تكاثر هذا الحذف في «شاء»، و«أراد» لا يكادون يبرزون المفعول إلا في الشيء المستغرب»⁴. كما في قول الخديمي:

فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِيَ دَمًا لَبَكَيْتُهُ [عَلَيْكَ وَلَكِنْ سَاحَةَ الصَّبْرِ أَوْسَع]⁵

يذكر الشاعر أنه في حال أليمة لو شاء أن يستبدل بكاءه بالدمع بكاء بالدم لفعل ولكن ساحة الصبر أوسع. والشاهد فيه: أنه ذكر مفعول شاء لغرابته ليقرره في نفس السامع ويؤنسه به؛ لأنه لو حذف مفعول «شاء» وقال: ولو شئت لبكيت دمًا لا يمكن حصول المعنى الذي يراد تقريره في نفس السامع، وكأته قال: لو شئت أن أبكى دمًا لبكيت دمًا ولكنه لما ذكر المفعول تعيّن المراد وتحقق المقصود.

¹ - الكشاف. للزمخشري. ج1ص92

² - البيت من الكامل لحسان بن ثابت في ديوانه. تح. وليد عرفات. دار صادر. دط. بيروت. 2006 ج1ص74

³ - البقرة من الآية 20

⁴ - الكشاف ج1ص95

⁵ - البيت من الطويل لابن يعقوب إسحاق بن حسان الخديمي في الدرا المصون ج1ص143

إجراء الصِّفة مجرى الاسم: قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾¹

مما لا شكّ فيه أنّ هناك فرقا بين الاسم والصِّفة، حيث الاسم «ما دلّ على معنى في نفسه»². والصِّفة: «هي الاسم الدالّ على بعض أحوال الذات»³. ورغم هذا الفارق إلاّ أنّه في كثير من التراكيب اللغويّة الصّحيحة الفصيحة، لا تكاد الصِّفة تستعمل مع موصوفها لأنّهم أجروها مجرى الاسم. وهو الأمر الذي أشار إليه الزمخشري بقوله: «والصّالحة نحو الحسنه في جريها مجرى الاسم»⁴. ومما يؤكّد صحّة هذا التركيب قول الحطيئة:
 كَيْفَ الهجاءُ وما تَنفَكَ صالِحَةٌ من آلٍ لَأَمٍ بِظَهْرِ الغَيْبِ تَأْتِينِي⁵
 إذ يعبر عن رفضه القاطع هجاء من كان ومازالت يدها تمتدّان بالعتاء له. والشاهد فيه: كلمة «صالحة» وهي صفة أجراها مجرى الاسم، حيث جاء بها مفصولة عن موصوفها.

حذف العائد: في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾⁶

ذكر الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية أنّها جملة في محلّ نصب نعت لـ ﴿يَوْمًا﴾ قبلها، والعائد محذوف تقديره (فيه) قال: «وهذه الجملة منصوبة المحلّ صفة لـ ﴿يَوْمًا﴾. فإن قلت: فأين العائد منها إلى الموصوف؟ قلت: هو محذوف تقديره لا تجزي فيه»⁷. وقد ثبت هذا الحذف في كلام العرب الفصيح من ذلك قول الشاعر:

[تروّحي يا خيرة الفسيل] تروّحي أجدر أن تقيلي⁸

¹ - البقرة من الآية 25

² - التعريفات للجرجاني. تح محمد بن عبد الحكيم القاضي. دار الكتاب اللبناني. ط1. بيروت. 1991 ص 40.

³ - المصدر السابق ص 133.

⁴ - الكشاف، الزمخشري، ج1، ص 111

⁵ - البيت من البسيط، للحطيئة، في ديوانه، ص 174.

⁶ - البقرة، من الآية 48

⁷ - الكشاف، ج 1، ص 139.

⁸ - البيت من الرجز لأحيحة بن الجلاح، في خزنة الأدب 5 / 57 وأوضح المسالك ج 3، ص 291.

أي: تزوّحي وائتي مكانا أجد من غيره بأن ثقيلي فيه. «فحذف الفعل الذي هو ائتي لدلالة تزوّحي عليه، فصار مكانا أجد بأن ثقيلي فيه، ثم حذف الموصوف الذي هو مكانا، فصار تقديره أجد بأن ثقيلي فيه، ثم حذف الياء أيضا تخفيفا فصار أجد أن ثقيلي فيه ففيه إذن خمسة أعمال، وهي حذف الفعل الناصب، ثم حذف الموصوف، ثم حذف الياء ثم حذف في، ثم حذف الهاء»¹. ففي البيت تقدير العائد المحذوف أن ثقيلي فيه، وفي الآية تقديره لا تجزي فيه.

الحال شبه جملة: في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ﴾².

ذكر الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية أنّ الجار والمجرور ﴿بِكُمْ﴾ يحتمل معناه عدّة أوجه فقال: «فإن قلت: ما معنى بِكُمْ؟ قلت فيه أوجه: أن يراد أنهم كانوا يسلكونه ويفترق الماء عند سلوكهم، فكأنما فُرق بهم، كما يفرق بين الشئيين بما يتوسّط بينهما، وأن يراد فرقناه بسببكم، وبسبب إنجائكم، وأن يكون في موضع الحال بمعنى فرقناه متلبسا بكم»³. واستشهد على الوجه الأخير بقول الشاعر حيث جعله نظيرا للآية:

[فمرت غير نافرة عليهم] تدوس بنا الجماجم والتّريباً⁴

حيث الشاعر يفخر بسطوة قومه بدوسهم جماجم وترائب أعدائهم. وموضع الشاهد فيه: إعراب (بنا) في محلّ نصب حال أي تدوسها ونحن راكبوها كالحال في الآية الكريمة ﴿بِكُمْ﴾ أي: فرقناه متلبسا بكم وقال أبو البقاء: «أي فرقنا البحر وأنتم به فتكون إمّا حالا مقدرّة أو مقارنة»⁵.

¹ - خزانة الأدب، ج 5 / 57.

² - البقرة، من الآية 50.

³ - الكشاف، ج 1، ص 141.

⁴ - البيت من الوافر لأبي الطيّب المتنبّي في البحر المحيط. لأبي حيان. تح الشيخ عادل أحمد عبد الموجود. والشيخ

علي محمد معوض. دار الكتب العلمية. ط 1. بيروت. 1993. ج 1. ص 355

⁵ - إملاء ما منّ به الرّحمن. العكبري. دار الكتب العلمية. دط. بيروت دت ج 1، ص 36.

بين وإضافتها إلى مفرد: قال الله تعالى: ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾¹.

ذكر الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية أنّ «(بين) يقتضي شيئين فصاعداً، فمن أين جاز دخوله على ﴿ذَلِكَ﴾؟ قلت: إنّه في معنى شيئين حيث وقع مشاراً به إلى ما ذكر من الفارض والبكر، فإن قلت: كيف جاز أن يشار به إلى مؤنثين، وإنّما هو للإشارة إلى واحد مذكر قلت: جاز ذلك على تأويل ما ذكر وما تقدّم، للاختصار في الكلام كما جعلوا فعلاً نائباً عن أفعال جمّة تذكر قبله نقول للرجل: نعم ما فعلت! وقد ذكر لك أفعالاً كثيرة وقصّة طويلة، كما تقول له ما أحسن ذلك!»². وهكذا حاول الزمخشري أن يكشف عن جواز العلاقة بين الظرف «بين» واسم الإشارة ﴿ذَلِكَ﴾ وإن كان الظرف ﴿بَيْنَ﴾ يقتضي شيئين فصاعداً، وذلك يشار به إلى الواحد المذكّر. وقد أرجع ذلك إلى تأويل ما ذكر، وما تقدّم طلباً للاختصار والإيجاز في الكلام، وذلك ممّا دأب عليه العرب في كلامهم إذ يجعلون الفعل الواحد نائباً عن أفعال كثيرة تذكر قبله في مثل قولهم: نعم ما فعلت. وقد ذكر لك أفعالاً كثيرة وعند استنفاد حديثه عن هذه القضية أشار إلى أنّه «قد يجري الضمير مجرى اسم الإشارة في هذا»³. مستشهداً على إجراء ذلك بقول رؤبة ومساءلة أبي عبيدة له:

فيها خطوطٌ من سوادٍ وبلقٍ كأنّه في الجند تلويحُ البهق⁴

حيث يصف بقر الوحش ولونها الجميل المتشكّل من خطوط سوداء يتخلّلها بلق أبيض كأنّما هو البهق. والشاهد فيه: استخدام الضمير (ه) في كأنّه، وهو مفرد مذكّر عائد على الخطوط السوداء والبلق وهو جمع. وقد سأل أبو عبيدة رؤبة عن ذلك إذ قال له: «إن أردت الخطوط فقل كأنّها، وإن أردت السواد والبلق فقل: كأنّهما فقال: أردت كأنّ ذلك،

¹ - البقرة، من الآية 68.

² - الكشاف، ج 1، ص 151.

³ - المصدر نفسه ج 1، ص 151.

⁴ - البيت من الرجز لرؤبة بن العجاج. تح وليم بن الورد ص 104

ويلك»¹ أي أنه أجرى الضمير (هـ) مجرى اسم الإشارة ذلك، كما هو وارد في الآية في صحّة الإشارة بالمفرد منه إلى المتعدّد بتأويله بالمذكور. ويضيف الزمخشري قائلاً: «والذي حسن منه أن أسماء الإشارة تثنيتهما وجمعها وتأنيتها ليست على الحقيقة»².

وذكر أيضا في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْزُقِ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾³: «ومعنى تأليف الواحد: أن يكون قرعا فيضم بعضه إلى بعض وجاز بينه وهو واحد؟ لأن المعنى بين أجزائه؛ كما قيل في قوله: «بين الدخول فحومل»⁴.

ف«بين» كما ذكر النحاة «كلمة واجبة للإضافة وهي لا تضاف إلا إلى متعدد، سواء أكان تعدده بسبب التثنية أو الجمع، أم كان تعدده بسبب العطف»⁵ ولذا جاز ﴿بَيْنَهُ﴾ أي بين السحاب؛ لأن المعنى بين أجزائه، كما أراد امرؤ القيس بقوله: «بين الدخول» أي بين أجزائه. يجوز أن الفاء بمعنى الواو فيكون «سقط اللوى» بين الدخول وحومل. إذ يقول امرؤ القيس:

[قفا نبكي من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى] بين الدخول فحومل⁶

والشاهد فيه: أن «بين» جاءت لواحد ذى أجزاء، كما ورد ذلك في الآية الكريمة.

التمييز المعرفة: قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾⁷.

ذكر الزمخشري في تفسيره لهذه الآية بعض الأوجه الإعرابية لـ ﴿نَفْسَهُ﴾ فقال: «وقيل

¹ - الكشاف للزمخشري. ج 1، ص 151.

² - المصدر نفسه. ج 1، ص 151.

³ - النور من الآية 43.

⁴ - الكشاف ج 3، ص 215.

⁵ - أوضح المسالك لابن هشام. تح محيي الدين عبد الحميد. منشورات المكتبة العصرية. دط بيروت. دت ج 3، ص 360.

⁶ - البيت من الطويل لامرؤ القيس في ديوانه شرح أبي سعيد السكري. ص 164.

⁷ - البقرة، من الآية 130

انتصاب النَّفس على التمييز نحو: غَبِنَ رَأْيَهُ، وَأَلَمَ رَأْسَهُ، ويجوز أن يكون في شذوذ تعريف المميّز...وقيل معناه سفه في نفسه فحذف الجار كقولهم: زيدٌ ظنّي مقيم، أي: في ظنّي والوجه هو الأوّل¹. إذ الأصل في التّمييز أن يكون نكرة، ولذا اعتبر وقوعه معرفة من الشذوذ. وقد استشهد على شذوذ تعريف المميّز بقول الشّاعر:

[فما قومي بثعلبة بن سعد] ولا بفزارة الشُّعرِ الرّقابا²

ينفي الشّاعر أن يكون قومه من نسب سعد بن ذبيان، فهم ليسوا من بني ثعلبة، ولا من بني فزارة الشعر الرقاب؛ لأنّ هذا من دلائل الضعة والغباء في اعتقادهم. والشّاهد فيه: إعراب «الرّقابا» تمييزاً شذوذاً لأنّه اسم معرفة، ولذا هناك من أعرب «الرّقابا» مفعولاً به للصفة. المشبهة «الشُّعر» وبالتالي لا شاهد فيه، ولا شذوذ. أمّا الشّاهد الثّاني الذي أورده الزمخشري وللغرض نفسه، هو قول الشّاعر:

[ونأخذ بعده بذناب عيش] أجبّ الظّهر ليس له سنام³

إذ يصف الشّاعر «التّعمان بن المنذر وأنه إن هلك صار النّاس بعده في أسوأ حال وأضيق عيش، وتمسّكوا بمثل ذنب بعير أجب، وهو الذي لا سنام له من الهزال»⁴. والشّاهد فيه: نصب الظّهر على التّمييز رغم أنّه معرفة؛ لأنّه في نيّة التنوين.

إعراب كافة: في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾⁵.

ذكر الزمخشري عند تفسيره لهذه الآية أن (كافة) تعرب حالا وعلل ذلك بقوله: « ويجوز أن يكون كافة حالا من السلم كما تؤنث الحرب»⁶؛ لأن الحال تتبع صاحبها في الجنس والعدد، فالسلم مفرد مؤنث، وكذلك كلمة كافة. واستشهد على ذلك بقول الشاعر:

¹ - الكشاف، ج 1، ص 188.

² - البيت من الوافر، لحارث بن ظالم المرّي، في شرح المفصل، ج 4، ص 116.

³ - البيت من الوافر، للثّابغة الدّيباني. تح عباس عبد السّاتر ص 157

⁴ - شرح المفصل، ج 4، ص 114.

⁵ - البقرة من الآية، 208.

⁶ - الكشاف، ج 1، ص 242.

السلم تأخذ منها ما رَضِيَتْ به والحرب يكفِيك من أنفاسها جُرْع¹
 فالشاعر كما يبدو يوازن بين حياة السلم التي يأخذ منها صاحبها ما يشاء، وحياة
 الحرب يكفيه منها القليل. والشاهد فيه: تأنيث السلم مما أجاز إعراب (كافة) حالا كما أنث
 الشاعر الحرب إلا أن صاحب البحر المحيط اعترض على ذلك فقال: «وتعليه كون
 (كافة) حالا من السلم بقوله: لأنها توثت، كما توثت الحرب. ليس بشيء؛ لأن التاء في
 (كافة) وإن كان أصلها للتأنيث ليست فيها إذا كانت حالا للتأنيث، بل صار هذا نقلا
 محضا إلى معنى جميع وكل، كما صار قاطبة وعامة إذا كان حالا نقلا محضا إلى كل
 وجميع. فإذا قلت: قام الناس كافة وقاطبة، ولا يدل شيء من هذه الألفاظ على التأنيث،
 كما لا يدل عليه «كل» و«جميع»². أرى أن أبا حيان محق في اعتراضه هذا على
 الزمخشري؛ لأن التاء في كافة ملازمة لها سواء كان صاحبها مؤنثا، أم مذكرا.

الإخبار بالمصدر: قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا
 شَيْئًا...﴾³.

ذكر الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية أن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾ «من
 الكراهة بدليل قوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾ ثم إما أن يكون بمعنى الكراهة على
 وضع المصدر موضع الوصف مبالغة... كأنه في نفسه كراهة؛ لفرط كراهتهم له، وإما أن
 يكون فعلا بمعنى مفعول كالخبر بمعنى المخبور أي: وهو مكروه لكم... ويجوز أن يكون
 بمعنى الإكراه على طريق المجاز، كأنهم أكرهوا عليه لشدة كراهتهم له، ومشقته عليهم»⁴.
 وهذه كلها أوجه محتملة لمعنى الكره، سواء بمعنى الكراهة، أو المكروه، أو الإكراه، إلا أنه
 قد استشهد على صحة المعنى الأول أين تم الإخبار بالمصدر، ووضعه موضع الوصف

¹ - البيت من البسيط للعباس بن مرداس في ديوانه، تح يحيى الجبوري. مؤسسة الرسالة. ط1، بيروت. 1991. ص 103.

² - البحر المحيط، لأبي حيان ج2، ص 130.

³ - البقرة من الآية 216.

⁴ - الكشف، ج 1، ص 246.

بقول الخنساء:

[ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت] فإئما هي إقبال وإدبار¹

والشاهد فيه: الإخبار بالمصدر ووضعه موضع الوصف، وهو ما يريد أن يقابله بالآية الكريمة حيث في البيت هي إقبال، والآية (هو كره). وهكذا يمكن القول إن اسم المعنى يصح وقوعه خبراً عن اسم العين إذا لزم المعنى لتلك العين حتى صار كأنه هي². وهذا من قبيل زيد عدل «وفيه ثلاثة توجيهات أحدها: كونه مجازاً عقلياً بحمله على الظاهر وهو جعل المعنى نفس العين مبالغة. والثاني: أن المصدر في تأويل اسم الفاعل في نحوه وتأويل اسم المفعول في نحو: زيد خلق أي: مخلوق، والثالث: أنه على تقدير مضاف محذوف أي ذات إقبال»³.

نصب قليل ورفعها: قال تعالى: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾⁴.

إذا كان نصب ﴿قَلِيلًا﴾ على الاستثناء التام المثبت، لا يحتاج إلى دليل، فإن الرفع في قراءة أبي والأعمش يبدو في ظاهره مخالفاً للصناعة اللفظية يحتاج إلى توجيه وحجة قال الزمخشري: «وقرأ أبي والأعمش «إلا قليل» بالرفع وهذا من ميلهم مع المعنى والإعراض عن اللفظ جانباً، وهو باب جليل من علم العربية فلما كان معنى ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾ في معنى لم يطيعوه حمل عليه، كأنه قيل: فلم يطيعوه إلا قليل منهم»⁵. والملاحظ أن قراءة الرفع على الإتيان قد روعي فيها معنى النفي فشرّبوا منه، تعني لم يطيعوه الأمر الذي جعلها توافق وجهها من وجوه العربية، وبخاصة إذا كان هناك من الكلام العربي الفصيح ما يشهد على صحتها حيث قال الشاعر:

¹ البيت من البسيط للخنساء في خزنة الأدب ج 1 ص 431

² شرح المفصل، ج 1، ص 282.

³ خزنة الأدب، ج 1، ص 431.

⁴ البقرة من الآية 249.

⁵ الكشاف ج 1، ص 280.

[وَعَضُّ زَمَانَ يَا ابْنَ مَرْوَانَ] لَمْ يَدَعْ مِنْ الْمَالِ إِلَّا مَسْحَتًا أَوْ مَجْلَفًا¹.

فالشاعر يخاطب عبد الملك بن مروان ويستعطفه قائلاً له: إن شدة الزمان وقسوته لم تتركنا لنا من الرزق إلا القليل اليسير. والشاهد فيه: الرفع اعتداداً بالمعنى كأنه قال: لم يبق من المال إلا مسحت أو مجلف. وروى مسحتاً أو مجلف إذ رفع الثاني عطفاً على معنى بقي من المال مسحت، «وروي أنه سئل لم خالفت بينهما فقال: قلت ذلك لتشقى به النحويون»².

الحال المؤكدة أو النصب على المدح:

قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾³. ذكر الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية إعراباً قَائِمًا، وانتصابه على أنه حال مؤكدة من لفظ الجلالة «الله» إذ يقول: «وانتصابه [يعني: قائماً بالقسط] على أنه حال مؤكد منه [أي من الله]، كقوله: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾⁴». الأصل في الحال أن تكون متقلة لا أن تكون ثابتة، وإنما تقع وصفاً ثابتاً إذا كانت:

1- مؤكدة لمضمون جملة قبلها «وهي الآتية بعد جملة معقودة من اسمين معرفتين جامدين، وهي دالة على وصف ثابت مستفاد من تلك الجملة»⁶ نحو قوله: تعالى: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾.

2- أو مؤكدة لعاملها «وهي التي لو لم تذكر لأفاد عاملها معناها»⁷ نحو قوله تعالى:

¹ - البيت من الطويل للفرزدق. في ديوانه. تح. علي فاعور. ص 386

² - الكشف. تح. عادل أحمد، علي معوض. ج 1 ص 476

³ - آل عمران من الآية 18.

⁴ - البقرة من الآية 91.

⁵ - الكشف ج 1 ص 317.

⁶ - شرح شذور الذهب. لابن هشام. تح. محمد محيي الدين عبد الحميد ص 246.

⁷ - المصدر نفسه ص 246.

﴿فَتَبَسَّ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا﴾¹.

3- مؤكدة لصاحبها «وهي التي يستفاد معناها من صريح لفظ صاحبها»² نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾³.

ومن خلال هذا العرض تبين أن قوله تعالى ﴿قَائِمًا﴾ حال مؤكدة «ذلك أن الله سبحانه وتعالى شهد لنفسه» (بأنه لا إله إلا هو)، أي شهد لنفسه بالتوحيد، وشهد له بذلك الملائكة وأولو العلم. والتوحيد صفة كمال لله سبحانه وتعالى، فهو يستلزم العدل ومن هنا تكون الحال مؤكدة؛ لأن معنى قائماً بالقسط حينئذ يصبح قد أفاده شهد الله مع متعلقه»⁴. ثم أضاف الزمخشري «ولو قلت جاءني زيد وهند راكبا جاز لتمييزه بالذكرورة [أي إعرابه حالا] أو على المدح، فإن قلت: أليس من حق المنتصب على المدح أن يكون معرفة كقولك: الحمد لله الحميد. (إنا معشر الأنبياء لا نورث)»⁵. وكما قال الشاعر:

إنا بني نهشلٍ لا ندعي لأبٍ [عنه، ولا هو بالأبناء يشرينا]⁶
 إذ يفتخر الشاعر بأنه من بني نهشل يعتزون بأبيهم، كما يعتز أبوهم بهم أيضا. والشاهد فيه: نصب بني نهشل على الاختصاص بفعل محذوف للدلالة على المدح، وهو معرفة. «قلت قد جاء نكرة، كما جاء معرفة، وأنشد سيبويه فيما جاء منه نكرة قول الهذلي»⁷. إذ يقول:

ويأوي إلى نسوةٍ عطّلٍ وشُعُنًا مراضيعَ مثلَ السَّعالي⁸

¹ - النمل من الآية 19.

² - شرح شذور الذهب. لابن هشام. تح محمد محيي الدين عبد الحميد ص 246.

³ - يونس من الآية 99.

⁴ - تعقبات أبي حيان النحوية لجار الله الزمخشري. رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه. محمد حماد القرشي ص 181.

⁵ - الكشف ج 1 ص 317.

⁶ - البيت من البسيط. لبشامة بن حزن النهشلي. في شرح شذور الذهب. ص 245.

⁷ - المصدر نفسه ج 1 ص 317.

⁸ - البيت من المتقارب لأمية بن عائد الهذلي في خزنة الأدب ج 2 ص 42.

والشاهد فيه: نصب شعثا بفعل محذوف على الاختصاص. وقد استشهد به سيبويه على أن المنصوب على المدح، أو الذم يأتي نكرة، كما يأتي معرفة. والملاحظ أن الكاتب من حديثه عن الحال المؤكدة انتقل إلى الحديث عن المنصوب على المدح حين أورد المثال: «جاءني زيد وهند راكبا» حيث ذكر أن راكبا يجوز إعرابها حالا لتمييزها بالذكرة أو على أنه اسم منصوب على المدح، ثم تساءل فيما إذا كان المنصوب على المدح يكون معرفة فقط، فأجاب عن ذلك بأنه جاء نكرة، كما جاء معرفة مما اضطره المقام إلى أن يثبت ذلك من الكلام العربي الفصيح نثرهم وشعرهم. إلا أن صاحب البحر المحيط اتهم الزمخشري أنه لا يفرق «بين المنصوب على المدح أو الذم أو الترحم، وبين المنصوب على الاختصاص وجعل حكمهما واحدا، وأورد مثلا لا من المنصوب على المدح، وهو «الحمد لله الحميد» ومثالين من المنصوب على الاختصاص وهما: «إنا معشر الأنبياء لا نورث»، «إنا بني نهشل لا ندعي لأب» والذي ذكر النحويون أن المنصوب على المدح أو الذم، أو الترحم قد يكون معرفة، وقبله معرفة يصلح أن يكون تابعا لها، وقد لا يصلح، وقد يكون نكرة كذلك، وقد يكون نكرة وقبله معرفة، فلا يصلح أن يكون نعتا لها... وأما المنصوب على الاختصاص فنصوا على أنه لا يكون نكرة ولا مبهما، ولا يكون إلا معرفة بالألف واللام، أو بالإضافة أو العلمية، أو بأي، ولا يكون إلا بعد ضمير متكلم مختص به، أو مشارك له، وربما أتى بعد ضمير مخاطب»¹. وردّ عليه صاحب الدر المصون بما يزيل كل لبس وغموض: «إنما أراد الزمخشري بالمنصوب على الاختصاص المنصوب على إضمار فعل لائق سواء كان من الاختصاص المبوب في علم النحو أم لا؟ وهذا اصطلاح أهل المعاني والبيان»².

¹ - البحر المحيط. لأبي حيان ج 2 ص 422.

² - الدر المصون. للسمين الحلبي. ج 3 ص 80.

عودة ضمير المؤنث على مذكر: قال تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا﴾¹.

قال الزمخشري: «فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا» بالإسلام، والضمير للحفرة أو النار أو للشفاء، وإنما أنثت لإضافته إلى الحفرة وهو منها»². ويفهم من قول الزمخشري أن الضمير في ﴿مِنْهَا﴾ وهو مؤنث يعود إما على الحفرة، أو على النار، وهذا لا إشكال فيه ما دام كل منهما مؤنثا، أو أنه يعود على الشفاء، وهو مذكر، وإنما أنث لإضافته إلى الحفرة، وهو جزء منها، وإن كان صاحب المحرر الوجيز ينفي ذلك قائلا: «وليس الأمر كما ذكر، والآية لا يحتاج فيها إلى هذه الصناعة، إلا لو لم تجد معادا للضمير إلا «الشفاء» وإما ومعنا لفظ مؤنث يعود الضمير إليه ويعضده المعنى المتكلم فيه، فلا يحتاج إلى تلك الصناعة»³. وهذا يعني أن الضمير في ﴿مِنْهَا﴾ عائد على النار أو على الحفرة. بينما صاحب البحر المحيط يقصر عود الضمير «ها» في منها على الشفا فقط إذ يقول: «لا يحسن عوده إلا على الشفا؛ لأن كينونتهم على الشفا هو أحد جزأي الإسناد، فالضمير لا يعود إلا عليه، وإما ذكر الحفرة، فإنما جاءت على سبيل الإضافة إليها... وأما ذكر النار فإنما جيء بها لتخصيص الحفرة وليست أيضا أحد جزأي الإسناد»⁴. وهكذا يبدو من خلال ما عرضناه أن الضمير في ﴿مِنْهَا﴾ لا يمكن أن يعود إلا على ﴿شَفَا﴾ سواء من حيث اللفظ أو المعنى. ومما يؤكد عودة الضمير مؤنثا على الشفا، وهو مذكر هو قول الأعشى وبه استدلال الزمخشري:

[وتشرق بالقول الذي أذعته] كما شَرِقَتْ صَدْرُ القَنَاةِ مِنَ الدَّمِّ⁵

¹ - آل عمران. من الآية 103.

¹ - الكشاف ج 1 ص 362.

³ - المحرر الوجيز. بن عطية الأندلسي. تح عبد السلام. دار الكتب العلمية. ط 1 بيروت. 2001 ج 1 ص 485

⁴ - البحر المحيط ج 3 ص 22.

⁵ - البيت من الطويل للأعشى في خزنة الأدب ج 5 ص 106

إذ يصف فيه رجلا بإفشاء السر، وأنه لا يستطيع ابتلاعه وكتمانه، كما لم يبلغ الرمح الدم الذي يكون عليه من القتل. والشاهد فيه: مجيء فاعل شرقت مذكرا، وكان من المفترض أن يأتي مؤنثا، وسوّج ذلك إضافته إلى مؤنث كما عاد الضمير (ها) في الآية الكريمة؛ لإضافته إلى مؤنث .

جعل الموصوف ظرفا للصفة : قال الله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾¹.

قال الزمخشري: «فإن قلت: فما معنى قوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾؟ قلت: فيه أوجه أحدها: أن الصر في صفة الريح بمعنى الباردة، فوصف بها القرّة بمعنى فيها قرّة صرّ، كما يقول برد بارد على المبالغة. والثاني: أن يكون الصر مصدرا في الأصل بمعنى البرد فجيء به على أصله. والثالث: أن يكون من قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾²، ومن قولك: «إن ضيعني فلان ففي الله كاف وكافل»³. فالظاهر من كلام الزمخشري أن الصرّ إذا اعتبر صفة للريح بمعنى فيها قرّة صرّ، كما يقال برد بارد يكون قد حذف الموصوف، وقامت الصفة مقامه، أما إذا اعتبر الصر مصدرا وليس صفة بمعنى فيها برد، يكون الكلام قد جاء على أصله، لكن إذا كان من قبيل قوله تعالى: ﴿ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ يكون من باب جعل الموصوف ظرفا مجازيا للصفة. وفي الشعر العربي الفصيح ما يشهد على صحة استعمال هذا الوجه، قال الشاعر:

[ولولاهنّ قد سويت مهري] وفي الرّحمان للضعفاء كافي⁴

وفيه يعتذر عن تخلفه عن الحرب خوفا على بناته أن يصيبهن مكروه مفوضا أمرهن إلى الله تعالى، وهو الكافي والكافل. والشاهد فيه قوله: «(في الرحمان كاف)» نحو: فيه صر بجعل الموصوف ظرفا للصفة أي: الرحمان كاف .

¹ - آل عمران من الآية 117.

² - الأحزاب من الآية 21.

³ - الكشاف ج 1 ص 361.

⁴ - البيت من الوافر لأبي خالد الخارجي في لسان العرب (كرم) والدر المصون 192/2.

إبدال الاسم الظاهر من الضمير:

قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ. الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا¹﴾.

قال الزمخشري: «الَّذِينَ قَالُوا» في إعرابه أوجه: أن يكون نصبا على الذم أو على الردّ على الذين نافقوا، أو رفعا على هم الذين قالوا، أو على الإبدال من واو يكتمون، ويجوز أن يكون مجرورا بدلا من الضمير في «بأفواههم»، أو «قُلُوبِهِمْ»². ويفهم من كلامه هذا أن محل الاسم الموصول «الذين» هو الرفع أو النصب أو الجر، فالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره هم الذين، أو على البذل من واو الجماعة في يكتمون، أما النصب على أنه مفعول به منصوب على الاختصاص بالذم، أي أذمّ الذين، أو على البذل من الذين نافقوا المنصوبة على أنها مفعول به ليعلم، أما الجر فعلى البذل من الضمير المتصل في أفواههم أو قلوبهم. والشاهد على إعراب الجر على البدلية من الضمير المتصل - وهو الشائع في كلامهم - قول الفرزدق:

[على حالة لو أن في القوم حاتما] على جوده لضمنّ بالماء حاتم³

إذ يقول: لو اعترى حاتما ما اعتراني لبخل بالماء، وهو المشهور بالجود والكرم. والشاهد فيه: إبدال الاسم الظاهر حاتم بالجر من الضمير المتصل في جوده المجرور بالإضافة وهذا له صلة في توجيه الإعراب في قوله تعالى: «الَّذِينَ قَالُوا» على إعراب الذين بالجر بدلا من الضمير المتصل (هم) بأفواه، أو قلوب.

¹ - آل عمران من الآيتين 167-168.

² - الكشاف ج.1 ص.398

³ - البيت من الطويل للفرزدق في شرح شذور الذهب ص245

عطف الظاهر على المضمرة: قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾¹.

ذكر الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية القراءات القرآنية لقوله تعالى ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ وما يترتب على ذلك من توجيه نحوي قال: «وقرئ ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ بالحركات الثلاث، فالنصب على وجهين، إما على واتقوا الله والأرحام، أو أن يعطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وينصره قراءة ابن مسعود «تسألون به وبالأرحام» والجر على عطف الظاهر على المضمرة وليس بسديد؛ لأن الضمير المتصل متصل كاسمه، والجار والمجرور كشيء واحد، فكانا في قولك: «مررت به وزيد» و«وهذا غلامه وزيد» شديدي الاتصال فلما اشتد الاتصال لتكرره أشبهه العطف على بعض الكلمة فلم يجز، وأوجب تكرير العامل كقولك: «مررت به ويزيد» و«هذا غلامه وزيد» ألا ترى إلى صحة قولك: «رايتك وزيدا» و«مررت بزيد وعمرو» لما لم يقو الاتصال لأنه لم يتكرر وقد تحمل لصحة هذه القراءة بأنها على تقرير تكرار الجار ونظيرها، «فَمَا بِكَ وَالْأَيَّامِ مِنْ عَجَبٍ»، والرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف كأنه قيل والأرحام كذلك على معنى والأرحام مما يتقى والأرحام مما يتساءل به»². فالظاهر أن كل قراءة من هذه القراءات الثلاث مرتكزة على توجيه نحوي معين له وجه في العربية، فالرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف، وقد وضح ذلك الزمخشري بما يغني عن الإعادة، والنصب على العطف على لفظ الجلالة المنصوب على المفعولية أو التحمل على موضع الجار والمجرور «به» كما تقول مررت بزيد وعمرا فعمرنا منصوب حملا على موضع زيد، أما الجر فبالعطف على المجرور في «به» أي: عطف الظاهر على المضمرة دون إعادة الجار قبلها، وهذا لا يجيزه البصريون، وهو ما عبر عنه الزمخشري بقوله: «وليس بسديد» وأنكره ابن يعيش فقال: «وذلك قبيح إنما يجوز في ضرورة الشعر دون حال الاختيار وسعة الكلام»³.

¹ - النساء من الآية 01.

² - الكشف ج 1 ص 420.

³ - شرح المفصل ج 2 ص 282.

ونظيره من الشعر :

[فاليوم قَرَّبْت تهجونا وتشتمنا فَاذْهَبْ] فما بكَ والأَيَّام من عجب¹

أي:ها أنت اليوم تشتمنا وتسبنا، وقد كنت بالأمس تتعم بخيراتنا فاذهب فتلك سمة اللثام وشيمة الأيام، فلا عجب من ذلك. والشاهد فيه:عطف الأيام على الضمير المجرور على تقدير تكرار الجار مع حذفه، أي: فما بك وبالأيام، وهو دليل على جوازه بدون إعادة الجار لفظاً، وإن منعه الجمهور من النحاة.

الاستثناء المنقطع:قال تعالى:﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾²

قال الزمخشري:«فإن قلت: كيف استثنى ما قد سلف مما نكح آبائكم؟ قلت:كما استثنى (غير أن سيوفهم) من قوله:(ولا عيب فيهم)، يعني إن أمكنكم أن تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فلا يحل لكم غيره، وذلك غير ممكن، والغرض المبالغة في تحريمه، وسد الطريق إلى إباحته كما يعلق بالمحال في التأييد في نحو قولهم:حتى يبيض القار، وحتى يلج الجمل في سم الخياط»³. ويفهم من خلال هذا الشرح أن الاستثناء في هذه الآية الكريمة منقطع «إذ لا يجامع الاستقبال الماضي، والمعنى أنه لما حرم عليهم أن ينكحوا ما نكح آبائهم دل على أن متعاطي ذلك بعد التحريم آثم، وتطرق الوهم إلى ما صدر منهم قبل النهي ما حكمه فقيل:إلا ما قد سلف،أي: لكن ما قد سلف، فلم يكن يتعلق به النهي فلا إثم فيه»⁴.وهو استثناء منقطع أيضا إذا اعتبر أن « المراد بالنكاح العقد الصحيح، وحمل إلا ما قد سلف على ما كان يتعاطاه بعضهم من الزنا فقال:إلا ما قد سلف من الآباء في الجاهلية من الزنا بالنساء فلذلك جائز لكم زواجهم في الإسلام »⁵.

¹ - البيت من البسيط للأعشى في خزانة الأدب 123/5.

² - النساء من الآية 22.

³ - الكشاف ج 1 ص 444.

⁴ - البحر المحيط ج 3 ص 217.

⁵ - الدر المصون ج 3 ص 636.

ويمكن اعتباره متصلاً «لأن المعنى ولا تتكحوا ما نكح آبائكم إلا اللائي مضين وفنين، وهذا محال وكونه محالاً لا يخرج عن الاتصال»¹. إلا أن الزمخشري يعتبره منقطعاً، وإن لم يصرح بذلك، لأنه اعتبره نظيراً لقول الشاعر :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم [بهن فلول من قراع الكتائب]²

فقوله: «غير أن سيوفهم» استثناء منقطع يدل على خلوص من يمدح من العيوب، وفي الوقت نفسه يؤكد شجاعتهم ويسالطهم، فهو تأكيد للمدح بما يشبه الذم إذ «أن الأصل في مطلق الاستثناء الاتصال، فذكر أداته قبل ذكر ما بعدها يوهم إخراج شيء مما قبلها، فإذا وليها صفة مدح، جاء التأكيد لما فيه من المدح والإشعار بأنه لم يجد صفة ذم يثبتها فاضطر إلى استثناء صفة مدح، وتحويل الاستثناء إلى الانقطاع»³. ومن جهة أخرى أن معنى هذا الاستثناء محاولة «إثبات شيء من العيب للممدوحين على تقرير كون فلول السيف من مضاربة الجيوش عيباً، فعلق نقيض المدعى، وهو إثبات شيء من العيب بالمحال، والمعلق بالمحال محال، فعدم العيب متحقق»⁴. والشاهد فيه: ما بين هذا الاستثناء الوارد في البيت الشعري، وبين الاستثناء الوارد في الآية الكريمة من صلة في الدلالة، وإن اختلفت .

وفي معرض تفسيره لقوله تعالى: «قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ»⁵ قال: «فإن قلت: لم رفع اسم الله، والله يتعالى أن يكون ممن في السموات والأرض قلت: جاء على لغة بني تميم، حيث يقولون ما في الدار أحد إلا حماراً، يريدون ما فيها إلا حماراً كان أحدًا لم يذكر»⁶. فالاستثناء منقطع على رأي الزمخشري، ومحمول على

¹ - الدر المصون ج3 ص 637.

² - البيت من الطويل للنابغة في ديوانه. تح. عباس عبد الساتر ص 32 .

³ - شرح أبيات المغني. البغدادي. تح. عبد العزيز رباح. ج 3 ص 16-17.

⁴ - المصدر نفسه ج3 ص 17.

⁵ - النمل من الآية 65.

⁶ - الكشف ج3، ص335.

لغة بني تميم « وملخصه أنه يقول لو نصب لكان مندرجا تحت المستثنى منه، وإذا رفع كان بدلا، والمبدل منه في نية الطرح، فصار العامل كأنه مفرغ له؛ لأن البدل على نية تكرار العامل فكأنه قيل: قل لا يعلم الغيب إلا الله»¹ ومنه قول الشاعر:

عَشِيَّةَ مَا تُغْنِي الرَّمَاحُ مَكَانَهَا وَلَا النَّبْلُ إِلَّا المَشْرِفِيُّ المُصَمَّمُ²

أي: أن هذه العشية كانت فاصلة ليس فيها ما يغني إلا السيف النافذ، حيث كانت عادة كانت المتحاربين أن يستعملوا السهام عند التباعد، فإذا تقاربوا استعملوا الرماح، فإذا التقوا تضاربوا بالسيوف. والشاهد فيه: الاستثناء المنقطع بعد النفي على البدل، أو على توهم أن المستثنى منه غير مذكور، وأن العامل مفرغ لما بعد إلا. أي: ما يعنى إلا المشرفي. وقد برر اختياره لغة بني تميم بقوله: «فإن قلت ما الداعي إلى اختيار المذهب التميمي على الحجازي قلت دعت إليه نكتة سرية حيث أخرج المستثنى مخرج قوله: إلا اليعافير بعد قوله: ليس بها أنيس، ليؤول المعنى إلى قولك: إن كان الله ممن في السموات والأرض فهم يعلمون الغيب. يعني أن علمهم الغيب في استحالة كاستحالة أن يكون الله منهم، كما أن معنى ما في البيت³: أن كانت اليعافير أنيسا ففيها أنيس بنًا للقول بخلوها من الأنيس»⁴.

كما ذكر عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (19) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (20)﴾⁵ أن: «﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ﴾ مستثنى من غير جنسه، وهو النعمة. أي: ما لأحد عنده نعمة إلا ابتغاء ربه، كقولك: ما في الدار أحد إلا حمارا، وقرأ يحيى بن ثابت: «(إلا ابتغاء وجه ربه) بالرفع على لغة من يقول ما في الدار أحد إلا حمار... ويجوز أن يكون ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ﴾ مفعولا له على المعنى؛ لأن معنى الكلام: لا يؤدي ماله إلا

¹ - البحر المحيط ج7، ص86.

² - البيت من الطويل لضرار بن الأزور في تذكرة النحاة. لأبي حيان. تح. عفيف عبد الرحمن. مؤسسة الرسالة. ط1. بيروت 1986 ص330 .

³ - البيت: وبلدة ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيس

⁴ - الكشاف ج3، ص335.

⁵ - الليل الآيتان 19-20.

ابتغاء وجه ربّه لا لمكافأة نعمة¹. فالملاحظ أن ﴿ابْتِغَاءً﴾ في نصبه وجهان: إما منصوب على أنه مفعول له على المعنى، وإما أنه منصوب على الاستثناء المنقطع، حيث المستثنى ليس من جنس المستثنى منه. فابتغاء لا يندرج تحت جنس ﴿مِنْ نِعْمَةٍ﴾ وهذه هي قراءة العامة. أما من قرأ بالرفع فهو على البديل من محل ﴿مِنْ نِعْمَةٍ﴾ والتي محلها الرفع على الابتداء، ومِنْ حرف جر زائد، «والبديل لغة تميم؛ لأنهم يُجرون المنقطع في غير الإيجاب مجرى المتصل»². وقد أنشد الزمخشري بالوجهين النصب والرفع على البديل:

1- قال البشير بن أبي خازن :

أضحت خلاءً قفارا لا أنيسَ بها إلا الجآذرَ والظلمانَ تختلِفُ³
واصفا الديار بأنها أصبحت قفرا خلاء، إلا أولاد الظباء والنعام تردّد بها. والشاهد فيه:
نصب الجآذر على الاستثناء المنقطع، أو بالرفع على البديل من الضمير المستتر في
الخبر، كما في لغة تميم .

2- وقال عامر بن حارث :

وبلدة ليس بها أنيسٌ إلا العيافيرُ وإلا العيس⁴
أي: أن البلدة خلت من كل ساكن إلا الظباء والإبل. والشاهد فيه: رفع العيافير بدل من
أنيس على لغة تميم في الاستثناء المنقطع بعد النفي.

حذف الموصوف: فقال الله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾⁵.

قال أبو حيان إن حذف الموصوف: «ظاهره الانقطاع في الإعراب عن ما قبله، فيكون

¹ - الكشاف ج 4، ص 655.

² - الدرّ المصون ج 11، ص 32.

³ - البيت من البسيط لبشير بن أبي حازم في الدر المصون ج 11، ص 32.

⁴ - البيت من الرجز لعامر بن الحارث في الدر المصون ج 11، ص 33.

⁵ - النساء من الآية 46.

على حذف موصوف، هو مبتدأ ومن الذين خبره، والتقدير من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم، وهذا مذهب سيبويه وأبي علي وحذف الموصوف بعد «(من)» جائز وإن كانت الصفة فعلا، كقولهم: «منا ظعن ومنا أقام، أي منا نفر ظعن ومنا نفر أقام»¹. وهذا ما أشار إليه الزمخشري بقوله: «ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ على أن ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ صفة مبتدأ محذوف تقديره: من الذين هادوا قوم يحرفون»². وظاهرة حذف الموصوف لها شواهدا من كلام العرب نثرهم وشعرهم إذ يقول ابن مقبل :

وما الدهرُ إلا تارتان فَمِنْهُمَا أَمُوتُ وَأُخْرَى أَبْتَغِي العَيْشَ أَكْدُحُ³

إذ يتحدث عن الدهر فيجعله تارة فراقا للحياة، وتارة أخرى حياة للكدح. والشاهد فيه: حذف الموصوف أي تارة أموت، والتقدير: أموت فيها، وتارة أخرى أبتغي فيها العيش. والصلة بين الآية وبين البيت واضحة مما يؤيد جواز ما ذهب إليه الزمخشري من تقدير المحذوف في الآية الكريمة.

المخالفة الإعرابية على نية التقديم والتأخير:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾⁴.

قال الزمخشري: «﴿وَالصَّابِئُونَ﴾ رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما في حيز إن من اسمها وخبرها»⁵. ثم بين فائدة هذا التقديم فقال: «فأندته التثنية على الصابئين يتاب عليهم إن صحّ منهم الإيمان والعمل الصالح، فما الظنّ بغيرهم، وذلك أنّ

¹ - البحر المحيط. لأبي حبان. ج3 ص 273

² - الكشاف ج 1 ص 463

³ - البيت من الطويل لابن مقبل في لسان العرب (كدح)

⁴ - المائدة، الآية 69.

⁵ - الكشاف، ج1، ص 579.

الصَّابِئِينَ أَبِين هؤُلاءِ المعدودين ضلالاً وأشدَّهم غيًّا»¹. هذا هو الوجه المختار الَّذِي ذهب إليه سيبويه² في إعراب ﴿وَالصَّابِئُونَ﴾ نحو: «إِنَّ زَيْدًا وَعَمْرُو قَائِمٌ»، وهو الَّذِي اختاره الزمخشري أيضاً، وهناك أوجه أخرى في إعرابها أوصلها بعضهم إلى سبعة أوجه منها: أَنْ ﴿الصَّابِئُونَ﴾ معطوف على موضع اسم إنَّ، أو عطف على الضمير المرفوع في هادوا، أو اعتبار أَنْ ﴿إِنَّ﴾ بمعنى نعم، وما بعده مرفوع بالابتداء، ومنه فالصابئون معطوف على ما قبله. وقد أنشد سيبويه³ البيت الآتي شاهداً على الوجه المختار من لدنه ومن أستاذه الخليل وجمهور البصريين وأتباعهم:

وإِلَّا فاعلموا أَنَّا وأنتم بغاة ما بقينا في شقاق⁴

والشاهد فيه: التقديم والتأخير حيث تقديره: أَنَّا بغاة وأنتم كذلك، فحذف خبر أنتم لدلالة خبر إن عليه حيث لا يصح عطف أنتم على أَنَّا؛ لأنَّه ضمير رفع، وما قبله ضمير نصب وكان من المفترض أن يقول: فاعلموا أَنَّا وإياكم...ولهذا كان لا مفر من المخالفة الإعرابية وتقدير التقديم والتأخير؛ لأنَّ غرض الشاعر من تقديم قوله: وأنتم تنبئها على أن معارضيتهم أوغل في الوصف بالبغي من قومه، حيث عاجل به قبل ذكر الخبر «بغاة» وفي البيت ما يدل على موقع ﴿الصَّابِئُونَ﴾ في الآية الكريمة.

العلم المنادى الموصوف بابن مضاف إلى علم آخر:

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾⁵.

قال الزمخشري: «﴿يَا عِيسَى﴾ في محلِّ النَّصب على إتياع حركة الابن كقولك يا زيد

¹ - الكشاف ، ج 1، ص 580.

² - الكتاب، ج 2، ص 155.

³ - المصدر نفسه ، ج 2، ص 156.

⁴ - البيت من الوافر لبشر بن خازم الأسدي في تخلص الشواهد ص 373 وخزانة الأدب ج 10 ص 293

⁵ - المائدة، من الآية 112.

بَنَ عمرو، وهي اللّغة الفاشيّة، ويجوز أن يكون مضموما كقولك: يا زيدُ بَنَ عمرو والدليل عليه قوله:

أحارُ بَنَ عمرو كأني خَمِرٌ ويبدو على المرء ما يَأْتِمِرُ¹
لأنّ الترخيم لا يكون إلاّ في المضموم»². ومن المعلوم المطرد أنّ المنادى إذا كان علما مفردا موصوفا ب «ابن» مضافا إلى علم غير مفصول بين المنادى، وبين ابن بفاصل جاز في المنادى وجهان:

- الفتح اتّباعا لحركة ابن في محل نصب نحو: يا زيدَ بَنَ عمرو، وهي اللّغة المشهورة.

- البناء على الضمّ في محلّ نصب نحو: يا زيدُ بَنَ عمرو.

وقد دلّل الزمخشري: على عربيّة الوجه الثّاني بقول أوس بن حجر: أحار بن عمرو... حيث الهمزة للنداء وحارٌ مرخم أصله: حارث ضمّت راؤه بضمة ثائه المحذوفة للترخيم الذي لا يكون إلاّ في المضموم، وهو موضع الشّاهد كدليل على جواز الضمّ في العلم المفرد الموصوف بابن مضاف إلى علم غير مفصول بين المنادى وابن بفاصل، كقوله تعالى: ﴿يا عيسى ابنَ مريم﴾.

الفصل بين الفعل والفاعل:

قال الله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنِّي يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾³.
قال الزمخشري: «قرئ: ولم يكن له صاحبة بالياء وإنّما جاز للفصل»⁴. إذا كان الجمهور على قراءة ﴿تَكُنْ﴾؛ لأنّ ﴿صَاحِبَةً﴾ مؤنّث حقيقي. فإنّ من قرأ بتذكير الفعل إنّما جاز ذلك للفصل بالجار والمجرور ﴿لَهُ﴾ بين الفعل الناقص ﴿تَكُنْ﴾ واسمها ﴿صَاحِبَةً﴾ باعتبار أنّ الفاصل قد سدّ مسدّ علم التانيث. كقول جرير:

¹ - البيت من المتقارب لأوس بن حجر في ديوانه. تح. محمد يوسف. دار بيروت للطباعة. دط. بيروت 1980 ص 31.

² - الكشاف، ج 1 ص 605-606.

³ - الأنعام، من الآية 101.

⁴ - الكشاف، ج 1، ص 648.

لقد ولد الأخطيل أمَّ سَوء [على باب استِه صُلبٌ وَشَامٌ]¹
 البيت من شعر النقائض يهجو فيه الأخطل فيصغره تحقيرا له، ويجعله مولودا لأمِّ
 سوء. والشاهد فيه: تذكير الفعل مع أنّ الفاعل مؤنث حقيقي أمَّ سوء، والذي أجاز ذلك
 هو الفصل بين الفعل وفاعله بالمفعول به: «الأخطيل».

الانتصاب على الظرفية: قال الله تعالى: ﴿قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتِي لِأَفْعَدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ
 الْمُسْتَقِيمَ﴾²

قال الزمخشري: «لأعترضنَّ لهم على طريق الإسلام، كما يعترض العدو على الطريق
 ليقطعه على السابلة. وانتصابه على الظرف كقوله: «كما عسل الطريق الثعلب» وشبهه
 الزجاج بقولهم: ضرب زيد الظهرَ والبطن، أي: على الظهر والبطن»³. ويضيف السمين
 الحلبي وجها ثالثا لإعراب ﴿صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ مرجحا إياه على الوجهين المذكورين في
 كلام الزمخشري أي: الانتصاب على الظرفية، أو على نزع الخافض. وهو التّصّب على
 المفعول به لأنّ الفعل أقعدنَّ وإن كان لازما فقد ضمن معنى فعل متعدّد والتقدير لألزم
 صراطك المستقيم والظاهر أنّ الزمخشري مع الانتصاب على الظرفية، وتقديره لأقعدن
 لهم في صراطك وهو الوجه الذي ضعفه أكثر من نحويّ؛ لأنّ صراطك ظرف مكان
 مختصّ، والمعلوم أنّ ظرف المكان المختصّ لا يصل إليه الفعل بنفسه بل بـ «في» نحو:
 نمت في السوق، ولا نقول نمت السوق، وما ورد غير ذلك يعتبر شاذّا أو للضرورة. ومن
 باب الضرورة أو من باب تشبيه المختصّ بالمبهم، والذي جعله الزمخشري نظيرا للآية في
 نصب المكان المختصّ. قول ساعدة بن جؤية:

لَدُنْ بِهِزْ الكفِّ يعسِلُ متئُهُ فيه] كما عسل الطريق الثعلبُ⁴

¹ - البيت من الوافر لجرير في ديوانه. تأليف عبد الله الصاوي. ص 515

² - الأعراف، الآية 16.

³ - الكشاف، ج 2، ص 10.

⁴ - البيت من الكامل لساعدة بن جؤية في الخصائص ج 3. ص 319

يصف رمحا بأنه لين يضطرب منته في الكف لهزه، كما اضطرب الثعلب في الطريق. والشاهد فيه: نصب الطريق على الظرفية المكانية المقدرة مع أنه ظرف مكان مختص وكان من المفروض أن يقول: في الطريق وهو ما يريد الزمخشري مطابقته على الآية الكريمة واعتبار: انتصاب صراطك على الظرفية المكانية المقدرة.

حكم الرباط بعد كل اسم ظاهر مسبق بضمير حاضر:

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (61) أَبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾¹

قال الزمخشري: « فإن قلت: كيف موقع قوله: ﴿أَبَلِّغُكُمْ﴾ قلت: فيه وجهان أحدهما: أن يكون كلاما مستأنفا بيانه لكونه رسول رب العالمين. والثاني أن يكون صفة لـ ﴿رَسُولٌ﴾ فإن قلت: كيف جاز أن يكون صفة والرسول لفظه لفظ الغائب؟ قلت: جاز ذلك؛ لأن الرسول وقع خبرا عن ضمير المخاطب، وكان معناه، كما قال: «أنا الذي سمّيتي أمي حيدر». ² وقال صاحب الدر المصون: «وقوله تعالى: ﴿أَبَلِّغُكُمْ﴾ يجوز أن تكون جملة مستأنفة أتى بها لبيان كونه رسولا، ويجوز أن تكون صفة لرسول، ولكنّه راعى الضمير السابق الذي للمتكلّم، فقال: ﴿أَبَلِّغُكُمْ﴾ ولو راعى الاسم الظاهر بعده لقال: بيلّغكم. والاستعمالان جائزان في كل اسم ظاهر سبقه ضمير حاضر من متكلّم أو مخاطب فتحذر لك فيه وجهان: مراعاة الضمير السابق، وهو الأكثر، ومراعاة الاسم الظاهر فنقول: «أنا رجل أفعل كذا» مراعاة لـ «أنا»، وإن شئت «أنا رجل يفعل كذا» مراعاة لـ «رجل»، ومثله أنت رجل تفعل، ويفعل بالخطاب والغيبة وقوله: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾³. جاء على الأكثر ومثله ما لو وقع بعد الضمير موصول نحو: أنا الذي فعلت وفعل، وأنت الذي فعل

¹ - الأعراف، الآيتان 61-62.

² - الكشف ج2. ص28

³ - النمل، من الآية 47.

وفعلت¹. فكلّ ما في الأمر أنّه إذا سبق الاسم الظاهر بضمير متكلّم أو مخاطب، فإنّ ما بعدهما جاز فيه وجهان: إمّا مراعاة الضمير السابق وهو الأكثر، أو مراعاة الاسم الظاهر فنقول: أنا رجل فعلت أو فعل، أو أنا الذي فعلت أو فعل، وقد جاءت الآية الكريمة على الأكثر فقال تعالى: ﴿أَبْلُغْكُمْ﴾ مراعاة لضمير المتكلّم المتصل بلكّتي، ولو راعى الاسم الظاهر ل قيل: «ببلاغكم» وما يؤكّد هذا الاستعمال اللّغوي عربيًا قول الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه:

أنا الذي سمّنتي أمّي حيدره²

مفتخرا بشجاعته منذ أن كان صبيًا سمّته أمّه فاطمة بنت أسد بحيدره كاسم أبيها وسمّاه أبوه أبو طالب عليًا، وفي كلا الاسمين مفخرة. والشاهد فيه: قوله سمّنتي أمّي مراعاة لضمير المتكلّم «أنا» ولو راعى الاسم الموصول الذي لقال: «سمّته أمّه» وذكر المرزوقي أنّ «الوجه سمّته حتّى لا يعرّى الصلّة من ضمير الموصول، قال أبو عثمان المازني: لولا صحّة مورده وتكرّره لرددته»³.

جريان الخبر على غير ما هو له:

قال الله تعالى: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾⁴

ذكر الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية الكريمة: «﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ﴾ كقوله: «قوم إذا الخيل جالوا في كواثبها» في أنّ الخبر جار على غير ما هو له، ويجوز أن يراد بالإخوان: الشياطين ويرجع الضمير المتعلّق به إلى الجاهلين، فيكون الخبر جاريا على ما هو له، والأوّل أوجه، لأنّ إخوانهم في مقابلة الذين اتّقوا»⁵. وتأويل ذلك كما ذكره صاحب

¹ - الدرّ المصون، ج 5، ص 356.

² - الرّجز للإمام عليّ رضي الله في لسان العرب. مادة (حدر)

³ - شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي. تح أحمد أمين وعبد السلام هارون. ج 1. ص 115.

⁴ - الأعراف، الآية 202.

⁵ - الكشاف، ج 2، ص 93.

الدرّ المصون: «أَنَّ الضَّمِيرَ فِي إِخْوَانِهِمْ يَعُودُ عَلَى الشَّيَاطِينِ... وَالضَّمِيرَ الْمَنْصُوبَ فِي ﴿يَمْدُونَهُمْ﴾ يَعُودُ عَلَى الْكُفَّارِ، وَالْمَرْفُوعَ يَعُودُ عَلَى الشَّيَاطِينِ أَوْ الشَّيْطَانِ وَالتَّقْدِيرُ: وَإِخْوَانِ الشَّيَاطِينِ يَمْدُهُمُ الشَّيَاطِينُ، وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ، فَالْخَبْرُ جَارٌ عَلَى غَيْرِ مَنْ هُوَ لَهُ فِي الْمَعْنَى أَلَا تَرَى أَنَّ الْإِمْدَادَ مُسْنَدًا إِلَى الشَّيَاطِينِ فِي الْمَعْنَى، وَهُوَ فِي اللَّفْظِ خَبْرٌ عَنِ إِخْوَانِهِمْ»¹. وقد استشهد على وجاهة هذا التّأويل كلّ من الزمخشري، والسّمين الحلبي وأبي حيّان بقول الشّاعر:

قومٌ إذا الخيل جالوا في كَوَائِبِهَا [فوارس الخيل لا ميل ولا قدم]²

أي: هم قوم فرسان إذا الخيل اندفعت في جريها ثابتون عليها، لا مائلون عن ظهورها ولا عاجزون، كأنّ أيديهم مغلولة. والشّاهد فيه: جريان الخبر على غير ما هو له حيث ضمير «جالوا» للقوم، وهو خبر للخيل.

عطف المصدر المؤول على المصدر الصّريح:

قال الله تعالى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾³.

ذكر الزمخشري في تفسير هذه الآية أنّه قرئ: «أو آوي بالنّصب بإضمار أن كأنه قيل لو أنّ لي بكم قوّة أو أويًا»⁴. وهذا يعني أنّ المصدر المؤول «أن آوي» معطوف على المصدر الصّريح قبله، وهو قُوَّةٌ. ذلك «أنّ الفعل إذا تقدّمه اسم ولم يُسغ عطفه عليه اضطر معه إلى إضمار أن ليفيد معاً معنى المصدر، فيعطف المصدر الذي هو اسم على الاسم الذي قبله»⁵. وقد استشهد الزمخشري على العطف على المصدر بقولها:

¹ - الدرّ المصون، ج 5، ص 548.

² - البيت من البسيط لزياد بن منقذ في البحر المحيط .ج.4. ص448

³ - هود، الآية 80.

⁴ - الكشاف، ج2، ص 279.

⁵ - سر صناعة الإعراب. لابن جني. ج 1. ص273

للبس عباءة وتقرّ عيني [أحبّ إليّ من لبس الشفوف]¹
 إذ تقول: للبس عباءة خشنة من الصّوف وقرّة عيني مع راحة البال، أحبّ إليّ من لبس
 الثياب الناعمة. والشاهد فيه: قولها (وتقرّ) فهو منصوب بأن مضمرة بعد واو المعية
 والمصدر المؤول من أن والفعل معطوف على لبس.

الوصف بالمصدر: قال الله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾².

قال الزمخشري: ﴿بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ ذي كذب، أو وصف بالمصدر مبالغة كأنه نفس الكذب
 وعينه كما يقال للكذاب: هو الكذب بعينه، والزور بذاته³. فالملاحظ أن ﴿كَذِبٍ﴾ هو من
 الوصف بالمصدر على سبيل المبالغة، أو على حذف مضاف أي ذي ذنب. وقد استشهد
 الزمخشري على احتمال أنه وصف بالمصدر. بقول الشاعر:

[ففيهنّ فضل قد عرفنا مكانه] فهنّ به جودٌ وأنتم به بخل⁴

يصف من يتحدّث عنهم بالجود، بل يجعلهم من الجود نفسه، ويصف مخاطبيه
 بالبخل ويجعلهم البخل نفسه. والشاهد فيه: الوصف بالمصدر (جود، بخل)، وفي هذا ما
 يتّصل بقوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾.

الضمير العائد: قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾⁵.

ذكر الزمخشري فيما يخصّ عودة الضمير (له) على الأنعام: «ويجوز أن يقال في الأنعام
 وجهان: أحدهما أن يكون تكسير نَعَم كأجبال في جبل، وأن يكون اسماً مفرداً مقتضياً
 لمعنى الجمع كنعم، فإذا دُكّر، فكما يذكر نَعَم في قوله:

في كلّ عامٍ نَعَمٌ تَحْوُونَهُ يُلْحِقُهُ قَوْمٌ وَتَنْتَجُونَهُ⁶

¹ - البيت من الوافر، لميسون بنت لجدل في سرّ صناعة الإعراب ج1. ص273. ولسان العرب (مسن)

² - يوسف، من الآية 18.

³ - الكشاف، ج 2. ص308

⁴ - البيت من الطويل بلا نسبة في أساس البلاغة (جود).

⁵ - النحل، من الآية 66.

⁶ - البيت من الرجز لصبيّ من بني أسد اسمه قيس بن الحصين الحارثي في الكتاب لسيبويه. ج1. ص129

وإذا أنث ففيه وجهان: أنه تكسير نعم، وأنه في معنى الجمع¹. وذكر صاحب التحرير والتنوير أن «إفراد ضمير الأنعام في قوله تعالى: ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ مراعاة لكون اللفظ مفرداً؛ لأن اسم الجمع لفظ مفرد، إذ ليس من صيغ الجموع، فقد يراعى اللفظ فيأتي ضميره مفرداً، وقد يراعى معناه فيعامل معاملة الجموع، كما في آية سورة المؤمنون: ﴿نُسْفِكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾² و«³». ويفهم من هذا كله أن تذكير أو تأنيث العائد في قوله تعالى: ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ متعلق بمراعاة اللفظ أو المعنى، فإذا روعي اللفظ ذكّر باعتبار لفظ الأنعام اسماً مفرداً مقتضياً لمعنى الجمع كنعم، والنعم اسم جمع فهو مفرد، مذكر وإذا أنث فبمراعاة المعنى فيعامل معاملة الجموع. وقد استشهد الزمخشري على تذكير الأنعام في الآية الكريمة بالبيت السابق، حيث ذكر الشاعر النعم، وأعاد إليه الضمير المفرد المذكر (هـ) إذ يقول: «البيت السابق» ومعناه: أيها اللصوص في كل سنة ما قام على إلحاقه من النوق قوم تنتجونه أنتم، وكأنهم يفعلون ما يفعلون من أجل سطوكم ونهبكم. والشاهد فيه: نعم وعودة الضمير عليه مذكّر اللفظ.

مَنْ نَكْرَةٌ مَوْصُوفَةٌ:

قال ابن يعيش «من اسم مبهم يقع على نوات ما يعقل»⁴. وتكون موصولة بمعنى الذي وتكون استفهاماً وتقع للمجازاة، وتكون نكرة موصوفة. ومن هذا الموضع قوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾⁵.

قال الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية: «مَنْ موصوفة لأنها وقعت بعد "كل" نكرة

¹ - الكشاف، ج 2، ص 446.

² - المؤمنون من الآية 21

³ - التحرير والتنوير، ج 14، ص 202.

⁴ - شرح المفصل ج 2، ص 410.

⁵ - مريم الآية 93.

وقوعها بعد رُبَّ¹ ﴿فَمَنْ﴾ في هذه الآية الكريمة نكرة موصوفة، وصفتها الجار والمجرور بعدها، والعلّة في ذلك أنها وقعت بعد اسم نكرة ﴿كُلُّ﴾ وقوعها بعد رب كما قال الشاعر:

رُبَّ مَنْ أَنْضَجَتْ غَيْضًا صَدْرَهُ [قد تمنى لي موتا لم يطع]²

أي: رب شخص أنضجت قلبه من حر غيظه منّي، قد تمنى لي الموت، ولكن لم يواته القدر. والشاهد فيه: وصف (من) بجملة أنضجت، وهي نكرة؛ لأنها وقعت بعد رب؛ لأن ربّ لا تجر إلا النكرات. كما وقعت في الآية الكريمة بعد كل، وقد وصفت بالجار والمجرور بعدها ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾.

أوجه إعراب سيرتها: قال الله تعالى: ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سُنْعِيهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾³ ذكر الزمخشري: «في معرض تفسيره لهذه الآية الكريمة أن سيرتها» يجوز أن ينتصب على الظرف، أي سنعيها في طريقها الأولى، أي: في حال ما كانت عصا، وأن يكون أعاد منقولا من عاده من معنى عاد إليه... فيتعدى إلى مفعولين ووجه ثالث حسن، وهو أن يكون ﴿سُنْعِيهَا﴾ مستقلا بنفسه غير متعلق بسيرتها... ونصب سيرتها بفعل مضمّر أي تسير سيرتها الأولى»⁴. يفهم من هذا أن قوله تعالى ﴿سِيرَتَهَا﴾ في نصبها أوجه أحدهما: أن تكون منصوبة على الظرف أي: في سيرتها، الثاني: أنها منصوبة على إسقاط الخافض أي إلى سيرتها؛ فيكون عاد قد تعدى إلى مفعولين. ومنه قول الشاعر:

[فصّرَمَ حَبْلَهَا إِذْ صرَّمَتْه] وَعَادَكَ أَنْ تَلَاقِيَهَا الْعَدَاءُ⁵

أي: اقطع حبلها إذا قطعته وشغلت بالبعاد عما تصنع لك. والشاهد فيه: تعدى — الفعل عاد إلى مفعولين. حيث تعديته إلى (أن تلاقيا) بإسقاط الخافض، والثالث: نصبها بفعل مضمّر تسير سيرتها الأولى.

¹ - الكشف ج3، ص43.

² - البيت من الطويل للأعشى في شرح شذور الذهب لابن هشام. تح محمد محيي الدين عبد الحميد. ص131.

³ - طه الآية 21.

⁴ - الكشف ج3، ص54.

⁵ - البيت من الوافر لزهير في ديوانه ص15

الجملة الاستثنائية: قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا﴾¹.

ذكر الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية الكريمة أن قوله تعالى: ﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا﴾ دليل على «أنهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو»². بعد الذي قالوه. وأن «هذه الجملة في حسن استثنائها غاية»³ إذا معناها «ما أشد استكبارهم! وما أكثر عتوهم!»⁴ من غير لفظ تعجب، ونحوها قول الشاعر في جمال الاستئناف:

وجارة جَسَّاسٍ أَبَانَا بِنَابِهَا كَلِيبًا غَلَّتْ نَابٌ كَلِيبٌ بَوَاؤُهَا⁵
 إذ يقول: لقد كان قتل كليب لقاء قتله ناقة البسوس خالة جساس، ما أعلى ناقة كفؤها كليب نفسه. والشاهد فيه: الجملة الاستئنافية «غلت ناب كليب بواؤها» ومعناها ما أعلى ناباً بواؤها كليب!

صرف سباً ومنعها: قال الله تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾⁶.

قال الزمخشري: «سبأ قرئ بالصرف ومنعه، وقد روي بسكون الباء. وعن ابن كثير في رواية سبأ بالألف كقولهم ذهبوا أيدي سبأ، وهو من سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، فمن جعله اسماً للقبيلة لم يصرف، ومن جعله اسماً للحَيِّ أو الأب الأكبر صرف»⁷. ويتضح من هذا أن صرف «سبأ» أو منعها متعلق بالسياق الواردة فيه، فإن جعل اسماً

¹ - الفرقان من الآية 21.

² - الكشاف ج3، ص239.

³ - المصدر نفسه ج3، ص239.

⁴ - البحر المحيط ج6، ص451.

⁵ - البيت من الطويل لرجل من بني بكر. في الكشاف ج3، ص239

⁶ - النمل الآية 22.

⁷ - الكشاف ج3، ص318.

للقبيلة لم يصرف للعلمية والتأنيث، وإن جعل اسماً للحيّ أو الأب صرف. ويؤكد ذلك ما سمع عن العرب: إذ يقول الشاعر:

من سباً الحاضرين مأرب إذ بيئون من دون سيئله العرماً¹

يتحدث عن سباً وما كان منهم من حضور مأرب وبناء سدها العظيم. والشاهد فيه: سباً علم للقبيلة؛ ولذا منعت من الصرف.

1. قال الشاعر:

الواردون وتيم في ذرى سباً قد عضّ أعناقهم جلد الجواميس²

يتحدث الشاعر عن سيقوا إلى سبأهم، ومعهم تيم، والأغلال في أعناقهم. والشاهد فيه: صرف سباً باعتبارهما اسماً للحي.

حذف المنادي: قال الله تعالى: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ﴾³.

الزمخشري: «من قرأ بالتشديد ﴿أَلَا﴾ أراد: فصدّهم عن السبيل لئلا يسجدوا فحذف الجار مع أن [أي: إلى أن لا يسجدوا]، ويجوز أن تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون إلى أن يسجدوا. ومن قرأ بالتخفيف فهو ألا يسجدوا ألا للتنبيه، وباء حرف النداء. ومناداه محذوف كما حذفه من قال:

ألا يا اسلمي يا درامي على البلى [ولا زال منهلاً بجرعائك القطر] ⁴ ⁵

وفي هذا البيت يدعو الشاعر لدار سلمى بالبقاء وعدم الزوال، كما يدعو لها بالسقيا حتى تظل أهلة عامرة بأهلها. والشاهد فيه: ألا يا اسلمي حيث ياء النداء دخلت على الأمر، والمنادى بعدها محذوف، وألا للتنبيه كمن قرأ ﴿أَلَا يَسْجُدُوا﴾ بالتخفيف.

¹ - البيت من المنسرح للنابغة الجعدي في ديوانه ص 134.

² - البيت من البسيط لجرير في ديوانه ص 130.

³ - النمل من الآية 25.

⁴ - البيت من الطويل لذي الرمة في شرح قطر الندى لابن هشام. تح. محمد محيي الدين عبد الحميد. ص 140.

⁵ - الكشاف ج 3، ص 320.

التقديم البديع في الجملة الاسمية: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرَ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ﴾¹

قال الزمخشري: «فإن قلت كيف جعل ﴿خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرَ﴾ اسما لـ إن، والقوي الأمين خبراً قلت هو مثل قوله:

ألا إن خير الناس حياً وهالكا أسيرُ ثقيف عندهم في السلاسل²»³

حيث إذا قارنا بين الآية الكريمة، والبيت الشعري نجد أن الآية الكريمة اشتملت على تقديم من أبداع ما يكون، إضافة إلى الإيجاز والتعميم، حيث قدّم ما هو أولى بالتقديم ﴿خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرَ﴾، وجعل اسما لـ أن وهو خبر «لأن الجملة سيقّت مساق التعليل لجملة: ﴿اسْتَأْجَرَ﴾، فوصف الأجير أهم في محل تعليلها، ونفس السامع أشد ترقباً لحاله. ومجيء هذا العموم عقب الحديث عن شخص معين يؤذن بأن المتحدث عنه ممن شمله ذلك العموم، فكان ذلك مصادفاً المحزّ من البلاغة إذ صار إثبات الأمانة والقوة لهذا المتحدث عنه إثباتاً للحكم بدليل. فتقدير معنى الكلام: استأجره فهو قوي أمين، وإن خير من استأجرت مستأجر القوي الأمين فكانت الجملة مشتملة على خصوصية تقديم الأهم، وعلى إيجاز الحذف، وعلى المذهب الكلامي* وبذلك استوفت غاية مقتضى الحال فكانت بالغة حد الإعجاز»⁴. وفي البيت أيضاً ما هو أولى بالتقديم، فجعل خير الناس اسم أن، وهو مضاف إلى المعرف بأل، وجعل أسير ثقيف، وهو مضاف إلى العلم والمضاف إلى العلم أعرف فصار خبرها أعرف من اسمها، وكان الأصل العكس تماماً، ولكن قدم الاسم بغض النظر عن رتبته في التعريف للاهتمام به، فهو من هذا المنظور تقديم بديع

¹ - القصص من الآية 26.

² - البيت من الطويل لأب الشغب العبسي. في الكشف. ج 3. ص 359

³ - الكشف ج 3، ص 359.

* المذهب الكلامي: أن يأتي الأديب البليغ على صحة دعواه وإبطال دعوى خصمه بحجة عقلية برهانية أو دونها (البلاغة العربية ص 446)

⁴ - التحرير والتنوير ج 20، ص 106.

أيضا. فهذا هو المثل والنظير الذي أشار إليه الزمخشري بقوله: هو مثل قوله، وهو الشاهد فيه.

من أسماء الأصوات: قال الله تعالى: ﴿وَيَكَاَنُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾¹

قال الزمخشري: ﴿وَيُ﴾ مفصولة عن كَأَنَّ، وهي كلمة تنبّه عن الخطأ وتندّم. ومعناه أن القوم قد تنبّهوا على خطئهم في تمنيههم وقولهم ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونَ﴾، وتندموا ثم قالوا: ﴿وَيَكَاَنُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾، أي: ما أشبه الحال بأن الكافرين لا ينالون الفلاح، وهو مذهب الخليل وسيبويه². وقال في مفصله: «ومن الأصوات قول المتندّم والتعجب ((وي)) يقول ((وي ما أغفله)) ويقال: ((وي لَمَّه)) ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَكَاَنُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾»³.

فمذهب سيبويه والخليل⁴ أن ((ويكأن)) مركبة من ((وي)) ومعناها: أعجب، ومن كَأَنَّ وهي هاهنا لا يراد بها التشبيه، بل القطع واليقين. ويشهد على ذلك قول الشاعر وهو من شواهد الكتاب:

وي كَأَنَّ من يكن له شنبٌ يُحْ — بَب ومن يفتقر يعش عيشَ ضُرٌّ⁵

يقول منبها على حال الدنيا متعجبا منها حيث الناس يحبون ذا المال، فإذا ما افتقر انصرفوا عنه، وتركوه ليعيش عيش مذلة وعذاب وهوان. والشاهد فيه: ((وي)) اسم فعل مضارع بمعنى أعجب منفصلة عن كَأَنَّ. وذكر الزمخشري أيضا أن: «عند الكوفيين أن ((ويك)) بمعنى وَيْلَكَ وَأَنَّ المعنى ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون، ويجوز أن تكون الكاف كاف الخطاب مضمومة إلى ((وي))»⁶ كما جاء في قول الشاعر:

¹ - القصص من الآية 82

² - الكشاف ج3، ص385.

³ - شرح المفصل ج3، ص87.

⁴ - الكتاب ج2، ص155.

⁵ - البيت من الخفيف لزيد بن عمرو بن نفيل في خزنة الأدب ج6 ص404.

⁶ - الكشاف ج3، ص386.

[ولقد شفى نفسي وأذهب سقمها قيل الفوارس] وَيُكَّ عَنَّا أَقْدِم¹
 ما يريح نفسه ويشفي غليلها، ويذهب عنها سقمها قولهم: أقبل عنتره على العدو لتمعنا
 بأسه. والشاهد فيه: «ويك» المركبة من «وي» اسم فعل مضارع بمعنى «نعجب» والكاف
 للخطاب.

المصدر المؤول: قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾².
 قال الزمخشري: «في يُرِيكُم» وجهان: إضمار أن، وإنزال الفعل منزلة المصدر، وبهما
 فسر المثل: «تسمع بالمعيدي خير من أن تراه» وقول القائل:

وقالوا ما تشاء؟ فقلت: ألهو إلى الإصباح آثر ذي أثير³»⁴
 الظاهر أن الفعل المضارع «يُرِيكُم» أنزل منزلة المصدر بإضمار الحرف المصدرية بأن
 ولما حذف بطل عمله، والأصل: «من آياته أن يريكُم» جملة مكونة من مبتدأ وخبر. ويشهد
 على ذلك قول الشاعر عروة بن الورد العبسي:

وقالوا ما تشاء؟ فقلت: ألهو إلى الإصباح آثر ذي أثير
 أي: سألوني عن أي شيء تشاء، فأجبت أن ألهو طول الليل حتى الصباح مؤثرا كل
 شيء. والشاهد فيه: ألهو بإضمار بأن وإنزاله منزلة المصدر، أي قلت: اللهو إلى الصباح.
جواز الرفع والنصب باختلاف التقدير:

قال الله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾⁵.
 قال الزمخشري: «كُلُّ حِزْبٍ» منهم فرح بمذهبه مسرور، يحسب باطله حقا، ويجوز أن
 يكون «مِنَ الَّذِينَ» منقطعا مما قبله، ومعناه: من المفارقين دينهم كل حزب فرحين بما

¹ - البيت من الكامل لعنترة بن شداد. في خزنة الأدب ج6. ص406

² - الروم من الآية 24.

³ - البيت من الوافر لعروة بن الورد العبسي في لسان العرب مادة (أثر)

⁴ - الكشاف ج3، ص421.

⁵ - الروم الآية 32 .

لديهم، ولكنه رفع فرحون على الوصف لكل»¹. أي أنه يجوز في ﴿فَرِحُونَ﴾ الجر صفة لـ حزب، والرفع على الوصف، لـ ﴿كُلُّ﴾، باعتبار ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ منقطعا مما قبله، كما جاء في قول الشاعر:

وكل خليلٍ غيرُ هاضمٍ نفسِه [فالبصد والإعراض عنه جدير]²

أي: من لم يخفض نفسه لصاحبه، فهو حقيق بالصد والإعراض عنه، لا بالمودة. والشاهد فه: أن غير جاء وصفا لـ كل ولو جاءت وصفا لـ خليل لجاءت مجرورة .

تأنيث الفعل لتأنيث المستثنى في الاستثناء المفرغ : قال الله تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صِيحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾³.

قال الزمخشري: «﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صِيحَةً وَاحِدَةً﴾ إن كانت الأخذة أو العقوبة إلا صيحة واحدة ، وقرأ أبو جعفر المدني بالرفع على كان التامة، أي: ما وقعت إلا صيحة، والقياس والاستعمال على تذكير الفعل؛ لأن المعنى: ما وقع شيء إلا صيحة، ولكنه نظر إلى ظاهر اللفظ، وأن الصيحة في حكم فاعل الفعل، ومثلها قراءة الحسن: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾⁴». ⁵الأصل في هذه المسألة أنه «إذا فصل بين الفعل والفاعل المؤنث بـ «إلا» لم يجز إثبات التاء عند الجمهور فتقول: «ما قام إلا هند، وما طلع إلا الشمس»⁶. وقد أنث الفعل لتأنيث الفاعل أو المستثنى في الاستثناء المفرغ في الشعر كقوله:

[يَرَى لحمها سيرُ الفيافي وحرُّها] وما بقيت إلا الضلوع الجراشع⁷

يصف ناقه قائلا: ذهب السير والحر في الصحاري بلحمها، ولم يبق منها إلا الضلوع

¹ - الكشاف ج 3. ص 425

² - البيت من الطويل للشماخ. في الكشاف ج 3. ص 425

³ - يس الآية 29.

⁴ - الأحقاف من الآية 25

⁵ - الكشاف ج 4 ص 13

⁶ - شرح ابن عقيل. تح. ح. الفاخوري. دار الجيل. دط. بيروت. 2003 ج 1 ص 377.

⁷ - شطر البيت من الطويل لذي الرمة في ديوانه. شرح الخطيب التبريزي. تح مجيد طراد. ص 447.

البارزة الضخمة. والشاهد فيه : تأنيث بقيت وكان القياس: وما بقي شيء إلا الضلوع .

المفعول معه : قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ (161) مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ﴾¹.

قال الزمخشري: « ويجوز أن يكون الواو في: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ بمعنى مع، مثلها في قولهم: «كل رجل وضعيته»، فكما جاز السكوت على «كل رجل وضعيته» وأن كل رجل وضعيته جاز أن يسكت على قوله: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾؛ لأن قوله: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ ساد مسد الخبر؛ لأن معناه فإنكم مع ما تعبدون. والمعنى: فإنكم مع آلهتكم²، أي فإنكم مع ما تعبدون، وهو نظير قولهم: كل رجل وضعيته. وقول الشاعر:

فإنك والكتاب إلى عليٍّ كدابغة وقد حلّم الأديم³

هذا يعني أن الواو في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ هي واو المعية وما بعدها: ﴿ما تَعْبُدُونَ﴾ مفعول معه ساد مسد خبر إن؛ لأن معناه فإنكم مع ما تعبدون، وهو نظير قولهم: «كل رجل وضعيته» وقول الشاعر، والذي معناه: كأنك وما تبغي في كتبك إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه كدابغة الجلد، وقد فسد فلا أمل فيه. والشاهد فيه: الواو بمعنى مع في قوله: «والكتاب».

المنصوب على نزع الخافض : قال الله تعالى: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾⁴.

قال الزمخشري: «قرئ ﴿فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ﴾ منصوبين على أن الأول مُقَسَّم به كالله في: إِنَّ عَلَيْكَ اللَّهُ أَنْ تُبَايِعَا⁵.

فالشاعر في: إِنَّ عَلَيْكَ اللَّهُ أَنْ تُبَايِعَا⁶، يناشد مخاطبه أن يبایع، ويؤكد

¹ - الصافات الآيتان 161-162.

² - الكشف ج 4 ص 62.

³ - البيت من الوافر لعمر بن العاص في لسان العرب مادة (حلم)

⁴ - سورة ص الآية 84

⁵ - الكشف ج 4 ص 99

⁶ - الزجر بلا نسبة في خزنة الأدب ج 5 ص 203.

كلامه مقسماً بالله. والشاهد فيه: مجيء لفظ الجلالة الله منصوباً على حذف حرف القسم، حيث لما حذف حرف القسم نصب الاسم، وكذلك في الآية الكريمة. وفي الموضوع نفسه: قال الزمخشري: «والضمير في ﴿كَالْوَهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾¹ ضمير منصوب راجع إلى الناس وفيه وجهان: أن يراد كالوا لهم، أو وزنوا لهم، فحذف الجار، وأوصل الفعل»². أي: أن ﴿كَالْوَهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾ بمعنى: كالوهم، ووزنوا لهم. فحذف اللام وأوصل الفعل، فأعرب الضمير ((هم)) في محل نصب على نزع الخافض. ويشهد على ذلك قول الشاعر:

ولقد جنيتك أكمؤاً وعساقِلا ولقد نهيتك عن نبات الأوبر³

لقد جنيت لك خير ما يجنى، الأكمؤ والعساقِل، وهما من أجود أنواع الكمأة، ولقد نهيتك عن تتبع الرديء منها، والسعي وراءها. والشاهد فيه: جنيتك، والمراد جنيت لك. أما الوجه الثاني: «أن يكون على حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه»⁴.

مما ينوب عن المصدر: قال الله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾⁵.

قال الزمخشري: «: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ أكلا وشربا ﴿هَنِيئًا﴾ أو طعاما وشرابا هنيئاً، وهو الذي لا تتغيص فيه، ويجوز أن يكون مثله في قوله:

هنيئاً مريئاً غير داءٍ مخامِرٍ لعزّة من أعراضنا ما استحلّت⁶»⁷

حيث يغتفر لعزّة ما نالت من عرضه، ويجعله لها هنيئاً مريئاً. والشاهد فيه: «هنيئاً مريئاً» باعتبارهما صفتين قامتا مقام المصدر المحذوف تقديره: أكلا هنيئاً، وشربا هنيئاً، وهونفسه الوارد في قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾.

¹ - المطفون من الآية 03

² - الكشف ج 4، ص 614.

³ - البيت من الكامل بلا نسبة في مغني اللبيب. لابن هشام. تح عبد اللطيف محمد الخطيب. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. دط. الكويت دت. ج 3 ص 205.

⁴ - الكشف ج 4 ص 614

⁵ - الطور الآية 19.

⁶ - البيت من الطويل لكثير عزة في ديوانه. تح إحسان عباس. دار الثقافة. دط بيروت. 1971. ص 100.

⁷ - الكشف ج 4، ص 353.

إضمار الخبر : قال الله تعالى : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾¹.

قال الزمخشري : « قرئ: حورٌ عينٌ بالرفع على: وفيها حورٌ عينٌ، كبيت الكتاب :

[يادت وغير آيهنَّ مع البلى] إلا رواكذُ جمْرهنَّ هبَاءُ

ومشججٌ [أما سوءاً قذاله فبداً وغير ساره المعزاء]²»³

يقول: هلكت تلك الديار، وبلت آثارها، وما بها إلا رواكذ، وبقية وتد الخباء. والشاهد

فيه: رفع (المشجج) على العطف على رواكذ. كما رفعت حور على إضمار الخبر، كما

أضمر خبر رواكذ في رواية الرفع؛ لأن في حال نصب رواكذ، عطف (المشجج) حملاً على

المعنى، كأنه قال: وبها رواكذ .

إضمار الفاعل : قال الله تعالى : ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾⁴ .

قال الزمخشري: « والضمير في ﴿ بَلَغَتِ ﴾ للنفس وإن لم يجر لها ذكر؛ لأن الكلام الذي

وقعت فيه يدل عليها»⁵. أي: أن فاعل ﴿ بَلَغَتِ ﴾ مضمرة «راجع إلى غير مذكور في الكلام،

ولكنه معلوم من فعل ﴿ بَلَغَتِ ﴾ ومن ذكر ﴿ التَّرَاقِيَ ﴾؛ فإن فعل ﴿ بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾ يدل أنها

روح الإنسان والتقدير إذا بلغت الروح أو النفس. وهذا التقدير: يدل عليه الفعل الذي

أسند إلى الضمير بحسب عرف أهل اللسان»⁶. ونظير هذا قول حاتم الطائي :

أماويٍّ ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاقَ بها الصدرُ⁷

يحاور ماوية معاتباً لها: ماذا يغني الثراء عن الإنسان إذا آتاه الموت، وترددت روحه

في صدره، وضاقَ بها؟ والشاهد: عدم ذكر النفس إذ التقدير: حشرجت النفس.

¹ - الواقعة الآية 22.

² - البيتان من الكامل بلا نسبة في الكتاب ج 1 ص 173-174

³ - الكشف ج 4 ص 393

⁴ - القيامة الآية 26

⁵ - الكشف ج 4 ، ص 566.

⁶ - التحرير والتنوير . محمد الطاهر بن عاشور. دار التونسية للنشر. دط. تونس. 1984. ج 29، ص 357.

⁷ - البيت من الطويل لحاتم الطائي في ديوانه. دار صادر. دط. بيروت. 1981. ص 50.

الفصل الخامس: شواهد المستوى النحوي قسم الأفعال والحروف

- إضمار عامل الفاعل
- إضمار الفعل الناصب للمفعول المطلق
- إضمار عامل المفعول به
- المنصوب باللائم إضماره
- الجملة الحالية والعائد
- إضمار العامل في خبر كان
- مجيء الصفة جملة
- نون الوقاية
- أوجه ما
- أوجه من
- الجملة المضارعية الواقعة خبرا
- أوجه إعراب الفعل المضارع بعد ((أو))
- جواز النصب والجزم بعد الواو في بعض الأساليب العربية
- جواز الرفع بعد فاء السببية
- جواز العطف على المضارع المنصوب بالرفع
- أوجه الرفع إن لم يقصد الجزاء
- رفع المتوسط بين الشرط والجزاء
- العطف بالجزم على جواب الأمر المنصوب على توهم سقوط فاء السببية
- الفعل المتعدي إلى ثلاثة
- استعمال ((أرى)) و((أقول)) بمعنى ظننت
- جواز إعمال أفعال القلوب والغائها
- عمل كان وأخواتها
- أوجه كان
- معاني أضحي
- معنى الأفعال الناقصة التي أوائلها الحرف النافي
- تشبيه عسى بكاد والعكس
- استخدام كاد منفيّة
- استعمال أو شك

- نِعْمَ وعملها
- استقلال بعض الحروف
- معاني حتى
- زيادة الباء
- من أحكام رب
- على: بين الاسمية والحرفية
- حرف الكاف
- حاشا وعملها
- حذف حرف الجر
- كف إن وأخواتها عن العمل
- جواز فتح همزة إنّ وكسرها
- دخول لام الابتداء على خبر إنّ
- العطف على محل إن واسمها
- تخفيف ((إنّ))، و ((أنّ))
- تخفيف كأنّ
- وقوع أنّ بعد لعلّ
- أحكام لا النافية
- حروف التثبيته
- حروف التصديق والإيجاب
- حروف الصلة
- زيادة لا
- أيّ التفسيرية
- ما المصدرية
- رفع الفعل بعد أن المصدرية
- لولا التحضيضية
- فصل قد عن الفعل بالقسم، وطرح الفعل بعدها
- حرف الاستفهام هل
- حذف همزة الاستفهام
- فعل الشرط وجوابه
- فاء الجزاء

- زيادة ما بعد إن
- من أحكام إذن
- مجيء ((أن)) بعد ((كي))
- اللام الواقعة في جواب القسم
- لام الأمر
- أحكام النون المؤكدة
- الأحرف الواقعة في جواب القسم
- الحروف المقطعة في أوائل السور
- توسط العاطف بين الصفات
- جملة مقول القول
- وقوع كان مزيدة
- قد مع المضارع
- كان وتامها
- إبدال الفعل من الفعل
- من حروف
- العطف على التوهم أو المعنى
- تعدية الفعل أذاع
- اسم الفعل تعال، أو فعل الأمر
- الحمل على التوهم
- إضمار أن
- النصب بعد واو المعية
- من معاني أن
- التضمين أو الإضمار
- لام جواب القسم
- مهما
- جواز حذف الفعل بعد كيف
- كسر همزة إن وفتحها
- الجملة المقتضية وغير المقتضية
- تعدية الفعل جرم
- حاشا

- لا النافية في جواب القسم
- لام التعليل
- حرف الجر على
- من معاني لوما
- إضمار الفعل وتفسيره
- دخول الفاء على الخبر
- تعدية الفعل اللازم بإلى وباللام
- من معاني اللام
- من الأفعال اللازمة المتعدية
- التعدية بحرف الجر
- عمل هيهات
- تعدية الفعل استجاب
- من أفعال القلوب
- ما الزائدة
- دخول إذا على المضارع
- النفي بإن
- من معاني عن
- تقديم الخبر جوارا
- العطف بالحرف وأغراضه

كما تناولت في الفصل السابق الوظائف النحوية للكثير من الأسماء التي استدل الزمخشري على وجاهة رأيه فيها بشاهد من شعر عصور الاحتجاج، فإني سأعمل في هذا الفصل على معالجة الوظائف النحوية لقسم معتبر من الأفعال والحروف، وبالطريقة نفسها، وذلك من خلال الموضوعات الآتية:

إضمار عامل الفاعل:

قال الزمخشري: «وقد يجئ الفاعل ورافعه مضمر؛ يقال: (من فعل)؟ فتقول: (زيد)» بإضمار فعل¹؛ أي أنه قد يحذف فعل الفاعل لقريظة تفهم من سياق الكلام؛ وذلك لأن السائل لم يشك في الفعل، وإنما يشك في فاعله. ومن شواهد هذه الظاهرة قول الشاعر:

لِيُبِّكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوَائِحُ²

ومعناه: ليبك يزيد كل أحد، وليبكه ضارع ومختبط؛ لأنهما أولى بالبكاء عليه، وأعظم الناس مصابا فيه. والشاهد فيه: رفع (ضارع) بفعل محذوف تقديره: يبكيه ضارع، كأنه قيل من يبكيه؟ فقيل: ضارع، أما (يزيد) فنائب فاعل يُبِّكَ المجزوم بلام الأمر .

هذا على رواية يبك بالبناء للمفعول، أما على روايته بالبناء للفاعل فضارع فاعل ويزيد مفعوله، وبالتالي لا شاهد فيه ولا حذف، وقد ذكر ابن يعيش³ أن الأصمعي رواه بالبناء للفاعل ((لِيُبِّكَ يَزِيدَ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ)). ومن الشواهد أيضا على إضمار الفعل قول الشاعر من الحماسة :

[إِذَا لِقَامَ بِنَصْرِي مَعَشَرَ خُشْنٍ عِنْدَ الْحَفِيظَةِ] إِنَّ ذُو لُؤْتَةَ لَأَنَا⁴

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 50

² - البيت من الطويل لنهشل بن حرى، وقيل للحارث بن نهيك في شرح شواهد الإيضاح . عبد الله بن بري. تح. عيد مصطفى درويش. ومحمد مهدي علام. المطابع الأميرية. القاهرة . دط. 1985. ص 94.

³ - ينظر شرح المفصل لابن يعيش ج 1 ص 215

⁴ - البيت من البسيط لقريط بن أنيف في شرح أبيات المغني. تأليف عبد القادر البغدادي. تح. عبد العزيز رباح، وأحمد يوسف الدقاق. دار المأمون للتراث. دمشق. ط 2 . 1988. ج 5 . ص 38

إذ يقول: إن قعد الضعيف عن نصري وإعانتني، ولا يقصد إلا نفسه وقومه؛ قام بذلك قوم أشداء على الأعداء مجيبون للنداء. ويبدو أن الشاعر يذم قومه، ويصعّر من شأنهم ويعلي من شأن غيرهم على غير عادة العربي المعتر بانتمائه إلى قبيلته، ولكن في حقيقة الأمر هو يدفع بقومه إلى الانتقام له من أعدائه الذين سلبوه ماله، لا إلى ذمهم. والشاهد فيه: رفع «ذو لوثة» بفعل مضمر دل عليه «لانا»، والتقدير: إن لانا ذو لوثة لانا؛ وذلك أن حرف الجزاء «إن» تقتضي الفعل، ولا يقع بعدها مبتدأ وخبر. كما يعتبر البيت شاهداً على دخول «إن» على الفعل الماضي.

إضمار الفعل الناصب للمفعول المطلق :

المفعول المطلق: «هو المصدر، سمي بذلك؛ لأن الفعل يصدر عنه، ويسميه سيبويه الحدث والحدثان، وربما سماه الفعل»¹. وينتصب بالفعل، فإن كان مضمراً، فهو على ثلاثة أنواع: «ما يستعمل إظهار فعله وإضماره، وما لا يستعمل إظهار فعله، وما لا فعل له أصلاً»²، ومن النوع الثاني «ما يكون توكيداً، إما لغيره كقولك: «هذا عبد الله حقاً»... أو لنفسه كقولك: «له علي ألف درهم عرفاً»³، والفرق بينهما «أنك إذا قلت: «هذا عبد الله حقاً» فقولك من قبيل أن تذكر حقاً، يجوز أن يُظن أن ما قلته حق، وأن يُظن أن ما قلته باطل، فتأتي بـ «حقاً»، فتجعل الجملة مقصورة على أحد الوجهين الجائزين عند السامع. وقوله: «له علي ألف درهم عرفاً»، هو اعتراف حقاً كان، أو باطلاً، فصار هذا توكيداً لنفسه إذا كان الذي ظهر هو الاعتراف»⁴. ومن شواهد هذا النوع من المصادر المنصوبة التي لا يجوز استعمال أفعالها، ولا إظهارها، وجاءت مؤكدة لنفسها قول الأحوص :

إِنِّي لِأَمْنَحُكَ الصَّدُودَ وَإِنِّي قَسَمًا إِلَيْكَ مَعَ الصَّدُودِ لِأَمِيلُ⁵

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 62

² - المصدر نفسه ص 62

³ - المصدر نفسه ص 63

⁴ - شرح المفصل لابن يعيش ج 1 ص 287

⁵ - البيت من الكامل للأحوص في ديوانه تح عادل سليمان جمال مكتبة الخانجي. القاهرة. ط 2 . 1990 ص 209

يخاطب بيت محبوبته قائل: إني أقسم أني أنتظر بالإعراض عنك، وإني مع هذا الإعراض أشد ميلاً، وتعلقاً بك. والشاهد فيه قوله: «(قسماً) مفعول مطلق أضمر فعله وجوباً مؤكداً لنفسه» لأنه يفيد معنى تفيده الجملة السالفة لفظاً؛ لأن الجملة السالفة: «إني إليك مع الصدود لأميل»، وتلك تفيد معنى القسم؛ لأن كون الجملة ابتدائية، ثم حرف التوكيد، ثم لام الابتداء لتأكيد معنى الجملة، والقسم ليس إلا ذلك»¹.

إضمار عامل المفعول به:

المفعول به كما يعرفه الزمخشري «هو الذي يقع عليه فعل الفاعل... وهو الفارق بين المتعدي من الأفعال وغير المتعدي،... ويجيء منصوباً بعامل مضمرة مستعمل إظهاره أو لازم إضماره»². ومما يشهد على ما جيء منصوباً بعامل مضمرة، ويجوز إظهاره:

1- قول الشاعر :

لن تراها ولو تأملت إلا ولها في مفارق الرأس طيباً³
ومعناه لن ترى تلك المرأة إلا والطيب في مفارق رأسها؛ أي أنها متطيبة في كل حين. والشاهد فيه نصب «الطيب» على أنه مفعول به لفعل حذف جوازا، تقديره: لن تراها، وإن تأملت إلا رأيت لها في مفارق الرأس طيباً، إلا أن سيبويه ذهب إلى أنه منصوب على المعنى «لأنه حين قال: لن تراها، دل على أن الطيب قد دخل في الرؤية»⁴، فنصبه على هذا التأويل.

2- قول أوس :

حتى إذا الكلابُ قالَ لها كاليوم مطلوباً ولا طيباً⁵

¹ - التخمير لصدر الأفاضل الخوارزمي تح عبد الرحمن العثيمين دار الغرب الإسلامي د. ط. د. ت. ج 1 ص 306

² - المفصل في صنعة الإعراب ص 65

³ - البيت من الخفيف لعبيد الله الرقيات . تح. محمد يوسف نجم. دار بيروت للطباعة. بيروت. د. ط. د. ت. ص 176

⁴ - الكتاب لسيبويه. تح عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي بالقاهرة. ط 2. 1988. ج 1. ص 185

⁵ - البيت من الكامل لأوس بن حجر. في ديوانه. تح . يوسف نجم. دار بيروت للطباعة. د. ط. بيروت. 1980. ص 3

ومعناه: مازالت الكلاب تقفو أثر الصيد، وتجدُّ في طلبه، حتى قال مروضها متعجبا لم أر كالليوم مطلوبوا كالصيد، ولا طالبا كالكلاب. والشاهد فيه قوله: «مطلوبا» حيث نصبه بفعل مقدر محذوف والتقدير: لم أر كالليوم مطلوبوا كالصيد، ولا طلبًا (ج طالب) كالكلاب.

المنصوب باللازم إضماره:

المنادى أحد المفعولات المنصوب باللازم إضماره، «لأنك إذا قلت: (يا عبد الله)، فكأنك قلت: يا أريد أو أعني عبد الله. ولكنه حذف لكثرة الاستعمال، وصار (يا) بدلا منه، ولا يخلو من أن ينتصب لفظا أو محلا، فانتصابه لفظا إذا كان مضافا... أو مضارعا له... أو نكرة»¹. وقد يحذف حرف النداء، قال الزمخشري: «ويجوز حذف حرف النداء عما لا يوصف به ((أي))... ولا يُحذف عما يوصف به ((أي))»². فرغم أن حذف الحروف مما يباه القياس، فإنهم قد أجازوا حذف حرف النداء عما لا يوصف به ((أي)) كاسم العلم نحو قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾³، وكذلك المضاف نحو قوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي...﴾⁴ وبالتالي فإنه لا يجوز حذف حرف النداء فيما يجوز أن يكون وصفا لـ ((أي))؛ «لأنه لا يجمع عليه حذف الموصوف، وحذف حرف النداء منه، فيكون إجحافا، فلذلك لا تقول: «رجل أقبل»، ولا «غلام تعال»، «ولا هذا هلم»، وأنت تريد النداء حتى يظهر حرف النداء لأن هذه الأشياء يجوز أن تكون نعوتا لـ ((أي)) نحو: «يا أيها الرجل»، و«يا أيها الغلام» و«يا أيها» لأن ((أي)) مبهم، والمبهم ينعت بما فيه الألف واللام، أو بما كان مبهما مثله»⁵. أما ما جاء من حذف خلاف الأصل، فقد اعتبر شاذًا، من ذلك قول الشاعر:

جاري لا تستنكري عذيري [سيري وإشفاقي على بعيري]⁶

¹ - شرح المفصل لابن يعيش . ج 1 ص 317 .

² - المصدر نفسه ص 74 .

³ - سورة يوسف من الآية 29 .

⁴ - سورة يوسف الآية 101 .

⁵ - شرح المفصل ج 1 ص 322 .

⁶ - البيت من الرجز للعجاج في خزانة الأدب ص 125 .

يقول مخاطبا جارية: يا جارية لا تعتبري ما أحاوله أمرا يستدعي الإنكار، لأنني فيه معذور، وقد قال ذلك حين مرت به جارية، وهو يصلح حلسا يطرحه على ظهر البعير. والشاهد فيه قوله: «(جاري)» حيث حذف حرف النداء من النكرة المقصودة يا جارية شنوذا وضرورة، كما يعتبر البيت شاهدا على ترخيم الاسم المؤنث بحذف تائه «(جاري)» وأصلها جارية.

الجملة الحالية والعائد:

قال الزمخشري: «ويجوز إخلاء هذه الجملة عن الراجع إلى ذي الحال»¹. أي: أنه يجوز خلو الجملة الاسمية الواقعة حالا من رابط يربطها بذي الحال، والاكتفاء بربط الواو. والشاهد على ذلك قول امرئ القيس:

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلٍ²

يصف تبكيره أي: أغتدي والطير مازالت في أوكارها على متن فرس ضخم قيد الطرائد. والشاهد فيه: أن جملة: «والطير في وكناتها» حال من الضمير في أغتدي مع خلوها من عائد إلى صاحب الحال، وذلك اكتفاء بربط الواو.

إضمار العامل في خبر كان:

قال الزمخشري: «ويضمّر العامل في خبر كان في مثل قولهم الناس مجزيون بأعمالهم إن خيرا فخير، وإن شرا فشر»³. فقولهم: «(إن خيرا فخير وإن شرا فشر)» بنصب الأول، ورفع الثاني حيث «انتصاب الأول بتقدير فعل، كأنك قلت إن كان عمله خيرا... ويكون ارتفاع «خير» الثانية على أنه خبر مبتدأ وتقديره: «(فجزاؤه خير)»⁴. ويؤكد النحاة على أن نصب الأول ورفع الثاني هو الوجه المختار «لأن إن من حيث هي شرط تقتضي الفعل... فلم

¹ - المفصل في صناعة الإعراب ص 98

² - البيت من الطويل لامرئ القيس في ديوانه. شرح أبي سعيد السكري. تح. أبوسويلم، محمد علي الشوابكة. مركز زايد

للتراث والتاريخ. ط 1. العين. 2000. ص 245

³ - المفصل في صناعة الإعراب ص 108

⁴ - شرح المفصل لابن يعيش ج 2 ص 86

يكن بد من تقدير فعل، إما كان أو نحوها... واختير رفع الثاني لدخول الفاء في الجواب والفاء إنما أتت بها في الجواب إذا كان مبتدأ وخبراً¹. وهذا يعني أن في المسألة وجوها إعرابية أخرى وهي: أن نصبهما جميعاً فنقول: إن خيراً فخييراً، وإن شراً فشرّاً تقديره: إن كان عمله خيراً، فيكون جزاؤه خيراً، أو هو يجرى خيراً أي: نصبهما بفعلين مضميرين، أو أن نرفعهما جميعاً فنقول: إن خير فخير وإن شر فشر وتقديره: إن كان في عمله خير فجزاؤه خير، أو نرفع الأول وننصب الثاني فنقول: إن خير فخييراً، وإن شر فشرّاً، تقديره: إن كان في عمله خير؛ فيجرى خيراً. والشاهد على الحذف والإضمار إضافة إلى المثل السابق قول النعمان بن المنذر:

قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إِنْ حَقًّا وَإِنْ كَذِبًا [فَمَا اعْتَدَارُكَ مِنْ قَوْلٍ إِذَا قِيلًا]²

إذا كان معنى البيت على غاية من الوضوح، فقد قاله المنذر « للربيع بن زياد العبسي حيث دخل عليه ليبيد بن ربيعة، والربيع يؤاكله فقال:

مهلاً أَبَيْتَ اللَّعْنَ لَا تَأْكُلْ مَعَهُ إِنْ اسْتَه مِنْ بَرَصٍ مُلَمَّعَهُ

فأمسك النعمان عن الأكل، فقال الربيع: - أَبَيْتَ اللَّعْنَ - إن ليبيدا كاذب، فقال النعمان:

قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إِنْ حَقًّا وَإِنْ كَذِبًا

فقال قوم: هو له، وقيل: هو لغيره وإنما تمثل به³. والشاهد فيه قوله: «(إن حقا وإن كذبا)» حيث حذفنا كان مع اسمها بعد إن الشرطية، وبقي الخبر، وذلك شائع كثير. ومن المنصوب بإضمار فعل قولهم: «(ألا طعام لو تمرا)» «يريد، ولو كان تمرا، ف(تمرا)» منصوب لأنه خبر كان، واسمها مضمرة فيها، والتقدير: ولو كان الطعام تمرا، لكن حذفنا الفعل

¹ - شرح المفصل لابن يعيش ج2 ص 86

² - البيت من البسيط للنعمان بن المنذر في خزانة الأدب ج4 ص10

³ - شرح المفصل لابن يعيش ج2 ص87

للعلم بموضعه، إذا كانت «لو» لا يقع بعدها إلا فعل»¹. ومن شواهد هذا النوع من الإضمار قول الشاعر:

أَبَا خُرَاشَةَ أَمَّا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ [فَإِنَّ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمُ الضَّبْعُ]²

ومعناه: يا أبا خراشة لا تفخر علي بكثرة عدد رجالك، فإنما قومي ليسوا بحيث تهلكهم السنون من القلة والضعف. والشاهد فيه: «أما أنت ذا نفر»، والأصل لأن كنت ذا نفر فحذف كان، و عوض عنها ما الزائدة، وأبقى اسمها، وهو قوله: أنت؛ لأنه لما حذف كان وعوض عنها بـ «ما» انفصل الضمير، وخبرها: «ذا نفر». ويمكن أن أشير من خلال هذا الشاهد إلى أن هناك فرقا بين أما وإما، فأما المفتوحة لا يجوز إظهار الفعل بعدها؛ لأن «ما» نائبة عنه وإذا أظهرنا الفعل لم تكن إما إلا مكسورة. والشاهد على الاستعمالين معا قول الشاعر:

إِمَّا أَقَمْتَ وَأَمَّا أَنْتَ مُرْتَحِلًا فَاللَّهُ يَكْفُلُ مَا تَأْتِي وَمَا تَدْرُ³

ومعناه: إن أقمت؛ فالله جل وعلا هو من يحفظ ما تقبل عليه، وما تعرض عنه، وكذلك إذا كنت مسافرا. والشاهد فيه قوله: «إما أقمت» بكسر الهمزة؛ لظهور الفعل معها، وفتح الثانية «أما أنت» لحذف الفعل، وتعويضه بـ «ما». أما إذا حذف «ما» وأتيت بالفعل، فإنه «لا يمتنع عند المبرد وغيره... أن تفتح وتكسر، والأول أجود»⁴.

مجيء الصفة جملة:

قال الزمخشري: «ويوصف بالجملة التي يدخلها الصدق والكذب»⁵. أي الجملة الخبرية⁶ المحتملة الصدق والكذب. أما قول الراجز:

¹ - شرح المفصل لابن يعيش ج 2 ص 89

² - البيت من البسيط للعباس بن مدراس في ديوانه. تح يحيى الجبوري. ص 106

³ - البيت من البسيط بلا نسبة في خزنة الأدب. ج 4. ص 19

⁴ - شرح المفصل ج 2 ص 90

⁵ - المفصل في صنعة الإعراب، ص 149.

⁶ - الجملة الخبرية هي المؤلفة من فاعل وفعل، أو من مبتدأ وخبر، أو من شرط وجزاء، أو ظرف.

[حَتَّى إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ وَاخْتَلَطَ] جَاؤُوا بِمَذْقٍ هَل رَأَيْتَ الذَّنْبَ قَطُّ¹

يهجو قوما بخلاء نزل بهم ضيفا، حيث لما حل الظلام قدموا له لبنا ممزوجا بالماء، فصار لونه شبيها بلون الذئب في كدرته. والشاهد فيه قوله: «بمذق هل رأيت الذئب قط» حيث تبدو الجملة الاستفهامية: هل رأيت الذئب قط؟ وكأنها نعت للنكرة «مذق»، وفي الحقيقة هي مقول قول محذوف، والتقدير جاء المذق مقول فيه: هل رأيت الذئب قط؟ ولذا فجملة: هل رأيت...؟ في محل نصب مفعول به لفعل القول المحذوف.

نون الوقاية:

قال الزمخشري: «وتعمد ياء المتكلم إذا اتصلت بالفعل بنون قبلها صوتا له من أخي الجر، ويحمل عليه الأحرف الخمسة لشبهها به... وللتضعيف مع كثرة الاستعمال جاز حذفها من أربعة منها في كل كلام»². أي جاز حذفها من إن، وأن، لكن، وكان للأسباب التي ذكرها. وقد جاء في ضرورة الشعر ليتي إذ يقول :

[تمنى مزيد زيدا فلاقى أذا ثقة إذا اختلف العوالي]³
كُمْنِيَةِ جَابِرٍ إِذْ قَالَ لَيْتِي أَصَادِفُهُ وَأَفْقِدُ بَعْضَ مَالِي

ومعناهما: أن مزيديا تمنى أن يلقي زيدا، كما تمنى جابر، وكلاهما لقي منه ما يكره ومزيدي رجل من بني أسد، وجابر رجل من غطفان، وزيد الخيل شاعر مخضرم « قدم على النبي ﷺ في وفد طي، سنة تسع، فأسلم، وسماه النبي ﷺ زيد الخير»⁴. والشاهد في البيت حذف نون الوقاية من «ليتني» تشبيها لها بأخواتها، وذلك للضرورة الشعرية. «وقد فعلوا ذلك في «من»، «عن»، «الذن»، «قط»، و«قد» إبقاء عليها من أن تزيل الكسرة سكونها»⁵.
أما قول الشاعر :

¹ البيت من الرجز للعجاج في ديوانه. تح عبد الحفيظ السطلي. مكتبة أطلس. دط. دمشق. دت. ج. 2. ص. 304

² - المفصل في صنعة الإعراب ص 173

³ - البيت من الوافر لزيد الخيل في ديوانه ، . أحمد مختار البرزقي، دار المأمون للتراث، ط 1 ، 1988 ، ص 137

⁴ - شرح المفصل ج 2 ، ص 348

⁵ - المفصل في صنعة الإعراب ص 174

قَدْنِي مِنْ نَصْرِ الْخُبَيْبِينَ قَدِي [ليس الإمامُ بالشحيح الملحد]¹
 البيت من أرجوزة قالها الشاعر في شأن عبد الله بن الزبير. والشاهد فيه قوله: «قَدْنِي»
 في صدر البيت، و«قَدِي» في عجزه، حيث أثبت نون الوقاية في الأولى قياساً، وحذفها
 من الثانية شذوذاً واضطراراً، باعتبار أن قد اسم بمعنى حسب .

أوجه ما:

بعد أن ذكر الزمخشري الموصولات، ومن جملتهم ما. أتبع ذلك بالحديث عن أقسامها²
 فهي إما موصولة معرفة، أو نكرة غير موصولة، أو استفهامية، أو جزائية. أما النكرة غير
 الموصولة فهي على ضربين: موصوفة، وغير موصوفة، ومن الأبيات الشاهدة على كون
 «ما» نكرة وما بعدها صفة لها قول الشاعر :

رُبَّمَا تَكْرَهُ النَّفُوسُ مِنَ الْأَمِّ رِ لِه فَزَجَّةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ³

ومعناه: رب أمر من الأمور تكرهه النفس، وتضيق ذرعاً به له انفراج سهل سريع كحل
 العقال. والشاهد فيه قوله: «ربما» حيث دخلت رب على ما. مما يدل على أن ما قابلة
 للتكثير؛ لأن رب لا تدخل إلا على نكرة، وجملة تكره النفوس صفة لـ «ما» والعائد من
 الصفة محذوف. وللشاهد قصة رواها ابن يعيش إذ يقول: «حكى أبو عبيدة عن أبي عمرو
 بن العلاء، قال: أخافنا الحجاج، فهربَ إلى نحو اليمن، وهربْتُ معه، فبينما نحن نسير وقد
 دخلنا إلى أرض اليمن فلحقنا أعرابيٌّ على بعير ينشد :

لا تضيقنَّ بالأمورِ فقد يُكِّ شَفُّ غَمَّأُهَا بغير احتيالِ
 رُبَّمَا تَكْرَهُ النَّفُوسُ مِنَ الْأَمِّ رِ لِه فَزَجَّةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ

فقال أبو عمرو: وما الخبر؟ قال: مات الحجاج. قال أبو عمرو: وكنت بقوله: «فَزَجَّةٌ»

¹ - البيت من الرجز لحميد بن مالك الأرقط في خزانة الأدب 382/5 ولحميد بن ثور في اللسان العرب مادة (لحد)

ولأبي جدلة في شرح المفصل لابن يعيش ج 2 ص 349 وبلا نسبة في تلخيص الشواهد ص 108

² - المفصل في صنعة الإعراب ص 182

³ - البيت من الخفيف لأمية بن أبي الصلت في ديوانه. تح. الجبيلي، دار صادر، ط 1 بيروت. 1988 ص 189

بفتح الفاء، أشدَّ فرحاً من قوله: ماتَ الحجاجُ»¹

أوجه من:

قال الزمخشري: «و(من)، ك(ما) في أوجهها إلا في وقوعها غير موصولة، ولا موصوفة وهي تختص بأولي العلم، وتوقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث ولفظها مذكَّر والحمل عليه هو الكثير، وقد تحمل على المعنى»². ومن الحمل على المعنى، أورد الزمخشري قول الفرزدق شاهداً على جواز ذلك:

[تعشَّ فإنْ عاهدتني لا تخُوني] نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَا ذَنْبُ يَصْطَحِبَانِ³

دعا الشاعر الذئب إلى العشاء قائلاً: أيها الذئب، فإنِ واتقتي على عدم الغدر، نكن صديقين، لا يغدر أحدنا بصاحبه. والشاهد فيه قوله: «من يصطحبان» حيث ثنى الفعل العائد على (من) حملاً على المعنى، ويشهد البيت أيضاً على جواز التفريق بين الصلة والموصول.

الجملة المضارعية الواقعة خبراً:

قال الزمخشري: «وقولهم: (كاد زيد يقوم)، و(جعل يضرب)، و(طفق يأكل) الأصل فيه أن يقال: «قائماً»، و(ضارباً)، و(آكلاً)، ولكن عدل عن الاسم إلى الفعل لغرض»⁴؛ أي أن الأصل في (كاد زيد يقوم) أن يقال قائماً... وإنما عدل عن الاسم قائماً إلى لفظ الفعل (يقوم) لغرض، وهو «إدارة الدلالة على قرب زمن وقوعه، والالتباس به، فإذا قلت: «كدت أفعل»، كأنك قلت: (مقارِباً لفعله آخذاً في أسباب الوقوع فيه) ولست بمنزلة من لم يتعاطه، بل قربت من زمنه حتى لم يبق بينك وبينه شيء إلا مواقفه، وهذا معنى لا يستفاد من

¹ - شرح المفصل لابن يعيش ج 2 ص 404

² - المصدر نفسه ج 2 ص 404

³ - البيت من الطويل للفرزدق في ديوانه تح على فاعور ، دار الكتب العلمية ، ط 1 بيروت ، 1987 ، ص 628

⁴ - المفصل في صنعة الإعراب 315

لفظ الاسم»¹. ويشهد بيت الحماسة لتأبط شراً، على أن الأصل هو الاسم، وإن كان مرفوضاً وشاذاً إذ يقول:

فَأُبْتُ إِلَى فَهْمٍ وَمَا كِدْتَ آئِبًا وَكَمْ مِثْلُهَا فَارِقَتْهَا وَهِيَ تَصْفُرُ²
 أي رجعت إلى قبيلتي فهم وكدت لا أؤوب؛ لأنني أشرفت على التلف، وكَمْ مِثْلُهَا فَارِقَتْهَا، وهي تتأسف. والشاهد: أنه استعمل خبر كاد اسماً مفرداً على الأصل الشاذ، وإنما قياسه الفعل.

أوجه إعراب الفعل المضارع بعد «أو»:

قال الزمخشري: «(وتقول: هو قاتلي أو أفندي منه)، وإن شئت ابتدأته على «أو أنا أفندي»
 قال سيبويه³ في قول امرئ القيس:

فَقَالَتْ لَهُ لَا تَبِكْ عَيْنَكَ إِئِمَّا نَحَاوِلْ مُلْكًا أَوْ نَمُوتَ فَنُعْذِرًا⁴
 ولو رفعت لكان عربياً جائزاً على وجهين: على أن تشرك بين الأول والآخر، كأنك قلت: «إنما نحاول، أو إنما نموت» وعلى أن يكون مبتدأً مقطوعاً من الأول بمعنى: «أو نحن ممن يموت»⁵؛ أي: أن المضارع بعد «أو» يجوز فيه «النصب والرفع، فالنصب على معنى «إلا أن»، والمعنى: «يقتلني أو أفندي» والمراد أن القتل قد يكون، ويرتفع بالفدية. ولو رفعت جاز على معنى: أو أنا ممن يفندي. ويشهد على صحة هذه الأوجه الإعرابية قول امرئ القيس:

فَقَالَتْ لَهُ لَا تَبِكْ

وقد قال ذلك لعمر بن قيس الشكري حين استصحبه في سيره إلى قيصر الروم

¹ - شرح المفصل ج 4 ص 222.

² - البيت من الطويل في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص 83، وتخليص الشواهد ص 309.

³ - الكتاب ج 3 ص 47.

⁴ - البيت من الطويل لامرئ القيس في الأزهية. لعلي بن محمد الهروي. تح. عبد المعين

الملوحي. ط 2. دمشق. 1981. ص 122

⁵ - المفصل في صنعة الإعراب ص 318.

ليساعده على بني أسد. والشاهد فيه: قوله «نموت» حيث أجاز فيه سيبويه الرفع، إما بالعطف على نحاول، أو بالقطع نحن نموت.

جواز النصب والجزم بعد الواو في بعض الأساليب العربية:

ذكر الزمخشري¹ أنه يجوز في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾² نصب وجزم «تكتموا» فالجزم بالعطف على «لا تلبسوا» وعليه يكون النهي على كل منهما، أما النصب بأن مضمرة فيكون النهي عن الجمع بينهما. ويشهد ذلك قول الشاعر:

ولا تشتم المولى وتبلغ أذاته [فإنك إن تفعل تشفه وتجهل]³

أي: لا تشتم ابن العم ولا تؤذه، فإنك إن فعلت ذلك نسبك الناس إلى السفه والجهل. حيث يشهد هذا البيت على جواز جزم المضارع بعد الواو باعتبار أن النهي كان عن الشتم والأذى، «ولا يستقيم النصب في البيت لأنه لو كان منصوباً لكان منهيًا عنهما على سبيل الجمع، ولا ينهي عن الجمع بالواو إلا بين شيئين مغايرين»⁴. وهذا يعتبر رداً على الزمخشري في تجويزه جزم المضارع «تبلغ» ونصبه. وإذا كان يجوز نصب ورفع الفعل «تكتموا» من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، ولا يجوز إلا جزم الفعل «تبلغ» من قول جرير السابق؛ فإنه لا يجوز إلا نصب الفعل «أدعو» من قول الشاعر:

فقلت ادعي وأدعو إن أندی لصوتٍ أن ينادي دأعيان⁵

أي تعال لندعو معا فيجتمع صوتي وصوتك، فقد يكونان أبعد مدى. والشاهد فيه و«أدعو» منصوب بأن مضمرة بعد واو المعية، ولا يجوز إلا النصب، كقولك زرني

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 318.

² - البقرة الآية 42.

³ - البيت من الطويل بلا نسبة في لسان العرب مادة (أذى)

⁴ - أمالي ابن الحاجب. تح. فخر صالح سليمان قرارة. دار الجيل. دط. بيروت. 1989 ج 1 ص 314.

⁵ - البيت من الوافر للأعشى في الكتاب ج 3 ص 45، وعزاه الزمخشري لربيعة بن هيثم وابن يعش لأعشى أو للحطيئة.

وأزورك. «لأنه لم يتقدم ما تحمله عليه؛ لأن الذي تقدم فعل أمر مبني على السكون [وفي الشاهد مبني على حذف النون]، فلا يصح عطف المضارع المعرب عليه؛ لأن حرف العطف يشرك في العامل، والأول بلا عامل، فلم يمكن حمله عليه. ولا يصح إرادة الأمر في الثاني؛ لأن المتكلم إذا أمر نفسه، لم يكن ذلك إلا باللام، لأن أمر المتكلم نفسه كأمر الغائب، لا يكون إلا باللام، ولو جاز أن يكون معطوفاً على الأمر بغير لام، لجاز أن تقول مبتدئاً: «أزرك» وتريد الأمر، وذلك مما لا يجوز إلا في ضرورة الشعر»¹. كما يجوز الرفع والنصب، كما ذكر ذلك سيبويه² في قول كعب الغنوي:

وما أنا للشيء الذي ليس نافعِي وَيُغْضِبُ مِنْهُ صَاحِبِي، بِقَوْلٍ³

إذ يقول: ما أنا بقائل الذي لا ينفعي، ويُغضب صاحبي. والشاهد فيه قوله: ويغضب حيث جَوَزَ سيبويه الوجهين: النصب والرفع «فالنصب بإضمار (أن) عطفًا على قوله: «للشيء الذي ليس نافعِي»، وتقديره: «وما أنا بقَوْلٍ للشيء غير النافعِي، ولا لغضب صاحبي بقَوْلٍ»... وأما الرفع، فبالعطف على موضع (ليس)؛ لأنها من صلة «الذي» و«الذي» توصل بالجملة الابتدائية، ولا يكون لها موضع من الإعراب، فإذا عطفت عليها فعلا مضارعاً كان في حكم المبتدأ به، فلا يكون إلا مرفوعاً»⁴.

جواز الرفع بعد فاء السببية:

قال الزمخشري: «ويجوز في «ما تأتينا فتحدثنا» الرفع على الاشتراك، كأنك قلت: «ما تأتينا فما تحدثنا»... وعلى الابتداء، كأنك قلت: «ما تأتينا، فأنت تجهل أمرنا»⁵، فالرفع على الاشتراك بين الأول وبين الثاني في حكمه وعلى الابتداء؛ أي: يجعلها جملة مستأنفة رفعت لا على الشركة، بل هي جملة مثبتة حيث نفى الإثبات، وأثبت الحديث، إذ معناها:

¹ - شرح المفصل ج 4ص 253.

² - الكتاب ج 3ص 46.

³ - البيت من الطويل لكعب الغنوي في خزنة الأدب ج 8ص 569.

⁴ - شرح المفصل ج 4ص 254-255.

⁵ - المفصل في صنعة الإعراب ص 320.

ما تأتينا فأنت تحدثنا بما لسنا عليه، ثم ذكر نظير ذلك من شعر الاحتجاج ليدل على صحة ما ذهب إليه:

1- قول حميد العنبري:

غير أنّا لم يأتنا بيقين فنرجى ونكثر التأميلاً¹
 أي لم يأتنا بخبر يقين حتى نرجى أنفسنا، ونكثر الآمال. والشاهد قوله: نرجى فعل مضارع مرفوع بعد فاء السببية؛ لأنه محمول على الابتداء، ولا يتعلق بما قبله، ولو أنه وصله بـ«تأتنا» لحذف منه حرف العلة بالعطف على المجزوم.

2- قول جميل بثينة:

ألم تسأل الربع القواءَ فينطقُ وهل يخبرنك اليوم بيداؤ سَمَلق²
 أي ألم تسأل المنزل الخالي عن أهله؟ ثم أنكّر ذلك على نفسه فقال: وكيف يجيب السؤال أرض مقفرة لا شيء فيها. والشاهد فيه: قطع ينطق ورفع على الاستئناف، أي: فهو ينطق على كل حال، ولا يجوز الإشراك بينهما؛ لأن الفعل الأول مجزوم؛ أي: «لم يجعل الأول سبباً للآخر، ولكنه جعله ينطق على كل حال، كأنه قال فهو مما ينطق»³.

3- قول ابن أحرر:

يعالجُ عاقراً أعيت عليه ليُلقحها فينتجها حواراً⁴
 أي أن هذا الرجل يحاول عبثاً مضرتي وإذلالتي، وهو في عجزه، كمن يحاول أن يلقح عاقراً أو ينتجها. والشاهد فيه: رفع ينتجها على العطف على يعالج، أو على الابتداء، ولو نصب حملاً على المنصوب قبله لكان أحسن «لأنه إذا رفع، فقد أوجب وجوده ونتاج العاقر»⁵.

¹ البيت من الخفيف لبعض الحارثيين في خزنة الأدب ج 8 ص 538. والكتاب 31/3-33

² البيت من الطويل لجميل بثينة في ديوانه. دار بيروت للطباعة والنشر. دط. بيروت. 1982. ص 33.

³ الكتاب ج 3 ص 37.

⁴ البيت من الوافر لابن أحرر في ديوانه. تح. حسين عطوان. مطبوعات مجمع اللغة العربية. دط. دمشق. دت. ص 73

⁵ شرح المفصل ج 4 ص 259.

جواز العطف على المضارع المنصوب بالرفع:

قال الزمخشري: «وتقول:» «أريد أن تأتيني ثم تحدثني»، ويجوز الرفع¹. وقال سيبويه في باب اشتراك الفعل في أن، وانقطاع الآخر من الأول الذي عمل فيه أن: ويجوز الرفع في جميع هذه الحروف التي تشترك على هذا المثال². أي أن الرفع جائز في كل ما يجوز أن يشركه الأول من نصب أو جزم، إذا تقدم ناصب أو جازم على القطع والاستئناف ويكون واجبا فيما لا يجوز حمله على الأول³. ولذا فقد خيّر الخليل⁴ بين النصب والرفع في «فأبهت» من قول عروة العذري:

وما هو إلا أن أراها فجاءةً فأبهتُ حتى ما أكادُ أجيبُ⁵

أي: ما الشأن والحديث إلا أن أرى الحبيبة فجأة، فأتحيرّ بحيث يعقد لساني، وكأنني غير قادر على الكلام. والشاهد فيه: جواز الرفع على القطع والاستئناف في «أبهت» أو النصب عطفًا على أراها المنصوب بـ«أن». ومما جاء منقطعًا أيضًا، قول أبي اللحام الثعلبي:

على الحكم المأتيّ يومًا إذا قضى قضيتّه أن لا يجورَ ويقصدُ⁶

أي: يجب على من تولى القضاء بين الناس أن لا يتجاوز الحق، بل عليه أن يعدل في حكمه. والشاهد فيه: أنه قطع «يقصد» عن «أن يجوز» حيث «لا يصح النصب بالعطف على الأول، لأنه يقصد المعنى؛ لأنه يصير عليه غير الجور وغير القصد، وذلك فاسد والوجه الرفع على الابتداء، والمراد عليه غير الجور، وهو يقصد»⁷.

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 322

² - الكتاب ج 3 ص 54.

³ - شرح المفصل ج 4 ص 262.

⁴ - الكتاب ج 3 ص 54.

⁵ - البيت من الطويل لكثير عزة في ديوانه ص 522.

⁶ - البيت من الطويل لأبي اللحام الثعلبي في خزنة الأدب ج 8 ص 555.

⁷ - شرح المفصل ج 4 ص 261.

أوجه الرفع إن لم يقصد الجزاء:

قال الزمخشري: «وإن لم تقصد الجزاء، فرفعت، كان المرفوع على أحد ثلاثة أوجه: إما صفة،... أو حالاً... أو قطعاً واستئنافاً»¹. ومن الرفع على الاستئناف قول الشاعر، وهو من أبيات الكتاب:

وقال رائدهم أرسوا نزلوا لها [فكل حنف امرئ يجري بمقدار]²

أي: قال رائد هؤلاء القوم ومقدمهم «أقيموا نقاتل فإن موت كل نفس يجري بمقدار الله وقدره، لا الجبن ينجي، ولا الإقدام يرديه. وقيل الضمير للسفينة، وقيل للخمر»³. والشاهد فيه: رفع «نزلوا لها» على القطع والاستئناف. باعتبار أنه ليس جواب الأمر حتى يكون مجزوماً. ومما يحتمل الأمرين الحال والقطع قول الشاعر:

كروا إلى حرثيكم تعمرونهما [كما تكرر إلى أوطانها البقر]⁴

يعير الشاعر خصومه بنزول الحرّة⁵ لحصانتها، وامتناعها على طلابها، والشاهد فيه: قوله: «تعمرونها» حيث رفع الفعل تعمرونها، إما على القطع والاستئناف، وإما على الحال، أي كروا عامرين.

رفع المتوسط بين الشرط والجزاء:

قال الزمخشري: «وتقول: «إن تأتني تسألني أعطيك» و«إن تأتني تمشي أمش معك» ترفع المتوسط»⁶؛ أي: أن الفعل الذي يتوسط الشرط والجزاء هو «على ضربين: أحدهما: مرفوع لا غير، والآخر يدخل بين المجزومين، وتكون أنت مخيراً بين الجزم على البذل

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 324.

² - البيت من البسيط للأخطل في الكتاب ج 3، ص 96

³ - خزانة الأدب ج 89.

⁴ - البيت من البسيط للأخطل في الكتاب ج 3 ص 99.

⁵ - الحرّة: أرض ذات حجارة سود نخرة وهي حرة بني سليم وثناها لحة أخرى تجاورها.

⁶ - المفصل في صنعة الإعراب ص 325.

من الأول وبين الرفع على الحال»¹. وقد مثل الزمخشري للنوع الأول بالقول: «إن تأتني تسألني أعطك»؛ لأن تسألني ليس من الإتيان في شيء، فهو في موضع الحال. ومثل للنوع الثاني بالقول: «وإن تأتني تمشي أمش معك» جاز أن ترفع «تمشي» ويكون معناها: إن تأتني ماشياً. وجاز أن تجزم على البديل من الأول؛ لأن «تأتني» في معنى «تمشي». ولكل ضرب من هذين الضربين ما يشهد على صحة استعماله، فقول الحطيئة يشهد على صحة الضرب الأول إذ يقول:

متى تأتته تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد²

أي: متى تأت هذا الممدوح، وهو بغيض بن عامر عاشيا إلى ضوء ناره، تجد أنفع نار عند أفضل موقد لإكرام الضيفان وإطعامهم. والشاهد فيه قوله: «متى تأتته تعشو تجد» حيث رفع الفعل المتوسط تعشو، لأنه ليس في معنى الفعل «تأتي» فلا يكون بدلا منه. ويشهد قول عبد الله بن الحر على الضرب الثاني إذ يقول:

متى تأتتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا³

يعني إن تأتتنا تجد نارا مشتعلة تدعو الأضياف إلينا. والشاهد فيه: جزم الفعل المتوسط تلمم؛ لأنه بدل من قوله «تأتتنا»؛ ولأن الإلمام ضرب من الإتيان، ولو رفع على الحال لجاز ذلك لولا انكسار وزن البيت.

العطف بالجزم على جواب الأمر المنصوب على توهم سقوط فاء السببية:

قال الزمخشري: «وسأل سيبويه الخليل⁴ عن قوله عز وجل: ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ

فَأَصَدَّقَ وَأَكُنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾⁵. فقال: هذا كقول عمرو بن معد يكرب:

¹ - شرح المفصل ج 5 ص 282.

² - البيت من الطويل للحطيئة في إصلاح المنطق لابن السكيت تح. أحمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون. دار المعارف. دط. مصر. دت. ص 198

³ - البيت من الطويل لعبد الله بن الحر في خزنة الأدب ج 9 ص 90

⁴ - الكتاب ج 3 ص 100.

⁵ - المنافقون. من الآية 10

دعني فأذهب جانباً يوماً وأكفك جانباً¹
وكقوله:

بدا لي أنني لستُ مدركَ ما مضى ولا سابق شيئاً إذا كان جائئاً²
أي: كما جرُّوا الثاني؛ لأن الأول قد تدخله الباء فكأنها ثابتة فيه، فكذاك جزموا الثاني لأن الأول يكون مجزوماً، ولا فاء فيه، فكأنه مجزوم³. أي أن الفعل المعطوف على فعل جواب الطلب المقرون بفاء السببية يجوز فيه وجهان: «النصب بالعطف على ما بعد الفاء، والجزم على موضع الفاء، لو لم تدخل، وتقدير سقوطها. ونظير ذلك في الاسم «إن زيدا قائمٌ وعمرو وعمراً»، إن نصبت، فبالعطف على ما بعد «إن»، وإن رفعت، فبالعطف على موضع «إن» قبل دخولها وهو الابتداء⁴. ويشهد على صحة استعمال الوجه الثاني قول عمر بن معد يكرب:

دعني فأذهب جانباً يوماً وأكفك جانباً
ومعناه: اتركني أذهب في جانب من الأرض، وأكفك جانباً من الجوانب التي تتوجه إليها. والشاهد فيه: أنه عطف الفعل أكفك مجزوماً على فعل جواب الأمر «فأذهب» المنصوب بأن المضمر بعد فاء السببية، وذلك على توهم سقوط الفاء وجزم «أذهب» في جواب الأمر. ويشهد على صحة هذا الاستعمال أيضاً قول زهير بن أبي سلمى:

بدا لي أنني لستُ مدركَ ما مضى ولا سابق شيئاً إذا كان جائئاً
أي: علمتني الحياة أنني لا أدرك ما فات، ولن أحصل على شيء قبل أوانه. والشاهد فيه قوله: «لست مدرك ما مضى ولا سابق» حيث عطف اسماً مجزوماً «ولا سابق» على خبر ليس المنصوب على توهم أنه مجرور بحرف الجر، فقد اعتادت العرب القول: «لست

¹ - البيت من مجزوء الكامل لعمر بن معد يكرب الزبيدي في ملحق ديوانه تح. مطاع الطرابيشي مطبوعات مجمع اللغة العربية ط2، بدمشق 1985، ص197.

² - البيت لزهير بن أبي سلمى في تخلص الشواهد ص512.

³ - المفصل في صنعة الإعراب ص328.

⁴ - شرح المفصل ج4 ص286.

بمدركٍ»، وهذا ما أشار إليه الزمخشري بقوله: «كما جروا الثاني؛ لأن الأول قد تدخله الباء فكأنها ثابتة، فيه فكذلك جزموا الثاني؛ لأن الأول يكون مجزوما، ولا فاء فيه فكأنه مجزوم»¹.

الفعل المتعدي إلى ثلاثة:

قال الزمخشري: «الأفعال المتعدية إلى ثلاثة على ثلاثة أضرب: ضرب منقول بالهمزة عن المتعدي إلى مفعولين، وهما فعلان: أَعْلَمْتُ وَأَرَيْتُ... وضرب متعد إلى مفعول واحد وقد أُجْرِي مُجْرَى أَعْلَمْتُ لموافقته له في معناه، فَعُدِّي تعديته، وهو خمسة أفعال: أنبأت ونبأت وأخبرت وخبرت وحدثت... وضرب متعد إلى مفعولين، وإلى الظرف المتسع فيه كقولك: «أعطيت عبد الله ثوبًا الليلة»². وقد استدل على صحة الضرب الثاني بقول الحارث بن حلزة:

[إِنْ مَنَعْتُمْ مَا تَسْأَلُونَ] فَمَنْ حُدَّ دِتْتَمُّوهُ لِه عَلِينَا الْعَلَاءُ³

أي: إن منعتم ما تسألون من الإنصاف فمن حُدثتم عنه أنه قهرنا؟. والشاهد فيه تعديّة الفعل «حدث» إلى ثلاثة مفاعيل هي: نائب الفاعل «تم»، والهاء في حدثتموه، والجملة الاسمية: له علينا العلاء.

استعمال «أرى» و«أقول» بمعنى ظننت:

قال الزمخشري: «ويستعمل «أرأيت» استعمال «ظننت» فيقال: «أرأيت زيدًا منطلقًا»، و«أرى عمرًا ذاهبًا»، «وأين ترى بشرًا جالسًا»؟ ويقولون في الاستفهام خاصة: «متى تقول زيدًا منطلقًا؟»، و«أتقول عمرًا ذاهبًا؟»، و«أكلّ يوم تقول عمرًا منطلقًا؟» بمعنى «أتظن»⁴. وقد استشهد بقول الكميت بن زيد على صحة استعمال تقول بمعنى تظن، وهو من شواهد

¹ - المفصل في صنعة الأعراب ص 328.

² - المصدر نفسه ص 330.

³ - البيت من الخفيف للحارث بن حلزة في تخلص الشواهد ص 468.

⁴ - المفصل في صنعة الإعراب ص 333.

سيبويه:

أجهالاً تقولُ بني لؤيٍّ لعمرُ أبيك أم متجاهليناً¹
 يعني: هل تظن أن بني لؤي جهال أم متجاهلون؟. والشاهد فيه قوله: «أجهالاً تقول بني لؤي» حيث أعمل تقول عمل تظن فنصب بها مفعولين أحدهما قوله: جهالاً، والثاني قوله: بني لؤي قال سيبويه: «واعلم أن قلت إنّما وقعت في كلام العرب على أن يحكى بها... وكذلك ما تصرف من فعله، إلا تقول في الاستفهام شبهوها بتظن، ولم يجعلوها كيظن وأظن في الاستفهام؛ لأنه لا يكاد يستفهم المخاطب عن ظن غيره، ولا يستفهم هو إلا عن ظنه»². وتجدر الإشارة إلى أن الشاعر «أراد ببني لؤي جمهور قریش، لأن أكثرهم ينتمي إلى لؤي بن غالب بن قهر بن مالك بن النظر، وهو أبو قریش كلها، يفخر على اليمن ويذكر فضل مضر عليهم»³. كما استشهد أيضا بقول عمر بن أبي ربيعة؛ ليؤكد على صحة استعمال تقول بمعنى تظن في كلام العرب:

أما الرحيلُ فدُونَ بَعْدِ غَدٍ فمتى تقولُ الدارَ تجمعنا⁴
 يقول: قد حان رحيلنا عن نحب ومفارقتنا في غد، فمتى تجمعنا الدار بعد هذا الافتراق فيما تظن وتعتقد. والشاهد فيه قوله: «تقول الدار تجمعنا» حيث استعمل الفعل تقول بمعنى تظن، ونصب به مفعولين أولهما قوله «الدار» وثانيهما جملة تجمعنا. وينبغي أن أشير في آخر هذه المسألة إلى أن «ناسا من العرب يوثق بعريبتهم، وهم بنو سلم يجعلون باب (قلت) أجمع مثل ظننت»⁵. وهذا يعني أن هناك «من يشترط أن تكون معه استفهام، وأن يكون القول فعلاً للمخاطب، وأن لا يفصل بين أداة الاستفهام والفعل بغير الظرف»⁶.

¹ البيت من الوافر للكميت بن زيد في خزنة الأدب 9/183-184.

² الكتاب لسيبويه ج1 ص122.

³ المصدر نفسه ج 1 ص 123

⁴ البيت من الكامل لعمر بن أبي ربيعة في خزنة الأدب ج2 ص439 وبلا نسبة في تخلص الشواهد ص457.

⁵ الكتاب ج1 ص124.

⁶ شرح المفصل ج4 ص321.

جواز إعمال أفعال القلوب والغائها:

قال الزمخشري: «ومنها إذا تقدمت أعملت، ويجوز فيها الإلغاء والإعمال متوسطة أو متأخرة»¹؛ أي: أن أفعال القلوب لها أحوال ثلاثة: تكون متقدمة على المبتدأ أو الخبر وتكون متوسطة بينهما، وتكون متأخرة عنهما، فإذا تقدمت أعملت، وإذا توسطت أو تأخرت جاز إلغاؤها. ومما يشهد على إلغائها لتوسطها بين المبتدأ والخبر قول الشاعر:

أبا الأراجيز يا ابن اللؤم تُوعِدُنِي وفي الأراجيز، خلتُ اللؤمُ والخورُ²

وقد هجا بهذا البيت رؤبة بن العجاج أو العجاج قائلاً: أتهدني بأراجيزك، وأنت لا تحسن نظمها، إن الأراجيز مظنة لؤم وضعف نفس. والشاهد فيه: قوله: (في الأراجيز خلت اللؤم والخور) حيث ألغى عمل الفعل «خلت» لتوسطه بين المبتدأ والخبر.

عمل كان وأخواتها:

من المعلوم «أنه إذا اجتمع في هذا الباب معرفة ونكرة، فالذي يجعل اسم كان المعرفة لأن المعنى على ذلك، لأنه بمنزلة الابتداء والخبر»³. إلا أنه «ربما اضطر شاعر فقلب وجعل الاسم نكرة، والخبر معرفة، وإنما حملهم على ذلك معرفتهم أن الاسم والخبر يرجعان إلى شيء واحد، فأيهما عرفت تعرف الآخر»⁴. وقد أنشدت الأبيات الآتية شاهدة على صحة هذا الاستعمال، فمن ذلك قول الشاعر:

[قفي قبل التفرق يا ضُباعاً] ولا يك مَوْقِفٌ مِنْكَ الْوَدَاعَا⁵

قفي قبل السفر لأودعك، ولا تجعلي فراقنا هذا آخر عهدي بك. والشاهد فيه قوله: «ولا يك موقف منك الوداعا» حيث جعل «موقف» وهو نكرة اسم يك. و«الوداعا»، وهو معرفة خبرها، والأصل العكس. إلا أنه فعل ذلك لمّا أمن الالتباس. إضافة إلى أن النكرة لما

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 335.

² - البيت من البسيط للعين المنقري في خزنة الأدب ج 1 ص 257.

³ - شرح المفصل ج 4 ص 340.

⁴ - شرح المفصل لابن يعيش ج 4 ص 340.

⁵ - البيت من الوافر للقطاني في خزنة الأدب ج 2 ص 367.

وصفها بقوله: «منك» قربت من المعرفة. كما يعتبر البيت شاهداً على عطف المعرب على المبنى، لأنه عطف ولا يك وهو معرب، على قفي، وهو مبني. ومنها أيضاً قول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

[كَأَنَّ سَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ] يَكُونُ مَزَاجُهَا عَسَلٌ وَمَاءٌ¹

البيت من قصيدة طويلة يهجو فيها أبا سفيان بن الحارث قبل فتح مكة. والشاهد فيه قوله: «يكون مزاجها عسل وماء»، حيث جاء اسم كان نكرة وخبرها معرفة «ضرورة كون القافية مرفوعة... وقد رواه أبو عثمان المازني: «يكون مزاجها عسلاً وماءً» برفع «المزاج» على أنه اسم يكون، وهو معرفة، و«عَسَلًا» الخبر، وهو نكرة على شرط الباب. و«ماءً» مرفوع حملاً على المعنى؛ لأن كل شيء مزاج شيئاً، فقد مزاجه الآخر فصار التقدير: ومزاجه ماء أي: خالطه»². ومنها أيضاً بيت الكتاب:

[فإِنَّكَ لَا تَبَالِي بَعْدَ حَوْلٍ] أَظْبِيَّ كَانِ أُمَّكَ أَمْ حِمَارُ³

أي إذا أتى عليك حول بعد ولادتك، واستغنيت عن أبويك، لا تبالي بمن انتسبت إليه من شريف، أو وضع، وهو ما عبر عنه بالظبي والحمار. والشاهد فيه قوله: «أظبي كان أمك» حيث جاء اسم كان نكرة، وهو ظبي، وجاء خبرها معرفة، وهو أمك، وقياسه العكس حيث الأصل تعريف المبتدأ، وتتكير الخبر بل هو «من القلب الذي يشجع عليه أمن الالتباس»⁴. وإذا كان قوله: «أظبي كان» هي الرواية المشهورة التي رواها سيبويه فمن دونه من النحاة، فإنه جاء في خزنة الأدب «والصواب ما أنشدناه أبو الندى «أظبي ناك أمك أم حمار» وإنما قلبت اللفظة تحرجاً فيما أرى»⁵.

¹ - البيت لحسان بن ثابت في ديوانه. تح وليد عرفات. دار صادر دط. بيروت. 2006 ج 1 ص 17.

² - شرح المفصل ج 4 ص 341.

³ - البيت من الوافر لخداش بن زهير في تخلص الشواهد ص 272 والكتاب ج 48.

⁴ - المفصل في صنعة الأعراب ص 338.

⁵ - خزنة الأدب ج 7 ص 194.

أوجه كان:

ذكر الزمخشري¹ أن لكان أربعة أوجه: ناقصة، وزائدة، وتامة، وبمعنى صار، ثم أنشد من الشعر المحتج به ما يؤكد صحة كونها تأتي زائدة، أو بمعنى صار. فيشهد على زيادتها قول الشاعر:

جِئْتُ بِبَنِي بَكْرِ تَسَامِي عَلَى، كَانِ، الْمَسْمُومَةِ الْعَرَابِ²

أي جئنا هؤلاء القوم تفضل وتسمو على سائر الخيول المسومة العرب. والشاهد فيه قوله: «على كان المسومة» حيث زاد كان بين الجار والمجرور. كما يشهد البيت الآتي على أنها تأتي بمعنى صار:

بَتِيهَاءَ قَفْرٍ وَالْمَطِيِّ كَأَنَّهَا قَطَا الْحَزْنَ قَدْ كَانَتْ فِرَاخًا بِيُوضُهَا³

يصف إبلا بسرعة السير قائلاً: إنها تسير في صحراء قفرة بخطى سريعة سرعة القطا التي فارقت بيوضاً صارت فراخاً. والشاهد فيه قوله: «قد كانت فراخاً بيوضاً» حيث استعمل كان بمعنى صار، وبقي لها نفس العمل.

معاني أضحي:

ذكر الزمخشري أن: «(أصبح)، و(أمسى)، و(أضحى)» على ثلاثة معان: أحدهما أن تقرن مضمون الجملة بالأوقات الخاصة التي هي الصباح والمساء والضحي على طريقة كان. والثاني أن تفيد معنى الدخول في هذه الأوقات كـ «أظهر»، و«أعتم» وهي في هذا الوجه تامة يسكت على مرفوعها... والثالث أن تكون بمعنى صار⁴. وقد أنشد ما يؤكد المعنى الثاني والثالث، ويثبت صحة استعمالها، فهذا عبد الواسع بن أسامة يقول:

¹ - المفصل في صنعة الأعراب ص 339-340.

² - البيت من الوافر بلا نسبة في تخلص الشواهد ص 252 وخزانة الأدب 207/9.

³ - البيت من الطويل لعمر بن أحمد في ديوانه تح. حسين عطوان. مطبوعات مجمع اللغة العربية، د.ط، دمشق د.ت ص 119.

⁴ - المفصل في صنعة الأعراب ص 341.

ومن فعلاتي أَنِّي حَسَنُ الْقَرَى إِذَا اللَّيْلَةُ الشَّهْبَاءُ أَضْحَى جَلِيدَهَا¹
 ومن جملة أفعالي الجميلة أَنِّي أَحْسَنُ قَرَى الضَّيْفِ، إِذَا اشْتَدَّ الْبَرْدُ وَكَثُرَ الْجَلِيدُ، وَاقْشَعَرَ
 وَجْهَ الْأَرْضِ. وَالشَّاهِدُ فِيهِ قَوْلُهُ: أَضْحَى جَلِيدَهَا، حَيْثُ الْفِعْلُ أَضْحَى تَامًا بِمَعْنَى الدَّخُولِ
 وَقْتَ الضَّحَى. وَقَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ :

ثُمَّ أَضْحَوْا كَأَنَّهُمْ وَرَقَ جَفَّ فَ فَأَلَوْتَ بِهِ الصَّبَا وَالِدَبُّورُ²
 إِنْ أَوْلَيْتَ الْمُلُوكَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ فِي الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ أَبَادَتَهُمْ صُرُوفَ الْأَيَّامِ، وَفَرَقْتَ
 جَمَاعَتَهُمْ فَصَارُوا كَأَنَّهُمْ وَرَقَ شَجَرٍ يَبْسُ نَثْرَتُهُ رِيحَ الصَّبَا وَالِدَبُّورِ. وَالشَّاهِدُ فِيهِ قَوْلُهُ:
 أَضْحَوْا حَيْثُ اسْتَعْمَلَ الْفِعْلُ أَضْحَى بِمَعْنَى صَارَ دُونَ أَنْ يَقْصِدَ بِهَا وَقْتًا مَحْدُودًا.

معنى الأفعال الناقصة التي أوائلها الحرف النافي:

قال الزمخشري: «والتى أوائلها الحرف النافي في معنى واحد، وهو استمرار الفعل
 بفاعله في زمانه، ولدخول النفي فيها على النفي جرت مجرى «كان» في كونها للإيجاب
 ومن ثم لم يجز «مازال زيد إلا مقيما»³. يعني أن هذه الأفعال التي في أوائلها حرف نفي
 تجري مجرى كان في كونها للإيجاب، وذلك أن هذه الأفعال معناها النفي، فإذا دخل
 عليها حرف نفي عادت إلى الثبات. ولذا لم يجز: «مازال زيد إلا مقيما» لأن ما زال معناها:
 ثبت. ومنه لا ينقل الاستثناء بخبرها، وعلى هذا الأساس خُطِيَّ ذُو الرِّمَّةِ فِي قَوْلِهِ:

حَرَا جِيحُ مَا تَتَفَكُّ إِلَّا مَنَاخَةً [عَلَى الْخَسْفِ أَوْ نَرْمِي بِهَا بِلَدَا قَفْرًا]⁴
 أَي أَنَّ هَذِهِ الْإِبِلَ لَا تَخْلُو مِنْ أَحَدٍ هَذِهِ الْأَمْرِينَ، إِمَّا أَنَّهَا مَنَاخَةٌ عَلَى الْجَوْعِ، أَوْ سَائِرَةٌ
 فِي الْأَرْضِ الْمَقْفُورَةِ. وَالشَّاهِدُ فِيهِ قَوْلُهُ: «مَا تَتَفَكُّ إِلَّا مَنَاخَةً» حَيْثُ دَخَلَتْ إِلَّا عَلَى خَيْرٍ مَا
 تَتَفَكُّ، وَهَذَا غَيْرُ جَائِزٍ؛ لِأَنَّهُ مَا تَتَفَكُّ وَأَخْوَاتُهُ بِمَعْنَى الْإِيجَابِ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى، وَلِذَا لَا

¹ - البيت من الطويل لـ عبد الواسع في شرح المفصل ج 4 ص 353، وبلا نسبة في أمالي ابن الحاجب ص 295.

² - البيت من الخفيف لعدي بن زيد في شرح المفصل لابن يعيش ج 4 ص 356

³ - المفصل في صنعة الإعراب ص 342

⁴ - البيت من الطويل لذى الرِّمَّةِ فِي دِيْوَانِهِ ص 86.

يدخل الاستثناء على خبرها، وللبيت تخريجات وآراء عدة نذكر منها: «قال المازني: إلا فيه زائدة والمراد ما تنفك مناخه. وقيل الخبر: «على الخسف» ومناخه حال والمراد: ما تنفك عن الخسف إلا مناخه فما تكون «إلا» قد دخلت على الخبر، وقيل إن «إلا» واقعة في غير موضعها، والنية بها التأخير والمراد: ما تنفك مناخه إلا على الخسف»¹. وقال الزمخشري: «وتجيء محذوفاً منها حرف النفي»². ويشهد على ذلك قول امرأة سالم بن قحطان:

تزال حبالاً مبرماتٌ أعدها [لها ما مشى، يوماً على حُفّه جمل]³
 حلفت أنها لا تزال تعد الحبال المبرمات للجمال، حيث كان زوجها كريماً يصحب
 الجمال، فقال لها يوماً علي الجمال عليك الحبال فأنشدته ذلك. والشاهد فيه قوله: «تزال»
 حيث حذف النافي منه، وهو جواب قسم والتقدير: أي لا تزال. والقسم في بيت قبله هو:

حلفت يمينا يا ابن قحطان بالذي تكفل بالأزرق في السهل والجبل

كما يشهد على ذلك أيضاً قول امرئ القيس:

فقلّت لها تالله أبرح قاعداً [ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي]⁴

يقسم لمحبوته بأنه لا يفارقها، ولو أدى ذلك إلى تقطيع أوصاله. والشاهد فيه قوله:
 «أبرح قاعداً» حيث حذف الحرف النافي من الفعل الناقص أبرح الذي هو جواب القسم
 والتقدير أقسم لا أبرح. ف«لا» محذوفة من جواب القسم باطراد. ويشهد أيضاً على حذف
 الثاني قول الشاعر:

تَنفُكُ تَسْمَعُ مَا حَيِي تَ بِهِالِكِ حَتَّى تَكُونُهُ⁵

¹ - شرح المفصل ج ٥ ص 359-360.

² - المفصل في صنعة الإعراب ص 342.

³ - البيت من الطويل لامرأة سالم بن قحطان في خزنة الأدب ج 9، ص 245.

⁴ - البيت من الطويل لامرئ القيس في ديوانه تح. عبد الرحمن المصطاوي. دار المعرفة. بيروت ط 2، 2004، ص 137.

⁵ - البيت من مجزوء الكامل لخليفة بن براز في خزنة الأدب 328/9.

لا تزال تسمع ما حييت بموت فلان، وفلان حتى تكونه. والشاهد فيه: «تتفك» حيث حذف حرف النفي.

تشبيه عسى بكاد والعكس:

يؤكد الزمخشري¹ على تشبيه «كاد» بـ «عسى» والعكس، حيث أنشد من شعر العرب ما يشهد على تشبيه عسى بـ «كاد» إذ يقول الشاعر:

عسى الكربُ الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرجٌ قريبٌ²

يقول لرجل من قومه وقع في الأسر: عسى أن يكون وراء ما أنت فيه من حزن، فرج قريب. والشاهد فيه: إسقاط أن من الخبر ورفع الفعل على التشبيه بـ «كاد» حيث «الأصل في «عسى» أن يكون في خبرها «أن» لما فيها من الطمع والإشفاق، وهما معنيان يقتضيان الاستقبال وأن مؤذنة بالاستقبال، وأصل كاد أن لا يكون في خبرها «أن»، لأن المراد بها قرب حصول الفعل في الحال، إلا أنها قد تشبه «عسى» بـ «كاد» فينزع من خبرها أن»³. كما أنشد ما يشهد على تشبيه «كاد» بـ «عسى» إذ يقول الشاعر:

[رَبْعٌ عَفَاهُ الدَّهْرُ طَوْلًا فَاَنْمَحَى] قَد كَادَ مِنْ طَوْلِ الْبُلَى أَنْ يَمْصَحَا⁴

يصف ربع الحبيبة بأنه يكاد يذهب ويدرس لقدمه، وعفو أثره. والشاهد فيه: اقتران خبر كاد بأن تشبيها لـ «كاد» بـ «عسى». والوجه سقوطها.

استخدام كاد منفيّة:

ذكر الزمخشري⁵ في هذا الفصل أن قوله تعالى: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْهَا﴾⁶ هي على نفي مقارنة الرؤية ومن النحاة «من قال التقدير: لم يرها، ولم يكذب، وهو ضعيف؛ لأن

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 346.

² - البيت من الوافر لهدبة بن خثوم في خزنة الأدب 328/9

³ - شرح المفصل ج 4 ص 379.

⁴ - البيت من الرجز لرؤية في ملحق ديوانه تح. وليم بن الورد البروسي دار بن قتيبة. الكويت د.ط، د.ت، ص 172.

⁵ - المفصل في صنعة الإعراب ص 348.

⁶ - النور من الآية 40.

لم يكد إن كانت على بابها، فقد نُقض أول كلامه بآخره، وذلك أن قوله: «لم يرها» يتضمن نفي الرؤية، وقوله: «ولم يكد» فيه دليل على حصول الرؤية، وهو متناقضان، ومنهم من قال: إن «يكد» زائدة والمراد لم يرها، وعليه أكثر الكوفيين¹. ويرى ابن يعيش: «أن المعنى يراها بعد اجتهاد ويأس من رؤيتها... ف(كاد) هذه إذا استعملت بلفظ الإيجاب كان الفعل غير واقع، وإذا اقترن بها حرف النفي كان الفعل الذي بعدها قد وقع هذا مقتضى اللفظ فيها، وعليه المعنى، والقاطع في هذا قوله تعالى: ﴿فَدَبَّحُوا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾². وقد فعلوا الذبح بلا ريب»³. وأنشد قول ذي الرمة ليستدل به على أن استخدام كاد منفية دلالة على نفي مقارنة الفعل، وهو أبلغ من نفي الفعل نفسه إذ يقول:

إذا غيّر النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح⁴

إذا زال الحب عن قلوب المحبين بطول الفراق، فحب مية لا يقارب الزوال من قلبي فهو راسخ متمكن فيه. والشاهد فيه: على أن النفي دخل على (كاد) وهو قوله: «لم يكد»، وقد أفاد نفي مقارنة زوال رسيس الهوى من حب مية، وهو أبلغ من نفي زواله، ليدل بذلك على مدى تمكن حبها من قلبه.

استعمال أو شك:

ذكر الزمخشري أن «أوشك يستعمل استعمال (عسى) في مذهبيها، واستعمال (كاد) تقول: «تقول: (يوشك زيد أن يجيء)، و (يوشك أن يجيء زيد)، (ويوشك زيد يجيء)»⁵. أي: أن الفعل أو شك يستعمل استعمال (كاد) فيأتي خبره مضارعا مجردا من أن كخبر كاد. وقد أنشد ما يستدل به على إسقاط أن من خبره تشبيها ب (كاد)، كما أسقطت بعد (عسى) تشبيها ب (كاد):

¹ - شرح المفصل ج 1ص 384.

² - البقرة من الآية 71.

³ - شرح المفصل ج 1ص 384-385.

⁴ - البيت من الطويل لذي الرمة في خزنة الأدب ج 9ص 309

⁵ - المفصل في صنعة الإعراب ص 349.

يوشاك من فرّ من منيَّته في بعض غرّاته يوافقها¹
 إن الإنسان لا ينجيه من الموت فراره منه، وأن من احترز عنه؛ وقع فيه على حين
 غفلة منه. والشاهد فيه: مجيء خبر أوشك فعلا مضارعا غير مقترن بأن تشبيها بـ(كاد).

نِعْمَ وعملها:

قال الزمخشري: «وقد يجمع بين الفاعل وبين المميز تأكيدا فيقال: ((نعم الرجل رجلا
 زيّد))² ويشهد على صحة ذلك قول جرير:

تزوّد مثل زاد أبيك فينا فَنِعْمَ الزاد زاد أبيك زاداً³

تزوّد في معاملتنا زاداً صالحاً، مثل الذي تزوّد أبوك منه قبلك في معاملتنا، فنعم الزاد
 زادّه. والشاهد فيه: (نعم الزاد زاداً)، حيث جمع بين الفاعل: الزاد، والتميز: زاداً. إلا أن ابن
 يعيش لا يسلم: أن زاداً منصوب بـ (نعم) وإنما هو مفعول به بـ (تزوّد) والتقدير: تزوّد زاداً
 مثل زاد أبيك فينا. فلما قدّم صفته عليه نصبها على الحال، ويجوز أن يكون مصدراً مؤكداً
 محذوف الزوائد، والمراد تزوّد تزوّدًا وهو قول الفراء، ويجوز أن يكون ((الزاد)) تمييزاً لقوله
 مثل زاد أبيك فينا. كما يقال: (لي مثله رجلاً) وعلى تقدير أن يكون العامل فيه (نعم) فإن
 ذلك من ضرورة الشعر، هكذا قال أبو بكر بن السراج، وما ثبت للضرورة يتقدّر بقدر
 الضرورة، ولا يجعل قياساً⁴.

استقلال بعض الحروف:

قال الزمخشري: «الحرف ما دلّ على معنى في غيره، ومن ثم لم ينفك من اسم أو فعل
 يصحبه، إلا في مواضع مخصوصة، حذف فيها الفعل واقتصر على الحرف، فجرى مجرى

¹ - البيت من المنسرح لأمية بن أبي الصلت في الكتاب ج3ص161

² - المفصل في صنعة الإعراب ص351

³ - البيت من الوافر لجرير في شرح ديوانه ص135.

⁴ - شرح المفصل ج4ص397.

النائب، نحو قولهم: «نعم»، و«بلى»، و«إي»، و«إِنَّه» و«يا زيد»، و«قَدْ»¹. كما ورد ذلك في كلام العرب، فهذا النابغة الذبياني يقول:

[أزف الترحل غير أن ركابنا لَمَّا تَزُلْ بِرَحَالِنَا] و كَأَنْ قَدْ²

أي: لقد قرب الرحيل، ولكن إبلنا لا تزال في الديار، وكأنها قد فارقتها، لاعتزامنا على الرحيل. والشاهد فيه: مجيء «قد» كلمة مستقلة يصلح الوقف عليها.

معاني حتى:

لـ«حتى» ثلاثة معان³: منتهى ابتداء الغاية بمنزلة إلى. وربما استعملت غاية، وتكون عاطفة بمنزلة الواو، ومبتدأ ما بعدها. باعتبارها حرفاً من حروف الابتداء. وقد أنشد الزمخشري بيت امرئ القيس شاهداً على مجيء «حتى» حرف ابتداء:

سَرِيتُ بِهِمْ حَتَّى تَكُلَّ مَطِيئُهُمْ وَحَتَّى الْجِيَادُ مَا يُقَدْنَ بِأَرْسَانِ⁴

أي أنه يسري بأصحابه حتى يكل المطيء، وينقطع الخيل، وتجهد، فلا تحتاج إلى أرسان. ويحتمل أنه يريد: إنهن لا ينقدن بالأرسان، وإن جررن من شدة الإعياء والتعب. والشاهد فيه قوله: وحتى الجياد. حيث «حتى» حرف ابتداء معناه الغاية، وليست عاطفة لدخول الواو عليها، ولا جارة لارتفاع الاسم بعدها.

زيادة الباء:

بعد أن عدد الزمخشري⁵ معاني «الباء» من إصاق، واستعانة، ومصاحبة. ذكر أنها تأتي مزيدة، أي: أنها لا تحدث معنى من المعاني المذكورة، وتكون مزيدة في المنصوب. ويشهد على ذلك قول الشاعر:

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 363

² - البيت من الكامل للنابغة الذبياني في ديوانه. تح عباس عبد الساتر ص 105.

³ - ينظر المفصل في صنعة الإعراب ص 367 وشرح المفصل ج بص 467-469.

⁴ - البيت من الطويل لإمرئ القيس في ديوانه. شرح أبي سعيد السكري ص 496

⁵ - ينظر المفصل في الإعراب ص 366-367.

[هِنَّ الْحَرَائِرُ لَا رِيَّاتُ أُخْمِرَةَ] سُودُ الْمَحَاوِرِ لَا يَقْرَأْنَ بِالسُّورِ¹

هن سيدات شريفات يقرآن القرآن الكريم، ولسن جوارى يشددن رؤوسهن بأغظيتها بسبب العمل. والشاهد قوله: لا يقرآن بالسور. حيث زاد حرف الجر «الباء» في الاسم المنصوب «السور»، فالأصل لا يقرآن السور. كما أنها تكون مزيدة في المرفوع، ويشهد على ذلك قول الشاعر:

أَلَا هَلْ أَتَاهَا وَالْحَوَادِثُ جَمَّةً بَأْنَ امْرَأَ الْقَيْسِ بَنَ تَمْلِكِ بَيِّقَرًا²

هل أتى تلك المرأة أن امرأ القيس ترك قومه بالبادية، وأقام بالحضر. والشاهد فيه: زيادة الباء في المرفوع في قوله: (بأن امرأ القيس...) وهو نظير قوله تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾³.

من أحكام رب:

ومن أحكام رُبَّ «أن الفعل الذي تسلطه على الاسم يجب تأخره عنها، وأنه يجيء محذوفاً في الأكثر، كما حذف مع الباء في «بسم الله»⁴. أي أنه لا بد من فعل يتعلق به كالباء وغيرها، وأنه كثيراً ما يحذف» حتى إن بعضهم قال لا يجوز إظهاره إلا في ضرورة الشعر»⁵. وقد أنشد الزمخشري ما يشهد بصحة هذا الحكم المذكور لـ «رُبَّ» إذ يقول الشاعر:

رُبِّ رَفِدٍ هَرَقْتُهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ مَ وَأَسْرَى مِنْ مَعْشَرِ أَقْيَالِ⁶

أي رب دم هرقته، ورب أسر ملكته ذلك اليوم. والشاهد: حذف جواب «رُبَّ» وذلك في قوله: «رب رفد هرقته» أي رب رفدٍ مهراق ضمته إلى أسرى، ولزوم الصفة للنكرة المجرورة بـ «رُبَّ»، ومن أحكام رُبَّ أنها «تكفّ بـ (ما) فتدخل حينئذ على الاسم والفعل

¹ البيت من البسيط للراعي النمري في ديوانه ص 122.

² البيت من الطويل لإمرئ القيس في ديوانه شرح أبي سعيد السكري ص 422.

³ سورة النساء. من الآية 79

⁴ المفصل في صنعة الإعراب ص 368.

⁵ شرح المفصل ج 4 ص 485.

⁶ البيت من الخفيف للأعشى في خزنة الأدب ج 9 ص 586.

كقولك: «رَبِّمَا قام زيدًا»، و«رَبِّمَا زيد في الدار»¹. وقد أنشد الزمخشري ما يشهد بصحة هذا الحكم أيضا إذ يقول الشاعر:

رَبِّمَا الجامل المُوَبَّلُ فيهم وعناجيجُ بينهنَّ المِهَّارُ²

يصف قومه بالغنى يقول: عندهم الإبل المؤبلة، والخيول الجياد معها أولادها. والشاهد فيه قوله: «رَبِّمَا الجامل» حيث دخلت ما الكافة على رُبِّ فكفتها عن عمل الجر، وحينئذ تدخل على الجمل مُطلقا.

على: بين الاسمىة والحرفىة:

قال الزمخشري: «(على) للاستعلاء تقول: ((عَلَيْهِ دَيْنٌ))...وتقول: على الاتساع: (مررتُ عليه) إذا جزته، وهو اسم»³. وقد أنشد بيت مزاحم بن الحارث العقيلي شاهداً على اسمىة «على» بمعنى فوق:

عَدَّتْ مِنْ عَلَيْهِ بَعْدَمَا تَمَّ ظِمُّوْهَا [تَصِلُ وَعَنْ قَيْضٍ بَرِيْرَاءَ مَجْهَلٍ]⁴

أي: أن هذه القطة أقامت مع فرخها حتى عطشت، فعدت من فوقه تطلب الماء، وكان لجوفها صليل من شدة العطش. والشاهد فيه: أن «على» يتعين أن تكون اسماً بمعنى فوق إذا دخل عليها حرف الجر مثل ما ورد في هذا الشاهد.

وذكر في معرض تفسيره لقوله تعالى: قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ﴾⁵ أن: «على في قوله: ﴿عَلَى الْكِبَرِ﴾ بمعنى مع...وهو في موضع الحال معناه: وهب لي وأنا كبير، وفي حال الكبر»⁶. وذكر صاحب الدر المصون أن قوله تعالى: ﴿عَلَى الْكِبَرِ﴾: «فيه وجهان أحدهما: إن على بابها من الاستعلاء المجازي، والثاني إنها بمعنى

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 369.

² - البيت من الخفيف لأبي دواد الإيادي في خزنة الأدب ج 9 ص 586.

³ - المفصل في صنعة الإعراب ص 370.

⁴ - البيت من الطويل لمزاحم العقيلي في خزنة الأدب 10/148.

⁵ - إبراهيم من الآية 39

⁶ - الكشاف ج 2 ص 402

مع¹ وقد استشهد الزمخشري على أن: ﴿عَلَى﴾ في هذه الآية تفيد المصاحبة. إذ يقول الشاعر:

إني على ما تَرَيْنَ من كبري أعلم من حيث تُؤكَلُ الكَتِفُ²
أي: إني مع ما ترىنه من كبري وهرمي، فاني عارف بالأمر متيقظ لها، وقد كُنَى على ذلك بقوله: «أعلم من حيث تؤكل الكتف». والشاهد فيه: إن على بمعنى مع كقوله تعالى: ﴿عَلَى الكِبَرِ﴾.

وذكر أيضا في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَعَلِّي أَتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾³: أن «معنى الاستعلاء في ﴿عَلَى النَّارِ﴾ أن أهل النار يستعلون المكان القريب منها، كما قال سيبويه في مررت بزید: أنه لصوق بمكان يقرب من زيد، أو لأن المصطلين بها والمستمتعين بها إذا تكفوها قياما وعودا كانوا مشرفين عليها»⁴. وقد استشهد على معنى الاستعلاء المستفاد من «على» بقول الشاعر:

[تَشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانَهَا] وبات على النَّارِ النَّدى والمحلَّق⁵
يقول: إن نار المحلَّق توقد لمقرورين أصابتها قشعريرة البرد، وأنه بات هو والندى عليها والشاهد فيه: «على النَّارِ» بما فيه من معنى الاستعلاء كقوله تعالى: ﴿عَلَى النَّارِ﴾.

حرف الكاف:

قال الزمخشري: «والكاف للتشبيه، كقولك: «الذي كزید أخوك» وهو اسم»⁶. أي أن الكاف تكون حرفا من الحروف الجارة، وتكون اسما، وقد أنشد ما يحتج به على اسميته، إذ يقول العجاج:

¹ - الدر المصون ج 7 ص 116

² - البيت من المنسرح بلا نسبة في تاج العروس. مادة (كتف) ولقيس بن الخطيم في الدر المصون ج 7 ص 116

³ - طه من الآية 10.

⁴ - الكشاف ج 3، ص 50.

⁵ - البيت من الطويل للأعشى في مغني اللبيب ج 2، ص 119.

⁶ - المفصل في صنعة الإعراب ص 371.

[بِيضٌ ثَلَاثٌ كَنَعَا جُجِم] يضحكن عَنْ كَالْبُرْدِ الْمَنَهُم¹

إنهن ثلاث نسوة ناعمات تبدو أسنانهن عندما يضحكن كالبرد المذاب. والشاهد فيه قوله: «(عن كالبرد)». حيث استعملت الكاف اسماً بمعنى مثل بدليل دخول حرف الجر «(عن)» عليها، وهو لا يدخل إلا على الأسماء. وأضاف الزمخشري: «ولا تدخل على الضمير استغناء عنها بـ (مثل)»؛ ولذا اعتبر ما ورد عن العرب من دخولها على الضمير شاذاً إذ يقول العجاج:

[خَلَى الذَّنَابَاتِ شِمَالاً كَتَبًا] وَأُمُّ أَوْعَالٍ كَهَا أَوْ أَقْرَبًا²

يقول: أنه لما عدا ترك الذنابات عن شماله قريبة منه، وتلك الهضبة «(أم أوعال)» كانت في القرب منه كالذنابات، أو أقرب إليه منها. والشاهد فيه: دخول كاف التشبيه على الضمير، وهو نادر للاستغناء عنه بـ «(مثل)» وذلك في قوله: «(كها)»، ومن شأن الكاف أن تجر الاسم الظاهر والضمير المنفصل.

حاشا وعملها:

قال الزمخشري: «و(حاشا) معناها التنزيه»³. هذا ما استخلص من قول الشاعر:

حاشا أبي ثوبان إنَّ به ضِنًّا عن المَلْحَاةِ والشَّتَمِ⁴

أنزه أبا ثوبان عما وسمت به قومه من الغدر، وقلة الوفاء، فإنه يكره الملاحاة والسباب فكيف ينكث العهد، ويغدر الجوار، وكان قوم هذا الرجل نزل بهم رجل فقتلوه. والشاهد فيه: أن حاشا معناها التنزيه، وقد جرت الاسم الذي ورد بعدها «(أبي ثوبان)».

¹ - البيت من الرجز للعجاج في ديوانه. تح عبد الحفيظ السطلي ص 328.

² - البيت من الرجز للعجاج في ديوانه تح عبد الحفيظ السطلي ص 269.

³ - المفصل في صنعة الإعراب ص 372.

⁴ - البيت من الكامل للجميل الأسدي في الجنى الداني ص 562 وفي البيت تخليط من جهة الرواية أنه ركب صدره

على عجز غيره: حاشا أبي ثوبان إنَّ أبا قبوس ليس ببيكمه قدم

عمرو بن عبد الله إنَّ به ظنا عن الملحاحات والشتم

حذف أحرف الجر:

قال الزمخشري: «وتحذف حروف الجر، فيتعدى الفعل بنفسه»¹ وقد أنشد ما يعتبر شاهداً على حذف حرف الجر فتعدى الفعل بنفسه إذ يقول:

1- منا الذي أختير الرجالَ سماحةً وجوداً إذا هبَّ الرياحَ الزعازع²

أي: منا الذي اختاره الناس عند اشتداد الزمان، وهبوب الرياح لكرمه وجوده وسماحته. والشاهد فيه قوله: «أختير الرجال» حيث جاء اسم الرجال منصوباً بنزع الخافض، والأصل: من الرجال، وهو المفعول الثاني المقيد بحذف الجر للفعل (اختار). كما يعتبر البيت نفسه شاهداً على جمع ربح على أرواح في رواية ثانية³.

2- أمرتك الخير فافعل ما أمرت به فقد تركتك ذا مالٍ وذا نشب⁴

يخاطب ابنه: افعل الخير فإني أمرت به، فقد تركت لك الكثير من الأموال. والشاهد فيه: حذف حرف الجر، ونصب مجروره، فالأصل أمرتك بالخير.

كف إن وأخواتها عن العمل:

الحروف المشبهة بالفعل وهي «(إنّ) و(أنّ) و(لكنّ) و(كأنّ) و(ليت) و(لعلّ)» تلحقهما «(ما) الكافة فتعزلها عن العمل ويبتدأ بعدها الكلام»⁵. أي أنه «قد تدخل (ما) على هذه الحروف فتكفها عن العمل، وتصير بدخول (ما) عليها حروف ابتداء تقع الجملة الابتدائية والفعلية بعدها»⁶. وقد أنشد الزمخشري بيتاً لسويد بن كراع العكلي شاهداً على صحة ذلك إذ يقول:

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 373.

² - البيت من الطويل للفرزدق في خزانة الأدب ج 3 ص 113.

³ - شرح المفصل ج 3 ص 409.

⁴ - البيت من البسيط لعمر بن معد يكرب. تح مطاع الطرايشي ص 63.

⁵ - المفصل في صنعة الإعراب ص 375.

⁶ - شرح المفصل ج 4 ص 521.

تَحَلَّلْ وعالج ذات نفسك وانظُرْ أَبَا جُعَلٍ لَعَلَّما أنت حالمٌ¹

يقول هازناً بمن توعدده بالقتل: إنك كالحالم في وعيدك وبمينك، فتحلل بالكفارة عما أقسمت عليه من قتلي، وعالج نفسك من ذهاب عقلك، وتعاطيك ما ليس من وسعك. والشاهد فيه قوله: «لعلما» حيث كفت عن العمل بدخول ما الكافة عليها. وأنشد أيضا بيتا للفرزدق شاهدا على كف لعل عن العمل، وزوال اختصاصها بالأسماء بدخولها على الفعل إذ يقول:

أَعِدْ نَظْرًا يا عبد قَيْسٍ لَعَلَّما أضاعت لك النارُ الحمارَ المُقَيِّدا²

قال ابن يعيش: «والمعنى أنهم أهل ذلّة وضعف، لا يأمنون من يطرقهم ليلاً؛ فلذلك قيدوا حمارهم، وأطفأوا نارهم.»³ والشاهد فيه: أنه لما كَفَّ «لعل» عن العمل أولاًها الفعل الذي لم يلها قبل؛ لأنه يزول عنها الاختصاص بالأسماء. «ومنهم من يجعل (ما) زائدة ويعملها»⁴. أي إذا كان القياس هو إلغاء عمل إن وأخواتها، بدخول ما الكافة عليها، فإنه هناك من العرب من يعملها على اعتبار ما زائدة، وعلى هذا الأساس روي بيت النابغة الذبياني على وجهين:

قالت: ألا ليتما هذا الحمامُ لنا [إلى حمامتنا ونصفه فُقَدَ]⁵

قال ابن يعيش: «يصف زرقاء اليمامة بحدة البصر، وأنها رأت حمامًا طائراً فأحصت عدتها في حال طيرانها»⁶. قائلة: ليت هذا الحمام كله، ونصفه أيضا لنا إضافة إلى حمامتنا، وهذا إن حصل فهو كاف. والشاهد فيه: جواز إعمال ليت التي اتصلت بها «ما»، أو عدم إعمالها والحجة في ذلك «أنه روي على وجهين بالنصب والرفع، فالنصب

¹ - البيت من الطويل لسويد بن كراع العجلي في الأزهية ص 89.

² - البيت من الطويل للفرزدق. في ديوانه. تح علي فاعور ص 161

³ - شرح المفصل ج 4 ص 524.

⁴ - المفصل في صنعة الإعراب ص 376.

⁵ - البيت من البسيط للنابغة الذبياني في ديوانه. تح عباس عبد الساتر ص 14.

⁶ - شرح المفصل ج 4 ص 326.

من وجهين: أحدهما: على إعمال (ليت)... والآخر: أن تكون ((ما)) زائدة مؤكدة... ورفعها من وجهين: أحدهما أن تكون ((ما)) موصولة بمعنى الذي وما بعدها صلة والتقدير: ألا ليت الذي هو الحمام، والآخر على إلغاء ليت وكفها عن العمل¹.

جواز فتح همزة إنّ وكسرهما:

قال الزمخشري: «ومن المواضع ما يحتمل المفرد والجملة، فيجوز فيه إيقاع أيتهما شئت، نحو قولك: أول ما أقول إني أحمد الله»، إن جعلتها خبراً للمبتدأ، فتحت، كأنك قلت: أول مقولي حمدُ الله، وإن قدرت الخبر محذوفاً كسرت حاكياً². ومن ذلك قول الشاعر شاهداً على صحة هذين الاحتمالين وجوازهما إذ يقول:

كنتُ أرى زيّداً كما قيل سيّداً إذا أنّه عبدُ القفا واللاهزم³

يقول: كنت أظن أن زيّداً سيّداً - كما قيل - وإذا به عبد القفا واللاهزم؛ أي: يصفع على قفاه، ويعامل معاملة العبيد. والشاهد فيه قوله: ((إذ إنه...)) بحيث يجوز كسر همزة إنّ وفتحها بعد إذا الفجائية «فالكسر على نيّة الجملة من المبتدأ أو الخبر؛ لأن إذا هذه يقع بعدها المبتدأ والخبر والتقدير: فإذا هو عبد القفا... وأما الفتح في ((أن)) بعد إذا في البيت فعلى تأويل المصدر المبتدأ، والخبر عنه إذا، كما تقول: أما في القتال فتلقائي العبودية ويجوز أن يكون في موضع المبتدأ، والخبر محذوف، والتقدير: فإذا العبودية شأنه. ويكون إذا حرفاً دالاً على معنى المفاجأة، وإذا كانت كذلك لم تكن خبراً⁴.

دخول لام الابتداء على خبر إنّ:

قال الزمخشري: «ولكون المكسورة للابتداء، لم تجامع لامه إلا إياها». أي: أنّه قد

¹ - شرح المفصل ج 4 ص 525-526.

² - المفصل في صنعة الإعراب ص 377.

³ - البيت من الطويل بلا نسبة. ونذكر على سبيل المثال: تخلص الشواهد ص 348.

⁴ - شرح المفصل ج 4 ص 530.

تدخل لام الابتداء في خبر إنّ مؤكدة دون سائر أخواتها¹. إلا أن الكوفيين أجازوا هذه اللام في خبر لكنّ، واستدلوا على جواز ذلك بقول الشاعر:

[يلومني في حبّ ليلى عواذلي] ولكنني من حبّها لعميد²

حيث دخلت اللام على خبر «لكن» الأمر الذي يمنعه البصريون بحجة أنهم لما جوّزوا «دخول اللام في خبر «إنّ» لاتفاقهما في المعنى، وهو التأكيد، وأنها لم تغير معنى الابتداء فجاز دخول اللام عليها كما يجوز مع الابتداء المحض في نحو: «لزيد قائم». وأما لكنّ فقد أحدثت استدراكاً، وليس ذلك في اللام والتأكيد وفق المؤكد، فهي تخالفه بزيادة أو نقص خرج عن التأكيد³. ولذا فهم يقولون إن الشاعر «أراد لكنّ الخفيفة، فأتى بـ إنّ بعدها، والتقدير: لكنّ إنني، فحذفت الهمزة تخفيفاً، وادّغمت النون في النون فقيل: ولكنّني على حدّ قوله تعالى: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ﴾⁴ والأصل «لكن أنا هو الله»⁵. وقال الزمخشري أيضاً: «ولها إذا جامعتها ثلاثة مداخل تدخل على الاسم إن فصل بينه، وبين إنّ، كقولك: «إنّ في الدار لزيداً»... وعلى الخبر كقولك: «إنّ زيدا لقائم»... وعلى ما يتعلق بالخبر إذا تقدمه كقولك: «إنّ زيدا لطعامك آكل» و«إنّ عمرًا في الدار جالس»⁶. ومما يثبت صحة استعمال هذه المداخل ما جاء في القرآن الكريم⁷، والكلام الفصيح وبخاصة دخولها على ما يتعلق بالخبر إذا تقدمه إذ يقول الشاعر:

إن امرًا خصّني عمدًا مودّته على الثّنائي لعندي غير مكفور⁸

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 378.

² - البيت من الطويل بلا نسبة في أمات الكتب النحوية منها واللغوية. وقد نسبه ابن يعيش في شرح المفصل ج 4 ص 534 إلى حميد بن يحيى.

³ - شرح المفصل ج 4 ص 534.

⁴ - سورة الكهف من الآية 38.

⁵ - شرح المفصل ج 4 ص 534.

⁶ - المفصل في صنعة الإعراب ص 378.

⁷ - النازعات الآية 26، النحل الآية 18، الحجر الآية 72.

⁸ - البيت من البسيط لأبي زيد الطائي في سر صناعة الإعراب ج 1 ص 375.

أي: من أنعم عليّ نعمة قابلته عليها بالشكر، ولم أجد لها، ولو كان غائباً. والشاهد فيه: دخول اللام على الظرف («عندي»)، وهو متعلق بمكفور، لكنّه لما تقدم عليه حسن دخول اللام عليه.

العطف على محل إن واسمها:

قال الزمخشري: «ولأن محل المكسورة وما عملت فيه الرفع، جاز في قولك: «إن زيدا ظريف وعمراً»، و«إن بشراً راكب لا سعيداً» أن ترفع المعطوف حملاً على المحل»¹. أي أنه يجوز في المعطوف على موضع «إن» قبل دخولها النصب والرفع، فالنصب على اللفظ والرفع على المعنى. وقد أنشد الزمخشري بيت جرير شاهداً على جواز العطف على المعنى باعتبار أن العطف على اللفظ لا يحتاج إلى دليل إذ يقول:

إن الخلافة والنبوّة فيهم والمكرمات وسادة أطهار²

فحوى البيت مدح لقريش، وهم أهله. والشاهد فيه: رفع المكرمات حملاً على موضع إن وما عملت فيه، ويجوز أن تعرب مبتدأ والتقدير: والمكرمات موجودة فيهم. ومما يحتج به أيضاً في باب العطف على محل إن واسمها قول الشاعر:

فاعلموا أنّا وأنتم بغاة ما بقينا في شقاق³

وجاء في خزنة الأدب أن «سبب هذا الشعر... أن قوماً من آل بدر الفزاريين جاؤوا بني لأم من طيّ فعمد بنو لأم إلى الفزاريين فجزّوا نواصيهم، وقالوا: قد منّا عليكم ولم نقتلكم - وبنو فزارة حلفاء بني أسد - فغضب بنو أسد لأجل ما صنع بالبديين، فقال بشر هذه القصيدة، يذكر فيها ما صنع ببني بدر، ويقول للطائيين: فإذا قد جززتم نواصيهم فاحملوها إلينا، وأطلقوا من قد أسرتهم منهم، وإن لم تفعلوا فاعلموا أنا نبغىكم، ونطلبكم، فإن أصبنا أحداً منكم طلبتمونا به، فصار كل واحد منا يبغى صاحبه، فنبقى في شقاق وعداوة

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 379.

² - البيت من الكامل لجرير في تخلص الشواهد ص 369 والكتاب ج 2 ص 145 وغير موجود في ديوانه.

³ - البيت من الوافر لبشر بن أبي خازم في تخلص الشواهد ص 373.

أبدا»¹. والشاهد فيه: العطف على محل اسم إنَّ المكسورة بتقدير حذف الخبر من الأول والتقدير: إنا بغاة وأنتم بغاة، أي: عطف أنتم وهو ضمير مرفوع على محل ضمير المتكلم قبل استكمال الخبر.

تخفيف «إنَّ»، و«أنَّ»:

قال الزمخشري: «وتخفقان فيبطل عملهما، ومن العرب من يعملهما، والمكسورة أكثر إعمالاً»². ثم أنشد من الكلام الفصيح ما يشهد على إعمال أنَّ المخففة إذ يقول الشاعر:

فلو أنك في يوم الرِّخاء سألتني فراقك لم أبخل وأنت صديق³

يخاطب الشاعر زوجته لما طلبت منه الطلاق قائلاً: لو سألتني الطلاق في أيام الرخاء وسعة الحال، لم أبخل عليك به، مع ما أنت عليه من صدق المودّة. والشاهد فيه قوله: «أنتك» حيث خفت أن المفتوحة، والكاف ضمير بارز في موضع النصب اسمها.

وقال أيضاً: «والفعل الواقع بعد المكسورة يجب أن يكون من الأفعال الداخلة على المبتدأ والخبر»⁴ إلا أن الكوفيين لا يشترطون ذلك، وحثهم قول الشاعرة:

بالله ربك إن قتلت لمسلماً وجبت عليك عقوبة المتعمد⁵

البيت لعاتكة بنت زيد بن عمر بن نفيل «من أبيات رثت بها زوجها الزبير بن العوام وقد قتله عمرو بن جرموز المجاشعي غدرًا»⁶. تدعو فيه على ابن جرموز بإنزال أشد العقوبات به. والشاهد فيه قولها: «إن قتلت مسلماً» حيث وقع بعد إن المخففة من الثقيلة فعل ماض غير ناسخ، وهو قتلت، وهذا شاذ عند البصريين باعتبار أن «إنَّ» إذا خفت وأهملت لا يليها غالباً إلا فعل ناسخ، وقياس عند الكوفيين بالنظر إلى النقل. قال الزمخشري

¹ - خزنة الأدب ج10 ص279.

² - المفصل في صنعة الإعراب ص381.

³ - البيت من الطويل بلا نسبة في خزنة الأدب ج5 ص426-427.

⁴ - المفصل في صنعة الإعراب ص381.

⁵ - البيت من الكامل لعاتكة بنت زيد في خزنة الأدب ج10 ص373.

⁶ - خزنة الأدب ج10، ص378.

أيضا: « وتقول في المفتوحة: «علمت أن زيد منطلق»، والتقدير: أنه زيد منطلق»¹ أي «أن (أن)» إذا وليها الاسم وألغيت عن العمل ظاهرا، لا يأتون بعوض، نحو: «علمت أن زيد قائم». والتقدير: أنه زيد قائم»². ومنه قول الشاعر:

في فتية كسيوف الهند قد علموا أن هالك كل من يحفى وينتعل³
أي: هؤلاء فتية كسيوف الهند في مضائهم في الأمور، قد علموا أن الإنسان هالك سواء كان غنيا أو فقيرا. والشاهد فيه قوله: «أن هالك كل من» حيث أعمل أن المخففة على تقدير ضمير الشأن المحذوف، وجاء الخبر جملة .

تخفيف كأن:

قال الزمخشري: «وتخفف فيبطل عملها»⁴. أي أن حكم كأن كحكم أن المفتوحة إذا خفت، يبطل عملها ظاهرا، ويشهد على صحة هذا الاستعمال قول الشاعر:

ونخر مشرق اللون كأن ثدياه حقان⁵
أي: رب صدر متلألئ اللون ثدياه كحقين في الاستدارة والصغر. والشاهد فيه قوله: «كأن ثدياه حقان». حيث خفت كأن فبطل عملها ظاهرا، فرفع ثدياه بالابتداء. وحقان الخبر، والجملة خبر (كأن) واسمها ضمير الشأن محذوف. ومن العرب من يعملها ويشهد على ذلك قول الشاعر:

كأن ويريديه رشاء خائب⁶

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 383.

² - شرح المفصل ج 4، ص 553.

³ - البيت من البسيط للأعشى في خزانة الأدب ج 5 ص 426 وتلخيص الشواهد ص 382.

⁴ - المفصل في صنعة الإعراب ص 386.

⁵ - البيت من الرجز بلا نسبة في أمات الكتب نذكر منها: الإنصاف 197/1. تلخيص شواهد ص 389 والجني الداني

ص 575، وخزانة الأدب ج 10 ص 392.

⁶ - البيت من الرجز لرؤبة في خزانة الأدب ج 10 ص 391.

واصفا دقة وريدي رقة موصوفه. والشاهد فيه قوله: «وكأن وريديه رشاء» حيث أعمل كأن فذكر اسمها «وريديه» وخبرها «رشاء» كما لو كانت مشددة. أما بيت علباء بن أرقم وقد ذكر فيه امرأته ومدحها:

[ويوماً توافينا بوجه مُقَسَّم] كأن ظبيةً تعطو إلى وارق السَّلْم¹
فإنه «يروى بالرفع لـ (ظبية) على أنها خبر «كأن» على حذف الاسم أي: كأنها ظبية، ويروى بالنصب لظبية على أنها اسم «كأن» على حذف الخبر أي: (كأنها مكانها) ظبية، ويروى بالجر لظبية على أن الأصل كظبية وزيد أن بينهما². وهذا ما أشار إليه الزمخشري بقوله: «وفي قوله (البيت السابق) ثلاثة أوجه: الرفع، والنصب، والجر على زيادة أن»³.

وقوع أن بعد لعل:

قال الزمخشري في مفصله: «وقد أجاز الأخفش: «لعل أن زيداً قائم» قاسها على لبت⁴. أي أن الأخفش يجيز وقوع أن بعد لعل قياساً على لبت، باعتبار أن الترجي يشبه التمني «إذ كان كل واحد منهما مطلوب الحصول مع الشك فيه»⁵. وكيف لا؟ وقد جاء في الشعر:

لعلك يوماً أن تلمم مُلِمَّةً عليك من اللائي يدعنك أجدعاً⁶
حيث يرثي الشاعر أخاه مالكا قائلاً: «أيها الشامت لا تكن فرحاً بموت أخي، عسى أن تنزل عليك بليّة من البليّات التي يترككك ذليلاً خاضعاً»⁷. وهو ما كتى عنه بقوله: «أجدعا»

¹ البيت من الطويل لعلباء ابن أرقم في شرح التصريح على التوضيح. للأزهري تح محمد باسل عيون السود. دار الكتب العلمية. ط1 بيروت. 2000 ج1 ص333.

² شرح التصريح على التوضيح. للأزهري ج1 ص334.

³ المفصل في صنعة الإعراب ص386-387.

⁴ المصدر السابق ص388.

⁵ شرح المفصل ج4 ص570.

⁶ البيت من الطويل لمتهم بن نويرة في خزانة الأدب ج5 ص345.

⁷ شرح شواهد المغنى ج5 ص175.

أي مقطوع الأنف والأذن. والشاهد فيه: أن خبر لعلّ يقترن بأن كثيراً حملاً على عسى إذ كان معناهما الطمع والإشفاق، هذا ما يميزها عن أخواتها، إلا أن المبرّد في الكامل يعتبر التجرد من «أن» هو الجيد، والاقتران بها غير جيّد¹. وقد ذهب بعضهم إلى أن «الخبر في هذا البيت محذوف، تقديره: لعلك مُعدّ لأن تلم ملامة، أو نحوه»².

أحكام لا النافية:

قال الزمخشري: «و«لا» لنفي المستقبل في قولك: لا يفعل قال سيبويه³: «وأما «لا» فتكون نفيًا لقول القائل: «وهو يفعل» ولم يقع الفعل» وقد نفي بها الماضي في قوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾⁴. وقوله: فأَيّ أمرٍ سيّءٍ لا فعَلَهُ»⁵.

ويستخلص من هذا أنه إذا كان القياس في «لا» أنّها لنفي المستقبل، فإن نفيها الماضي ينبغي أن تكرر، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ أما عدم تكرارها في الماضي كما جاء ذلك في قول الشاعر:

فَأَيّ أمرٍ سيّءٍ لا فعَلَهُ⁶

فهو «خاص بالشعر، بدليل أنه لا يجوز في غير الدعاء والقسم: لا قام زيد»⁷. وذهب ابن يعيش إلى أن نفي الماضي بلا قليل، وهي معه بمعنى لم سواء تكررت أم لا. إذ يقول: «حملوا لا في ذلك على لم، إلا أنّهم لم يغيروا لفظ الفعل بعد لا، كما غيروه بعد لم، لأن لا غير عاملة ولم عاملة، فلذلك غيروا لفظ الفعل إلى المضارع ليظهر فيه أثر العمل»⁸.

¹ - ينظر الكامل للمبرّد. تح د. محمد أحمد الدالي. مؤسسة الرسالة. ط3. بيروت. 1997. ج1 ص168.

² - خزّانة الأدب ج5 ص365.

³ - الكتاب. ج3 ص117.

⁴ - القيامة الآية31.

⁵ - المفصل في صنعة الإعراب ص392.

⁶ - الرجز لشهاب بن العيّف في خزّانة الأدب ج10 ص89.

⁷ - خزّانة الأدب ج10 ص89.

⁸ - شرح المفصل. ج3 ص33.

حروف التنبيه:

قال الزمخشري: «وهي: «ها»، و«ألا»، و«أما» تقول: «ها إنَّ زيدًا منطلقًا» و«ها أفعلُ كذا»، و«ألا إنَّ عمرًا بالباب»، و«أما إنَّك خارج»، و«ألا لا نفعل كذا»، «أما والله لأفعلن»¹ وخير شاهد على ذلك:

1- قال النابغة:

ها إنَّ تاءَ عِذْرَةٍ إنَّ لَمْ تَكُنْ نَفَعَتْ فإنَّ صَاحِبَهَا قَدْ تَأَهَّ في البَلَدِ²

أي: هذه معذرتي أرفعها إليك (النعمان بن المنذر) فإن لم تقبلها، وترض عني فأني أضل في بلدي لشدة الخوف منك. أو إنني إنسان قد اعتاد العيش مكدرًا حزينا. والشاهد فيه: مجيء «ها» للتنبيه، وقد يستشهد به على الفصل بـ «إنَّ» بين «ها» وبين اسم الإشارة «تا» حيث الفصل بينهما «بغير إنَّ وأخواتها قليل»³.

1- قال لبيد بن ربيعة:

ونحن اقتسنا المالَ نصفين بيننا فقلتُ لهم هذا لها ها وذا ليا⁴

والشاهد فيه أيضا: مجيء «ها» للتنبيه، كما يستشهد به على الفصل بين «ها» و«ذا» بالواو والأصل وهذا ليا «وإنما جاز تقديمهما على الواو لأن «ها» تنبيه، والتنبيه قد يدخل على الواو إذا عطفت جملة على أخرى كقولك: ألا وإنَّ عمرًا مقيم»⁵.

3- ألا يا أصْبَحاني قبل غارةِ سِنْجَالٍ [وقبل منايا عاديات وآجال]⁶

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 394.

² - البيت من البسيط للنابغة في ديوانه. تح عباس عبد الساتر ص 17 وروايتها

هاذي عذرة لم تكن نفقت فإن صاحبها مشارك التكد

³ - خزنة الأدب ج 5 ص 459.

⁴ - البيت من الطويل للبيد بن ربيعة في خزنة الأدب ج 5 ص 561.

⁵ - شرح المفصل في صنعة الإعراب ص، 394 الموسوم بالتخمين لصدر الأفاضل الخوارزمي ج 4، ص 92-93.

⁶ - البيت من الطويل للشماخ في ديوانه. تح صالح الدين الهادي. دار المعارف. دط مصر دت. ص 456.

يخاطب صديقيه طالبا منهما أن يسقيه شرب الصباح قبل وقوع هذه الغارة، وما قد سينجم عنها من ويلات، فرما قتل فيها أو أحداً أقرائه. والشاهد فيه قوله: «ألا يا أصبحاني» حيث جاءت «يا» حرفاً للتنبيه «وقيل: هي للنداء والمنادى محذوف، ويؤيده إن «ألا» حرف تنبيه واستفتاح، و«يا» حرف تنبيه، ومن القواعد المقررة أنه لا يأتي حرفان بمعنى واحد لغير التوكيد»¹.

4- أمّا والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمر²
 فالشاعر يقسم بالله تعالى الذي أمره الأمر الذي لا مردّ له. والشاهد فيه: «أمّا» حيث جاءت حرف استفتاح وتنبيه قبل حرف القسم، بغية تنبيه المخاطب على استماع قسمه. كما ذكر أن: «ألا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي؛ لإعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها، والاستفهام إذا دخل على نفي أفاد تحقيقاً»³، وما يقال عن «ألا» هو ما يقال تماماً عن أمّا حيث يقول ابن يعيش «وأمّا أمّا فتنبه أيضاً، وتحقق الكلام الذي بعدها والفرق بينهما وبين ألا أن أمّا للحال وألا للاستقبال»⁴. ويقول الزمخشري: «وأختها (أي أخت ألا) التي هي أمّا من مقدمات اليمين وطلّعتها»⁵. وليؤكد قوله هذا ساق الشاهدين الآتين:

أمّا والذي لا يعلم الغيب غيره ويحي العظام البيض وهي رميم⁶
 أمّا والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمر⁷

¹ - هامش المفصل في صنعة الإعراب ص 395.

² - البيت من الطويل لأبي صخر الهذلي في أشعار الهذليين. للسكري. تح عبد الستار أحمد فراج. مكتبة دار العروبة. دط

القاهرة دت. ج 2 ص 957

³ - الكشف ج 1، ص 74.

⁴ - شرح المفصل ج 5 ص 44.

⁵ - الكشف ج 1، ص 74.

⁶ - البيت من الطويل لحاتم الطائي في ديوانه. دار صادر. دط. بيروت. 1981 ص 86 .

⁷ - البيت من الطويل لأبي صخر في شرح أشعار الهذليين ج 1. ص 987

حيث كل من الطائي والهذلي قدّما أما لما فيها من الدلالة على التنبيه والتحقيق للذين رشحاها لتكون من مقدمات القسم، الأمر الذي ينطبق تماما على ألا؛ لما فيها من الدلالة على التنبيه والتحقيق أيضا.

حروف التصديق والإيجاب:

قال الزمخشري: «وهي «نَعَمْ» و«بلى»، و«أجل» «جَيْرَ»، و«إي» و«إن»¹، ومما ينبغي الإشارة إليه أن جَيْرَ حرف معناه «أجل» و«نَعَمْ» وهو مكسور الآخر، وربما فُتِحَ، وحقه الإسكان كـ «أجل» و«نَعَمْ» وإنما حرّك آخره لالتقاء الساكنين الواو والياء كـ «أين»، و«كيف» و«ليت». والكسر فيه على أصل التقاء الساكنين، والفتح طلباً للخفة لثقل الكسرة بعد الياء»². قال الشاعر:

وقلن: على الفردوس أول مشربٍ أجل جَيْرَ إن كانت أبيحت دعائره³

أي: قالت النسوة أول مشرب نرده الفردوس، نعم إن ذلك حق، لو كانت حياض ذلك الموضوع مباحة لم يمنعها أحد. والشاهد فيه: مجيء «أجل»، و«جَيْرَ» بمعنى التصديق والإيجاب، واستعمال جَيْرَ بفتح الراء

حروف الصلة:

ومن الحروف الزائدة حروف الصلة قال الزمخشري: «ومن أصناف الحروف: حروف الصلة وهي: «إن» و«أن» و«ما» و«لا» و«من» و«الباء» في نحو قولك: «ما إن رأيت زيدا» الأصل ما رأيت، ودخول «إن» صلة أكدت معنى النفي»⁴. قال الشاعر دريد:

مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِهِ كَالْيَوْمِ هَانِي أَنْيَقَ جُرْبٍ⁵

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 398.

² - شرح المفصل ج 5 ص 57.

³ - البيت من الطويل لمضرس بن ربيعي في خزنة الأدب ج 10 ، ص 103.

⁴ - المفصل في صنعة الإعراب ص 402.

⁵ - البيت من الكامل لدريد بن الصمة في شرح شواهد الإيضاح. لعبد الله بري. تح. د. عيد مصطفى درويش. المطابع الأميرية. دط. القاهرة. 1985. ص 578.

أي ما رأيت طالي أنيق جرب كالذي رأيتَه اليوم، ولا استمعت به، وكان دريد قد رأى الخنساء أخت صخر تهنأ إبلا لها. فأعجبته فخطبها فردته لكبره. والشاهد فيه قوله: «ما إن رأيت» فقد جاءت «إن» زائدة لتوكيد النفي وليست بنافية، وإلا أصبح الكلام موجبا على قاعدة نفي النفي إثبات. أو «أنها زيدت للتوصل إلى الفصاحة، فربما لم يتمكن اللفظ المفرد في الوزن أو في شيء من الأمور اللفظية، فإذا دعم بشيء من هذه الزوائد صلح»¹. كما يعتبر البيت شاهدا على أن جمع أفعلَ فَعُل.

زيادة لا:

قال ابن يعيش: «وقد تزداد «لا» مؤكدة ملغاة كما كانت «ما» كذلك: لأنها أختها في النفي كلاهما يعمل عمل «ليس»². ومن ذلك قول العجاج:

فِي بئرِ لا حُورٍ سَرَى وَمَا شَعَرَ³

إن هذا الرجل سرى في بئر هلكة، وما علم بذلك. أي سار في طريق الضلال من غير أن يدري. والشاهد فيه زيادة «لا» لفظا ومعنى بين المتضايين.

أي التفسيرية:

قال الزمخشري: «حرفا التفسير وهما: «أي»، و«أن». تقول في نحو قوله عز وجل: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾⁴. أي: من قومه كأنك قلت: تفسيره، أو معناه من قومه»⁵. قال الشاعر:

وترمينني بالطرف أي أنت مذنب وتقلينني لكن إياك لا أقلي⁶

¹ - التخمير ج 4، ص 111.

² - شرح المفصل ج 5 ص 75.

³ - الرجز للعجاج في خزانة الأدب ج 4 ص 51.

⁴ - الأعراف من الآية 155.

⁵ - المفصل في صنعة الإعراب ص 405.

⁶ - البيت بلا نسبة في خزانة الأدب 11/255 وغيره من مصادر اللغة والأدب.

تتظرن إليّ نظرة غاضبة متهمة إيّاي بارتكاب الذنوب وتهجرينني وتبغضينني، ولكني سأبقى أحبك ولن أهجرك. والشاهد فيه قوله: «(أي أنت مذنبٌ)» حيث جاءت أي حرف تفسير للجملة ترمينني بالطرف بالجملة: أنت مذنب؛ لأن معنى ترمينني بالطرف، أي: تتظرن إليّ نظر مغضب، ولا يكون ذلك إلا عن ذنب.

ما المصدرية:

ومن أصناف الحروف: الحرفان المصدران: «وهما (ما)»، و «(أن)» في قولك: أعجبنى ما صنعت، وما تصنع، أي: صنيعك¹. قال الشاعر:

يُسْرُ المرءَ ما ذهبَ الليالي وكانَ ذهابُهِنَّ لهُ ذهاباً²

أي: يسر المرء ويفرحه مرور الأيام، وهو لا يعلم أن ذهابهن له ذهابٌ. والشاهد فيه قوله: «(ما ذهب الليالي)»، و «(ذلك أنه جعل (ما) مع ما بعدها من الفعل في موضع المصدر المرفوع بأنه فاعل، ولا عائد في اللفظ، ولا مقدر، لأن الفعل لازم³؛ لأنه» متى اعتقدت عود الضمير إلى ما، كانت اسماً لا محالة، ومتى لم تعتقد ذلك، فهي حرف⁴.

رفع الفعل بعد أن المصدرية:

قال الزمخشري: «وبعض العرب يرفع الفعل بعد (أن) تشبيهاً بـ (ما)»⁵. قال الشاعر:

أن تقرأن على أسماءَ ويحكماً مَنّي السَّلامَ وأن لا تشعِراً أحداً⁶

يخاطب الشاعر خليليه ويوصيهما أن يقرأ السلام على حبيبتيه أسماء. والشاهد فيه: أنه أجرى أن المصدرية مجرى (ما) فأبقى الفعل بعدها مرفوعاً بالنون. وهذه لغة بعض العرب كما صرح بذلك الزمخشري.

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 406.

² - البيت من الوافر بلا نسبة في الجنى الداني ص 331 وغيره من مصادر اللغة والأدب.

³ - شرح المفصل ج 5، ص 86.

⁴ - المصدر نفسه ج 5، ص 86.

⁵ - المفصل في صنعة الإعراب ص 106.

⁶ - البيت من البسيط بلا نسبة في خزنة الأدب 420/8. ولم يسم أحد قائله.

لولا التحضيضية:

لولا إذا وليها المستقبل كانت تحضيضا، وإذا وليها الماضي كانت لوما وتوبيخا؛ ولذلك قال الزمخشري: «وإن وقع بعدها اسم منصوب، أو مرفوع، كان بإضمار رافع أو ناصب»¹ لأي من الأفعال. وقال سيبويه: «تقول لولا خيرا من ذلك و«هلا خيرا من ذلك» والمراد: هلا تفعل خيرا من ذلك، ولو رفعه على تقدير «هلا كان منك خير من ذلك» لجاز»². قال جرير:

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم بني ضو طرى لولا الكمي المقتعا³

في هذا البيت يهجو جرير قوم الفرزدق قائلا لهم: إنكم تفتخرون بعقر النوق المسنة لم لا تفتخرون بمقاتلة الأبطال؟ وهذا يعتبر حثا على الحرب وتحريضا. والشاهد فيه: استعمال لولا للتحضيض، وتقدير الفعل بعدها، أي: أنه أضمر فعلا نصب «الكمي المقتعا».

فصل قد عن الفعل بالقسم، وطرح الفعل بعدها:

قال الزمخشري: « ويجوز الفصل بينه وبين الفعل بالقسم، كقولك «قد والله أحسنت» «وقد لعمرى بت ساهرا». ويجوز طرح الفعل بعدها إذا فهم»⁴. ويستخلص من هذا أن «قد» من الحروف المختصة بالأفعال، ولا يحسن إيلاء الاسم إيّاه، وهي في ذلك كالسين و«سوف» ومنزلة هذه الحروف من الفعل منزلة الألف واللام من الاسم... فكما أن الألف واللام اللتين للتعريف لا يفصل بينهما وبين التعريف أيضا كان هذا مثله، إلا أن قد اتسعت

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 408.

² - الكتاب ج 1 ص 268

³ - البيت من الطويل لجرير في شرح ديوانه. للصاوي ص 338.

⁴ - المفصل في صنعة الإعراب ص 410.

العرب فيها لأنها لتوقع فعل، وهي منفصلة مما بعدها، فيجوز الفصل بينها وبين الفعل بالقسم¹. كما يجوز طرح الفعل بعدها. كقول الشاعر:

أفد الترحل غير أن ركبنا لما تزل برحالنا وكأن قد²

أي قرب الرحيل ومفارقة الديار، إلا أن ركبنا ورحالنا لم تنتقل، وكأنها قد انتقلت وزالت. والشاهد فيه: طرح الفعل بعد قد لدلالة ما تقدم عليه، إلا أن ابن جني³ جوز أن تكون قد هنا بمعنى حسبي.

من أحرف الاستقبال:

قال الزمخشري: «وأن تدخل على المضارع والماضي فيكونان في تأويل المصدر، وإذا دخلت على المضارع، لم يكن إلا مستقبلاً. كقولك أريد أن تخرج، ومن ثم لم يكن منها بد في خبر عسى ولما انحرف الشاعر في قوله:

عسى طيء من طيء بعد هذه ستطفئ غلات الكلى والجوانح⁴

عما عليه الاستعمال جاء بالسين التي نظيرة «أن»⁵. ويستخلص من هذا كله أنه ما دام خبر «عسى» ينبغي اقترانه بأن. والشاعر لم يتمكن من الإتيان بها في قوله: «عسى... ستطفئ» اعتاض عنها بالسين لاشتراكهما في إفادة معنى الاستقبال، ومنه فالبيت شاهد على أن أن والسين: حرفان يفيدان الاستقبال، وأنه يمكن أن يقوم أحدهما مقام الآخر.

حرف الاستفهام هل:

قال الزمخشري: «وعند سيبويه أن هل بمعنى قد إلا أنهم تركوا الألف قبلها: لأنها لا تقع إلا في الاستفهام». فالظاهر من كلام سيبويه أن أصل هل أن تكون بمعنى قد، وأن

¹ - شرح المفصل ج5، ص94.

² - البيت من الكامل للناطقة الذبياني في خزنة الأدب ج7، ص197.

³ - الخصائص ج3، ص361.

⁴ - البيت من الطويل لقسام بن راحة في خزنة الأدب 341/9.

⁵ - المفصل في صنعة الإعراب ص412.

الاستفهام فيها بتقدير ألف الاستفهام، وقد تجتمعان فيقول المستخبر «أهل». وقد ورد في الشعر ما يثبت دخول همزة الاستفهام على هل. قال الشاعر:

سائل فوارسَ يربوعٍ بشدنتنا أهْلُ رأونا بسفح القاع ذي الأكم¹
 أسأل فوارس بني يربوع عن حملتنا عليهم وقوتها، ومدى شجاعتنا، أبصرونا بسفح
 الجبل كيف فعلنا بهم ما فعلنا من القتل والتشريد؟ وقد استشهد بها في الكشف على
 مجيء هل بمعنى قد عند تفسيره قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾².

حذف همزة الاستفهام:

قال الزمخشري: «وتحذف الهمزة إذا دلّ عليها الدليل»³. قال الشاعر:

لعمرك ما أدرى وإن كنت دارياً بسبع رمين الجمر أم بثمان⁴
 من غاية عشقه وذهوله لم يعرف عدد الجمار التي رمين بها أسبع أم ثمان؟ والشاهد
 فيه: حذف همزة الاستفهام لوجود قرينة دالة على معناها، وهي أم في قوله: أم ثمان؟

فعل الشرط وجوابه:

قال الزمخشري: «ولا يخلو الفعلان في باب (إن) من أن يكونا مضارعين أو ماضيين أو أحدهما مضارعاً والآخر ماضياً. فإذا كان مضارعين، فليس فيهما إلا الجزم، كذلك في أحدهما إذا وقع شرطاً. فإذا وقع جزاء، ففيه الجزم والرفع»⁵. فالظاهر أن ما يدعو إلى الاحتجاج هو حال وقوع أحدهما مضارعاً وكان جواباً، ففيه الجزم على الأصل والرفع. وقد تباينت فيه الآراء.

قال زهير:

¹ البيت من البسيط لزيد الخيل في الجنى الداني ص 344.

² سورة الإنسان من الآية 01

³ المفصل في صنعة الإعراب ص 415.

⁴ البيت من الطويل لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه. بشير يموت. المطبعة الوطنية. ط1 بيروت 1934 ص 273.

⁵ المفصل في صنعة الإعراب ص 416.

وإن أتاه خليلٌ يومَ مسألةٍ يقول لا غائبٌ مالي ولا حَرِمٌ¹
 إن أتاه فقير يطلب نوالاً، فإنه يقول له: مالي موجود ولا حرمان لك منه؛ أي أنه رجل
 كريم معطاء. والشاهد في البيت: رفع يقول وهو فعل مضارع واقعا جوابا لـ ((إن)) إمّا على
 نية التقديم كما تأوله سيبويه² والتقدير: يقول إن أتاه خليل. أو «على إرادة الفاء فكأنه قال:
 فيقول. والفاء قد تحذف في الشعر»³، أو هو من قبيل الضرورة كما ذكر ذلك ابن يعيش.⁴
فاء الجزاء:

بعد أن ذكر الزمخشري مواضع فاء الجزاء قال: «وقد تجيء الفاء محذوفة في الشذوذ»⁵
 قال الشاعر:

من يفعل الحسناتِ الله يشكُرُهَا [والشرّ بالشر عند الله مِثْلان]⁶
 أي: من يعمل عملاً صالحاً؛ فالله تعالى يثيبه به، ومن يعمل عملاً طالحاً؛ فالله تعالى
 يجزيه بالعقاب. والشاهد فيه: أن الجزاء جملة اسمية، والقياس أن يكون مع الفاء، وقد
 حذفت الفاء، وذلك شاذ للضرورة، وقد روى البيت:

من يفعل الخير فالرحمن يَشْكُرُهُ
 وبالتالي لا ضرورة فيه. وأرى أن إيراد مثل هذه الشواهد الهدف منها التثبيح على بعض
 مواضع الشذوذ في كلام العرب ليس أكثر، وذلك مقارنة بما هو مطرد.

زيادة ما بعد إن:

قال الزمخشري: «وتجيء مع زيادة ((ما)) في آخرها للتأكيد»⁷. قال الشاعر:

¹ - البيت من البسيط لزهير ابن أبي سلمى في خزنة الأدب ج 9 ص 48

² - الكتاب ج 3 ص 66.

³ - شرح المفصل ج 5، ص 109.

⁴ - المصر نفسه ج 5، ص 109.

⁵ - المفصل في صنعة الإعراب ص 417.

⁶ - البيت من البسيط لعقب بن مالك في ديوانه. تح. سامي مكي. مكتبة النهضة. ط 1. بغداد. 1966. ص 288.

⁷ - المفصل في صنعة الإعراب ص 418.

فإمّا ترينى اليوم أزعى ظعيني [أصعدُ سيرا في البلاد وأُفرعُ]¹
[فإني من قوم سواكم وإنما رجالي فهم بالحجاز وأشجع]

إن تريني اليوم أجوب الآفاق، فإنني لست منكم بل من بني فهم، وبني أشجع المقيمين في الحجاز. والشاهد فيه المجازة بـ «إمّا» وحذف نون التوكيد من شرطها لأنه متى «زيدت (ما) على (إنّ) لتأكيد معنى الجزاء يدخل معها نون التوكيد، وإن لم يكن الشرط من مواضعها»².

من أحكام إذن:

إذن³ حرف جواب وجزاء. لا تعمل إلا في فعل مستقبل غير معتمد على شيء قبلها فإن اعتمدت بها على مبتدأ، أو شرط، أو قسم، ألغيتها. قال كثير عزة:

لئن عاد لي عبد العزيز بمثلها وأمكّني منها إذن لا أقبلها⁴

أي: لئن عاد لي عبد العزيز بمقالة مثل مقالته تلك، لا أطلب منه إلا ما لا اعتراض عليّ فيه، وكان كثير قد «دخل على عبد العزيز والد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وكان واليا على مصر فمدحه بمدح استجاده، فقال: حلمك يا أبا صخر. قال: فإنني أحكم أن أكون مكان ابن رمانة، وكان ابن رمانة كاتب عبد العزيز، وصاحب أمره فقال عبد العزيز: ويحك ذاك كاتب وأنت شاعر لا علم لك بخراج ولا كتابة، اخرج عني. فخرج عنه نادما، ثم لم يزل يتلطف حتى دخل عليه، فأمر له بعشرين ألف درهم وصرفه. فأنشد: البيت السابق»⁵. والشاهد فيه: أن إذن لما وقعت جوابا للقسم لم تعمل في المضارع بعدها.

¹ - البيتان من الطويل لعبد الله بن همام السلولي في الأزهية ص 98.

² - شرح المفصل ج 5 ص 115.

³ - ينظر المفصل في صنعة الإعراب ص 419-420.

⁴ - البيت من الطويل لكثير عزة في خزنة الأدب 473/8.

⁵ - حاشية المفصل في علم العربية ص 323-324.

مجيء «أن» بعد «كي»:

قال الزمخشري: «وقد جاءت (كي) مظهرة بعدها أن»¹؛ لأن القياس أن ينتصب الفعل بعدها بإضمار أن «ولا يظهر (أن) بعدها في الكلام، لأنه من الأصول المرفوضة، وقد جاء ذلك في الشعر»². وللشاعر مراجعة الأصول المرفوضة. قال جميل بثينة:

فقال: أ كُلَّ النَّاسِ أَصْبَحْتُ مَانِحًا لِسَانِكَ كَيْمًا أَنْ تَغُرَّ وَتُخَدَعًا³

أي: أتمدح كل الناس وتثني عليهم، وأنت في ذلك تغرهم وتخدعهم، وهذا لا ينطلي على بثينة. والشاهد فيه: ظهور أن بعد كي، وذلك شاذ؛ لأن فيه جمعا بين النائب والمنوب عنه، كما أن ظهور أن بعد كي يدل على أن كي دالة على التعليل، وليست حرفا مصدريا.

اللام الواقعة في جواب القسم:

قال الزمخشري: «ولام جواب القسم، نحو قولك: (والله لأفعلن)، وتدخل على الماضي كقولك: (والله لكذب)»⁴. وقال الشاعر:

حَلَفْتُ لَهَا بِاللَّهِ حَقًّا فَاجِرٍ لِنَأْمُوا فَمَا إِنَّ مِنْ حَدِيثٍ وَلَا صَالِي⁵

لقد أقسمت لها أنهم ناموا فلم يبق من يستمع لحديث، أو من يتدفأ بنار. والشاهد فيه قوله: (الناموا) حيث جاء باللام داخلية على فعل ماض في جواب القسم (ناموا) وإن كان «الأكثر أن تدخل مع (قد) وذلك أن أصل هذه اللام الابتداء، ولام الابتداء لا تدخل على الماضي المحض، فأتي بقدم معها، لأن (قد) تقرب من الحال»⁶.

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 421.

² - شرح المفصل ج 5، ص 130.

³ - البيت من الطويل لجميل بثينة في خزنة الأدب ج 8 ص 481.

⁴ - المفصل في صنعة الإعراب ص 425.

⁵ - البيت من الطويل لامرئ القيس في الأزهية ص 52.

⁶ - شرح المفصل ج 5 ص 141.

لام الأمر:

قال الزمخشري: «ولام الأمر نحو قولك: ((ليفعل زيداً)) وهي مكسورة، ويجوز تسكينها عند واو العطف وفائه، كقوله تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾¹، وقد جاء حذفها في ضرورة الشعر». ² قال الشاعر:

محمداً تفدي نفسك كل نفس إذا ما خفت من أمر تبالاً³

يخاطب الشاعر النبي محمد ﷺ بقوله: يا محمد إن كل النفوس مستعدة لتفدي نفسك الغالية إذا ما خفت أمراً من الأمور. والشاهد فيه قوله: «تفدي» يريد لتفدي فحذف لام الأمر لضرورة الشعر، وأقرب من هذا أن يجعل تفدي مرفوعاً بضمه مقدرة على الياء المحذوفة للضرورة الشعرية.

أحكام النون المؤكدة:

الأصل في نون التوكيد أنها «لا تدخل إلا على مستقبل فيه معنى الطلب، لتأكيدهِ وتحقيق أمر وجوده... ولا تدخل على خبر لا طلب فيه. وقد دخلت هذه النون في الخبر وإن لم يكن فيه طلب وهو قليل»⁴. قال الشاعر:

رُبَّما أَوْفَيْتُ فِي عَلامِ تَرْفَعَنْ ثُوبِي شَمالاتُ⁵

يفخر الشاعر بأنه يحفظ أصحابه في رأس جبل إذا خافوا من الأعداء، فيكون طليعة لهم والعرب تفخر بها؛ لأنه دال على شهامة النفس وحدّة النظر، أو أنا أنظر لهم وأصعد على موضع عال أرقبهم وأنظر من يأتيهم. والشاهد فيه: دخول النون على ترفع في مقام الإثبات، وهي لا تدخل إلا على النفي، والذي حسن دخولها زيادة ما مع ربّ، فشبه ما في

¹ - البقرة من الآية 186.

² - المفصل في صنعة الإعراب ص 426.

³ - البيت من الوافر لحسان أو لأبي طالب أو للأعشى في خزنة الأدب ج 9 ص 11.

⁴ - شرح المفصل ج 4، ص 169.

⁵ - البيت من المديد لجزيمة الأبرش في خزنة الأدب ج 11 ص 404.

ربّما بما النافية تشبيها لفظيا فصار «ترفعن» وإن كان مثبتا منفيا، وقيل: إنما قال ذلك؛ لأن ربّ للتقليل، والتقليل يشبه النفي.

الأحرف الواقعة في جواب القسم:

قال الزمخشري: «ويتلقى القسم بثلاثة أشياء: باللام، وبـ «إِنَّ»، وبحرف النفي، كقولك: «بالله لأفعلن»، و«إِنَّكَ لَذَاهِبٌ»، و«لَمَّا فَعَلْتُ»، و«لَا أَفْعَلُ»¹. وقد حُذِفَ حرف النفي في نحو قول الشاعر:

تالله يَبْقَى على الأَيَّامِ مُبْتَقِلٌ جُونُ السَّرَاةِ رِيَاعٍ سِنَّهُ غَرْدٌ²

أي: الأَيَّامُ لا تبقى شيئا على حاله، وكل ما فيها عرضة للتغيير والزوال، حتى حمار الوحش الموصوف بالصفات التي ذكرها الشاعر، بل لا بد أن يهرم ويضعف. والشاهد فيه: أنه حذف حرف النفي في جواب القسم، وهو يبقى، وأصله تالله لا يبقى.

وقال أيضا: «وقد أوقعوا موقع الباء بعد حذف الفعل الذي ألصقته بالمقسم به أربعة أحرف: الواو، والتاء، وحرفين من حروف الجرّ، وهما اللام ومن... وفي التاء واللام معنى التعجب، وربما جاءت التاء في غير التعجب، واللام لا تجيء إلا فيه»³. قال الشاعر:

الله يَبْقَى على الأَيَّامِ نَوْ حِيَدٍ بِمُشْمَخِرٍ بِهِ الظِّيَّانُ وَالْأَسُ⁴

والله لا يبقى أحد في الدنيا حتى الوعل في شاهق الجبال. والشاهد فيه: دخول اللام على اسم الله في القسم بمعنى التعجب.

ثم ذكر خصائص الباء فقال: «والباء، لأصالتها، تستبدّ عن غيرها بثلاثة أشياء: بالدخول على المضمّر... ويظهر الفعل معها... وبالْحَلْفِ على الرجل على سبيل

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 453.

² - البيت من البسيط لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ج 1 ص 56.

³ - المفصل في صنعة الإعراب ص 454.

⁴ - البيت لأبي ذؤيب الهذلي في شرح شواهد الإيضاح ص 544.

الاستعطف»¹. فالخصيصة الأولى أنها تدخل على المظهر والمضمر، وغيرها من حروف القسم يدخل على المظهر فقط. قال الشاعر:

[ألا نادى أمامة باحتمالٍ لثحزني] فلا بك ما أبالي²

ومعناه: أن هذه المرأة نادى بالرحيل لثحنه بفراقها، ظناً منها أن فراقها يؤلمه فأقسم بحياتها (بك) أن ذلك لا يخيفه، ولا يزعجه. والشاهد فيه: جواز دخول باء القسم على المضمر كدخولها على المظهر، حيث دخلت على المضمر، وهو الكاف، والتقدير: «فلا وحقك لا أبالي». ومن خصائص الباء أيضاً، أنها تجماع فعل القسم فنقول: أحلف بالله، وأقسم بالله أمّا «الأمر الثالث أنك قد تحلف على إنسان، وذلك بأن تأتي بها للاستعطف والقرب إلى المخاطب فنقول: «بالله إلا فعلت»، ولا نقول: «والله»، ولا «تالله»؛ لأن ذلك إنما يكون في القسم، وليس هذا بقسم»³. قال ابن هرمة:

بالله ربك إن دخلت فقل له هذا ابن هرمة واقفا بالباب⁴

إن دخلت على الأمير فاعلمه بمكاني، وخذ لي منه إذنا بالدخول عليه. والشاهد فيه: مجيء باء القسم في البيت على سبيل الاستعطف. وقال الشاعر:

بدينك هل ضممت إليك نعمة وهل قبلت قبل النوم فاهأ⁵

إذا كان المعنى واضحاً ومبتدلاً فالشاهد فيه: كالذي في سابقه، أي: مجيء باء القسم على سبيل الاستعطف.

وقال أيضاً: «وتحذف الباء، فينتصب المقسم به بالفعل المضمر»⁶. قال الشاعر:

¹ - المفصل في صنعة الإعراب ص 455-456.

² - البيت من الوافر لغوية بن سلمى في لسان العرب مادة (با) وبلا نسبة في الخصائص 19/2.

³ - شرح المفصل ج 5 ص 258.

⁴ - البيت لابن هرمة في ديوانه ص 70.

⁵ - البيت من الوافر لمجنون ليلي في خزانة الأدب 47/10.

⁶ - المفصل في صنعة الإعراب ص 457.

أَلَا رَبِّ مَنْ قَلْبِي لَهَ اللهُ نَاصِحٌ [وَمَنْ قَلْبُهُ لِي فِي الظُّبَاءِ السَّوَانِحِ] ¹
 أقسم بالله أن قلبي أن له ناصح ومحب، وقلبه على خلاف ذلك، فهو شديد النفور
 كنفور الظباء السوانح. والشاهد فيه: نصب لفظ الجلالة الله بالفعل المقدر حيث حذف باء
 القسم فانتصب المقسوم به. وقال الشاعر:

فَقَلْتُ يَمِينُ اللهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا ²

يقسم الشاعر لمحبوته بأنه سيبقى عندها لا يفارقها، ولو أدى ذلك إلى هلاكه.
 والشاهد فيه: نصب المقسم به، وهو «يَمِينٌ» بالفعل المضمر. وقال الشاعر:

إِذَا مَا الخُبْزُ تَأْدِمُهُ بِلَحْمٍ فَذَلِكَ أَمَانَةٌ اللهُ الثَّرِيدُ ³

أي: إذا أكلت الخبز مع اللحم، فإنك أكلت الثريد. والشاهد فيه: كسابقه جواز حذف باء
 القسم من المقسم به، وتعدية فعل القسم إلى المقسم به؛ فلذلك نصب أمانةً بفعل القسم
 المحذوف. وهكذا كثيرا ما يحذف العرب حرف القسم بغية التخفيف أو للضرورة الشعرية
 حيث إذا حذفوه أعملوا الفعل في المقسم به، فيصير منصوبا «وذلك أنهم إذا أعدوا فعلا
 قاصرا إلى اسم، رقدوه بحرف الجر تقوية له، فإذا حذفوا ذلك الحرف، إما لضرورة الشعر
 وإما لضرب من التخفيف فإنهم يوصلون ذلك الفعل إلى الاسم بنفسه كالأفعال المتعدية،
 فينصبونه به» ⁴؛ ولذا لا يقول العرب أحلف الله، وإنما يحذفون الحرف أولا، فيفضي الفعل
 إلى الاسم فينصبه، ثم يحذفون الفعل توسعا ومنه قول ذي الرمة:

أَلَا رَبِّ مَنْ قَلْبِي لَهَ اللهُ نَاصِحٌ وَمَنْ قَلْبُهُ لِي فِي الظُّبَاءِ السَّوَانِحِ ⁵

ومعناه: أحلف بالله أنه قد يوجد من أخلص له قلبي إلا أنه مخالف لقلبي وهوأي. وفي
 البيت إشارة إلى جانب مهم من حياة العرب العقديّة حيث «السانح من الظباء ما مر عن

¹ البيت من الطويل لذي الرمة في ملحقات ديوانه ص 626.

² البيت من الطويل لامرئ القيس في ديوانه ص 32.

³ البيت من الوافر بلا نسبة في الكتاب ج 3 ص 61.

⁴ شرح المفصل ج 5 ص 260.

⁵ البيت من الطويل وهو لذي الرمة في ملحقات ديوانه ص 625 والكتاب ج 3 ص 498.

يمين الرامي فلم يتمكن من رميه حتى ينجرف له، فيتشاعم به، ومن العرب من يتيمّن به لأخذه في الميامن، وقد جعله ذو الرمة مشؤوما لمخالفة قلبها لقلبه، وهوها لقلبه وهوها»¹.
وقد أورد المفسر هذا الشاهد؛ ليبرر وجهة نظر من قال بجواز نصب ﴿يس﴾ وما كان على شاكلتها باعتبار أن له نظير من فصيح كلام العرب. وذلك بعد حذفنا حرف الجر وإعمالنا فعل القسم. وقد رد الزمخشري هذا الوجه قائلاً: «لو زعمت ذلك، لجمعت بين قسمين على مقسم واحد، وقد استكروها ذلك»².

الحروف المقطعة في أوائل السور:

الحروف المقطعة في أوائل السور جاءت فواتح لتلك السور وأسماء لها، وهي «على ضربين: أحدهما: ما لا يتأتى فيه إعراب نحو: كهيعص، والمر، والثاني: ما يتأتى فيه الإعراب وهو إما أن يكون اسماً فرداً كـ «ص»، و «ق»، و «ن» أو أسماء عدة مجموعها على زنة مفرد، كـ «حم»، و «طس»، و «يس» فإنها موازنة لقابيل وهابيل، وكذلك طسم يتأتى فيها أن تفتح نونها، وتصير ميم مضمومة إلى «طس»، فيجعل اسماً واحداً كداراً بجر، فالنوع الأول محكي ليس إلا، وأما النوع الثاني: فسائغ فيه الأمران: الإعراب والحكاية»³. قال الشاعر:

يذكرني حاميمَ والرمحُ شاجرٌ فهلا تلاً حاميمَ قبل التقدم⁴

البيت نسبة صاحب الكشاف لشريح بن أوفى العبسي بالنظر إلى ما أقدم عليه العبسي من قتل محمد بن طلحة السجاد في واقعة الجمل رغم مناشدة هذا الأخير له، وتذكيره بحاميم شعار شيعة الإمام علي رضي الله عنه هذا ما يشير إليه البيت. والشاهد فيه إعراب حاميم، ومنعها من الصرف، وهو دليل قاطع على صحة إعراب هذا النوع من

¹ - شرح المفصل ج 5 ص 260.

² - الكشاف للزمخشري ج 1 ص 40.

³ - المصدر نفسه ج 1 ص 39.

⁴ - البيت من الطويل لشريح بن أوفى العبسي في لسان العرب مادة حمم. ويلا نسبة في الخصائص ج 2 ص 180.

الحروف المقطعة، كما تجوز فيها الحكاية. وبخاصة من جعلها أسماء للسور، لأنها عنده كسائر الأسماء الأعلام .

توسط العاطف بين الصفات:

يشير الزمخشري¹ إلى أن حرف العطف «الواو» الذي توسط بين قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾² وما قبلها من الصفات، هو عاطف توسط صفات لموصوف واحد، كما في قول القائل، هو الشجاع والجواد. وقد استدل على صحة هذا الفهم بما ورد في كلام العرب، إذ يقول الشاعر:

إلى المَلِكِ القَرْمِ وابنِ الهَمَامِ وليثِ الكَتِيبَةِ في المُرْدَحِمِ³

يصف الشاعر ممدوحه بأنه الملك والسيد الأصيل، والليث الذي لا يقف أحد في طريقه. والشاهد فيه: توسط حرف العطف الواو بين الصفات التي نسبها الشاعر إلى ممدوحه. وهو ما أشار إليه الزمخشري، وأراد إثباته عن طريق هذا الشاهد. وفي نفس الموضوع، ولمزيد من التأكيد والترجيح ساق الشاهد الآتي:

يا لهفَ زِيَابَةَ للحارثِ الصابِحِ فالغانمِ فالآيبِ⁴

يقول ابن زيابة ساخراً مما توعد به من الإغارة عليه؛ لقتله في الصباح، فالغنم فالأوبية السالمة. والشاهد فيه: تعاقب العاطف «الفاء» بين الصفات الصابح فالغانم فالآيب، كما في البيت السابق.

جملة مقول القول: قال تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾⁵.

¹ - ينظر الكشف ج1، ص54

² - البقرة من الآية 03.

³ - البيت من المتقارب بلا نسبة في الدر المصون 98/1. والإنصاف لابن الأنباري 276 وخزانة الأدب 451/1.

⁴ - البيت من السريع لامرئ القيس في خزانة الأدب ج2 ص331.

⁵ - البقرة، الآية 132.

ذكر الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية أنّ قوله تعالى: ﴿يَا بَنِيَّ﴾ الواقعة بعد الفعل وصّى هي «على إضمار القول عند البصريين، وعند الكوفيّين يتعلّق بوصّى؛ لأنّه في معنى القول»¹. فالملاحظ أنّ هناك اتفاقاً في الوظيفة النحويّة بين المدرّستين باعتبارها جملة مقول القول، وإنّما الخلاف في العامل، فهو عند البصريّين قول مقدّر، وعند الكوفيّين الفعل المذكور وصّى لتضمّنه معنى القول. وهذا تماماً يماثل قول الشاعر:

رجلان من ضبّة أخبرانا إنا رأينا رجلاً عريانا²

والشاهد فيه: «كسر الهمزة إنّ في أوّل الشطر الثّاني عل تقدير قول محذوف: قالوا إنّنا وهو تقدير أهل البصرة، أو على قول أهل الكوفة، بجعل: أخبرانا هو العامل؛ لأنّ فيه معنى القول»³. فالجملة في محلّ نصب سواء بفعل مقدّر، أو بفعل «أخبارنا» لأنّه متضمّن معنى الفعل قال.

وقوع كان مزيدة: قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾⁴

إذا كانت القراءة المشهورة نصب «لكبيرة» على خبر كان فإنّ الزمخشري⁵ قد ذكر أنّ اليزيدي⁶. قد قرأ برفعها. مستدلاً على ذلك بقول الفرزدق:

[فكيف إذا مررت بدار قوم] وجيران لنا كانوا كرام⁷

يقول: «فكيف الحال إذا مررت بدار قوم وجيران لنا كرام. فكانوا زائدة للدلالة على الماضي، وأنّ الجيران كانوا ثمّ انقروا وكرام بالجرّ صفة جيران»⁸. والشاهد فيه قوله:

¹ - الكشاف، ج 1، ص 189.

² - البيت من الرجز، بلا نسبة، في خزنة الأدب، ج 9، ص 183.

³ - مغنى اللبيب. لابن هشام. تح. د عبد اللطيف محمد الخطيب. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. ط 1. الكويت. 2000. ج 5 ص 172.

⁴ - البقرة، من الآية 143.

⁵ - الكشاف، ج 1، ص 198.

⁶ - اليزيدي: هو أبو محمد اليزيدي من العلماء القراء.

⁷ - البيت من الوافر للفرزدق، في ديوانه ص 235.

⁸ - الكشاف، ج 1، ص 341 (تحقيق وتعليق و دراسة الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض)

«وجيران كانوا لنا كرام» وفيه ما يدلّ على زيادة كان واسمها بين الموصوف والصفة: بين جيران وكرام. رغم إنكار بعضهم لذلك واعتبار أنّ (لنا) الجار والمجرور متعلّق بخبر محذوف لكان متقدّم عليها واسمها واو الجماعة المتّصل، والجملة كانوا لنا في محلّ جرّ نعت أول، وبالتالي لا شاهد فيه، ومن يقول بزيادتها مع اسمها، فهي لمجرّد الدلالة على الماضي.

قد مع المضارع: قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾¹.

إذا كان الأصل أن قد مع المضارع تفيد التقليل؛ فإنّ العرب إذا أرادت أن تبالغ في التعبير عن المعنى عبّرت عنه بضدّه، ولذا استعملت قد مع المضارع للتكثير في موضع التمدح والافتخار قال الزمخشري: «﴿قَدْ نَرَى﴾ ربّما نرى، معناه كثرة الرّؤية»². ومما يدلّ على استعمال قد للتكثير مع المضارع، كما جاءت في الآية الكريمة ﴿قَدْ نَرَى﴾ قول الشّاعر:

قد أترك القرن مصفراً أنامله [كأنّ أثوابه سجّت بفرصاد]³

فإذا كان الشّاعر في أحيان كثيرة يترك مكافئه في الشّجاعة والإقدام مصفر الأنامل ملطخ الثّياب بالدماء. فإنّ الشّاهد في البيت: استعمال قد مع المضارع للتكثير.

وذكر في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾⁴ أنه: «أدخل ﴿قَدْ﴾ ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ومرجع توكيد العلم إلى توكيد الوعيد، وذلك أن قد إذا دخلت على المضارع كانت بمعنى (ربّما)، فوافقت (ربّما) في خروجها إلى معنى التكثير»⁵. كقول الشاعر:

¹ - البقرة، من الآية 144.

² - الكشف، ج 1، ص 198.

³ - البيت من البسيط، للذهلي في شرح المفصل، ج 5، ص 93، و لعبيد بن الأبرص في خزنة الأدب ج 11/ 253.

⁴ - النور من الآية 64.

⁵ - الكشف ج 3 ص 227

فإن تَمَسَّ مَهْجُورَ الْفَتَاءِ فَرُبَّمَا أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الْوُفُودِ وَوُفُودٌ¹
 يقول فيمن يرثيه: فإن يُهجر فناؤك الآن فلا حزن؛ لأن كثيرا ما اجتمع فيه الناس
 ومنحوا خيرا. والشاهد فيه: ربّما وهي للتكثير، ومثلها قد إذا دخلت على المضارع. كما في
 قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ﴾.

وذكر عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لِيَحْزُنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾². أن: «﴿قَدْ﴾ في ﴿قَدْ
 نَعْلَمُ﴾: بمعنى ربّما الذي يجيء لزيادة الفعل وكثرته»³. وقد عقّب أبو حيّان على هذا
 بقوله: «وما ذكره (الزمخشري) من أن ﴿قَدْ﴾ تأتي للتكثير في الفعل والزيادة، قول غير
 مشهور للنحاة، وإن كان قد قال به بعضهم»⁴. لكن لا ينبغي أن يفوتنا أن الأصل في ﴿قَدْ﴾
 إذا دخلت على المضارع قد تفيد التوقع؛ ولهذا صارت بمعنى ربّما فوافقتها في الدلالة
 على التكثير هذا ما فهمه الزمخشري، ونطق به العرب الأقحاح فقال زهير:

أخا ثقة لا تُهْلِكُ الخمر ماله ولكنّه قد يُهْلِكُ المالَ نائله⁵

ففي هذا البيت يمدح زهير حصن بن أبي حذيفة بالأخوة الموثوق بها، وأنه ليس ممّن
 تهلك الخمر ماله، ولكن ممّا يهلكهم عطاؤهم وسخاؤهم؛ لأنّ المدح لا يحصل بالكرم مرّة
 واحدة، فهو لا ينفكّ عن إكرام الضيوف حتّى أدّى به ذلك إلى فناء ماله. والشاهد فيه:
 دلالة قد على التكثير في الفعل وزيادته ولولا دلالة قد على ذلك. ما فهم المدح البتّة.

كان وتامها : قال تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا﴾⁶.

ذكر الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية الكريمة الأوجه الإعرابية لـ ﴿تِجَارَةً﴾
 باعتبار تمام كان من عدمه فقال: «وقرئ تجارة حاضرة بالرفع على كان التامة، وقيل هي

¹ البيت من الطويل لأبي عطاء السندي في خزنة الأدب ج 9 ص 539.

² الأنعام، من الآية 33.

³ الكشاف، ج 1، ص 621.

⁴ البحر المحيط، ج 4، ص 115.

³ البيت من الطويل لزهير بن أبي سلمى في ديوانه، تح علي فاعور. دار الكتب العلمية. ط 1 بيروت. 1988 ص 91

⁶ البقرة من الآية 282.

الناقصة على أن الاسم تجارة حاضرة والخبر تديرونها، وبالنصب على إلا أن تكون التجارة تجارة حاضرة»¹. ويبدو من توجيه الزمخشري لقراءة الرفع أن هناك وجهين :

1- كان تامة بمعنى حصلت، أو وقعت تجارة.

2- كان ناقصة وتجارة اسم لها، والخبر الجملة الفعلية تديرونها .

وأما قراءة النصب فهي على كان الناقصة، واسمها مضمرة وتجارة خبرها على تقدير إلا أن تكون التجارة تجارة حاضرة. وقد استشهد ببيت الكتاب :

بَنِي أَسَدٍ هَلْ تَعْلَمُونَ بَلَاءَنَا إِذَا كَانَ يَوْمًا ذَا كَوَاكِبٍ أَشْنَعًا²

وفيه يتوعد الشاعر بني أسد، ويذكرهم ببأس قومه في الحرب، ويحذرهم من يوم أغبر تلمع فيه السيوف. والشاهد فيه: نصب «يوما» على تقدير: إذا كان اليوم يوما. يقول سيبويه: «أضمر لعلم المخاطب بما يعني وهو اليوم»³. وقد أجاز أن تكون كان تامة بمعنى: «إذا وقع يوم ذو كواكب أشنعا»⁴.

إبدال الفعل من الفعل: قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾⁵.

ذكر الزمخشري في تفسير هذه الآية الأوجه الإعرابية للفعل المضارع ﴿فَيَغْفِرُ﴾ باختلاف القراءات فقال: «وقرى: فيغفر ويعذب... وقرأ الأعمش يغفر بغير فاء مجزوما على البديل من ومرفوعين على فهو يغفر ويعذب... وقرأ الأعمش يغفر بغير فاء مجزوما على البديل من يحاسبكم... ومعنى هذا البديل التفصيل لجملة الحساب؛ لأن التفصيل أوضح من المفصل فهو جار مجرى بدل البعض من الكل أو بدل الاشتمال»⁶. ويظهر من توجيه الزمخشري

¹ - الكشاف ج 1 ص 304.

² - البيت من الطويل لعمر بن شأس في الكتاب ج 1 ص 47 وخزانة الأدب 521/8.

³ - الكتاب سيبويه ج 1 ص 47.

⁴ - المصدر نفسه ج 1 ص 47.

⁵ - البقرة. من الآية 284

⁶ - الكشاف ج 1 ص 306-307.

لهذه القراءات أن الفعل المضارع ﴿يَغْفِرُ﴾ قرئ مجزوما عطفًا على جواب الشرط ﴿يُحَاسِبُكُمْ﴾، ومرفوعًا على تقدير فهو يغفر، ومجزوما بغير فاء على أنه بدل من يحاسب ومما يشهد على صحة إبدال يغفر من يحاسب في قراءة من حذف الفاء قول الشاعر:

متى تأتينا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا¹

فالشاهد: جزم الفعل تلمم؛ لأنه بدل من تأتينا؛ ولأن الإلمام ضرب من الإتيان كإبدال يغفر من يحاسبكم في قراءة الإمام الأعمش. فالظاهر أن الشاهد مكرر في المفصل والكشاف، وإن كان الغرض ليس واحدا ففي المفصل من أجل تقرير قاعدة نحوية مفادها أن الفعل المضارع الداخل بين الشرط والجزاء «يكون على ضربين أحدهما: مرفوع لا غير، والآخر يدخل بين مجزومين وتكون أنت مخيرا بين الجزم على البديل من الأول وبين الرفع على الحال. فأما ما يكون رفعا لا غير فأن يكون الفعل الداخل بين المجزومين ليس في معنى الفعل فلا يكون بدلا منه»². أما في الكشاف فأورده المصنف بغية الاحتجاج لأحدى قراءات جزم ﴿يَغْفِرُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْذُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ بحذف الفاء.

من حروف المعاني: قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا﴾³

قال الزمخشري: «فإن قلت: ما معنى وقوع ﴿لَوْ تَرَكَوا﴾ وجوابه صلة لـ: ﴿الَّذِينَ﴾؟ قلت: معناه وليخش الذين صفتهم وحالهم أنهم لو شارفوا أن يتركوا خلفهم ذرية ضعافا، وذلك حين احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم؛ لذهاب كافلهم وكاسبهم»⁴. قال السمين الحلبي في: «ولو هذه فيها احتمالان: أحدهما: أنها على بابها من كونها حرفا لما كان سيقع لو وقع غيره، وأحرف امتناع لامتناع على اختلاف العبارتين. والثاني: أنها بمعنى إن

¹ - البيت من الطويل لعبيد الله بن الحر الجعفي في خزنة الأدب ج 3 ص 660

² - شرح المفصل ج 4 ص 282-283.

³ - النساء من الآية 09.

⁴ - الكشاف ج 1 ص 432.

الشرطية»¹. فإذا كانت لو في هذه الآية الكريمة لها احتمالان كما ذكر ذلك صاحب الدر المصون، فإن لو في عموم اللغة العربية أربعة أنواع: الامتناعية والشرطية التي بمعنى إن، المصدرية والتي للتمني. ولكن ما يفهم من قول الزمخشري أنه مع الاحتمال الأول أي: أن لو: حرف «لما كان سيقع لوقوع غيره»². وإلى الاحتمال نفسه ذهب صاحب المحرر الوجيز إذ يقول: «تقديره لو تركوا لخافوا ويجوز حذف اللام في جواب لو تقول: لو قام زيد لقام عمرو، ولو قام زيد قام عمرو»³. وقد نظّر الزمخشري المعنى الذي تضمنته الآية الكريمة، والذي سبقت الإشارة إليه بقول الشاعر:

لقد زاد الحياة إليّ حبًّا بناتى أنهن من الضعاف

أحاذر أن يرين البؤس بعدي وأن يشرين رنقًا بعد صافي⁴

يذكر الشاعر أن حبه للحياة ازداد بسبب حبه لبناته، وهن ضعاف يخشى عليهن من البؤس والحاجة بعد موته. والشاهد فيهما: خوف من يشارفون الموت على ضعاف ذريتهم من بعدهم، كما دلت عليه الآية الكريمة باستخدام لو. لو تركوا لخافوا.

كما ذكر الزمخشري في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾⁵. أن حتى حرف غاية إذ يقول: «فإن قلت: كيف نظم هذا الكلام؟ قلت ما بعد ﴿حَتَّىٰ﴾ إلى ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾. جعل غاية للابتلاء، وهي حتى التي تقع بعدها الجمل»⁶. وقال صاحب الدرّ المصون: «حتى

¹ - الدر المصون ج 3 ص 590.

² - الكتاب ج 2 ص 307.

³ - المحرر الوجيز. بن عطية. تح. عبد الشافي محمد. دار الكتب العلمية. ط 1. بيروت. 2001 ج 2 ص 13.

⁴ - البيتان من الوافر لأبي خالد القناني في إصلاح المنطق. لابن السكيت. تح. أحمد محمد شاكر. وعبد السلام محمد

هارون. دار المعارف. ط 4. القاهرة. ص 59-60

⁵ - النساء من الآية 6.

⁶ - الكشاف ج 1 ص 429.

هذه وما أشبهها - أعني الداخلية على إذا - قولان: أشهرهما: أنها حرف غاية دخلت على الجملة الشرطية وجوابها، والمعنى: وابتلوا اليتامى إلى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع أموالهم بشرط إيناس الرشد، فهي حرف ابتداء كالداخلة على سائر الجمل... والثاني: هو قول جماعة منهم الزجاج وابن دُرستويه - أنها حرف جر وما بعدها مجرور بها، وعلى هذا فإذا تتمحض للظرفية، ولا يكون فيها معنى الشرط. وعلى القول الأول يكون العامل في «إذا» ما تلخص من معنى جوابها تقديره: إذا بلغوا النكاح راشدين فادفعوا»¹. وقال العكبري: «حتى ما هنا غير عاملة، وإنما دخلت على الكلام لمعنى الغاية، كما تدخل على المبتدأ»².

ويستخلص من هذا كله أن هناك إجماعاً على أن حتى الواردة في هذه الآية الكريمة هي الداخلة على الكلام لمعنى الغاية، ونظيرة التي في قول الشاعر:

فما زالت القتلى تمجّ دماءها بدجلة حتى ماء دجلة أشكل³

إذ يقول: لشدة المعركة كثرت القتلى التي ترمي بدمائها في نهر دجلة حتى احمرّ ماؤه. والشاهد فيه: حتى الغائية التي اتخذ الزمخشري من مفهومها في هذا البيت دليلاً على مفهومها في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾.

وذكر في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾⁴. أن قوله تعالى: ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ﴾: «متعلق بربائبكم ومعناه أن الربيبة من المرأة المدخول بها محرمة على الرجل حلال له إذا لم يدخل بها، فإن قلت: هل يصح أن يتعلق بقوله: ﴿وَأُمَّهَاتُ

¹ - الدر المصون ج 3 ص 583.

² - إملاء ما من به الرحمن لأبي البقاء العكبري ج 1 نص 168.

³ - البيت من الطويل لجريير في شرح ديوانه. لعبد الله الصاوي ص 457.

⁴ - النساء من الآية 23.

نِسَائِكُمْ﴾ قلت: لا يخلو إما أن يتعلق بهنّ وبالريائب فتكون حرمتهن وحرمة الريائب غير مبهمتين جميعاً، وإمّا أن يتعلق بهنّ دون الريائب فتكون حرمتهن غير مبهمة، وحرمة الريائب مبهمة، فلا يجوز الأول؛ لأن معنى «من» مع أحد المتعلقين خلاف معناه مع الآخر. ألا تراك أنك إذا قلت وأمّهات نسائكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فقد جعلت «من» لبيان النساء، وتمييز المدخول بهنّ من غير المدخول بهن، وإذا قلت: وريائبكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهنّ، فإنك جاعل «من» لابتداء الغاية، كما نقول بنات الرسول ﷺ من خديجة وليس بصحيح أن يعنى بالكلمة الواحدة في خطاب واحد معنيين مختلفان ولا يجوز الثاني؛ لأن ما يليه هو الذي يستوجب التعليق به ما لم يعترض أمر لا يرد، إلا أن تقول أعلقه بالنساء والريائب وأجعل «من» للاتصال كقوله: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾¹ فإنّي لست منك ولست منّي. وأمّهات النساء متصلات بالنساء؛ لأنهن أمهاتهن كما أن الريائب متصلات بأمهاتهن؛ لأنهن بناتهن². ويبدو أن الزمخشري قد ذكر من معاني «من» في هذه الآية الكريمة أنها بيان الجنس، وذلك إذا تعلق الجار والمجرور: ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ بأمّهات نسائكم، أما إذا تعلق بريائبكم ف«من» لابتداء الغاية، وتكون «من» للاتصال إذا تعلق بالنساء والريائب، حيث أمّهات النساء متصلات بالنساء؛ لأنهن أمهاتهن، كما أن الريائب متصلات بأمهاتهن، لأنهن بناتهن، وإن كان أبو حيان ينفي أن من معاني «من» الاتصال. وإذا كان هذا الاتصال مثبتاً، فإنه نظير الاتصال المنفي الذي كشفت عنه «من» في قول النابغة:

[إذا حاولت في أسدٍ فُجُورًا] فإنّي لستُ منك ولستَ منّي³

إذ يتبرأ النابغة من صاحبه، وينفي أن يكون بينهما اتصال. والشاهد فيه: معنى «من»

¹ - التوبة من الآية 67

² - الكشف ج 1 ص 445.

³ - البيت للنابغة الذبياني في ديوانه. تح عباس عبد الساتر ص 138. في الحيوان ج 5 ص 601

وهي للاتصال مثبتا أو منفيا، وهو ما يريد المفسر إثباته فيما يحتمل من تفسير لقوله تعالى: ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ﴾.

وإذا كانت (ثم): «حرف يشترك في الحكم، ويفيد الترتيب بمهلة»¹. فإنه مما تفرد به الزمخشري إفادتها الاستبعاد، أي استبعاد الإعراض بعد التذكير. إذ يقول في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾² «ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا» للاستبعاد. والمعنى: أن الإعراض عن مثل آيات الله في وضوحها وإنارتها وإرشادها إلى سواء السبيل، والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعدل، كما تقول لصاحبك: وجدت مثل تلك الفرصة، ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه الانتهاز»³. ومنه ثم في بيت الحماسة:

ولا يكشفُ الغمَاءَ إلا ابنُ حرّةٍ يرى غمراتِ الموتِ ثم يزورها⁴

يقول: لا يكشف عن الغماء لقومه إلا ابن حرّة كريم الأصل يرى غمرات الموت مجسدة أمامه، فيمنعه عقله أن يتراجع عنها. والشاهد فيه: ثم بما فيها من مظنة الاستبعاد.

العطف على التوهم أو المعنى: قال الله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ﴾⁵.

قال الزمخشري في تفسيره لهذه الآية: «فإن قلت علام عطف قوله: ﴿وَشَهِدُوا﴾؟ قلت: فيه وجهان: أن يعطف على ما في إيمانهم من معنى الفعل؛ لأن معناه بعد أن آمنوا كقوله تعالى ﴿فَأَصْدَقَ وَأَكْنُ﴾⁶... ويجوز أن الواو للحال بإضمار قد بمعنى كفروا وقد شهدوا أن

¹ - الجنى الداني ص 426.

² - السجدة من الآية 22.

³ - الكشاف ج 3، ص 456.

⁴ - البيت من الطويل لجعفر بن عبله الحارثي في الدر المصون ج 9، ص 89.

⁵ - آل عمران من الآية 86.

⁶ - المنافقون من الآية 10.

الرسول حق»¹. ويظهر أن الزمخشري قد قصر توجيه الواو في قوله تعالى: ﴿وَشَهِدُوا﴾ على وجهين: أحدهما أن الواو حرف عطف، والمعطوف عليه ما في إيمانهم من معنى الفعل، أي بعد أن آمنوا وشهدوا، وقد نظر هذا التوجيه بقوله تعالى: ﴿فَأَصْدَقَ وَأَكْنَ﴾ معتبرا عطف أكْن على فأصْدَقَ «عظفا على محل فأصْدَقَ، كأنه قيل إذا أخرتني أصدق وأكْن»². مع أن الخليل يرى أنه جزم على توهم الشرط الذي يدل عليه التمني³. إضافة إلى هذه الآية الكريمة هناك من الشعر الفصيح ما يعتبر دليلا وشاهدا على هذا النوع من العطف قال الشاعر :

[مشائيم] ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب [إلا بين غرابها]⁴

وصف الشاعر قوما بأنهم نذير شؤم ليسوا بمصلحين، إذ لا يصيح غرابهم إلا بتصدع الشمل والفرقة. والشاهد فيه قوله: «ليسوا مصلحين ولا ناعب» حيث جرّ ناعب عظفا على توهم جر خبر ليس، وتقديره بناعب اعتبارا للمعنى. أما الوجه الثاني: فباعتبار أنه واو الحال بإضمار قد بمعنى: كفروا وقد شهدوا أن الرسول حق، أي الجملة وقد شهدوا في محل نصب على الحال من واو كفروا. وقد أضاف صاحب الدر المصون وجها ثالثا اعتبر فيه أن جملة شهدوا معطوفة على جملة كفروا حيث كفروا في محل نصب نعتا لـ «قوما» أي كيف يهدي من جمع بين هذين الأمرين⁵.

¹ - الكشف للزمخشري ج 1 ص 352.

² - الكشف للزمخشري ج 4 ص 462.

³ - المصدر نفسه ج 1 ص 452.

⁴ - البيت من الطويل للأخوص أو الأحوص الرياحي في خزنة الأدب ج 4 ص 158.

⁵ - الدر المصون ج 3 ص 301.

تعديّة الفعل أذاع: قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أذَاعُوا بِهِ﴾¹

قال الزمخشري: «يقال: أذاع السرّ، وأذاع به»². وقال صاحب الدرّ المصون: «أذاعوا به جواب إذا، وعين أذاع ياء لقولهم: ذاع الشيء يذيع، ويقال: أذاع الشيء أيضا بمعنى المجرد، ويكون متعدّيا بنفسه وبالباء، وعليه الآية الكريمة، وقيل: ضمن «أذاع» معنى «تحدث» فعدها تعديته، أي: تحدّثوا به مذيعين له»³. فالفعل أذاع بمعنى ذاع متعدّيا بنفسه، وبالباء؛ لأنّه ضمن معنى تحدّث، فعديّ تعديته. وهو نظير قول أبي الأسود الدؤلي:

[أمنت على السرّ امرأ غير حازم ولكّنه في النصح غير مريب]

أذاع به في النَّاسِ حتّى كأنّه بعلياء نارٍ أوقدّت لنقُوب⁴

يقول: وضعت السرّ عند من لا يصونه، فقد خدعني نصحه فتحدّث به فأظهره حتّى كأنّه نار بعلياء أشعلت بنقوب. والشاهد فيه: قوله أذاع به، وقد عدّاه بالباء، أو بالأحرى ضمّنه معنى تحدّث، وفيه ما يتّصل في الدّلالة بقوله تعالى: ﴿أذَاعُوا بِهِ﴾.

اسم الفعل تعال، أو فعل الأمر: قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾⁵.

ذكر الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية أن الحسن بن علي رضي الله عنه قد قرأ «تعالوا بضم اللام على أنه حذف اللام من تعاليت تخفيفا... فلما حذف واو الجمع بعد اللام من تعالى فضمت فصار تعالوا نحو تقدموا، ومنه قول أهل مكة تعالى بكسر اللام

¹ - النساء، من الآية 83.

² - الكشاف، ج 1، ص 482.

³ - الدرّ المصون، ج 4، ص 51.

⁴ - البيت من الطويل لأبي الأسود الدؤلي في ديوانه. تأليف أبو سعيد الحسن السكري. تح الشيخ محمد حسن آل ياسين.

دار ومكتبة الهلال. ط2 بيروت لبنان. سنة 1998. ص 45.

⁵ - النساء الآية 61.

للمرأة، وفي شعر الحمداني: تعالي أقاسمك الهموم تعالي، والوجه فتح اللام¹. أي حسب القراءة العامة. ويبدو من كلام الزمخشري أن اسم الفعل تعال² في استعماله وجهان:

أحدهما: فتح اللام في كل الأحوال تعال، تعالوا، تعالي تعاليا تعالين، وهي اللغة المشهورة والوجه في القراءات. ثانيهما: فتح اللام في المفرد المذكر مع ياء المخاطبة تعالي. وقد نسب قراءة الضم إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما، وهي قراءة شاذة³. وذكر على سبيل التمثيل قول أبي فراس الحمداني، وقد أورد تعالي مكسورة اللام بدليل قوافي بقية الأبيات خلافا للمطرد من كلام العرب إذ يقول:

[أيا جارتا ما أنصفَ الدهرُ بيننا] تعالي أقاسمُكِ الهمومَ تعالي⁴

مخاطبا حمامة طالبا منها أن تقاسمه الهموم، فهو أسير بعيد عن أهله وذويه، وهي طليقة قريبة من فراخها تغرد في طرب. والتمثيل - ولا أقول الشاهد - في قوله تعالي بكسر اللام والأصل فتحها تعالي، وماله من علاقة بقراءة من قرأ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾ بضم اللام؛ لأن أبا فراس الحمداني (320-353) من الشعراء المولدين الذين لا يحتج بشعرهم في اللغة وقواعد النحو والصرف. ولا أعتقد أن الزمخشري قد ذكر البيت على أساس أنه شاهد، وإنما ذكره على سبيل التمثيل والاستثناء، ولم يلحظه صراحة، كما فعل ابن هشام بعد أن تحدث عن تعالي وفتح لامها إذ قال: ومن ثمّ لحنوا من قال: تعالي أقاسمك الهموم تعالي. إلا أن هذا الحكم يبدو لي أنه غير مؤسس، باعتبار أن لغة الكسر والضم هناك من نطق بها قبل أبي فراس على ضعفها وقتها؛ ولذا لا يعتبر بأي حال من

¹ - الكشاف ج 1 ص 470-471

² - يقول ابن هشام: «وأما هات وتعالى فعدهما جماعة من النحويين في أسماء الأفعال والصواب أنهما فعلا أمر بدليل أنهما دالان على الطلب وتلحقهما ياء المخاطبة تقول: هاتي وتعالى» شرح قطر الندى ص 37.

³ - ينظر إملاء ما من به الرحمن ج 1 ص 185.

⁴ - البيت من الطويل لأبي فراس الحمداني في شرح شدوذ الذهب ص 23

الأحوال قول أبي فراس الحمداني لحناء، وإنما هو جار على لغة ضعيفة قليلة الاستعمال¹.

الحمل على التوهم : قال تعالى : ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ﴾².

لم يكتف الزمخشري بتخريج قراءة الرفع ﴿يُدْرِكُكُمْ﴾ على أساس حذف الجزاء بل جَوَزَ أن يكون الرفع محمولاً على ما يقع موقع أينما تكونوا، وهو أينما كنتم، وهو ما عبّر عنه بقوله: «ويجوز أن يقال: حمل ما يقع موقع ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا﴾ وهو أينما كنتم، كما حمل ولا ناعب على ما يقع موقع (ليسوا مصلحين)، وهو ليسوا بمصلحين فرفع، كما رفع زهير: لا غائب مالي ولا حرم»³. فالحمل على التوهم، أو بالأحرى الحمل على المعنى في هذه الآية الكريمة ليس بدعة «لأنه من الأمور المعهودة في كلام العرب، ولكنه لا ينقاس»⁴. ومنه قول الشاعر:

[مشائيم] ليسوا مصلحين [عشيرة] ولا ناعبٍ [إلا بين غرابها]⁵

إذ يصف قوما بأنهم نذير شؤم لمن حولهم، وليسوا بمصلحين بين الناس، ولا يصيح غرابهم إلا بالفراق وتصدع الشمل. والشاهد فيه: قوله ليسوا مصلحين ولا ناعب، حيث جر ناعب على توهم جر خبر ليس. وإذا سلمنا بثبوت هذه الظاهرة وتمثلها في النثر والشعر والقرآن الكريم. فإنه يكون من الجائز ارتفاع ﴿يُدْرِكُكُمْ﴾ لكون أينما تكونوا في معنى: أينما كنتم بتوهم أنه نطق به؛ وذلك أنه متى كان فعل الشرط ماضياً في اللفظ، فإنه يجوز في المضارع بعده وجهان: أحدهما الجزم على الجواب، والثاني الرفع. وهو الأمر نفسه الذي حوّل لزهير الرفع في قوله :

¹ - ينظر هامش قطر الندى ص 40.

² - النساء من الآية 78.

³ - الكشف ج 1 ص 479.

⁴ - البحر المحيط ج 2 ص 301.

⁵ - البيت من الطويل للأخوص أو الأحوص في خزنة الأدب ج 4 ص 158

[وإن أتاني خليل يوم مسغبة] يقول لا غائب مالي ولا حرم¹

أي: إذا ما أتاه محتاج يطلب نوالا يقول له: مالي موجود ولا حرمان لك منه. والشاهد فيه: رفع الجواب يقول؛ لأن الشرط ماض والرفع أحد الوجهين.

إضمار أن: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ﴾²

قال الزمخشري «وقرئ يدرکه بالنصب على إضمار أن»³. وقال السمين الحلبي: «وقرأ الحسن البصري بالنصب قال ابن جنّي «وهذا ليس بالسهل، وإنما بابه الشعر لا القرآن»⁴، لأن النصب بإضمار أن إنما يقع بعد الفاء المجاب بها بنفي محض، أو طلب محض»⁶. وهذا يعني أن النصب بإضمار أن في غير تلك الحالات المنصوص عليها في كتب النحو ضرورة، أو تشبهاً بالمسبوق بنفي أو شبهه؛ ولذا ينفي أبو علي الفارسي⁷ (أن) في الموجب إلا للضرورة الشعرية. ومع هذا فقد نظر الزمخشري قراءة النصب بقول المغيرة بن عمرو الحنظلي :

[سأترك منزلي لبني تميم] وألحق بالحجاز فأستريحاً⁸

أي سأغادر منزلي تاركاً مجاورة بني تميم - وهو منهم - وأسكن الحجاز لعلي أجد هناك ما يريحني ويرعى حقوقي. والشاهد فيه: فأستريحاً حيث نصبه بأن مضمره بعد فاء السببية من دون أن تسبق بنفي أو طلب، وهذا ضرورة مع ملاحظة أن الآية قد تقدم فيها الشرط على المعطوف، وذلك يعتبر أقوى مما ورد في البيت، وإن كان النصب في البيت

¹ البيت من البسيط لزهير في خزنة الأدب ج 9 ص 48

² النساء من الآية 100.

³ الكشف ج 1 ص 496.

⁴ المحتسب لابن جنّي، تح. علي النجدي ناصف. ط 2. ج 1 ص 197.

⁵ الدر المصون ج 4 ص 80

⁶ شرح ابن عقيل ج 2 ص 348.

⁷ ينظر الإيضاح ص 313.

⁸ البيت من الوافر للمغيرة بن حنين التميمي الحنظلي في شرح شواهد الإيضاح ص 251.

بتقرير أن وإن لم يكن في جواب شيء من الأشياء التابعة المعروفة في كتب النحو؛ لأن المضارع «ألق» فيه معنى الأمر لنفسه أو رائحة التمني، أو أنه عطف على تعليل محذوف أي: لأنجو منهم وألق بالحجاز فاستريح من شر عشرتهم ولو رفع، لفات ذلك، وكان إخبارا بالحق والاستراحة فقط¹.

النصب بعد واو المعية: قال تعالى: ﴿قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْذِ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾²

قال الزمخشري: «وقرى ﴿وَنَمْنَعُكُمْ﴾ بالنصب بإضمار أن³. وقال السمين الحلبي ﴿وَنَمْنَعُكُمْ﴾ الجمهور على جزمه عطا على ما قبله، وقرأ ابن أبي عبلة بنصب العين وهي ظاهرة، فإنه إضمار «أن» بعد الواو المقتضية للجمع في جواب الاستفهام⁴. فمن الواضح أن جزم ﴿نَمْنَعُكُمْ﴾ عطف على ﴿نَسْتَحْذِ﴾ المجزومة بلم، وهي قراءة الجمهور، أما من قرأ يمنعكم بالنصب لا شك أنه اعتبر أن الواو هي واو المعية، وأن الفعل المضارع منعكم قد نصب بأن مضمرة بعد واو المعية في جواب الاستفهام، وهو مما سمع عن العرب سماعا مطردا، ومنه قول الحطيئة:

ألم أك جازكم ويكون بيني وبينكم المودة والإخاء⁵

إذ يقول الحطيئة: معاتبنا الزبيرقان ألم يكن بيننا جوار مبني على علاقات يسودها الإخاء والمودة. والشاهد فيه: الفعل يكون منصوب بأن مضمرة بعد واو المعية الواقعة في جواب استفهام، وهو ما يؤكد صحة قراءة ابن عبلة .

¹ - هامش الكشف. تح. الشيخ عادل أحمد عبد الموجود. الشيخ علي محمد معوض. ج 1 ص 139

² - النساء من الآية 141.

³ - الكشف ج 1 ص 515.

⁴ - الدر المصون ج 4 ص 123-124.

⁵ - البيت من الوافر للحطيئة في ديوانه. تح حمدو طماس. دار المعرفة. ط2. بيروت. 2005. ص 10.

من معاني أن: قال الله تعالى: (وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ)¹

قال الزمخشري: «وقيل **أَنَّهَا** بمعنى لعلها من قول العرب: «انت السوق أنك تشتري لحما» وتقويها قراءة أبي: لعلها إذا جاءت لا يؤمنون»². ويشهد على ذلك أيضا قول امرئ القيس وهو خير شاهد:

عُوجًا عَلَى الطَّلِّ الْمُحِيلِ لِأَنَّنا نبكي الدَّيَّارَ كما بكي ابنُ خُذَامِ³

حيث ينادي امرؤ القيس صاحبيه أن يعرجا على الطلل الذي درس؛ لبيكياه معه كما

كان يفعل ابن خدام، وهو أول من بكي الديار. والشاهد فيه: ورود أننا بمعنى لعلنا.

تضمين أو إضمار: قال الله تعالى: ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾⁴

قال الزمخشري: «﴿أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من غيره من الأشرية، لدخوله في حكم

الإفاضة، ويجوز أن يراد أو ألقوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقوله: «علفتها

تبنا وماء باردا»⁵. فمن المعلوم أن هناك مذهبين للنحاة فيما عطف على شيء بحرف

عطف والفعل لا يصل إليه، أحدهما: الإضمار ومفاده أن يضمم للثاني فعل يناسبه ليصح

العطف. والثاني: التضمين: وهو أن يعطى العامل معنى ينتظم المعطوف، والمعطوف عليه

جميعا. والملاحظ أن الزمخشري قبل أن يقول بالإضمار أو التضمين في هذه الآية

الكريمة أشار إلى توجيه ثالث: وهو تسليط الإفاضة على المعطوف؛ لدخوله في حكمها

باعتباره من المائعات أي ﴿أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من غيره من الأشرية أمّا قوله: ويجوز أن

يراد أو ألقوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة. فيحتمل أنه أراد تضمين الفعل

أفيضوا معنى ألقوا علينا من الماء، أو مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة، ومنه فالعطف

¹ - الأنعام من الآية 109.

² - الكشاف، ج 1، ص 651.

³ - البيت من الكامل لامرئ القيس في ديوانه، شرح السكري ص 474.

⁴ - الأعراف، من الآية 50.

⁵ - الكشاف، ج 2، ص 23.

صحيح بعد تأويل العامل إذ أصبح معناه أعمّ وأوسع من معناه اللّغوي، كما «يحتمل وهو الظاهر من كلامه أن يكون أضمراً فعلاً بعد «أو» ليصل إلى ممّا رزقكم الله وهو ألقوا»¹. ويشهد على ما ذهب إليه الزمخشري وغيره من المفسرين في هذه الآية الكريمة من إضمار أو تضمين هو قول الشاعر:

علفتها تبنًا وماءً بارداً

ويروي صدره عجزاً.

[لمّا حطّطت الرّجل عنها واردا] علفتها تبنًا وماءً بارداً²

ومهما كان هذا الشطر صدراً أو عجزاً فإنّ قائله يخبرنا بأنّه قد علف ناقته أو فرسه تبنًا وماءً مع علمنا أنّ العلف لا يكون ماءً. فالشاهد فيه: قوله «وماء» فإنّه لا يمكن عطفه على «تبنًا» باعتبار العامل في المعطوف عليه، وهو الفعل علف لا يصحّ تسليطه على المعطوف مع بقاء معنى هذا العامل «علف» على معناه الحالي؛ ولذا كان للعلماء النحاة في تخريج هذا البيت آراء: أحدها أنّ قوله «وماء» مفعول به لفعل مضمّر يقتضيه السياق تقديره وسقيتها ماءً. والثاني: أن يكون «وماء» معطوفاً على قوله وتبنًا بعد التأويل في العامل أي تضمين الفعل «علفتها» معنى أوسع من معناه اللّغوي، كأنّ تضمّنه معنى قدمت لها، أو معنى أنلتها، أو معنى أعطيتها. والثالث أن يكون «وماء» مفعولاً معه «لأنّه إذا لم يصحّ العطف في الاسم الذي بعد الواو لمانع لفظي، أو معنوي انتصب على أنّه مفعول معه، وقد ذكر هذا الوجه ابن عقيل. أمّا المؤلّف في أوضحه فقد أنكر ذلك»³. وما ينبغي الإشارة إليه من معارف خلال معالجة هذا الشاهد أنّ مصطلح التضمين من المصطلحات المشتركة ما بين النحاة والبديعيين وبين أصحاب الشعر والقافية. فيطلق عند النحاة، ويراد به كما جاء في المغنى «قد يشربون لفظاً معنى لفظ فيعطونه حكمه، وسمّي ذلك

¹ - البحر المحيط، ج 4، ص 307.

² - البيت من الرجز في شرح ابن عقيل، ج 1، ص 458.

³ - شرح شذور الذهب، ص 241.

تضميناً»¹. كما يطلق في البديع، ويراد به أن يأخذ الشاعر أو الناثر آية، أو حديثاً، أو حكمة، أو مثلاً، أو شطراً، أو بيتاً من شعر غيره بلفظه ومعناه. ويطلق في الشعر ويراد به «أن يتعلّق معنى البيت بالذي قبله تعلّقاً لا يصحّ إلّا به»².

لام جواب القسم: قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾³.

قال الزمخشري: «لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا جواب قسم محذوف. فإن قلت: ما لهم لا يكادون ينطقون بهذا اللام، إلّا مع «قد» وقل عنهم نحو قوله:

حَلَفْتُ لَهَا بِاللَّهِ حَلْفَةً فَاجِرٍ لِنَامُوا [فما من حديثٍ ولا صال]»⁴

قلت: إنّما كان ذلك؛ لأنّ الجملة القسميّة لا تساق إلّا تأكيدا للجملة المقسم عليها التي هي جوابها، فكانت مظنة لمعنى التوقّع الذي هو معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسم»⁵. إذا كان لا إشكال في دخول هذه اللام على الجملة الاسمية، فإنّ دخولها على الجملة الفعلية مرتبط بدلالة الفعل على الماضي أو المستقبل «فإذا دخلت على المستقبل فلا بدّ من النون الثقيلة أو الخفيفة... وأما دخولها على الماضي، فإنّ الأكثر أن تدخل مع قد... لأنّ قد تقرّب من الحال... وذلك نحو قولك: واللّه لقد قمت قال الله تعالى: ﴿تَاللّهِ لَقَدْ أَثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾⁶. وربّما حذف اللام نحو قولك تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾⁷، أي: لقد أفلح وربّما حذف قد قال الشاعر: «حلفت لها واللّه»، أي واللّه لقد ناموا»⁸. فالظاهر من كلام الزمخشري وابن يعيش أن قد تلازم في الأكثر لام جواب القسم إذا دخلت على الماضي وقد برّر الزمخشري حذفها، وهو قليل. بأنّ الجملة القسميّة في أصلها مؤكدة بجواب

¹ - المغنى لابن هشام ج 6 ص 671.

² - التعريفات، للجرجاني ص 74.

³ - الأعراف، من الآية 59.

⁴ - البيت من الطّوبى، لامرئ القيس، في ديوانه، ص 32، و الجني الداني ، ص 135.

⁵ - الكشاف، ج 2، ص 27.

⁶ - يوسف، من الآية 91.

⁷ - الشمس، الآية 09.

⁸ - شرح المفصل، ج 5، ص 140 - 141.

القسم؛ ولذا كانت تحمل معنى التوقع الذي هو معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسم؛ ولذا جاز حذفها لوجود ما يعوّض معناها. وإذا كان الشاهد على حذف اللام قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾، فإنّ الشاهد على حذف قد: هو قول امرئ القيس في البيت السابق. حيث الشاهد فيه قوله: «لناموا» حيث جاء باللام داخلة على فعل ماض في جواب القسم من غير اقترانه بقد.

مهما: قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا...﴾¹.

قال الزمخشري في تفسير هذه الآية الكريمة إنّ مهما: «هي ما المضمنة معنى الجزاء ضمّت إليها ما الزائدة المؤكدة للجزاء... إلا أن الألف قلبت هاء استتقالا لتكرير المتجانسين وهو المذهب السديد البصري، ومن الناس من زعم أن «مه» هي الصوت الذي يصوت به الكاف، وما للجزاء كأنه قيل: كُفَّ. ﴿مَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾... والضميران في به، وبها راجعان إلى مهما إلا أن أحدهما ذُكِرَ على اللفظ والثاني أُنتِثَ على المعنى؛ لأنه في معنى الآية»². فالظاهر من كلام الزمخشري أنّ «مهما» مركبة، وفي تركيبها مذهبان: أحدهما أنّها مركبة من «ما ما» ما الشرطيّة زيدت عليها ما الزائدة، ثمّ قلبت الألف هاء استتقالا لتكرير المتجانسين، وهو المذهب البصري السديد على حدّ تعبير الزمخشري، وثانيهما، أنّها مركبة من «مه»، وهي الصوت الذي يصوت به الكاف، وما للجزاء ثمّ ركبت الكلمتان فصارت شيئا واحدا. وما يفهم من كلام الزمخشري أيضا أنّ مهما اسم شرط يجزم فعلين كان، وليس بحرف بدليل عود الضمير عليها، ولا يعود الضمير على حرف حيث الضميران في به وبها عائدان إلى مهما، غير أنّ أحدهما ذُكِرَ على اللفظ والثاني أُنتِثَ على المعنى، وقد احتجّ على اسمية مهما بقول زهير:

¹ - الأعراف من الآية 132

² - الكشف، ج 2، ص 54.

ومهما يكن عند امرئ من خليقةٍ وإن خالها تخفى على الناس تعلم¹
 فأبى طبيعة وسجية تكون في الإنسان تعلم للناس بأماراتها، وإن ظنّها خافية عليهم.
 والشاهد فيه: عودة الضمير على مهما مذكرا في يكن، ومؤنثا في خالها على اعتبار لفظ
 مهما ومعناها، وهذا ما يؤكد اسميتها كما جاءت في الآية الكريمة.

جواز حذف الفعل بعد كيف: قال الله تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ...﴾²

ذكر الزمخشري في تفسير هذه الآية الكريمة أن: «(كيف) تكرر لاستبعاد ثبات
 المشركين على العهد، وحذف الفعل لكونه معلوما»³. فقوله: حذف الفعل لكونه معلوما؛
 لأنه «أكتفى بـ (كيف) دليلا على معنى الكلام؛ لتقدم ما يُراد من المعنى بها قبلها. وكذلك
 تفعل العرب إذا أعادت الحرف بعد مضي معناه، استجازوا حذف الفعل»⁴. ومنه فكيف
 «تأكيد لنفي ثباتهم على العهد»⁵. وهو ما عبّر عنه الزمخشري بقوله: إن «كيف» تكرر
 لاستبعاد ثبات المشركين على العهد والتقدير: «كيف تعاهدونهم وإن يظهروا عليكم كان
 أمرهم إلى ما ذكرنا»⁶. وهذا نظير قول الشاعر:

وخبرت ماني أنّما الموتُ بالقرى فكيف وهاتا هضبةً وقليب⁷

يرثي أخاه وقد نصح بأن يخرج بأخيه المريض من القرى حيث الوباء والأمراض إلى
 البادية، لكنه لما رأى قبرا استكر على الناصح نصيحته فكيف مات هذا؟ وهو بين هضبة
 مرتفعة وبئر ماء صافية. والشاهد فيه: حذف الفعل بعد كيف لدلالة المعنى عليه، أي:

¹ البيت من الطويل لزهير بن أبي سلمى من معلقته وفي شرح قطر الندى، ص 37.

² التوبة، من الآية 8.

³ الكشف، ج 2، ص 143.

⁴ تفسير الطبري، د. عبد الله بن عبد المحسن التركي. بدار هجر. دط. دت ج 11، ص 354.

⁵ البحر المحيط، ج 5، ص 15.

⁶ تذكرة النحاة. لأبي حيان. تح عفيف عبد الرحمن. مؤسسة الرسالة. ط 1. بيروت. 1986. ص 284.

⁷ البيت من الطويل لكعب بن سعد الغنوي في تذكرة النحاة 284 و بلا نسبة في شرح المفصل 22 ص 366

فكيف مات وليس في قرية؟ واعتبر البيت شاهدا أيضا على معنى الاستنكار، وما يرتبط به من قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾¹.

كسر همزة إن وفتحها:

قال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾².

ذكر الزمخشري أن قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾: «استئناف معناه التعليل لوجوب المرجع إليه، وهو أن الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق وإعادته هو جزاء المكلفين على أعمالهم، وقرئ أنه يبدأ الخلق بمعنى لأته، أو هو منصوب بالفعل الذي نصب وعد الله، أي وعد الله وعدا بدء الخلق ثم إعادته، والمعنى إعادة الخلق بعد بدئه، وقرئ: وعد الله على لفظ الفعل ويبدئ من أبدأ، ويجوز أن يكون مرفوعا بما نصب حقا أي حق حقا بدء الخلق»³. فقوله تعالى ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ جمهور القراء على كسر الهمزة للاستئناف، أما القراءة بفتحها، فقد ذكر لها الزمخشري ثلاثة أوجه أحدها: أنه منصوب بالفعل الذي نصب وعد الله، أي: وعد الله تعالى بدء الخلق ثم إعادته، والثاني: على حذف لام الجر، أي: لأته، والثالث: أن تكون فاعلا بما نصب حقا، أي: حق حقا بدء الخلق ثم إعادته. وقد استشهد على صحة هذا التوجيه الأخير بقول الشاعر:

أحقا عباد الله أن لست جائيا ولا ذاهبا إلا علي رقيب⁴

إذ يتساءل أصحاح أني لا أذهب ولا أجيء، أو لا أرد ولا أصدر إلا وعلي رقيب؟ والشاهد فيه: أن لست جملة اسمية في محل رفع فاعل بما نصب حقا، كقراءة من قرأ: «إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ».

¹ - التوبة، من الآية 7.

² - يونس، من الآية 4.

³ - الكشاف، ج 2، ص 208.

⁴ - البيت من الطويل لعبد الله بن الدمينة الخثعمي في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص 1364

الجملة المقتضبة وغير المقتضبة: قال الله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾¹
 قال الزمخشري: «﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ جملة من مبتدأ وخبر مقتضبة، أي:
 باسم الله إجراؤها وإرساؤها، أي: بقدرته وأمره... فإن قلت: ما معنى قولك جملة مقتضبة؟
 قلت معناه: أن نوحا عليه السلام أمرهم بالركوب، ثم أخبرهم بأن مجراها ومرساها بذكر
 اسم الله، أو بأمره وقدرته، ويحتمل أن تكون غير مقتضبة بأن تكون في موضع
 الحال... فلا تكون كلاما برأسه، ولكن فضلة من فضلات الكلام الأول»². ما يستخلص
 من كلام الزمخشري أن قوله تعالى: ﴿ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ يحتمل فيه
 وجهان: إما اعتباره جملتين حيث قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ جملة اسمية
 مستأنفة لا تعلق لها بالجملة الفعلية الأولى ﴿ارْكَبُوا فِيهَا﴾ من حيث الإعراب، والتي سماها
 الزمخشري بالجملة المقتضبة التي لا تعلق لها بما قبلها، وإما اعتبارها جملة واحدة على
 أن قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ حال من فاعل اركبوا ومجراها ومرساها في موضع الظرف
 المكاني أو الزماني، والتقدير: اركبوا فيها مسمين موضع جريانها ورسوها، أو وقت
 جريانها ورسوها»³. والذي عبّر عنها الزمخشري بقوله: ويحتمل أن تكون جملة غير
 مقتضبة في موضع الحال. وقد استدلل على صحة هذا الاحتمال بقول الشاعر:

وجاءوا بهم سكرٌ علينا [فأجلى القوم والسكران صاحي]⁴

أي: جاءوا غضابا علينا، فأنكشفوا وهم صاحون عن سكر الغضب. يريد أننا غلبناهم
 وهزمناهم. والشاهد قوله: «(بهم سكر)» جملة حالية ومنه فقوله: «(جاءوا بهم سكر علينا)»
 جملة غير مقتضبة ولا مقطوعة بل هي جملة واحدة، حيث لا تكون «(بهم سكر)» كلاما
 برأسه، ولكن فضلة من فضلات الكلام الأول، وهو بهذا يتصل بقوله تعالى: ﴿ارْكَبُوا فِيهَا﴾

¹ - هود، من الآية 41.

² - الكشاف ج 2 ص 262

³ - الدرّ المصون، ج 6، ص 325.

⁴ - البيت من الوافر بلا نسبة في لسان العرب مادة (سكر)

بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ﴿﴾ عَلَى أَنَّهُ كَلَامٌ مُتَّصِلٌ مُتَكَامِلٌ.

تعديّة الفعل جرم: قال الله تعالى: ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ﴾¹.

ذكر الزمخشري في تفسير هذه الآية أنّ جرم مثل كسب في تعديّه إلى مفعول واحد وإلى مفعولين يقول: جَرَمَ ذَنْبًا وَكَسَبَهُ وَجَرَمْتَهُ ذَنْبًا وَكَسَبْتَهُ إِيَّاهُ... ومنه قوله تعالى: ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ﴾، أي لا يكسبنكم شقائي إصابة العذاب². فجرم مثل كسب تمامًا، فهو يتعدّى لواحد ولاتنين. ويستدل على تعديته لمفعولين بقول الشاعر:

[ولقد طعنت أبا عيينة طعنة] جرمت فزارة بعدّها أن يغضبوا³

يقول طعنت ذلك الرجل الفزاري طعنة قتلتها، فكسبت فزارة بعدّها الغضب. الشاهد فيه: تعديّ الفعل (جرم) إلى مفعولين: فزارة وأن يغضبوا أمّا رواية رفع "فزارة" فقد قال عنها الفراء: «وليس قول من قال إنّ جرمتُ كقولك: حَقَّقْتُ أو حَقَّقْتُ بشيء، وإنّما لبس عليه قول الشاعر: (جرمت فزارة بعدّها أن يغضبوا) فرفعوا فزارة وقالوا: نجعل الفعل لفزارة كأنّها بمنزلة حقّ لها، أو حقّ لها أن تغضب. قال: وفزارة منصوب في البيت، المعنى جرمتهم الطعنة الغضب أو أكسبتهم»⁴.

حاشا: قال الله تعالى: ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا﴾⁵

ذكر الزمخشري أنّ: ﴿حَاشَ﴾ كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء نقول: أساء القوم حاش زيد... وهي حرف من حروف الجرّ فوضعت موضع التنزيه والبراءة⁶. فحاش معناها التنزيه، وهي حرف من حروف الجرّ يجزّ ما بعده، دخل في باب الاستثناء لما ضارع إلا بما فيه من معنى النفي. قال الشاعر:

¹ - هود، من الآية 89.

² - الكشاف، ج2، ص 283.

³ - البيت من البسيط لزيادة بن أسماء في لسان العرب (جرم) وخزانة الأدب ج10 ص283.

⁴ - لسان العرب، مادة (جرم).

⁵ - يوسف، من الآية 31.

⁶ - الكشاف، ج2، ص 319.

حاشا أبي ثوبان إن به ضناً عن المَلْحَاةِ والشَّثْمِ¹
 وفيه يستثني أبا ثوبان ممّا سبق القول به، فهو حريص على ألاّ يناله سباب أو لوم.
 والشّاهد فيه: استخدام حاشا في قوله حاشا أبي ثوبان، حيث نزه أبا ثوبان وحده بحاشا.
لا النافية في جواب القسم: قال الله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللّٰهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوْسُفَ﴾²
 قال الزمخشري: «تَفْتَأُ» أراد لا تفتأ فحذف حرف التّهي؛ لأنّه لا يلتبس بالإثبات لأنّه لو
 كان إثباتاً لم يكن بد من اللّام والنّون»³. يفهم من هذا أنّ حذف لا النافية «يطرد في
 جواب القسم إذا كان المنفي مضارعاً»⁴؛ وذلك لعدم التباسه بالمثبت؛ لأنّه في حالة الإثبات
 لا بدّ من اشتماله على لام القسم ونون التوكيد. وهذا ما يؤكّده، ويشهد على صحّته قول
 امرئ القيس:

فقلت يمينَ الله أبرحُ قاعداً [ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي]⁵
 حيث يقسم امرؤ القيس أنّه سيظلّ إلى جانب محبوبته، ولو تعرّض للموت. والشّاهد
 فيه: أبرح، أي: لا أبرح، كما جاء في الآية تفتأ، أي: لا تفتأ. كما يعتبر البيت شاهداً على
 إعمال أبرح - وهو مضارع برح - عمل كان مع أنّه ليس معه في اللفظ حرف نفي بسبب
 أنّ حرف النّفي مقدّر قبله، أي: لا أبرح قاعداً ثمّ أضاف الزمخشري عند تفسيره لهذه الآية
 قائلاً: «و معنى «لا تفتأ» لا تزال، وعن مجاهد: لا تفتأ من حبّه، كأنّه جعل الفتوى والفتور
 أخويه، يقال: ما فتى يفعل»⁶ ما فتى بمعنى ما زال من أخوات كان لا تعمل إلاّ بشرط أن
 تسبق بنفي أو نهي أو دعاء. ومصدق ذلك قول أوس:

¹ - البيت من الكامل، للجميح الأسدي في الجنى الداني، ص 562.

² - يوسف، من الآية 85.

³ - الكشاف ج 2 ص 347

⁴ - مغني اللبيب لابن هشام. تح. عبد اللطيف محمد الخطيب. التراث العربي. ط 1. الكويت. 2000. ج 6، ص 475

⁵ - البيت من الطّويل لامرئ القيس، في ديوانه، شرح أبي سعيد السكري ص 328.

⁶ - الكشاف ج 2 ص 347

فما فتئت خيلٌ تثوب وتدعي ويلحق منها لاحق وتقطع¹

ومعناه: أن الخيل ما زالت تفعل ذلك تذهب وترجع ولاحق بعضها بعضاً، وتتقطع فرقا حتى انتهت الحرب. والشاهد فيه ما فتئت بما لها من معنى الاستمرار.

لام التعليل: قال الله تعالى: «يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ»²

قال الزمخشري في تفسيره لهذه الآية: «أي يدعوكم إلى الإيمان ليغفر لكم، أو يدعوكم لأجل المغفرة، كقوله: دعوته لينصرني، ودعوته ليأكل معي»³. وهذا يعني أن اللام في قوله: «لِيَغْفِرَ» إما أنها «معدية كقولك: دعوتك لزيد وقوله: إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ»⁴. والتقدير يدعوكم إلى غفران ذنوبكم»⁵. وهو ما عبر عنه الزمخشري بقوله: يدعوكم إلى الإيمان ليغفر لكم. وإما أنها «متعلقة بالدعاء أي: لأجل غفران ربكم»⁶. وهو ما عبر عنه الزمخشري بقوله: يدعوكم لأجل المغفرة كقوله: دعوته لينصرني، ودعوته ليأكل معه. كقول الشاعر:

دعوتُ لما نابني مسورا فلبّي فلبّي يدي مسورا⁷

يقول دعوت مسورا لما أصابني، فكان رهن الإشارة فلبّي النداء. والشاهد فيه قوله: «دعوت لما نابني» حيث اللام متعلقة بالدعاء، ولذلك صلة بمعنى قوله تعالى: «يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ» في أحد الوجهين المحتملين لللام.

¹ - البيت من الطويل، لأوس بن حجر في ديوانه، تح. د. محمد يوسف نجم. ص 58.

² - إبراهيم، من الآية 10.

³ - الكشاف، ج 2، ص 386.

⁴ - غافر، من الآية 10.

⁵ - الدر المصون ج 7، ص 75.

⁶ - المصدر نفسه ج 7، ص 75.

⁷ - البيت من المتقارب، لأعرابي من بني أسد في خزنة الأدب 2 / 92.

أما اللام في قوله تعالى: ﴿وَيَخْرُونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾¹. فقد قال الزمخشري عنها: «فإن قلت: حرف الاستعلاء ظاهر المعنى إذا قلت: خرّ على وجهه وعلى ذقنه، فما معنى اللام في خرّ لذقنه ولوجهه؟...قلت:معناه جعل ذقنه ووجهه للخروج واختصّه؛ لأنّ اللام للاختصاص»². كما جاء في مفصله³. وقد استشهد على ذلك بقول الشاعر:

[تناوله بالرمح ثمّ انثنى له] فخرّ صريعا لليدين وللضم⁴

أي لقمه قطعنه بالرمح، ثمّ انثنى ليصبيه في المقتل، فسقط صريعا على الأرض على اليدين والضم، وجعل ذلك ليديه وفمه. والشاهد فيه قوله: خرّ لليدين وللضم، أي: جعل يديه وفمه للخروج، واختصّه به.

من معاني لوما: قال الله تعالى: ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتِ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾⁵

قال الزمخشري: «لو ركبت مع لا وما لمعنيين، معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التحضيض. وأما هل فلم تتركب إلا مع ((لا)) وحدها للتحضيض... والمعنى: هلاّ تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك، ويعضدونك على إنذارك»⁶. فلوما حرف تحضيض كهلاّ، وتكون أيضا حرف امتناع لوجود. إلا أنها في هذه الآية الكريمة لا تفيد إلا التحضيض. هذا ما يفهم من تفسير الزمخشري، وتقديره هلا موضع لوما في ذكره معنى الآية. أما البيت الشعري الذي أورده فهو شاهد على المعنى الثاني لـ «لوما» في كونها حرف امتناع لوجود إذ يقول الشاعر:

لَوْ مَا الْحَيَاءُ وَلَوْ مَا الدِّينُ عِبْنُكُمْ ببيعض ما فيكما إذ عِبْنُمَا عَوْرَتِي⁷

¹ - الإسراء، من الآية 109.

² - الكشاف، ج 2، ص 515.

³ - المفصل في علم العربية، ص 371.

⁴ - البيت من الوافر لجابر التعلبي في شرح شواهد المغني 2 / 562.

⁵ - الحجر، الآية 07.

⁶ - الكشاف ج2، ص 410.

⁷ - البيت من البسيط، لابن مقبل، الكشاف، ج2، ص 410.

لوما حيائي وديني لعبتكما، ورددت السيئة بالسيئة والعيب بالعيب. والشاهد فيه أن لوما هنا امتناع لوجود، وليست كما في الآية الكريمة ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَأِكَةِ﴾.

إضمار الفعل وتفسيره: قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾¹.

قال الزمخشري: ﴿لَوْ﴾ حقها أن تدخل على الأفعال دون الأسماء فلا بدّ من فعل بعدها في ﴿لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ﴾، وتقديره لو تملكون تملكون، فأضمر تملك إضماراً على شريطة التفسير وأبدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو: أنتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ، فأنتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره، وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الإعراب»². وقد استشهد الزمخشري على إضمار الفعل بعد «لو» ثمّ تفسيره بقول الشاعر:

ولو غير أحوالي أرادوا نقيصتي [جمعت لهم فوق العرانيين ميسماً]³

أي لو أراد غير أحوالي نقيصتي أي ظلمي لوسمتهم وسماً ظاهراً فوق الأنوف. والشاهد أنّ «لو» لم تدخل إلا على الفعل، ولذلك قدر بعدها فعل محذوف يفسره الفعل الذي بعدها أي: لو أراد غير أحوالي.

دخول الفاء على الخبر: قال الله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ﴾⁴

قال الزمخشري: ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ كقوله:

وقائلة خولان فانتكح فتاتهم [وأكرومة الحيين خلو كما هي]⁵

ويفهم من هذا أن الاسم العاري من الشرط لم يدخل الفاء في خبره فلا يقال: زيد فمنطلق، إلا أن «الأخفش يجيز ذلك على زيادة الفاء، وذكر أن ذلك ورد عنهم كثيراً

¹ - الإسراء، من الآية 100.

² - الكشاف، ج 2، ص 512.

³ - البيت من الطويل، للمتلمس، في خزنة الأدب، ج 10، ص 59.

⁴ - مريم من الآية 65.

⁵ - البيت من الطويل بلا نسبة في الجنى الداني ص 71.

⁶ - الكشاف ج 3، ص 29.

حكى: «أخوك فوجد» على معنى أخوك وجد، والفاء زائدة، وأنشد [البيت الذي أنشده الزمخشري]»¹. فإذا كان الأخفش قد أجاز زيادتها في الخبر مطلقاً، فإن بعض النحاة قد قيّدوه بكون الخبر أمراً أو نهياً، وأوّله المانعون منهم بقولهم: هذا زيد فوجد وهذه خولان فانكح. على أساس عطف جملة فعلية على جملة اسمية²، أي: عطف الإنشاء على الخبر، وقد أجاز به البعض ومنعه البعض الآخر؛ ولذا اعتبر الزمخشري أن قوله تعالى ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ كنحو قول الشاعر: «فانكح» من حيث جواز اقتران خبر كل من المبتدأ ﴿رَبُّ﴾ و«خولان» بالفاء. على رأي الأخفش. فقال تعالى ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ وقال الشاعر: «فانكح» وأمّا على رأي من اعتبر أن الفاء حرف عطف وليست زائدة. فهي من باب عطف الإنشاء على الخبر.

تعدية الفعل اللازم بإلى وباللام: قال الله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ...﴾³

قال الزمخشري: «فإن قلت: كيف عدّي وسوس تارة باللام في قوله: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾⁴. وأخرى بإلى؟ قلت: وسوسة الشيطان كلولة التكلّي، ووعوعة الذئب، ووقوقة الدجاجة، في أنّها حكايات للأصوات، وحكمها حكم صوتٍ أو جرسٍ ومنه وسوس المبرسم وهو مؤسوس بالكسر والفتح لحن... فإن قلت وسوس له فمعناه لأجله... ومعنى وسوس إليه أنهى إليه الوسوسة، كقولك حدّث إليه أسر إليه»⁵. يستخلص من هذا القول أن الفعل وسوس «فعل قاصر لا غنى له عن التعدية بالحرف، فتعديته بحرف إلى هنا (أي في سورة طه) باعتبار انتهاء الوسوسة إلى آدم، وبلوغها إيّاه، وتعديته باللام في الأعراف باعتبار

¹ - شرح المفصل ج1، ص250.

² - ينظر خزنة الأدب ج1، ص315.

³ - طه من الآية 120.

⁴ - الأعراف من الآية 20

⁵ - الكشاف ج3، ص83.

أن الوسوسة كانت لأجلهما»¹. فتعديته بـ إلى أو بـ اللام مرتبط كما هو يبدو بقصد المتكلم وهذا ما تجسّد في قول الشاعر حين أنهى الوسوسة إلى موصوفه:

ووسوس يدعو مخلصاً ربّ الفلق [سراً وقد أوّن تأوين العقق]²

يصف عمن يتحدث عنه أنّه مخلص ذاكر ربّه موسوس بشكره أن يظفره بالصيّد. والشاهد فيه: وسوس ولمعناها صلة بقوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾. أما حين كان قصد الشاعر القيام بالفعل لأجل غيره فقد قال:

أجرس لها يا ابن أبي كباش [فما لها الليلة من أنفاش]³

بحث الشاعر ابل أبي كباش أن يكون إجراسه لها (امرأة أو ابل) ومن أجلها. والشاهد الإجراس لها، ومن أجلها. وبهذا المعنى فسر قوله تعالى ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا﴾

من معاني اللام: قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾⁴

قال الزمخشري: «واللام في ﴿لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ مثلها في قولك: جئته لخمس ليال خلون من الشهر»⁵ فقولهم: لخمس ليال خلون فاللام بمعنى «عند» أي عند خمس خلون، أو بمعنى «بعد» أي بعد خمس خلون⁶ ومنه قول الشاعر:

ترسمت آيات لها فعرفتها لستة أعوام وذا العام سابع⁷

أي: تتبّع آثارها بعد سنوات ست، وهذا العام السابع فعرفها. والشاهد فيه: اللام في قوله: لستة أعوام بمعنى بعد ستة أعوام، وهي شبيهة فيما يرى الزمخشري لقوله تعالى:

﴿لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

¹ - التحرير والتنوير ج¹⁶، ص325.

² - البيت من الرجز لرؤية في ديوانه ص108.

³ - البيت من الرجز بلا نسبة لسان العرب (جرس).

⁴ - الأنبياء من الآية 47.

⁵ - الكشاف ج3، ص106.

⁶ - ينظر الجنى الداني ص101.

⁷ - البيت من الطويل للنابغة في ديوانه ص31 وخرانة الأدب 453/2.

ومن معانيه أيضا ذكر الزمخشري عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾¹ قائلا « واللام هي التي في قولك: أنت لهذا الأمر أي كائن له، ومختص به»². من معاني اللام الجارة الاختصاص « ولم يذكر الزمخشري³ في مفصله غيره. قيل: وهو أصل المعاني⁴. وهي اللام التي في قوله: ﴿لِلتَّقْوَى﴾ ويشهد على ذلك قول الشاعر :

أنت لها أحمدُ من بين البشر⁵

أي: أنت لها أهل وكفاء. والشاهد فيه: اللام في أنت لها، والدالة على الاختصاص. وقول الآخر:

أعداءُ من لليعملاتِ على الوجى [وأضيف بيت بيتوا لنزول]⁶
يرثي عداء صاحبه قائلا: يا من كان معدا لإغاثة المطايا الكثيرات العمل، ومن كان معدا لأضياف بيته الذين يبيتون للنزول والاستراحة عنده. والشاهد فيه: اللام في لليعملات الدالة على الاختصاص.

من الأفعال اللازمة المتعدية: قال الله تعالى: ﴿فَاسْأَلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾⁷
قال الزمخشري: «يقال سلك فيه: دخله، وسلك غيره، وأسلكه»⁸. وهذا يعني أن الفعل سلك يكون لازما بمعنى دخل، ومتعديا بمعنى أدخل، وقد يُعدى بالهمزة فيقال: أسلكه وهي بمعنى سلكه، ومنه قول الشاعر:

حَتَّى إِذَا أَسْلَكُوهُمْ فِي قَتَائِدِهِ [شلا كما تطرد الجمالة الشرد]¹

¹ - الحجرات من الآية 03.

² - الكشاف ج 4 ص 307

³ - المفصل في صنعة الإعراب ص 368

⁴ - الجنى الداني ص 96.

⁵ - الرجز بلا نسبة في لسان العرب (غير)

⁶ - البيت من الطويل لعتبة بن مالك العقلي في الكشاف ج 4 ص 307

⁷ - المؤمنون من الآية 27.

⁸ - الكشاف ج 3، ص 163

يصف قومًا أغير عليهم فدفعوا العدو حتى أدخلوه في قتائده. والشاهد فيه: أسلكوهم بمعنى أدخلوهم وروي سلكوهم.

التعدية بحرف الجر: قال الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾².

قال الزمخشري: «فإن قلت حق أرسل أن يعدى بإلى كأخواته التي هي: وجه، وأنفذ، وبعث. فما باله عدى في القرآن بإلى تارة، وفي أخرى كقوله: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ﴾³. قلت: لم يعد بفي كما عدى بإلى، ولم يجعل صلة مثله، ولكن الأمة أو القرية جعلت موضعاً للإرسال»⁴. ويفهم من هذا أن الفعل أرسل من الأفعال القاصرة التي تعدى بإلى، كما قد تعدى بفي، إلا أنه في هذه الآية الكريمة عدى بفي، ولم يعد بإلى، وهي الأصل لإفادة أن الأمة أو القرية جعلت موضعاً للإرسال أو «لإفادة أن الرسول كان منهم ونشأ فيهم»⁵. كما قال رؤية:

أرسلت فيها مصعبًا ذا إقحامٍ [طَبًا فقيهاً بذوات الإِبْلَامِ]⁶

أرسلت فيهم رجلاً محنكاً خبيراً بالأمر حاذقاً في أدق الشئون، كالطبيب العارف بمعالجة الأشياء الصعبة ذوات الأعضاء. والشاهد فيه: أرسلت فيها حيث جعل القوم، أو القرية موضعاً للإرسال، كما جاء في الآية الكريمة.

وذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾⁷ أن قوله تعالى: «﴿عَسَى أَنْ يَكُونَ﴾ ردفكم بعضه، وهو عذاب يوم بدر، فزيدت اللام للتأكيد كالباء في ﴿وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾⁸، أو ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم، وأزف لكم

¹ - البيت من البسيط لعبد بن مناف بن ربع الهذلي. في الكشاف ج3. ص163

² - المؤمنون من الآية 32.

³ - الرعد من الآية 30.

⁴ - الكشاف ج3، ص165

⁵ - التحرير والتنوير ج18، ص50.

⁶ - البيت من السريع لرؤية في أساس البلاغة (فقه)

⁷ - النمل الآية 72.

⁸ - البقرة من الآية 195

ومعناه: تبعكم ولحقكم، وقد عُدِّي بمن¹ فالفعل ردف يتعدَّى بنفسه كتبع، وإذا ضمن معنى الدنو عُدِّي باللام، وعُدِّي بمنّ ومنه قول الشاعر:

فلما رَدِفْنَا مِنْ عُمَيْرٍ وَصَحْبِهِ تَوَلَّوْا سِرَاعًا وَالْمَنِيةَ تُعْنِقُ²

فلما دنونا من عمير وأصحابه للحرب أدبروا مسرعين، والحال أن الموت يسرع خلفهم من جهتنا. والشاهد فيه: تعدية الفعل رَدَفَ بمن.

عمل هيهات: قال الله تعالى: ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾³

قال الزمخشري: «فإن قلت: ما توعدون هو المستبعد، ومن حقه أن يرتفع بهيهات؛ كما ارتفع في قوله: (فهيهات هيهات العقيق وأهله) فما هذه اللام؟ قلت: قال الزجاج في تفسيره البعد لما توعدون، أو بعد لما توعدون فيمن نَوَّنَ فنزله منزلة المصدر. وفيه وجه آخر: وهو أن يكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد، كما جاءت اللام في: هيت لك لبيان المهيت به»⁴. فهيهات: اسم فعل معناه: بَعُدَ وهو «اسم فعل قاصر يرفع الفاعل، وهنا قد جاء ما ظاهره الفاعل مجرورا باللام: فمنهم من جعله على ظاهره وقال: ما توعدون فاعل به، وزيدت فيه اللام. والتقدير بَعُدَ بَعُدَ ما توعدون وهو ضعيف إذا لم يعهد زيادتها في الفاعل، ومنهم من جعل الفاعل مضمراً للدلالة على الكلام عليه فقدره أبو البقاء⁵: هيهات التصديق أو الصحة لما توعدون" وقدره غيره بَعُدَ إخراجكم و﴿ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾ للبيان»⁶. ولذا قال الزمخشري: لبيان المستبعد، كما جاءت اللام في هيت لك لبيان المهيت به. فالذي يتضح من قول الشيخين أن الأصل فيما بعد هيهات أن يكون فاعلا بمعنى "هيهات" بَعُدَ، وإذا كان ما بعدها مجرورا باللام فيكون على الاستغناء

¹ - الكشاف ج 3. ص 338

² - البيت من الطويل بلا نسبة في البحر المحيط 95/7.

³ - المؤمنون الآية 36.

⁴ - الكشاف ج 3، ص 166.

⁵ - إملاء ما من به الرحمن 2/149.

⁶ - الدر المصون ج 8، ص 335.

عن فاعل هيهات «للعلم به مما يسبق "هيهات" من الكلام لأنها لا تقع غالباً إلا بعد كلام، وتجعل اللام للتبيين»¹. وهناك من اعتبر اللام زائدة وما بعد فاعلاً. وقد استشهد الزمخشري ببيت جرير على اقتضاء هيهات اسماً مرفوعاً بعدها إذ يقول:

فهيهات هيهات العقيق وأهله [وهيهات خل بالعقيق نواصله]²

أي: لقد بعد عنّا العقيق وساكنوه، وبعد خلّ بالعقيق كانت تربطنا به أواصر المحبة. والشاهد فيه: رفع هيهات للعقيق باعتباره فاعلاً لها مما جعلهم يضرّمونه في قوله تعالى: ﴿هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ والتقدير: بعد إخراجكم؛ لتقدم ذكر الإخراج واللام للتبيين.

تعديّة الفعل استجاب: قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾³.

ذكر الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية الكريمة أن الفعل استجاب «يتعدى إلى الدعاء بنفسه، وإلى الداعي باللام، ويحذف الدعاء إذا عدّي إلى الداعي في الغالب، فيقال استجاب الله دعاءه أو استجابة له، ولا يكاد يقال: استجاب له دعاءه»⁴. قال الشاعر:

[وَدَاعَ دَعَا يَا مَنْ يَجِيبُ إِلَى النَّدَى] فلم يَسْتَجِبْهُ عند ذاك مُجِيبٌ⁵

يتحدث الشاعر عمّا قوبل به الداعي من عدم استجابة دعائه. والشاهد: تعديّة يستجيب للدعاء بنفسه. فالفرق بين فعل الاستجابة في الآية، وبينه في قول الشاعر أنّه في البيت عدى إلى الدعاء، وفي الآية عدى إلى الداعي.

من أفعال القلوب: قال الله تعالى: ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾⁶.

قال الزمخشري: «فإن قلت: زعم يطلب مفعولين، كقوله:

¹ - التحرير والتنوير ج18، ص55.

² - البيت من الطويل لجرير في ديوانه ص479.

³ - القصص من الآية 50.

⁴ - الكشاف ج3، ص372.

⁵ - البيت من الطويل. بلا نسبة في الكشاف. ج3 ص372.

⁶ - القصص من الآية 62.

[وإن الذي عاش يا أم مالك يموت] ولم أزعك عن ذاك معزلاً¹»²
 يقول: وكل حي وإن طال عمره يموت، ولم أظنك يا أم مالك عن ذاك معزلاً. والشاهد
 فيه: أزعم وجاء بمفعوليه الكاف ومعزلاً، بينما في الآية الكريمة محذوفان دل عليهما ما
 قبلها، أي تزعمونهم شركائي.

ما الزائدة : قال الله تعالى: ﴿جُنُودًا مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومًا مِنَ الْأَحْزَابِ﴾³

قال الزمخشري: و﴿مَا﴾ مزيدة، وفيها معنى الاستعظام كما في قول امرئ القيس:
 [جد بالوفاق لمشتاق إلى سهره إن لم تجد] فحديث ما على قصره⁴»⁵.
 فما حرف زائد يؤكد معنى ما قبله، وفيها معنى الاستعظام كما في قول امرئ القيس إذ
 ينوه بالحديث الذي كان يدار، وبما له من شأن وأثر عظيم في النفوس على ما به من
 إيجاز وقصر. والشاهد فيه: «ما» وما فيها من معنى التعظيم، وهي نظير ﴿مَا﴾ في الآية
 الكريمة، وما بها من تعظيم على سبيل الهزء.

دخول إذا على المضارع : قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾⁶.

قال الزمخشري: «﴿إِذَا﴾ يدخل على المضارع، كما يدخل على الماضي قال الله تعالى:
 ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَىٰ﴾⁷ ومن ﴿يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾⁸. وهذا يعني أن «إِذَا» الظرفية تدخل على الماضي

¹ البيت من الطويل للنابغة الجعدي في ديوانه. تح واضح الصمد. دار صادر. ط. 1. بيروت. 1998. ص 128.

² - الكشاف ج 3. ص 377

³ - سورة ص الآية 11.

⁴ - البيت من البسيط لامرئ القيس في ديوانه ص 444.

⁵ - الكشاف ج 4 ص 71

⁶ - الشورى من الآية 29.

⁷ - الليل الآية 01.

⁸ - الكشاف ج 4 ص 201.

والمضارع إلا أن مع المضارع أقل من وجودها مع الماضي، وهذا ما عبر عنه صاحب الجنى الداني بقوله: «وكثر مجيء الماضي بعدها [أي بعد إذا] مراداً به الاستقبال»¹. وقد استشهد الزمخشري على دخول إذا على المضارع بقول الشاعر:

وَإِذَا مَا أَشَاءُ أَبْعَثُ مِنْهَا آخَرَ اللَّيْلِ نَاشِطًا مَذْعُورًا²

يصف ناقته بالنشاط والسرعة بعد سيرها النهار كله، حيث شبهها في انبعاثها مسرعة بثور وحشي قد دعر من صائد أو سبع. والشاهد فيه: دخول إذا على الفعل المضارع فكان نصاً على الاستقبال.

النفي بان : قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِيهَا﴾³

قال الزمخشري «**إِنْ**» نافية. أي فيما ما مكناكم فيه إلا أنّ «**إِنْ**» أحسن في اللفظ لما في مجامعة «ما» مثلها من التكرير المستبشع ومثله مجتنب. ألا ترى أن الأصل في «مهما»: ماما؛ فلبشاعة التكرير قلبوا الألف هاء، ولقد أغتأ أبو الطيب في قوله :

لعمرك ماما بان منك لضارب [يأقتل مما بان منك لعائب]⁴

وما ضره لو اقتدى بعذوبة لفظ التنزيل فقال: لعمرك ما إن بان منك لضارب. وقد جعلت إن صلة، مثلها فيما أنشده الأخفش:

يُرْجِي الْمَرءُ مَا إِنْ لَا يَرَاهُ وَتَعْرِضُ دُونَ أَدْنَاهُ الْخَطُوبُ⁵

يفهم من هذا أن «**إِنْ**» نافية في قوله تعالى: ﴿إِنْ مَكَنَّاكُمْ﴾ بمعنى ما مكناكم، إلا أنه عدل عن لفظ ما تجنباً لاجتماع المثليين لفظاً: ما الموصولة، وما النافية الأمر الذي عابه

¹ - الجنى الداني 367.

² - البيت من الخفيف لكعب بن زهير في ديوانه. صنعة الإمام أبي سعيد السكري. تح. د. مفيد قميحة. دار الشواف للطباعة والنشر. ط. 1. السعودية. 1989 ص 68.

³ - الأحقاف من الآية 26.

⁴ - البيت من الطويل لأبي الطيب المتنبّي في الدر المصون ج 9. ص 696

⁵ - البيت من الوافر لجابر بن رالان الطائي في الدر المصون ج 9. ص 696

⁶ - الكشاف ج 4 ص 268-269

الزمخشري على أبي الطيب المتنبي حين كرر «ما»، وإن اختلفا في المعنى في قوله: لعمرك ماما بان منك لضارب، وكان الأجدر به أن يقتدي بالقرآن الكريم فيقول: لعمرك ما إن بان منك لضارب. وذكر الزمخشري بعد هذا وجهاً آخر للآية وهو جعل «إن» زائدة في صلة ما الموصولة تشبيهاً لها بما النافية، فهي في الآية، كما هي في قول الشاعر:

يُرَجِّي الْمَرءُ مَا إِنْ لَا يَرَاهُ وَتَعْرِضُ دُونَ أَدْنَاهُ الْخَطُوبُ

والشاهد فيه: مجيء «إن» زائدة بعدها ما الموصولة حملاً على ما النافية.

من معاني عن : قال الله تعالى: ﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾¹.

ذكر الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية الكريمة أن حرف الجرّ «عن» في الآية هو مثل «عن» في قول الشاعر:

يَنْهَوْنَ عَنِ أَكْلِ وَعَنِ شُرْبِ [مثل المها يرتعن في خصب]²

يصف قوماً بأن سمنهم المتناهي صادر عن الأكل والشرب، وقد شبههم بالمها اللاتي يرتعن في الكلاء. والشاهد فيه: سمنهم المتناهي بسبب وفرة الأكل والشرب، حيث «عن» أفادت التعليل.

تقديم الخبر جوازا : قال الله تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾³

قال الزمخشري: «وقرئ «خشع أبصارهم» على الابتداء والخبر... كقوله :

[إن الذي كنت أرجو خضل نائلة] وجدته حاضراً الجود والكرم⁴»⁵

¹ - الذاريات الآية 09.

² - البيت من السريع بلا نسبة في الكشاف ج4. ص342

³ - القمر من الآية 07.

⁴ - البيت من الطويل للأخطل في. الكشاف ج4. ص371

⁵ - الكشاف ج4 ص371

يقول: إن الذي كنت أرجو بقية عطائه، أو زيادة عطائه، وجدته مصاحباً للجود والكرم والشاهد فيه: الجملة الاسمية المكونة من الخبر المقدم حاضراً، والمبتدأ الجود والكرم وهونظير قراءة من رفع ﴿خُشَعًا﴾.

العطف بالحرف وأغراضه :

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (18) فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ (19) ثُمَّ قَاتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ (20) ثُمَّ نَظَرَ (21)

ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (22) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾¹.

قال الزمخشري: «﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ عطف على ﴿فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ والدعاء اعتراض بينهما: فإن قلت : ما معنى ثم الداخلة في تكرير الدعاء؟ قلت:الدلالة على أن الكرة الثانية أبلغ من الأولى»². يبدو أنه قد عطف في هذه الآيات بحروف عطف مختلفة، ولكل منها غرض «أمّا ما عطف بـ ثمّ، فلأن بين الأفعال مهلة، وثانياً لأن بين النظر والعبوس، وبين العبوس والإدبار تراخياً»³. أما ثمّ الداخلة على تكرير الدعاء ﴿فَقَتَلَ﴾ فإنّه للدلالة على أن الكرة الثانية أبلغ من الأولى، ونحو هذا قول الشاعر :

[أَلَا يَا اسْلَمِي ثُمَّ اسْلَمِي نُمَّتْ اسْلَمِي] ثلاثُ تحياتٍ وإن لم تكلمي⁴

حيث كرر جملة الأمر الدعائية ثلاث مرات توكيدا للأولى، وللدلالة على أن كل كرة أبلغ من سابقتها.

1-1

لمنثر الآيات ، 18، 19، 20، 21، 22.

2- الكشاف ج 4، ص 554.

3- الدرّ المصون ج 10، ص 544.

4- البيت من الطويل بلا نسبة في الكشاف ج 4، ص 554

الفصل السادس: شواهد المستوى الدلالي المعجمي

- هذه مجموعة الألفاظ المتعلقة بشواهد هذا المستوى:

الدين	يقيمون	يخدعون
صيّب	الند	الجنة
خالدون	البعوض	الفاسق
لا فارض	عوان	فالق
مريم	حنيفا	شطر
ينعق	تفتتموهم	أحصرتم
الميسر	عرضة	تعضلوهن
يطعم	السنة	تغمضوا
الإلحاف	الحصور	الحواري
بكة	صر	همت
يكتبهم	الأجر والجزاء	نداولها
النزل	قنطار	طولا
الجنب	قليلا	مقيتا
مراغما	المعلقة	العقود
من أجل	يلبس	آسى
عفوا	هدنا	انبجست
الانفال	الإلّ	بعدت
أجمع الأمر	ببدنك	أحكمت
تجهلون	البخس	الغيابة

همّ بالأمر	شغفها	متكأ
أكبرنه	حصص	المحال
تهوي	الأصفاذ	بقطع
عضين	تخوف	تجارون
سكرا	حفدة	ولا تقف
تبيعا	تقرضهم	الوصيد
مصرفا	إمرا	حنانا
سرياً	أثاثا	وردا
هوى	عجل	لبوس
غمرتهم	الفحشاء	الأيامى
غراما	آثاما	ريع
الأعجمين	يعقب	شيعا
جذوة	ردءا	عضدك
يرجو	ختار	جلابيهن
كالجواب	جدد	يصطرخون
خامدون	يدعون	زجرة
مناص	عزني	فتناه
الصافنات	الأصفاذ	يكور
خوله	زمرأ	الأعلام
مقرنين	ومن يعش	رهما
من ورائهم	أوزارها	أسن

أشراطها	لحن القول	أن تطوؤهم
امتحان	الراشدون	قوم
إثم	توسوس	نقبوا
الحبك	يهجعون	النجم
تدلى	قاب قوسين	تمارونه
اللمم	مهطعين	سعر
سحر	سقر	نحاس
الدهان	أفنان	ثلة
موضونة	لينة	شخّ
زعم	نميم	زنيّم
حرد	عزين	السماء
ناشئة	لواحة	قمطيرا
زمهريرا	فرجت	صفر
الساهرة	أبًا	انكدرت
عسعس	ثوب	وسق
ضريع	ودعك	لنسفا
ضبجا	نقعا	همزة لمزة
مؤصدة	سجبل	كوثر
وتب	مسد	

لقد حرص الزمخشري على تفسير الكثير من ألفاظ القرآن الكريم، وبخاصة الغريب منها، والتي يتوقف المعنى العام للآية على فهمها، فكان منهجه في ذلك إيراد دلالة الكلمة، أو دلالاتها، ثم يتبعها بما يعزز هذا المعنى، أو ذاك، ويشهد على صحة استعماله وبالمعنى نفسه بأبيات من شعر عصر الاحتجاج معطيا الأولوية للشعر الجاهلي، لأنه ليس من المنطق أن نفسر ونشرح ألفاظا قرآنية بشعر قيل بعد نزول القرآن الكريم. وهي كالاتي:

الدين: قال تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾¹.

الدين: من الكلمات التي حاول الزمخشري أن يكشف عن دلالاتها، وتقرير معناها عن طريق الشعر العربي الفصيح، وكان له ذلك في بيت الحماسة:

وَلَمْ يَيْقَ سِوَى الْعُدْوَا نِ دِنَاهُمْ كَمَا دَانُوا²

حيث يذكر الشاعر شهل بن سبيان: أن قومه قد جازوا أعداءهم بمثل فعلهم. والشاهد فيه قوله: «دناهم كما دانوا» إذ من المتواتر عن العرب استعمالها في الجزاء، وبذلك يكون المفسر قد وظف هذا الشاهد اللغوي أحسن توظيف؛ ليثبت من خلاله أن يوم الدين هو يوم الجزاء المستوحى من قولهم: كما تدين تدان. ومنه فقوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أي: ملك يوم الجزاء.

يُقِيمُونَ: قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾³.

قال الزمخشري: «ومعنى إقامة الصلاة تعديل أركانها، وحفظها أن يقع زيغ في فرائضها وسننها وآدابها؛ من أقام العود إذا قومه، أو الدوام عليها والمحافظة عليها»⁴. وهذا المعنى الذي أعطاه المفسر لإقامة الصلاة، هو المعنى الذي استلهمه من كلام العرب الفصيح

¹ - الفاتحة الآية 04

² - البيت من الهزج لشهل بن سبيان بن ربيعة في خزنة الأدب ج 3 ص 431.

³ - البقرة من الآية 03

⁴ - الكشف ج 1 ص 53.

في قول الشاعر:

أقامت غزالةً سوقَ الضَّرَبِ لأهل العِراقين حولا قميطاً¹

يشيد الشاعر بمجاهدة غزالة، والتزامها بمحاربة قاتل زوجها الحجاج الذي ظلت تحاربه سنة كاملة. والشاهد في هذا البيت ما دلت عليه أقامت من التزم ومجاهدة ومداومة، وهو المعنى نفسه الذي أعطاه المفسر لقوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾، واستدل على صحته.

يَخْدَعُونَ:

قال تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾²

لقد حاول المفسر أن يكشف عن الدلالة اللغوية لفعل المخادعة والخدع فقال: «والخدع أن يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه... فإن قلت كيف ذلك ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح؛ لأن العالم الذي لا تخفى عليه خافية لا يخدع، والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا يخدع، والمؤمنون وإن جاز أن يُخدعوا، لم يجز أن يخدعوا»³. قال الشاعر:

واستمطروا من قريشٍ كلَّ مُنْخَدِعٍ [إن الكريم إذا خادعته انخدع]⁴

أي طلب هؤلاء القوم من كل منخدع⁵ من قريش المطر. أي: أن يطلب لهم المطر. والشاهد فيه: أن الكريم إذا خادعته رضي بالخداع، ولكنه ينخدع ولا يخدع، وكذلك المؤمن لا يخدع، وإن جاز أن يخدع. وقال نو الرمة:

[تلك الفتاة التي علقتها عرضاً] إن الحليمَ وذا الإسلامِ يُخْتَلَبُ⁶

¹ البيت من المتقارب لأيمن بن خزيم في ديوانه. صنعة وتحقيق. الطيب العشاش. الواهب للطباعة والنشر. ط1. بيروت 1999 ص52. وغزالة هذه امرأة من نساء الخوارج المعدودات كانت زوجة لشيب الخارجي وقد حارب الحجاج زوجها وقتله فأعلنت الحرب عليه، وظلت تحارب سنة كاملة بلا هوادة.

² البقرة الآية 09

³ الكشاف ج1، ص68-69.

⁴ البيت من البسيط لفرزدق في لسان العرب، وتاج العروس (مطر)

⁵ المنخدع: المغلوب لكرمه

⁶ البيت من البسيط لذي الرمة في ديوانه. تح مجيد طراد. ص27.

يتحدث الشاعر عن فتاة اعترضه حبها من غير قصد ولا شعور. فانخدع بها. فالعاقل المسلم كثيرا ما ينخدع. والشاهد أن الشاعر لم يخدع أحدا، وإنما انخدع فلا ضير في ذلك. ولسان الحال يقول الانخداع مقبول والخداع قبيح ومذموم. لكن لفظ الخداع، وغيره من الألفاظ كالمكر والكيد ليست دوما قبيحة ومذمومة حتى ننفي نسبتها إلى المؤمنين وبالأحرى إلى الله سبحانه وتعالى: «فالحق خلاف هذا الظن¹، وأنها منقسمة إلى محمود ومذموم، فما كان منها متضمنا للكذب والظلم فهو مذموم، وما كان منها بحق وعدل ومجازاة على القبيح، فهو حسن محمود، فإن المخادع إذا خادع بباطل وظلم حسن من المجازي له أن يخدعه بحق وعدل»². وخلاصة القول أنه لا يجوز ذم فعل الخداع على الإطلاق، كما لا يجوز مدحه على الإطلاق «فالله سبحانه وتعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع والاستهزاء على جهة الإطلاق... وإنما وصف الله نفسه بهذه الصفات على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق، وقد علم أن المجازاة على ذلك حسنة من المخلوق فكيف من الخالق سبحانه وتعالى»³.

صَيِّب: قال تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾⁴.

قال الزمخشري: «الصَّيْبُ المطر الذي يُصَوَّبُ أي ينزل ويقع، ويقال للسحاب صَيِّب أيضا»⁵. هذا ما يفهم من قول الشماخ:

..... وأسحَمَ دَانَ صَادِقِ الرَّعْدِ صَيِّبٍ⁶

يصف الشماخ سحاباً بأنه أسود قريب من الأرض؛ لنقله صادق يأتي بالمطر الغزير. والشاهد فيه: «صَيِّب» بما لها من معنى وارتباط بقوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ ويضيف

¹ - يعتقد المعتزلة أن لفظ الخداع لما غلب استعماله في الذم أن ذلك هو حقيقته دوما.

² - المسائل الاعتزالية ص 188-189.

³ - المرجع نفسه ص 189.

⁴ - البقرة من الآية 19

⁵ - الكشاف ج 1، ص 91.

⁶ - البيت من الطويل للشماخ في ملحق ديوانه. تح. صلاح الدين الهادي. ص 432.

المفسر «وتتكبير صيَّب؛ لأنه أريد نوع من المطر شديد هائل»¹. وقال أيضا: «فإن قلت: قوله: ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ ما الفائدة في ذكره، والصيب لا يكون إلا من السماء؟ قلت: الفائدة فيه أنه جاء بالسماء معرفة، فنفي أن يتصوب من سماء أي: من أفق واحد بين سائر الآفاق؛ لأن كل أفق من آفاقها سماء، كما أن كل طبقة من الطباق سماء في قوله: ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾²». ³ والشاهد على ذلك قول الشاعر:

[فَأَوْهٍ لَذَكَرَاهَا إِذَا مَا ذَكَرْتَهَا] ومن بُعِدِ أَرْضٍ بَيْنَنَا وَسَمَاءٍ⁴

فالشاعر يتأوه مما يحسه من آلام؛ لفرط تعلقه بمن يحب وشدة بعدها عنه، فكم بينه وبينها من أرض وسماء. والشاهد فيه: تعدد السماء بتعدد المواقع على الأرض التي تظلمها. وما يستخلص من قول الزمخشري، والشاهد الذي ساقه أن تعريف السماء دلّ على شمول سائر الآفاق باعتبار كل أفق سماء، وبالتالي التصوّب حاصل من كل الآفاق، وأن تتكبيره دلّ على تعدد السماء بتعدد المواقع على الأرض، وهي لمسة قد وُفق فيها المفسر وأجاد إلا أن قوله: «أن السحاب من السماء ينحدر ومنها يأخذ ماءه، لا كزعم من يزعم أنه يأخذه من البحر»⁵. يبدو لي أنه لم يكن موفقا؛ لأن نزوله من السماء لا يناقض أخذه من البحر.

الند: في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُندَادًا﴾⁶

قال الزمخشري: «والند المثل ولا يقال إلا للمثل المخالف المناوئ»⁷. والدليل على صحة

هذا المعنى قول جرير:

¹ - الكشاف ج1، ص91.

² - فصلت من الآية 12

³ - الكشاف ج1، ص91.

⁴ - البيت من الطويل بلا نسبة في الخصائص لابن جني ج2 ص89.

⁵ - الكشاف ج1، ص91.

⁶ - البقرة من الآية 22

⁷ - الكشاف ج1، ص102

أَتَيْمًا يَجْعَلُونَ إِلِيَّ نِدًّا وَمَا تَيْمٌ لِذِي حَسَبٍ نَدِيدًا¹

البيت من قصيدة طويلة يهجو فيها التيم، حيث ينكر على من يجعل تيمًا ندا له؛ لأنهم ببساطة دونه حسبًا. والشاهد فيه: استعمال الند بمعنى المثل المناوئ، وهو ما أراد المفسر إقراره. وبعد أن استوفى الحديث عن المعنى اللغوي لكلمة الند، أشار إلى الغرض من جمعه في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ فأبان عن ذلك بقوله: «وكما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم، واستنقطع شأنهم؛ بأن جعلوا أندادا كثيرة لمن لا يصح أن يكون له ند قط»². وفي الغرض نفسه قال زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه:

أَرَبًا وَاحِدًا أَمْ أَلْفَ رَبِّ أَدِينُ إِذَا تَقَسَّمَتِ الْأُمُورُ؟³

إذ يقول الشاعر: متهما أأعبد ربا واحدا أم أربابا متعددين إذا توزع الناس على الديانات الكل يبحث عن حقائقها؟ والشاهد فيه: إنكار تعدد الآلهة.

الجنة: قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾⁴

ذكر الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية الكريمة: «والجنة: البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه»⁵. والشاهد على صحة استعمال هذا المعنى قول زهير:

[كَأَنَّ عَيْنِي فِي غَرَبِي مُقْتَلَةٌ مِنْ النَّوَاضِحِ] تَسْقِي جَنَّةً سُحُوقًا⁶

وقد عبر عن شدة ما ينسكب من عينيه من دموع، حين تشبه عينيه من شدة البكاء وكثرة الدموع بعينين في دلوين عظيمتين ممتلئتين ماء، تحملهما ناقة من الإبل النواضح،

¹ - البيت من الوافر لجرير في ديوانه ص 164

² - الكشف ج 1 ص 102

³ - البيت من الوافر لزيد بن عمرو بن نفيل في الكشف ج 1 ص 102

⁴ - البقرة، من الآية 25.

⁵ - الكشف، للزمخشري، ج 1، ص 112.

⁶ - البيت من البسيط لزهير بن أبي سلمى، في ديوانه ص 73، ولسان العرب (سحق).

تسقي تلك الناقة جنة سحقا، أي: نخلا طويلا. والشاهد فيه: دلالة كلمة «الجنة» كما وردت في الآية الكريمة السابقة الذكر.

خالدون: في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾¹

قال الزمخشري: «الخد: الثبات الدائم، والبقاء اللازم الذي لا ينقطع»². وهذه الدلالة نفسها يشهد على صحتها قول امرئ القيس:

ألا أنعم أيها الطلل البالي وهل يُنعمن من كان في العُصُر الخالي
 وهل ينعمن إلا سعيدٌ مخدًّا قليل الهموم ما يبيت بأوجال³
 إذ يخاطب امرؤ القيس الأطلال، ويأسى لما نالها من البلى، ويذكر أن النعيم لا يكون إلا لسعيد مخد قليل الهموم والمخاوف والأوجال. والشاهد فيه: دلالة «مخد» التي وردت بالدلالة نفسها التي أشار إليها الزمخشري، وهو بيت القصيد.

البعوض: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾⁴

قال الزمخشري: «واشتقاق البعوض من البعض، وهو القطع كالبضع والعضب. يقال بعوضه البعوض»⁵. وجاء في لسان العرب: «البعوض ضرب من الذباب معروف الواحدة بعوضة قال الجوهري: هو البقّ وقوم مبعوضون، والبعض مصدر بعوضه البعوض يبعوضه بعضا عضه وآذاه، ولا يقال في غير البعوض»⁶. وفي هذا المعنى الذي أشار إليه كل من الزمخشري، وابن منظور أنشد الشاعر:

لنعم البيت بيتُ أبي دثار إذا ما خاف بعضُ القوم بعضاً⁷

¹ - البقرة، من الآية 25.

² - الكشاف، ج 1، ص 116.

³ - البيتان من الطويل لامرئ القيس في ديوانه. مركز زائد للتراث والتاريخ. العين. ط 1 2000 ج 1 ص 299

⁴ - البقرة من الآية 26

⁵ - الكشاف، ج 1 ص 121

⁶ - لسان العرب لابن منظور مادة (بعوض).

⁷ - البيت من الوافر بلا نسبة في لسان العرب مادة (بعوض)

ينوّه الشّاعر بدار أبي دثار لما يعمّها من هدوء وراحة، في حين يتعرّض غيرها إلى ما يبعثهم وبقلقهم. والشّاهد فيه: لفظة «بعضا» الواردة في البيت بمعنى عضا.

الفاسق: قال تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾¹.

قال الزمخشري: «والفسق الخروج عن القصد... والفاسق في الشريعة الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة، وهو النازل بين المنزلتين، أي بين منزلة المؤمن والكافر»². وقد أورد من الشّعر ما هو شاهد على صحّة هذا المعنى للفظ «الفاسق». إذ يقول رؤبة:

فواسقًا عن قصدِها جوائرا [يذهبن في نجدٍ وغورًا غائرًا]³

يصف نوقا تمشي في المفاوز خارجات عن القصد منحرفات عن الجادة. ففي البيت ما يدلّ على معنى الفسق الذي أشار إليه الزمخشري، إلّا أنّ تحديده معنى الفاسق شريعة لا يمكن لنا أن نجاريه في ذلك؛ باعتبار أنّ هذه المنزلة بين المنزلتين وهمية لا وجود لها في الحقيقة، فالفاسق ليس بكافر فعلا، أمّا قولهم ليس بمؤمن، فالقول الصواب أنّه مؤمن ناقص الإيمان بقدر ما ارتكب من معصية.

لا فارض: في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ﴾⁴.

ذكر الزمخشري عند تفسيره لهذه الآية دلالة كلمة «فَارِضٌ» فقال: «والفارض المسنة. وقد فرضت فروضا فهي فارض... وكأنّها سمّيت فارضا؛ لأنّها فرضت سنّها، أي: قطعنها وبلغت آخرها»⁵. وجاء في لسان العرب: «وقال الفراء: الفارض الهمة والبكر الشابة، وقد

¹ - البقرة، من الآية 26.

² - الكشف، ج 1، ص 124.

³ - البيت من الرجز لرؤبة في ملحق ديوانه ص 190 وللعجاج في ملحق ديوانه ج2 ص 288 والكتاب 1/ 94 وبلا

نسبة في شرح شذور الذهب ص 322.

⁴ - البقرة، من الآية 68.

⁵ - الكشف، ج 1 ص 151

فرضت البقرة تفرض فروضا، أي: كبرت وطعنت في السن¹. وقد استشهدا على صحّة هذا المعنى بقول الشاعر:

لعمري لقد أعطيت ضيفك فارضا تُساقُ إليه ما تقومُ على رِجلٍ²
يهجو مخاطبه وينعته بالبخل، وقد أعطى ضيفه بقرة هرمة مسنّة، وهو ما يشدّ من أزر
الشّارحين ويثبت صحّة ما ذهبوا إليه إلا أنّ صاحب كتاب المفردات يرى أنّها «سمّي
فارضا؛ لكونه فارضا للأرض، أي: قاطعا أو فارضا لما يحمّل من الأعمال الشاقّة»³.
عوان: في قوله تعالى: ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾⁴.

ذكر الزّمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية مدلول كلمة ﴿عَوَانٌ﴾ فقال: «والعوان
النّصف»⁵. وجاء في لسان العرب العوان: «النّصفُ في سنّها... والعوان النّصف التي بين
الفارض وهي المسنّة، وبين البكر وهي الصّغيرة»⁶. وقد استشهد على ذلك بقول الشاعر:
[حَصَانٌ مَوَاضِعِ الثُّقْبِ الْأَعَالِي] نواعمُ بين أبكار وعُونٍ⁷
يصف الشاعر من يمدحهنّ بأنهنّ بين الأبيكار من الحسان الشّابات، ومن جاوزن سنّ
الشّباب. والشّاهد: ما تدلّ عليه كلمة عُون التي هي جمع عَوَان من النّصف. ففي البيت
المدحوحات عُون بين الأبيكار ومن جاوزن سنّ الشّباب، وفي الآية الكريمة عَوَان أي لا
فارض ولا بكر.

فاقع: في قوله تعالى: ﴿صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاطِرِينَ﴾⁸

ذكر الزّمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية أنّ «الفقوع أشدّ ما يكون من الصّفرة

¹ - لسان العرب، مادة (فرض).

² - البيت من الطّويل لخفاف بن ندبة في لسان العرب (فرض) والدرّ المصون، ج 1، ص 420.

³ - كتاب المفردات، للراغب الأصفهاني. مكتبة نزار مصطفى الباز. دط. دت. ج 1 ص 487.

⁴ - البقرة، من الآية 68.

⁵ - الكشاف، ج 1، ص 150

⁶ - كتاب المفردات، ج 1 ص 248.

⁷ - البيت من الوافر، للطرماح. في اللسان مادة (عون)

⁸ - البقرة، من الآية 69.

وأنصعه... وعن وهب¹: إذا نظرت إليها خيل إليك أنّ شعاع الشمس يخرج من جلده... وعن الحسن البصري: صفراء فاقع لونها، سوداء شديدة السواد، ولعلّه مستعار من صفة الإبل؛ لأنّ سوادها تعلوه صفرة². وجاء في لسان العرب: «الفاعع الخالص الصفرة الناصعها... وقيل الفاعع الخالص الصّافي من الألوان أي لون كان (عن الليحاني).»³. والشاهد على صحّة هذا المعنى قول الأعشى:

تلك خيلي منه وتلك ركابي هنّ صفر أولادها كالزّيب⁴

إذ يصف خيله وركابه من الإبل بالصفرة، ويجعل أولادها يغلب عليها السواد كالزّيب حيث المراد بالصفرة سواد ترهقه صفرة؛ لأنّ هذا يعتبر أعزّ ألوان الإبل. وموضع الشاهد فيه: استخدام الصفرة في المائل إلى السواد، وهو اللون نفسه المطلوب في الآية الكريمة.

مريم: قال تعالى: ﴿وَأْتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾⁵.

ذكر الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية أنّ ﴿مَرْيَمَ﴾ بمعنى الخادم، وقيل: المريم بالعربية من النساء كالزير من الرجال⁶. واستشهد على صحّة اعتبار المريم من النساء كالزير من الرجال، بما فسر به قول رؤبة:

قلت لزيرٍ لم تصله مريمه [ضليل أهواء الصبا يندمه]⁷

يعاتب زير نساء وهو من يكثر مودة النساء وزيارتهنّ لم تصله مريمه، وهي من النساء من تكثر مودة الرجال وزيارتهم. والشاهد فيه: كما أشار إلى ذلك الزمخشري أنّ مريمه بمعنى زيره من النساء، ويقابلها الزير من الرجال.

¹ - وهب: هو وهب بن منية الذي أسلم من يهوديته، وكان له علمه وثقافته وأثره في إدخال كثير من معارفه إلى الحياة الإسلامية (هامش الكشاف، ج 1، ص 152).

² - الكشاف، ج 1، ص 152.

³ - لسان العرب، مادة (فقع).

⁴ - البيت من الخفيف للأعشى في ديوانه ص 335.

⁵ - البقرة، من الآية 87.

⁶ - الكشاف، ج 1، ص 162.

⁷ - الرجز، لرؤبة بن العجاج، في ديوانه. تح. وليم بن الورد ص 149

حنيفاً: قال تعالى: ﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾¹

ذكر الزمخشري في تفسيره لهذه الآية مدلول كلمة ﴿حَنِيفًا﴾ قال: «والحنيف المائل عن كلِّ دين باطل إلى دين الحقّ، والحنف الميل في القدمين وتحنّف إذا مال»². وجاء في لسان العرب «الحنيف: المسلم الذي يتحنّف عن الأديان أي يميل إلى الحقّ. وقيل كلٌّ من أسلم لأمر الله تعالى، ولم يلتو فهو حنيف»³. واستشهد على صحّة هذا المعنى بقول الشاعر:

ولكنّا خُلِقْنَا إذْ خُلِقْنَا حنيفاً ديننا عن كلِّ دين⁴

فالشاعر يباهي غيره بأنّ قومه نشأوا على دين الحقّ منذ نعمة أظافرهم، دين لا انحراف فيه، ولا ميل عنه. والشاهد فيه: كلمة حنيفاً، وما تدلّ عليه من اعتدال وعدم ميل أو انحراف. وهو ما يريد الزمخشري إثباته بالنسبة لـ ﴿حَنِيفًا﴾ في الآية الكريمة.

شطر: في قوله تعالى: ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾⁵

ذكر الزمخشري في تفسيره لهذه الآية مدلول ووظيفة قوله تعالى: ﴿شَطْرَ﴾ قال: «﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ نحوه... نصب على الظرف، أي: اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد أي في جهته وسمته؛ لأنّ استقبال عين القبلة فيه حرج عظيم على البعيد، وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على أنّ الواجب مراعاة الجهة دون العين»⁶. ويقول الشاعر مؤكّداً هذا المعنى:

وأظعن بالقوم شطر الملوك [حتى إذا خفق المجدح]⁷

¹ - البقرة، الآية 135.

² - الكشاف، ج 1، ص 192.

³ - لسان العرب، مادة (حنف).

⁴ - البيت من الوافر لقيس بن الأسلت، في المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، علي جواد، الناشر دار الباقي ط 4 ص 1422.

⁵ - البقرة، الآية 144.

⁶ - الكشاف، ج 1، ص 199.

⁷ - البيت من المتقارب لدرهم بن زيد الأنصاري، في لسان العرب، مادة (جدح) وأساس البلاغة، ج 1، ص 605.

أي: «أقصد بالقوم ناحيتهم، لأنّ الملوك تُحِبُّ وفادته إِيَّهم. والشَّاهد فيه: استخدام شطر بمعنى نحو.

يُنْعِقُ: قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾¹.

ذكر الزمخشري أنّ مدلول النّعيق في هذه الآية هو: «التصويت، يقال نعق المؤذن ونعق الرّاعي بالضّان»². مستشهدا على ذلك بقول الأخطل:

فانعق بضأنك يا جرير، فإنّما مَنَّتْكَ نَفْسُكَ فِي الْخَلَاءِ ضَلَالًا³

مخاطبا جريرا: من الأفضل لك أن تشتغل بضأنك ترعاها، فتنعق بها، وتصيح فيها بدلا من مناقضتي ومهاجاتي، فأنت دون ذلك. والشَّاهد في البيت: استخدام نعق في المعنى الذي أشار إليه الزمخشري، وهذا ممّا يثبت صحّة ما ذهب إليه.

تَقَفْتُمُوهُمْ: قال تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقَفْتُمُوهُمْ﴾⁴.

بين الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية أن مدلول قوله تعالى: ﴿تَقَفْتُمُوهُمْ﴾ حيث وجدتموهم في حل أو حرم، والثقف، وجود على وجه الأخذ والغلبة ومنه: رجل تَقَفَّ سريع الأخذ لأقرانه»⁵. والدليل على استخدام هذا اللفظ وبالمعنى المتضمن معنى الغلبة قول الشاعر:

فإِذَا تَتَقَفُّونِي فَاقْتُلُونِي فَمَنْ أَتَقَفَّ فَلَيْسَ إِلَى خُلُودٍ⁶

إن تدركوني وتغلبوني فاقتلوني، فإنني لم أبق على أحد منكم وقع في يدي. والشاهد فيه: استخدام الشاعر الفعل تقف بالدلالة التي أشار إليها الزمخشري في تفسيره لهذه

¹ - البقرة، من الآية 171.

² - الكشاف، ج 1، ص 210.

³ - البيت من الكامل، للأخطل، في ديوانه، تح مهدي محمد. دار الكتب العلمية. ط2 بيروت. 1994. ص 250.

⁴ - البقرة من الآية، 191.

⁵ - الكشاف، ج1، ص 228.

⁶ - البيت من الطويل بلا نسبة في الدر المصون ج1 ص480

الآية. وأصل الثقف الحذق في إدراك الشيء علما كان أو عملا، فهو يتضمن معنى الغلبة؛ ولذلك استعمل في هذا السياق.

أُحْصِرْتُمْ: قال تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾¹.

ذكر الزمخشري في تفسيره لهذه الآية أنه «يقال: أحصر فلان إذا منعه»². أهو من خوف أو مرض أو عجز قال الله تعالى ﴿الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾³. وهذا ما يؤكد ابن ميادة في قوله:

وما هَجْرٌ ليلي أن تكون تباعدت عليك ولا أن أحصرتك شغول⁴

أي: ليس هجر الأخيلية محبوبته لتباعدها عنه، أو لأشغال منعه عنها؛ وإنما لإيذائه واحتراق قلبه. والشاهد فيه: استخدام فعل الإحصار بالدلالة الأولى التي تمت الإشارة إليها. وقد ذكر الزمخشري شروحا أخرى لمدلول الحصر إذ يقول: «وَحَصِرَ إِذَا حَبَسَهُ عَدُوٌّ عَنِ الْمَضِيِّ، أَوْ سُجِنَ وَمِنْهُ قِيلَ لِلْمَحْبَسِ: الْحَصِيرُ وَاللَّمْلَكُ الْحَصِيرُ؛ لِأَنَّهُ مَحْجُوبٌ هَذَا هُوَ الْأَكْثَرُ فِي كَلَامِهِمْ، وَهُمَا: (الْحَصْرُ وَالْمَحْبَسُ) بِمَعْنَى الْمَنْعِ فِي كُلِّ شَيْءٍ»⁵.

الميسر: قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾⁶

ذكر الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية الكريمة مدلول الميسر وذكر صفاته فقال: «والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما يقال: يسرته إذا قمرته واشتقاقه من اليسر؛ لأنه أخذ مال الرجل ببسر وسهولة من غير كد ولا تعب، أو من

¹ - البقرة من الآية 196.

² - الكشاف، ج1، ص 232.

³ - البقرة من الآية 273

⁴ - البيت من الطويل لابن ميادة في ديوانه، ص 187.

⁵ - الكشاف، ج1، ص 232.

⁶ - البقرة من الآية، 219.

اليسار؛ لأنه سلب يساره»¹. والشاهد على استخدام الفعل يسر بالمعنى المشار إليه في شرح الآية قول الشاعر:

أقول لهم بالشَّعبِ إذ يبيسُرُونِي ألم تياسوا أني ابن فارس زهدم²

وقد قال سحيم اليربوعي ذلك حين وقع عليه سباء، وقد جرت العادة عند العرب أنهم ييسرون على الأسرى وتضرب عليهم السهام، أي يفعل به ما يفعل الياسرون. فالشاهد في البيت قوله: ييسرونني من الميسر أي يجزئونني ويقتسمونني، والاستفهام للتوبيخ، والحث على اليأس من ذلك. وبعد تحديد مدلول الميسر بما يتوافق ومدلوله في الآية نتساءل عن صفته فقال الزمخشري: «فإن قلت: كيف صفة الميسر؟ قلت: كانت لهم عشرة أقداح وهي: الأزلام، والأقدام، الفذ، والتوأم، والرقيب، والحلس، والنافس، والسبيل، والمعلى، والمنيح، والسفيح، والوغد، لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة أجزاء، وقيل: ثمانية وعشرين إلا ثلاثة وهي: المنيح والسفيح والوغد... للفذ سهم، ولتوأم سهمان، وللرقيب ثلاثة، وللحس أربعة، وللنافس خمسة، وللمسبل ستة، وللمعلى سبعة، يجعلونها في الرّابة وهي خريطة، ويضعونها على يدي عدل، ثم يجلبها، ويدخل يده فيخرج باسم رجلٍ رجلٍ قدحا منها؛ فمن خرج له قدح من ذوات الأنصباء أخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح، ومن خرج له قدر مما لا نصيب له لم يأخذ شيئاً، وغرم ثمن الجزور كله»³. وهي التي خصها الشاعر بالذكر فقال:

لي في الدُّنيا سِهَامٌ لَيْسَ فِيهِنَّ رِيحُ
وَأَسَامِيهِنَّ وَغْدٌ وَسَفِيحٌ وَمَنِيحُ⁴

¹ - الكشاف، ج1، ص 250.

² - البيت من الطويل لسحيم بن وثيل اليربوعي في لسان العرب مادة (يسر) وقيل لإبنه جابر في لسان العرب (زهدم)

³ - الكشاف، ج1، ص 250.

⁴ - البيتان من مجزوء الكامل بلا نسبة في الكشاف ج 1 ص 250

والشاهد في هذين البيتين: ذكر الأسماء الثلاثة للسهام التي لا نصيب لها بل يغرم صاحبها. والكلام من باب التمثيل حيث يشبه الشاعر حاله في الدنيا بحال من خرجت له السهام الخائبة في الميسر، كما يمكن أن يعد كناية عن كرمه حيث يعطي ولا يأخذ.

عرضة: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ﴾¹.

ذكر الزمخشري عند تفسيره لهذه الآية أن «العُرْضَةُ فُعْلَةٌ بمعنى مفعول كالقُبْضَةُ والغُرْفَةُ وهي اسم ما تعرضه دون الشيء من عَرَضَ العودَ على الإناء، فيعترض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه تقول: فلان عرضة دون الخير، والعرضة أيضا المعرَّضُ للأمر»². وتقريراً لهذا المعنى أورد الزمخشري الشاهد الآتي:

[دَعُونِي أَنُحْ وَجِدًّا كَنُوحَ الحَمَائِمِ] ولا تجعلوني عُرْضَةً لِلَّوَائِمِ³

أي: اتركوني أنح لما بي من الوجد وحرقة العشق، مثل نوح الحمائم، ولا تجعلوني معرضاً للوم اللوائِم. والشاهد فيه لفظة: عرضة، وما تدل عليه من التعرض لما لا يجب. ومنه فمعنى الآية «أن الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم، أو إصلاح ذات بين، أو إحسان على أحد، أو عبادة ثم يقول: أخاف الله أن أحنث في يميني، فيترك البر إرادة البرِّ في يمينه فقيل لهم: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ﴾، أي: حاجزاً لما حلفتُم عليه»⁴. وهذا المعنى وفق المعنى الأول للعُرْضَةِ.

تَعْضُلُوهُنَّ: قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾⁵.

بين الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية الكريمة أن «العَضْلُ: الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة إذا نشب بيضها فلم يخرج»¹. ثم أنشد لابن هرمة البيت الآتي كشاهد على استخدام العَضْلُ بمعنى الحبس والتضييق إذ يقول:

¹ - البقرة من الآية 224.

² - الكشاف، ج 1، ص 255.

³ - البيت من الطويل بلا نسبة في الكشاف، ج 1، ص 225، وقيل لأبي تمام ولم أعثر عليه في ديوانه.

⁴ - الكشاف، ج 1، ص 254.

⁵ - البقرة من الآية 232.

وإن قصادي لك فاصطنعي عقائل قد عَضَلْنَ عن النكاح²

أي: إن قصادي لك مثل النساء المخدرات اللواتي منعن من الزواج، وحيل بينهن وبينه فاتخذني لك مادحا، وكافئني على مدحي إياك بما لا أمدح به غيرك من القصائد. والشاهد فيه عضلن بمعنى حبسن، وضيق عليهن.

يطعم: في قوله تعالى ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾³.

ذكر الزمخشري أن قوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْعَمْهُ﴾ «لم يذقه من طعم الشيء إذا ذاقه، ومنه طعم الشيء لمذاقه»⁴. قال العرجي مفتخرا بما له من همة وقوة عزيمة:

[فإن شئت حرمت النساء سواكم] وإن شئت لم أطعم نقاخًا ولا بردا⁵

إذ يقول: إنه شاء أطلق العنان لنفسه، وإن شاء كبح جماحها، فحرمها حتى من الماء العذب. والشاهد فيه: استخدام الفعل لم أطعم بمعنى لم أذق.

السنة: قال تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾⁶.

قال الزمخشري: «والسنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس... أي لا يأخذه وهو تأكيد للقيوم؛ لأن من جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيوما»⁷. واستشهد على ذلك بقول ابن الرقاع العاملي:

وَسَنَانٌ أَفْصَدَهُ النَّعَاسُ فَرْتَقَّتْ فِي عَيْنِهِ سِنَّةٌ وَليْسَ بِنَائِمٌ⁸

يتحدث عن وسنان وقد «سرت في عينيه بوادر النوم، وظهرت آثارها بهما فيما نالهما

¹ - الكشاف ج1 ص 264

² - البيت من الوافر لابن هرمة في الكشاف ج1 ص265

³ - البقرة من الآية، 249.

⁴ - الكشاف ج1 ص 279

⁵ - البيت من الطويل لعبد الله بن عثمان بن عفان في اللسان (برد).

⁶ - البقرة من الآية 255.

⁷ - الكشاف، ج1، ص 284.

⁸ - البيت من الكامل لعدي بن الرماح في الدر المصون ج1 ص541.

من انكسار وفتور، وإن لم يأخذه النوم، ويذهب بوعيه»¹. والشاهد فيه: معنى السنة، كما تمت الإشارة إليه في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾.

تُعْمَضُوا: قال تعالى: ﴿وَلَسْتُمْ بِأَخْذِيهِ إِلَّا أَنْ تُعْمِضُوا فِيهِ﴾².

قال الزمخشري: «إِلَّا أَنْ تُعْمِضُوا فِيهِ» إلا بأن تتسامحوا في أخذه، وتترخصوا فيه من قولك: أغمض فلان عن بعض حقه إذا غض بصره، ويقال للبايع أغمض، أي: لا تستقص، كأنك لا تبصر»³. والشاهد على صحة هذا المعنى قول الطرمّاح الذي أورده الزمخشري بيانا لمدلول الإغماض في الآية الكريمة إذ قال:

لم يفتنا بالوتر قَوْمٌ وللضّيِّ م رجال يَرْضَوْنَ بالإغْمَاضِ⁴

يعبر الطرمّاح عن موقف قومه من الأخذ بالثأر إذ لا يسكتون عن المطالبة به، ولا يتسامحون فيه، وإن كان هناك من يغمضون عما لهم من ثأر عند غيرهم ذلاً ومهانة. والشاهد فيه: لفظة الإغماض، ودلالاتها كما وردت في الآية الكريمة.

الإلحاف: قال تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾⁵.

قال الزمخشري «والإلحاف: الإلحاح، وهو اللزوم وأن لا يفارق إلا بشيء يعطاه، من قولهم لَحَقَنِي من فضل لحافه أي: أعطاني من فضل ما عنده... وقيل: هو نفي للسؤال والإلحاف جميعاً»⁶. فإذا كان الإلحاف هو الإلحاح في السؤال، وعدم مفارقة السائل المسؤول إلا لشيء يعطاه، وهو سلوك يبغضه الله عز وجل، فإن السؤال من باب أولى إذ لا يجوز إلا لذي فقر مدقع، أو لذي غرم مفضع، أو لذي دم موجع. وهذا نظير ما جاء

¹ - هامش الكشف ج1، ص 284 (تحقيق يوسف الحامدي)

² - البقرة الآية 267.

³ - الكشف ج1 ص 294

⁴ - البيت من الخفيف للطرمّاح في ديوانه. عزة حسن. ص 176.

⁵ - البقرة الآية 273.

⁶ - الكشف ج1 ص 297.

في قول امرئ القيس يصف طريقا واسعا ليس به منار، أي ليس به ما يهتدي به، إذ يقول:

على لا حبٍ لا يُهتدى بمناره [إذا سافه العودُ التَّبَاطِي جَزَجْرًا]¹.

والشاهد فيه: نفي المنار والاهتداء به، كنفي السؤال والإلحاح به.

الحصور: قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ

بِخَيْرٍ مُّصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾²

قال الزمخشري: «والحصور الذي لا يقرب النساء حصر نفسه أي: منعا لها من الشهوات، وقيل هو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر»³. وجاء في لسان العرب: الحصور الهيبوب المحجم عن الشيء، والحصور أيضا الذي لا إربة له في النساء وكلاهما من ذلك أي من الإمساك والمنع»⁴. وقد استشهد الزمخشري على ذلك بقول الأخطل:

وشاربٍ مريح بالكأس نادمني لا بالحصور ولا فيها بسئار⁵

يقول: «رب شاربٍ مشترٍ للخمر بالثمن الريح الزائد نادمني بالكأس... ليس حصورا مانعا نفسه من الدخول على القوم في لعب الميسر، ولا سار... أي مبقيا في الكأس سؤرا أي بقية»⁶. والشاهد فيه استعمال كلمة الحصور فيمن يعف عن اللهو، ولا يدخل مع القوم في لعب الميسر، أو الهيبوب المحجم عن الشيء.

¹ - البيت من الطويل لامرئ القيس في ديوانه ص 426.

² - آل عمران الآية 39.

³ - الكشاف، ج1، ص 331.

⁴ - لسان العرب مادة (حصر)

⁵ - البيت من البسيط للأخطل في ديوانه. تح مهدي محمد ناصر الدين. دار الكتب العلمية. ط2 بيروت. 1994 ص 141

⁶ - هامش الكشاف ج1، ص 555 (تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض)

الحواري: قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾¹.

قال الزمخشري: «وحواري الرجل صفوته وخالصته، ومنه قيل للحضرىات: الحوارىات لخلوص ألوانهنّ ونظافتهنّ»². ومنه قول الشاعر:

فَقُلْ لِلْحَوَارِىاتِ يَبْكِينَ غَيْرِنَا وَلَا تَبْكُنَا إِلَّا الْكِلَابُ النَّوَابِحُ³

يقول اليشكرى: قل للنساء الحضرىات يبكين غيرنا، وهذه كناية على أنه ليس من أهل التحضر، ونفى أن يبكيه غير الكلاب التى تصاحبهم للصيد، وتأكل قتلاهم، وهذا دليل آخر على أنه من أهل البادية. والشاهد فيه: استعمال لفظة الحورىات للحضرىات، وذلك للدلالة على خلوص ألوانهن ونظافتهن.

بكة: قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾⁴.

قال الزمخشري فى تأصيل اسم العلم «بكة» والكشف عن مدلولها: «لَلَّذِي بِبَكَّةَ» البيت الذى ببكة، وهى علم للبيت الحرام، ومكة وبكة لغتان فىه نحو قولهم: النبيط والنميظ فى اسم موضع بالدنهاء ونحوه من الاعتقاب⁵: أمر راتب وراتم، وحمى مغمطة ومغمطة⁶. وقيل: مكة البلد، وبكة موضع المسجد، وقيل اشتقاقها من بكّه إذا زحمه لازدحام الناس فيها، وعن قتادة بيكُّ الناس بعضهم بعضا، الرجال والنساء يصلى بعضهم بين يدي بعض، لا يصلح ذلك إلا بمكة، كأنها سميت ببكة، وهى الزحمة... وقيل تبكُّ أعناق الجابرة أى تدفقا»⁷. وما يمكن استخلاصه من هذا كله أن بكة مرادفة لمكة حيث أبدلت

¹ - آل عمران من الآية 52

² - الكشاف، ج1، ص 337.

³ - البيت من الطويل لليشكرى فى الدر المصون. ج3 ص 209

⁴ - آل عمران الآية 96.

⁵ - الاعتقاب: تعاقب الحروف كما فى مكة وبكة

⁶ - فى الصحاح أغمطت عليه الحمى لغة فى أغبطت، أى دامت.

⁷ - الكشاف، ج1 ص 356-357.

ميمها باء وهو ما يعرف بالاعتقاب، أو أن مكة البلد، وبكة موضع المسجد الحرام، أو أنها مشتقة من الفعل بكَّ بمعنى زحم؛ لازدحام الناس فيها حيث البكة هي الزحمة، ويقال تباكَّ الناس أي: ازدحموا. ويستشهد على صحة هذا المعنى الأخير بقول الراجز:

إذا الشريب أخذته الأكَّه فخلَّه حتى ييكَّ بَكَّه¹

إذ يقول: إن الماء اشتد به الزحام، وكثر رواده، وساءت أخلاقهم فاتركه حتى يتفرقوا وهي دعوة إلى مكارم الأخلاق. والشاهد فيه: استخدام الفعل بكَّ بدلالة زحم.

صر: قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ...﴾².

قال الزمخشري: «الصرُّ: الريح الباردة نحو الصرصر»³. وجاء في لسان العرب: ريح صر وصرصر شديدة البرد وقيل شديدة الصوت»⁴. فالريح الصر أو الصرصر بمعنى واحد فهي الشديدة البرد أو الصوت، وما يؤكد ذلك ويشهد على صحة هذا الاستخدام من شعر السليقة العربية قول أحدهم:

لا تعدلن أتاويين تضربهم نكباء صرَّ بأصحاب المحلات⁵

حيث يوازن الشاعر بين أهل المدر والحضر، أي بين من تضرب الرياح الباردة بيوتهم وبين من ينعمون بالاستقرار في المحلات الآهلة. والشاهد فيه: استعمال «صر» وما فيه من بيان للمعنى في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ ونقول ليلي الأخيلية ترثي صاحبها توبة بن الحمير:

ولم يغلب الخصم الألدَّ ويملاّ الـ جفان سديفاً يوم نكباء صرَّصر⁶

إذ تتذكر أحواله وتعد مناقبه. والشاهد فيه استعمال صرصر بمعنى الريح الباردة.

¹ - الرجز لعامان بن كعب في تاج العروس (بكك) وبلا نسبة في لسان العرب (شرب)

² - آل عمران من الآية 117.

³ - الكشف ج1، ص368

⁴ - لسان العرب مادة (صرر)

⁵ - البيت من البسيط بلا نسبة في لسان العرب مادة (حلل)

⁶ - البيت من الطويل لليلي الأخيلية في ديوانها ص 47.

همت: قال تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾¹

يقول صاحب المحرر الوجيز: « همت أرادت ولم تفعل، والفشل في هذا الموضع هو الجبن الذي كاد يلحق بني سلمة وبني حارثة»². ويقول صاحب الدرّ المصون: «والهم العزم، وقيل بل هو دونه، وذلك أن أول ما يمر بقلب الإنسان يسمّى خاطراً، فإذا قوي سمي حديث النفس، فإذا قوي سمي هما، فإذا قوي سمي عزماً، ثم بعده إما قول أو فعل وبعضهم يعبر عن الهم بالإرادة»³. الأمر الذي جعل الزمخشري يعتبر ما حدث للحيين بني سلمة وبني حارثة حين هَمَّا باتباع عبد الله بن أبي رأس المنافقين المنخذل بثلاث الناس عند خروج أصحاب رسول الله ﷺ لملاقاة المشركين في أحد، همّة وحديث نفس ولحظة ضعف إذ يقول: «والظاهر أنها ما كانت إلا همّة وحديث نفس، وكما لا تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع، ثم يردّها صاحبها إلى الثبات والصبر ويوطئها على احتمال المكروه»⁴. وهكذا فما حدث للحيين يحدث لأيّ نفس بشرية تتعرض لبعض المواقف الصعبة، فتضعف وتتخذل، لكن إذا وقف صاحبها متجلدا ردها إلى الثبات والصبر، واحتملت ذلك المكروه، وهو ما عبر عنه الشاعر بقوله:

أقول لها إذا جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريح⁵

إذ يتحدث الشاعر إلى نفسه التي أصابها الهلع من هول القتال، فعمل على تثبيتها داعياً إياها إلى الاستقرار فتحمد، أو تدع الحياة فتستريح لا ثالث لهما. والشاهد فيه: ردّ النفس إلى الصبر والثبات بعد أن جشأت وجاشت. وما ينبغي الإشارة إليه أن ما حدث للشاعر، وحدث به كان له الأثر الإيجابي في حياة الناس حتى الخاصة منهم، فهذا

¹ - آل عمران من الآية 122.

² - المحرر الوجيز ج 1 ص 501.

³ - الدر المصون ج 3 ص 382.

⁴ - الكشف ج 1 ص 374.

⁵ - البيت من الوافر لعمر بن الأظنابة في خزنة الأدب ج 2 ص 428.

معاوية يقول: «عليكم بحفظ الشعر فلقد كدت أضع رجلي في الركاب يوم صفين، فما ثبتت مني إلا قول عمرو بن الإطنابة»¹. إشارة إلى البيت السابق.

يَكْبِتُهُمْ: قال تعالى: ﴿أَوْ يَكْبِتُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾².

قال الزمخشري: «يَكْبِتُهُمْ» أو يخزيهم ويغيضهم بالهزيمة ﴿فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ غير ظافرين بمبتغاهم... ويقال كبته بمعنى كبه إذا ضرب كبه بالغيظ والحرقة»³. ويقول صاحب الدر المصون: «الكبت: الإصابة بمكروه، وقيل هو الصَّرْع للوجه واليدين، وعلى هذين فالتاء أصيلة، وليست بدلا من شيء، بل هي مادة مستقلة وقيل أصله: من كبد إذا أصابه بمكروه أثر في كبه وجعا، كقولك رأسته إذا أصبت رأسه... والعرب تبدل التاء من الدال قالوا: هرت الثوبَ وهرده»⁴. ويفهم من كلام الشيخين أن كبت فيها قولان: أحدهما أن كبت مادة مستقلة، وأن حروفها أصيلة بمعنى أصابه بمكروه مطلقا. والثاني: أن كبت أصلها كبد حيث أبدلت الدال تاء لقرب مخرجيهما، وهي بمعنى أصابه بمكروه أثر على كبه، وبخاصة إذا عرفنا أن العرب تبدل التاء من الدال، وبالنظر إلى هذا الإبدال الحاصل في كلمة كبد «قيل في قول أبي الطيب: لأكبت حاسدا وأري عدوا، هو من الكبد والرئة»⁵. والبيت بشرطيه هو كالاتي :

لَأَكْبِتَ حَاسِدًا وَأَرِي عَدُوًّا [كَأَنَّهُمَا وِدَاعُكَ وَالرَّحِيلُ]⁶

وقبله:

وجودك بالمقام ولو قليلا فما فيما تجودُ به قليل

¹ - الكشاف ج 1 ص 374.

² - آل عمران من الآية 127.

³ - الكشاف ج 1 ص 376.

⁴ - الدر المصون ج 3 ص 391.

⁵ - الكشاف ج 1 ص 376-377.

⁶ - البيت من الوافر لأبي الطيب المتنبي في شرح ديوانه. لأبي العلاء المعري. تح. عبد المجيد دياب. دار المعارف ط2.

مصر . 1992 ج3ص34.

إذ يقول: جد علينا بالمقام لأكبت بذلك حاسدي، وأمراض عدوي، لأنهما بغيضان عندي مثل وداعك وارتحالك»¹. والشاهد فيه: أكبت بمعنى أكبد، وأري من إصابة الرئة، وفيه ما يؤيد معنى: أو يكبتهم على الوجه الثاني الذي ذكره الزمخشري .

الأجر والجزاء :

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾².

قال الزمخشري: « قال: ﴿أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ بعد قوله جزاؤهم لأنهما في معنى واحد، وإنما خالف بين اللفظين لزيادة التنبيه على أن ذلك جزاء واجب على عمل، وأجر مستحق عليه، لا كما يقول المبطلون. وروي أن الله عزَّ وجل أوحى إلى موسى: « ما أقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل! كيف أجود برحمتي على من يبخل بطاعتي؟ وعن شهر بن حوشب: طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب، وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة»³. الأجر والجزاء بمعنى واحد هذا ما تكشف عنه معاجم اللُّغة أيضا، إذ يقول ابن منظور: «الأجر: الجزاء على العمل»⁴. لكن الزمخشري يؤكد أن الجزاء بالجنة، والمغفرة من الذنوب لا يستحق إلا بالعمل، بل طلبه دون عمل ذنب من الذنوب، كما ورد في قول شهر بن حوشب، ويفهم من تأكيده هذا أن الإيمان وحده لا ينفع يوم القيامة، وهذا خلاف أهل السنة والجماعة، والذين سماهم المبطلين، مما دفع بأبي حيان إلى أن يعلق على ذلك بقوله: «وكلام الزمخشري جار على مذهبه الاعتزالي»⁵. وإضافة إلى ما ذكر من نصوص نقلية تؤيد مقولته، تمثل أيضا بقول أبي العتاهية التي دأبت رابعة البصرية على إنشاده إذ يقول:

¹ - شرح ديوان أبي الطيب المتتبي. للمعري ج3ص34.

² - آل عمران الآية 136.

³ - الكشف ج 1 ص 380.

⁴ - لسان العرب مادة (أجر)

⁵ - البحر المحيط ج 3 ص 66.

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إنَّ السفينة لا تجري على اليبس¹
 في هذا البيت يتعجب الشاعر « ممن يرجو الظفر بالنجاة، ولم يتخذ الوسيلة لذلك وترى
 حالته في الاستحالة، كحال السفينة التي تحاول الجري على الأرض اليابسة»². وفي البيت
 شاهد على حماقة من يطلب الجنة، ولم يسلك السبيل الموصلة إليها.
نداولها : قال تعالى : ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾³.

قال الزمخشري: « نداولها: نصرفها بين الناس نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء... والمداولة
 مثل المعاورة »⁴. وقال السمين الحلبي: والمداولة المناوبة على الشيء، والمعاودة وتعهد
 مرّة بعد مرّة يقال: داولت بينهم الشيء فتداولوه، كأن فاعل بمعنى فعل»⁵. ومما يؤكد هذا
 المعنى ما ورد على لسان الشاعر النمر بن تولب :

فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نُسُر⁶
 يشير الشاعر إلى أن الأيام تتداول بين الناس فلا تبقى مسرتها ولا مساءتها لأحد. وفي
 البيت ما يعضد ويؤيد معنى نداولها المشار إليه سابقا. ويعزز معنى المداولة أيضا قول
 الشاعر :

يرد المياه فلا يزال مُداولا في الناس بين تمثّلٍ وسماع⁷
 وقبلها :

فلأهدين مع الرياح قصيدة مني محبرة إلى القعقاع

¹ - البيت من البسيط بلا نسبة في تاج العروس مادة (يبس).

² - الكشف ج 1 ص 380.

³ - آل عمران من الآية 140.

⁴ - الكشف ج 1 ص 383.

⁵ - الدر المصون ج 3 ص 404.

⁶ - البيت من المتقارب للنمر بن تولب في ديوانه. تح. محمد نبيل طريقي. دار صاد. ط1. بيروت 2000 ص 65.

⁷ - البيت من الكامل لزهير بن علس في البحر ج 3 ص 61.

يتحدث الشاعر عما ينوي إهداؤه إلى القعقاع من أشعار، فلا تزال متداولة في الناس بين متمثل ومستمع. والشاهد فيه: قوله ما يزال مداولا، وما له من صلة دلالية بقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾.

النزل : قال الله تعالى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾¹.

قال الزمخشري: «النزل والنزل ما يقام للنازل»². وقال صاحب الدر المصون: «قوله ﴿نُزُلًا﴾ النزل ما يهيا للنزيل، وهو الضيف هذا أصله، ثم اتسع فيه فأطلق على الرزق والغذاء، وإن لم يكن لضيف... وفيه قولان: هل هو مصدر، أم جمع نازل»³. والنزل بمعنى الطعام المقدم للضيف قال أبو الشعراء الضبي:

وكنا إذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا له القنا والمرهفات له نُزُلًا⁴
قال مفتخرا بقومه، ومتهكما بعدوهم أنه نزل عندهم الملك العاتي مع جيشه نزول الضيوف قدموا له الرماح والسيوف المرهفات نزلا، وبئس الطعام المقدم له، ولجيشه. والشاهد في البيت: استخدام كلمة النزل للدلالة على الطعام المقدم للضيف.

قنطار: قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا﴾⁵

قال الزمخشري: «والقنطار المال العظيم من قنطرت الشيء إذا رفعته، ومنه القنطرة لأنها بناء مشيد»⁶. وجاء في لسان العرب: «وقيل: هي جملة كثيرة مجهولة من المال وروى ابن عباس عن النبي ﷺ (من قرأ أربعمئة آية كتب له قنطار، القنطار مائة مثقال، المنقال

¹ - آل عمران من الآية 198.

² - الكشاف ج 1 ص 417.

³ - الدر المصون ج 3 ص 546.

⁴ - البيت من الطويل لأبي الشعراء الضبي في الدر المصون ج 3 ص 546.

⁵ - النساء من الآية 20.

⁶ - الكشاف ج 1 ص 443.

عشرون قيراطا، القيراط مثل جبل أحد»¹. يبدو أن لفظ قنطار تدل على مقدار ضخم وعظيم من المال مقداره لا يعرف بالضبط، كما تدل القنطرة على البناء المشيد الضخم. وهذه الضخامة هي التي كان يقصدها الشاعر حين قال :

كقنطرة الرومي أقسم رأيا لئنك تبتفن حتى تُشاد بقَرَمَد²

حيث «شبه الناقة في ترصف عظامها، وتداخل أعضائها بقنطرة تبنى لرجل رومي»³. وقد أقسم صاحبها على إنجازها، وتقوية بنائها حتى يصبح ضخما. والشاهد فيه: لفظ قنطرة، وما تدل عليه من ضخامة تأييدا لمفهوم قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا﴾.

طولا : قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾⁴.

قال الزمخشري: «الطُّول: الفضل، يقال لفلان على فلان طولا أي زيادة وفضل، وقد طاله طولا فهو طائل... ومنه قولهم ما حلا منه بطائل، أي: بشيء يعتد به مما له فضل وخطر، ومنه الطُّول من الجسم؛ لأنه زيادة فيه. كما أن القِصر قصور فيه ونقصان. والمعنى: ومن لم يستطع زيادةً في المال وسعةً يبلغ بها نكاح الحرّة فلينكح أمة»⁵. وفي بيت الطرماح الذي أورده الزمخشري ما يدل على معنى طولا، ويشهد على صحة الدلالة المشار إليها إذ يقول:

لقد زادني حبا لنفسي أنني بغيض إلى كل امرئ غير طائل⁶

يذكر الطرماح: أنه مما زاده حبا لنفسه بغضها إلى كل امرئ غير محسن بخيل؛ لأن ذلك يدل على كرمها وصفاء معدنها. والشاهد فيه: دلالة كلمة طائل، وفيها ما يدل

¹ - لسان العرب. ابن منظور مادة (قنطر)

² - البيت من الطويل لطرفة بن العبد في ديوانه. تح مهدي محمد. دار الكتب العلمية. ط3. بيروت. 2002.

³ - شرح المعلقات السبع. للزوزني. تح. عمر حافظ سليم سعيدة. شركة القدس ط1. القاهرة. 2009. ص 99.

⁴ - النساء من الآية 25.

⁵ - الكشف ج 1 ص 449.

⁶ - البيت من الطويل للطرماح في ديوانه ص 207.

على معنى ﴿طَوْلًا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا﴾.

الجنب : قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾¹.

قال الزمخشري: «وَالْجَارِ الْجُنُبِ» الذي جواره بعيد وقيل الجار: القريب النسب والجار الجنب: الأجنبي»². وقال صاحب الدر المصون: «والجنب صفة على فُعْل نحو ناقة سُرْح ويستوي فيه المفرد والتمثي والمجموع مذكرا ومؤنثا نحو رجال جُنُب قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا﴾³، وبعضهم يثنيه ويجمعه ومنه شلل وعن عاصم (والجارالجنب) بفتح الجيم وسكون النون، وهو وصف أيضا بمعنى المجانب»⁴. ويستخلص مما سبق «أنَّ الجار الجنب هو الجار الأجنبي الذي لا قرابة بينك وبينه»⁵. ومما أنشد كدليل على هذا المعنى قول بلعاء بن قيس :

لَا يَجْتَوِينَا مَجَاوِرٌ أَبَدًا ذُو رَحِمٍ أَوْ مَجَاوِرٌ جُنُبٌ⁶

إذ يفخر بحسن عشرة قومه فيقول: لا يكرهنا الجار النسب، ولا الجار الأجنبي أبدا لحسن عشرتنا. والشاهد فيه: المجاور الجنب، وفيه ما يوضح دلالة جنب في قوله تعالى: ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾.

قليلًا : قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾⁷.

قال الزمخشري: «﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا﴾ إيماننا ﴿قليلًا﴾ أي: ضعيفا ركيكا لا يعبأ به، وهو

¹ - النساء من الآية 36.

² - الكشاف ج 1 ص 457.

³ - المائدة من الآية 06.

⁴ - الدر المصون ج 3 ص 675-675.

⁵ - البحر المحيط ج 3 ص 254.

⁶ - البيت من المنسرح. لبلغان بن قيس أو بلعاء بن قيس في الكشاف ج 1 ص 457.

⁷ - النساء من الآية 46.

إيمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره، أو أراد بالقلّة العدم... أو إلى إلا قليلا منهم قد آمنوا»¹. فيفهم من كلام الزمخشري أن «قليلًا» في قوله تعالى: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ لها ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها صفة لمصدر محذوف، أي إلا إيمانًا قليلًا أي ركيكا ضعيفا لا يعبأ به «قلله إذ آمنوا بالتوحيد وكفروا بمحمد ﷺ وبشرائعه»².

الثاني: أنها استثناء من الفاعل في: فلا يؤمنون، أي إلا قليلا منهم قد آمنوا كعبد الله بن عبد السلام، وكعب الأحمبار وغيرهما³.

الثالث: أن المراد بالقلّة هو العدم، أو هي عبارة عن عدمه على ما حكى سيبويه من قولهم: أرض قل ما تثبت كذا، وهي لا تثبته جملة⁴. وقد استلهم الزمخشري هذا المعنى الأخير أيضا من قول الشاعر:

قليل التشكّي للمهمّ يصيبه [كثير الهوى شتى النوى والمسالك]⁵

إذ يذكر الشاعر أن ممدوحه لا يشتكي لأجل الهموم، وأنه كثير هوى النفس ونواه ومسالكه كثيرة ومتفرقة. والشاهد فيه: استخدام كلمة قليل ويريد بها عديم؛ ليظهر المدح وفيه تأييد صريح لمعنى قوله تعالى: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ويعقب صاحب البحر المحيط على هذا الوجه المستشهد له قائلا: «إن التقليل يراد به العدم هو صحيح في نفسه، لكن ليس هذا التركيب الاستثنائي من تراكيبه، فإن قلت: لا أقوم إلا قليلا لم يوضع هذا؛ لانقفاء القيام البتة، بل هذا يدل على انتفاء القيام منك إلا قليلا فيوجد منك، وإذا قلت

¹ - الكشف ج 1 ص 464.

² - البحر المحيط ج 3 ص 276

³ - ينظر المصدر السابق ج 3 ص 275-276.

⁴ - المحرر الوجيز ج 2 ص 63.

⁵ - البيت من الطويل لتأبط شرا في ديوانه. تح ذو الفقار شاكرا. دار الغرب الإسلامي. ط1. بيروت. 1984. ص151

قلما يقوم أحد إلا زيد، وأقل رجل يقول ذلك، احتمال هذا أن يراد به التقليل المقابل للتكثير واحتمل أن يراد به النفي المحض، وكأنك قلت ما يقوم أحد إلا زيد، وما رجل يقول ذلك إما أن تنفي ثم توجب ويصير الإيجاب بعد النفي يدل على النفي فلا، إذ تكون إلا وما بعدها على هذا التقرير جيء بها لغوا لا فائدة فيه، إذ الانتفاء قد فهم من قولك لا أقوم، فأبي فائدة في استثناء مثبت يراد به الانتفاء المفهوم من الجملة السابقة، وأيضا فإنه يؤدي إلى أن يكون ما بعد إلا موافقا لما قبلها في المعنى، وباب الاستثناء لا يكون فيه ما بعد إلا موافقا لما قبلها»¹.

مقيتا : قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾²

قال الزمخشري: ﴿مُقِيتًا﴾ شهيدا حفيظا وقيل مقتدرا وأقات على الشيء [اقتدر عليه]³ وجاء في البحر المحيط: «قال أبو عبيدة المقيت، الحاضر وقال ابن فارس المقيت المقتدر والمقيت الحافظ الشاهد»⁴. وفي جعبة الزمخشري من الشواهد ما يعزز هذه المعاني:

1- قال الزبير بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ :

وذي ضِغْنٍ نَفِيتِ السُّوءَ عَنْهُ وَكُنْتُ عَلَىٰ إِسَاءَتِهِ مُقِيتًا⁵

إذ يذكر رجل سوء وحقد كان شهيدا عليه وقادرا على ردّ الإساءة إليه بالمثل، ولكنه عامله بنفي سوء عنه. والشاهد فيه: دلالة كلمة مقيتا كدالاتها في الآية الكريمة.

2- قال السموأل:

¹ - البحر المحيط ج 3 ص 276.

² - النساء من الآية 85.

³ - الكشاف ج 1 ص 484.

⁴ - البحر المحيط ج 3 ص 316

⁵ - البيت من الوافر للزبير بن عبد المطلب في لسان العرب مادة (قوت)

أَلَيْ الْفَضْلُ أَمْ عَلِيٌّ إِذَا حُوَّ سَبَبْتُ إِنِّي عَلَى الْحَسَابِ مُقَيَّتٌ؟¹

فذكر أنه لا يدري ما يكون من شأنه حيث يحاسب، وكل ما يعلم أنه شهيد على نفسه حفيظ على ما يصدر منه. والشاهد فيه: كلمة مقيت وما لها من دلالة إلا أن الطبري² يرى أن معنى البيت من غير هذا المعنى المتقدم، وأنه بمعنى موقوف.

مراغما: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا﴾³

قال الزمخشري: ﴿مُرَاغَمًا﴾ مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه، أي: يفارقهم على رغم أنوفهم، والرغم: الذل الهوان، وأصله وصول الأنف بالراغام، وهو التراب يقال: راغمت الرجل إذا فارقتة وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك⁴. وذكر صاحب البحر المحيط: «ومعنى مراغما متحولا ومذهبا قاله ابن عباس والضحاك والربيع وغيرهم، وقال مجاهد: المزحج عما يكره، وقال ابن زيد: المهاجر، وقال السدي: المبتغى للمعيشة»⁵. وقال صاحب المشكل من غريب القرآن: «والمراغم والمهاجر سواء»⁶. ويستخلص من هذا كله أن المراغم بمعنى المهاجر والطريق، والمتحول والمذهب، ومنه قول النابغة الجعدي:

كَطَوْدٍ يُلَادُ بِأَرْكَانِهِ عَزِيزِ الْمَرَاعِمِ وَالْمَذْهَبِ⁷

يشبه رجلا بالجبل في الالتجاء إليه والتحصن بجاهه. والشاهد فيه: استخدامه كلمة المراغم للدلالة على مكان المراغمة، وهو الطريق، وما لها من صلة في الدلالة بقوله

¹ البيت من الخفيف للسموأل بن عدياء في إصلاح المنطق. لابن السكيت. تح. أحمد محمد شاکر. وعبد السلام هارون.

دار المعارف. ط. 4. القاهرة. 1949. ص 277

² ينظر تفسير الطبري ج 7 ص 273.

³ النساء من الآية 100.

⁴ الكشف ج 1 ص 495.

⁵ البحر المحيط ج 3 ص 350.

⁶ تفسير المشكل من غريب القرآن الكريم. لأبي محمد مكي. تح. هدى الطويل المرعشلي. دار نور الهدى الإسلامي. ط. 1.

بيروت . 1988. ص 147.

⁷ البيت من المتقارب للنابغة الجعدي في ديوانه ص 44

تعالى ﴿يَجِدُ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا﴾ طريقاً يراغم بسلوكه قومه

المعلقة: قال تعالى: ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَنزَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾¹.

قال الزمخشري: «﴿فَتَنزَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة»². وذكر صاحب المحرر الوجيز أن المعلقة: «لا هي أيم ولا ذات زوج، وهذا تشبيه بالشيء المعلق من شيء؛ لأنه لا على الأرض استقر، ولا على ما علق منه انحمل... وقرأ أبي بن كعب «فتنزروها كالمسجونة» وقرأ عبد الله بن مسعود فتنزروها «كأنها معلقة»³. ويستخلص من هذا أن المعلقة هي تلك المرأة التي لا يمكن اعتبارها متزوجة ذات بعل، ولا يمكن اعتبارها في الوقت نفسه مطلقة، وهذا ما يكشف عنه قول الشاعر:

هل هي إلا حِظَّةٌ أو تطليقٌ أو صَافٌ أو بين ذلك تعليقٌ⁴

أي: ليست حال الزوج مع زوجها إلا واحدة من هذه الأحوال حظوة، أو عدم حظوة أو تطليق، أو تركها معلقة لا متزوجة ولا مطلقة. والشاهد فيه: استخدامه كلمة تعليق، وما تدل عليه من دلالة ترتبط بمعنى قوله تعالى: ﴿فَتَنزَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾.

العقود: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾⁵.

قال الزمخشري: «يقال وفى بالعهد وأوفى به ومنه ﴿وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾⁶ والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه... وهي عقود الله التي عقدها على عباده وألزمها إياهم من

¹ - النساء من الآية 129.

² - الكشاف ج 1 ص 510.

³ - المحرر الوجيز ج 2 ص 212.

⁴ - البيت من الرجز لبنت الحمارس لسان العرب (هزل)

⁵ - المائدة من الآية 01.

⁶ - البقرة من الآية 177.

موجب التكليف»¹. وقال القرطبي: «قال ابن عباس ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ معناه بما أحلّ وبما حرّم وبما فرض وبما حدّ في جميع الأشياء»². وقد استشهد الزمخشري على ذلك بقول الحطيئة:

قَوْمٌ إِذَا عَقَدُوا عَقْدًا لَجَارِهِمْ شَدُّوا الْعِنَاجَ وَشَدُّوا فَوْقَهُ الْكَرْبَا³

إذ يقول فيمن يمدحهم إنهم قوم عرفوا بتوثيق العقود والعهود إذا أبرموها مع جيرانهم. والشاهد فيه: استخدامه لفظ ((عقدوا عقدا))، وما تدل عليه من معنى يوحي بدلالة العقود في قوله تعالى: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾.

من أجل: قال تعالى: ﴿مَنْ أَجَلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾⁴.

قال الزمخشري: «﴿مَنْ أَجَلِ ذَلِكَ﴾ بسبب ذلك ويعلته، وقيل أصله من أجل شرًا إذا جناه يَأْجُلُهُ أَجْلًا... كأنك إذا قلت: من أجلك فعلت كذا؛ أردت من أن جنيت فعلته وأوجبته، ويدلّ عليه قولهم: من جرّك فعلته، أي: من أن جرّته بمعنى جنيته، وذلك إشارة إلى القتل المذكور أي: من أن جنى ذلك القتل الكُتِبَ وجّه ﴿كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ومن لابتداء الغاية، أي: ابتداء الكتب ونشأ من أجل ذلك، ويقال فعلت كذا لأجل كذا، وقد يقال: أجل كذا بحذف الجار وإيصال الفعل»⁵. وقال السمين الحلبي: «والأجل في الأصل هو الجناية يقال أجل الأمر أجلا وأجلا بفتح الهمزة وكسرهما إذا جناه وحده... ومعنى قول الناس فعلته من أجلك ولأجلك أي بسببك»⁶. يبدو من كلام الشيخين أنّ كلمة: ﴿أَجَلٍ﴾ قد فسّرت بمعنى

¹ - الكشاف ج 1 ص 532.

² - تفسير القرطبي، تح. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 2006 ج 7 ص 247.

³ - البيت من البسيط للحطيئة في ديوانه، شرح ابن السكيت والسكري والجسّطاني، تح. نعمان أمين طه، مكتبة ومطبعة

مصطفى الحلبي، دط، مصر، دت، ص 128

⁴ - المائدة، من الآية 32.

⁵ - الكشاف، ج 1، ص 554.

⁶ - الدرّ المصون، ج 4، ص 248.

السبب، وأن الأصل فيها هو الجناية، إذ يقال أجل الشيء إذا جناه، ويؤكد هذا المعنى الأخير قول الشاعر:

وأهل خباءٍ صالحٍ ذاتٍ بينهم قد احترئوا في عاجلٍ أنا أجله¹
 يقر بأنه مهياج للشرور والحروب قائلاً، ربّ أهل بيوت متلاصقة كأنّها بيت واحد قد
 تحاربوا بسبب شرّ عاجل أنا أجله، أي جانيه ومهيّجه. والشاهد فيه: قوله أنا أجله من أجل
 الشرّ إذا جناه، وهو المعنى الذي أشار إليه المفسران.

يلبس: في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِّنْ
 تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا﴾²

قال الزمخشري: «أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا» أو يخلطكم فرقا مختلفين على أهواء شتى: كلّ
 فرقة منكم مشايعة لإمام، ومعنى خلطهم أن ينشَب القتال بينهم، فيختلطوا، ويشتبكوا في
 ملاحم القتال³. وقال الرّازي في تفسيرها: «يخلط أمركم خلط اضطراب لا خلط اتفاق
 فيجعلكم فرقا، ولا تكونون فرقة واحدة، فإذا كنتم مختلفين قاتل بعضهم بعضا»⁴. وممّا
 تقدّم تبين أنّ معنى الفعل «يلبس» هو يخلط ومعنى خلطهم: إنشَاب القتال بينهم فيختلطوا
 في ملاحم القتال. كنحو قول الحماسي:

وكتيبةٍ لبستُها بكتيبة حتّى إذا التبتت نفضت لها يدي⁵
 يقول مادحا نفسه: ربّ كتيبة خلطتها بكتيبة فلما اختلطت نفضت يدي منهم، وتركتمهم
 وشأنهم. والشاهد فيه: لبستها بكتيبة، أي: خلطتها بكتيبة.

¹ - البيت من الطويل، لخوات بن جبير في الدر المصون ج 4 ص 248

² - الأنعام، من الآية 65.

³ - الكشاف، ج 1، ص 633.

⁴ - تفسير الرّازي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، بيروت، 1981 ج 13، ص 24.

⁵ - البيت من الكامل للفرار السلمي في الدر المصون ج 4 ص 671

آسى: في قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾¹.

ذكر الزمخشري أن الأسي هو: «شدة الحزن»². واستشهد على ذلك بقول الشاعر:

وانحلبت عيناه من فَرَطِ الأسي³

والشاهد فيه: كلمة الأسي وما ترتبط به من الدلالة على معنى قوله تعالى: ﴿آسَى﴾ حيث ذكر أيضا صاحب البحر المحيط في معرض تفسيره لهذه الآية ﴿فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾، أي: «كيف أحزن على من لا يستحق أن يحزن عليه؟ ونبه على العلة التي لا تبعث على الحزن وهي الكفر، إذ هو أعظم ما يعادي به المؤمن إذ هما نقيضان»⁴.

عفا: قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا﴾⁵.

قال الزمخشري: ﴿حَتَّى عَفَوْا﴾ كثروا ونموا في أنفسهم وأموالهم، من قولهم عفا النبات وعفا الشحم والوبر: إذا كثرت ومنه قوله ﷺ: «وأعفوا للحي»⁶. وجاء في لسان العرب: «عفا القوم كثروا، وفي التنزيل ﴿حَتَّى عَفَوْا﴾ أي: كثروا، وعفا النبات والشعر، وغيره يعفو فهو عاف: كثر وطال»⁷. وهذا يعني أن من معاني عفا كثر ونما الشيء. وقد أنشد الزمخشري قول الحطيئة شاهدا على صحة هذا المعنى إذ يقول:

بمُستأسِدِ القِرْيَانِ عَافَ نَبَاتُهُ [فَنَوَّارُهُ مِيلٌ إِلَى الشَّمْسِ زَاهِرُهُ]⁸

¹ - الأعراف، الآية 93.

² - الكشاف، ج 2، ص 43.

³ - البيت من الرجز للعجاج، في الكشاف، ج 2، ص 93.

⁴ - البحر المحيط، ج 4، ص 349.

⁵ - الأعراف، من الآية 95.

⁶ - الكشاف، ج 2، ص 43.

⁷ - لسان العرب، مادة (عفا)

⁸ - البيت من الطويل للحطيئة في ديوانه ص 180.

حيث ينوه الشاعر بمستأسد القرين، ذلك المكان الذي تميّز بقوة نباته وكثرته. والشاهد فيه: كلمة عاف، وما تدلّ عليه من الكثرة، وما لها من صلة بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَفْوًا﴾، كما أنشد قول لبيد:

ولكنّا نُعِضُّ السِّيفَ مِنْهَا بِأَسْوَقِ عَافِيَاتِ الشَّحْمِ كُومٍ¹

إذ يقول: «إنّا نضرب بالسيف أسوق النوق الكريمة التي نما شحمها عافيا لم يمَسَّ واكتنز في أسنمتها أعظم ما يكون، وذلك لتتقدّم للقري»². والشاهد في هذا البيت: قول الشاعر عافيات الشحم أي: كثيرات الشحم، لإعفائها من العمل سنة أو سنتين. وما يمكن الإشارة إليه أنّ الفعل «عفا» يعتبر من الأضداد إذ نقول: عفا الله عنك، أي: محا ذنبك، كما نقول عفت الريح الأثر، ومن جهة نقول عفا النبات كثر ونما. إلا أنّ صاحب المفردات في غريب القرآن له رأي آخر إذ يقول «العفو القصد لتناول الشيء، يقال عفاه واعتفاه، أي: قصده متناولاً ما عنده، وعفت الريح الدار قصدتها متناولاً آثارها... وعفت الدار كأنّها قصدت هي البلى، وعفا النبات والشجر قصد تناول الزيادة، وعفوت عنك كأنّه قصد إزالة ذنبه صارفاً عنه... وأعفيت كذا أي تركته يعفو ويكثر ومنه: «وأعفوا للحي»³. فالملاحظ أن جعل «القصد قدراً مشتركاً في العفو، وهذا ينبغي كونه من الأضداد»⁴.

هدنا: قال الله تعالى: ﴿وَكَتُبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ﴾⁵

قال الزمخشري أنّ قوله تعالى «﴿هُدُنَا إِلَيْكَ﴾» تبنا إليك، وهاد إليه يهود إذا رجع وتاب والهؤد جمع هائد، وهو التائب»⁶. ومنه فهاد بمعنى تاب وقيل: مال فالمعنى الأول قد مثل له الزمخشري ببيت من شعره إذ يقول:

¹ البيت من الوافر للبيد بن ربيعة العامري. في ديوانه ص 186.

² الكشاف، ج 2، ص 43. (الهامش)

³ المفردات في غريب القرآن، ج 2، ص 441-442.

⁴ الدرّ المصون، ج 1، ص 356 - 357.

⁵ الأعراف، من الآية 156.

⁶ الكشاف، ج 2، ص 70.

يا راكب الذنوب هُدْهُدُ واسجد كأنك هدهد¹
 إذ يشبه ملازمة المذنب للذنوب كملازمة الراكب للمركوب، ويدعو كل آثم إلى التوبة
 والرجوع، فيسجد لله سجود الخاضع المتضرع. فهُدْ فعل أمر من هَادَ بمعنى تاب، لا
 يصح الاستشهاد على صحّة وروده على هذا المعنى بشعر أمثال الزمخشري ومن عاصره
 لبعدهم عن الإطار الزماني، والإطار المكاني لعصر الاحتجاج، وكان لديه من الشواهد
 ما يغنيه عن التكلف والتمثيل، وبخاصّة أنّ المقام مقام إثبات. فقد قال أحد الأعراب:

إني امرؤ من حبه هائد²

أي: تائب وهو الشاهد «ومنه سمى اليهود لأنهم تابوا عن عبادة العجل»³.

انبجست: قال الله تعالى: ﴿فَانْبَجَسْتُمْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾⁴.

ذكر الزمخشري عند تفسيره لهذه الآية أن: ﴿انْبَجَسْتُمْ﴾ فانفجرت والمعنى واحد وهو
 الانفتاح بسعة وكثرة»⁵.

فانبجست كقوله: ﴿فَانْفَجَرْتُمْ﴾⁶ إعراباً وتقديراً ومعنى، إلا أنه: «قيل الانبجاس أضيّق؛ لأنّه
 يكون أولاً، والانفجار ثانياً»⁷. وقد استدللّ الزمخشري على صحّة هذا المعنى بقول العجاج
 من الرّجز:

[وانحلبت عيناه من فرطِ الأسى] وَكَيْفَ عَرَبِيٌّ دَالِجٌ تَبَجَّسًا⁸

يقول: انصبّت دموع عينيه من شدّة الأسى والحزن، كانصباب دلوي الدالج الذي يسير
 بهما؛ ليفرغهما في سرعة ويقوّة، فينفجر منهما ماؤهما. والشاهد فيه: دلالة التبجس أو

¹ - البيت من المجتث للزمخشري، في الكشف، ج 2، ص 70.

² - البيت لأعرابي، في الدرّ المصون، ج 1، ص 405، وتفسير القرطبي، ج 2، ص 157.

³ - الدرّ المصون، ج 1، ص 405.

⁴ - الأعراف، من الآية 160.

⁵ - الكشف، ج 2، ص 75.

⁶ - البقرة من الآية 60

⁷ - الدرّ المصون ج 1، ص 385.

⁸ - البيت من الرّجز، للعجاج، في لسان العرب مادة (بجس).

الانبجاس على اتّساع الانفجار .

الأنفال: قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾¹

قال الزمخشري: «النفل: الغنيمة لأنها من فضل الله تعالى وعطائه... والنفل ما ينقله الغازي أي: يعطاه زائداً على سهمه من المغنم، وهو أن يقول الإمام تحريضاً على البلاء في الحرب: من قتل قتيلاً فله سلبه، أو قال: لسريّة ما أصبتم فهو لكم، أو فلکم نصفه، أو ربعه»². والأنفال «جمع نفل وهو الزيادة على الشيء الواجب، وسميت الغنيمة نفلاً لزيادتها على حماية الحوزة»³. وقد استشهد كل من الزمخشري، والسمين الحلبي على صحّة هذه الدلالة بقول لبيد:

إن تقوى ربّنا خير نفل [وبإذن الله ريثي وعجل]⁴

إذ شبّه الثواب الذي وعده الله عباده على التقوى بالنفل، وهو خير ما يغنم المرء من فضل الله وعطائه. والشاهد فيه: في هذا البيت كلمة نفل، وما لها من دلالة.

الإل: قال الله تعالى: ﴿لَا يَرْفُؤُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا نِمَّةً﴾⁵

ذكر صاحب الدرّ المصون: «وفي الإل أقوال لأهل اللّغة أحدها: أنّ المراد به العهد... الثّاني: أنّ المراد به القرابة، وبه قال الفراء... الثالث: أنّ المراد به الله تعالى، أي: هو اسم من أسمائه... الرّابع: أنّ الإل: الجوّار ورفع الصّوت عند التّحالف... الخامس أنّه من ألّ البرق، أي: لمع. قال الأزهري: الأليل البريق»⁶. وذكر الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية الكريمة «والوجه أنّ اشتقاق الإل بمعنى الحلف، لأنهم إذا تسامحوا وتحالفوا رفعوا به أصواتهم، وشهروه من الإل وهو الجوّار... ثم قيل لكلّ عهد وميثاق إلّ، وسميت به القرابة

¹ - الأنفال، من الآية 01.

² - الكشف، ج 2، ص 95.

³ - الدرّ المصون، ج 5، ص 556.

⁴ - البيت من الرّمّل للبيد بن ربيعة العامري، في ديوانه 139.

⁵ - التوبة، من الآية 08.

⁶ - الدرّ المصون، ج 6، ص 17-20.

لأنّ القرابة عقدت بين الرّجلين ما لا يعقده الميثاق»¹. وممّا أنشد كدليل على أنّ الإل بمعنى القرابة قول حسّان بن ثابت:

لعمرك إنَّ إلَّك من قريشٍ كإل السَّقب من رآل النَّعام²

إذ يقسم على أنّ قرابة مخاطبه من قريش منقطعة غاية الانقطاع، كانقطاع الصّلة بين السَّقب وهو خوار النّاقة، والرّأل وهو ولد النّعام. والشّاهد فيه: من معاني الإل هو القرابة.

بعدت: قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾³.

قال الزمخشري: «وقرأ عيسى بن عمر بعدت عليهم الشقّة بكسر العين والشين»⁴. أي أنّ بُعد تختلف عن بُعد، فبُعد ككُرم ومصدره البُعد خلاف القرب، وبعِد كفِرِح ومصدره البِعد بمعنى الهلاك والموت، فبُعد في المكان وبعِد في الهلاك، إلّا أنّ بعض العرب يقول بُعد، وبعضهم يقول بعِد مثل سحُق سحِق. ولا شك أنّ من قرأ بضمّ العين يجعل الهلاك والبعد سواء، ومن يكسرهما يجعل الفعل مختصاً ببعد الموت⁵. وقد ذكر صاحب البحر المحيط⁶ أنّ أبا حاتم ذكر أنّ كسر العين في بعد لغة بني تميم. وقد أورد الزمخشري نظير هذه القراءة (قراءة عيسى بن عمر) من الشّعر العربي، إذ يقول الشّاعر:

يقولون لا تَبُعد وهم يَدْفنونه ولا بُعد إلّا ما تُوارِي الصّفائِح⁷

فقولهم: لا تبعد دالة على تناهي الجزع حيث لا بعد إلّا بعدما تواريه الصّفائِح. والشّاهد فيه: لا تبعد من بعد بكسر العين، وهذا ما يعزّز قراءة الكسر التي أشار إليها الزمخشري والمنسوبة إلى عيسى بن عمر من علماء القراءات النحاة.

¹ - الكشاف، ج 2، ص 143.

² - البيت من الوافر، لحسان بن ثابت، في ديوانه، تح. وليد عرفات. دار صادر. دط. بيروت 2006 ج 1 ص 394.

³ - التوبة، من الآية 42.

⁴ - الكشاف، ج 2، ص 163.

⁵ - ينظر لسان العرب مادة (بعد) وشرح أبيات معنى اللَّيب ج 5، ص 14.

⁶ - ينظر البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ج 5 ص 47

⁷ - البيت من الطّويل بلا نسبة في الكشاف ج 2. ص 163

أجمع الأمر: قال الله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾¹.

قال الزمخشري في تفسير هذه الآية الكريمة: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ﴾: من أجمع الأمر وأزمعه، إذا نواه وعزم عليه². وجاء في لسان العرب: «وجمع أمره، وأجمعه وأجمع عليه: عزم عليه، كأنه جمع نفسه له، والأمر مجمع، ويقال أيضا: أجمع أمرك، ولا تدعه منتشرا»³. فأجمعوا وهي قراءة الجمهور من الفعل أجمع الأمر إذا نواه، وعزم عليه، كأنه جمع نفسه عليه. وله نظير من كلام العرب الذين يحتجّ بشعرهم، وهو قول الشاعر:

[يا ليت شعري والحوادث جمّة] هل أغدُونُ يَوْمًا وأمري مُجمَعٌ⁴

في هذا البيت يتمنى الشاعر أن يأتي عليه يوم، وهو هادئ عازم على أن ينفذ ما يشاء. والشاهد قوله: «مجمع»، أي: معزوم عليه، وبه يستدلّ على معنى قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ﴾، كما يستدلّ به النحاة على اعتراض قوله: والحوادث جمّة بين ليت شعري، وهل أغدون. على جعل جملة الاستفهام عبر ليت.

ببَدَنِكَ: في قوله تعالى ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً﴾⁵

قال الزمخشري: «ببَدَنِكَ في موضع الحال أي في الحال التي لا روح فيك، وإنّما أنت بدن أو ببदनك كاملا سويا لم ينقص منه شيء، ولم يتغيّر، أو عريانا لست إلاّ بدنا من غير لباس أو بدرعك»⁶. وإذا كان الدرع من معاني البدن، فالباء للمصاحبة بمعنى مصاحبا لبदनك، وهي الدرع حيث يروى أنّهم «لم يصدّقوا بغرقه، وكانت له درع تعرف، فألقى بنجوة من الأرض وعليه درعه ليعرفونه»⁷. والدليل على صحّة هذا الوجه ما ورد

¹ - يونس، من الآية 71.

² - الكشاف، ج 2، ص 232-233.

³ - لسان العرب، مادة (جمع).

⁴ - البيت من الكامل بلا نسبة، في المغني، ج 5، ص 62.

⁵ - يونس، من الآية 92.

⁶ - الكشاف، ج 2، ص 240.

⁷ - الدرّ المصون، ج 6، ص 264-265.

في كلام العرب من إطلاق البدن على الدرع، إذ يقول عمرو بن معد يكرب:

أَعَاذِلُ شِكَّتِي بَدَنِي وَسَيْفِي وَكُلُّ مُقَلَّصٍ سَلِسِ الْقِيَادِ¹

أي سلاحي درعي وسيفي وفرسي المكتنز اللحم سهل القيادة، وقد كانت درع من ذهب تعرفه بها العرب. والشاهد فيه: بدني بمعنى درعي، وإن كان إطلاق البدن على الدرع في الأصل مجاز علاقته المجاورة، أو المحلية.

أحكمت: قال الله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ﴾².

ذكر الزمخشري أنّ قوله تعالى: ﴿أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ﴾ بمعنى: «نظمت نظماً رصيناً محكماً لا يقع فيه نقص، ولا خلل كالبناء المحكم المرصف، ويجوز أن يكون نقلاً بالهمزة من «حكمت» بضم الكاف إذا صار حكيماً، أي: جعلت حكيمة كقوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾³. وقيل منعت من الفساد من قولهم: أحكمت الدابة إذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجراح»⁴. فالظاهر أنّ الزمخشري قد ذكر في تفسيرها ثلاثة أوجه:

- الإحكام وهو الإتقان كالبناء المرصوف، أي نظمت نظماً رصيناً متقناً.
- يجوز أن تكون للنقل من حكم بضم الكاف.
- ويجوز أن يكون من قولهم أحكمت الدابة إذا وضعت لها الحكمة؛ لمنعها من الجراح.

وقد أورد من العربية ما يجوز هذا الوجه الأخير إذ يقول جرير:

أَبْنِي حَنِيفَةً أَحْكَمُوا سَفْهَاءَكُمْ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَغْضِبَا⁵

في هذا البيت ضرب من التهديد إذ يقول: يا بني حنيفة عليكم أن تمنعوا سفهاءكم عني كما تمنع الدابة بالحكمة، فإن غضبي شديد لا يطاق. والشاهد فيه: أحكموا سفهاءكم

¹ البيت من الوافر لعمرو بن معد يكرب في الكشف، ج 2، ص 240

² - هود، من الآية 01.

³ - لقمان، الآية 02.

⁴ - الكشف، ج 2، ص 246

⁵ - البيت من الكامل، لجرير، في ديوانه، ص 50.

بمعنى امنعوهوم من الفساد فهم محكمون، والآيات محكمات ممنوعة من الفساد.

تجهلون: قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾¹.

قال الزمخشري: «تَجْهَلُونَ تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم أراذل»². ثم استشهد بقول عمرو بن كلثوم بما يفسر معنى تَجْهَلُونَ إذ يقول:

ألا لا يجهلنَّ أحدٌ علينا [فنجهل فوق جهل الجاهلينا]³؟

أي: لا يسفهن أحد علينا فيبدأننا بالشرّ فنجازيه فوق فعله بنا، أو فوق جهل كل جاهل وزيادة عليه. والشاهد فيه: دلالة الجهل على التسافه.

البخس: قال تعالى: ﴿لَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾⁴

ذكر الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية: «البخس الهضم والنقص، ويقال للمكس البخس»⁵. ويشهد على صحة هذه الدلالة قول زهير:

[أفي كل أسواق العراق إتاوة] وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم؟⁶

إذ يعبر الشاعر زهير عن ضجره ممّا يحدث في أسواق العراق من إتاوات ومكوس من لدن ملوكها. والشاهد فيه: قوله مكس درهم أي بخس درهم ونقصه، ولهذه الكلمة من الدلالة ما يفسر قوله تعالى: ﴿لَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾.

الغيابة: قال الله تعالى: ﴿وَأَلْقَوْهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ﴾⁷.

ذكر الزمخشري: أنّ غيابة الجبّ في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَوْهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ﴾: «هي غوره

¹ - هود، من الآية 29.

² - الكشاف، ج2، ص 257.

³ - البيت من الوافر، لعمرو بن كلثوم، في شرح المعلمات السبع ص191

⁴ - هود من الآية 85

⁵ - الكشاف ج2 ص271

⁶ - البيت من الطّويل، لزهير، في لسان العرب، (مكس) والكتاب ج3 ص 95.

⁷ - يوسف، من الآية 10.

وما غاب منه عن عين الناظر وأظلم من أسفله»¹. وجاء في مجاز القرآن لأبي عبيدة: «**﴿فِي غَيْابَةِ الْجُبِّ﴾** مجازها: أن كل شيء غيب عنك شيئاً فهو غيابة»². ولذا اعتبر بيت المنخل اليشكري شاهداً لغويّاً على صحّة ما ذهب إليه الزمخشري، وأبو عبيدة في تحديد الدلالة اللغويّة للغيابة إذ يقول الشاعر:

فإن أنا يوماً غَيَّبْتَنِي غَيَابَتِي فسيرُوا بسيري في العشيرة والأهل³

مخاطباً قومه قائلاً لهم: إذا مت وغُيبت؛ فحافظوا على ذكراري، وسيروا سيرتي في الأهل والعشيرة. والشاهد فيه: غيبتني وما لها من ارتباط بقوله: «**وَأَلْقُوهُ فِي غَيْابَةِ الْجُبِّ﴾**.

هَمَّ بِالْأَمْرِ: قال الله تعالى: «**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾**⁴

ذكر الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية الكريمة: «همّ بالأمر إذا قصدته وعزم عليه»⁵. وقد جاء تأكيد هذا المعنى في قول الشاعر:

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكْتُ عَلَى عَثْمَانَ تَبْكِي حَالِئُهُ⁶

وفي هذا البيت يقول: إنّه همّ بقتل عثمان رضي الله عنه، وكاد أن يفعل، ولَيْتَنَهُ فعل ليترك نساءه يبكينه. والشاهد فيه: هممت، وما لها من صلة بقوله تعالى: «**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾** على أنّ الهمّ هو: القصد من همّ بالأمر قصدته، وعزم عليه.

شَغَفَهَا: قال الله تعالى: «**تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾**⁷.

قال الزمخشري: «**﴿شَغَفَهَا﴾** خرق حبه شغاف قلبها حتّى وصل إلى الفؤاد. والشغاف: حجاب القلب، وقيل جلدة رقيقة يقال لها: لسان القلب»⁸. قد شغفها بالغين: «وهو من شغاف

¹ - الكشاف، ج 2، ص 304 - 305.

² - مجاز القرآن لأبي عبيدة، محمد فؤاد سزكين. مكتبة الخانجي. دط. القاهرة. دت. ج 1، ص 302.

³ - البيت من الطويل للمنخل في البحر المحيط ج 5 ص 285.

⁴ - يوسف، من الآية 24.

⁵ - الكشاف، ج 2، ص 313.

⁶ - البيت من الطويل لعمير بن ضابئ بن الحارث البرجمي. في خزنة الأدب ج 9 ص 323.

⁷ - يوسف، من الآية 30.

⁸ - الكشاف، ج 2، ص 317.

القلب، وهو غلافه. والمعنى أنه أصاب شغاف قلبها، وأن حبه صار محتويا على قلبها كاحتواء الشغاف عليه»¹. وهو أيضا «على أكثر القول: غلاف من أغشية القلب، وقيل: سويداء القلب، وقيل الشَّغاف: داء يصل إلى القلب»². وقد استشهد الزمخشري على أن الشَّغاف ما يقال له لسان القلب بقول النَّابِغَة:

وقد حالَ همَّ دونَ ذلكِ وإلجُ مكانَ الشَّغافِ تَبَّغِيهِ الأصابعُ³

حيث في هذا البيت يقدّم النَّابِغَة اعتذاره إلى التَّعمانِ ممَّا قذفه به الواشون. والشَّاهد فيه: كلمة الشَّغاف بمعنى لسان القلب، وما ترتبط به من قوله تعالى: «﴿قَدْ شَغَفَهَا﴾» وذكر الزمخشري: «أنه قرئ شغفها بالعين من شغف البعير إذا هنأه، فأحرقه بالقطران»⁴ وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

[أنتقتاني وقد شغفت فؤادها] كما شغف المهنوءة الرجل الطالي⁵

في هذا البيت يشبه الشاعر حال محبوبته وحال قلبها منه، بحال الناقة التي تحرق بالقطران لعلاج جرحها. وقد أراد الشاعر بالإحراق العشق مجازا، كما أحرق الإبل الطالي لها بالهناء. والشَّاهد فيه: شغفها على قراءة من قرأ بعين مهملة غير أن صاحب الدرّ المصون ينفي هذه الرواية ويقول: «والناس إنما يروونه بالمعجمة، ويفسرونه بأنه أصاب حبي شغاف قلبها، أي أحرق حجابها، وهي جليلة رقيقة دونه، (كما شغف) أي كما أحرق وبالغ المهنوءة، أي: المطلية بالهناء وهو القطران، ولا ينشدونه بالمهلة»⁶.

¹ - إملاء ما من به الرّحمان، للعكبري. دار الكتب العلمية. دط. بيروت. دت. ج 2، ص 52.

² - المحرر الوجيز، ج 3، ص 237.

³ - البيت من الطويل، للنابغة الذبياني في ديوانه ص 53.

⁴ - الكشاف، ج 2، ص 317.

⁵ - البيت من الطويل لامرئ القيس. في ديوانه ص 335.

⁶ - الدرّ المصون، ج 6، ص 476.

مَتَّكَأ: قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً¹﴾.

ذكر الزمخشري في تفسير هذه الآية الكريمة: «﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾ ما يتكئن عليه من نمارق... وقيل متكأ مجلس طعام؛ لأنهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين... وقيل متكأ: طعاما، من قولك اتكأنا عند فلان طعمنا على سبيل الكناية؛ لأن من دعوته ليطعم عندك اتخذت له نكأة يتكئ عليها»². فيفهم من هذا أن المتكأ: هو ما يتكأ عليه من وسادة وغيرها، أو هو مجلس الطعام أو الطعام ذاته» وقيل المتكأ مكان الاتكاء، وقيل طعام يحز حزا وهو قول مجاهد. قال القتيبي: يقال اتكأنا عند فلان أي: أكلنا»³. ويشهد على هذا المعنى الأخير قول جميل:

فَطَلْنَا بِنِعْمَةٍ وَاتَّكَأْنَا وَشَرَبْنَا الْحَلَالَ مِنْ قُلْلِهِ⁴

في هذا البيت يتحدث جميل عن موقف له مع صاحبتة، نعم فيه بقربها، وسعد فيه بلقائها فجلس، فطعم وشرب ما لذ وطاب. والشاهد فيه: اتكأنا بمعنى أكلنا؛ لأن «قوله شربنا مرشح لمعنى اتكأنا بأكلنا»⁵. وذكر الزمخشري أيضا أنه روى أن الحسن قرأ «متكأ بالمد كآته مفتعال وذلك لإشباع فتحة الكاف»⁶، وهي كقراءة الجمهور ﴿مُتَّكَأً﴾ إلا أنه أشبع الفتحة فتولد منها ألف كقول ابن هرمة يرثي ابنا له:

[أنت عن الغوائل حين ترمي ومن ذم الرجال] بِمُنْتَرَاكِحِ⁷

مطمئنا إياه بعد موته بأنه أصبح في منأى عن الغوائل، وذم الرجال. والشاهد فيه: إشباع فتحة الزاي فتولدت الألف، وذلك له صلة بمن قرأ متكأ مشبعا فتحة الكاف

¹- يوسف، من الآية 31.

²- الكشاف، ج2، ص 317-318.

³- الدرّ المصون، ج6، ص 477.

⁴- البيت من الخفيف لحميد بن ثور. وقيل لجميل بن معمر في خزنة الأدب ج4، ص199.

⁵- الدرّ المصون، ج6، ص 477.

⁶- الكشاف، ج2، ص 318.

⁷- البيت من الوافر، لابن هرمة في خزنة الأدب، ج7، ص557.

فتولدت الألف أيضا، كقولهم ينباع في ينبع في قول الشاعر:

يُنْبَاعُ [من ذفرى أسيل حرة زيافة مثل الفنيق المكدم]¹

وذكر الزمخشري أيضا: «وقرى متكًا، وهو الأترج»². وهي قراءة «ابن عباس، وابن عمر ومجاهد، وقتادة، والضحاك، والجحدي، وأبان بن تغلب»³. وأنشد ليدل على وجهة هذه القراءة قول الشاعر:

فأهدت مُتَكَةً لبني أبيها تخب بها العثممة الوقاح⁴

إذ يقول: إنها أهدت إخوتها متكة ضخمة شديدة الضخامة تخب بها الناقة الصلبة «وكأنها الأترجة التي ذكرها أبو داود في سننه أنها شقت بنصفين وحُملا كالعدلين على جمل»⁵.

أكبرنه: قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾⁶.

ذكر الزمخشري: أن معنى ﴿أَكْبَرْنَهُ﴾: «أعظمه، وهبن ذلك الحسن الزائع والجمال الفائق... وقيل أكبرنه بمعنى حزن والهاء للسكت، يقال: أكبرت المرأة إذا حاضت، وحقيقته: دخلت في الكبر، لأنها بالحيض تخرج من حد الصغر إلى حد الكبر»⁷. فالفيصل بين المعنيين هو الهاء، فإن اعتبرت هاء ضمير يوسف فأكبرنه بمعنى أعظمه وهبن حسنه فإن كانت هاء السكت فأكبرن بمعنى حزن، وكأن أبا الطيب المتبّي أخذ من هذا التفسير قوله:

¹ - البيت من الكامل لعنترة بن شداد من معلقته في شرح المعلقات السبع للزوزني. تح عمر حافظ سلبم سعيدة. شركة

القدس للنشر والتوزيع. ط1. القاهرة. 2009. ص211

² - الكشاف، ج 2، ص 318.

³ - الدرّ المصون، ج 6، ص 478.

⁴ - البيت من الطويل، بلا نسبة، في الدرّ المصون، 4 / 174.

⁵ - الكشاف، ج 2، ص 318.

⁶ - يوسف، من الآية 31.

⁷ - الكشاف، ج 2، ص 319.

خَفِ اللّٰهَ واسْتَرِ ذَا الْجَمَالِ بَبْرِقِ فَإِنْ لَحْتَ حَاضَتْ فِي الْخُدُورِ الْعَوَاتِقُ¹
 إذ يقول: اتق الله واستر جمال وجهك ببرقع؛ لأنك إذا ظهرت حاضت خيار النساء
 وهنّ في خدورهنّ لما ينظرن إلى جمالك الفائق الباهر. والذي استوحاه أبو الطيّب المتنبّي
 من معنى الآية هو استخدامه حاضت للعواتق بمعنى أكبرن. وهذا مما يستأنس به.

حَصَّصَ: قال الله تعالى: ﴿قَالَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصَّصَ الْحَقُّ﴾².

ذكر الزمخشري في تفسير هذه الآية الكريمة أنّ: ﴿حَصَّصَ الْحَقُّ﴾ أي: ثبت واستقرّ
 وقرئ حُصِّصَ على البناء للمفعول، وهو من حصص البعير إذا ألقى ثفناته للإناخة³
 فالثفنة، كما جاء في لسان العرب «من البعير والناقة الركبة، وما مسّ الأرض من كركرتة
 وسعداناته وأصول أفضاه»⁴. فالقاء الثففات على الأرض دليل على الثبات والاستقرار
 وهذا ما يؤكده قول الشاعر:

فَحَصَّصَ فِي صُمِّ الصِّفَا ثَفْنَاتِهِ وَنَاءً بَسَلْمَى نَوَاءً ثُمَّ صَمَّمَا⁵

يتحدّث الشاعر في هذا البيت عن محبوبته سلمى، والجمال الذي حملها، وقد ألقى
 ثفناته للإناخة ثم حمل سلمى، ورحل بها مصمما على إبعادها. والشاهد فيه: كلمة
 حصص بمعنى ثبت واستقرّ.

المِحَال: قال الله تعالى: ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾⁶.

ذكر الزمخشري أنّ: «المِحَال من المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة، ومنه
 تمحلّ لكذا، إذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه، ومحل بفلان إذا كاده، وسعى به إلى
 السلطان... والمعنى أنه شديد المكر والكيد لأعدائه يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون

¹ البيت من الطويل لأبي الطيب المتنبّي في الدر المصون ج6 ص480

² - يوسف، من الآية 51.

³ - الكشف، ج2، ص331.

⁴ - لسان العرب (ثفن).

⁵ - البيت من الطويل، لحميد بن ثور في لسان العرب (صمم).

⁶ - الرّعد، من الآية 13.

... ويجوز أن يكون المعنى: شديد الفقار ويكون مثلاً في القوة والقدرة¹. وجاء في لسان العرب: «وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ قيل معناه شديد القدرة والعذاب، وقيل شديد القوة والعذاب... والمحال من الله: العقاب وبه فسّر بعضهم قوله تعالى: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ وهو من الناس العداوة...»². يلاحظ أنّ هذه المعاني التي فسّر بها المحال في هذه الآية سواء التي ذكرها الزمخشري، أو التي ذكرها ابن منظور هي ذات دلالة واحدة: الشدة في الكيد والمكر والقوة. ويشهد على صحة هذه المعاني قول الأعشى:

فرعُ نبعٍ يهتسُّ في عُصْنِ المَجْـ د غزير الندى شديد المَحَالِ³

يصف ممدوحه بأنّه فرعُ أصل كريم له مجده وكرمه، وله دهاؤه وشدة محاله وكيده للأعداء. والشاهد فيه قوله: شديد المحال، أي شديد الكيد، وهذا له صلة بتفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ أي: شديد الكيد والمكر لأعدائه.

تهوي: في قوله تعالى: ﴿فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾⁴.

قال الزمخشري: «﴿تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾: تسرع إليهم، وتطير نحوهم شوقاً ونزاعاً»⁵. وجاء في لسان العرب: قال الفراء: تهوي إليهم تسرع إليهم»⁶. وقد استشهد الزمخشري على صحة المعنى الذي أشار إليه بقول الشاعر:

[وإذا رميتَ به الفجاج رأيتَه] يهوي مَخَارِمَهَا هُوِيَّ الأَجْدَلِ⁷

أي: إذا قذفت له حصاة في الفجاج رأيتَه يهوي مخارمها، أي يسرع في سلوك مسالكها الضيقة كهوي الصقر، أي كإسراع الصقر في الطيران. والشاهد فيه: يهوي بمعنى يسرع

¹ - الكشاف، ج 2، ص 366.

² - لسان العرب مادة (محل).

³ - البيت من الخفيف للأعشى في ديوانه، ص 07.

⁴ - إبراهيم، من الآية 37.

⁵ - الكشاف، ج 2، ص 400.

⁶ - لسان العرب، مادة (هوى).

⁷ - البيت من الكامل لأبي كبير الهذلي في كتاب شرح أشعار الهذليين. للسكري. تح عبد الستار أحمد فراج. مكتبة دار

العروبة دط . القاهرة. دت. ص 1074.

وكذا في الآية الكريمة.

الأصفاد: قال الله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾¹

قال الزمخشري: «والأصفاد: القيود، وقيل الأغلال»². وجاء في لسان العرب: «الصفاد: حبل يوثق به، أو غلّ وهو الصفد، أو الصفد والجمع الأصفاد»³. فالأصفاد جمع لصفد وهو القيد أو الغلّ. وقد استشهد الزمخشري على ذلك بقول الشاعر:

زيد الخيل قد لاقى صفاداً يعرض بساعدٍ ويعظم ساق⁴

يقول: إنّ زيد الخيل وقد سمّاه النبيّ ﷺ زيد الخير، قد لاقى من أعدائه صفادا عض بساعده وساقه. والشاهد فيه: كلمة صفاد التي فسرت بها الأصفاد في الآية ﴿مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾.

وذكر في معرض تفسيره قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَيْنَ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾⁵ «والصفد القيد وسمي به العطاء، لأنه ارتباط بالمنعم عليه، ومنه قول عليّ رضي الله عنه من برّك فقد أسرك، ومن جفاك فقد أطلقك، ومنه قول القائل: غلّ يدا مطلقها وأرق رقبة معتقها. وقال حبيب إن العطاء إيسار، وتبعه من قال:

[وقيدت نفسي في ذراك محبة] ومن وجد الإحسان قيّداً تقيّداً⁶»⁷

أي قد أصبحت مرتبطاً بك مقيداً بحبي لك في رحابك؛ لأن إحسانك إليّ قيد لا أستطيع الفكك منه. والشاهد فيه: اعتبار العطاء والإحسان قيّداً، كما اعتبر غيره العطاء إيساراً.

¹ - إبراهيم، الآية 49.

² - الكشاف، ج 2، ص 406.

³ - لسان العرب، مادة (صفد).

⁴ - البيت من الوافر، لسلامة بن جندل، الكشاف، ج 2، ص 406.

⁵ - سورة ص الآية 38.

⁶ - البيت من الطويل للمتنبّي في الكشاف ج 4 ص 88-89

⁷ - الكشاف ج 4 ص 88-89

بِقَطْع: في قوله تعالى: ﴿فَأَسْرِبَ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾¹.

قال الزمخشري: «وَالْقِطْعُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ»². وجاء في لسان العرب: «وَالْقِطْعُ ظِلْمَةٌ آخِرُ اللَّيْلِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَسْرِبَ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾ قال الأخفش: بسواد الليل»³. وقد استشهد الزمخشري على صحّة ما ذكر بقول الشاعر:

افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قِطْعِ لَيْلٍ بِهِيم⁴
يقول لصاحبه افتحي باب البيت، وانظري في النجوم وقَدري كم بقي لنا حتّى قِطْعِ اللَّيْلِ أَي: حتّى ظلمة آخره؛ لأنّه كان يحبّ ويتمنّى طول اللَّيْلِ لتظلّ معه. والشاهد فيه: قطع بهيم، أي: ظلمة آخر اللَّيْلِ الشّدِيد، وهذا له صلة بالآية الكريمة.

عَضِين: قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾⁵.

قال الزمخشري: «﴿عِضِينَ﴾ أَجْزَاءُ جَمْعِ عِضَةٍ، وَأَصْلُهَا عِضْوَةٌ فِعْلَةٌ مِنْ عِضَا الشَّاةِ إِذَا جَعَلَهَا أَعْضَاءً»⁶. وجاء في الدرّ المصون: «عِضِينَ جَمْعُ عِضَةٍ، وَهِيَ الْفِرْقَةُ فَالْعِضِينَ الْفِرْقُ، وَمَعْنَى جَعَلَهُمُ الْقُرْآنَ كَذَلِكَ: أَنَّ بَعْضَهُمْ جَعَلَهُ شِعْرًا، وَبَعْضُهُمْ سِحْرًا، وَبَعْضُهُمْ كَهَانَةٌ»⁷. وقد استشهد الزمخشري على صحّة ما ذهب إليه في كون عِضِينَ بِمَعْنَى أَجْزَاءٍ، أَوْ فِرْقٍ، كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ صَاحِبُ الدَّرِّ الْمِصُونِ، بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

وليس دين الله بالمُعَضِّي⁸

أي دين الله ليس شتاتًا مفرّقًا، ولا مجزأً معضيًا. والشاهد فيه: مُعَضِّي بِمَعْنَى مُجْزَأً.

¹ - الحجر، من الآية 65.

² - الكشاف، ج 2، ص 419.

³ - لسان العرب، مادة (قطع).

⁴ - البيت من الخفيف، بلا نسبة في لسان العرب (قطع).

⁵ - الحجر، الآية 91.

⁶ - الكشاف، ج 2، ص 425.

⁷ - الدرّ المصون، ج 7، ص 182.

⁸ - الرجز لرؤبة بن العجاج. تح . وليم بن الورد. ص 81

تَخَوَّفَ: قال الله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾¹

قال الزمخشري: «﴿عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ متخوفين، وهو أن يهلك قوما قبلهم، فيتخوفوا فيأخذهم بالعذاب، وهم متخوفون متوقعون، وهو خلاف قوله: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ وقيل هو من قولك: تخوفته وتخونته إذا تنقصته»². وقال صاحب المحرر الوجيز: «﴿عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ أي على جهة التخوف، والتخوف النقص... ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خفي عليه معنى التخوف في هذه الآية، وأراد الكذب إلى الأمصار يسأل عن ذلك، حتى سمع هذا البيت [الشاهد الذي ذكره الزمخشري]، ويروى أيضا أنه جاءه فتى من العرب وهو قد أشكل عليه أمر لفظة التخوف فقال له: يا أمير المؤمنين إن أبي يتخوفني مالي فقال عمر: الله أكبر ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾»³. فالتخوف هو التنقص أو النقص. إذ يقول الشاعر:

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامَكَ قَرْدًا كَمَا تَخَوَّفَ عَوْدَ النَّبْعَةِ السَّفْنُ⁴

يقول: «تنقص رحلها سنامها المرتفع الذي تنقب من كثرة السفر، كما تنقب المبرد عود النبعة»⁵. والشاهد فيه: تخوف بمعنى تنقص. والذي فسر به قوله تعالى: ﴿عَلَى تَخَوُّفٍ﴾.

تَجَارُونَ: قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَارُونَ﴾⁶

قال الزمخشري عند تفسير هذه الآية الكريمة: «﴿فَإِلَيْهِ تَجَارُونَ﴾ فما تتضرعون إلا

¹ - النحل، الآية 47.

² - الكشاف، ج 2، ص 441.

³ - المحرر الوجيز، ج 3، ص 396.

⁴ - البيت من البسيط، لأبي كبير الهذلي، بحسب ما روي عن سيدنا عمر رضي الله عنه أنه سأل وهو على المنبر عن معنى التخوف. إلا أن الزمخشري ينسبه إلى زهير في الكشاف ج 2، ص 441. وفي أساس البلاغة مادة (خوف)

⁵ - هامش الكشاف، ج 3، ص 439 (تحقيق عادل أحمد عبد الموجود. وعلي محمد معوض).

⁶ - النحل، من الآية 53.

إليه، والجوار، رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة»¹. وجاء في لسان العرب: «جأر يجأر وجؤارا رفع صوته مع تضرّع واستغاثة... وقال ثعلب: هورفع الصوت إليه بالدعاء وجأر الرّجل إلى الله عزّ وجلّ إذا تضرّع بالدعاء»² فالجوار - وهو بصيغة أسماء الأصوات - رفع الصوت بالدعاء، والتضرّع لله، والاستغاثة به. وقد استشهد الزمخشري على هذا المعنى بقول الأعشى يصف راهبا إذ يقول:

يُراوحُ من صلوات الملبِ كِ طَوْرًا سُجُودًا وَطَوْرًا جُؤارًا³

يصف هذا الزّاهب، وهو يراوح في عبادته لرّبّه فمرّة ساجدا مسرا بعبادته، وطورا يجهر بالدعاء مستغيثا متضرّعا. والشاهد فيه: الجوار بمعنى رفع الصوت بالدعاء، وما له من صلة بقوله تعالى: ﴿فَالْيَهُ تَجَارُونَ﴾.

سكرا: قال تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾⁴.

ذكر الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية الكريمة أن: «السكر: الخمر... وقيل: السكر: النبيذ... وقيل: السكر الطعم»⁵. وأنشد قول الشاعر:

جُعِلت أَعْرَاضُ الْكِرَامِ سَكْرًا⁶

أي: أخذ يتنقل في أعراض الكرام، كأنها سكر يمتّع به نفسه، فانتهاك أعراض الناس تخمّر. وفي الشاهد سكر بمعنى طعم، وبه فسرت كلمة (سكرا) في هذه الآية الكريمة.

حفدة: قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾⁷

قال الزمخشري: «والحفدة جمع حافد، وهو الذي يحفد، أي يسرع في الطاعة والخدمة

¹ - الكشاف، الآية 53.

² - لسان العرب مادة (جأر).

³ - البيت من المتقارب، للأعشى. في ديوانه ص 53

⁴ - النحل، من الآية 67.

⁵ - الكشاف، ج 2، ص 448.

⁶ - البيت من الرجز، بلا نسبة. في الكشاف، ج 2، ص 448

⁷ - النحل، من الآية 72.

ومنه قول القانت: إليك نسعى ونحفد... واختلف فيهم فقيل: هم الأختان على البنات وقيل: أولاد الأولاد وقيل: أولاد المرأة من الزوج الأول، وقيل المعنى وجعل لكم حفدة أي خدما يحفدون في مصالحكم ويعينوكم، ويجوز أن يراد بالحفدة: البنون أنفسهم كقوله: ﴿سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾¹ كأنه قيل: وجعل لكم منهن أولادا هم بنون وهم حافدون، أي: جامعون بين الأمر¹. وجاء في لسان العرب «الحفد في الخدمة والعمل الخفة»². فالحفد في معناه العام الإسراع في الطاعة والصبر، ومنه ما جاء في دعاء القنوت: وإليك نسعى، ونحفد. ومنه أيضا قول الشاعر:

حَفَدَ الْوَلَائِدَ بَيَّنَّهُنَّ وَأُسْلِمَتِ بِأَكْفُهُنَّ أَرْمَةَ الْأَجْمَالِ³

يصور الشاعر مدى الترف الذي بلغه من يتحدث عنهن، فالولائد يسرعن في خدمتهن وبأيديهن أزمة الجمال يقدها لهن. والشاهد لفظة حفد بمعنى أسرع، وهذا ما فسرت به الآية الكريمة فالحافد هو المسرع في الخدمة والطاعة.

وَلَا تَقْفُ: قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾⁴

قال الزمخشري: «﴿وَلَا تَقْفُ﴾ ولا تتبع، وقرئ: ولا تقف يقال: قفا أثره وقافه، ومنه القافة يعني: ولا تكن في اتباعك ما لا علم لك به من قول أو فعل، كمن يتبع مسلكا لا يدري أنه يوصله إلى مقصده فهو ضال. والمراد النهي عن أن يقول الرجل ما لم يعلم، وأن يعمل بما لا يعلم، ويدخل فيه النهي عن التقليد دخولا ظاهرا؛ لأنه اتباع بما لا يعلم صحته من فساد»⁵. فالقفو أو القافة اتباع ما لا علم لنا به من قول أو فعل، ومنه التقافي، أي: المتابعة بالقذف من قفوته إذا أتبعته بالغيبة. وقد أنشد الشاعر التابغة:

¹ - الكشاف، ج 2، ص 450 - 451.

² - لسان العرب، (حفد).

³ - البيت من الكامل، بلا نسبة، في اللسان، (حفد).

⁴ - الإسراء من الآية 36

⁵ - الكشاف ج 2 ص 487-488

ومثلُ الدُّمى شُمُّ العرانيين ساكنٌ بهنَّ الحياء لا يُشعِن التَّقافيا¹
 يصف بعض النسوة بأنهنَّ جميلات كالدمى معتزات بأنفسهنَّ فيهنَّ أدب وحياء لا
 يشيع بينهنَّ التَّقاذف. والشَّاهد فيه: عدم التَّقافي، وهو ما يناسب تفسير الآية الكريمة: ﴿وَلَا
 تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾. وقال الكمي: **تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**.

ولا أرمي البريِّ بغيرِ ذنب ولا أقفو الحواصنَ إن قُفينا²
 أي: ليس من خلقه رمي المحصنات العفيفات، ولا يتبع العفاف الحواصن بالقذف.
 والشَّاهد فيه: أقفو، وما لها من علاقة بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ﴾.

تبيعا: قال الله تعالى: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ
 الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾³.

قال الزمخشري: «التببع المطالب من قوله: ﴿فَاتَّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾⁴ أي: مطالبة... يقال فلان
 على فلان تببع بحقه، أي مسيطر عليه، مطالب له بحقه»⁵. وقد استشهد الزمخشري على
 ذلك بقول الشماخ إذ يقول:

[يلوذ ثعالبُ الشرقين منها] كما لاذ الغريمُ من التَّبِيع⁶
 يصف عقابا تهرب منه ثعالب الشرقين، وهو اسم موضع، كما لاذ وهرب الغريم من
 التببع، أي: الدائن المطالب. وهو الشَّاهد في البيت.

¹ - البيت من الطويل للنابغة الجعدي في ديوانه 193 والبحر المحيط 36/2.

² - البيت من الوافر للكميت في تفسير القرطبي 258/10.

³ - الإسراء الآية 69.

⁴ - البقرة من الآية 178.

⁵ - الكشاف، ج 2، ص 499.

⁶ - البيت من الوافر للشماخ في ديوانه. ص 227 ولسان العرب (تببع).

تقرضهم: قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ﴾.¹

قال الزمخشري: «تَقْرِضُهُمْ» تقطعهم لا تقربهم من معنى القطيعة والصرم². وقد وضّح هذا المعنى أكثر صاحب التحرير والتنوير إذ يقول: «تَقْرِضُهُمْ» أي تتصرف عنهم، وأصل القرض القطع، أي: أتّها لا تطلع في كهفهم³؛ لأنّ «فم الكهف كان مفتوحا إلى الشمال الشرقي، فالشمس إذا طلعت تطلع على جانب الكهف، ولا تخترقه أشعتها، وإذا غربت كانت أشعتها أبعد عن فم الكهف منها حين طلوعها»⁴. وقد علّق على ذلك بقوله: «وهذا وضع عجيب يسره الله لهم بحكمته؛ ليكون داخل الكهف وبحالة اعتدال فلا ينتاب البلى أجسادهم، وذلك من آيات قدرة الله»⁵. فالقرض في أصل معناه القطع، ومدلوله في الآية لا تقربهم، بل تتصرف عنهم، ولا تطلع في كهفهم. للسبب الذي ذكره صاحب التحرير والتنوير. وقد استشهد الزمخشري على ذلك بقول الشاعر:

إلى طُعنٍ يقرضن أقوازَ مشرفٍ شمالا وعن إيمانهنّ الفوارس⁶

يقول: «قد كانت رعايتنا موجّهة إلى طعن في هوداجهن يقطعن التلال والآكام التي تلتف بجب مشرف»، وعلى إيمانهن الفرسان تحمي مسيرتهنّ⁷. والشاهد فيه: قوله «يقرضن» بمعنى يقطعن كما فسرت به «تَقْرِضُهُمْ» من الآية الكريمة.

الوصيد: قال الله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾.⁸

ذكر الزمخشري أنّ «الْوَصِيدِ»: الفناء وقيل العتبة وقيل الباب⁹ ثم أنشد البيت الآتي:

¹ - الكهف، من الآية 17.

² - الكشاف، ج 2، ص 522.

³ - التحرير والتنوير، ج 15، ص 278.

⁴ - المصدر نفسه، ج 15، ص 279.

⁶ - المصدر نفسه، ج 15، ص 279.

⁷ - البيت من الطويل لذي الرمة في ديوانه تح مجيد طراد. دار الكتاب العربي. ط 2 بيروت 1996. ص 388.

⁷ - الكشاف، ج 2، ص 522.

⁸ - الكهف، من الآية 18.

⁹ - الكشاف، ج 2 ص 523.

بأرض فضاء لا يُسدّ وصيدُها عليّ ومعروفي بها غير منكر¹
يقول: نزلت في أرض رحبة بادية ليس فيها بناء له وصيد، أي لا شيء يمنع عني
الضيفان، فأحساني بها معروف لا ينكره أحد. والشاهد فيه: الوصيد بمعنى الباب.

مصرفاً: قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾²

قال الزمخشري: «﴿مَصْرِفًا﴾: معدلاً»³. وقال صاحب التحرير والتنوير: «والمصرف: مكان
الصرف، أي: التخلّص والمجازة، وفي الكلام إيجاز تقديره: وحاولوا الانقلاب، أو الانصراف
فلم يجدوا عنها مصرفاً أو مخلصاً»⁴. فالمصرف هو المعدل، أو المخلص. وقد ورد ذلك
في كلام العرب إذ يقول الشاعر:

أزهير هل عن شبية من مصرف [أم لا خلودَ لبازل متكلف]⁵
يخاطب زهيرة وقد لامته على البذل مع الشيب فأجابها: أنه لا مهرب ولا مفرّ من
الشيب، ولا يمنع البذل الخلود. والشاهد فيه: مصرف بمعنى معدل ومفرّ.

إمراً: قال تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا
لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾⁶.

ذكر الزمخشري في تفسيره لهذه الآية: «﴿جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ أتيت شيئاً عظيماً، من أمر
الأمر إذا عظم»⁷. فالأمر هو الشيء العظيم المتفاقم⁸، المفظع⁹. وقد استدلّ الزمخشري
على صحّة هذا المعنى بقول الراجز:

¹ - البيت من الطويل لزهير في خزنة الأدب ج3 ص10.
² - الكهف، من الآية 53.
³ - الكشاف، ج 2، ص 540.
⁴ - التحرير والتنوير، ج 15، ص 346.
⁵ - البيت من الكامل لأبي كبير الهذلي، شرح أشعار الهذليين، ص 1090.
⁶ - الكهف، من الآية 71.
⁷ - الكشاف، ج 2، ص 546.
⁸ - ينظر الدرّ المصون، ج 7، ص 528.
⁹ - ينظر التحرير والتنوير، ص 15، 375.

[لقد لقي الأقبام مني نكرا] دَاهِيَةً دَهْيَاءَ إِذَا إِمْرًا¹

أي: هو شديد النكاية بأعدائه. والشاهد فيه: كلمة إمر بمعنى داهية عظيمة. ولهذا الاستخدام علاقة بتفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتَنَا إِمْرًا﴾

حنانا: في قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾²

قال الزمخشري: ﴿وَحَنَانًا﴾ رحمة لأبويه وغيرهما وتعطفًا وشفقة وقيل: حنانا من الله عليه، وحنّ في معنى ارتاح واشتاق، ثم استعمل في العطف والرأفة³. فالحنان الشفقة والرحمة واللين «وجعل حنان يحيى من لدن الله إشارة إلى أنه متجاوز المعتاد بين الناس»⁴ وقد أنشد سيبويه في هذا المعنى:

وقالت: حنانٌ ما أتى بك ههنا أذو نسب أم أنت بالحي عارف⁵

لما رآته قالت له: أمري حنان ورحمة لك ما الذي حملك على المجيء هنا؟ ألك نسب في الحي أم أنت عارف به؟ وهي تعلم سبب مجيئه، ولكن تريد أن تلقنه الجواب ربما يسأل فيجيب بأحد هذين الجوابين. والشاهد فيه: دلالة حنان على الرحمة والتعطف، كما ورد ذلك في الآية الكريمة. ويعتبر البيت شاهدا أيضا على إضمار المبتدأ وجوبا نحو: (صبر جميل).

سريًا: قال الله تعالى: ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾⁶.

قال الزمخشري: «سئل النبي ﷺ عن السري فقال: هو الجدول»⁷. وذكر السمين الحلبي أنّ السري فيه قولان: «أحدهما: أنه الرجل المرتفع القدر... والمراد به في الآية عيسى بن مريم

¹ - الرجز، بلا نسبة، في لسان العرب (إمر)

² - مريم الآية 13.

³ - الكشاف ج3، ص09.

⁴ - التحرير والتنوير ج16، ص76.

⁵ - البيت من الطويل لمنذر بن درهم في خزنة الأدب 2 / 112. وفي شرح أبيات سيبويه 135/1.

⁶ - مريم الآية 24.

⁷ - الكشاف ج3، ص14.

عليه السلام... والثاني: أنه النهر الصغير ويناسبه ﴿فَكَلِي وَاشْرَبِي﴾¹ واشتقاقه من سري يسري الماء فيه فلامه على هذا ياء². وقد استشهد الزمخشري بقول لبيد على أن السري هو الجدول من الماء، كما جاء في حديث الرسول ﷺ. إذ يقول لبيد:

فتوسّطاً عُرِضَ السَّرِيُّ وَصَدَّعَا مسجُورَةً متجَاوِرًا قَلَامًا³

يصف حمارًا وحشياً وأثاناً توسطا ناحية النهر الصغير، وشقا بحركتهما عينا تفجرت خلال نبات القلام. والشاهد فيه: عرض السري بمعنى النهر الصغير، أو الجدول من الماء. **أثاناً:** قال الله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَانًا وَرِئِيًا﴾⁴.

قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿أَثَانًا﴾ «الأثان: متاع البيت، وقيل ما جدّ من الفرش والخرثي ما ليس منها»⁵. فالأثان هو متاع البيت الذي يتزين به حسن المنظر والهيئة، والخرثي منها الرديء، وفي هذا المعنى قال الشاعر:

تَقَادَمَ الْعَهْدُ مِنْ أُمِّ الْوَلِيدِ بِنَا دَهْرًا وَصَارَ أَثَانُ الْبَيْتِ خُرْثِيًا⁶

أي: طال العهد بأم الوليد حتى تبدل الأثان وتحول خرثيا باليا رديئا، وفيه تحسر على عدم اللقاء وتباعد عهده. والشاهد فيه: أثان البيت، والمقصود أمتعته ولوازمه بعد أن كان حسن المنظر والهيئة صار خرثيا رديئا باليا. وماله من صلة بقوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَانًا وَرِئِيًا﴾.

وردا: قال الله تعالى: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدًا﴾⁷

قال الزمخشري: «الورد: العطاش لأن من يرد الماء لا يرده إلا لعطش وحقيقة الورد:

¹ - مريم من الآية 26

² - الدر المصون ج7، ص584.

³ - البيت من الكامل للبيد في ديوانه ص170.

⁴ - مريم الآية 74.

⁵ - الكشف ج3، ص35

⁶ - البيت من البسيط بلا نسبة في الكشف ج3، ص35

⁷ - مريم الآية 86.

المسير إلى الماء»¹. وجاء في التحرير والتنوير: «الورد - بكسر الواو- أصله السير إلى الماء، وتسمى الأنعام الواردة وردا تسمية على حذف المضاف، أي: ذات ورد، كما يسمى الماء الذي يرده القوم وردا»². فالورد اسم أطلق على الجماعة العطاش الواردين للماء، وفي حقيقته السير، أو المسير إلى الماء. إذ يقول الشاعر:

ردي ردي وردَ قطاةٍ صمّا كُدْرِيَّةٍ أَعْجَبَهَا بَرْدُ الْمَاءِ³

أي: ردي الماء كورود قطاة صماء رمادية اللون أعجبها برد الماء، وفيه تشبيه الناقة بالقطاة في الخفة والسرعة. والشاهد فيه: الورد بمعنى المسير إلى الماء، أو السير إليه، وهو المعنى الذي فسرت به الآية.

هوى: في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾⁴

قال الزمخشري: «﴿هَوَى﴾ هلك، وأصله: أن يسقط من جبل فيهلك... ويقولون هوت أمه أو سقط سقوطا لا نهوض من بعده»⁵. وقال صاحب التحرير والتنوير: «و﴿هَوَى﴾ سقط من علو، وقد استعير هنا للهلاك الذي لا نهوض بعده، كما قالوا هوت أمه دعاء عليه»⁶. وقد استشهد الزمخشري على أن معنى هوى: سقط من أعلى بقول الشاعر:

هَوَى مِنْ رَأْسِ مَرْقَبَةٍ فَهُنَّتَ تَحْتَهَا كَبِدُهُ⁷

يرثي ابنه وقد سقط من فوق جبل عال؛ فمزقت كبده تحتها، أي: بجانبها. والشاهد فيه: "هوى" بمعنى هلك، وهو المعنى الذي فسرت به الآية .

¹ - الكشاف ج3، ص40-41.

² - التحرير والتنوير ج16، ص168.

³ - البيت من الرجز. بلا نسبة في الدر المصون ج3 ص643

⁴ - طه من الآية 81.

⁵ - الكشاف ج3 ص72

⁶ - التحرير والتنوير ج16، ص276.

⁷ - البيت من مجزوء الوافر لأعرابي. في الكشاف ج3 ص72

عَجَل : قال الله تعالى: **خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأْرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ**¹
 قال الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية: «وقيل "العجل" الطين بلغة حمير»².
 واستشهد على ذلك بقول أحد شعرائهم:

[النبع في الصخرة الصماء منبته] **وَالنَّخْلُ يَنْبْتُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْعَجَلِ**³
 أي: النبع ينبت في الصخرة الصماء، والنخل ينبت بين الماء والطين. والشاهد فيه:
 كلمة العجل بمعنى الطين. إلا أن صاحب التحرير والتنوير يعلق على هذا التفسير
 بقوله: «وأما من فسّر العجل بالطين، وزعم أنّها كلمة حميرية فقد أبعد وما أسعد»⁴. وإّما
 العجل هو السرعة.

لبوس : قال الله تعالى: **﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ ﴾**⁵
 قال الزمخشري: «اللبوس: اللباس»⁶، و«اللبوس بفتح اللام أصله اسم لكل ما يلبس»⁷
 أي: هو الشيء المعد للّبس. قال الشاعر:
 [البس لكل حالة لبوسها] **إِمَّا نَعِيمَهَا وَإِمَّا بُؤْسَهَا**⁸
 أي: البس لكل حالة ما يناسبها من اللّبس. والشاهد فيه: اللبوس بمعنى اللباس، أو
 اللّبس.

¹ - الأنبياء الآية 37.

² - الكشاف ج3 ص 103

³ - البيت من البسيط بلا نسبة في لسان العرب (عجل).

⁴ - التحرير والتنوير ج17، ص68.

⁵ - الأنبياء من الآية 80.

⁶ - الكشاف ج3، ص114

⁷ - التحرير والتنوير ج17، ص121.

⁸ - البيت من الرجز. لبببس الملقب بنعامه في الكشاف ج3 ص114

غمرتهم: قال الله تعالى: ﴿فَذَرَهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾¹.

قال الزمخشري: «الغمرة الماء يغمر القامة، فضربت مثلاً لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمائتهم، أو شبهوا باللاعبين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل»² فالغمرة: الماء الذي يغمر قامة الإنسان بحيث يكون عرضة للغرق، ثم استعيرت للدلالة عن الجهالة، أو شبهوا باللاعبين في غمرة الماء؛ لما هم عليه من الباطل كقول الشاعر:

لِيَالِي اللّٰهُوَ يَطْبِينِي فَأَتْبِعُهُ كَأَنْتِي ضَارِبٌ فِي غَمْرَةٍ لَعِبٌ³

أي: اللّٰهُ يدعوني في ليال كثيرة فأتبعه، كأنّي سابع في لجة من الماء تغمر القامة. والشاهد فيه: قوله في غمرة بمعنى الماء الذي يغمر قامة الإنسان، وقد شبهوا لما هم عليه من الباطل باللاعبين في غمرة الماء.

الفحشاء: قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾⁴.

قال الزمخشري: «الفحشاء والفاحشة ما أفرط قبحه»⁵. قال الشاعر:

[لَهْنَ نَشِيحَ بِالنَّسِيلِ كَأَنَّهَا] ضِرَائِرُ حَرَمِيٍّ تَفَاحَشَ غَارُهَا⁶

شبه أصوات القدور تنشج باللحم الذي طبخ فيها بأصوات ضرائر، وهن يصطخبن وقد تفاحشت الغيرة بينهن. والشاهد فيه: تفاحش غارها أي غرن غيرة فاحشة.

الأيامى: قال الله تعالى: ﴿وَأَنْكَحُوا الْأَيَّامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾⁷.

قال الزمخشري: «والأيامى للرجل والمرأة، وقد أم وآمت وتأيما: إذا لم يتزوجا بكرين كانا

¹ - المؤمنون الآية 54.

² - الكشاف ج3، ص170.

³ - البيت من البسيط لذي الرمة في ديوانه 27.

⁴ - النور من الآية 21.

⁵ - الكشاف ج3، ص195.

⁶ - البيت من الطويل بلا نسبة في لسان العرب (أيم).

⁷ - النور من الآية 32.

أو ثيبين»¹. فالأيم من لا زوج له سواء كان ذكرا أو أنثى، ويؤكد هذا قول الشاعر:
 فَإِنْ تَتَكَّحِي أَنْكِحْ وَأَنْ تَتَأَيَّمِي وَإِنْ كُنْتَ أَفْتَى مِنْكُمْ أَتَأَيَّمُ²
 يقول لمحبوته: إن تتزوجي أتزوج، وإن لم تتزوجي، وإن كنت أفتى منكم لم أتزوج.
 والشاهد فيه: تتأيمي بمعنى لم تتزوجي.

غراما: قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾³.

قال الزمخشري: «غَرَامًا هَلَاكًا وَخَسْرَانَا مَلْحًا لِأَزْمًا»⁴. وأنته «غلب إطلاقه على الشر المستمر»⁵. وقد استشهد على صحة هذا المعنى بالبيتين الآتيين:
 1. قال الشاعر:

وَيَوْمُ النَّسَارِ وَيَوْمُ الْجِيفَا رَفَكَانَا عَذَابَا وَكَانَا غَرَامَا⁶
 يقول: واقعة النسار وواقعة الجفار كانتا عذابا على أهلهما، وكانتا غراما، أي: هلاكاً لازماً لهم، وقيل شرا دائماً. والشاهد فيه: كلمة «غراما» بمعنى هلاكاً لازماً أو شرا مستمرا.
 2. وقال الآخر:

إِنْ يِعَاقِبُ يَكُنْ غَرَامَا وَإِنْ يُعْ طِ جَزِيلاً فَإِنَّهُ لَا يُيَالِي⁷
 يقول: إن يعاقب ممدوحه أعداءه يكن غراما، أي: هلاكاً ملازماً لهم، وإن يعط السائل عطاء جزيلاً، فإنه لا يبالي لشجاعته وجوده. والشاهد فيه: كالشاهد في البيت الذي قبله.

¹ - الكشاف ج3، ص206.

² - البيت من الطويل بلا نسبة في لسان العرب (أيم).

³ - الفرقان الآية 65.

⁴ - الكشاف ج3، ص258.

⁵ - التحرير والتنوير ج19، ص71.

⁶ - البيت من المتقارب لبشر ابن خازم. في الكشاف ج3 ص258

⁷ - البيت من الخفيف للأعشى. في ديوانه ص09

آثاماً: قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾¹.

قال الزمخشري: «والأثام جزاء الإثم بوزن الويال والنكال ومعناها»². وذكر صاحب الدر المصون³ أنها بمعنى العقوبة. «وهو أشد من الإثم»⁴. وقد استشهد الزمخشري على صحة هذا المعنى بما سمع عن العرب. إذ يقول الشاعر:

جزى الله ابن عروة حيث أمسى عَقُوقًا والعُقُوقُ له أَثَامٌ⁵

يدعو على ابن عروة أن يجزيه الله حيث أمسى عقوقا، وأن يكون ذلك جزاء ما ارتكب من آثام. والشاهد فيه: أن الأثام بمعنى جزاء الإثم.

ريع: قال الله تعالى ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيْعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾⁶.

قال الزمخشري: «قرئ بكل ريع بالكسر والفتح وهو المكان المرتفع»⁷. قال الشاعر المسيب بن علس:

في الآل يرفعها ويخفضها ريعٌ يلوخ كآئه سخل⁸

يصف الطريق في وسط السراب يعلو بها مرتفع ويعود فيهبط بها، كأنما هو ثوب يمني أبيض شديد النصاعة. والشاهد فيه: ريع بمعنى مرتفع.

الأعجمين: قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾⁹.

قال الزمخشري: «الأعجم الذي لا يفصح وفي لسانه عجمة واستعجام، والأعجمي مثله

¹ - الفرقان من الآية 68.

² - الكشاف ج 3 ، ص 259.

³ - الدر المصون ج 8 ، ص 502.

⁴ - التحرير والتنوير ج 19 ، ص 74.

⁵ - البيت من الوافر لشافع الليثي في لسان العرب (أثم)

⁶ - الشعراء الآية 128.

⁷ - الكشاف ج 3 ، ص 287.

⁸ - البيت من الكامل للمسيب بن علس في لسان العرب مادة (سحل)

⁹ - الشعراء الآية 198.

إلا أن فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تأكيداً وقرأ الحسن: الأعجميين، ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفهمون كلامه قالوا له: أعجم وأعجمي، شبهوه بمن لا يفصح، ولا يبين. وقالوا لكل ذي صوت من البهائم والطيور وغيرها أعجم¹. وقال تصديقا لهذا التفسير حميد بن ثور:

[ولم أر مثلي شاقه صوتٌ مثلها] ولا عربياً شاقه صوتٌ أعجماً²
يقول واصفا حمامة: لم أر مثلي أحب صوتا كصوتها، ولم أر عربياً شاقه صوت أعجمي كما شاقني صوتها. والشاهد فيه: أعجم للذي لا يفصح.
يعقّب: قال الله تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾³
قال الزمخشري: «﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾» لم يرجع يقال: عقب المقاتل إذا كرّ بعد الفرار⁴. أي لم يرجع على عقبه قال الشاعر:

فَمَا عَقَّبُوا إِذْ قِيلَ: هَلْ مِنْ مُعَقَّبٍ؟ ولا نزلوا يوم الكريمة منزلاً⁵
يصف قومًا بالجن بأنهم لا يكرون على عدوهم ليقاتلوه، ولا يعمدون لحربه حين يدعو داعيها. والشاهد فيه: «(فما عقبوا)» أي لم يقدموا، ولم يكروا.

شيعا: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾⁶.
قال الزمخشري: «﴿شِيَعًا﴾» فرقا يشيِّعونه على ما يريد، ويطيعونه. لا يملك واحد منهم أن يلوي عنقه⁷. وفي هذا المعنى قال الأعشى:

وبلدةٍ يرهب الجوابُ دُلجتها حتى تراه عليها يبتغي الشيعا⁸

¹ - الكشاف ج3، ص297.

² - البيت من الطويل لحميد بن ثور. في الكشاف ج3، ص297.

³ - النمل من الآية 10.

⁴ - الكشاف ج3، ص310.

⁵ - البيت من الطويل بلا نسبة. في الكشاف ج3، ص310.

⁶ - القصص من الآية 04.

⁷ - الكشاف ج3 ص347.

⁸ - البيت من البسيط للأعشى. في ديوانه ص103.

ورب مفازة يخاف المعتاد على السير من سيرها ليلا حتى يطلب من يساعده، ويقف إلى جانبه. والشاهد فيه: الشيعا، وما لها من صلة بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾. **جذوة:** قال الله تعالى: ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾¹.

قال الزمخشري: «الجدوة باللغات الثلاث. وقرئ بهن جميعا -العود الغليظ، وكانت في رأسه نار أو لم تكن»². الجدوة بضم الجيم أو كسره أو فتحه، وقد قرئ بهن جميعا، وهي العود الغليظ في رأسه نار، كما جاء في قول الشاعر:

وَأَلْقَى عَلَى قَبْسٍ مِنَ النَّارِ جَذْوَةً شَدِيدًا عَلَيْهِ حَرْهَا وَالتَّهَابُهَا³

يقول: واصفا من أعد نارا في الليل، فوضع على قبس الحطب نارا متأججة شديد الحر شديدة الالتهاب. والشاهد فيه: الجدوة بمعنى العود الغليظ الذي به نار. أما الجدوة بمعنى العود الغليظ الذي ليس به نار، فهي كما قال الشاعر:

بَاتَتْ حَوَاطِبُ لَيْلَى يَلْتَمَسْنَ لَهَا جَزَلَ الْجُدَى غَيْرَ خَوَّارٍ وَلَا دَعِرٍ⁴

أي: قضت حواطب ليلى ليلهن يجمعن لها الحطب الجزل الخالص من كل عود أجوف، أو ضعيف متآكل. والشاهد فيه: الجُدَى جمع جذوة، والجذوة هنا خالية من النار. **ردء:** قال الله تعالى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾⁵

قال الزمخشري: «يقال ردأته أعنته، والردء اسم ما يعان به، فعل بمعنى مفعول، كما أن الدفاء اسم لما يدفأ به»⁶. والشاهد على صحة استخدام هذا اللفظ بالمعنى المذكور قول سلامة بن جندل:

¹ - القصص من الآية 29.

² - الكشف ج3 ص362

³ - البيت من الطويل بلا نسبة في البحر المحيط 103/7.

⁴ - البيت من البسيط لابن مقبل في لسان العرب مادة (دعر)

⁵ - القصص من الآية 34.

⁶ - الكشف ج3، ص364.

وردني كل أبيض مشرفي شحيذ الحدّ عضبٍ ذي فئول¹
 أي: عمادي ومعوني كل سيف لي أبيض أصيل من مشارف الشام، رهيف الحدّ قاطع
 قد جرب. والشاهد فيه: كلمة ردني بمعنى اسم ما يعان به.
عضدك: قال الله تعالى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾².
 قال الزمخشري: «العضد: قوام اليد، وبشدتها تشدد»³. وقد استشهد على ذلك بقول
 الشاعر:

أبني لبئني لستم بيدي إلا يدا ليست لها عضد⁴
 يعير طرفة بني لبيني بأنهم ليسوا بيد يستند إليها إلا مثل يد لا عضد لها، أي ليست
 بذات قوة. والشاهد فيه: ليست لها عضد، أي ليست لها شدة، ولا بذات قوة.
يرجو: قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾⁵.
 قال الزمخشري: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ﴾ من كان يأمل تلك الحال، وأن يلقى فيها
 الكرامة من الله والبشر. وقيل: ﴿يَرْجُو﴾ يخاف من قول الهذلي في صفة عسال:

إذا لسعته الدبر لم يَرْجُ لسعها [وحالفها في بيت نوب عواسل]⁶⁷
 أي: إذا لسعته الدبر لم يخف لسعها ولازمها، ولم يكف عن جمع عسلها. والشاهد
 فيه: يرجو بمعنى يخاف، وهو أحد المعاني التي أشار إليها الزمخشري لكلمة: يرجو.
ختار: قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَجْدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾⁸.

قال الزمخشري: «الختار: أشد الغدر. ومنه قولهم: إنك لا تمد لنا شبرا من غدر إلا مددنا

¹ - البيت من الوافر لسلامة بن جندل في الدر المصون. ج. 8. ص. 676

² - القصص من الآية 35.

³ - الكشاف ج 3، ص 364.

⁴ - البيت من الكامل. لأوس بن حجر في ديوانه ص 21 ولطرفة بن العبد في ديوانه ص 33.

⁵ - العنكبوت الآية 05.

⁶ - البيت من الطويل لأبي ذؤيب الهذلي في الكشاف ج 3، ص 391.

⁷ - الكشاف ج 3، ص 391.

⁸ - لقمان من الآية 32.

لك باعا من ختر»¹. كما جاء في قول الشاعر:

وَإِنَّكَ لَوِ رَأَيْتَ أَبَا عَمِيرٍ مَلَأَتْ يَدَيْكَ مِنْ غَدْرٍ وَخَثْرٍ²

يقول الشاعر: إنَّ أبا عمير مثل في الغدر والختر، وإنَّك لو رأيتَه رأيتَهما مجسدين فيه. والشاهد فيه: الغدر والختر، والختر أشد الغدر.

جَلَابِيهِنَّ: قال الله تعالى: ﴿يُذْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ﴾³.

قال الزمخشري: «الجلباب: ثوب واسع أوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها، وتبقى منه ما ترسله على صدرها. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: الرداء الذي يستتر من فوق إلى أسفل وقيل: الملحفة، وكل ما يستتر به من كساء أو غيره»⁴. قال أبو زبيد يصف من أتاه في سواد الليل:

[أهلا بضيف أتى ما استفتح البابا] مُجَابِبٌ مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ جَلَابِيَا⁵

يصف من جاءه ليلا بأنه ألبس ظلام الليل، واتخذ منه جلابيا يتستر به. والشاهد فيه: الجلاب بالمعنى الوارد في الآية الكريمة.

كَالْجَوَابِ: قال الله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ﴾⁶.

قال الزمخشري: «الجوابي الحياض الكبار... لأن الماء يجبي فيها أي يجمع»⁷. فالجوابي جمع جابية، وهي الحوض الكبير، وسميت بذلك؛ لأنه يجبي إليها الماء. وقد استشهد على ذلك بقول الشاعر:

¹ - الكشاف ج3، ص 446

² - البيت من الوافر في البحر المحيط ج7 ص182

³ - الأحزاب من الآية 59.

⁴ - الكشاف ج3، ص 498.

⁵ - البيت من البسيط لأبي زيد. في الكشاف ج3، ص 498.

⁶ - سبأ من الآية 13.

⁷ - الكشاف ج3، ص 512.

تروح على آل المُحَلَّق جفنةً كجابيةِ السَّيْحِ العراقيِّ تَقْهَقُ¹

يمدح آل الملحق قائلاً: تدور عليهم في الرواح جفنة عظيمة، كأنها الحوض المتدفق بمائه. والشاهد فيه: الجابية مفرد الجوابي بمعنى الحوض الكبير.

جدد: قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾².

قال الزمخشري: «والجدد الخِطَطُ والطرائق»³. إذ يقول لبيد:

أو مذهب جُدَّدٌ على ألسواحه⁴

يصور الشاعر في هذا الشطر ما يلوح من ألوان الحمار الوحشي، بأنها مهذبة ذات طرائق. والشاهد فيه: جدد بمعنى خطط وطرائق «وقراً الزُّهري: جُدَّدٌ بالضم جمع جديدة وهي الجُدَّة يقال: جديدة وجدد وجدائد كسفينة وسفن وسفائن، وقد فسر بها قول أبي نؤيب يصف حمار وحش:

[والدهر لا يَبْقَى على حدثانه] جُونُ السُّرَاةِ له جَدَائِدُ أَرْبَعٌ⁵»⁶

يقول الدهر يفنى ولا يبقى على أحداثه، حتى حمار الوحش بخطوطه السوداء الأربع التي تمتد في ظهره فتزينه وتجمله. والشاهد فيه: جدائد وما لها من علاقة بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ﴾.

يصطرخون: قال الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا﴾⁷.

قال الزمخشري: «يَصْطَرِخُونَ» يتصارخون: يفتعلون من الصراخ، وهو الصياح بجهد وشدة»⁸. وقد استشهد بقول الشاعر:

¹ - البيت من الطويل للاعشى في ديوانه 225 ولسان العرب (حلق).

² - فاطر من الآية 27.

³ - الكشاف ج3، ص546

⁴ - ينظر بيت من الكامل للبيد في لسان العرب مادة (ذهب)

⁵ - البيت من الكامل لأبي نؤيب في ديوان الهذليين ج1 ص11

⁶ - الكشاف ج3 ص547

⁷ - فاطر من الآية 37.

⁸ - الكشاف ج3، ص551.

[فأنت كما أن الأسير وصرخت] كصرخة حُبلى أَسْلَمَتْهَا قَبِيلُهَا¹

يقول الشاعر مصوراً الصرخة بأنها كصرخة الحبلى التي أسلمها أهلها في غير حفاظ ولا رعاية، وذلك يبلغ بالصرخة غايتها. والشاهد فيه: هذه الصرخة بجهد وشدة.

خامدون : قال الله تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾²

قال الزمخشري: «﴿خَامِدُونَ﴾ خمدوا كما تخدم النار فتعود رمادا»³. وقد استشهد على ذلك بقول الشاعر:

وما المرء إلا كالشهابِ وضوئه يحورُ رمادا بعد إذ هو ساطع⁴

أي ليس حال المرء إلا كالشهاب يتوهج ويسطع، ثم يخبو ضوءه ويتحول إلى رماد. والشاهد فيه: يحور رمادا، أي: يخدم كما تخدم النار.

يدعون : قال الله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾⁵.

قال الزمخشري: «﴿يَدْعُونَ﴾ يفتعلون من الدعاء أي: يدعون به لأنفسهم، كقولك: اشتوى واجتمل، إذا شوى وجمل لنفسه»⁶. فوزن ﴿يَدْعُونَ﴾ يفتعلون «والافتعال هنا يجعل فعل (دعا)

قاصرا فينبغي تعليق مجرور به، والتقدير: ما يدعون لأنفسهم»⁷ كقول لبيد :

[وغلاق أرسلته أمه بألوكِ فَبَنَّا ما سأل

أرسلته فأتاه رزقه] فاشتوى ليلة ربح واجتمل⁸

¹ - البيت من الطويل للأعشى في ديوانه 177.

² - يس الآية 29.

³ - الكشف ج 4 ص 13.

⁴ - البيت من الطويل للبيد العامري في ديوانه ص 88.

⁵ - يس الآية 57.

⁶ - الكشف ج 4 ص 22.

⁷ - التحرير والتنوير ج 23 ص 43.

⁸ - البيت من الرمل للبيد بن ربيعة في ديوانه ص 140.

كانت الليلة ليلة ريح فجاءه غلام، وقد أرسلته أمه فأتاه رزقه من الصيد فاشتوى لنفسه من اللحم واجتمل. والشاهد فيه: اشتوى إذا شوى لنفسه، واجتمل إذا جمل لنفسه، أي: جمع الجميل، وهو الشحم المذاب .

زجرة : قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾¹

قال الزمخشري: «والزجرة: الصيحة من قولك: زجر الراعي الإبل، أو الغنم إذا صاح عليها فريعت لصوته»². وقد استشهد على ذلك بقول الشاعر:

زَجَرَ أَبِي عَرَوَةَ السَّبَّاعَ إِذَا أَشْفَقَ أَنْ يَخْتَلِطَنَّ بِالْغَنَمِ³

أي: كزجر أبي عروة⁴ السباع على الغنم، إذا خاف اختلاطهن بها في البادية. والشاهد فيه: الزجر بمعنى الصياح .

مناص: قال الله تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلا تَحِينْ مَنَّا﴾⁵

قال الزمخشري: «المناص المنجلى، والفوت. يقال: ناصه يئوصه إذا فاته واستناص طلب المناص»⁶. قال الحارثة بن بدر في هذا المعنى :

غَمْرُ الْجِرَاءِ إِذَا قَصَرْتُ عِناهُ بِيَدِي اسْتَنَّاصَ وَرَامَ جَرِيَّ الْمُسْجِلِ⁷

يصف فرسا يقول: بأنه كثير المجارة لغيره من الأفراس إذا جذبت عنانه استناص، أي طلب الهرب والنجاء من الأعداء، وجرى كجري حمار الوحش. والشاهد فيه: استناص طلب المناص أي: المنجا.

¹ - الصافات الآية 19.

² - الكشاف ج 4 ص 37.

³ - البيت من المنسرح للنابغة الجعدي في ديوانه ص 163.

⁴ - أبو عروة : كنية العباس عم النبي ﷺ.

⁵ - سورة ص الآية 03.

⁶ - الكشاف ج 4 ص 69

⁷ - البيت من الكامل لحارثة بن بدر في لسان العرب مادة (نوص)

عزني : قال الله تعالى: ﴿وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفُنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾¹.

قال الزمخشري: «﴿وَعَزَّنِي﴾ وغلبنى يقال: عزّه يعزّه قال الشاعر:

قطاة عزّها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح²

يريد: جاءني بججاج لم أقدر أن أوردَ عليه ما أردّه به»³. فقله تعالى: ﴿وَعَزَّنِي﴾ معناه: وغلبنى في مخاطبته، كما جاء في بيت مجنون ليلى العامرية السابق، إذ يذكر في بيت قبل البيت المذكور أن قلبه حين اصطدم برحيل ليلى العامرية، كان كأنه قطاة وقعت في فخ، فباتت ليلها تحاول أن تتخلص منه، فلم تستطع؛ لأن جناحها قد علق به. والشاهد فيه: عزّها بمعنى غلبها، ولم تستطع الخلاص منه. وقال أيضا: «فإن قلت: ما وجه قراءة ابن مسعود» ﴿ولي نعجة أنثى؟ قلت يقال: امرأة أنثى للحسنة الجميلة والمعنى، وصفها بالعراقة في لين الأنوثة وفتورها، وذلك أملح لها، وأزيد في تكسرهما وتثنيها. ألا ترى إلى وصفهم لها بالكسول والمكسال؟»⁴. وكذلك قول الشاعر :

فتورُ القيامِ قَطوعُ قول [لعبوب العشاء إذا لم تنم]⁵

يصف الشاعر امرأة بالفتور واللين، ووضوح الأنوثة في تكوينها وحركتها، كما يصفها بالصمت والبعد عن التثرثرة. والشاهد فيه: فتور القيام وهذه الصفة تتناسب وقراءة ابن مسعود «ولي نعجة أنثى». كما وصفت بالمشي في تودة وأناة إذ يقول الشاعر:

[ما أنسى سلمى غداة تنصرف] تمشي رويدا تكاد تتغرف⁶

وهذه الصفات وغيرها مما يعكس جمال المرأة وحسنها، والمعبر عنه بالأنثى في قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

¹ - ص من الآية 23.

² - البيت من الوافر لقيس بن الملوح في خزنة الأدب ج 6. ص 130

³ - الكشف ج 4 ص 79

⁴ - الكشف ج 4 ص 80-81.

⁵ - البيت من المتقارب لامرئ القيس في الكشف ج 4 ص 80-81 ولم أعثر عليه في ديوانه

⁶ - البيت من المنسرح لقيس بن الخطيم في ديوانه. تح ناصر الدين الأسد. دار صادر. دط. بيروت. دت. ص 106.

فَتْنَاهُ: قال الله تعالى : ﴿وَوَظَنَ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتْنَاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾¹.

قال الزمخشري: ﴿أَنَّمَا فَتْنَاهُ﴾ أنا ابتليناه لا محالة بامرأة «أوريا» هل يثبت أو يزل؟ وقرئ : فتناه بالتشديد للمبالغة وأفتناه². فالظاهر أن هناك ثلاث قراءات : قراءة ﴿فَتْنَاهُ﴾ بالتخفيف هي «قراءة العامة». وعمر بن الخطاب، والحسن وأبو رجاء (فتناه) بتشديد التاء وهي مبالغة، وقرأ الضحاك (أفتناه) يقال: فتته وأفتته، أي: حمله على الفتنة³. وقد استشهد الشيخان على ورود فتن وأفتن بمعنى واحد بقول الشاعر:

لئن فَتَنَّتْني لَهي بِالأمس أَفْتَنَّتْ [سعيدا فأَمسى قد قلى كل مسلم]⁴

أي: إن فتنتني فلا أحزن ولا أتعجب، فإن تلك عاداتها من قبل. والشاهد فيه: فتنتي وأفتنت سعيدا بمعنى واحد حملتهما على الفتنة.

الصفان: قال الله تعالى : ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾⁵.

قال الزمخشري: «الصفان الذي في قوله :

أَلِفَ الصَّفُونِ فما يزال كأنه مما يقوم على الثلاث كسيرا»⁶

يصف جواده بأنه ألف الوقوف على ثلاث قوائم حتى إن الناظر يظنه كسيرا، وهو ليس كذلك، وإنما هو جم النشاط. والشاهد فيه: الصفون بمعنى الوقوف على ثلاث قوائم أو القيام مطلقا، وهي علامة الفراهة في الفرس .

¹ - سورة ص من الآية 24.

² - الكشاف ج 4 ص 82.

³ - الدر المصون ج 9 ص 372.

⁴ - البيت من الطويل للأعشى الهمداني في لسان العرب (فتق)

⁵ - سورة ص الآية 31.

⁶ - البيت من الكامل بلا نسبة في الأزهية ص 87.

⁷ - الكشاف ج 4 ص 84.

يَكْوَرُ: قال الله تعالى: ﴿يَكْوَرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكْوَرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ﴾¹

قال الزمخشري: « والتكوير اللَّف والليّ. يقال كَارَ العمامة على رأسه وكَوَّرَهَا وفيه أوجه: منها أن الليل والنهار خِلْفَةٌ يذهب هذا ويغشى مكانه هذا، وإذا غشى مكانه، فكأنما أَلْبَسَهُ وُفِّ عَلَيْهِ، كما يَلْفُ اللَّبَاسُ على اللباس »². وفي معنى التكوير قال الشاعر:

تلوي الثنايا بأحقيتها حواشيهِ ليّ الملاء بأبواب التفاريح³

يقول واصفا السراب وما تصنع به ثنايا الطريق: أنها تلوي أطرافه، كما تلوي الملاء بمصاريع الأبواب الصغيرة. والشاهد فيه: ليّ الملاء وما تغشى من الأبواب وتحجب منها.

خَوْلَهُ: قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوْلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾⁴.

قال الزمخشري: « خَوْلَهُ: أعطاه »⁵. وقال أبو النجم في معناه:

أعطى فلم يُبْخَلْ ولم يُبْخَلْ كُومَ الذُّرَى من خَوْلِ الْمُخَوَّلِ⁶

أي: أعطى السائلين، ولم يبخل عليهم بالنوق العظيمة، فلم يتهم بالبخل، وتلك من النعم التي أسبغها الله عليه. والشاهد فيه: الْمُخَوَّلُ بمعنى المعطي، وهو الله سبحانه وتعالى.

زَمَرًا: قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾⁷.

قال الزمخشري: « الزمر: الأفواج المنقرقة بعضها في إثر بعض وقد تَزَمَّرُوا »⁸. وفي معنى

الزمر قال الشاعر: احزألت زمر بعد زمر⁹

¹ - الزمر من الآية 05.

² - الكشاف ج 4. ص 103

³ - البيت من البسيط لذي الرمة في ديوانه 345.

⁴ - الزمر الآية 08

⁵ - الكشاف ج 4 ص 106.

⁶ - البيت من الزجر بلا نسبة في لسان العرب (خول)

⁷ - الزمر من الآية 71.

⁸ - الكشاف ج 4 ص 132.

⁹ - الرجز بلا نسبة في البحر المحيط 427/7.

أي ارتفعت سائرة إليه أفواجا بعد أفواج. والشاهد فيه: زمر بمعنى أفواج، أو جماعات .

الأعلام : قال الله تعالى : ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾¹.

قال الزمخشري: ﴿كَالْأَعْلَامِ﴾ كالجبال². فالعلم هو الجبل. ويشهد على ذلك قول الخنساء :

[وإن صخرًا لتأتّم الهدأة به] كأنه علمٌ في رأسه نار³

حيث تجعل أخاها صخرًا رائدا للهداة يأتّمون به، فشبهته في هذه الهداية بالجبل تتوقد النار في أعلاه. والشاهد فيه: كلمة علم بمعنى جبل.

مقرنين : قال الله تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾⁴

قال الزمخشري: ﴿مُقْرِنِينَ﴾ مطيقين، يقال أقرن الشيء إذا أطاقه⁵. أي لولا التسخير المذكور ما كنا مطيقين بالاعتماد على القوة الجسدية. قال ابن هرمة في معناها:

وَأَقْرَنْتُ مَا حَمَلْتِي وَلَقَلَّمَا يطاق احتمال الصدّ يا دعْدُ والهَجْر⁶

يخاطب ابن هرمة حبيبته يقول لها: أطلقت ما حملتني، وما أقل ما يطاق احتمال الصد والجهر! والشاهد فيه: أقرنت بمعنى أطلقت.

وَمَنْ يَعِشُ : قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا﴾⁷.

قال الزمخشري: «قرئ ﴿وَمَنْ يَعِشُ﴾ بضم الشين وفتحها، والفرق بينهما أنه إذا حصلت الآفة في بصره قيل: عَشِيَ، وإذا نظر نظر العشي ولا آفة به، قيل: عشا، ونظيره: عرج لمن

¹ - الشورى الآية 32.

² - الكشاف ج 4 ص 202.

³ - البيت من البسيط للخنساء في ديوانها. إبراهيم عوضين. مطبعة السعادة. ط.1. المنصورة. 1986. ص 305.

⁴ - الزخرف من الآية 13.

⁵ - الكشاف ج 4 ص 211.

⁶ - البيت من الطويل لابن هرمة في الدر المصون ج 9 ص 577

⁷ - الزخرف من الآية 36.

به الآفة، وعَرَجَ لمن مشى مشية العرجان من غير عرج¹. قال حاتم :

أعشو إذا ما جرتي برزت حتى يوارِي جارتِي الخدر²
فإني أتغافل وأغمض بصري إذا خرجت جارتِي حتى يسترها بيتها. والشاهد فيه: أعشو
أي أنظر نظر الأعشى، وليس بي آفة.

رهوا : قال الله تعالى : ﴿ وَاتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّعْرِفُونَ ﴾³.

ذكر الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية الكريمة : «الرهو فيه وجهان: أحدهما أنه
الساكن... والثاني أن الرهو: الفجوة الواسعة»⁴، وفي المعنى الأول قال الأعشى:

يمشِين رَهْوًا فلا الأعجازُ خاذلةٌ ولا الصدورُ على الأعجازِ تتكَلِّ⁵
يصف بعض النسوة يقول: يمشين في تودة وهوادة، فلا الأعجاز تشدهن إلى أسفل، ولا
الصدور تتوارى باجتتاب الإعجاز لها. والشاهد فيه: كلمة رهوا أي ساكنا .

من ورائهم: قال الله تعالى : ﴿ مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا ﴾⁶

قال الزمخشري: «والوراء اسم للجهة التي يواربها الشخص من خلف أو قدام»⁷. وهذا ما
يعرف بالتضاد. أي: استعمال لفظ يحتمل المعنى وضده. كلفظ وراء يستعمل بمعنى أمام
أو خلف؛ إذ هو اسم للجهة التي يواربها الشخص، وقد جاء في قول الشاعر عبيد بن
الأبرص بمعنى أمام، وإن كان يكثر بمعنى خلف إذ يقول :

أليس ورائي أن تراخت منيتي أدبٌ مع الولدان أزحف كالنسر⁸

¹ - الكشف ج 4 ص 220.

² - البيت من الكامل لحاتم الطائي في الدر المصون ج9 ص588

³ - الدخان الآية 24.

⁴ - الكشف ج 4 ص 241

⁵ - البيت من البسيط للأعشى في لسان العرب (رها)

⁶ - الجاثية من الآية 10

⁷ - الكشف ج 4 ، ص 251.

⁸ - البيت من الطويل لعبيد بن الأبرص في الكشف ج4 ص251

أي: أليس ينتظرنى إن تراخت منيتي هرم مضعف أدبٌ فيه كالوليد، وأزحف فيه كالنسر الجريح. والشاهد فيه: ورأيتي بمعنى أمامي.

أوزارها : قال الله تعالى : ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾¹.

قال الزمخشري: «أوزار الحرب: آلاتها وأثقالها التي لا تقوم إلا بها كالسلاح والكرع»². ويشهد على هذا قول الأعشى :

وأعددت للحرب أوزارها رماحا طوالا وخيلا ذكورا³

يقول: أعددت للحرب آلاتها، وما تقوم به من الرماح، والخيل الذكور. والشاهد فيه: تسمية الآلات بالأوزار.

أسن: قال الله تعالى: ﴿مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾⁴

قال الزمخشري: « وقرئ آسِنَ . يقال أسن الماء وأجِنَ إذا تغير طعمه وريحه »⁵. وأنشد ليزيد بن معاوية قوله :

لقد سقتني رُضابًا غيرَ ذي أسن كالمسك فُتَّ على ماء العناقيد⁶

يقول سقتني ريقها الذي لم يتغير، وسقتني منه ماء العناقيد كناية عن الخمر إذا فتَّ عليها المسك، فامتزج بها كأنه كذلك لطيبه. والشاهد فيه: غير ذي أسن بمعنى لم يتغير طعمه، أو ريحه، أو لونه لطول مدته.

¹ - سورة محمد من الآية 04.

² - الكشف ج 4 ص 276.

³ - البيت من المتقارب للأعشى في ديوانه ص 99

⁴ - سورة محمد من الآية 15

⁵ - الكشف ج 4 ص 279.

⁶ - البيت من البسيط ليزيد بن معاوية .في الكشف.ج.4.ص.279

أشراطها: قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾¹

قال الزمخشري: « والأشراط: العلامات »². أي: علامات الساعة. قال أبو الأسود:

فإن كنت قد أزمعت بالصَّرم بيننا فقد جعلت أشراط أوله تبدو³

أي: إن كنت جزمت بقطع المودة بيننا فلا تكتميه؛ لأن علامات ابتدائه شرعت تظهر والشاهد فيه: الأشراط بمعنى العلامات.

لحن القول : قال الله تعالى : ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾⁴

قال الزمخشري: «**فِي لَحْنِ الْقَوْلِ**» في نحوه وأسلوبه وعن ابن عباس: هو قولهم: مالنا إن أطعنا من الثواب؟ ولا يقولون ما علينا إن عصينا من العقاب، وقيل اللحن: أن تلحن بكلامك: أي تُميله إلى نحو من الأنحاء؛ ليفطن له صاحبك كالتعريض والتورية... وقيل للمخطي لحن لأنه يعدل بالكلام عن الصواب»⁵. فاللحن صرف الكلام عن وجهه سواء صرفه من الإعراب إلى الخطأ، أو صرفه حتى لا يفهمه غير مخاطبك. وفي هذا المعنى الأخير قال الشاعر :

ولقد لحنْتُ لكم لكيما تفقوها واللحنُ يعرفه ذؤوب الألباب⁶

أي: عدلت بالكلام عن الظاهر لكي تفهموا دون غيركم، فإن اللحن يعرفه أرباب الألباب دون غيرهم. والشاهد فيه: لحننت بمعنى: عدلت بالكلام عن الظاهر .

¹ - سورة محمد من الآية 18

² - الكشف ج 4 ص 280.

³ - البيت من الطويل لأبي الأسود في الدر المصون ج 9 ص 696.

⁴ - سورة محمد من الآية 30.

⁵ - الكشف ج 4 ص 285.

⁶ - البيت من الكامل بلا نسبة. في الكشف ج 4 ص 285

أَنْ تَطَّوَّهُمْ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ﴾¹.

قال الزمخشري: «الوطء والدوس: عبارة عن الإيقاع والإبادة»²، الوطء في الآية بمعنى الدوس والقتل. ويشهد على قول الشاعر:

ووطئنا وطأ على حنقٍ وطأ المقيد نابت الهرم³

أي: أتينا مرتفعا علينا بقوتك، وشدة بطشك كوطء الجهل المقيد للهرم. والشاهد فيه: الوطء بمعنى الإبادة والإهلاك.

امتنح: قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾⁴.

قال الزمخشري: «امتنح الله قلوبهم للتقوى» من قولك: امتحن فلان لأمر كذا وجرب له، ودرب للنهوض به فهو مضطلع به غير وانٍ عنه والامتحان: افتعال، من محنه، وهو اختبار بليغ، أو بلاء جهيد. قال أبو عمرو: كل شيء جهده فقد محنته⁵. فالامتحان هو الاختبار من محنه إذا اختبره وجرب للشيء، ودرب للنهوض بالأمر. وأنشد قوله:

أتت رذايا باديا كالأها قد محنت واضطربت أطالها⁶

أي: أتت المطايا مهازيل ظاهرة الإعياء قد طال اختبارها بالمشتاق حتى اضطربت خواصرها من شدة الجوع، وأصبحت لا تقوى على السير. والشاهد فيه: محنته بمعنى بلوته واختبرته.

¹ - سورة الفتح من الآية 25.

² - الكشف ج 4 ص 297.

³ - البيت من الكامل لحرث بن وعله الذهلي في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص 206.

⁴ - الحجرات من الآية 03.

⁵ - الكشف ج 4 ص 307.

⁶ - الرجز بلا نسبة في الكشف ج 4 ص 307.

الراشدون: قال الله تعالى: ﴿وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾¹

قال الزمخشري: «والرُّشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرِّشادة: وهي الصخرة قال أبو الوازع: كل صخرة رِشادة»². ويشهد على ذلك قول الشاعر:

وغير مقلِّدٍ وموشَّماتٍ صليين الضَّوءَ من صمِّ الرِّشاد³

يقول واصفا الديار بأنه لم يبق فيها غير وتد بلا حبل، وحجارة صلاب موشمة احترقت بالنار التي طالما سلطت على صم الصخور الصلاب. والشاهد فيه: صمِّ الرِشاد واحده رِشادة، وهي الصخرة الصلبة.

قوم: قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾⁴.

قال الزمخشري: «القوم الرجال خاصة لأنهم القوام بأمور النساء... وهو في الأصل جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر، أو تسمية بالمصدر. عن بعض العرب: إذا أكلت طعاما أحببت قوما وأبغضت قوما أي: قياما، واختصاص القوم بالرجال صريح في الآية وفي قول زهير:

أقوم آل حصنٍ أم نساء؟⁵»⁶

القوم جماعة الرجال خاصة دون النساء؛ ولذا قيل: إنه جمع قائم أو تسمية بالمصدر من قام قوما أي قياما، وكما أنه صريح في الآية فهو صريح أيضا في قول زهير:

[وما أدري وسوف إخال أدري] أقوم آل حصنٍ أم نساء

يهجو حصن بن حذيفة فيتجاهل أمرهم حتى أنه لا يدري أهم رجال أم نساء؟ والشاهد فيه: استخدام لفظة قوم للدلالة على الرجال.

¹ - الحجرات من الآية 07

² - الكشاف ج 4 ص 313

³ - البيت من الوافر بلا نسبة. في الكشاف ج 4 ص 313

⁴ - الحجرات من الآية 11.

⁵ - البيت من الوافر لزهير في ديوانه ص 17.

⁶ - الكشاف ج 4 ص 317.

إثم: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾¹.
قال الزمخشري: «والإثم: الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب، ومنه قيل لعقوبته: الأثام
فعال منه، كالنكال والعذاب والويلال»². وهذا يعني أن الإثم هو الذنب، والأثام هي العقوبة
التي يستحقها صاحب الإثم. ومن ذلك قول الشاعر :

لقد فعلت هذي النوى بي فعلة أصاب النوى قبل المماتِ أثمها³
أي: لقد فعلت به هذه النوى فعلة شنيعة تسحق أن أدعو عليها بأن يصيبها جزاء ما
صنعت. والشاهد فيه: أثم بمعنى جزاء، أو عقاب المستحق من جزاء الإثم المرتكب .

توسوس: قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُوسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾⁴
قال الزمخشري: «التوسوسة: الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي، وتوسوسة النفس: ما
يخطر ببال الإنسان ويهيج في ضميره من حديث النفس»⁵. هذا ما تكلم به العرب إذ
يقول لبيد بن ربيعة:

واكذبِ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَتْهَا [إِنَّ صَدَقَ النَّفْسَ يُزْرِي بِالْأَمَلِ]⁶
أي: لا تصدق النفس إذا حدثتك بأمر، وحدثتها فيه، لأن تصديقها يزري بالأمل. والشاهد
فيه حدثتها أي: حدثت نفسك، وهذا من التوسوسة التي لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى .
نقبوا: قال الله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ﴾⁷
قال الزمخشري: «والنقيب: التنقيب: التفتير على الأمر والبحث والطلب»⁸ قال الحارث بن حلزة :

¹ - الحجرات الآية 12

² - الكشاف ج 4، ص 321

³ - البيت من الطويل بلا نسبة في أساس البلاغة (إثم).

⁴ - سورة ق من الآية 16.

⁵ - الكشاف ج 4، ص 331.

⁶ - البيت من الرمل للبيد بن ربيعة في ديوانه 141.

⁷ - سورة ق من الآية 36.

⁸ - الكشاف ج 4 ، ص 337.

نَقَبُوا فِي الْبِلَادِ مِنْ حِذْرِ الْمَوْتِ وَجَالُوا فِي الْأَرْضِ كُلِّ مَجَالٍ¹
 أي: قطعوا البلاد بحثًا وتنقيبًا من حذر الموت، ولكنه لم يغن عنهم شيئًا. والشاهد فيه:
 نقبوا في البلاد: بحثوا وطلبوا وجالوا.

الحبك : قال الله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾²

قال الزمخشري: ﴿الْحُبُكِ﴾ الطرائق مثل حبك الرمل والماء إذا ضربته الريح، وكذلك
 حبك الشعر آثار تنثيه وتكسره³. الحبك جمع حبيكة، وهي بمعنى الطرائق. «وأصل
 الحبك: إحكام الشيء وإتقانه»⁴. وقد استشهد على ذلك بقول الشاعر:

مَكَلَّلٍ بِأَصُولِ النِّجْمِ تَنْسُجُهُ رِيحٌ خَرِيقٌ لِضَاحِي مَائِهِ حُبُكٌ⁵
 يصف غديرا متوجا بأصول الزروع التي التفت حوله، وحفت به، وأن ريحا باردة شديدة
 الهبوب تنسج له حبكا وطرائق واضحة ظاهرة. والشاهد فيه: كلمة الحبك بالدلالة التي
 أشير إليها سابقا.

يهجعون : قال الله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾⁶.

قال الزمخشري: «لفظ الهجوع، وهو [الغرار] من النوم»⁸. جاء في لسان العرب: «الغرار:
 النوم القليل، وقيل: هو القليل من النوم وغيره»⁹. و«التهجاع النوم الخفيفة»¹⁰؛ ولذا
 فالهجوع هو الغرار من النوم أو التهجاع. قال أبو قيس الأسلت:

¹ - البيت من الخفيف للحرث بن كلدة في الدر المصون ج 10 ، ص 34.

² - الذاريات الآية 07.

³ - الكشف ج 4 ، ص 341.

⁴ - الدر المصون ج 10 ، ص 41.

⁵ - البيت من البسيط لزهير في ديوانه ص 81

⁶ - الذاريات الآية 17.

⁷ - الغرار وليس الفرار

⁸ - الكشف ج 4 ، ص 343

⁹ - لسان العرب مادة (غر)

¹⁰ - المصدر نفسه مادة (هجع)

قد حَصَتِ البَيْضَةُ رَأْسِي فما أَطْعَمُ نوماً غَيْرَ تَهْجَاعٍ¹
 أي: حلقت شعر رأسه البيضة من دوام لبسها حتى صار لا يطعم النوم إلا تهجعا.
 والشاهد فيه: التهجاع وهو النوم القليل.

النجم : قال الله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾².

قال الزمخشري: «النجم: الثريا وهو اسم غالب لها... أو جنس النجوم»³. فالنجم يراد بها الثريا «لأن هذا صار علما بالغلبة ومنه قول العرب: إذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعي كساء»⁴. ويعنون بذلك ابتداء زمن البرد. وقيل المراد بالنجم الجنس وأنشدوا للراعي النميري قوله :

فباتت تعد النجم في مُسْتَحِيرَةٍ [سريع بأيدي الآكلين جمودها]⁵
 أي: باتت تعد النجوم في جفنة كثيرة المرق، والدسم سريع جمود دسمها على أيدي الآكلين من برد الشتاء. والشاهد فيه: النجم بمعنى النجوم⁶.

تدلى : قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾⁷

قال الزمخشري: «﴿فَتَدَلَّى﴾ فتعلق عليه في الهواء، ومنه تدلت الثمرة ودلّى رجليه من السرير والدوالي الثمر المعلق»⁸. وقد ورد في كلام العرب ما يشهد على صحة هذا المعنى:

تَدَلَّى عليها بين سِبِّ وَحَيْطَةٍ [تدلي دلو المائح المتشمر]⁹

¹ - البيت من السريع لأبي قيس الأسلت في لسان العرب مادة (حصص)

² - النجم الآية 01.

³ - الكشف ج 4، ص 358.

⁴ - الدر المصون ج 10 ص 82

⁵ - البيت من الطويل للراعي النميري في ديوانه ص 92

⁶ - الدر المصون ج 10، ص 82.

⁷ - النجم الآية 8

⁸ - الكشف ج 4، ص 360.

⁹ - البيت من الطويل لأبي ذؤيب في شرح أشعار الهذليين، ص 53.

يصف جاني العسل بأنه تدلىّ على النحل، أو العسل، أي: متمسكا بحبل مشدود في وتد كتدلي دلو الماء النشيط. والشاهد فيه: تدلى بمعنى تعلق عليه في الهواء .

قاب قوسين : قال الله تعالى : ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾¹

قال الزمخشري في تفسيره لهذه الآية الكريمة: «﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ مقدار قوسين عربيتين والقاب، والقيب، والقاد، والقيد، والقيس، والمقدار، وقرأ زيد بن علي قاد وقرئ قيد. وقد جاء التقدير بالقوس، والرمح، والسوط، والذراع، والباع، والخطوة، والشبر، والفتر، والأصبع»². وقد ورد التقدير في كلام العرب بالأصبع إذ يقول الشاعر :

[فأدرك إبقاء العراوة ظلعا] وقد جعلتني من حزيمة أصبعا³

والشاهد فيه: أصبعا أي: ذات مقدار مسافة أصبع .

تمارونه : قال الله تعالى : ﴿فَتَمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾⁴.

قال الزمخشري: «﴿فَتَمَارُونَهُ﴾ من المراء وهو الملاحاة والمجادلة، واشتقاقه من مَرَى الناقة كأن كل واحد من المتجادلين يَمْرِي ما عند صاحبه وقرئ: أَفْتَمَرُونَهُ أَفْتَلْبُونَهُ في المراء من ماريته فمريت، ولما فيه من معنى المغالبة عُدِّي بعلى كما تقول: غلبته على كذا وقيل: أَفْتَمَرُونَهُ أَفْتَجِدُونَهُ»⁵. فقراءة أَفْتَمَرُونَهُ «من مريته حقه إذا غلبته وحجده إياه وعُدِّي بعلى لتضمنه معنى الغلبة»⁶. وقد أنشدوا قول الشاعر :

لئن هجرت أخا صدق ومكرمةٍ لقد مَرَيْتَ أخا ما كان يَمْرِيكَ⁷

¹ - النجم الآية 09.

² - الكشاف ج 4 ، 360.

³ - البيت من الطويل. للكلبة العريني في خزنة الأدب. ج 4. ص 401

⁴ - النجم الآية 12.

⁵ - الكشاف ج 4، ص 361.

⁶ - الدر المصون ج 10 ، ص 89.

⁷ - البيت من البسيط بلا نسبة في الدر المصون ج 10 ، ص 89.

أي: لئن نذمت أبا صدق ومكرمة، وغلبته في الجدل وأنفذت ما عنده، فقد جددت حق من لا يجحد حقا. والشاهد فيه: فقد مريت بمعنى جددت .

اللمم : قال الله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَجْتَبُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾¹.

قال الزمخشري: «واللمم ما قل وصغر، ومنه اللمم المس من الجنون واللوثه منه: وألم بالمكان إذا قل فيه لبثه، وألمّ بالطعام قل منه أكله ومنه :

لقاء أخلاء الصفاء لمأم [وكل وصال الغانيات ذمام]²»³

ومعناه: أن لقاء المتحابين بنية الزواج من الصغائر (اللمم)، أما مواصلة العاهرات فهو من الذمام أي: الكبائر. والشاهد فيه: لمام بمعنى الصغائر.

مهطعين : قال الله تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمَ عَسْرٍ﴾⁴

قال الزمخشري: «﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ مسرعين مادّي أعناقهم إليه، وقيل ناظرين إليه لا يقلعون بأبصارهم»⁵. فالإهطاع هو الإسراع مع مدّ العنق، وقيل النظر دون إقلاع. وفي هذا المعنى قال الشاعر :

تعبّدني نمر بن سعدٍ وقد أرى ونمر بن سعدٍ لي مطيعٌ ومهطع⁶

أيتخذني عبدا نمر بن سعد، وهو مطيع لي ومنتظر أمري؛ ليتمثله أو مسرع إلى امتثاله. والشاهد فيه: مهطع بالمعنى المذكور أنفا .

¹ - النجم من الآية 32.

² - البيت من الطويل بلا نسبة في الدر المصون. ج 10. ص 101

³ - الكشاف ج 4 ص 365

⁴ - القمر الآية 08.

⁵ - الكشاف ج 4، ص 371.

⁶ - البيت من الطويل بلا نسبة في لسان العرب (عبد).

سعر: قال الله تعالى: ﴿فَقَالُوا أَبَشْرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ﴾¹.

قال الزمخشري: «﴿وَسُعْرٍ﴾: ونيران، جمع سعير... والسعر الجنون، يقال: ناقة مسعورة»² فقله تعالى: ﴿وَسُعْرٍ﴾ إذا اعتبر جمعا فمفرده سعير وهو النار، وإذا اعتبر مفردا، فهو بمعنى الجنون، ومنه قول العرب: ناقة مسعودة: مجنونة وقال الشاعر عنها:

كَأَنَّ بِهَا سُعْرًا إِذَا الْعَيْسُ هَزَّهَا ذَمِيلٌ وَإِرْخَاءٌ مِنَ السَّيْرِ مُتَعِبٌ³

يقول: كأن بناقتي جنون لقوة سيرها إذا ما اندفعت الإبل في الذميل والإرخاء. والشاهد

فيه: سَعْرٌ بمعنى جنون.

سحر: قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾⁴.

قال الزمخشري: «﴿بِسَحَرٍ﴾ بقطع من الليل، وهو السدس الأخير منه، وقيل هما سحران: فالسحر الأعلى قبل انصداع الفجر، والآخر عند انصداعه»⁵. وأنشد شاهدا على ذلك:

[يا سائلي إن كنت عنها تسأل] مرت بأعلى السَّحَرَيْنِ تَذَالُ⁶

أي: يا من تسألني إن كنت تسألني عن الحمر الوحشية فقد مرت بأعلى السحرين، وهو السحر الذي قبل انصداع الفجر، أي: مرت في السحر الأول تسرع. والشاهد فيه: أعلى السحرين، وهو السحر الأول قبل انصداع الفجر.

¹ - القمر الآية 24.

² - الكشف ج 4، ص 375.

³ - البيت من الطويل بلا نسبة في الدر المصون ج 10، ص 140

⁴ - القمر الآية 34.

⁵ - الكشف ج 4، ص 376

⁶ - البيت من الرجز بلا نسبة في لسان العرب (سحر) (ذال)

سقر : قال الله تعالى : ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾¹.
قال الزمخشري: «و﴿سَقَرَ﴾ علم بجهنم من سقرته النار وصقرته إذا لَوَّحْتَهُ»². فسقر مشتقة من سقرته النار أو الشمس، أو من صقرته بالصاد مبدلة من السين، بمعنى لوحته وهو علم لجهنم. قال ذو الرمة:

إذا ذابتِ الشمسُ اتَّقَى صقراتها بأفنان مَرِيعِ الصَّرِيمَةِ مُعْبِلٍ³
أي: اشتدت حرارة الشمس وأصبحت إشراقها لهيبا ذائبا فتوقى البقر الوحشي بأغصان شجر سقاه الربيع في هذا الموضع من الرمال. والشاهد فيه اتقى صقراتها من صقرته النار إذا لوحته.

نحاس : قال الله تعالى : ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾⁴
قال الزمخشري: «والنحاس: الدخان»⁵. فالنحاس يطلق على الصُّفْر، وهو القَطْر... والمعنى أنه يصب عليهم الصفر المذاب»⁶. ويطلق على الدخان الذي لا لهب معه. كما جاء في قول الشاعر:

يضيء كضوء سراج السَّليط لم يجعلِ اللهُ فيه نُحاساً⁷
يصف وجه محبوبته: يقول: يضيء كضوء زيت السراج النقي جعله الله لهيبا خالصا ولم يجعل فيه دخانا. والشاهد فيه: نحاسا بمعنى دخان .

¹ - القمر الآية 48.

² - الكشاف ج 4 ، ص 377.

³ - البيت من الطويل لذى الرمة في ديوانه ص 497

⁴ - الرحمن الآية 35.

⁵ - الكشاف ج 4 ، ص 384

⁶ - التحرير والتنوير ج 27 ، ص 260

⁷ - البيت من المتقارب للنابغة الجعدي في ديوانه ص 100

الدهان : قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾¹

قال الزمخشري: ﴿كَالدِّهَانِ﴾ كدُهن الزيت كما قال: ﴿كَالْمُهْلِ﴾². وهو دُرديّ الزيت وهو جمع دُهن، أو اسم ما يُدهن به كالجِزَام والإِدام³. وقد قال الشاعر بما يفسر هذا اللفظ :
 كأنهما مزادتا متعجّل فرِيَانٍ لما تُدْهِنَا بِدِهَانِ⁴
 يشبه الشاعر عينيه من شدة البكاء بمزادتي رجل متعجل لم يحكم ربطهما، فهما يذرفان ماء من فميهما. والشاهد في: دهان أي اسم ما يدهن به.

أفنان : قال الله تعالى: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾⁵

قال الزمخشري: خص الأفنان بالذكر: وهي الغِصْنَةُ التي تتشعب من فروع الشجرة؛ لأنها هي التي تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال، ومنها تجتني الثمار، وقيل: الأفنان ألوان النعم ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين⁶. فالأفنان جمع فنن وهو الغصن، أو كما قيل هي: ألوان النعم قال الشاعر:

ومن كل أفنان اللذّاذة والصبّا لهوت به والعيشُ أخضرُ ناضِر⁷

يقول: إنه نعم بكل ألوان اللهو واللذائذ، وكان ذلك مع الصبا، ونضارة العيش وجماله. والشاهد فيه: أفنان بمعنى ألوان النعيم واللهو واللذائذ .

¹ - الرحمان الآية 37

² - الكهف من الآية 29.

³ - الكشف ج 4، ص 385.

⁴ - البيت من الطويل لامرئ القيس في ديوانه 655.

⁵ - الرحمان الآية 48

⁶ - الكشف ج 4 ، ص 387.

⁷ - البيت من الطويل بلا نسبة في الدر المصون ج 10 ، ص 178.

ثَلَّة : قال الله تعالى: ﴿ثَلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾¹.

قال الزمخشري: «الثلة الأمة من الناس الكثيرة»². ولم «يقيدها غيره بل صرح بأنها الجماعة قلت أو كثرت»³. وجاء في لسان العرب: «الثلة الجماعة من الناس»⁴. وقد ورد في كلام العرب ثلة بمعنى جماعة من الناس، إذ يقول الشاعر :

وجاءت إليهم ثلَّةٌ خندفِيَّةٌ بجيشٍ كثيرٍ من السَّيلِ المزيْدِ⁵

يقول: لقد واجهتهم جماعة من خندف بجيش جرار، كأنه الضباب المندفع المزد. والشاهد فيه: الثلة للجماعة من الناس الكبيرة. وبجيش تجريد؛ لأنه انتزع من الثلة جيشاً غيرها مبالغة في الكثرة.

موضونة: قال الله تعالى: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾⁶

قال الزمخشري: «مَوْضُونَةٌ» مرمولة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت، قد دخل بعضها في بعض، كما تُوضن حلق الدرع»⁷. وقد وردت في شعر الأعشى إذ يقول:

ومن نسج داود موضونةً تساق مع الحيِّ عيرًا فعييرا⁸

يصف الدروع فيجعلها من نسج داود عليه السلام مبالغة في حسن صنعها، وموضونة أي محكمة النسج. والشاهد فيه: موضونة بمعنى قد دخل بعضها في بعض .

لينة : قال الله تعالى ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾⁹

قال الزمخشري: «واللينة: النخلة من الألوان، وهي ضروب النخل ما خلا العجوة والبرنية»

¹- الواقعة الآية 13.

²- الكشاف ج 4 ، ص 392.

³- الدر المصون ج 10 ، ص 197

⁴- لسان العرب مادة (ثل) .

⁵- البيت من الطويل بلا نسبة في الدر المصون ج 10 ، ص 197.

⁶- الواقعة الآية 15.

⁷- الكشاف ج 4 ، ص 392

⁸- البيت من المتقارب للأعشى في ديوانه ، ص 99.

⁹- الحشر من الآية 05.

وهو أجود النخيل... وقيل اللينة: النخلة الكريمة كأنهم اشتقوها من اللين¹. فاللينة: هي النخلة مطلقاً ما لم تكن عجوة ولا برنيّة، وقيل: النخلة الكريمة. وقد استشهد الزمخشري على مدلول اللينة بأنها النخلة مطلقاً بقول ذي الرمة :

كأن قتودي فوقها عش طائر على لينة سوافاء تهفو جنوبها²

إذ: يتخيل رحاله وقتوده في حركاتها على الإبل، وعدم ثباتها عش طائر على نخلة عالية طويلة تعبت بها الريح. والشاهد: لينة بمعنى نخلة .

شَحَّ : قال الله تعالى : ﴿وَمَنْ يُوقَ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾³

قال الزمخشري: « الشح بالضم والكسر وقد قرئ بهما: اللؤم وأن تكون نفس الرجل كزّة حريصة على المنع »⁴. واستشهد على ذلك بقول الشاعر :

يمارسُ نفساً بين جنبيه كزّة إذا هم بالمعروف قالت له: مهلا⁵

يهجو الشاعر: رجلاً بالبخل واللؤم بأن نفسه تحول بينه وبين المعروف إذا هم به. والشاهد فيه : كزّة أي: شحيحة منقبضة عن فعل الخير.

زعم : قال الله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا﴾⁶.

قال الزمخشري: «الزعم: ادعاء العلم... وعن شريح: لكل شيء كنية وكنية الكذب «زعموا» ويتعدى إلى المفعولين تعدي العلم»⁷. وجاء في التحرير والتنوير: «الزعم القول الموسوم بمخالفة الواقع خطأً، فمنه الكذب الذي لم يتعمد قائله أن يخالف الواقع في ظن سامعه ويطلق على الخبر المستغرب المشكوك في وقوع ما أخبر به... ولأجل ما يصاحب الزعم

¹ - الكشاف ج 4 ، ص 427.

² - البيت من الطويل لذي الرمة في ديوانه ، ص 247.

³ - الحشر من الآية 09.

⁴ - الكشاف ج 4 ، ص 429.

⁵ - البيت من الطويل بلا نسبة في أساس البلاغة (كزز)

⁶ - التباين من الآية 07

⁷ - الكشاف ج 4 ، ص 465.

من توهم قائله صدق ما قاله ألحق فعل زعم بأفعال الظن فنصب مفعولين، وليس كثيرا في كلامهم ¹. ومن هذا القليل قول الشاعر:

[وإنّ الذي قد عاش يأم مالك] يموت ولم أزعُك عن ذلك مَعزلاً²

يقول: وإن كل حي وإن طال عمره لا محالة يموت، ولم أظنك يا أم مالك في معزل عن ذلك الحكم. والشاهد: أزعك بمعنى أظنك، وقد نصبت مفعولين الكاف الضمير المتصل، ومعزلاً.

نميم : قال الله تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾³.

قال الزمخشري: ﴿مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ مِضْرَبٌ⁴ نَقَّالٌ للحديث من قوم إلى قوم على وجه السعاية والإفساد بينهم، والنميم والنميمة: السعاية⁵. وأنشدوا لأعرابي يخاطب النار:

تَشَبَّيْ تَشَبُّبَ النَّمِيمَةِ تَمْشِي بِهَا زَهْرًا إِلَى تَمِيمِهِ⁶

أي: اشتعلي كاشتعال النميمة حال كونها تمشي بها هذه المرأة إلى بني تميم. والشاهد فيه: النميمة بمعنى السعاية، والإفساد بين الناس.

زنييم : قال الله تعالى: ﴿عُتْلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾⁷

قال الزمخشري: ﴿زَنِيمٍ﴾ دَعِيٌّ⁸. أي: الذي ينسب إلى قوم ليس منهم. وقد ورد في كلام العرب فقال حسان :

وأنت زنييمٌ نيطُ في آل هاشم كما نيطُ خلف الراكبِ القَدْحُ الفرد⁹

¹ - التحرير والتنوير ج 28، ص 270-271

² - البيت من الطويل بلا نسبة في الكشاف ج 4 ص 465

³ - القلم الآية 11.

⁴ - مضرب: كثير الطعن والإساءة إلى غيره

⁵ - الكشاف ج 4، ص 499.

⁶ - الرجز لأعرابي بلا نسبة في الكشاف ج 4، ص 499.

⁷ - القلم الآية 13.

⁸ - الكشاف ج 4 ص 500

⁹ - البيت من الطويل لحسان بن ثابت رضي الله عنه. في ديوانه ج 1 ص 398

يخاطب الوليد بن المغيرة قائلاً له: إنك زنيم أي دعي تشبه القدر المنفرد الفارغ المعلق خلف الراكب. والشاهد فيه: زنيم بمعنى منسوب إلى قوم ليس منهم، أي: معلق في آل هاشم كالزئمة في الإهاب، وهي قطعة جلد صغيرة تترك معلقة بطرفه.

حرد : قال الله تعالى: ﴿وَعَدُوا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾¹.

قال الزمخشري: «الحرد: من حاربت السنة إذا منعت خيرها، وحادرت الإبل إذا منعت درّها... وقيل الحرد بمعنى الحرد وقرئ: (على حرد) أي: لم يقدر إلا على حنق وغضب بعضهم على بعض كقوله تعالى: ﴿يَتَلَاوَمُونَ﴾²، وقيل: الحرد القصد والسرعة يقال: حردت حردك»³. وفي هذا المعنى الأخير للحرد قال الشاعر:

أقبل سبيلاً جاء من أمر الله يجرّد حردَ الجنّة المغلّة⁴

أي: أقبل هذا السبيل العظيم يسرع إسرار هذه الجنة في ظهور خيرها قبل غيرها. والشاهد فيه: يجرّد حرّدا أي: يسرع إسراراً من السرعة والقصد.

عزّين : قال الله تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾⁵

قال الزمخشري: «﴿عِزِينَ﴾ فرقا شتى جمع عِزّة وأصلها عِزوة كأن كل فرقة تعتري إلى غير ما تعتري إليه الأخرى فهم مفترقون»⁶. عزّين جمع عِزّة: الجماعة، أو الفرقة، وعزوته وعزيتة نسبه، وما دامت النسبة ليست واحدة فهم متفرقون.

قال الكميت :

ونحن - وجندل باغ - تركنا كتائب جنّدل شتى عزينا⁷

¹ - القلم الآية 25

² - القلم الآية 30

³ - الكشف ج 4 ، ص 502-503

⁴ - البيت من الرجز بلا نسبة في خزنة الأدب 356/10.

⁵ - المعارج الآية 37

⁶ - الكشف ج 4 ، ص 523.

⁷ - البيت من الوافر للكميت في لسان العرب (عزا)

يقول: تركنا كتائب جندل مشتتين متفرقين، ولا بأس علينا فإنها باغية مجاوزة لحدّها. والشاهد: عزيز بمعنى متفرقين مشتتين.

السماء : قال تعالى: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾¹

قال الزمخشري: «والسماء: المظلة؛ لأن المطر منها ينزل إلى السحاب ويجوز أن يراد السحاب أو المطر»². فالسماء تطلق على المظلة، وعلى السحاب، وعلى المطر، كما جاء في قول الشاعر:

إذا نزل السماء بأرض قومٍ [رعيناها وإن كانوا غصابا]³

والمعنى: أننا شجعان دون غيرنا، والملاحظ أنه استعمل السماء بمعنى المطر، وأعاد عليه الضمير بمعنى النبات، وهو من المجاز المرسل. والشاهد في البيت: استخدامه لفظ السماء بمعنى المطر .

ناشئة: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾⁴.

قال الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية أن: «ناشئة الليل» النفس الناشئة بالليل التي تنشأ من مضجعتها إلى العبادة، أي تنهض وترتفع، من نشأت السحابة إذا ارتفعت ونشأ من مكانه ونشز: إذا نهض»⁵. وقد ورد في كلام العرب نشأ بمعنى نهض. إذ يقول الشاعر:

نشأنا إلى حوصٍ برى نبيها السرى وألصق منها مشرفات القماجد⁶

أي: نهضنا إلى نوق عظيمة أذاب شحمها السرى، وألصق عظام رأسها بعضها ببعض. والشاهد فيه: نشأنا بمعنى نهضنا.

¹- نوح الآية 11

²- الكشاف ج 4 ص 526.

³- البيت من الوافر لمعاوية بن مالك في لسان العرب (سما) و للفرزدق في تاج العروس (سما)

⁴- المزمّل الآية 06.

⁵- الكشاف ج 4 ، ص 543.

⁶- البيت من الطويل بلا نسبة في الكشاف ج4.ص543

لَوَّاحَةٌ : قال الله تعالى: ﴿لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾¹

قال الزمخشري: ﴿لَوَّاحَةٌ﴾ من لَوَّحَ الهجير². وذكر صاحب الدر المصون: «و﴿لَوَّاحَةٌ﴾ بناء مبالغة، وفيها معنيان: أحدهما: من لاح يلوح أي ظهر. أي: تظهر للبشر وهم الناس، وإليه ذهب الحسن وابن كيسان. والثاني - وإليه ذهب جمهور الناس - أنها من حوّله أي: غيّره وسوّده³. فلاحه الحرّ لocha أي: غيّره وسوّده، فعل متعدّ بنفسه، أما لاح بمعنى ظهر فهو فعل قاصر معتد بالتضعيف، ويشهد قول الشاعر على أن لاحه الهجير: غيّره وسوّده إذ يقول :

تقول ما لاحك يا مسافرُ يا ابنة عمي لاحني الهواجرُ⁴
تسأله: ماذا لوح جلده ولفحه؟ فيجيب إنه لوح الهواجر في الأسفار. والشاهد: لاحك بمعنى: غيرك وسوّدك.

قَمَطْرِيرًا : قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمَطْرِيرًا﴾⁵.

قال الزمخشري: «والقمطيرير: الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه، قال الزجاج: يقال: اقمطرت الناقة: إذا رفعت ذنبها، وجمعت قطريها وزمت بأنفها، فاشتقّه من القطر وجعل الميم مزيدة⁶. وقد ورد في كلام العرب ما يؤكد هذا المعنى إذ يقول أسد بن ناعصة :

واصطَلَيْتِ الحروبَ في كلِّ يومٍ باسلَ الشرِّ قَمَطْرِيرَ الصَّبَّاحِ⁷
أي: عشت الحرب واصطليت بنارها كل يوم من أيام حياتي، وأنا مع الشر مسرف فيه

¹- المدثر الآية 29

²- الكشاف ج 4 ، ص 554.

³- الدر المصون ج 10 ، ص 546.

⁴- الزجر بلا نسبة في الدر المصون ج 10 ، ص 546.

⁵- الإنسان الآية 10

⁶- الكشاف ج 4 ، ص 571

⁷- البيت من الخفيف لأسد بن ناعصة في الدر المصون ج 10 ، ص 602.

أصطلح الحرب في يوم عابس الوجه مكفهر الصباح ملبد بالغيم والقطر. والشاهد فيه:
قمطيرير الصباح بمعنى: المكفهر العبوس الملبد.

زمهريرا: قال الله تعالى: ﴿مُتَكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرُونَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾¹

قال الزمخشري: «وقيل: الزمهريير: القمر وعن ثعلب أنه في لغة طي»². وجاء في لسان
العرب: «الزمهريير: شدة البرد... وهو الذي أعده الله تعالى عذابا للكفار في الدار الآخرة»³.
فالزمهريير: هو شدة البرد، وأهو ذاك العذاب الذي أعده الله تعالى يوم القيامة للكفار، أو
القمر في لغة طي. وقد قال الشاعر:

وليلة ظلامها قد اعتكر قطعنها والزمهريير ما زهر⁴

أي: ورب ليلة ظلامها قد تراكم واختلط وكثر، قطعها وأمضيبتها بالسير، والحال أن
الزمهريير ما ظهر وما أضاء. والشاهد فيه: الزمهريير بمعنى القمر في لغة طي.

فرجت: قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾⁵.

قال الزمخشري: «﴿فُرِجَتْ﴾ فُتحت فكانت أبوابا»⁶. وفي هذا المعنى قال الشاعر:

[العاكفين عن منيف جنابه] الفارجي باب الأمير المبهم⁷

يصف قومه بالجاه والحظوة عند الأمير، فهم يقيمون برحيب جنابه، وإذا ما أتوه فتح
لهم باب، ولم يغلقه في وجوههم. والشاهد فيه: الفارجي باب الأمير بمعنى: الفاتحي باب
الأمير، كأنهم هم الذين يفتحونه.

¹ - الإنسان الآية 13

² - الكشاف ج 4 ، ص 572

³ - لسان العرب مادة (زمهر) .

⁴ - البيت من الرجز بلا نسبة في الكشاف ج 4 ، ص 572

⁵ - المرسلات الآية 09

⁶ - الكشاف ج 4 ص 579

⁷ - البيت بلا نسبة في الكشاف ج 4 ، ص 579.

صفر : قال الله تعالى : ﴿ كَانَهُ جَمَالَةً صُفْرًا ﴾¹

قال الزمخشري: «وقيل ﴿صُفْرًا﴾ سود تضرب إلى الصفرة»². أي: أن ذلك هو لون الشرر حين يبتعد عن لهيب النار، وقد شبه بالجماليات الصفر حجما ولونا، وقد ورد ذلك في شعر عمران ابن حطان الخارجي إذ يقول :

دَعَتْهُمْ بأعلى صوتها ورمتهم بمثل الجمالِ الصُّفْرِ نزاعَةُ الشَّوَى³

يصف جهنم ويقول: إنها نادت إليها الكفار، ورمتهم بشرر كالجماليات الصفر. والشاهد فيه: بمثل الجمالات الصفر. حيث شبه شرر نار جهنم الذي يرمي به الكفار بالجماليات الصفر في الحجم واللون. ومادام قائل هذا البيت من الشعراء ما بعد نزول القرآن الكريم فإني أقول: كيف جاز اعتبار قوله هذا شاهدا على القرآن الكريم ومفسرا له؟ وهو في حقيقة الأمر لا يعدو أن يكون اقتباسا منه، وكان من المفترض البحث عن شاهد من كلام العرب قبل نزول القرآن.

الساهرة : قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾⁴

قال الزمخشري: «والساهرة: الأرض البيضاء المستوية سميت بذلك؛ لأن السراب يجري فيها. من قولهم: عين ساهرة جارية الماء، وفي ضدها نائمة... أو لأن سالكها لا ينام خوف الهلكة»⁵. وقد قال الأشعث بن قيس :

وساهرةٍ يُضْحِي السرابُ مجلًّا لأقطارها قد جُبَّتْها مثلثا⁶

رب مفازة يستزها النهار بسراب يشبه جل الفرس قد جبتها مثلثا خوف الحر والريح. والشاهد فيه: ساهرة، أي: أرض بيضاء مستوية .

¹ - المرسلات 33.

² - الكشف ج 4 ص 582

³ - البيت من الطويل لعمران بن حطان الخارجي في الدر المصون ج 10 ، ص 642.

⁴ - النازعات الآية 14.

⁵ - الكشف ج 4 ، ص 594.

⁶ - البيت من الطويل للأشعث بن قيس في الدر المصون ج 10، ص 674.

أَبَا : قال الله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾¹.

قال الزمخشري: «والأب: المرعى؛ لأنه يُؤَبُّ أي يُؤَمُّ ويُنتَجَعُ»². قال الشاعر :

جِذْمُنَا قَيْسٌ وَنَجْدٌ دَارُنَا وَلَنَا الْأَبُّ بِهِ وَالْمَكْرَعُ³

أي: نحن من قبيلة قيس ونجد ديارنا، ولنا به المرعى والمروى. والشاهد فيه: الأب بمعنى المرعى.

انكدرت : قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾⁴.

قال الزمخشري: «انْكَدَرَتْ» انقضت»⁵. وهكذا قد فسر الانكدار بالانقضاء، والتساقط

كما فسرت بالانتثار والانصباب⁶. وقد قال العجاج يمدح عمر بن عبد الله التميمي :

أَبْصَرَ خَرِيَانَ الْفَلَاةِ فَانْكَدَرَ⁷.

يقول: يهوى هوى البازي حين يبصر طيور الحبارى في الفضاء، فينقض عليها

ليفترسها. والشاهد فيه: انكدر بمعنى انقض.

عسعس : قال الله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾⁸

قال الزمخشري: «عسعس الليل وسعسع، إذا أدبر... وقيل: عسعس إذا أقبل ظلامه»⁹.

قال العجاج :

حتى إذا الصبحُ لها تتفَسَا وانجابَ عنها ليأُها وعسعسا¹⁰

¹ - عبس الآية 31.

² - الكشف ج 4 ، ص 602.

³ - البيت من الرمل بلا نسبة في لسان العرب (أبب)

⁴ - التكوير الآية 02.

⁵ - الكشف ج 4 ، ص 604.

⁶ - ينظر الدر المصون ، ج 10 ، 700.

⁷ - الرجز للعجاج في ديوانه 42/1.

⁸ - التكوير الآية 17

⁹ - الكشف ج 4 ، ص 608

¹⁰ - البيت من الرجز للعجاج في الدر المصون 10 ، ص 706.

يتحدث عما يسبق مطلع الشمس وما يصحبه من تنفس النهار، وانكماش الليل للزوال وإدباره عن الدنيا. والشاهد فيه: عسّس بمعنى أدبر، وتأتي بمعنى أقبل؛ لأنها من الأضداد.

ثوب : قال الله تعالى: ﴿هَلْ ثُوبَ الْكُفَّارِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾¹

قال الزمخشري: « ثوبه وأثابه بمعنى إذا جازاه»². قال أوس بن حجر:

سأجزيك أو يجزيك عني مثوّبٌ وحسبُك أن يثني عليك وتحمدي³

سأجزيك يا فرسي بنفسي، أو يجزيك غيري بدلا عني، وحسبك من الناس أن يثنوا عليك ويحمدوك. والشاهد فيه: مثوّب بمعنى مجاز، ويجوز في هذا البيت أن يكون المثوّب هو المنادى للحرب مشيرا بطرف ثوبه؛ ليرى من بعيد فيغاث.

وسق : قال الله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾⁴.

قال الزمخشري: «﴿وَمَا وَسَقَ﴾ ما جمع وضمّ يقال: وسقه فأتسق واستوسق»⁵. فوسق بمعنى جمع وضمّ، ومطاوعه على وزن افتعل واستفعل أي: أتسق واستوسق، كأنّسع واستوسع، ويقال: إبل مستوسقة. قال الشاعر :

[إن لنا قلائصا حقائقا] مُسْتَوْسِقَاتٍ ولو يجدن سائقا⁶

إذ يفخر بأن له ولقومه نوقا فتية قوية مجتمعات واقفات إلى أن يجدن من يسوقهن فيسرن. والشاهد فيه: مستوسقات بمعنى مجتمعات.

¹ - المطففين الآية 36.

² - الكشاف ج 4، ص 618

³ - البيت من الطويل لأوس بن حجر في الدر المصون ج 10، ص 728.

⁴ - الانشقاق الآية 17

⁵ - الكشاف ج 4 ص 621

⁶ - الرجز للعجاج في ديوانه 307/2.

ضريع : قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيْعٍ﴾¹.

قال الزمخشري: «الضريع: يبيس الشبرق وهو جنس من الشوك ترعاه الإبل ما دام رطباً، فإذا يبيس تحامته الإبل، وهو سم قاتل»². وقد ورد في كلام العرب. فيقول أبو ذؤيب الهذلي:

رعى الشبرقَ الرِيَّانَ حتى إذا ذَوَى وعاد ضريعاً بَانَ عنه النَّحَائِصُ³
يتحدث أبو ذؤيب عن نحائص حمر الوحش قائلاً: إنها ترعى الشبرق، وهو غرض الضريع ورطبه، فإذا ما يبيس بعدت عنه. والشاهد فيه: «ضريعاً» بمعنى يبيس الشبرق.
وقال قيس بن عيزارة :

وحبسن في هَزْمِ الضَّرِيْعِ فكأُها حـدباءُ داميةُ اليدين حَرُودُ⁴
يتحدث عن إبل حبست في مرعى غث من ضريع متكسر، فهي هزيلة بادية العظام قليلة اللبن دامية الأرجل من الشوك. والشاهد فيه: هزم الضريع، وهو صوت هشيمه.
ودّعك : قال الله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾⁵.

قال الزمخشري: «**مَا وَدَّعَكَ**» جواب القسم ومعناه: ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف، يعني: ما تركك»⁶ قال الشاعر:
وَتَمَّ وَدَعْنَا آلَ عَمْرٍو وَعَامِرٍ فرائسَ أطرافِ المُتَّقَفَةِ السُّمَرِ⁷
أي: هناك تركنا آل عمرو وعامر جرحى بأطراف الرماح السمر. والشاهد فيه: ودعنا بالتخفيف بمعنى تركنا .

¹ - الغاشية ، الآية 06 .

² - الكشف ج 4 ، ص 635 .

³ - البيت من الطويل لأبي ذؤيب الهذلي في الدر المصون ج 10 ، ص 767 .

⁴ - البيت من الكامل لقيس بن عيزارة في شرح أشعار الهذيليين ، ص 598 .

⁵ - الضحى ، الآية 03

⁶ - الكشف ج 4 ، ص 656

⁷ - البيت من الطويل بلا نسبة في الدر المصون ج 11 ، ص 36 .

لَسْفَعًا: قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾¹.

قال الزمخشري: ﴿لَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ لِنَأْخِذَنَّ بِنَاصِيَتِهِ وَلِنَسْحَبْتَهُ بِهَا إِلَى النَّارِ، وَالسَّفَعُ: الْقَبْضُ عَلَى الشَّيْءِ وَجَذْبُهُ بِشِدَّةٍ². قال عمرو بن معدى كرب:

قوم إذا يقع الصريخُ رأيتهم من بين ملجم مهرة أو سافع³
أي: هم قوم إذا ارتفع الصياح للحرب أسرعوا إليها فتراهم بين رجلين: رجل ملجم مهرة
وآخر سافع أي: قابض بناصية مهرة ويجذبه إليه بسرعة. والشاهد فيه السافع بمعنى:
القابض على الشيء والجاذب بشدّة.

ضَبْحًا: قال الله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾⁴

قال الزمخشري: « والضبح: صوت أنفاسها إذا عدّون. وعن ابن عباس أنه حكاه فقال:
أخ أخ⁵». قال عنتره:

والخيلُ تكْدَحُ حين تضدُّ بحُ في حياضِ الموتِ ضَبْحًا⁶
يصف الخيل في الحرب بأنها كادحة مسرعة تضبح بأصواتها ضبحا عاليا، وذلك من
شدّة الجهد. والشاهد فيه: ضبحا، أي: صوت أنفاسها عند العدو.

نَقْعًا: قال الله تعالى: ﴿فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا﴾⁷

قال الزمخشري: «﴿فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا﴾» فهي جن بذلك الوقت غبارا... ويجوز أن يراد بالنقع:
الصياح⁸ « فالنقع هو الغبار، ويجوز أن يراد به الصياح قال لبيد:

¹ - العلق الآية 15.

² - الكشاف ج 4 ، ص 667

³ - البيت الكامل لحميد بن ثور الهلالي الصحابي في الكشاف ج 4 ، ص 667

⁴ - العاديات ، الآية 01

⁵ - الكشاف ج 4 ص 675

⁶ - البيت من مجزوء الكامل لعنتره في ملحق ديوانه. ص 44.

⁷ - العاديات ، الآية 4.

⁸ - الكشاف ج 4 ص 675

فمتى ينقَع صرَاخٌ صادقٌ [جأبوه ذاتُ جَرَسٍ وزجل] ¹

أي: فمتى يرتفع صراخ للحرب صادق صرخوه ذات جرس وزجل. والشاهد فيه: ينقع أي يصيح.

همزة لمزة : قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ ²

قال الزمخشري: « الهمز: الكسر، كالهزم، واللمز: الطعن. يقال: لمزه ولهزه طعنه، والمراد الكسر من أعراض الناس، والغض منهم واغتيابهم والطعن فيهم، وبناءً فُعَلَةٌ يدل على أن ذلك عادةٌ منه قد ضَرِيَ بها ونحوهما: اللعنة والضحكة» ³. فهمة وكذلك لمزة كلاهما وصف مشتق من الهمز واللمز على صيغة فُعَلَةٌ؛ للدلالة على تمكن الوصف من الموصوف كاللعنة والضحكة. وقد وردا في كلام العرب وبالمعنى نفسه إذ يقول الشاعر:

[إذا لقيتكَ عن شحط تكاشرني] وإذا تغيبتُ كنتَ الهامزَ اللمزة ⁴

أي: إذا لقيتكَ على بعد المسافة بيننا تضاحكني، وإذا غبت عنك كنت المغتاب المكثر من الطعن في عرضي. والشاهد فيه: الهامز اللمزة بالمعنى المشار إليه سابقا .

مؤصدة : قال الله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ ⁵

قال الزمخشري: «مُؤَصَّدَةٌ: مطبقة» ⁶. وجاء في كلام العرب قول أحدهم :

تحن إلى أجدال مكة ناقتي ومن دونها أبوابُ صنعاء مؤصدة ⁷

يقول: تحنّ ناقتي إلى أجدال مكة؛ لأنها وطنها، والحال أن أبواب صنعاء مؤصدة مغلقة أمامها. والشاهد فيه: مؤصدة بمعنى مطبقة مغلقة.

¹ - البيت من الرمل للبيد في ديوانه ، ص 146.

² - الهمزة ، الآية 01.

³ - الكشف ج 4، ص 683

⁴ - البيت من البسيط لزيد الأعجم في ديوانه.تح يوسف حسين بكار. دار المسيرة.ط1. 1983.ص 78.

⁵ - الهمزة ، الآية 08

⁶ - الكشف ج 4 ، ص 684.

⁷ - البيت من الطويل بلا نسبة في الكشف ج 4 ، ص 684.

سجّيل : قال الله تعالى: ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾¹

قال الزمخشري: «وسجّيل: كأنه علم للديوان الذي كُتِبَ فيه عذاب الكفار، كما أن سجينا علم لديوان أعمالهم، كأنه قيل: بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدوّن، واشتقاقه من الإسجال وهو الإرسال؛ لأن العذاب موصوف بذلك ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾². وعن عباس رضي الله عنهما: من طين مطبوخ كما يُطبخ الآجر، وقيل: هو معرّب من سنكل وقيل من شديد عذابه»³. وقد ورد في كلام العرب السجّيل بمعنى الشديد إذ يقول ابن مقبل :

[ورجلة يضربون البيض عن عرج ضربا] توأصت به الأبطال سجّيلا⁴

يصف الجماعة من الرجال بأنهم يضربون البيض (السيوف أو الخوذ) عن عرج أي:

ميل واعوجاج ضربا شديدا فظيعا. والشاهد فيه: سجيلا بمعنى شديدا .

الكوثر : قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾⁵

قال الزمخشري: «والكوثر: فوعلٌ من الكثرة وهو المفرط الكثرة، وقيل لأعرابية رجع ابنها من السفر بم آب ابنك؟ قالت: آب بكوثر»⁶ وهذا الكميت يقول:

وأنت كثيرٌ يا ابن مروان طيّب وكان أبوك ابنُ العقائل كوثرًا⁷

يمدح الشاعر بن مروان قائلاً: أنت كثير الخير وافره، وكان أبوك كذلك خيرا وافرا الخير.

والشاهد فيه: كوثرًا بليغ النهاية في الخير. وذكر الزمخشري أيضا أن الكوثر نهر في الجنة

كما روي عن النبي ﷺ.

¹ - الفيل ، الآية 04.

² - الأعراف ، الآية 133.

³ - الكشف ج 4، ص 687.

⁴ - البيت من البسيط لابن مقبل في الكشف ج 4، ص 687.

⁵ - الكوثر الآية 01.

⁶ - الكشف ج 4 ص 693

⁷ - البيت من الطويل للكميت .في لسان العرب مادة (كوثر)

وتب : قال الله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾¹.

قال الزمخشري: «التباب الهلاك ومنه قولهم: أشابة أم تابة؟ أي: هالكة من الهرم والتعجيز والمعنى هلكت يداه لأنه — فيما يروى — أخذ حجرا ليرمي به رسول الله ﷺ و﴿وتب﴾ وهلك كله، أو جعلت يداه هالكيتين، والمراد: هلاكُ جُمْلَتِهِ كقوله تعالى: ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ يَدَاكَ﴾ ومعنى ﴿وتب﴾ وكان ذلك وحصل»². كقول الشاعر :

جزائي جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل³
يتحدث عن جزاه أسوأ الجزاء، ويدعو عليه أن يجزيه أشنع جزاء الكلاب العاويات
أي: المصابة بداء العواء فتظل تبكي وتعوي، ويذكر أن ذلك قد حصل وهو إخبار. والشاهد
فيه قوله: وقد فعل أي: وقد كان ذلك وحصل .

مسد : قال الله تعالى : ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾⁴.

قال الزمخشري: «المسد: الذي فتل من الحبال قتلا شديدا من ليف كان، أو جلد، أو غيرها»⁵. فقد قال الشاعر:

ومسِدٍ أُمِرَّ من أَيَانِقٍ⁶

أي: حبال شديدة الفتل من نوق قوية ليس بهن ضعيف. والشاهد فيه: مسد بمعنى
المفتول من الحبال قتلا شديدا.

¹ - المسد ، الآية 01.

² - الكشف ج 4 ص 700

³ - البيت من الطويل للناطقة الذبياني في ديوانه ، ص 161.

⁴ - المسد ، الآية 05

⁵ - الكشف ج 4 ص 702

⁶ - البيت من الرجز لعمارة بن طارق من تاج العروس (زهق) و لعثمان بن طارق في لسان العرب (زهق)

الفصل السابع : شواهد المستوى الدلالي السياقي:

هذه مجموعة الألفاظ والتعابير القرآنية المتعلقة بشواهد هذا المستوى:

سورة	تركهم	ختم
يسومونكم	فوق	دون
بديع	أمانيّ	مسلمة
لباس	وسطا	كن فيكون
العفو	تمام الحج	درجات
المولود له	أجلهن	القرء
تداينتم	المن	السر
سكارى	كلالة	وجه النهار
اليوم	النصب	يشرون
بعض ذنوبهم	الوسيلة	خائنة
بجهالة	عَبَدَ الطاغوت	مثوبة
فلق الصبح	آزر	تبسل
فوق الأعناق	سنستدرجهم	حرم
حسبك	يحييكم	ليبلي
تغن	الحكيم	فخلوا سبيلهم
ضائق	وجاوزنا	الكبرياء
من ورائه	نجيا	تعبرون

مبتئس	مشهود	بقية
أمة	قبيلة	الرجم
مرتقفا	اطلع	دعوا
طه	اقتفيه	آذنتكم
الزكاة	كريم	رسول
عبدت	استوى	لأظنه
ضللنا	التناوش	كأس
ينزفون	أحبيت	غير ذي عوج
زمر	في أمم	جزءا
تعسا لهم	ذنوب	ريب المنون
كاذبة	الهييم	مولاكم
حسوما	الحافرة	غلبا
لما	كبد	لشديد
هاوية	زرتم المقابر	الماعون

كما سبق وأن أشرت في الفصل السابق إلى أن الزمخشري قد حرص على تفسير الكثير من ألفاظ القرآن الكريم، وبخاصة الغريب منها، والتي يتوقف المعنى العام للآية على فهمها، وأنه قد دأب في منهجه على إيراد دلالة الكلمة، أو دلالاتها، ثم إتباعها بما يعزز هذا المعنى، أو ذلك، ويشهد على صحة استعماله، وبالمعنى نفسه بأبيات من شعر عصر الاحتجاج معطيا الأولوية للشعر الجاهلي. فإني أجده في هذا الفصل قد انتهج الأسلوب نفسه مع فارق أن الدلالة في الفصل السابق معجمية، وفي هذا الفصل سياقية. وهي كالاتي:

ختم: قال الله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾¹.

ذكر الزمخشري أن الختم والكتم وأخوان، وأن الغشاوة هي الغطاء ثم تساءل قائلاً: «فإن قلت: ما معنى الختم على القلوب والأسماع وتغشية الأبصار قلت: لا ختم ولا تغشية على الحقيقة، وإنما هو من باب المجاز، ويحتمل أن يكون من كلا نوعيه وهما: الاستعارة والتمثيل»². ويؤكد هذا المعنى ويثبت صحة استعماله ما ورد في كلام العربي الفصيح حيث اعتبرت الحبسة في اللسان والعي ختما عليه. قال الشاعر:

ختم الإله على لسانِ عذافِرٍ ختما فليس على الكلامِ بقَادِرٍ
وإذا أراد النُّطقَ خَلَّتْ لسانه لحمًا يحرِّكُه لصقر ناقِرٍ³

اعتبر الشاعر أن ما أصيب به موصوفه من حبسة خلقية حتى غدا عاجزا عن الكلام ومضطرب اللسان ختما على لسانه، ومنعاه له من الكلام. فالشاهد: أن الحبسة التي اعتبرها الشاعر ختما هي في دلالتها المجازية، كختمه سبحانه وتعالى على قلوب وسمع وأبصار المصرين على كفرهم. وهكذا فالمفسر أراد أن يثبت من خلال الشاهد أن العرب

¹ - البقرة الآية 07

² - الكشاف ج1، ص62.

³ - البيتان من الكامل لرجل من فزارة في الكشاف ج1، ص62.

يوظفون كلمة الختم، وقد لا يقصدون به الحقيقة؛ ولذا «يكون الختم مسندا إلى الله تعالى على سبيل المجاز، وهو لغيره حقيقة»¹ وفق معتقد المعتزلة. أي: أنه إسناد لفظي لا إلى ذاته سبحانه وتعالى، «فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة أو الكافر إلا أن الله سبحانه وتعالى لما كان هو الذي أقدره، ومكنه أسند إليه الختم، كما يسند الفعل إلى المسبب»².
قال الشاعر:

[فلا تسأليني وأسألي ما خليقتي] إذا ردَّ ما في القدر من يستعيرها³
يقول لا تسألني عن طبيعتي، وأسألي غيري عنها وقت أن يمنع عافي القدر⁴ من يستعيرها ليطبخ فيها. أي: إذا أجدب الزمان. والشاهد فيه: إسناد الرد للعافي. والمانع في الحقيقة هو صاحب القدر بسبب طالب الرزق. وهو ما يسمى بالمجاز العقلي، وهو الأمر الذي يريد المفسر أن يحتج به على صحة ما ذهب إليه من كون إسناد الختم إلى الله سبحانه وتعالى هو مجاز، وأن الفاعل الحقيقي هو الشيطان أو الكافر.

تركهم: قال الله تعالى: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾⁵
قال الزمخشري: «وترك بمعنى طرح وخلق إذا علق بواحد، كقولهم: «تركه ترك ظبي ظله». فإذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير، فيجري مجرى أفعال القلوب»⁶.
وهذا يتمثل في قول عنتره العبسي:

فتركته جَزَرَ السَّبَاعِ يَنْشُنُهُ [ما بين قلّة رأسه والمعصم]⁷
وفي هذا البيت يفتخر بأنه ترك عدوه قتيلا معرضا للضباع تجزره بأنيابها، وتجول في

¹ - الكشاف ج1، ص63.

² - الكشاف ج1، ص64.

³ - البيت من الطويل لعرب بن الأحوص الباهلي. في الكشاف ج1، ص64.

⁴ - عافي القدر: طالب الرزق الذي فيها.

⁵ - البقرة من الآية 17

⁶ - الكشاف ج1، ص85-86

⁷ - البيت من الكامل لعنتره في شرح ديوانه. للتبريزي. تح. مجيد طراد. دار الكتاب العربي. ط1. بيروت. 1992. ص174

جسده من أعلاه إلى أسفله. وموضع الشاهد فيه: تضمينه ترك معنى أفعال التحويل فعده إلى مفعولين (هـ...جَزَرَ) وهو الأمر الذي احتجّ به المفسر على صحة اعتبار قوله تعالى: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾ أصله هم في ظلمات، ثم ذكر ترك فنصب الجزأين.

سورة : ﴿وَأَنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾¹

حاول الزمخشري تحديد مفهوم مصطلح سورة فقال: «والسورة: الطائفة من القرآن المترجمة التي أقلها ثلاث آيات، وواوها إن كانت أصلاً، فإما أن تسمى بسورة المدينة وهي حائطه؛ لأنهما طائفة من القرآن محدودة محوّزة على حيالها، كالبلد المسور، أو لأنها محتوية على فنون من العلم وأجناس من الفوائد، كاحتواء سورة المدينة على ما فيها، وإما أن تسمى بالسورة التي هي الرتبة»². ومنه فالسورة اصطلاحاً: الطائفة من القرآن الكريم المترجمة التي أقلها ثلاث آيات، وأما لغة: فهي إما بمعنى سورة المدينة، أو حائطها، أو السورة بمعنى الرتبة. وهذا المعنى الأخير هو ما يؤكد النابغة بقوله:

ولرهِطِ حَرَّابٍ وَقَدْ سَوَّرَةٌ فِي الْمَجْدِ لَيْسَ غَرَابَهَا بِمُطَارٍ³

حيث يمدح النابغة قبيلتي حرّاب وقدّ فيذكر أن لهما في المجد قدما مستقرة ومكانا ثابتا لا يفزع غرابه لشدة أمنه ورسوخه»⁴. والشاهد فيه: أن السورة معناها الرتبة أو العظمة.

دون : ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾⁵

وجاء في الكشاف: «ومعنى دون أدنى مكان من الشيء ومنه الشيء الدون، وهو الدنيّ الحقيق، ودون الكُتُب إذا جمعها؛ لأن جمع الأشياء إثناء بعضها من بعض، وتقليل المسافة بينها، يقال: هذا دون ذلك إذا كان أحطّ منه قليلاً، ودونك هذا أصله خذه من

¹ - البقرة من الآية 23

² - الكشاف ج1ص104

³ - البيت من الكامل للنابغة الذبياني في لسان العرب مادة (قدد)

⁴ - الكشاف ج1ص104

⁵ - البقرة من الآية 23

دونك، أي من أدنى مكان منك، فاختصر واستعير للتفاوت في الأحوال والرتب، فقيل زيد دون عمرو في الشرف والعلم... واتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حدّ إلى حدّ وتخطّى حكم إلى حكم»¹. فاستعمال دون للدلالة على كل تجاوز حدّ إلى حدّ، وتخطي حكم إلى حكم، هو ما يفهم من قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾². «أي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين»³. وهو المعنى نفسه الذي يفهم من قول الشاعر:

يا نفسُ مَالِكِ دُونَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ [وَلَا لِلسَّعِ بِنَاتِ الدَّهْرِ مِنْ وَاقٍ]⁴

أي: «إذا تجاوزت وقاية الله ولم تتاليها لم يقك غيره»⁵. مخاطبا نفسه مذكرا إياها بأن الأمر بيد الله لا حول إلا به، ولا حافظ غيره، وأن الأيام حبلى بالتقلبات والحوادث التي لا وقاية منها. والشاهد فيه: استعمال ((دون)) في دلالة على أن من تجاوز وقاية الله، ولم ينلها لم يقه غيره. وتستعمل دون أيضا بمعنى أمام ففي قوله تعالى: ﴿مَنْ دُونَ اللَّهِ﴾، أي: «ادعوا الذين يشهدون لكم بين يدي الله»⁶. وهذا ما فهم من قول الأعشى:

تُرِيكَ القَدَى مَنْ دُونِهَا وَهِيَ دُونُهُ [إِذَا ذَاقَهَا مَنْ ذَاقَهَا يَنْمَطُّ]⁷

ووصفا زجاجة الشراب بالصفاء حتى أنها تشف عن القذى قدامها، وهي قدامه. والشاهد فيه: استعمال ((دون)) بمعنى أمام، وهو ما أراد المفسر الوصول إليه، وإثبات صحته.

¹ - الكشاف ج1ص106

² - آل عمران من الآية 28

³ - الكشاف ج1ص106

⁴ - البيت من البسيط لأمية بن أبي الصلت في الكشاف ج1ص106

⁵ - الكشاف ج1ص106

⁶ - المصدر نفسه ج1ص106

⁷ - البيت من الطويل للأعشى في أساس البلاغة. للزمخشري. مادة (مطق)

فوق: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾¹

يقول الزمخشري: «﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ فيها معنيان: أحدهما فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلا، وهو القلة والحقارة... والثاني فما زاد عليها في الحجم»². وفي المعنى الأول يضيف قائلا: «فإن قلت كيف يضرب المثل بما دون البعوضة، وهي النهاية في الصغر؟ قلت: ليس كذلك فإن جناح البعوضة أقلّ منها وأصغر بدرجات، وقد ضربه رسول الله ﷺ مثلا للدنيا، وفي خلق الله حيوان أصغر منها ومن جناحها»³. وفي هذا المعنى الدال على دقة مخلوقات الله التي لا يعلمها، ولا يراها إلا هو سبحانه عز وجل يقول الزمخشري: وأنشدت لبعضهم:

يا من يرى مدّ البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى عروق نياطها في نحرها والمخ في تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب من فرطاته ما كان منه في الزمان الأول⁴

حيث «يناجي الشاعر ربه ويناديه: يا من يرى حركة جناح البعوضة في ظلمة الليل البهيم، ويرى عروقها وما تتعلّق به عروقها في نحرها، ويرى مخها في عظامها النحيلة المرهفة، اغفر لي ما فرط مني في أيامي السالفة»⁵. والشاهد في هذه الأبيات: ما أشار إليه الشاعر من تلك المخلوقات، والأجزاء الصغيرة المتناهية في الصغر المتكوّنة منها، والتي لا يعلمها إلا الله، ولا يراها إلا هو سبحانه عز وجل.

¹ - البقرة من الآية 26.

² - الكشف، ج 1، ص 121.

³ - المصدر نفسه ج 1، ص 122.

⁴ - الأبيات من الكامل للزمخشري نفسه. كما هو دأبه في كلّ ما يقوله في تفسيره ولبعضهم، أو أنشدت لبعضهم.

الكشف، ج 1، ص 122.

⁵ - الكشف، ج 1، ص 122 (في الهامش).

يَسُومُونَكُمْ: في قوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾¹.

ذكر الزمخشري في تفسيره لهذه الآية أنّ سامه بمعنى أولاه ظلماً، وأصله من سام السلعة إذا طلبها قال: «﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ من سامه خَسَفًا إذا أولاه ظلماً... وأصله من سام السلعة إذا طلبها، كأنه بمعنى يبغونكم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ ويريدونكم عليه»². مستشهدا على صحّة هذا المعنى بقول عمرو بن كلثوم إلى عمرو بن هند:

إذا ما الملك سَامَ النَّاسَ خَسَفًا أبينا أن يَقِرَّ الخَسْفُ فينا³

ومعناه إذا أرغم عمرو بن هند النَّاسَ على ما فيه ذلهم، فإنّه لا يمكن لقوم الشّاعر أن ينفادوا إلى ذلك، ويرضوا به. والشّاهد في هذا البيت: استعمال الفعل سامه بمعنى أولاه ظلماً كما ورد في الآية الكريمة.

مُسَلِّمَةٌ: في قوله تعالى: ﴿مُسَلِّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا﴾⁴.

ذكر الزمخشري أنّ مدلول كلمة مسلمة في سياق هذه الآية أي «سَلِّمَهَا اللهُ من العيوب أو معفأة من العمل سَلِّمَهَا أهلها منه... أو مخلصه اللّون، من سلم له كذا إذا خلص له. لم يشب صفرتها شيء من الألوان»⁵. مستدلاً على صحّة المعنى الأول بقول الشّاعر:

أو مَعْبَرِ الظُّهرِ يُنْبِي عن وليّته ما حجَّ ربُّه في الدّنيا ولا اعتمرا⁶

إذ يصف الشّاعر فحلاً من الإبل مكرماً معفى من العمل معبر الظّهر موفور الوبر، لم يحجّ يوماً ولا اعتمر. والشّاهد فيه: الإعفاء من العمل أي مسلماً من العيوب والعمل. ففي البيت الجمل الفحل معفى من العمل سلمه صاحبه منه، والبقرة في الآية كذلك معفأة من

¹ - البقرة من الآية 49.

² - الكشاف، ج 1، ص 140.

³ - البيت من الوافر لعمرو بن كلثوم في شرح م السبع. للزوزني. تح. عمرحافظ. ش. القدس. ط1 القاهرة. 2009. ص 123.

⁴ - البقرة من الآية 71.

⁵ - الكشاف ج 1 ص 153

⁶ - البيت من البسيط لرجل من باهلة في خزانة الأدب ج 5 ص 269

العمل سلّمها أهلها منه، وبهذا تتّضح دلالة كلمة ﴿مُسَلِّمَةٌ﴾ في سياقها القرآني الواردة فيه.

أمانِيّ: في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيٌّ﴾¹

ذكر الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية أنّ مدلول قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَمَانِيٌّ﴾ أي «إلّا ما هم عليه من أمانيتهم، وأنّ الله يعفو عنهم ويرحمهم، ولا يؤاخذهم بخطاياهم، وأنّ آباءهم الأنبياء يشفعون لهم، وما تمنّيتهم أحبارهم من أنّ النّار لا تمسّهم إلّا أيّاماً معدودة، وقيل: إلّا أكاذيب مختلفة سمعوها من علمائهم فتقبّلوها على التّقليد... وقيل إلّا ما يقرؤون»². واستشهد على هذا الوجه الأخير بقول الشّاعر:

تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ أَوْلَ لَيْلِهِ [تمنّى داود الزبورَ على رسل]³

يرثي عثمان بن عفّان رضي الله عنه قائلاً: تلا وقرأ كتاب الله كتلاوة داود الزبور على تودة وسكينة. والشّاهد في البيت استخدم الشّاعر تمنّى بمعنى قرأ وتلا؛ ممّا يؤكّد صحّة الوجه الثّالث والأخير الذي أشار إليه الزمخشري في تفسير قوله تعالى ﴿إِلَّا أَمَانِيٌّ﴾.

بديع: في قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾⁴.

ذكر الزمخشري عند تفسيره لهذه الآية أنّه «يقال: بدّع الشيء فهو بديع كقولك: بُزِعَ الرَّجُلُ فهو بزيع و﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ﴾ من إضافة الصّفة المشبّهة إلى فاعلها، أي: بديع سمواته وأرضه، وقيل البديع بمعنى المبدع»⁵. وجاء في لسان العرب: «البديع المحدث العجيب والبديع المبدع، وأبدعت الشيء اخترعته لا على مثال، والبديع من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء وإحداثه إيّاها، وهو البديع الأوّل قبل كلّ شيء، ويجوز أن تكون

¹ - البقرة من الآية 78.

² - الكشاف، ج 1، ص 159.

³ - البيت من الطّويل لحسان بن ثابت، في اللّسان، (منى). والذرّ المصون 1 / 447.

⁴ - البقرة من الآية 117.

⁵ - الكشاف، ج 1، ص 180.

بمعنى مبدع»¹. واستشهد على أنّ بديع بمعنى مبدع بوجود نظائر لها في كلام العرب الموثوق بعريبتهم من ذلك قول عمرو بن معد يكرب صاحب ريحانة أخت دريد بن الصمة:

أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ [يُورِقْنِي وَأَصْحَابِي هَجُوعاً]²
 إذ يتحدث فيه عن صاحبتة ريحانة لعلّه يجد إلى قلبها سبيلاً أن يصل صوته المسمع إلى أذنها. والشاهد فيه: السَّمِيع بمعنى المسمع، كما أنّ البديع بمعنى المبدع في أحد الوجوه التفسيرية لـ ﴿بَدِيعٌ﴾.

كن فيكون: قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾³
 ذكر الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية أنّ قوله تعالى: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ «من كان التامة أي احدث فيحدث، وهذا مجاز من الكلام وتمثيل ولا قول ثم»⁴. أي: لا قول ولا سائل ولا مجيب، وإّما هو قضاء يريده سبحانه وتعالى معبر عنه بالقول على طريق التمثيل. كما أنّه لا قول ولا حوار في قول الشاعر:

إذ قالت الأنساع للبطن الحقي [قدما فأضت كالفينق المحنق]⁵
 إذ «يتخيل فيه الشاعر حديثاً بين الأنساع والبطن...تتاديه أن يسرع في السير فيلحق»⁶. والشاهد فيه: إنّ إثبات القول للأنساع ومخاطبتها البطن من باب التمثيل. وحقيقة الأمر أنّه أراد أن يقول: إنّ الظّهر قد لحق بالبطن.

وسطا: في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾⁷.

¹ - لسان العرب، مادة (بدع).

² - البيت من الوافر لعمرو بن معد يكرب، في ديوانه، تح. مطاع الطرايشي ص 140.

³ - البقرة من الآية 117.

⁴ - الكشاف، ج 1، ص 180

⁵ - البيت من الرجز لأبي التّجم العجلي. في الكشاف، ج 1، ص 180

⁶ - الكشاف، ج 1، ص 180.

⁷ - البقرة من الآية 143.

ذكر الزمخشري في تفسيره لهذه الآية مدلول كلمة ﴿وَسَطًا﴾ فقال: «﴿أُمَّةٌ وَسَطًا﴾ خياراً وهي صفة بالاسم الذي هو وسط الشيء؛ ولذا استوى فيه الواحد والجمع، والمذكر والمؤنث... وقيل للخيار وسط؛ لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والإعوار، والأوساط محمية محوطة»¹. واستشهد على صحة هذا المعنى بقول الشاعر الطائي:

كانت هي الوسط المحمي فاكتفتُ بها الحوادث حتى أصبحت طرفاً²

يتحدث أبو تمام عن الديار التي كانت هي الوسط التي تحميها الأطراف من حولها قد أحاطت بها الحوادث حتى زحزحتها عن الوسطية، وأصبحت طرفاً من الأطراف. والشاهد فيه: توظيف الشاعر كلمة الوسط للدلالة على الحصانة والبعد عن عوامل الفساد والانتقاص. وهو المعنى نفسه الذي يستشف من الآية الكريمة.

لباس: في قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾³.

ذكر الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية أنه «لمّا كان الرجل والمرأة يعتقان ويشتمل كلّ واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه»⁴. كما فسّر اللباس بالستر باعتبار أنّ كلا الزوجين يستر صاحبه، ويحفظه من الوقوع في الحرام ويعينه عنه، إضافة إلى صيغة فعال الدالة على الديمومة والاستمرارية، والتي تعني أنّ الإنسان بطبعه لا يستغني عن اللباس إطلاقاً، ومنه جاءت الدعوة إلى الزواج باعتباره لباساً وسكناً، ونبذ فكرة العزوبية والعزوف عن الزواج. وفي تقديري أنّ تفسير اللباس بالستر أقرب من التفسير المادي له، والذي اكتفى الزمخشري بذكره. واستشهد على صحته بقول الشاعر الجعدي:

¹ - الكشف، ج1، ص 195-196.

² - البيت من البسيط لأبي تمام في ديوانه. شرح التبريزي. تح محمد عبده عزام. دار المعارف. ط4. القاهرة. دت. ج2 ص 374 (مع تغيير في بعض الكلمات).

³ - البقرة من الآية 187.

⁴ - الكشف، ج 1، ص 223.

إذا ما الضَّجِيعُ ثَنَى عِطْفَها تَثَنَّتْ فكانت عليه لِيَاساً¹
 إذ يصوّر الجعدي المرأة في حال مضاجعة الرجل لها. والشاهد فيه: استخدام كلمة
 لباس بنفس الدلالة التي أعطاها الزمخشري في الآية الكريمة.

درجات : قال الله تعالى: ﴿هُم دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾².

قال الزمخشري: «﴿هُم دَرَجَاتٌ﴾ أي: هم متفاوتون، كما تتفاوت الدرجات... وقيل ودرجات
 والمعنى: تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين، أو التفاوت بين الثواب والعقاب»³.
 وقال السمين الحلبي: «أنهم متفاوتون في الجزاء على كسبهم، كما أن الدرجات متفاوتة
 والأصل على التشبيه أي: هم مثل الدرجات في التفاوت»⁴. فذكر الدرجة والتي بمعنى
 الرتبة يعني وجود تفاوت بين منازل المثابين منهم، ومنازل المعاقبين، وهو لا شك مماثل
 للتفاوت الذي عبّر عنه الشاعر بقوله:

أَنْصَبُ لِلْمَنِيِّ تَعْتِرِيهِمْ رَجَالِي أَمْ هُمْ دَرَجُ السَّيُولِ⁵

يتساءل الشاعر تساءل المتجاهل عما حل بقومه، وعما صار إليه أمرهم في المعركة
 وبالمعركة، أهم غرض للمنية فأهلكتهم؟ أم كانوا في ممر السيل فاجترفهم؟ والشاهد فيه:
 تفاوت المنازل بينهم حتى في الموت، وهذا يؤكد المعنى المشار إليه في قوله تعالى: ﴿هُم
 دَرَجَاتٌ﴾.

تمام الحج : في قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾⁶

¹ - البيت من المتقارب للناطقة الجعدي، في ديوانه، تح. واضح الصمد. دار صادر. ط1. بيروت 1998 ص 100

² - آل عمران الآية 163.

³ - الكشف ج 1 ص 394

⁴ - الدر المصون ج 3 ص 470.

⁵ - البيت من الوافر لابن هرمة في لسان العرب (درج).

⁶ - البقرة من الآية 196.

ذكر الزمخشري عند تفسيره لهذه الآية أن قوله تعالى: «**وَأَتَمُّوا**» اتوا بهما تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله من غير توان، ولا نقصان يقع منكم فيهما... وقيل إتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك... وقيل أن تخلصوهما للعبادة، ولا تشوبهما بشيء من التجارة والأغراض الدنيوية»¹. وقد أعطى ذو الرمة مدلولاً آخر لتمام الحج إذ يقول:

تَمَامُ الْحَجِّ أَنْ تَقِفَ الْمَطَايَا عَلَى خَرْقَاءَ وَاضْعَةَ اللَّئَامِ²

خرقاء: اسم محبوبة له من بني عامر؛ لأنه لما شغف بها خرق أدواته»³. وقيل: «امرأة كانت تَقُمُّ المسجد النبوي بالمدينة»⁴. وسواء هذه أو تلك، فالشاعر يعتبر تمام الحج الوقوف بالمطايا على خرقاء، أي جعله علامة على تمامه. وهو الشاهد في البيت «وحكي أن بعض السلف الصالح قال لصاحبه: هل نتم حجا كما قال: ذو الرمة، وأنشد البيت. قيل: وحقيقة مراده أنه ينبغي كما قطعنا البراري ووصلنا إلى حرمة، أن نقطع أهواء النفس حتى نشاهد آثار كرمه»⁵. فيكون استعماله البيت من باب التمثيل.

العفو: قال تعالى: «**وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوُ...**»⁶.

ذكر الزمخشري في تفسيره لهذه الآية أن «العفو نقيض الجهد، وهو أن ينفق ما لا يبلغ إنفاقه منه الجهد، واستخراج الوُسْع»⁷. وقد استشهد على صحة هذا المدلول بقول الشاعر:

حُذِي الْعَفْوُ مِنِّي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي [وَلَا تَنْطِقِي فِي سُورَتِي حِينَ أَغْضِبُ]⁸

¹ - الكشاف، ج1، ص 230.

² - البيت من الوافر لذي الرمة في ديوانه، شرح التبريزي. تح مجيد طراد. ص 648.

³ - هامش الكشاف، تح عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض ج1، ص 399

⁴ - هامش الكشاف، تح يوسف حمادي ج1، ص 230

⁵ - هامش الكشاف، تح عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض ج 1 ص 399

⁶ - البقرة من الآية 219.

⁷ - الكشاف، ج1، ص 251.

⁸ - البيت من الطويل لأسماء بن خارجة أحد حكماء العرب يخاطب زوجته حين بنى عليها في لسان العرب مادة (عفا)

إذ يتوجه الشاعر الحكيم إلى زوجته قائلاً لها: خذي ما ليس بجهدى أو يشق علي؛ لأن ذلك أدعى لاستدامة المودة بيننا، أو خذي السهل من أخلاقي لئلا يذهب حبي إياك. والشاهد فيه: معنى العفو، وما يدل عليه من عدم استقراغ الجهد.

القرء: قال تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾¹.

ذكر الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية أن مدلول القرء هو الحيض حيث قال: «والقروء جمع قُرء أو قَرء، وهو الحيض بدليل قوله ﷺ «دعي الصلاة أيام أقرائك»². وقوله: «طلاق الأمة تطليقتان، وعدتها حيضتان»³. ولم يقل: طهران... ويقال: أقرأت المرأة إذا حاضت وامرأة مقرئ، وقال أبو عمرو بن العلاء دفع فلان جاريتها إلى فلان تقرئها أي: تمسكها عندها حتى تحيض للاستبراء فإن قلت: فما تقول في قوله تعالى: ﴿فَطَلَّقُوهُنَّ لِئِدَّتِهِنَّ﴾⁴، والطلاق الشرعي إنما هو في الطهر؟ قلت: معناه مستقبلات لعدتهن كما تقول: لقيته لثلاث بقين من الشهر تريد مستقبلاً لثلاث، وعدتهن: الحيض الثلاث»⁵. وحتى يثبت أن مدلول القرء في اللغة مطلقاً هو الحيض وليس الطهر، أورد قول الأعشى، وحاول شرحه بحيث ينفي، ويبعد إطلاق معنى الطهر على القرء، وإن كان الجميع يتفق على أن القرء في بيت الأعشى يعني الطهر، وسنشرح ذلك بعد ذكر البيت:

[مُوْتَلَّةٌ مَالاً وَفِي الْحَيِّ رَفْعَةٌ] لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نِسَائِكَا⁶

يقول الزمخشري: «أراد كما ضاع فيها من عدة نساءك لشهرة القروء عندهم في الاعتداد بهن أي: من مدة طويلة، كالمدة التي تعتد فيها النساء استطال مدة غيبته عن أهله كل

¹ - البقرة من الآية 228.

² - سنن الدار قطني. تح عادل أحمد عبد الموجود .علي محمد معوض. دار المعرفة. ط1 بيروت. 2001. ج1 ص 475

³ - سنن أبي داود، للألباني. مكتبة المعارف .ط1. الرياض. 1988 ص 381

⁴ - الطلاق من الآية 01

⁵ - الكشف ج1، ص 258.

⁶ - البيت من الطويل للأعشى في ديوانه تح .محمد حسين. مكتبة الآداب بالجماميزت. ط.د.ت. ص 91.

عام لاقتحامه في الحروب والغارات، وأنه تمر على نسائه مدة كمدة العدة ضائعة لا يضاجعهن فيها، أو أراد من أوقات نساءك؛ فإن القرء والقارئ جاء في معنى الوقت، ولم يرد لا حياء ولا طهرا»¹. وهكذا بهذا الشرح المستفيض حاول أن يقطع الطريق على من حاول أن يستشهد بالبيت للدلالة على أن القرء هو الطهر باعتبار أن الأقرء التي تضيع على الزوج هي الأطهار؛ لأنها هي التي يوطأن فيها لا الحيض. ولم يحسم مدلول القرء هل هو الحيض، كما يؤكد ذلك الزمخشري أم هو الطهر؟ وهو رأي الجمهور؛ لأن المطلقة تنقضي عدتها بدخولها في الحيضة الثالثة، ومن يعتبر أن القرء هو الحيض فعدتها تنقضي بدخولها في الطهر الرابع.

أجلهن: في قوله تعالى: ﴿فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾².

ذكر الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية أن قوله تعالى: ﴿فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ «أي: آخر عدتها وشارفن منتهاها، والأجل يقع على المدة كلها، وعلى آخرها، يقال: لعمر الإنسان: أجل، وللموت الذي ينتهي به: أجل، وكذلك الغاية والأمد»³. واستشهد على استخدام الأمد بمعنى الأجل بقول الشاعر:

كُلُّ حَيٍّ مُسْتَكْمَلٌ مَدَّةَ الْعُمُرِ وَمُودٍ إِذَا انْتَهَى أَمَدُهُ⁴

إن يقول: كل حي لا بد أن يستوفي مدة عمره، وهلك إذا انتهى أجله. والشاهد فيه استخدام الأمد بمعنى الأجل مع العلم «أن الأمد والأجل يطلقان على جميع مدة الشيء وعلى منتهاها، كما تعلن الغاية على جميع المسافة وعلى آخرها»⁵.

المولود له: قال تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾⁶.

¹ - الكشاف، ج1، ص 259.

² - البقرة من الآية 231.

³ - الكشاف، ج1، ص 263.

⁴ - البيت من الخفيف للطرماح في ديوانه، تح عزة حسن. دار الشرق العربي. ط2. بيروت 1994 ص 139.

⁵ - هامش الكشاف، تح عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض ج1، ص 452

⁶ - البقرة من الآية 233

ذكر الزمخشري أن مدلول قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ «وعلى الذي يولد له وهو الوالد... فإن قلت لم قيل ﴿الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ دون الوالد قلت: ليعلم أن الوالدات إنما ولدن لهم؛ لأن الأولاد للآباء ولذلك ينسبون إليهم لا إلى الأمهات»¹. وقد استشهد بما نسب للمأمون بن الرشيد ردا على أخيه الأمين الذي كتب إليه يوبخه على الخلافة بغير استحقاق فقال:

فَإِنَّمَا أُمَّهَاتُ النَّاسِ أَوْعِيَةٌ مستودعات وللآباء أبناء²

ومعناه: أن الرفعة والصنعة من جهة الآباء لا من جهة الأمهات؛ لأنهن مجرد أوعية مستودعات لنطف الرجال وأن الأطفال للآباء وإليهم ينسبون؛ ولذا فلا اعتبار بنسب الأم وعرقها، ومنه فالخلافة مستحقة؛ لأن «القلم بدمه، والسيف بحدده، والمرء بسعده، لا بأبيه ولا بجدده»³ والشاهد فيه: أن الولد ينسب لأبيه فهو المولود له، فكان على الوالد أن يرزق الولد ويكسوه.

السر: في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُمْ سِرًّا﴾⁴.

ذكر الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية دلالة كلمة: ﴿سِرًّا﴾ فقال: «السر وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطاء؛ لأنه مما يسر... ثم عبر به عن النكاح الذي هو العقد؛ لأنه سبب فيه، كما فعل بالنكاح... وقيل: ﴿لَا تُوَاعِدُوهُمْ سِرًّا﴾: أي: في السر على أن المواعدة في السر عبارة عن المواعدة بما يستهجن؛ لأن مسارتهن في الغالب بما يستحيا من المجاهرة به»⁵. وقد استشهد على صحة مجيء لفظة سر بمعنى النكاح، وذلك في قول الأعشى:

¹ - الكشاف ج1 ص266

² - البيت من البسيط للمأمون بن الرشيد، في الكشاف ج1 ص226

³ - هامش الكشاف، تح عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض ج1، 456

⁴ - البقرة من الآية 235.

⁵ - الكشاف ج1، ص270.

وَلَا تَفْرَيْنَ جَارَةً إِنْ سَرَّهَا عَالِيكَ حَرَامٌ فَأَنْكِحْنِ أَوْ تَأْبَدًا¹

ينهى الأعرشي الجار أن يدنو من جارتها، وذلك أبلغ من نهيها عن وطئها؛ لأن وطئها حرام ثم دعاه إلى الزواج، أو اعتزال النساء كالوحش. والشاهد فيه: مجيء لفظة سر بمعنى النكاح الذي هو الوطء.

المن: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَدَىٰ﴾²

قال الزمخشري: المن: أن يعتد على من أحسن إليه بإحسانه، ويريه أنه اصطنعه وأوجب عليه حقا له، وكانوا يقولون: إذا صنعت صنيعا فانسوها³. وقديما قال الشاعر منددا بمن يعطي ثم يمن:

وَإِنْ أَمْرًا أَسَدَىٰ إِلَيَّ صَنِيعَةً وَذَكَرْتَنِيهَا مَرَّةً لِلنَّيْمِ⁴.

يقول الشاعر: إن من يعطيني عطية، ويذكرني بها ولو مرة واحدة، فهو لئيم. والبيت شاهد على كراهة المن الورد بمعنى الاعتداد على من أحسن إليه، وشدة موقعه من النفوس.

تدائنتم: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ﴾⁵.

قال الزمخشري: «إِذَا تَدَايَنْتُمْ» إذا دابن بعضكم بعضا، يقال دابنت الرجل إذا عاملته (بدين) معطيا أو آخذا كما تقول: بايعته إذا بعته أو باعك⁶. وهذا ما نقف عليه في قول رؤبة، وبالذلالة نفسها حيث يقول:

دانت أروى والديون تُقَضَى فمطلت بعضا وأدَّت بعضا⁷

¹ - البيت من الطويل للأعرشي في ديوانه. محمد حسين. ص 137.

² - البقرة من الآية 264.

³ - الكشف ج 1، ص 291.

⁴ - البيت من الطويل. بلا نسبة في الكشف ج 1، ص 291

⁵ - البقرة من الآية 282.

⁶ - الكشف ج 1 ص 301.

⁷ - البيت من الرجز لرؤبة في ديوانه. تح وليم بن الورد ص 79.

يقول: عاملت أروى بديون عدة لي عليها كان عليها أن تقضيها، والديون تقضى، وإن أدت بعضها فقد أخرت بعضها منها. والشاهد فيه لفظة (داين) لصلتها بمدلول قوله تعالى: ﴿تَدَايِنْتُمْ﴾.

وجه النهار: قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾¹.

قال الزمخشري: «﴿وَجَهَ النَّهَارِ﴾ أوله... والمعنى: اظهروا الإيمان بما أنزل على المسلمين في أول النهار ﴿وَكَفَرُوا﴾: به في آخره لعلهم يشكون في دينهم، ويقولون: ما رجعوا وهم أهل كتاب وعلم إلا لأمر قد تبين لهم فيرجعون برجوعكم»². ويقول صاحب الدر المصون في قوله تعالى: «﴿وَجَهَ النَّهَارِ﴾: «منصوب على الظرف لأنه أول النهار»³. وقد استشهد كل من الزمخشري والسمين الحلبي بقول الشاعر:

من كان مسرورا بمقتل مالكٍ فليأت نسوتنا بوجه نهار⁴

حيث يقول: من كان فرحاً بمقتل مالك بن زهير العبسي شامتاً لأوليائه، فليأت إلى نسائنا، أو ساحتنا في أول النهار ليرى مبلغ حزنهنّ عليه، وهذا يعني أنهم قد أخذوا تأره على عجل فحل لنسائهم البكاء عليه على عادة العرب أنهم لا يندبون القتيل إلا بعد أخذ تأره. والشاهد فيه: استخدام «﴿وَجَهَ النَّهَارِ﴾» للدلالة على أوله ومطلعه.

كلالة: قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً...﴾⁵

قال الزمخشري: «وإن قلت ما الكلالة قلت ينطلق على ثلاثة: على من لم يخلف ولداً، ولا والداً، وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين، وعلى القرابة من غير جهة الولد

¹ - آل عمران الآية 72.

² - الكشاف ج 1 ص 343

³ - الدر المصون، ج 3، ص 248.

⁴ - البيت من الكامل للربيع بن زياد العبسي في البحر المحيط 417/2 وبلا نسبة في لسان العرب مادة (وجه) ولقيس

بن زهير في تهذيب اللغة (وجه).

⁵ - النساء من الآية 12.

والوالد...والكلالة في الأصل:مصدر بمعنى الكلال، وهو ذهاب القوة من الإعياء... فاستعيرت للقراية من غير جهة الولد والوالد؛ لأنها بالإضافة إلى قرابتها كالة ضعيفة»¹. فالكلالة حقيقية تعني الضعف وذهاب القوة من الإعياء، وهو المعنى نفسه الذي عبر عنه الأعشى بقوله :

فَأَلَيْتَ لَا أُرْثِي لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ [ولا من وَّجِيَّ حَتَّى تَلْقَى مُحَمَّدًا]²

يصف ناقته وقد وفد على النبي ﷺ فصده المشركون ومات باليمامة. إذ يقول:حلفت لا أرق لها مما قد يصيبها من ضعف حتى ألقى بها محمداً ﷺ، والشاهد فيه: لفظة الكلالة بمعنى الضعف، وفي دلالتها على الضعف ما يتصل بقوله تعالى:﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَالَةً﴾؛ لأن القراية من غير الولد والوالد كالة ضعيفة .

سكاري: قال تعالى:﴿لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾³.

قال الزمخشري:«ومعنى﴿لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ﴾لا تغشوها، ولا تقوموا إليها واجتنبوها كقوله ﴿لَا تَقْرُبُوا الرِّثَاءَ﴾⁴، و﴿لَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ﴾⁵،وقيل معناه:ولا تقربوا مواضعها المساجد»⁶. والعلة في ذلك﴿وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ باعتبار أن الخمر لم يحرم بعد، ومنه فالسكر المقصود هو ما يعرض المرء من شرب المسكر؛ فيسد ما بينه وبين عقله«وقيل هو سكر النعاس وغلبة النوم»⁷. وهذا المعنى الأخير هو ما يستشف من قول الطرماح :

[مخافة أن يرين النوم فيهم] بسكر سناتهم كل الريون⁸

¹ - الكشاف ج 1 ص 437.

² - البيت من الطويل للأعشى في ديوانه .ص135

³ - النساء من الآية 43.

⁴ - الإسراء من الآية 32.

⁵ - الأنعام من الآية 151.

⁶ - الكشاف ج 1 ص 460.

⁷ - المصدر نفسه ج 1 ص 460.

⁸ - البيت من الوافر للطرماح في ديوانه..ص 294.

إذ يصف هؤلاء القوم: «بأن أوائل النعاس رنقت في أعينهم، ثم إن سكرة النوم غشيتهم وذهبت بهم كل مذهب»¹. والشاهد فيه قوله: سكر سِنَاتِهِمْ وهو دليل على ما ذهبت إليه بعض التفسيرات لقوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ أي: أن المراد سكر النعاس.

يشرون: قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾²

قال الزمخشري: «يَشْرُونَ» بمعنى يشترون ويبيعون»³. وقال صاحب الدرّ المصون موضّحاً ذلك: «يَشْرُونَ» يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون بمعنى يشترون فإن قيل: قد قرّرت أن الباء إنّما تدخل على المتروك، والظاهر هنا أنّها دخلت على المأخوذ. فالجواب: أنّ المراد بالَّذِينَ يَشْرُونَ المنافقون المبطلون عن الجهاد أمروا بأن يغيّروا ما بهم من التّفاق، ويخلصوا الإيمان بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله، فلم تدخل إلا على المتروك؛ لأنّ المنافقين تاركون للآخرة آخذون للدنيا. والثاني: أن يشترن بمعنى يبيعون ويكون المراد بالَّذِينَ يَشْرُونَ: المؤمنون المتخلفون عن الجهاد المؤثرون الآجلة على العاجلة»⁴. فعلى أحد الوجهين يشرون بمعنى يبيعون أي: يبيعون الحياة الدنيا بالآخرة. وقد قال ابن مفرغ:

وشريت بُردًا لیتني من بعد بُردٍ كنت هامة⁵

حيث يأسى على بيع غلامه «برد»، ويتتدّم على ذلك كثيرًا، بل يتمنى لنفسه الموت والهلاك بعد بيعه فقوله: كنت هامة كناية على ذلك حيث «كانت العرب تزعم أنّ عظام

¹ - هامش الكشف ج 1 ص 460.

² - النساء، من الآية 74.

³ - الكشف، ج 1، ص 476.

⁴ - الدرّ المصون، ج 4، ص 35.

⁵ - البيت من مجزوء الكامل. لابن مفرغ في ديوانه، تح عبد القدوس أبو صالح. مؤسسة الرسالة. ط2. بيروت.

رأس القنيل تصير هامة أي: بومة تزقو وتصيح: أدركوني، أدركوني حتى يؤخذ بثأره»¹.
والشاهد فيه: استخدام شريت بمعنى بعت.

النصب: قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾².

قال الزمخشري: «وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ» كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها، ويشرحون اللحم عليها، ويعظمونها بذلك، ويتقربون به إليها تسمى الأنصاب والنصب واحد»³. والنصب هي تلك الحجارة التي نصبها العرب في جاهليتهم حول البيت الحرام، فكانوا يذبحون عليها القرابين، فيشرحون لحمها ويضعونه على تلك الحجارة المنصوبة تعظيماً لها الشيء الذي حرمه الإسلام، ونهى عنه البتة باعتباره عبادة، والعبادة لله وحده. وهو الأمر نفسه الذي أشار إليه الشاعر بقوله:

وذا النُّصُب المنصوب لا تعبدنَّه لعاقبة والله ربك فاعبدا⁴

حيث الأعشى ينهى عن عبادة النصب، كما كان يفعل العرب في جاهليتهم داعياً إلى عبادة رب العباد. والشاهد فيه: استخدام كلمة النصب بالدلالة نفسها المشار إليها في قوله تعالى: «وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ».

اليوم: قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَنْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾⁵.

قال الزمخشري: «الْيَوْمَ» لم يرد به يوماً بعينه، وإنما أراد به الزمان الحاضر، وما

¹ - الكشاف للزمخشري، تح عبد الموجود. وعلي محمد معوض. مكتبة العبيكان. الرياض ط1. 1998. ج2 ص107

² - المائدة من الآية 03.

³ - الكشاف ج 1 ص 535.

⁴ - البيت من الطويل للأعشى في ديوانه ص 137.

⁵ - المائدة من الآية 03.

يتصل به ويدانيه من الأزمنة الماضية والآتية، كقولك كنت بالأمس شاباً، وأنت اليوم أشيب، فلا تريد بالأمس اليوم الذي قبل يومك، ولا باليوم يومك¹. وقال أبو حيان: «الألف واللام فيه للعهد وهو يوم عرفة قاله مجاهد وابن زيد، وهو يوم نزولها بعد العصر في حجة الوداع يوم الجمعة ورسول الله ﷺ في الموقف على ناقته، وليس في الموقف مشرك... وقال الزجاج لم يرد يوماً بعينه، وإنما المعنى الآن يئسوا كما تقول أنا اليوم قد كبرت². فالملاحظ أنهم قد اختلفوا في تفسيرهم «اليوم» في هذه الآية الكريمة فمن قائل: إن الألف واللام في اليوم للعهد، ومنه فهو يوم بعينه، وقد ذكروا أنه يوم عرفة، أو يوم فتح مكة، وذهب الزجاج وتبعه الزمخشري إلى أن الألف واللام ليستا للعهد، ولم يرد باليوم معنى معيناً، وإنما أراد به الزمن الحاضر، وما يتصل به ويدانيه من الأزمنة الماضية والآتية، وهو نحو «الآن» في قول الشاعر:

الآن لَمَّا ابيضَّ مسرِّي وَعَضَضْتُ من نَابِي عَلى جَدَمٍ³

أي لا يغفل البتة أن يتصابى الإنسان بعد أن ابيض شعر صدره، وتساقطت أنيابه وبلغ من الكبر عتياً. والشاهد فيه: كلمة الآن، وما تدل عليه حيث الألف واللام فيها ليس للعهد كالיום.

خائنة: في قوله تعالى: «لَا تَزَالُ تَطَّلُعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ»⁴.

قال الزمخشري: «عَلَى خَائِنَةٍ» على خيانة، أو على فعلة ذات خيانة أو على نفس، أو فرقة خائنة، ويقال رجل خائنة كقولهم: رجل راوية للشعر للمبالغة⁵. وذكر السمين الحلبي: «أَنَّ فِي خَائِنَةٍ ثَلَاثَةٌ أَوْجِهٌ. أَحَدُهُمَا أَنَّهَا اسْمُ فَاعِلٍ وَالْهَاءُ لِلْمَبَالِغَةِ كِرَاوِيَةٍ وَنَسَابَةِ

¹ - الكشاف ج 1 ص 536.

² - البحر المحيط ج 3 ص 440.

³ - البيت من الكامل للحارث بن علة الذهلي في لسان العرب (سرب).

⁴ - المائدة، من الآية 13.

⁵ - الكشاف، ج 1، ص 545.

أي: على شخص خائن...الثاني أن التاء للتأنيث، وأنت على معنى طائفة، أو نفس أو فعلة خائنة. الثالث: أنها مصدر كالعافية والعاقبة¹. فإذا كان كل وجه من هذه الأوجه المحتملة لتفسير «خائنة» له ما يؤيده ويثبت صحة احتمالها. فبيّنة من ادعى أنها اسم فاعل والهاء للمبالغة هي قول الشاعر:

[أقرين إنك لو رأيت فوارسي بعمائتين إلى جوانب صلفع]
حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن للغدر خائنة مغل الإصبع²

يخاطب ضيفا نزل عنده فطمع في جاريتة فقال له: «أي يا قرين لو رأيت فوارسي بهذين الجبلين ممتدين إلى جوانب صلفع، لحدثت نفسك بوفاء العهد خوفا مني، كما هو الواجب عليك، ولم تكن مجعولا للغدر خائنة...أي: كثير الخيانة...ولعله كان قد أشار للجارية بأصبعه»³. والشاهد فيه: استخدام كلمة خائنة كاسم فاعل دلّ على المبالغة، وهو أحد الأوجه المحتملة التي أشار إليها الزمخشري في تفسير قوله تعالى: «تَطَّلُعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ».

الوسيلة: في قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ»⁴ قال الزمخشري: «الْوَسِيلَةَ» كل ما يتوسل به أي: يتقرب من قرابة، أو صنيحة، أو غير ذلك، فاستعيرت لما يتوسل به إلى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصي»⁵. ويفسرها الطبري بقوله: «الوسيلة هي الفعيلة من قول القائل توسلت إلى فلان بكذا، بمعنى تقربت إليه»⁶. وفي هذا المعنى أنشد لبيد قوله:

¹ - الدرّ المصون، ج 4، ص 224.

² - البيت من الكامل للكلابي، في لسان العرب (صبع).

³ - الكشاف، ج 2، ص 217.

⁴ - المائدة، من الآية 35.

⁵ - الكشاف، ج 1، ص 556.

⁶ - تفسير الطبري، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي. بدار هجر. دط. دت. ج 8، ص 403.

أرى النَّاسَ لَا يَدْرُونَ مَا قَدَّرَ أَمْرِهِمْ أَلَا كُلُّ ذِي لَبِّ إِلَى اللَّهِ وَاسِلٌ¹
 معييا على النَّاسِ جَهْلُهُم بِالذِّي هُمْ فِيهِ مِنْ شُؤُونِ الدُّنْيَا وَسُرْعَةُ فَنَائِهَا، وَعَلَى كُلِّ ذِي
 عَقْلٍ أَنْ يَتُوبَ إِلَى اللَّهِ بِالطَّاعَةِ، وَلَا يَشْتَغَلَ بِالدُّنْيَا الْفَانِيَةِ. وَالشَّاهِدُ فِيهِ: مَا تَدَلَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ
 وَاسِلٌ بِمَا لَهَا مِنْ عِلَاقَةٍ دَلَالِيَّةٍ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾².

بعض ذنوبهم: في قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾³.
 قال الزمخشري: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ يعني بذنب التوَلَّى
 عن حكم الله، وإرادة خلافه فوضع بعض ذنوبهم موضع ذلك، وأراد أن لهم ذنوبا جمّة
 كثيرة العدد، وإنّ هذا الذنب مع عظمه بعضها وواحدٌ منها، وهذا الإبهام لتعظيم التوَلَّى
 واستسرافهم في ارتكابه، ونحو البعض في هذا الكلام ما في قول لبيد «أو يرتبط بعض
 النفوس حمامها» أراد نفسه، وإنّما قصد تفخيم شأنها بهذا الإبهام، كأنّه قال نفسا كبيرة
 ونفسا أي نفس، فكما أنّ التذكير يعطي معنى التكبير، وهو معنى البعضية، فكذلك إن
 صرّح بالبعض»⁴. فإبهام: ﴿بَعْضٍ﴾ في الآية الكريمة، والمراد به التوَلَّى عن حكم الله وإرادة
 خلافه، كما ذكر ذلك الزمخشري لا شكّ أنّه يراد به تعظيم التوَلَّى عن حكم الله، وفرط
 إسرافهم في ارتكابه من بين ذنوب جمّة كثيرة العدد. وهذه الدلالة لكلمة ﴿بَعْضٍ﴾ في هذه
 الآية الكريمة هي كدالاتها في قول لبيد:

[تَرَكَ أَمْكِنَةَ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا] أَوْ يَرْتَبِطُ بَعْضَ النَّفُوسِ حِمَامُهَا⁵

حيث يقول: أنّه كثير ترك الأمكنة حين لا ترضيه الإقامة فيها إلا إذا احتبس الموت
 فيها فكيف يتركها؟ والشاهد فيه: أنّه عبّر عن نفسه ببعض النفوس دلالة على التعظيم؛ لأنّ

¹ البيت من الطويل للبيد بن ربيعة العامري، في ديوانه. دار صادر. دط بيروت. دت. ص 132.

² المائدة، من الآية 35.

³ المائدة، من الآية 49.

⁴ الكشاف، ج1، ص 565 - 566.

⁵ البيت من الكامل للبيد بن ربيعة من معلقته. في شرح المعلقات السبع للزوزني. تح. عمر حافظ سليم سعيدة. شركة

القدس. ط1 القاهرة. 2009. ص171

كلّ ما فيه إبهام يفيد التعظيم، أو أنّه ربّما ادّعى أنّها كلّ النفوس مبالغة .

مثنوية: في سياق قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾¹

قال الزمخشري: «فإن قلت: المثنوية مختصة بالإحسان، فكيف جاءت في الإساءة؟ قلت: وضعت المثنوية موضع العقوبة على طريقة قوله: (تحية بينهم ضرب وجيع)، ومنه ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾²». وحاول أبو حيان أن يميّز بين معنى «مثنوية» حين يراعي أصل وضعها ومعناها، وحين يراعي كثرة استعمالها في الخير والإحسان، إذ يقول: «وهذه المثنوية هي في الحشر يوم القيامة، فإن لوحظ أصل الوضع، فالمعنى مرجوعا، ولا يدلّ إذ ذاك على معنى الإحسان، وإن لوحظ كثرة الاستعمال في الخير والإحسان فوضعت المثنوية موضع العقوبة»⁴. ويبدو أنّ ملاحظة كثرة الاستعمال في الخير والإحسان هو الذي رجّحه الزمخشري في تفسيره، حيث اعتبر المثنوية في هذه الآية الكريمة وقعت موضع العقوبة وتحديدًا على طريقة قول الشاعر:

[وخيّلٍ قد دلفتُ لها بخيّلٍ] تحيةً بينهم ضربٌ وجيع⁵

إذ جعل الشاعر التحية بينهم قائمة على الضرب الموجه. والشاهد فيه: وضع التحية وهي من الإحسان موضع الضرب الوجيع، وهي من الإساءة.

عبد الطاغوت: قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ

مَكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾⁶

قال الزمخشري: «﴿عَبَدَ الطَّاغُوتِ﴾ عطف على صلة «من» كأنه قيل: ومن عبد الطاغوت ... وقرئ عابد الطَّاغُوتِ عطفًا على القردة وعابدي وعباد وعبدٌ وَعَبِدٌ، ومعناه الغلوّ في

¹ - المائدة، من الآية 60.

² - سورة الانشقاق، من الآية 24. وآل عمران، من الآية 21.

³ - الكشاف ج 1 ص 573

⁴ - البحر المحيط، ج 3، ص 529.

⁵ - البيت من الوافر لعمر بن معد يكرب في الكتاب ج 2 ص 323

⁶ - المائدة، من الآية 60.

العبوديّة، كقولهم رجل حذر فطن للبليغ في الحذر والفتنة»¹. وقال صاحب الدرّ المصون: وقوله ﴿عَبْدَ الطَّاعُوتِ﴾ في هذه الآية أربع وعشرون قراءة اثنتان في السّبع وهما: وعبد الطّاعوت على أنّ «عبد» فعل ماض مبني للفاعل وفيه ضمير يعود على «من» كما تقدّم وهي قراءة جمهور السّبعة غير حمزة. والثّانية: وعبد الطّاعوت بضمّ الباء وفتح الدّالّ وخفض الطّاعوت، وهي قراءة حمزة - رحمه الله - والأعمش ويحيى بن وثاب... وقد جاء على فعل؛ لأنّه بناء يراد به الكثرة والمبالغة في نحو يَظُنُّ ونُدُس، كأنّه قد ذهب في عبادة الطّاعوت كلّ مذهب»². ويستخلص ممّا سبق أنّ توجيه قراءة وعبد الطّاعوت، أن عبد معناه الغلوّ في العبوديّة والمبالغة فيها، كقولهم للفطن فطن، وللحذر حذر، وهذا ما جاء في قول الشّاعر:

أبني لبيني إنّ أمّكم أمة، وإنّ أباكم عبُد³

حيث استخدم الشّاعر كلمة عبد للدّلالة على الإيغال في العبوديّة فهم أصلاء فيها فالأمّ أمة، والأب عبد. وهي الدّلالة التي أشار إليها الزمخشري حين ذكر قراءة ﴿عَبْدَ الطّاعُوتِ﴾.

بجهالة: قال الله تعالى: ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ﴾⁴

قال الزّمخشري: «بجهالة في موضع الحال أي عمله، وهو جاهل وفيه معنيان: أحدهما أنّه فاعل فعل الجهلة؛ لأنّ من عمل ما يؤدّي إلى الضّرر في العاقبة، وهو عالم بذلك أو ظانّ؛ فهو من أهل السّفه والجهل، لا من أهل الحكمة والتدبير، ومنه قول الشّاعر:

على أنّها قالت عشية زرتّها جهلت على عمدٍ ولم تك جاهلاً⁵

¹ - الكشاف ج1 ص 574

² - الدرّ المصون، ج4، ص 327-328.

³ - البيت من الكامل لأوس بن حجر في ديوانه. تح. محمد يوسف نجم. ص 21.

⁴ - الأنعام، من الآية 54.

⁵ - البيت من الطّويل بلا نسبة، في الكشاف، ج 1، ص 630.

والثاني: أنه جاهل بما يتعلّق به من المكروه والمضرة، ومن حقّ الحكيم ألاّ يقدم على شيء حتى يعلم حاله وكيفيته»¹. وسواء كان متجاهلاً أو جاهلاً العواقب، فإنّه قام بفعل الجهلة وفي المعنى الأوّل قال الشّاعر: البيت السّابق. وفيه «على» بمعنى مع أي: مع أنّها قالت عشيةً زيارتي لها: تجاهلت، ولم تك فيما مضى جاهلاً. باعتباره أنّه اقتحم خدرها. والشّاهد فيه: تعمّد التّظاهر بالجهل، ولم يك جاهلاً، وهو المعنى الأوّل الذي ذكره الزمخشري. وفي تفسير قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ﴾.

تبسل: قال الله تعالى: ﴿وَذَكَرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾²

قال الزمخشري: «وَذَكَرْ بِهِ» بالقرآن ﴿أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾ مخافة أن تسلم إلى الهلكة والعذاب، وترتهن بسوء كسبها، وأصل الإبسال المنع؛ لأنّ المسلم إليه يمنع المسلم»³. ﴿أَنْ تُبْسَلَ﴾ مفعول لأجله وتقديره كما ذكر الزمخشري: مخافة أن تبسل، والإبسال هو التسليم للإبسال المانع، أو بمعنى «الارتهان ويقال أبسلت ولدي وأهلي، أي ارتهنتم»⁴. وفي هذا المعنى قال الشّاعر:

وإبسالي بنيّ بغير جرم بَغُونَاهُ وَلَا بَدَمَ مُرَاقٍ⁵

حيث «يتحسّر على تسليم أبنائه لبني قشير رهنا في دم رجل منهم اسمه أبو الصحيفة بغير جرم جناه هو وأبناؤه، ولا بدم مراق»⁶. والشاهد فيه معنى الإبسال، وعلاقته بما ورد في الآية الكريمة.

¹ - الكشاف، ج 1، ص 630.

² - الأنعام، من الآية 70

³ - الكشاف، ج 1، ص 635-636.

⁴ - الدرّ المصون، ج 4، ص 681.

⁵ - البيت من الوافر، لعوف بن الأحوص الباهلي، في لسان العرب (بعا).

⁶ - ينظر الكشاف، تح أحمد عبد الموجود وعلي معوض. ج 2، ص 361.

آزر: في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزر﴾¹.

قال الزمخشري: «آزر اسم أبي إبراهيم عليه السلام وفي كتب التاريخ أن اسمه بالسريانية تارح، وقيل آزر اسم صنم، فيجوز أن ينبز به، للزومه عبادته، كما نبز ابن قيس" بالرقيات اللاتي كان يشبب بهن، فقيل ابن قيس الرقيات»². فسواء كان آزر اسما لأبي إبراهيم، أو اسم صنم كان يعبد؛ فهو عطف بيان لأبيه، أو بدل منه، وقد نبز به وصار لقباً له، لما لازم عبادته، كما نبز ابن قيس بالرقيات اللاتي كان يشبب بهن، فلقب بابن قيس الرقيات، كما قال أحد الشعراء المحدثين:

أُدْعَى بِأَسْمَاءَ نَبَزًا فِي قِبَائِلِهَا كَأَنَّ أَسْمَاءَ أَضَحَّتْ بَعْضَ أَسْمَائِي³

ينادونه بلفظ أسماء شتما له بين قبائلها، كأن اسمها أصبح علما عليه. والشاهد: إطلاق اسم محبوبته أسماء على الشاعر بالنظر إلى تعلقه الشديد بها، فلقب بذلك كما لقب أبو إبراهيم بآزر، وابن قيس بالرقيات.

فلق الصبح: قال الله تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾⁴

قال الزمخشري: «فان قلت: فما معنى فلق الصبح؟ والظلمة هي التي تنفلق عن الصبح. قلت: فيه وجهان: أن يراد فالق ظلمة الإصباح، وهي الغبش في آخر الليل ومنقضاه الذي يلي الصبح. والثاني: أن يراد فالق الإصباح الذي هو عمود الفجر عن بياض النهار وإسفاره، وقالوا انشق عمود الفجر، وانصدع الفجر، وسموا الفجر فلقا بمعنى مفلوق»⁵. إذا كان فلق بمعنى انشق؛ فإنه حق للزمخشري أن يتساءل عن معنى فلق الصبح والمعروف أن الظلمة هي التي تنفلق عن الصبح، كما جاء في وصف أبي نؤاس للخمرة إذ يقول:

¹ - الأنعام، من الآية 74.

² - الكشاف ج 1 ص 637

³ - البيت من البسيط لأبي محمد عبد الله الخازن شرح شواهد الشافية. للبغدادي. تح. محمد نور الحسن. محمد الزرفاف.

محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الكتب العلمية. دط. بيروت. 1982. ج 4 ص 298.

⁴ - الأنعام، من الآية 96.

⁵ - الكشاف، ج 1، ص 645.

تَرَدَّتْ بِهِ ثُمَّ انْفَرَى عَن أَدِيمِهَا تَفْرَى لَيْلٍ عَن بِيَاضِ نَهَارٍ¹
 أي أنّ الحباب ستر الخمر، ولما انشق عن وجهها ظهرت، كما انشق الليل عن بياض
 النهار واستبان. والشاهد فيه: انفلاق الظلمة عن الصبح، وليس العكس. مما دفع
 بالزمخشري أن يرجع ذلك إلى وجهين: أحدهما أن يراد فالق ظلمة الإصباح، أي أنه حذف
 المضاف وهو توجيه صائب. والثاني: أن يراد فالق الإصباح الذي هو عمود الفجر عن
 بياض النهار وإسفاره بدليل قول العرب: انشق عمود الفجر وانصدع الفجر، وتسميتهم
 أيضا الفجر فلما بمعنى مفلوق. بدليل بيت الطائي:

وَأَزْرَقُ الْفَجْرُ يَبْدُو قَبْلَ أْبِيضِهِ وَأَوَّلُ الْغَيْثِ قَطْرٌ ثُمَّ يَنْسُكِبُ²
 إذ يتحدث فيه حاتم عن الزرقة التي تتقدم مطلع الفجر وتبشر به، والتي تتكشف شيئا
 فشيئا عن بياض، كما يستهلّ المطر بقطر خفيف يعقبه انصباب غزير. والكلام كله من
 باب التمثيل حيث أوائل الأمور تبدو قليلة ثم تكثر. والشاهد فيه: انشفاق عمود الفجر عن
 بياض النهار، وأزرق الفجر يبدو قبل أبيضه.

حَرَمٌ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيَّ الْكَافِرِينَ﴾³

قال الزمخشري: «منعهم شراب الجبّة وطعامها، كما يمنع المكف ما يحرم عليه
 ويحذر»⁴. فالتحريم بمعنى المنع هذا ما أشار إليه الزمخشري، وفهم من السياق العام للآية
 الكريمة بدليل قول الشاعر:

حَرَامٌ عَلَيَّ عَيْنِي أَنْ تَطْعَمَ الْكَرَى [وَأَنْ تَرْقَا حَتَّى الْأَقْيَاكِ يَا هِنْدُ]⁵
 حيث منع الشاعر عينيه أن تذوقا طعم النعاس حتى يلاقي محبوبته هند وينال من
 نوالك. والشاهد فيه: استخدامه لفظ الحرام بمعنى المنع. وأعتقد أنّ جمال البيت كان من

¹ البيت من الطويل لأبي نواس في الكشف، ج 1، ص 645.

² البيت من البسيط، لحاتم الطائي، في الدرّ المصون، ج 5، ص 60.

³ الأعراف، من الآية 50.

⁴ الكشف ج 2 ص 23

⁵ البيت من الطويل بلا نسبة في الكشف، ج 2، ص 23، والبحر المحيط، ج 4، ص 307.

وراء اختياره كشاهد فقد تنوّعت صورته البيانية، فمن الاستعارة المكنية في قوله: أن تطعم الكرى إلى المجاز العقلي في إسناده الفعل رقاً بمعنى سكن إلى العين، وهو في الحقيقة للدّمع، كما يحتمل أيضاً أنه استعار ترقاً لتغمضا باعتبار أن الإغماض فيه سكون الجفون. إضافة إلى ما يعبر عنه البيت من وفاء وصدق، فالمحب لا يهنأ له بال، ولا تغمض له جفون إن لم يلاق حبيبه.

سَنَسْتَدْرِجُهُمْ: قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾¹ قال الزمخشري أن: «الاستدراج استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد، أو الاستنزال درجة بعد درجة...ومنه درج الصبي إذا قارب بين خطاه، وأدرج الكتاب: طواه شيئاً بعد شيء ودرج القوم: مات بعضهم في أثر بعض ومعنى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ سنستدنيهم قليلاً قليلاً إلى ما يهلكهم، وبضاعف عقابهم ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يراد بهم؛ وذلك أن يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغنى، فكلما جدّ عليهم نعمه ازدادوا بطراً، وجدّوا معصية، فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم، ظانين أن مواترة النعم أثرة من الله وتقريب، وإنما هي خذلان منه، وتبعيد فهو استدراج الله تعالى نعوذ بالله منه»². فالاستدراج إذن هو «التقريب منزلة منزلة والأخذ قليلاً قليلاً»³ سواء مأخوذاً من الدرّج أو الدرّج وقد قال الأعشى في الاستدراج محدّراً مخاطبه ومخوفاً إيّاه:

فلو كنتَ في جُبِّ ثمانين قامَةً ورُقِيتَ أسبابَ السَّماءِ بسُلْمٍ

ليستدرجَنَّكَ القولُ حتّى تُهَرَّهَ وتعلّمَ أنّي عنكم غير مُفحَمٍ⁴

والشّاهد فيه: «ليستدرجَنَّكَ» حيث دلت بما يوافق معنى سنستدرجهم في الآية الكريمة والمشار إليه في كلام الزمخشري. حيث يقال: «استدرجه كلامي أي أقلقه حتّى تركه يدرج

¹ - الأعراف، 182.

² - الكشاف، ج 2، ص 86.

³ - الدرّ المصون، ج 5، ص 524.

⁴ - البيتان من الطويل، للأعشى، في ديوانه، ص 123.

على الأرض»¹.

فوق الأعناق: قال الله تعالى: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾².

قال الزمخشري: «: ﴿فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ أراد أعالي الأعناق التي هي المذابح، لأنها مفاصل فكان إيقاع الضرب فيها حزًا وتطبيرًا للرؤوس، وقيل أراد الرؤوس لأنها فوق الأعناق يعني ضرب الهام»³. ودليله في ذلك قول الشاعر:

[وإمساكي على المكروه نفسي] وأضربُ هامةَ البطلِ المُشِيحِ⁴

إذ يفخر فيه بأنه مضرب بسيفه رأس عدوه، فيطيح به. والشاهد فيه ضرب الهامة بمعنى الرأس. وقول الآخر:

غشيتَه وهو في جأواءَ بأسلةٍ عضبا أصابَ سواءَ الرأسِ فانفلقا⁵

إذ يفخر بأنه تمكن من عدوه، وهو في أرض غليظة مسودة، فأصاب وسط رأسه بسيفه القاطع، فشقه. والشاهد فيه: إصابة سواء الرأس بضربة السيف مما يعزز معنى قوله تعالى: ﴿فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾.

لِيُبْلِي: قال الله تعالى: ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾⁶.

ذكر الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية أن معنى ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: «وليعطيهم ﴿بَلَاءً حَسَنًا﴾ عطاء جميلاً»⁷. وذكر غيره: «أن الأكثر في الخير أبليته، وفي الشر بلوته وفي الاختيار ابتليته وبلوته»⁸. والمؤكد أن «البلاء يكون في الخير والشر»، قال تعالى:

¹ - لسان العرب، مادة درج.

² - الأنفال، من الآية 12.

³ - الكشاف، ج 2، ص 105.

⁴ - البيت من الوافر، لعمر بن الإطناية في شرح شذور الذهب 345.

⁵ - البيت من البسيط، لبلعا بن قيس الكناني في شرح المفصل لابن يعيش ج 1 ص 50.

⁶ - الأنفال، من الآية 17.

⁷ - الكشاف، ج 2، ص 108.

⁸ - الدرّ المصون، ج 1، ص 347.

﴿وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْأَخْيَرِ فِتْنَةً﴾¹. لأنَّ الابتلاء امتحان فيمتحن الله عباده بالخير ليشكروا وبالشر ليصبروا². وقد استشهد على صحّة دلالة البلاء بمعنى العطاء بقول زهير:

[جزى الله بالإحسان ما فعلا بكم] فأبلاهما خير البلاء الذي يبلى³

يقول: كافأ الله بإحسانه إليهما ما فعلاه بكم من الإحسان. وأبلاهما أحسن البلاء. والشاهد فيه: استخدام أبلى بمعنى أعطى، مما له علاقة بقوله تعالى: ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

يحييكم: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾⁴.

ذكر الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية الكريمة ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ أي: «من علوم الديانات والشرائع؛ لأنّ العلم حياة كما أنّ الجهل موت»⁵. لقد قيل: العلم نور، والجهل ظلام وأولى بالصواب أن يقال العلم حياة والجهل موت. ومن هذا المنطلق اعتبر الزمخشري أنّ دعوته سبحانه وتعالى المؤمنين إلى ما يحييهم هي دعوته إليهم إلى العلم وإن ذكر⁶. أو ذكر غيره⁷ تأويلات أخرى، لكن لا ترقى إلى هذا الفهم. وحين لم يجد ما يدلّ به على صحّة هذا المعنى ذكر بيتا من إنشاده فقال:

لا تُعْجِبَنَّ الْجَهْلَ حُلَّتَهُ فذالك مَيّت وثوبه كَفَن⁸

نهى فيه الجهول من العجب بثيابه؛ لأنّه كالميت في عدم النفع وعدم الإدراك، ومن ذلك فتوبه مجرد كفن ليس إلّا. ليعزّز قوله إنّ الجهل موت، والعلم هو الحياة.

¹ - الأنبياء، من الآية 35.

² - الدرّ المصون، ج 1، ص 347.

³ - البيت من الطويل لزهير في ديوانه، تح. علي حسن فاعور. ص 86.

⁴ - الأنفال، من الآية 24.

⁵ - الكشاف، ج 2، ص 110.

⁶ - ينظر الكشاف، ج 2، ص 110.

⁷ - ينظر تفسير الطبري، ج 11 ص 103.

⁸ - البيت من المنسرح للزمخشري في البحر المحيط 4 / 476 دون أن يشير إلى قائله.

حسبك: قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾¹.

ذكر الزمخشري: «فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ» فَإِنَّ محسبك الله². أي كافيك الله «ومن كان الله حسبه لا يبالي بمن ينوي سوءا»³. وقد استدلل الزمخشري على هذا المعنى بقول جرير: إن وجدت من المكارم حسبكم أن تلبسوا خز الثياب وتشبعوا⁴ في هذا البيت يتهم جرير بمن يخاطبهم، إذ يتوهمون أن المكارم في المأكل والملبس والأمر ليس كذلك. والشاهد فيه: استخدام حسبكم بمعنى كافيكم.

فخلوا سبيلهم: قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾⁵ ذكر الزمخشري أن معنى قوله تعالى: ﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ «فأطلقوا عنهم بعد الأسر والحصر أو فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم... وعن ابن عباس رضي الله عنهما دعوهم وإتيان المسجد الحرام»⁶. وذكر أبو حيان في معرض تفسيره لهذه الآية الكريمة: ﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ أنها «كناية عن الكف عنهم وإجرائهم مجرى المسلمين في تصرفاتهم حيث ما شاءوا، ولا تتعرضوا لهم... أو يكون المعنى فأطلقوهم من الأسر والحصر، والظاهر الأول لشمول الحكم لمن كان مأسورا وغيره»⁷. وسواء كان المعنى في وجهه الأول، كما ذهب إليه الزمخشري، أو في وجهه الثاني كما اختاره أبو حيان فالمعنى دعوهم وشأنهم «يتصرفون في أمصارهم ويدخلون البيت الحرام»⁸. وقد استدلل كل من الزمخشري، وأبي حيان على صحة هذا المعنى، أو ذاك بقول جرير:

¹ - الأنفال، من الآية 62.

² - الكشاف، ج 2، ص 131.

³ - البحر المحيط، ج 4، ص 510.

⁴ - البيت من الكامل، لجرير، في الكشاف، ج 2، ص 110.

⁵ - التوبة، من الآية 5.

⁶ - الكشاف ج 2 ص 142

⁷ - البحر المحيط، ج 5، ص 13.

⁸ - تفسير الطبري، ج 11، ص 344.

خَلَّ السَّبِيلَ لِمَنْ يَبْنِي الْمَنَارَ بِهِ [وَابْرُزَ بَبْرَزَةً حَيْثُ اضْطَرَّكَ الْقَدْرُ]¹
 يهجو عمر بن لجأ التَّمِيمِي قَائِلًا لَهُ: اترك سبيل المعالي لمن يبني الأعلام فيه، ويقوم
 شعائره ويبين حدوده، حيث شبّه الخصال الحميدة بالطريق على سبيل الاستعارة
 التصريحية. والشاهد «خَلَّ» وما تدلّ عليه من معنى قوله تعالى: ﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾.

الحكيم: قال الله تعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾²

قال الزمخشري: «**الْحَكِيمِ**» ذو الحكمة لاشتماله عليها، ونطقه بها، أو وصف
 بصفة محدثه³. وذكر الفخر الرازي في معرض تفسيره لهذه الآية أنّ في وصف الكتاب
 بكونه حكيمًا وجوها:

- الحكيم ذو الحكمة بمعنى اشتمال الكتاب على الحكمة.
- الحكيم بمعنى الحاكم فعيل بمعنى فاعل.
- الحكيم بمعنى المحكم والإحكام معناه المنع من الفساد.
- الحكيم لأنّه تعالى حكم فيه بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء
 والمنكر والبغي... فعلى هذا الحكيم يكون المحكوم فيه.
- الحكيم الذي يفعل الحكمة والصّواب، وهو وصف مجازي ووجه المجاز فيه هو أنّه
 يدلّ على الحكمة والصّواب.
- أن يكون المراد وصف الكلام بصفة من تكلم به. ولتعزير هذا الوجه الأخير أورد
 كلّ من الزمخشري، والرازي الشاهد الشعري الآتي:

وغريبة تأتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال: من ذا قالها؟⁴

¹- البيت من البسيط لجرير في الكتاب ج 1 ص 254

²- يونس، الآية 01.

³- الكشاف ج 2. ص 206

⁴- البيت من الكامل للأعشى في ديوانه 27.

يقول الشاعر: ورب قصيدة غريبة ناطقة بالحكمة دالة عليها، أو حكيم قائلها قلتها؛ ليتعجب الناس، ويقولوا من الشاعر الذي قالها؟ والشاهد فيه: استخدام كلمة الحكمة للوصف بصفة محدثها، والمتكلم بها.

تَغْن: قال الله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْن بِالْأَمْسِ﴾¹.

ذكر الزمخشري في تفسير هذه الآية: «كَأَنْ لَمْ تَغْن» كأن يغن زرعها أي: لم ينبت على أن حذف المضاف في هذه المواضع لا بد منه، وإلا لم يستقم المعنى، وقرأ الحسن: كأن لم يغن بالياء على أن الضمير للمضاف المحذوف الذي هو الزرع، وعن مروان² أنه قرأ على المنبر كأن لم تتغن بالأمس³. وذكر أبو حيان الأندلسي في تفسير هذه الآية: «كَأَنْ لَمْ تَغْن بِالْأَمْسِ» مبالغة في التلّف والهلاك حتى كأنها لم توجد من قبل، ولم يقم بالأرض بهجة خضرة نضرة تسر أهلها⁴. وجاء في الصحاح: «غني بالمكان أي أقام ومكث»⁵. مما دفع بمحقق الكشاف إلى الإشارة إلى وجود تصحيف في قوله: «لم ينبت». والصحيح لم يثبت. وقد يقال تغنى إذا تمكّت وتلبّث، ومنه جاءت قراءة مروان بن الحكم: (كأن لم تتغن) من التغنى بمعنى التلبّث والإقامة، وهو نظير قول الشاعر:

[وكنت امرأ زمنا بالعراق] طويل الثواء طويل التغن⁶

وفيه يقول لممدوحة قيس بن معد يكرب مستمنحا إياه: وكنت رجلا طويل الإقامة بالعراق، طويل التغنى فيه زما طويلا. ثم قال:

فأنبئت قيسا ولم آتة على نأيه ساد أهل اليمن
فجئتك مرتاد ما أخبروا ولولا الذي خبروا لم ترن

¹ - يونس، من الآية 24.

² - يعني مروان بن الحكم.

³ - الكشاف، ج 2، ص 218.

⁴ - البحر المحيط، ج 5، ص 146-147.

⁵ - الصحاح، مادة (غني).

⁶ - البيت من المتقارب، للأعشى في ديوانه. تح. محمد حسين. ص 25.

والشاهد في البيت الأول استخدام لفظ التغمّي بمعنى التلبث، وبه فسرت قراءة من قرأ كأن لم تتغنّ بالأمس.

الكبرياء: قال الله تعالى: ﴿وَتَكُونُ لَكُمْ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾¹.

ذكر الزمخشري في تفسير هذه الآية الكريمة: ﴿وَتَكُونُ لَكُمْ الْكِبْرِيَاءُ﴾: أي الملك؛ لأنّ الملوك هم يوصفون بالكبر؛ ولذلك قيل للملك الجبار. وقيل إنّ الكبرياء بمعنى العظمة، أو العلو أو الطاعة². لكن يبقى تفسير الكبرياء بالملك باعتبارها صفة تخصّ الملوك أقرب إلى الصواب، وبخاصّة لها ما يعضدها من كلام العرب الموثوق بعربيّتهم. إذ يقول ابن قيس الرقيات في مدح معصب بن الزبير:

ملكه ملكٌ رحمةٍ ليس فيه جبروتٌ منه ولا كبرياء³

فالشاعر يمدح معصب بن الزبير بأنّ ملكه مبرأ مما يعيب الملوك من جبروت، ومن كبرياء. والشاهد فيه: نفي ما يتّصف به الملوك عنه. وهذا ولا شكّ أنّه يرتبط بقوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ لَكُمْ الْكِبْرِيَاءُ﴾.

وجاوزنا: قال الله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾⁴.

قال الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية الكريمة: «قرأ الحسن: وجوزنا من أجاز المكان، وجوزه، وجاوزه، وليس من جوز الذي في بيت الأعشى: (وإذا تجوزنا حبال قبيلة) لأنّه لو كان منه لكان حقّه أن يقال: «وجوزنا بني إسرائيل في البحر»، كما قال: «كما جوز السكّي في الباب فيتنق»⁵. يستخلص من القراءتين: قراءة الجمهور، وقراءة الحسن أنّ فعل بمعنى فاعل أو أفعل، أي: جوز بمعنى أجاز وجاوز، أي: جاوز المكان وتخطّاه

¹ - يونس، من الآية 78.

² - الكشاف ج 2، ص 235.

³ - البيت من الخفيف لعبد الله بن قيس الرقيات في ديوانه. تح. محمد يوسف نجم. ص 91

⁴ - يونس، من الآية 90.

⁵ - الكشاف، ج 2، ص 239.

وخلفه وراءه وليس للتعدية، كما في قول الأعشى:

وَإِذَا تَجَوَّزَهَا جِبَالَ قَبِيلَةٍ [أَخَذْتُ مِنَ الْأُخْرَى إِلَيْكَ حِبَالَهَا]¹

أي: لا زال راكبا على ناقتي، وقد أخذت الأمان على مرورها قاطعا المشاق لألقالك. فالشاهد فيه: أن جَوَّزَ تعدى بنفسه خلاف ما جاء في الآية الكريمة، حيث تعدى بحرف الجرّ «الباء»، كما يستخلص من قوله أيضا أن «جَوَّزَ» لو كان ممّا يتعدى بنفسه، لكان الحقّ أن يقال: «وجوّزنا بني إسرائيل في البحر»، كما جاء في قول الشاعر:

[وَلَا بَدَّ مِنْ جَازٍ يَجِيزُ سَبِيلَهَا] كَمَا جَوَّزَ السَّكِيَّ فِي الْبَابِ فَيُتَّقُ²

يصف مفازة فيقول: لا بدّ لمزيد قطعها من معين حتّى يتسنى له سلوكها ونفوذها، كما أنفذ النجار المسمار في الباب. والشاهد فيه تعدى جَوَّزَ بنفسه دون حاجة إلى حرف جرّ.

ضائق: قال الله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾³.

قال الزمخشري: «قلت: لم عدل عن ضيق إلى ضائق؟ قلت: ليدلّ على أنّه ضيق عارض غير ثابت، لأنّ رسول الله ﷺ كان أفسح النَّاسِ صدرا، ومنه قولك: زيد سيّد وجواد، تريد السيادة والجود الثّابتين المستقرّين، فإذا أردت الحدوث قلت: سائد وجائد»⁴. ويستخلص من هذا أنّ ما يُبنى من الفعل الثلاثي للدلالة على الثّبوت والاستقرار على غير وزن فاعل، فإنّه يمكن ردّه إليه إذا أُريد معنى الحدوث، فيقال حاسن من حسن وثاقل من ثقيل وفارح من فرح... ومنه فلا يفهم أنّ حكم العدول عن فعيل أو فعل أو غيرهما إلى فاعل لا يختصّ بألفاظ بعينها، بل هو حكم عام. ومن ذلك قوله تعالى ﴿ضَائِقٌ﴾ باعتباره وصفا عارضا يتناسب وخلق الرسول ﷺ فقد كان أفسح النَّاسِ صدرا. وقد استدلّ الزمخشري على صحّة هذا العدول بما ورد في صحيح كلام العرب إذ يقول الشاعر:

¹ - البيت من الكامل، للأعشى، في ديوانه، ص 29.

² - البيت من الطّويل للأعشى، في ديوانه، ص 223.

³ - هود، من الآية 12.

⁴ - الكشاف، ج 2، ص 251.

بمنزلةٍ أمّا اللّئيمُ فسامنٌ بها وكرامُ النَّاسِ بادٍ شُحوبُها¹
 يقول الشاعر: إنّه وصل بهم القحط إلى درجة يتهافت فيها اللئيم على الطّعام، ويعفّ
 فيها الكريم ليؤثّر غيره على نفسه. والشاهد فيه استعمال (سامن) بدل سمين دلالة على
 الحدوث لا الثبات والاستمرار، كما اعتبر هذا البيت شاهدا على أنّ الشحوب في لغة بني
 كلاب هو الهزال.

تَعْبُرُونَ: قال الله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾²

ذكر الزمخشري أنّ «حقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر أمرها كما تقول: عبرتُ
 النهر إذا قطعتَه حتى تبلغ آخر عرضه، وهو عبْرُه، ونحوه: أولت الرؤيا إذا ذكرت مآلها
 وهو مرجعها، وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الأثبات، ورأيتهم ينكرون عبّرت
 بالتشديد والتعبير والمُعَبَّرُ»³. ومع ذلك، فقد عثر على بيت من الشعر لبعض الأعراب
 أنشده المبرّد في كتابه الكامل⁴ يستخدم عبّر بالتشديد إذ يقول الشاعر الأعرابي:

رأيتُ رؤيا ثمّ عبّرْتُها وكنيت للأحلام عبّارا⁵

يقول: رأيت في المنام حلما ثمّ فسّرتَه، وكنيت مفسّرا للأحلام. والشاهد فيه استخدامه
 عبّرت بالتشديد وهو قليل؛ ولذا أنكره المحقّقون.

نَجِيًّا: قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾⁶.

قال الزمخشري: «والنّجّيّ على معنيين: يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى

¹ - البيت من الطويل بلا نسبة في أساس البلاغة (شحب) ونسبه الزمخشري إلى السّمهري العكلي. و نسبه أبو حيّان
 إلى بعض اللّصوص، تفسير البحر المحيط. ج 5. ص 208.

² - يوسف، من الآية 43.

³ - الكشف، ج 2، ص 328.

⁴ - الكامل للمبرّد. تح د. محمد أحمد الدالي ج 1، ص 563.

⁵ - البيت من السّريع. بلا نسبة، في الكامل. للمبرّد تح. د. محمد أحمد الدالي ج 1 ص 563.

⁶ - يوسف، من الآية 80.

المعاصر والمسامر، ومنه قوله تعالى ﴿وَقَرَّبْنَا نُجِيًّا﴾¹ وبمعنى المصدر الذي هو التناجي كما قيل النجوى، بمعناه، ومنه قيل: قوم نجى كما قيل: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾² تنزيلا للمصدر منزلة الأوصاف، ويجوز أن يقال: «هم نجى» كما قيل: «هم صديق» لأنه بمنزلة المصادر وجمع أنجية³. فالظاهر أن جمع نجى على أنجية جاء على غير الأصل «ومن حقه إذا جعل وصفا أن يجمع على أفعلاء، كغني وأغنياء، وشقي وأشقياء»⁴. وقد استشهد الزمخشري على ذلك بقول الشاعر:

إني إذا صار القوم كانوا أنجيه [اضطرب القوم اضطراب الأرشية]⁵

أي: إذا صار القوم فرقا لما أصابهم من الشر، وراحوا يتتاجون ويتشاورون، واضطربوا فيما بينهم اضطراب الأرشية. والشاهد فيه جمع نجى على أنجية. بمعنى التناجي كما قيل النحوي

من ورائه: قال الله تعالى: ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾⁶.

ذكر الزمخشري أن دلالة قوله تعالى ﴿مِنْ وَرَائِهِ﴾: «من بين يديه... وهذا وصف حاله وهو في الدنيا؛ لأنه مُرْصَدٌ لجهنم، فكأنها بين يديه، وهو على شفيرها، أو وصف حاله في الآخرة حين يبعث ويوقف»⁷. وهذا يعني أن وراء يأتي بمعنى خلف وهو الكثير، وقد يأتي بمعنى قدام باعتباره من الأضداد، وهو المعنى الذي ذهب إليه الزمخشري في تفسيره لهذه الآية مستشهدا بقول الشاعر على ذلك:

¹ - مريم، من الآية 52.

² - الإسراء، من الآية 47.

³ - الكشاف، ج 2، ص 345.

⁴ - الدر المصون، ج 6، ص 538.

⁵ - البيت من الرجز لسحيم بن وثيل الزياحي في لسان العرب (نجا).

⁶ - إبراهيم، الآية 16.

⁷ - الكشاف ج 2 ص 388

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرجٌ قريب¹
 أي: أرجو أن يكون لي مخرج من الكرب الذي أنا فيه. والشاهد: كلمة وراءه أي قدامه
 وأمامه.

مبتئس: قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَبْتَسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾²

فسر الزمخشري قوله تعالى: ﴿فَلَا تَبْتَسْ﴾ بقوله: «فلا تحزن حزن بئس مستكين»³.
 وذكر صاحب الدرّ المصون أنّ قوله تعالى: ﴿فَلَا تَبْتَسْ﴾ هو تفتعل من البؤس، ومعناه
 الحزن في استكانة، ويقال: ابتأس فلان أي: بلغه ما يكرهه»⁴. وقد استشهد كلٌّ من
 الزمخشري والحلبي على صحّة ووجاهة هذه الدلالة بقول حسّان بن ثابت:

ما يقسم الله أقبّل غير مبتئس منه، وأقعد كريماً ناعم البال⁵

أي: ما يرزق الله تعالى من فضله اقبله راضياً، وشاكراً له عليه غير منسخط منه.
 والشاهد فيه: «مبتئس»، وما لدالاتها من علاقة بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَبْتَسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾
 وورد في كتاب التنبية والإيضاح عما وقع في الصّاح في فصل «بأس»، أنّهم ذكروا هذا
 البيت شاهداً على المبتئس بمعنى الكاره⁶. وقد عقّب ابن بري على هذا بقوله: «الأحسن
 فيه عندي قول من قال: إنّ مبتئساً مفتعل من البأس الذي هو الشدّة ومنه قوله تعالى:
 ﴿فَلَا تَبْتَسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ أي: لا يشتدّ عليك أمرهم فهذا أصلهم»⁷.

¹ - البيت من الوافر لهدبة بن خشرم العذري في خزنة الأدب 9 / 329.

² - هود، من الآية 36.

³ - الكشف، ج 2، ص 260.

⁴ - الدر المصون ج 6، ص 311-312.

⁵ - البيت البسيط لحسان بن ثابت في ديوانه. تح د. وليد عرفات. دار صادر. دط بيروت. 2006 ج 1 ص 314.

⁶ - ينظر التنبية والإيضاح. لابن بري. تح الطحاوي. الهيئة المصرية للكتاب. ط 1 مصر 1981. ج 2، ص 261.

⁷ - المصدر نفسه، ج 2، ص 261.

مشهود: قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾¹.

قال الزمخشري: «والمراد بالمشهود الذي كثر شاهده، ومنه قولهم: فلان مجلس مشهود وطعام محضور»². وقال صاحب التحرير والتنوير: «ويجوز أن يكون المشهود بمعنى المحقق، أي: مشهود بوقوعه كما يقال حق مشهود، أي: عليه شهود لا يستطاع إنكاره واضح للعيان، ويجوز أن يكون المشهود بمعنى كثير الشاهدين إياه لشهرته، كقولهم فلان مجلس مشهود»³. وقد استشهد كل من الزمخشري، والطاهر بن عاشور على صحة هذا المعنى الأخير بقول أم قيس الضبيّة:

[ومشهدٍ قد كفيت الغائبين به] في محفلٍ من نواصي الناسٍ مشهودٍ⁴

أي: ربّ مشهدٍ كفيت فيه الغائبين عنه بالتكلم عنهم بين محفل مشهود من رؤوس الناس وأشرفهم. والشاهد فيه استعمال مشهود دون إلحاق الجار والمجرور دليل على كثرة شاهده.

بقيّة: قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ﴾⁵.

ذكر الزمخشري في تفسير هذه الآية الكريمة: «أُولُو بَقِيَّةٍ» أولو فضل وخير وسمي الفضل والجودة بقيّة؛ لأنّ الرّجل يستبقي ممّا يخرجّه أجوده وأفضله، فصار مثلاً في الجودة والفضل ويقال: فلان من بقيّة القوم أي: من خيارهم... ويجوز أن تكون البقيّة بمعنى البقوى كالتقيّة بمعنى التقوى، فهلا كان منهم ذوو بقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه»⁶. وذكر صاحب الدرّ المصون أنّ البقيّة كما قرأها العامة: «فيها وجهان أحدهما: أنّها صفة على فعيلة للمبالغة بمعنى فاعل؛ ولذلك دخلت التاء فيها،

¹ - هود، من الآية 103.

² - الكشاف، ج 2، ص 288.

³ - التحرير والتنوير، ج 12، ص 161.

⁴ - البيت من البسيط لأمّ قيس الضبيّة في لسان العرب وتاج العروس مادة (نصو).

⁵ - هود، من الآية 116.

⁶ - الكشاف ج 2 ص 295.

والمراد بها حينئذ جيد الشيء وخياره... والثاني أنها مصدر بمعنى البقوى¹. وقد استشهد الزمخشري وغيره من المفسرين ببيت الحماسة؛ للدلالة على أن من معاني بقية القوم خيارهم إذ يقول الشاعر:

إن تذببوا ثم تأتيني بقيتكم [فَمَا عَلِيٌّ بِذَنْبٍ مِنْكُمْ فَوْت]²
ومعناه: إن تذببوا ثم يأتيني أخياركم يعتذرون عنكم فلا فوت. والشاهد كلمة ﴿بِقِيَّةٍ﴾
ومعناها أولو فضل وخير، وهذا ما يفسر الآية الكريمة.

أمة: قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾³.
قال الزمخشري: «كَانَ أُمَّةً» فيه وجهان: أحدهما أنه كان وحده أمة من الأمم؛ لكماله في جميع صفات الخير... وعن مجاهد: كان مؤمنا وحده، والناس كلهم كفار. والثاني: أن يكون أمة: بمعنى مأموم أي: يؤمه الناس ليأخذوا منه الخير، أو بمعنى مؤتمر به كالرحلة والنخبة، وما أشبه ذلك مما جاء من فعله بمعنى مفعول⁴. وقد استشهد الزمخشري على الوجه الأول بقول الشاعر:

ليس على الله بمُسْتَنَكَّرٍ أن يجمع العَالَمَ في واحد⁵
أي: لا ينكر أحد أن الله تعالى قادر على أن يجعل جميع الصفات الحميدة في شخص واحد، ولا شك أن الزمخشري قد ذكر البيت، لا ليستشهد به؛ لأن أبا نواس ليس ممن يستشهد بشعرهم، ولكن للاستئناس بمعناه إذ يوافق معناه معنى أمة الواردة في الآية الكريمة.

¹ - الدرّ المصون، ج 6، ص 423.

² - البيت من البسيط لرويشد بن كثير الطائي في لسان العرب (بقي).

³ - النحل الآية 120

⁴ - الكشف ج2 ص467

⁵ - البيت من السريع لأبي نواس في قطر الندى ص136

قبيلًا: قال تعالى: ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا مِثْفَاءً أَوْ تَأْتِي بَالِلًا وَالْمَلَائِكَةَ قَبِيلًا﴾¹.

قال الزمخشري: ﴿قَبِيلًا﴾ كقبيلًا بما تقولُ شاهدا بصحته، والمعنى أو تأتي بالله قبيلًا، والملائكة قبيلًا، أو مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر، ونحوه: ﴿لَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةَ أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾² أو جماعة حالا من الملائكة³. ويفهم من هذا أن ﴿قَبِيلًا﴾ يحتمل أن يكون معناها كقبيلًا أو شاهدا، أو بمعنى مقابل كالعشير بمعنى المعاشر. أو بمعنى جماعة. فإن اعتبرنا أن ﴿قَبِيلًا﴾ بمعنى كقبيل ف﴿قَبِيلًا﴾ حال من الله والملائكة أو من أحدهما، والآخر محذوفة حاله أي: بالله قبيلًا وبالملائكة قبيلًا⁴. ونظيره من الشعر قوله:

[رمانى بأمر] كنت منه ووالدى برياً [ومن جُول الطوى رمانى]⁵

يقول: قذفني بأمر أنا بريء منه ووالدي بريء منه أيضا. والشاهد: أن الخبر (بريا) له ولوالده أو لأحدهما، والآخر محذوف خبره والتقدير: كنت برياً ووالدي برياً. ونظيره أيضا قول الشاعر:

[فمن يك أمسى بالمدينة رحله] فإنني وقيار بها لغريب⁶

والشاهد فيه: كالشاهد في البيت السابق.

الرَّجْم: قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾⁷.

قال الزمخشري: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ رميا بالخبر الخفي وإتيانا به... أو وضع الرجم موضع

¹ - الإسراء الآية 92 .

² - الفرقان من الآية 21 .

³ - الكشاف، ج2، ص 510.

⁴ - الدر المصون، ج7، ص 411 .

⁵ - البيت من الطويل للفرزدق في الكتاب ج1 ص75

⁶ - البيت من الطويل لضابئ بن الحارث في تخلص الشواهد ص 385

⁷ - الكهف، من الآية 22.

الظن فكأنه قيل: ظننا بالغيب»¹. وذكر أبو حيان «رَجَمًا بِالْغَيْبِ» رميا بالشئ المغيب عنهم، أو ظننا استعير من الرجم، كأن الإنسان يرمي الموضع المجهول عنده بظنه المرّة بعد المرّة، يرمي به عسى أن يصيب»². فالرجم حقيقة هو الرمي بالحجارة ونحوها، ولما كان الرجم بالغيب فسر لغويًا على أنه بمعنى الظن، أي: كأنه قيل: ظننا بالغيب، وبخاصّة أنّ العرب دأبو على عدم التفريق بين العبارتين، وأمّا بيانًا ففسر قوله تعالى: «رَجَمًا بِالْغَيْبِ» على أنه استعارة شبه فيها الغيب بشئ يرمي بالحجارة، واستعير له الرجم، وهو عندي الوجه. وقد استشهد الزمخشري بقول زهير ليثبت مدى صحّة الدلالة التي أشار إليها:

[وما الحرب إلا ما علمتم ونقتم] وما هو عنها بالحديث المرجم³

يصف الحرب قائلًا: إن مآسي الحرب كما علمتم ليست رجا بالغيب، وإنما هي كما عانيتم وجربتم. والشاهد فيه: الحديث المرجم، أي المظنون.
مرتفقا: قال الله تعالى: «بئس الشراب وساءت مرتفقا»⁴.

قال الزمخشري: «مرتفقا» متكأ من المرفق، وهذا لمشكلة، وإلا فلا ارتفاق لأهل النار ولا اتكاء إلا أن يكون من قوله:

إني أرفقت فبت الليل مرتفقا كأن عيني فيها الصاب مذبوح⁵

الارتفاق الاتكاء على المرفق، والمرتفق محل الارتفاق، وما دام أنه ليس هناك ارتفاق ولا اتكاء في النار، فإن الأمر لا يخلو أن يكون إمّا من باب المشكلة لقوله تعالى:

¹ - الكشاف، ج 2، ص 527.

² - البحر المحيط، ج 6، ص 109.

³ - البيت من الطويل لزهير بن أبي سلمى في ديوانه ص 107

⁴ - الكهف، من الآية 29.

⁵ - البيت من البسيط لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص 120.

⁶ - الكشاف، ج 2، ص 532.

﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾¹، أو من باب التهكم وتصوير لغاية المقاساة، كما جاء في قول الشاعر (البيت السابق) وفيه صور ما عاناه في تلك الليلة الليلية، وخذّه على مرفقه، وعيناه تسكبان الدمع، كأنما ذبح فيها الصاب. والشاهد فيه: هذا التصوير القاسي لحال المتحزن المتحسر.

اطّلع: قال الله تعالى: ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾².

قال الزمخشري: «﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾ من قولهم اطّلع الجبل: إذا ارتقى إلى أعلاه، وطلع الثنية... ويقولون مرّ مطلعاً لذلك الأمر، أي: عالياً له مالكا له»³. وجاء في التحرير والتنوير: «﴿أَطَّلَعَ﴾ افتعل من طلع للمبالغة في حصول فعل الطلوع وهو الارتقاء... ومن أجل هذا أطلق الاطلاع على الإشراف على الشيء؛ لأن الذي يروم الإشراف على مكان محبوب عنه يرتقي إليه من علو»⁴. فالاطلاع هو الارتقاء إلى أعلى الشيء، ومنه أطلق على الإشراف على الشيء، كما يقال لمكان الاطلاع والارتقاء «مطلع» قال جرير:

[إني إذا مضر عليّ تحدّثت] لاقيت مطّلعَ الجبال وعوراً⁵

يقول: إنّه إذا مضر أدارت الحديث عليه غاضبة عنه، اجتاز الصعاب واقتحمها، ولا يبالى. والشاهد فيه: مطّلع الجبال أي مكان الارتقاء إلى أعاليها، ومنه الآية الكريمة.

دَعَا: قال الله تعالى: ﴿أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾⁶.

قال الزمخشري: «هو من دعا بمعنى سمّى المتعدي إلى مفعولين... أو من دعا بمعنى: نسب الذي مطاوعه ما في قوله عليه السلام: «من ادّعى إلى غير مواليه»⁷. ف

¹ - الكهف، من الآية 31.

² - مريم الآية 78.

³ - الكشاف ج3، ص37.

⁴ - التحرير والتنوير ج16، ص160.

⁵ - البيت من الكامل لجرير. في لسان العرب مادة (طلع)

⁶ - مريم الآية 91.

⁷ - الكشاف ج3 ص42

﴿دَعَا﴾ بمعنى نَسَبُوا ومنه يقال: ادَّعى إلى بني فلان، أي: انتسب. قال الشاعر بسامة بن حزن النهشلي:

إنَّا بنِي نهشلَ لا ندَّعي لأب [عنه ولا هو بالأبناء يشـرينا]¹
 أي: إننا لا ننتسب لأب غير نهشل، ولا هو يبيعنا ويستبدلنا بأبناء غيرنا فهم يعتزون به وهو يعتز بهم. والشاهد فيه: ندَّعي أي لا ننتسب، وهو مضارع دعا بمعنى نسب.

طه: قال الله تعالى: ﴿طه (1) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾².

قال الزمخشري: «أن النبي ﷺ كان يقوم في تهجده على إحدى رجليه، فأمر بأن تطأ الأرض بقدميه معا، وأن الأصل طأ فقلبت همزته هاء، أو قلبت ألفا في يطاء فيمن قال: لا هَناك المَرْتَع ثم بني عليه الأمر، والهاء للسكت... والله أعلم بصحة ما يقال: إنَّ طاهها في لغة عك في معنى يا رَجُل، ولعل عكا تصرفوا في يا هذا، كأنهم في لغتهم قالبون الياء طاءً فقالوا: في يا طا واختصروا هذا. فاقترضوا على ها»³. هذه جملة من التخريجات اللغوية حاول الزمخشري من خلالها الوصول إلى دلالة "طه"، أي: هل "طه" في أصلها فعل أمر من وطئ ثم قلبت همزته هاء، أو قلبت همزته ألفا في يطاء كما في قول الشاعر:

[راحت بمسلمة البغال عشية فازعني فَرَارَةٌ] لا هَناك المَرْتَع⁴
 يهجو أهل العراق لعزلهم مسلمة بن عبد الملك، فيدعو عليهم ألا يهنأوا النعمة. والشاهد فيه: لا هناك المرتع حيث الأصل لا هناك المرتع أي قلبت همزته ألفا. أمّا ما ورد في لغة «عك» بمعنى «يا رجل» فقد استشهد بقول الشاعر:

¹ - البيت من البسيط لبشامة بن حزن النهشلي. في الدر المصون ج7. ص650

² - طه الآية 01-02.

³ - الكشاف ج3، ص46.

⁴ - البيت من الكامل للفرزدق في ديوانه 353.

إِنَّ السَّفَاهَةَ طَاهَا فِي خَلَاتِقِكُمْ لَا قَدَسَ اللَّهُ أَخْلَاقَ الْمَلَاعِينِ¹
 أي إن السفاهة يا رجل من أخلاقكم لعن الله هذه الأخلاق. والشاهد فيه: «طاهها» بمعنى
 يا رجل على لغة «عك» إلا أن الزمخشري يعتبر البيت مصنوعاً قائلاً: «وأثر الصنعة
 ظاهر لا يخفى في البيت المستشهد به»². والصحيح أنهما حرفان «من حروف فواتح
 بعض السور مثل ألم وبس»³.

اقْذِفِيهِ: في قوله تعالى: ﴿أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾⁴.

قال الزمخشري: «القذف مستعمل في معنى الإلقاء والوضع ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَذَفَ
 فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾⁵. وكذلك الرمي»⁶. وقد استشهد على هذا المعنى بقول الشاعر:
 غلامٌ رماه اللهُ بالحسنِ يافعاً [له سيماء لا تشق على البصر]⁷
 يصف غلاماً أذى الله عليه الحسن وجمله به. والشاهد فيه: رماه بما للرمي من
 صلة بالقذف في قوله تعالى: ﴿أَنْ اقْذِفِيهِ﴾.

آذَنْتَكُمْ: قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾⁸.

قال الزمخشري: «أذن منقول من أذن إذا علم، ولكنّه كثر استعماله في الجري مجرى

¹ - البيت من البسيط بلا نسبة في البحر المحيط 144/6.

² - الكشاف ج3، ص46.

³ - التحرير والتنوير ج16، ص182.

⁴ - طه من الآية 39.

⁵ - الحشر من الآية 02.

⁶ - الكشاف ج3 ص58.

⁷ - البيت من الطويل لأسيد بن عنقاء الفزاري. في لسان العرب مادة (سوم)

⁸ - الأنبياء من الآية 109.

الإنداز، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾¹. فأذن «فعل متعد بالهمزة وكثر استعمال الصيغتين (أي أذن وأذن) في معنى الإنداز، وهو الإعلام المشوب بتحذير»³. وفي هذا المعنى قال الشاعر:

أَذْنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ [رب ثاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ التَّوَأَاءُ]⁴

يقول: أنذرتنا أسماء بأنها سوف ترحل عنا، وتفارقنا، وكم من مقيم غيرها مكروه الإقامة. والشاهد فيه: أذن بمعنى أنذر.

الزكاة: قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾⁵.

قال الزمخشري: «الزكاة اسم مشترك بين عين ومعنى، فالعين: القدر الذي يخرج من المزكي من النصاب إلى الفقير، والمعنى: فعل المزكى الذي هو التزكية، وهو الذي أراده الله فجعل المزكين فاعلين له، ولا يسوغ فيه غيره؛ لأنه ما من مصدر إلا يعبر عن معناه بالفعل، ويقال لمحدثه فاعل... ولم يمتنع الزكاة الدالة على العين أن يتعلق بها فاعلون لخروجها من صحة أن يتناول الفاعل، ولكن لأن الخلق ليسوا بفاعليها... ويجوز أن يراد بالزكاة العين، ويقدر مضاف محذوف وهو الأداء»⁶. فالزكاة في الأصل اسم مصدر أطلق على إنفاق المال لوجه الله، كما أطلق على المال المنفق نفسه، وعلى هذا الاعتبار أنشد ما نسب إلى أمية بن أبي الصلت:

المطعمون الطعام في السنة الأز مةِ والفَاعِلُونَ لِلزَّكَاةِ⁷

¹ - البقرة من الآية 279.

² - الكشاف ج3، ص124.

³ - التحرير والتنوير ج17، ص121.

⁴ - البيت من الخفيف للحارث بن حلزة مطلع معلقته في شرح المعلقات السبع. للزوزني. تح عمر حافظ سليم سعيدة. شركة القدس. ط1. القاهرة. 2009. ص222.

⁵ - المؤمنون الآية 04.

⁶ - الكشاف ج3، ص156.

⁷ - البيت من المنسرح لأمية بن أبي الصلت في البحر المحيط ج6 ص 396.

يمدح من يتحدث عنهم بأنهم المطعمون في السنة القاحلة المجدية، والمؤدون للزكوات. والشاهد فيه قوله: «الفاعلون للزكوات» والفاعلون لأداء الزكوات بمعنى القائمون بالتركية لأن الخلق ليسوا في الحقيقة فاعلي الزكاة، وقد أبدى صاحب التحرير والتوير اعتراضه على الشاهد بقوله: «وفي نفسي من صحة نسبه تردد لأنني أحسب استعمال الزكاة في معنى المال المبذول لوجه الله إلا من مصطلحات القرآن، فعمل البيت مما نحل من الشعر على السنة الشعراء. قال ابن قتيبة في كتاب الشعر والشعراء: «وعلمائنا لا يرون شعره حجة في اللغة»¹»².

كريم: قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ إِلَى الْأَرْضِ كَمَا أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾³.

قال الزمخشري: «وصف الزوج وهو الصنف من النباتات بالكرم، والكرم صفة لكل ما يرضي ويحمد في بابه، يقال: وجه كريم، إذا رضي في حسنه وجماله وكتاب كريم: مرضي في معانيه وفوائده... والنبات الكريم فيما يتعلق به من المنافع»⁴. قال الشاعر في هذا المعنى:

[ولا يَخِيْمُ اللِّقَاءَ فَارْسُهُمْ] حتى يشقُّ الصُّفوفَ مِنْ كَرَمِهِ⁵

أي أن فارسهم لا يجبن عن اللقاء حتى يشق صفوف الحرب، ويدخلها من كرمه، أي من كونه مرضيا في شجاعته وبأسه؛ لأن في كل باب بحسبه. والشاهد فيه: دلالة الكرم على كل ما يحمد في بابه.

¹ - الشعر والشعراء ابن قتيبة. تح محمد أحمد شاكر. دار المعارف. دط القاهرة. دت. ج. 1. ص 461

² - التحرير والتوير ج 18، ص 13

³ - الشعراء الآية 07.

⁴ - الكشاف ج 3، ص 266.

⁵ - البيت من المنسرح لرجل بن حمير. في الكشاف ج 3 ص 266

رسول: قال الله تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾¹.

قال الزمخشري: «فإن قلت هلا تثنى الرسول كما تثنى في قوله ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾² قلت: الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعل ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته، وجعل ههنا بمعنى الرسالة، فجاز التسوية فيه - إذا وصف به - بين الواحد والتثنية والجمع، كما يفعل بالصفة والمصادر نحو: صومٍ وزورٍ»³. وهذا يعني أنه جعل في سورة طه ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ بمعنى المرسل، وجعل هنا، أي في سورة الشعراء ﴿إِنَّا رَسُولُ﴾ بمعنى الرسالة. وقد أنشد من الشعر ما يشهد على صحة الاستعمالين:

1. قال الشاعر:

أَلْكُنِي إِلَيْهَا وَخَيْرَ الرِّسْوِ لَ أَعْلَمَهُمُ بِنَوَاحِي الْخَبْرِ⁴
 أي تحمل رسالتي إليها، وخير من ترسلهم في أمر من الأمور أعلمهم به. والشاهد فيه:
 أن الرسول للجماعة. وقال الآخر:

لقد كذب الواشون ما فُهِتْ عندهم بسر، ولا أرسلتهم برسول⁵
 يقول: مكذبا الواشين أنه لم يتحدث بسر، ولا أرسلت إليهم رسولا به. والشاهد فيه: أن
 الرسول هنا بمعنى الرسالة.

عبدت: قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾⁶

قال الزمخشري: «وتعييدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا، يقال: عبدت الرجل، وأعبدته إذا اتخذته عبدا»⁷. وقد استشهد على ذلك بقول الشاعر:

¹ - الشعراء الآية 16.

² - طه من الآية 47.

³ - الكشف ج 3 ، ص 269.

⁴ - البيت من المقارب لأبي ذؤيب في شرح ديوان الهذليين ص 113.

⁵ - البيت من الطويل لكثير عزة في ديوانه ص 110.

⁶ - الشعراء الآية 22.

⁷ - الكشف ج 3 ، ص 271

عَلَامَ يُعْبِدُنِي قَوْمِي وَقَدْ كَثُرَتْ فِيهِمْ أَبَاعِرُ مَا شَاءُوا وَعُبدَان¹
 أي لأي شيء يتخذوني عبداً، والحال أن الدنيا قد تفتحت لهم واتسعت، وكثر في
 أيديهم ما يشاءون من إبل وعبيد. والشاهد فيه: يُعْبِدُنِي بمعنى يتخذوني عبداً.
 استوى: قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾².
 قال الزمخشري: ﴿وَاسْتَوَىٰ﴾ واعتدل وتم استحكامه، وبلغ المبلغ الذي لا يزداد عليه³
 في هذه الصفات التي ينبغي أن تتوفر فيمن يختار للأمر العظام قال لقيط:
 وَاسْتَحْمَلُوا أَمْرَكُمْ لَلَّهِ دَرْكُكُمْ شَرَزَ الْمَرِيرَةَ لَا قَحْمًا وَلَا ضَرَعًا⁴
 أي: قلدوا أمر خلافتكم رجلاً محكم العزيمة قوي الهمة، لا هرماً مختل الرأي ولا ضعيفاً.
 والشاهد: مجمل هذه الصفات التي يحب توافرها فيمن يتولى أمر الخلافة.
 أَظُنُّهُ: قال الله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾⁵.
 قال الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية: «وإذا ظن موسى - عليه السلام - كاذباً،
 في إثباته إليها غيره ولم يعلمه كاذباً فقد ظن أن في الوجود إليها غيره، ولو لم يكن
 المخدول ظاناً ظناً كاليقين، بل عالماً بصحة قول موسى - عليه السلام - لقول موسى
 له ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ﴾⁶. لما تكلف ذلك البنيان
 العظيم... ويجوز أن يفسر الظن على القول الأول باليقين⁷. وهذا يعني أن قوله تعالى:
 ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ استعمل في الظن بمعنى اليقين والقطع. وبالتالي كانت محاولته
 بناء الصرح والاطلاع إلى السماء؛ لزيادة تحقيق ظنه كقول الشاعر:

¹ - البيت من البسيط للفرزدق في لسان العرب. مادة عبد

² - القصص من الآية 14.

³ - الكشاف ج3، ص353.

⁴ - البيت من البسيط للقيط في الكشاف ج3، ص353

⁵ - القصص من الآية 38.

⁶ - الإسراء من الآية 102.

⁷ - الكشاف ج3، ص369-370

فقلت لهم: ظنُّوا بألْفِي مُدَجَّجٍ [سَرَاتِهِمْ فِي الْفَارِسِيِّ الْمَسْرُدِ]¹
والمراد: «اعلموا ذلك وتيقنوه؛ لأنه أخرجهم مخرج الوعيد، ولا يحصل ذلك إلا مع
اليقين»² والشاهد فيه: ظنوا بألْفِي حيث استعمل الفعل ظن لليقين.

ضَلَّلْنَا: قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَّلْنَا فِي الْأَرْضِ أَنْبَأْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾³.
قال الزمخشري: «ضَلَّلْنَا» صرنا تراباً، وذهبنا مختلطين بتراب الأرض لا نتميز منه،
كما يضل الماء في اللبن أو غبنا «فِي الْأَرْضِ» بالدفن فيها من قوله: وآب مضلوه بعين
جليّة»⁴. فضللنا بمعنى ذهبنا وضعنا، أو بمعنى غيبنا، كما جاء في قول النابغة:

فآبَ مُضِلُّوهُ بَعِينِ جَلِيَّةٍ [وَعُودِرِ بِالْجَوْلَانِ خَرَمٍ وَنَائِلِ]⁵

يرثي ميتاً، وقد غيبوه في باطن الأرض بعين جليّة. والشاهد فيه: مضلوه أي مغيبوه.

التناوش: قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَمَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾⁶.
قال الزمخشري: «والتناوش التناول أخوان إلا أن التناوش تناول سهل لشيء قريب...
وقرئ التناوش هُمزت الواو المضمومة، كما همزت في أجوه وأدور، وعن أبي عمرو
التناوش بالهمز التناول من بعد من قولهم: نأشت إذ أبطأت وتأخرت»⁷. ومنه قول
الشاعر:

تمنى نئيثاً أن يكون أطاعني [وقد حدثت بعد الأمور أموراً]⁸

أي تمنى في آخر الأمر أن يكون أطاعني في نصيحتي لما رأى عاقبة أمري حسنة
وعاقبة أمره سيئة. والشاهد فيه: نشيئاً، أي: أخيراً ومنه نشأ إذا تأخر.

¹ - البيت من الطويل لدريد بن الصمة في ديوان الحماسة للمرزوقي 812/2.

² - شرح المفصل ج4، ص323.

³ - السجدة من الآية 10.

⁴ - الكشف ج3، ص451.

⁵ - البيت من الطويل للنابغة الذبياني في لسان العرب. مادة «ضلل»

⁶ - سبأ الآية 52.

⁷ - الكشف ج3، ص531.

⁸ - البيت من الطويل لنهشل بن حرى في ديوانه ص95.

كأس: في قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾¹

قال الزمخشري: «ويقال للزجاجة فيها الخمر: كأس، وتسمى الخمر نفسها كأساً»². وذكر صاحب الدر المصون: «وكأس من الزجاج ما دام فيها خمر أو نبيذ، وإلا فهي قرح، وقد تطلق الكأس على الخمر نفسها، وهو مجاز سائغ»³. وقد أنشد الشيخان للاستشهاد على صحة هذا المعنى ما يأتي:

وكأسٍ شربتُ على لذةٍ [وأخرى تداويتُ منها بها]⁴

يقول: ورب كأس شربتها مع لذة فضررتي، فشربت كأساً أخرى تداويت من الأولى بها. والشاهد فيه: كلمة كأس بمعنى الخمر.

يُنزِفُونَ: قال الله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزِفُونَ﴾⁵.

قال الزمخشري: «﴿يُنزِفُونَ﴾ على البناء للمفعول من نَزَفَ الشارب إذا ذهب عقله، ويقال للسكران: نزيف ومنزوف، ويقال للمطعون: نَزَفَ فمات إذا خرج دمه كله، ونزحت الركيّة حتى نزفتها إذا لم تترك فيها ماء، وفي أمثالهم: أجب من المنزوف شرطاً، وقرئ ينزفون من أنزف الشارب إذا ذهب عقله أو شرابه»⁶. وقال الشاعر في هذا المعنى:

لعمري لئن أنزفتُم أو صحوثُمو لبئس النّدامى كُنْتُمُو آلَ أبجرا⁷

يقسم الشاعر لآل أبجر متهمًا مستخفاً بهم، سواء عليهم سكروا فذهبت الخمر بعقولهم أو صحوا من سكرهم. والشاهد فيه: أنزفتُم أي ذهبت عقولكم بفعل الخمرة .

¹ - الصافات الآية 45.

² - الكشاف ج 4 ص 40.

³ - الدر المصون ج 9 ص 303.

⁴ - البيت من المقارب للأعشى في الدر المصون ج 9 ص 303.

⁵ - الصافات الآية 47.

⁶ - الكشاف ج 4 ص 41.

⁷ - البيت من الطويل للأبيرد في لسان العرب (نزف)

أحببت : قال الله تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾¹.

قال الزمخشري: «إن قلت ما معنى: ﴿أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾؟ فقلت: أحببت مضمن معنى فعل يتعدى بعن. كأنه قيل أنبت حبَّ الخير عن ذكر ربي، أو جعلت حبَّ الخير مجزيا أو مغنيا عن ذكر ربي، وذكر أبو الفتح الهمداني في كتاب (التيبان) أن أحببت بمعنى: لزمت من قوله: مثل بعبير السوء إذ أحبباً² وليس بذاك»³. يبدو حسب ما ذكره المفسر أن أحببت ضمن معنى أنبت؛ فذلك تعدى بعن، أو أنه بمعنى لزمت، كما ذكر أبو الفتح الهمداني وجاء في قول الشاعر: مثل بعبير السوء إذ أحبباً. أي أحبب بمعنى لزم، والإحباب في الإبل كالحران في الخيل، وهو الشاهد في البيت .

غير ذي عوج: قال الله تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾⁴

قال الزمخشري: «﴿غَيْرُ ذِي عِوَجٍ﴾ مستقيماً بريئاً من التناقض والاختلاف، فإن قلت: فهلا قيل: مستقيماً أو غير معوج قلت: فيه فائدتان، إحداهما: نفي أن يكون فيه عوج قط كما قال: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾⁵، والثانية أن لفظ العوج مختص بالمعاني دون الأعيان وقيل المراد بالعوج الشك واللبس»⁶. وقد استشهد على صحة هذه الدلالة بقول الشاعر:

وقد أتاك يقين غيرُ ذي عوج من الإله وقولٌ غير مكذب⁷

يقول: لقد أتاك القرآن الكريم، وهو يقين خالص لا ريب فيه، ولا يتسلل الكذب إلى شيء منه. والشاهد فيه: غير ذي عوج بالمعني الذي أشار إليه المفسر.

¹ - سورة ص من الآية 32.

² - الرجز لأبي محمد الفقعسي في شرح المفصل ج 2 ص 99.

³ - الكشاف ج 4 ص 85.

⁴ - الزمر الآية 28.

⁵ - الكهف من الآية 01

⁶ - الكشاف ج 4 ص 115.

⁷ - البيت من البسيط بلا نسبة في الكشاف ج 4 ص 115، والدر المصون ج 9 ص 424

زمرًا: قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾¹

قال الزمخشري: «الزمر: الأفواج المتفرقة بعضها في إثر بعض وقد تَزَمَّرُوا»². وفي معنى الزمر قال الشاعر:

حتى احزألت زمر بعد زمر³

أي: ارتفعت سائرة إليه أفواجا بعد أفواج. والشاهد فيه: زمر بمعنى أفواج أو جماعات .

في أمم: قال الله تعالى: ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾⁴.

قال الزمخشري: «**فِي أُمِّ**» جملة أمم⁵ إذ يقول الشاعر:

إن تك عن أحسن الصنعة مأمًا فوكًا ففي آخرين قد أفكوا⁶

يقول: إن لم توفق للإحسان؛ فأنت في قوم قد صرفوا عن ذلك أيضا. والشاهد فيه: في آخرين أي: فأنت في جملة آخرين، ولست بذلك بأوحد.

جزءا: قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾⁷.

قال الزمخشري: «ومعنى **مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا** أن قالوا: الملائكة بنات الله، فجعلوهم جزءا له وبعضا منه، كما يكون الولد بضعة من والده وجزءا له. ومن بدع التفاسير: تفسير الجزء بالإناث وادعاء أن الجزء في لغة العرب: اسم للإناث، وما هو إلا كذب على العرب ووضع مستحدث منحول، ولم يُقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه: أجزاء المرأة، ثم صنعوا بيتا وبيتا⁸. إذا كان الجزء بمعنى بعض من كل في لغة العرب، فإن تفسيره بالأنثى قد أنكره

¹ - الزمر من الآية 71.

² - الكشاف ج 4 ص 132.

³ - الرجز بلا نسبة في البحر المحيط 427/7.

⁴ - فصلت من الآية 25.

⁵ - الكشاف ج 4 ص 176

⁶ - البيت من المنشرح لعروة بن أذينة في لسان العرب، وأساس البلاغة مادة (أفك)

⁷ - الزخرف من الآية 15.

⁸ - الكشاف ج 4 ص 213.

الزمخشري وقال: إنه مصنوع لا لغة، بل هو كذب على العرب؛ وبالتالي فالبيتان المنشدان في هذا المعنى مصنوعان. وفي لسان العرب: «عن الزجاج: أنه قال أنشدت بيتا في أن معنى جزء معنى الإناث، ولا أدري البيت أقدم أم مصنوع»¹. والمقصود هو قوله: إن أجزاء حرّة يوما فلا عجب [قد تجزئ الحرّة المذكارُ أحيانا]² ومعناه: إن ولدت حرّة أنثى في بعض الأحيان، فلا عجب فإن الحرّة التي تلد الذكور كثيرا قد تلد أنثى في بعض الأوقات. والشاهد فيه: أجزاء ولدت جزءا أي أنثى. وقال الآخر: رُوِّجَتْهَا مِنْ بَنَاتِ الْأَوْسِ مَجْزِيَةً [للعوسج اللدن في أبياتها زجل]³ أي: اخترت لك من بنات أوس امرأة تلد البنات. والشاهد فيه: مجزوءة أي: امرأة تلد البنات.

تعسا لهم : قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾⁴.

قال الزمخشري: «﴿فَتَعَسَا لَهُمْ﴾ كأنه قال أتعس الذين كفروا... وتعسا له نقيض لعا له»⁵ أي: انتعاشا له لا تعسا، ولا انتكاسا. فالتعس ضدّ السعد، وقيل ضدّ الانتعاش من قولهم لعا بمعنى انتعش قال الأعشى :

[بذات لوثٍ عَفْرَانَةٍ إِذَا عَثَرَتْ] فالتعس أولى لها من أن يُقال لعا⁶

يتحدث عن ناقة له قوية قادرة على قطع الفيافي المجهولة دون عثار، فإن اضطرت فعثرت كان أولى بها أن يقال لها تعسا لك لا لعا لك. والشاهد فيه: تعسا نقيض انتعاشا.

¹ - لسان العرب مادة (جزأ)

² - البيت من البسيط بلا نسبة في لسان العرب (جزأ)

³ - البيت من البسيط بلا نسبة في لسان العرب (جزأ)

⁴ - محمد الآية 08.

⁵ - الكشف ج4. ص277

⁶ - البيت من البسيط للأعشى في ديوانه ص103

ذنوب: قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾¹

قال الزمخشري: «الذنوب: الدلو العظيم، وهذا تمثيل أصله في السقاة يتقسمون الماء فيكون لهذا ذنوب، ولهذا ذنوب»². وذكر صاحب الدر المصون: الذنوب في الأصل الدلو المأى ماء... فإن لم تكن مأى فهو دلو»³ فالذنوب الدلو العظيمة، ولا تسمى ذنوبا إلا إذا كانت مأى، وفي هذا تمثيل لهيئة تساوي حظ الذين ظلموا من العرب بحظوظ الذين ظلموا من الأمم السالفة بهيئة الذين يستقون من قليب واحد إذ يتساوون في أنصبتهم من الماء، وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس»⁴. وقد استشهد الزمخشري على صحة هذه الدلالة بقول الشاعر:

لنا ذنوبٌ ولكم ذنوبٌ فإن أبيتم فأننا القليبُ⁵

أي: نقول لمن يشرب معنا: إذا اشتركنا في ماء اقتسمنا، فكان لنا نصيب، ولمن شاركنا نصيب، فإن أبى وطمع؛ كان له الموت، وفي هذا دلالة على الشجاعة والغلبة. والشاهد فيه: كلمة ذنوب بالمعنى المشار إليه سابقا. وروي أنه لما قال عمرو بن شاس:

وفي كل حي قد خبّطت بنعمة فحُقَّ لشأس من نـذاك ذنوب⁶

أي: إن فضلك عم الأحياء جميعا، فيحق لي أن أنال ذنوبا من هذه النعم. مخاطبا: الملك الحارث بن أبي شمّر الغساني. وكان أسيرا عنده. فقال له الملك: نعم وأذنبه. والشاهد فيه: الذنوب بالمعنى السابق .

¹ - الذاريات من الآية 59

² - الكشف ج 4 ، ص 350.

³ - الدر المصون ج 10 ، ص 61.62.

⁴ - التحرير والتنوير ج 27 ، ص 30.

⁵ - الرجز بلا نسبة في لسان العرب (ذنب).

⁶ - البيت من الطويل لعمرو بن شأس في الكتاب ج 4. ص 471

ريب المنون : قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبِّصُ بِهِ رَبِّبَ الْمُنُونِ﴾¹.

قال الزمخشري: «وريب المنون: ما يُقلق النفوس ويشخصُ بها من حوادث الدهر... وقيل: المنون: الموت، وهو في الأصل فعول من منه إذا قطعه؛ لأن الموت قطع؛ ولذلك سميت شعوب»². فالمنون: «من أسماء الموت، ومن أسماء الدهر ويذكر، وقد فسر بكلام المعنيين، فإذا فسر بالموت فإضافة ريب إليه بيانية، أي: الحدثنان هو الموت، وإذا فسر المنون بالدهر فالإضافة على أصلها أي: أحداث الدهر من مثل موت، أو خروج من البلد أو رجوع عن دعوته، فريب المنون الجنس، وقد ذكروا في مقالاتهم قولهم: فسيهلك فاحتملت أن يكونوا أرادوه بيان ريب المنون، أو إن أرادوه مثالا بريب الدهر، وكلام الاحتمالين جار في الآية لأنها حكمت مقالاتهم»³. وقد جاء في كلام العرب ريب المنون بمعنى حدثنان الدهر إذ يقول أبو ذؤيب الهذلي:

أَمِنَ الْمُنُونِ وَرَيْبِهَا تَتَوَجَّعُ؟ [والدهر ليس بمعتب من يجزع]⁴

كاذبة: قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾⁵

قال الزمخشري: «وقيل: ﴿كَاذِبَةٌ﴾ كالعاقبة بمعنى التكذيب من قولك حمل على قرنه، فما كذب أي: فما جبن وما تثبط وحقيقته: فما كذب نفسه فيما حدثته به من إطاقته له، وإقدامه عليه»⁶. وهذا يعني أن ﴿كَاذِبَةٌ﴾ إذا كانت من كذب اللازم فهي اسم فاعل وصف لمؤنث محذوف تقديره نفس. وإذا كانت من كذب المتعدي، فهي مثل الذي في قولهم: كذبت فلانا نفسه أي: حدثته نفسه... ويقولون: كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم إذا أقدم عليه فأخفق، كأن نفسه لما شجعت على اقتحامه، وقد قالت له، إنك تطيقه، فتعرض له ولا

¹ - الطور الآية 30.

² - الكشف ج 4 ، ص 355.

³ - التحرير والتنوير ج 27، ص 61.

⁴ - البيت من الكامل لأبي ذؤيب في خزنة الأدب 420/1

⁵ - الواقعة الآية 02.

⁶ - الكشف ج 4 ، ص 390.

تبال به؛ فإنك مذللته، فإذا تبين له عجزه، فكأن نفسه أخبرته بما لا يكون، فقد كذبتة، كما يقال: كذبتة عينه إذا تخيل مريئاً ولم يكن»¹. ومن ذلك قول الشاعر :

[ليث بعثر يصطاد الرجال إذا] ما الليث كذب عن أقرانه صدقاً²

يصف رجلاً بالشجاعة فيقول: إنه كالليث بعثر يصطاد الرجال، ويصدق في موقفه منهم على حين أن الليث قد يضعف، ويعجز عن أقرانه. والشاهد فيه: أنه ما كذب نفسه فيما حدثته به من إطاقة وقدرة على اصطياد الرجال في حين كذب الليث، وضعف وجبن عن أقرانه.

الهيم : قال الله تعالى: ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ﴾³

قال الزمخشري: ﴿شُرْبَ الْهَيْمِ﴾ قرئ بالحركات الثلاث، فالفتح والضم مصدران وعن جعفر الصادق رضي الله عنه: أيام أكل وشرب بفتح الشين، وأما المكسور فبمعنى المشروب، أي: ما يشربه الهيم، وهي الإبل التي بها الهيام، وهو داء تشرب منه فلا تروى جمع أهيم وهيماء⁴. وقد استشهد على صحة معنى الهيام بقول ذي الرمة:

فأصبحت كالهيماء لا الماء مبرداً صداها ولا يقضي عليها هيامها⁵

أي: أصبح كالناقة الهيماء لا يبرد الماء ظمأها، ولا يميئها هيامها حيث لا وصال يشفيه، ولا التلهف يميئته. والشاهد فيه: أصبحت كالهيماء أي كالناقة التي أصيبت بالهيام، وجمعها الهيم.

¹ - التحرير والتنوير ج 27، ص 282.

² - البيت من البسيط لزهير بن أبي سلمى في ديوانه، ص 77.

³ - الواقعة الآية 55.

⁴ - الكشاف ج 4، ص 396.

⁵ - البيت من الطويل لذي الرمة في ديوانه. شرح التبريزي. تح. مجيد طراد. ص 349.

مولاكم: قال الله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾¹.

قال الزمخشري: «﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ قيل هي أولى بكم... وحقيقة مولاكم: محرّاكم ومقمنكم أي: مكانكم الذي يقال فيه هو أولى بكم»². ويشهد على هذا المعنى قول لبيد:

فَعَدْتُ كَلَا الْفَرْجَيْنِ تَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤَلِّي الْمَخَافَةَ خَلْفَهَا وَأَمَامَهَا³

أي: فعدت البقرة تعدو في الجبل، وأينما توجهت ظنت أن الخطر يداهما من الأمام والخلف على السواء. والشاهد فيه: مولى المخافة أي: الأولى بالمخافة، أو المكان الذي يقال فيه: هو أولى بالمخافة.

حسوما: قال الله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾⁴.

قال الزمخشري: «الحسوم لا يخلو من أن يكون جمع حاسم كشهود وقعود أو مصدرا كالشكور والكفور، فإن كان جمعا فمعنى قوله: حسوما نحسات حسمت كل خير واستأصلت كل بركة، متتابعة هبوب الرياح ما خفتت الساعة حتى أتت عليهم، تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في إعادة الكي على الداء كرة بعد أخرى حتى ينحسم»⁵. وقال غيره: «والحسوم مشتق من حسم الداء بالمكواة، إذ يكوي ويتابع الكي أياما فيكون إطلاقه استعارة ولعلها من مبتكرات القرآن»⁶. ومن الشعراء الذين استشهد بشعرهم في هذه المادة ودلالاتها عبد العزيز الكلابي إذ يقول:

فَفَرَّقَ بَيْنَ بَيْنِهِمْ زَمَانٌ تَتَابَعُ فِيهِ أَعْوَامٌ حُسُومٌ⁷

¹ - الحديد الآية 15.

² - الكشاف ج 4 ص 406.

³ - البيت من الكامل للبيد من معلقته في شرح المعلمات السبع. للزوزني، ص 167.

⁴ - الحاقة من الآية 07.

⁵ - الكشاف ج 4 ص 510.

⁶ - التحرير والتنوير ج 29، ص 117.

⁷ - البيت من الوافر في الدر المصون ج 10 ص 425.

يصف الشاعر ما حل بمن يتحدث عنهم من فرقة وشتات. والشاهد فيه حسوم، أي: مستأصلة، أو قاطعات لأبواب الخيرات.

الحافرة : قال الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَنِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾¹

قال الزمخشري: «**فِي الْحَافِرَةِ**» في الحالة الأولى، يعنون الحياة بعد الموت؛ فإن قلت: ما حقيقة هذه الكلمة؟ قلت: يقال رجع فلان في حافرته، أي طريقه التي جاء فيها فحفرها، أي: أثر فيها بمشيئه فيها: جُعل أثر قدميه حفرا كما قيل: حُفرت أسنائه حفرا إذا أثر الأكل في أسناخها، والخط المحفور في الصخرة، وقيل: حافرة كما قيل: ﴿عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾، أي: منسوبة إلى الحفر والرضا أو كقولهم: نهارك صائم، ثم قيل لمن كان في أمر فخرج منه ثم عاد إليه: رجع إلى حافرته. أي إلى طريقته وحالته الأولى². ويفهم من هذا أن الحافرة «هي الطريقة التي يرجع الإنسان فيها من حيث جاء، يقال رجع في حافرته، وعلى حافرته، ثم يعبر بها عن الرجوع بالأحوال من آخر الأمر إلى أوله»³. وقد قال الشاعر :

أحافرةً على صلحٍ و شيبٍ؟ معاذ الله من سفه و عارٍ⁴
 أيكون رجوع إلى الحال الماضية مع الشيب والصلح، حاشا لله إن ذلك من السفه والعار. والشاهد فيه: الحافرة بمعنى الطريقة الأولى.

غلبا : قال الله تعالى: ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾⁵.

قال الزمخشري: «**وَحَدَائِقَ غُلْبًا**» يحتمل أن يجعل كل حديقة غلباء فيريد تكاثفها وكثرة أشجارها، وعظمتها، كما تقول: حديقة ضخمة، وأن يجعل شجرها غلبا أي عظاما

¹ - النازعات الآية 10

² - الكشف ج 4 ، ص 593.

³ - الدر المصون ج 10 ، ص 670

⁴ - البيت من الوافر أنشده ابن الأعرابي في لسان العرب (حفر)

⁵ - عبس الآية 30.

غلاظا. والأصل في الوصف بالغلب الرقاب فاستعير¹. فالغلب جمع أغلب وغلباء ومنها يقال حديقة غلباء، فيريد تكاثف أشجارها وكثرتها وعظمتها، والأصل في هذا الوصف للرقبة فيقال: رجل أغلب وامرأة غلباء أي: كل منهما غليظ الرقبة، إلا أنه استعير للحديقة وأشجارها وقد قال الشاعر :

يمشي بها غلبُ الرقابِ كأنَّهم بزلُ كُسين من الكُحَيْلِ جِلاَلا²

يصف مفازة كثيرة الأسود غلاظ الأعناق مجللة بالسواد، كأنها نوق كسيت بالقطران. والشاهد فيه: غلب الرقاب غلاظ الرقاب.

لَمَّا : قال الله تعالى: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾³.

قال الزمخشري: «﴿أَكْلًا لَمًّا﴾ ذا لَمْ، وهو الجمع بين الحلال والحرام»⁴. ومنه يقال لملت الشيء لَمًّا أي جمعته جمعا. وفي ذلك قال الحطيئة :

إذا كان لَمًّا يتبع الذمُّ رَبَّهُ فلا قدّسُ الرحمٰنُ تلكَ الطواحنا⁵

يقول: إذا كان الأكل لَمًّا يجمع بين الحلال والحرام، فلا قدّس الله تعالى تلك الأضراس التي تطعن ذلك المأكول. والشاهد فيه «لَمًّا» أي جمعا بين الحلال والحرام.

كَبِد : قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾⁶.

قال الزمخشري: «والكبد أصله من قولك: كَبِدَ الرجل كبدا فهو أكْبَدُ إذا وجعت كَبِدُهُ وانتفخت فأتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة، ومنه اشتقت المكابدة، كما قيل:

¹ - الكشاف ج 4، ص 602.

² - البيت في الكامل لعمر بن معد يكرب في الدر المصون ج 10، ص 694.

³ - الفجر الآية 19.

⁴ - الكشاف ج 4، ص 643.

⁵ - البيت من الطويل للحطيئة في الدر المصون ج 10، ص 790.

⁶ - البلد الآية 04.

كَبَّتْهُ بِمَعْنَى أَهْلَكَه، وَأَصْلُهُ كَبَدَهُ، إِذَا أَصَابَ كَبَدَهُ»¹. فَالْكَبْدُ يُطْلَقُ لِلدَّلَالَةِ عَلَى كُلِّ تَعَبٍ وَمَشَقَّةٍ، وَكُلُّ أَمْرٍ فِيهِ مَكَابِدَةٌ. قَالَ لَبِيدٌ :

يَا عَيْنُ هَلَّا بَكَّيْتِ أُرَيْدَ إِذْ قُمْنَا وَقَامَ الْخِصُومُ فِي كَبَدٍ²
يَخَاطِبُ عَيْنَهُ وَيَسْأَلُهَا هَلْ بَكَّيْتِ أُرَيْدَ (وَهُوَ أَخُوهُ) وَقَتَ قِيَامِنَا لِلْحَرْبِ، وَاشْتَبَاكِنَا مَعَ الْخِصُومِ فِي شِدَّةٍ وَمَشَقَّةٍ مِنَ الْأَمْرِ؟ وَالشَّاهِدُ فِيهِ: «(فِي كَبَدٍ) فِي شِدَّةِ الْأَمْرِ وَصَعُوبَةِ الْخَطْبِ.

لَشَدِيدٍ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾³.

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: « وَالشَّدِيدُ: الْبَخِيلُ الْمَمْسُوكُ، يُقَالُ: فَلَانَ شَدِيدًا وَمَتَشَدَّدًا »⁴ قَالَ طَرْفَةُ:
أَرَى الْمَوْتَ يَعْتَامُ الْكِرَامَ وَيَصْطَفِي عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمَتَشَدَّدِ⁵
يَقُولُ: أَرَى الْمَوْتَ يَخْتَارُ الْكِرَامَ فَيَأْخُذُهُمْ، وَيَخْتَارُ أَعَزَّ مَالِ الْبَخِيلِ الشَّدِيدِ فَيَبْقِيهِ. وَالشَّاهِدُ فِيهِ: الْمَتَشَدَّدُ بِمَعْنَى: الشَّدِيدِ الْإِمْسَاكِ .

هَآوِيَةٌ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأُمَّهُ هَآوِيَةٌ﴾⁶

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: « ﴿فَأُمَّهُ هَآوِيَةٌ﴾ مِنْ قَوْلِهِمْ إِذَا دَعَا عَلَى الرَّجُلِ بِالْهَلَاكَةِ: هَوَتْ أُمُّهُ؛ لِأَنَّهُ إِذَا هَوَى أَيُّ سَقَطَ وَهَلَكَ، فَقَدْ هَوَتْ أُمُّهُ تَكَلًّا وَحُزْنًا »⁷. فَأُمَّهُ هَآوِيَةٌ بِمَعْنَى هَالِكَةٌ حَيْثُ يَقُولُونَ لِمَنْ هَلَكَ: هَوَتْ أُمَّهُ، وَعَلَيْهِ قَوْلُ الشَّاعِرِ كَعْبِ يَرِثِي أَخَاهُ :

هَوَتْ أُمَّهُ مَا يَبْعَثُ الصَّبْحُ غَادِيًّا وَمَاذَا يَرُدُّ اللَّيْلَ حِينَ يَوْؤُوبُ؟⁸

¹ - الكشاف ج 4 ، ص 647

² - البيت من المنسرح للبيد في ديوانه ، ص 50.

³ - العاديات 08.

⁴ - الكشاف ج 4 ص 677

⁵ - البيت من الطويل لطفرة بن العبد في ديوانه، مهدي محمد. دار الكتب العلمية. ط3. بيروت. 2002. ص 26.

⁶ - القارعة 09.

⁷ - الكشاف ج 4 ، ص 678.

⁸ - البيت من الطويل لكعب في لسان العرب (أمم)

ومعناه: أي شيء يبعثه الصبح منه، وأي شيء يرده الليل متعجبا من جلده وقوته في طلب الغارة، ورجوعه في الليل ظافرا. والشاهد فيه: هوت أمه بمعنى هلك .

زرتم المقابر : قال الله تعالى: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾¹

قال الزمخشري: «زيارة القبور: عبارة عن الموت»². وقد ورد في كلام العرب ما يدل على صحة هذا التفسير. قال الأخطل :

لن يُخلص العامَ خليلٌ عشرا ذاق الضمادَ أو يزورَ القبورا³

يصف الناس بشدة التنافر فيقول: لن يخلص خليل لمن يخاله إلا ريثما تمر عشر ليال وتسكن جراحه، أو تنتزعه الموت. والشاهد فيه: يزور القبر بمعنى يموت

وقال جرير:

زار القبورَ أبو مالكٍ فأصبحَ أُمَّ زُورِها⁴

يهجو أبا مالك بعد موته يقول: كان أُم الأحياء، فأصبح أُم الأموات. والشاهد فيه: زار القبور: بمعنى: مات .

الماعون : قال الله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾⁵

قال الزمخشري: «الماعون»: الزكاة»⁶. هذا ما جاء في قول الراعي :

قومٌ على الإسلامَ لَمَّا يَمْنَعُوا ماعونهم ويضيُّعوا التهليلا⁷

يقول: هم قوم ثابتون على الإسلام، لم يمنعوا الزكاة، ولا غيرها من الخيرات، ولم يضيعوا التهليلا بمعنى الصلاة. والشاهد فيه: ماعونهم بمعنى زكاتهم .

¹ - التكاثر الآية 02

² - الكشاف ج 4، ص 680.

³ - البيت من الرجز للأخطل في لسان العرب (ضد)

⁴ - البيت من المتقارب لجرير في لسان العرب (كثر)

⁵ - الماعون ، الآية 07.

⁶ - الكشاف ج 4، ص 692.

⁷ - البيت من الكامل للراعي في ديوانه. تح راينهرت. المعهد الألماني للأبحاث الشرقية. دط بيروت. 1980. ص 230.

الفصل الثامن: شواهد الأساليب البلاغية

- الالتفات
- المجاز المرشح (الاستعارة المرشحة)
- الفرق بين التشبيه والاستعارة
- الإطناب والإيجاز في التعبير عن المعنى
- تعدد التمثيل
- ذكر طرفي التشبيه والتصريح بهما
- التشبيه المركب
- المقابلة وإطباق الجواب على السؤال
- استعارة الاشتراء
- من المجاز المرسل
- استعارة أم تشبيه
- الفرق بين الكناية والتعريض
- الكناية عن شدة الغيظ
- نفي الشيء الواحد عن اثنين
- إنشاء الدعاء
- حقيقة أم مجاز
- التمثيل بالجمل
- استعارة الريح للدولة
- الأمر في معنى الخبر
- الاستعارة المجردة
- استعارة أم مجاز عقلي
- الاستفهام الإنكاري التعجب
- من أعراض الاستفهام
- الاستفهام التقريري
- من دواعي التكثير
- من المعارض
- استعارة ذو الأوتاد
- كناية فاستعارة

- من أنواع الكناية
- من دواعي التتكير
- تكرار أداة التشبيه
- الاستعارة المكنية التخيلية
- إنابة الصفة مناب الموصوفات
- التجريد
- المجاز العقلي
- استعارة اللمس
- المجاز المرسل
- التشبيه المرسل المجمل

إذا كان علم الصرف قد وضع « للنظر في أبنية الألفاظ، وعلم النحو وضع للنظر في إعراب ما تركيب منها»¹. فان علوم البلاغة قد وضعت « للنظر في أمر هذا التركيب»². إذ « لا فضيلة لكلام على كلام إلا بما يحتويه من لطائفها، ويودع فيه من مزاياها وخصائصها، ولا تبريز لمتكلم على آخر إلا بما يحوكه من وشيها، ويلفظه من درها وينفته من سحرها، ويجنيه من يافع ثمرها»³، وهي التي بها «نعرف وجه إعجاز القرآن وندرک ما فيه من خصائص القرآن وانسجام تأليفه، وسهولة نظمه وسلامته، وعذوبته وجزالته»⁴. هذا ما لمسناه في عمل الزمخشري، وهو يكشف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في تفسيره للقرآن الكريم عارضا صور البيان القرآني، متتبعا مزاياها الجمالية. وقد تجسد ذلك في الموضوعات الآتية:

الالتفات:

الالتفات في اصطلاح البلاغيين «هو التحويل في التعبير الكلامي من اتجاه إلى آخر»⁵، أي: من التكلم إلى الخطاب، أو إلى الغيبة، أو من الخطاب إلى التكلم، أو إلى الغيبة، أو الانتقال من الغيبة إلى التكلم أو الخطاب. وقد ورد هذا في سورة الفاتحة: فبعد قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ عدل عن الغيبة إلى الخطاب بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، كما التفت امرؤ القيس في قوله:

تطاولَ لئُلك بالأُثمِّدِ ونام الخَلِيُّ وَلَمْ تَرْقُدِ
وَبَاتَ وَبَاتَتْ لَهُ لَيْلَةٌ كليلة ذِي العائِرِ الأَرْمَدِ
وذلك من نباٍ جائي وَخُبْرُتُهُ عن أبي الأسود⁶

¹ - جواهر البلاغة. أحمد الهاشمي. تح حسن حمد. دار الجيل. دط. بيروت. 2002. ص 09 .

² - المرجع نفسه. ص 09 .

³ - علوم البلاغة. أحمد مصطفى المراغي. دار القلم. دط. بيروت. دت. ص 05 .

⁴ - المرجع نفسه. ص 05 .

⁵ - البلاغة العربية. عبد الرحمن حسن حبنكة. دار القلم ط 1. دمشق. 1996 ج 1، ص 479 .

⁶ - الأبيات من المتقارب لامرئ القيس في ديوانه ص 643-644 .

حيث يتحدث امرؤ القيس في هذه الأبيات الثلاثة بمرارة عن ليلة ليلاء بعين الأثمد (اسم مكان) حرم فيها النوم، وتقرحت عيناه، كما تتقرح عينا من أصابه الرمد، واشتد به ألمه، والسبب في ذلك ما أخبر به من نبأ أليم، لعله مقتل أبيه على يد بني أسد. فإذا كانت هذه الأبيات خير شاهد على قانون الغاب الذي كان يحكم المجتمع العربي، فإنها شاهدة على جمال لغة الضاد، وافتتان العرب في كلامهم وتصرفهم فيه. تمثل ذلك في انتقال امرئ القيس من الخطاب إلى الغيبة إلى التكلم، وهو ما يعرف بالالتفات في علم البيان. الأمر الذي أراد الزمخشري إثباته في سورة الفاتحة، والاستدلال على صحة وجوده.

وكذا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ﴾¹ حيث قال: «هذه المفاجأة بالاحتجاج والإلزام حسنة رائعة، وخاصة إذا انضم إليها الالتفاف وحذف القول»². أي: أن قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ﴾ هو على إضمار القول والالتفات، كما أشار إلى ذلك الزمخشري، أي أن الأصل في الآية الكريمة إن قلتم هؤلاء آلهتنا فقد كذَّبُوكُمْ، حيث صرف الخطاب عن المعبودين عند تمام جوابهم، وتوجيهه إلى العبد، والإقبال على مخاطبتهم، أي فقد كذَّبكم المعبودون أيها الكفرة فيما تقولون، وهذا نظير قول الشاعر:

قالوا: خراسانُ أقصى ما يُرادُ بنا ثم القولُ فقد جئنا خراساناً³

قالوا: إن هذه البلدة أبعد ما يراد بنا، ثم يكون الرجوع، فإن صدقوا في قولهم؛ فقد جئنا خراسان، وما حققنا شيئاً. والشاهد فيه: الالتفاف وحذف القول أي: إن قلتم ذلك جئنا خراسان.

المجاز المرشح (الاستعارة المرشحة):

تقسم الاستعارة إلى: مرشحة، ومجردة، ومطلقة. فالمرشحة هي التي تشتمل على ما يلائم المشبه به، والتي عبّر عنها الزمخشري بقوله: «وهو أن تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى بأشكال لها وأخوات إذا تلاحقن لم تر كلاماً أحسن منه ديباجة، وأكثر ماء

¹ - الفرقان من الآية 19.

² - الكشف ج3، ص236

³ - البيت من البسيط للعباس بن الأحنف في الدر المصون ج8، ص467

ورونقا، وهو المجاز المرشح¹ «أما المجردة فهي ما اشتملت على ما يلائم المشبه. لكن المطلقة هي ما خلت مما يلائم المشبه، والمشبه به. ومثال المرشحة التي نحن بصدد الوقوف عليها، ما ورد في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾²، فقد اشتملت على الاستعارة التصريحية: ﴿اشْتَرُوا﴾ التي بمعنى اختاروا وقرينتها الضلالة، على ما يلائم المشبه به، وهو قوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ وهذا ما توارد في كلام العرب نحو: قول الشاعر:

ولما رأيت التسرَّ عَزَّ ابنَ دَأْيَةٍ وعشش في وكزَيْه جَاش له صدري³

حيث لما «شبه الشيب بالنسر، والشعر الفاحم بالغراب، اتبعه ذكر التعشيش والوكر»⁴.

وكذلك قول الشاعر:

فما أمُّ الرُّدَيْنِ وإن أدلَّتْ بعالميةٍ بأخلاقِ الكرام⁵

إذا الشيطانُ قصَّع في قفاها تنفَّقناه بالحُبْل الثَّوام

حيث الشاعر استعار التقصيع الذي هو من فعل اليربوع؛ لدخول الشيطان في قفاها، واستعار التنفق؛ لآخراجه منه على سبيل الاستعارة التصريحية. والثانية ترشيح للأولى وبالعكس. والحبل الثَّوام ترشيح للتنفق. وترشيح الترشيح ترشيح، فيكون ترشيحا للتقصيع أيضا. وهذا يناظر تماما ذكره سبحانه وتعالى: الشراء، ثم أتبعه بما يشاكله ويرشحه تمثيلا لخسارتهم، وتصويرا لحقيقتها.

¹ - الكشف ج 1، ص 81.

² - البقرة من الآية 16

³ - البيت من الوافر بلا نسبة في الكشف ج 1، ص 81

⁴ - الكشف ج 1، ص 82.

⁵ - البيتان من الوافر بلا نسبة في الدر المصون 1/128.

الفرق بين التشبيه والاستعارة: قال الله تعالى: ﴿صُمُّ بَكُمْ عُمِّي فَهَمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾¹
 قال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿صُمُّ بَكُمْ عُمِّي﴾ «فإن قلت: كيف طريقته عند علماء
 البيان؟ قلت: طريقة قولهم: هم ليوث للشجعان، ويحورُّ للأسخياء، إلا أن هذا في
 الصفات، وذلك في الأسماء، وقد جاءت الاستعارة في الأسماء والصفات والأفعال جميعاً.
 تقول: لقيت ليوثاً، ولقيت صُماً عن الخير، ودجا الإسلام، وأضاء الحق؛ فإن قلت: هل
 يسمى ما في الآية استعارة؟ قلت: مختلف فيه. والمحققون على تسميته تشبيهاً بليغاً لا
 استعارة؛ لأن المستعار له مذكور، وهم المنافقون، والاستعارة إنما تطلق حيث يطوي ذكر
 المستعار له، ويجعل الكلام خلواً عنه، صالحاً لأن يرد به المنقول عنه، والمنقول إليه
 لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام»².

قال زهير بن أبي سلمى:

لدى أسدٍ شاكى السلاحِ مُقَدَّفٍ له ليدٌ أظفاره لم تقلم³
 فقد شبه الشاعر الرجل بالأسد، فذكر أن الرجل شاكى السلاح مقذف، وأن الأسد له
 ليد أظفاره لم تقلم، فقد ذكر ما لا يلائم المشبه، والمشبه به، فهي استعارة مطلقة، وهو
 الأمر الذي لا يمكن إطلاقه على قوله تعالى: ﴿صُمُّ بَكُمْ عُمِّي﴾ باعتبار أن المستعار له
 مذكور. ويضيف المفسر غير مكتفٍ بقول زهير مستشهداً بقول أبي تمام⁴، وإن كان من
 المولدين، إلا أنه أبلغ وأقدر على التصوير البياني، حيث الترشيح أبلغ من التجريد:
 ويصعَدُ حتى يظنَّ الجهولُ بأن له حاجةً في السماء⁵
 إذ يشبه «ممدوحه بطائر يطير ممعناً في علوه وصعوده، ويتناسى المشبه حتى يظن أن

¹ - البقرة الآية 18

² - الكشاف ج1، ص87.

³ - البيت من الطويل لزهير ابن سلمى في ديوانه ص108.

⁴ - هامش الكشاف ج1، ص87.

⁵ - البيت من المتقارب لأبي تمام في شرح ديوانه. شرح الخطيب التبريزي. تح محمد عبده عزام. دار
 المعارف. ط3. القاهرة. دت. ج4 ص34.

لمدوحه حاجة في السماء»¹. وهو ما عبّر عنه المفسر بقوله: «ومن ثم ترى المفلقين السحرة منهم، كأنهم يتناسون التشبيه، ويضربون عن توهمه صفحا»².

ومثله أيضا قول الشاعر

لا تحسبوا أن في سزباليه رجلاً ففيه غيثٌ وليتُّ مُسبِلٌ مُشبِلٌ³

فقد حاول الشاعر أن يصرف مخاطبيه عن النظر إلى ممدوحه على أنه قد صار غيثا هطلا وليثا مشبلا، ومن ثم فقد ذكر ما يلائم المشبه به من إسبال حين صيّر ممدوحه غيثا، وما يلائمه من إسبال حين صيّر ليثا على سبيل الاستعارة التصريحية. فإن كانت هذه الصور البيانية الجميلة الساحرة هي استعارات، وليست مجرد تشبيهات؛ فإن قوله تعالى: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمِيٌّ﴾ تشبيه بليغ لا شبهة فيه. حيث ذكر طرفا التشبيه المشبه به المحذوف (هم) وهو في حكم المنطوق، والمشبه: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمِيٌّ﴾. «وليس لقاتل أن يقول طوي ذكرهم عن الجملة بحذف المبتدأ فأتسلق بذلك، إلى تسميته استعارة؛ لأنه في حكم المنطوق به»⁴. ونظير هذا التشبيه من الكلام العربي الفصيح الذي حذف فيه المشبه باعتباره مبتدأ محذوفا، وهو في تقدير المنطوق، وذكر المشبه به على أنه خبر له. قول من يخاطب الحجاج:

أسدٌ عليٌّ وفي الحروبِ نعامَةٌ فتخاءٌ تنفُرُ من صفيرِ الصّافِرِ⁵

فقد شبه الشاعر الحجاج بالأسد في عنفوانه، وشراسته، وبالنعامة في لينه واسترخائه على أن المشبه محذوف تقديره «ه»، وهو في تقدير المحذوف.

¹ - هامش الكشف ج1، ص87.

² - المصدر نفسه. ج1 ص87

³ - البيت من البسيط للزمخشري في الكشف ج1، ص89.

⁴ - الكشف ج1، ص88.

⁵ - البيت من الكامل لعمران بن حطان في الأغاني. لأبي الفرج الأصبهاني. تح. عبد الستار أحمد فراج. دار الثقافة. دط

بيروت. 1983. ج18. ص57

الإطناب والإيجاز في التعبير عن المعنى:

قال صاحب الإيضاح في علم البلاغة: «والأقرب أن يقال المقبول من طرق التعبير عن المعنى هو تأدية أصل المراد بلفظ مساو له، أو ناقص عنه وافٍ، أو زائد عليه لفائدة»¹ فالأول المساواة، والثاني الإيجاز، والثالث الإطناب.

وقال صاحب الكشاف: «وكما يجب على البليغ في مظان الإجمال والإيجاز أن يجمل ويوجز، فكذاك الواجب عليه في موارد التفصيل والإشباع أن يفصل ويشبع»².

وكانى بالزمخشري قد استخلص ما ذهب إليه من ضرورة الإجمال، والإيجاز في مواقف، وضرورة التفصيل، والإطناب في مواقع أخرى مما أنشده الجاحظ:

يُوحُونَ بِالْخُطْبِ الطَّوَالَ وتارةً وَحَيَّ الْمُلَاحِظِ خَيْفَةَ الرُّقْبَاءِ³

فالشاعر يصف ممدوحيه بالقدرة على الإطناب إذا أرادوا، وكان المقام يقتضي ذلك كما يصفهم بحسن الإجمال والإيجاز، فيوحون وحيا باللواظ؛ لخوفهم من الرقباء فلكل مقام عندهم مقال. فالشاعر كما ترى مدح الإطالة في موضعها، والإيجاز في موضعه، وقد أشار المفسر إلى هذا التنوع في التعبير عن المعنى بعد الانتهاء من تفسير قوله تعالى: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمِيٌّ﴾. وقبل الشروع في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾⁴ إذ يقول: «ثم ثنى الله سبحانه في شأنهم بتمثيل آخر، ليكون كشفاً لحالهم بعد كشف، وإيضاحاً غب إيضاح»⁵.

¹ - الإيضاح في علوم البلاغة. للقزويني. تح محمد عبد المنعم خفاجي. وعبد العزيز شرف. دار الكتاب المصري. ط6.

القاهرة. 1999 ص180.

² - الكشاف ج1، ص88.

³ - البيت من الكامل لأبي داود الإيادي في البيان والتبيين. للجاحظ. حسن السندوي. منشورات دار المعارف للطباعة والنشر. ط2. سوسة. تونس. 2012. ج1 ص52.

⁴ - البقرة الآية 19

⁵ - الكشاف ج1، ص88.

تعدد التمثيل:

التعدد في التمثيل مما هو جار في فصيح اللغة، إذ يدعونا الزمخشري إلى التأمل فيما صنع ذو الرّمة في قصيدته، وهو يصف ظيبا أعجبه:

أذاك أم نَمَشٌ بالوشى أكرعُهُ [مسفَعُ الخدِّ غادٍ ناشطٌ شَبَبُ]

أذاك أم خاضبٌ بالسِّيِّ مَرْتَعُهُ [أبو ثلاثين أمسى وهو منقلبٌ]¹

إذ يقول في تمثيله الأول للظبي الذي راقه أذاك ظبي، أم نمش موشية به الأكرع، ثم يثني ذلك بتمثيل آخر، وفي نفس القصيدة². قائلًا: أذاك ما أرى، أم هو مخضوب بالخضاب يرتع في الفلاة. والشاهد فيه: تعدد التمثيل. ولم يذكر الزمخشري هذا التعدد في التمثيل إلا من أجل الإشارة إلى أن في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾³. قد شبه المنافق في التمثيل الأول بالمستوقد نارا، وإظهاره الإيمان بالإضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار،... وشبه دين الإسلام بالصيب، والكفار بالظلمات، والوعد والوعيد بالرعد والبرق، وما يصيب الكفار بالصواعق⁴. وكل هذا يعتبر تعددا في التمثيل. ويشهد على ذلك بيتا ذي الرّمة السابقان.

ذكر طرفي التشبيه والتصريح بهما:

يقول الزمخشري: «فإن قلت: هذا تشبيه أشياء بأشياء فأين ذكرت المشبهات [مشيرا إلى ما سبق من التمثيل]، وهلا صرح به كما في قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ

¹ - البيتان من البسيط لذي الرّمة في ديوانه ص 38 و 49.

² - القصيدة بعنوان: ما بال عينيك، تشتمل على 131 بيتا من البسيط.

³ - البقرة الآية 19

⁴ - ينظر الكشف ج 1 ص 88-89

أَمْنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءَ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ¹»². وكما جاء في قول امرئ

القيس:

كأن قلوبَ الطَّيْرِ رطبًا ويابسًا لدى وكرها العنَّابُ والحشفُ البالي³
 إذ شبه امرؤ القيس قلوب الطير التي أَلقت بها الغريان على الأرض رطبة ويابسة
 بالعنَّاب الرطب، والحشف البالي. والشاهد فيه: ذكر المشبهات مع المشبهات بها بشكل
 صريح. ويجيب الزمخشري عما يمكن أن تثيره هذه التمثيلات من تساؤل، والتي تبدو
 وكأنها مجرد تشبيه أشياء بأشياء دون التصريح بالمشبهات، والمشبهات بها. بقوله: «قلت
 كما جاء ذلك صريحاً فقد جاء مطوباً ذكره على سَنَنِ الاستعارة، كقوله تعالى: ﴿وَمَا
 يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾⁴»⁵. حيث ضرب البحرين:
 العذب والمالح مثلين للمؤمن والكافر.

التشبيه المركَّب:

يقول الزمخشري: «والصحيح الذي عليه علماء البيان لا يتخطونه أن التمثيلين جميعاً
 (التمثيل بحال المستوقد، والتمثيل بحال الطيب) من التمثيلات المركبة دون المفرقة... بيانه
 أن العرب تأخذ أشياء فرادى، معزولاً بعضها عن بعض، لم يأخذ هذا بحُجزة ذاك فتشبهها
 بنظائرها. كما فعل امرؤ القيس، وجاء في القرآن، وتُشبهه كيفية حاصلة من مجموع أشياء
 قد تضامَّت وتلاصقت، حتى عادت شيئاً واحداً بأخرى مثلها»⁶. وهو ما يعرف بالتشبيه
 المركب الذي يكون وجه الشبه فيه صورة منتزعة من عدة أشياء، ويضيف قائلاً: «فإن
 قلت الذي كنت تقدره في المفرق من التشبيه من حذف المضاف، وهو قولك: أو كمثل

¹ - غافر الآية 58

² - الكشاف ج 1، ص 89.

³ - البيت من الطويل وهو لامرؤ القيس في ديوانه ص 359.

⁴ - فاطر من الآية 12

⁵ - الكشاف ج 1، ص 89

⁶ - المصدر نفسه ج 1، ص 89

ذوي صيِّب. هل تقدر مثله في المركب منه؟ قلت: لولا طلب الراجع في قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾¹. ما يرجع إليه لكنت مستغنيا عن تقديره؛ لأنني أراعي الكيفيّة المنتزعة من مجموع الكلام فلا عليّ: أُولِيَّ حَرْفِ التَّشْبِيهِ مَفْرَدٌ يَتَأْتِي التَّشْبِيهِ، أم لم يله؟ ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾² كيف ولي الماء الكاف، وليس الغرض تشبيه الدنيا بالماء، ولا بمفرد آخر يُتَمَحَّلُ لتقديره³. ومما يؤكد أنه ليس الغرض تشبيه مفرد بمفرد، وإنما المراد هو تشبيه كيفية حاصلة من مجموع أشياء مكتملة بحالة مماثلة لها. هو ما جاء في قول لبيد:

وما الناسُ إلا كالديارِ وأهلها بها يوم حَلُّوها وغدواً بلاقِعُ⁴

حيث لبيد «لم يشبه الناس بالديار، وإنما شبه وجودهم في الدنيا، وسرعة زوالهم وفنائهم بحلول أهل الديار فيها، ووشك نهوضهم عنها، وتركها خلاء خاوية»⁵. وهو الشاهد في البيت.

المقابلة وإطباق الجواب على السؤال: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَغُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾⁶.

يقول الزمخشري: «وكذلك معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي...﴾ أي: لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحي أن يتمثل بها لحقارتها، ويجوز أن تقع هذه العبارة في كلام الكفرة، فقالوا: أما يستحي ربّ محمد أن يضرب مثلاً بالذباب والعنكبوت؟ فجاء على سبيل المقابلة، وإطباق الجواب على السؤال، وهو فنّ من كلامهم بديع، وطرارز

¹ - البقرة من الآية 19

² - يونس من الآية 24

³ - الكشف ج1، ص90.

⁴ - البيت من الطويل وهو للبيد في ديوانه ص88.

⁵ - الكشف ج1، ص90.

⁶ - البقرة، من الآية 26.

عجيب»¹. يعني أن يظهر الجواب، ويخفى السؤال أو يؤخره، وهو أسلوب استفهامي خفيّ، ونظير ذلك قول أبي تمام:

من مبلغ أفناء يعرب كلّها أنى ابتئيتُ الجارَ قبل المنزل²

ذكر هذا في مدح أبي الوليد بن أحمد بن أبي داود الإيادي، حيث جعل الجار بيني كما تبني الدار، وكان ذلك جواباً لسؤالهم أختار الجار أولاً أم تبني الدار؟ والشاهد فيه أن: «الذي سوّغ بناء الجار هو مراعاة المشاكلة، ولولا بناء الدار لم يصحّ بناء الجار»³. مع العلم أنّ المشاكلة هنا تعني المقابلة وإطباق الجواب على السؤال. هي تماماً كقول الكفار: أما يستحي ربّ محمد أن يضرب المثل بالمحقّرات قويل قولهم ذلك بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ فبناء الجار لا يصحّ قبل بناء الدار، كذلك والجواب قبل السؤال. وإذا كان الحياء قد استعير فيما يصحّ فيه، أي: لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحي أن يتمثّل بها لحقارتها، فإنّه قد استعير فيما لا يصحّ فيه. ومنه قول الشاعر:

إذا ما استحيين الماءَ يعرضُ نفسه كرعنٍ بسبتٍ في إناءٍ من الورد⁴

إذ يصف النوق وقد استحيين من الماء يعرض نفسه عليهنّ. وهناك من يرويه استجبين أي أطعنه في عرض نفسه عليهنّ. والشاهد فيه: أنّه استعار الاستحياء فيما لا يصحّ فيه. وقد حمل الزمخشري الحياء المنسوب إلى الله سبحانه وتعالى على المشاكلة وفق معتقده، والمعبر عنه بقوله: «فإن قلت: كيف جاز وصف القديم سبحانه وتعالى به، ولا يجوز عليه التغيير والخوف والذم، وذلك في حديث سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ الْعَبْدُ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صَفْرًا خَائِبَتَيْنِ»⁵ قلت: هو جار على سبيل

¹ - الكشاف، ج 1، ص 119.

² - البيت من الكامل، لأبي تمام، في ديوانه ج 3، ص 49.

³ - الكشاف، ج 1، ص 117 - 118.

⁴ - البيت من الطويل للمتنبّي في الدرّ المصون ج 1، ص 221.

⁵ - الجامع الكبير، للترمذي، بتح. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت، 1996، ج 5، ص 521.

التمثيل مثل تركه تخييب العبد، وأنه لا يردّ يديه صفرا من عطائه؛ لكرمه بترك من يتركه ردّ المحتاج إليه حياء منه»¹. ويمكن الردّ على ذلك بما قاله ابن القيم: «وأما حياء الربّ تعالى من عبده، فذاك نوع آخر لا تدركه الأفهام، ولا تكيفه العقول فإنّه حياء كرم وبرّ وجود وجلال»². حيث مثل هذه الصّفات المنسوبة إلى الله سبحانه وتعالى تكون على ما يليق به عزّ وجلّ «لأنّ ذاته وصفاته ليست كذوات المخلوقين وصفاتهم، فيجب حينئذ إثبات ما أثبتته الله لنفسه، أو أثبتته له رسول الله ﷺ إثباتا كاملا على ما يليق به سبحانه من غير تمثيل، ولا تحريف ولا تعطيل»³

استعارة الاشتراء: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾⁴.

ذكر الزمخشري أنّ الاشتراء مستعار للدلالة على الاستبدال إذ يقول: «والاشتراء استعارة للاستبدال كقوله تعالى: ﴿اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾⁵. يعني: ولا تستبدلوا بآياتي ثمنا، وإلّا فالثمن هو المشتري به، والثمن القليل الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو أصبحوا أتباعا لرسول الله ﷺ، فاستبدلوها - وهي بدل قليل، ومتاع يسير - بآيات الله وبالحقّ الذي كلّ كثير إليه قليل، وكلّ كبير إليه حقير، فما بال القليل الحقير؟»⁶. ولكي يثبت مدى صحّة هذه الاستعارة أورد الشاهد الآتي:

إذا اشترى المسلم إذ تنصّرا⁷

ولم يكتف بإيراد هذا الشاهد، فأورد شاهدا ثانيا وللغرض نفسه إذ يقول الشاعر:

[فإن تزعميني كنت أجهل فيكم] فإنّي شريئُ الحلم بعدك بالجهل¹

¹ - الكشاف، ج 1، ص 119.

² - مدارج السالكين. لابن القيم. تح. محمد كمال جعفر. الهيئة المصرية العامة للكتاب. دط. مصر. 1980. ج 2. ص 261

³ - المسائل الاعتزالية في الكشاف، ج 1، ص 202.

⁴ - البقرة، من الآية 41.

⁵ - البقرة، من الآية 16.

⁶ - الكشاف، ج 1، ص 136

⁷ - البيت من الرجز بلا نسبة في الدر المصون ج 1 ص 319

فأبو ذؤيب يقول: إن فعلت ما فعلت فقد خسرت؛ لأنّي قد استبدلت بعلمي السّفه والجهل. والشّاهد فيه: كالشّاهد في البيت الذي قبله. وهو ما يريد المفسر الوصول إليه والتأكيد على صحّته، ففي الشّاهدين استعير الشّراء للدّلالة على الاستبدال، كما هو حاصل في الآية.

من المجاز المرسل: قال تعالى: ﴿أَوْلَيْكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾²

ذكر الرّمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية ﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾؛ «لأنّه إذا أكل ما يتلبّس بالنّار؛ لكونها عقوبة عليه، فكأنّما أكل النّار»³. ففي كلمة نار مجاز مرسل؛ لأنّ أكل هذه الأموال يوصل إلى النّار. وقد أنشد من الكلام الفصيح ما يكشف عن استخدام العرب لهذا النّوع من المجاز منها ما تضمّنه قول الشّاعر:

أَكَلْتُ دَمًا إِنْ لَمْ أُرْعِكَ بَضْرَةً [يعيدة مهوى الفُرط طيّبة النّشر]⁴

إذ يقول: مخاطبا زوجته داعيا على نفسه: أكلت دما، أي: دية إن لم أرعك بتزوج ضرة عليك جميلة طويلة العنق. والشّاهد فيه: أنّه أطلق الدّم، وأراد الدية على سبيل المجاز المرسل، وكذلك قول الراجز:

يَأْكُلْنَ كُلَّ لَيْلَةٍ إِكْافًا⁵

حيث أطلق الإكاف، وأراد الثّمّن، أي: يأكلن ثمن الإكاف بعد بيعها ذلك على سبيل المجاز المرسل أيضا.

وذكر أيضا في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾⁶. «والنادي: المجلس الذي ينتدى فيه القوم أي: يجتمعون، والمراد أهل النادي»¹. ففي قوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾

¹ - البيت من الطّويل لأبي ذؤيب الهذلي في الكتاب ج 1 ص 61

² - البقرة، من الآية 174.

³ - الكشاف، ج 1، ص 211.

⁴ - البيت من الطّويل، بلا نسبة في ديوان الحماسة ص 1867 (باب مذمة النّساء).

⁵ - الرّجز بلا نسبة، في لسان العرب، مادة (أكف).

⁶ - العلق الآية 17

مجاز مرسل. حيث المراد أهل النادي فالنادي لا يدعى، وإنما يدعى أهله. ولذا أطلق المحل، وأريد الحال فالمجاز لاشكّ مرسل وعلاقته المحلية، وقد أورد الزمخشري من الشواهد الشعرية ما يثبت ذلك في كلام العرب:

1- قال جرير:

لهم مجلسٌ صُهْبُ السَّبَالِ أَذْلَةٌ [على مَنْ يعادِيهم أشدّاءُ فاعْلَمُ]²
 يصف من يتحدث عنهم فيقول: لهم قوم مجتمعون جالسون سبالهم بلون الصهبة أدلة فيهم أشداء على من يعاديه. والشاهد فيه: مجلس، ويريد من يجلسون فيه على طريق المجاز المرسل، وعلاقته المحلية.

2- وقال زهير:

وفيهم مقاماتٌ، حسانٌ وجوهُهُم [وأنديةٌ ينتابها القولُ والفعل]³
 يتحدث عن مقامات القوم، وهي مجالسهم بها على طريق المجاز المرسل، وعلاقته المحلية.

استعارة أم تشبيه:

قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾⁴.
 ذكر الزمخشري في تفسير هذه الآية أنّ مدلول: ﴿الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ﴾ هو أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق كالخيط الممدود، و﴿الْخَيْطُ الْأَسْوَدُ﴾ ما يمتدّ معه من غبش الليل. شبّهًا بخيطين أبيض وأسود⁵. وقد استشهد على صحّة هذا التشبيه بقول الشاعر:
 فلمّا أضاعت لنا سدّفةً ولاح من الصّبح خيطٌ أنارا¹

¹ - الكشاف ج 4، ص 668.

² - البيت من الطويل لجرير في الكشاف ج 4، ص 668.

³ - البيت من الطويل لزهير في ديوانه 87.

⁴ - البقرة، من الآية 187.

⁵ - الكشاف، ج 1، ص 223 - 224.

إذ يصور الشاعر إهلاله الفجر، فذكر سُدْفَةَ اللَّيْلِ التي أضاعت، والخيط الأبيض الذي ظهر فأنار، وما هو إلاّ بعض ضوء الصّبح. والشاهد فيه: تشبيه بعض ضوء الصّبح بالخيط الأبيض، كما ورد ذلك في الآية الكريمة. ولكن ما ينبغي الإشارة إليه أنّ هاتين الصّورتين البيانيّتين قد اعتبرهما البعض من باب الاستعارة، وليستا مجرد تشبيه، وفاتهم أنّ طرفي التشبيه قد ذكرا، ففي التشبيه الأول الفجر، والخيط الأبيض، وفي التشبيه الثاني اللَّيْلِ والخيط الأسود؛ لأنّ قوله «مِنَ الْفَجْرِ» بيان للخيط الأبيض، واكتفى به عن بيان الخيط الأسود؛ لأنّ بيان أحدهما بيان للثاني². وهذا ما عمل الزمخشري على بيانه بقوله: «فإن قلت أهدا من باب الاستعارة أم من باب التشبيه؟ قلت: قوله: «مِنَ الْفَجْرِ» أخرجته من باب الاستعارة، كما أنّ قولك رأيت أسدا مجاز، فإذا زدت من فلان رجع تشبيها»³. ومع هذا البيان يبدو أن الأمر قد التبس على الصحابي عدي ابن حاتم حتى قال: «عمدت إلى عقالين أبيض وأسود فجعلتهما تحت وسادتي، فكنت أقوم من الليل فأنظر إليهما، فلا يتبين لي الأبيض من الأسود، فلما أصبحت غدوت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فضحك، وقال «إن كان وسادك لعريضا» وروى: «إنك لعريض القفا» إنما ذلك بياض النهار وسواد الليل»⁴. ويعلق الزمخشري على هذه الحادثة الطريفة فيقول: «غفل عن البيان، ولذلك عرض رسول الله ﷺ قفاه؛ لأنه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته»⁵. وهذا اللون من التعريض يعتبر مظهرا من مظاهر بلاغة الكناية دون أن يחדش وجه الأدب، وهو ما نلمسه فيما أنشدته إحدى البدويات لبديوي تصفه بالغباوة والحمق والبلادة. عن طريق الكناية.

¹ - البيت من المتقارب، لأبي داود الأيادي في لسان العرب مادة (خيط)

² - الكشف، ج 1، ص 224.

³ - المصدر نفسه ج 1، ص 224.

⁴ - الكشف، ج 1، ص 224.

⁵ - المصدر نفسه، ج 1، ص 224.

عريض القفا ميزأته في شمأله قد انحصأ من حصب القرائط شاربه¹
 والشاهد فيه: قولها «عريض القفا» مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته وغباوته
 فعرض القفا كناية عن الحمق. وقد أنكر بعض العلماء هذا الفهم فيما يخص قول الرسول
 ﷺ لعدي بن حاتم «إنك لعريض القفا» إذ يقول القرطبي: حملة بعض الناس على الذم له
 على ذلك الفهم، وكأنهم فهموا أنه نسبه إلى الجهل والجفاء، وعدم النبأ، وليس الأمر كما
 قالوه... وإنما عنى والله أعلم أن وسادك إن كان يغطي الخيطين اللذين أراد الله فهو إذا
 عريض واسع؛ ولهذا قال في أثر ذلك: إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار، فكأنه قال:
 فكيف يدخلان تحت وسادتك². إضافة إلى أن الرسول ﷺ قال: «إنك لعريض القفا» ولم يقل
 إنك لكبير القفا؛ لأن الأهم في مثل هذا الأمر المساحة، وليس الحجم.

**الفرق بين الكناية والتعريض: قال تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ
 مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ﴾³.**

ذكر الزمخشري في تفسيره لهذه الآية أن قوله تعالى: ﴿فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ﴾ «هو أن يقول
 لها: إنك لجميلة، أو صالحة، أو نافقة، ومن غرضي أن أتزوج، وعسى الله أن يبسر لي
 امرأة صالحة، ونحو ذلك من الكلام الموهوم أنه يريد نكاحها، حتى تحبس نفسها عليه إن
 رغبت فيه، ولا يصرح بالنكاح، فلا يقول: إنني أريد أن أنكحك، أو أتزوجك أو أخطبك...
 فإن قلت: أي فرق بين الكناية والتعريض؟ قلت: الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه
 الموضوع له، كقولك طويل النجاد والحمائل لطويل القامة، وكثير الرماد للمضياف.
 والتعريض أن تذكر شيئاً تدل به على شيء لم تذكره، كما يقول المحتاج للمحتاج
 إليه: جئتك لأسلم عليك، ولأنظر إلى وجهك الكريم... وكأنه إمالة الكلام إلى عرض يدل

¹ البيت من الطويل بلا نسبة في الكشاف، ج1، ص 224.

² فتح الباري لابن حجر العسقلاني. دار إحياء التراث العربي. ط4. بيروت. 1988. ج4. ص107

³ البقرة من الآية 235.

على الغرض، ويُسمى التلويح لأنه يلوّح منه ما يريد¹. بهذا التوضيح أعتقد أنه قد أزيل كل لبس فيما يعرف بالكناية والتعريض في علم البيان، وظهر الفارق جليا بينهما على دقته، وإن كان هناك من يعتبر التعريض ما هو إلا قسم من أقسام الكناية من حيث الوسائط؛ ولأن التعريض أنقى أنواع الكناية أنشد البيت الآتي شاهدا على ذلك:

[أروح لتسليم عليك وأغتدي] وحسبك بالتسليم منّي تقاضيا²

حيث لم يصرح الشاعر بما يريد من ممدوحه مكتفيا بالتسليم عليه، ولا شك أنه يتطلع ويرنو إلى كرمه وأيديه البيضاء. والشاهد فيه: ما به من تعريض.

الكناية عن شدة الغيظ: قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾³

قال الزمخشري: «ويوصف المغتاظ والنّادم بعض الأنامل والبنان والإبهام»⁴. وقال صاحب الدرّ المصون: العض الأزم بالأسنان، وهو تحامل الأسنان بعضها على بعض... ويعبر به عن النّدم المفرط، ومنه ﴿وَيَوْمَ يَعَضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾⁵ وإن لم يكن ثمّ عض حقيقة⁶. فالعضّ على الأنامل من الغيظ كناية عن صفة، وهي شدة الغيظ، والنّدم مع عدم القدرة على تنفيذه، وهو ما عبر الشاعر عنه بقوله:

فأقتل أقواما لئاما أذلةً يعضّون من غيظ رؤوس الأباهم⁷

إذ يدعي: أنه يقتل أقواما لئاما أذلة أصابهم منه غيظ شديد. فصاروا يعضّون عليه رؤوس أباهمهم. والشاهد فيه: استعمال عضّ الأنامل كناية عن شدة الغيظ. كما أنه أطلق الأباهم، وأراد مطلق الأصابع من المجاز المرسل.

¹ - الكشاف، ج1، ص 269 - 270.

² - البيت من البسيط لتوبة بن الحمير الخفاجي في الكشاف ج1 ص270

³ - آل عمران من الآية 119.

⁴ - الكشاف، ج 1 ص371.

⁵ - الفرقان، من الآية 27.

⁶ - الدرّ المصون ج 3، ص369-370.

⁷ - البيت من الطويل للحرث بن ظالم المري في البحر المحيط ج2ص44

نفي الشيء الواحد عن اثنين:

قال الله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾¹.

قال الزمخشري: «فإن قلنا من أين دلّ قوله ﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ على أنّ المعنى: ولا من فوقه؟ قلت: من حيث أن علم المعاني لا يقتضي غير ذلك، وذلك أنّ الكلام إنّما سيق لردّ مذهب النصارى، وغلوهم في رفع المسيح عن منزلة العبوديّة، فوجب أن يقال لهم: لن يترفع عيسى عن العبوديّة، ولا من هو أرفع منه درجة، كأنه قيل: لن يستكف الملائكة المقربون من العبوديّة فكيف بالمسيح؟ ويدلّ عليه دلالة بيّنة، تخصيص الملائكة المقربين لكونهم أرفع الملائكة درجة وأعلاهم منزلة»². فيفهم من هذا أنّه إذا كان الملائكة المقربون لا يستكفون عن الإقرار لله بالعبوديّة، فمن باب أولى لا يستكف المسيح عليه السلام عن ذلك. هذا ما يقتضيه علم المعاني. وإن كان صاحب البحر المحيط³ لا يرى فيما يخصّ التفضيل بين الأنبياء والملائكة في هذه الآية الكريمة، أنّ نفي الشيء عن الاثنين يدلّ على أنّ الثّاني أفضل من الأوّل؛ لأنّ التفضيل بينهما لا يدرك بالعقل، وإنّما يدرك بالسمع، إضافة إلى أنّ الآية ليست من هذا القبيل؛ لأنّه قابل بجمع، ولم يقابل مفردا بمفرد، ونظير ما ذهب إليه الزمخشري من تفضيل الملائكة على الأنبياء باعتبار نفي الاستكاف عن العبوديّة لله عن المسيح أوّلا، والملائكة ثانيا، هو قول الشاعر:

وَمَا مِثْلُهُ مِمَّنْ يُجَاوِدُ حَاتِمًا وَلَا الْبَحْرُ دُوَّ الْأَمْوَاجِ يَلْتَجُ زَاخِرُهُ⁴

حيث أراد رفع مكانة ممدوحه في الجود والكرم فوق كلّ ما سواه، فوق حاتم، وقد ضرب به المثل في الكرم، بل فوق البحر الذي لا يماري في عطائه، فحاتم كريم، وأيّ

¹ - النساء، من الآية 172.

² - الكشاف، ج 1، ص 529.

³ - ينظر البحر المحيط، ج 3، ص 420.

⁴ - البيت من الطويل بلا نسبة في الكشاف، ج 1، ص 529.

كرم ولكنّ البحر أكرم منه، فقد ذكر الشّاعر حاتماً أولاً والبحر ثانياً فدلّ ذلك، على أسبقية البحر على حاتم في مجال الكرم. والشّاهد فيه: أنّه فوق البحر، فبالتّالي هو فوق حاتم من باب أولي. ويبقى أن أشير إلى أنّ قضية المفاضلة بين الملائكة والأنبياء قد تكلم فيها العلماء كثيراً فمنهم من ذهب إلى تفضيل الأنبياء، ومنهم من ذهب إلى تفضيل الملائكة، وبخاصّة المقربون منهم ومن هؤلاء المعتزلة، الذين اتّخذوا من هذه الآية عمدتهم في تفضيل الملائكة؛ لأنّهم يقولون أنّه «قد ثبت في اللّغة أنّ مثل هذا الكلام يدلّ على أنّ المعطوف أفضل من المعطوف عليه؛ لأنّ التّركي يكون من الأدنى إلى الأعلى»¹. ويحتجّ من يفضل الملائكة أنّ الله أمر الملائكة بالسّجود لآدم، فلولا فضله لما أمروا بالسّجود له، كما أنّ الله تعالى خلق آدم بيده، وخلق الملائكة بكلمته، وغيرهما من الحجج النقليّة والعقليّة إلاّ أنّه يكمن «حمل التّفضيل في الآية على غير محلّ الخلاف، وذلك أنّ تفضيل الملائكة في القوّة وشدّة البطش، وسعة التّمكّن والافتقار... لأنّ المقصود الرّدّ على النّصارى في اعتقادهم ألوهية عيسى عليه السّلام مستدلّين إلى كونه أحيا الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص، وصدّرت على يديه آثار عظيمة خارقة، فناسب ذلك أن يقال هذا الذي صدّرت على يديه هذه الخوارق لا يستتفك عن عبادة الله تعالى، بل من هو أكثر خوارق وأظهر آثاراً كالملائكة المقربين»². وفي اعتقادي أنّ من الصواب أن نقول ما قاله شيخ الإسلام ابن تيميّة³ رحمه الله بأن صالح البشر أفضل باعتبار كمال النّهاية، والملائكة أفضل باعتبار البداية والله أعلم.

إنشاء الدّعاء: قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ...﴾⁴.

¹ - المسائل الإعتزاليّة، ج 1، ص 343.

² - هامش الكشف للزمخشري. تح. عادل أحمد عبد الموجود. علي محمد معوض. ج 2. ص 184.

³ - ينظر مجموع فتاوى ابن تيميّة. تح. عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. ج 4. ص 385.

⁴ - المائدة من الآية 64.

قال الزمخشري: «فإن قلت: قد صحَّ أن قولهم: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ﴾ عبارة عن البخل فما تصنع بقوله: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ ومن حقّه أن يطابق ما تقدّمه، وإلاّ تتأفر الكلام وزلّ عن سنّنه؟ قلت: يجوز أن يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد، ومن ثمّ كانوا أبخل خلق الله وأنكدّهم»¹. وذكر صاحب البحر المحيط² أن معنى قوله تعالى: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ هو خبر، ونقل ذلك عن الطبري³. فالظاهر أنّ احتمال إرادة الدعاء عليهم مع ما تدل عليه من مشاكلة هو الاحتمال الغالب، وبخاصّة أنّ الواقع يؤكّد ذلك، فاليهود أبخل خلق الله وأنكدّهم، ونحو هذا التّعبير ممّا يحفل به كلام العرب كقول الأشر:

بقيتُ وفري وانحرفتُ عن العلاء ولقيتُ أضيفي بوجهِ عبوس⁴

حيث يدعو على نفسه بالهلاك، وبالانحراف عن طلب العلا وبالبخل؛ إن لم ينهض بما اعتزم عليه، وصمم على إنجازه. والشاهد فيه: الدعاء على نفسه بالبخل.

حقيقة أم مجاز: قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾⁵.

قال الزمخشري: «غلّ اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُوبَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾⁶. ولا يقصد من يتكلّم به إثبات يد، ولا غل ولا بسط»⁷. وما يفهم من كلام الزمخشري أنّ التّعبير بقبض اليد وبسطها، هو تعبير مجازي يصوّر الحقيقة المعنويّة بصورة حسّيّة تلزمها غالباً، فبسط اليد للجود، وقبضها للبخل. وقد استعملها العرب حيث لا تصحّ اليد:

¹ - الكشاف ج1، ص 576.

² - ينظر البحر المحيط، ج 3، ص 535.

³ - ينظر تفسير الطبري، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي. دار هجر. ط1 الجيزة. 2001 ج 8، ص 553.

⁴ - البيت من الكامل، للأشتر النخعي في الحماسة 1/ 93

⁵ - المائدة، من الآية 64.

⁶ - الإسراء، من الآية 29.

⁷ - الكشاف، ج1، ص 576.

جَادَ الحِمَى بسطَ اليدينِ بوابلٍ شكرتُ نِداهَ تِلَاعُهَ ووَهَادُه¹
 إذ يتحدّثُ الشّاعرُ عن المطرِ الَّذي انهملَ على الحمى بوابلٍ غزيرٍ منصبٍ شكرته له
 الربا والوهاد. والشّاهد في البيت استخدام الشّاعر بسطَ اليدين، مع أنّه الَّذي جعل منه
 الجود ليس له يدان. والاستعمال نفسه ورد في بيت لبيد إذ يقول:

[وَعَادَةُ رِيحٍ قَدْ كَشَفَتْ وَقْرَةَ] إذ أصبحت بيد الشمال زمامها²

حيث جعل الشّاعر لريح الشمال يدا تارة تجعل الغداة مغبرة باردة، وتارة غير ذلك فهي
 تدفع السحاب حيث تريد. والشّاهد فيه: كما في البيت السابق إسناد اليد إلى الشمال، وليس
 لها يد في الحقيقة، بل هو مجاز. لكن ما يريد الزمخشري إقراره أنّ صفة اليدين لله
 سبحانه وتعالى هي من باب المجاز. وأنّ غلها أو بسطها إنّما هو مجرد استعارة عن
 البخل والجود لا أكثر. وهي صفة من الصّفات التي أنكرها المعتزلة زاعمين أنّها مجاز
 عن النعمة أو القدرة، وأنّ ظاهر لفظها غير مراد، ولا يليق بالله لأنّه يستلزم التشبيه
 والتجسيم³. ويؤكد هذا المنحى اختياره للشّواهد الشعريّة وتصريحه «وقد استعملوها حيث لا
 تصحّ اليد»⁴. ودون الخوض في مثل هذه الأمور العقديّة، وهذه الاعتزاليّات التي قام
 علماء الأئمّة من السلف الصّالح بدحضها، والحكم ببطلانها من عدّة وجوه بأدلة عقليّة
 وأخرى نقليّة من القرآن الكريم، والسنة النبويّة الشريفة؛ فإنّي أكتفي بقول الإمام الرّازي في
 هذه المسألة: «وأما جمهور الموحّدين فلهم في لفظ اليد قولان: الأوّل: قول من يقول: القرآن
 لمّا دلّ على إثبات اليد لله تعالى أمّا به، والعقل لمّا دلّ على أنّه يمتنع أن تكون يد الله
 عبارة عن جسم مخصوص وعضو مركب من الأجزاء والأبعاض أمّا به. فأما أنّ اليد ما

¹ - البيت من الكامل بلا نسبة في البحر المحيط، ج 3، ص 535.

² - البيت من الكامل للبيد في ديوانه 176.

³ - ينظر شرح الأصول الخمسة، لقاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد. عبد الكريم عثمان. مكتبة الأسرة. دط
 مصر. 2009 ص 228-229.

⁴ - الكشاف، ج 1، ص 576.

هي وما حقيقتها فقد فوّضنا معرفتها إلى الله تعالى، وهذا هو طريق السلف»¹. وفي الموضوع نفسه ذكر عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾². أن: «وَأَمْرَأَتُهُ» هي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان، وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان، فتنثرها بالليل في طريق رسول الله ﷺ وقيل: كانت تمشي بالنميمة، ويقال: للمشاء بالنمائم المفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم، أي: يوقد بهم النائرة، ويورث الشر»³ وهكذا فقوله تعالى: ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ فيها وجهان: أحدهما هو حقيقة أي: أن هذه المرأة كانت فعلا تجمع ما يؤذي، وتنثره في طريق الرسول ﷺ. والثاني: أنه مجاز عن المشي بالنميمة، ورمي الفتن بين الناس. وقد قال الشاعر:

من البيض لم تصطدْ على ظهر لأمّةٍ ولم تمش بين الحيّ بالحطب الرطب⁴
يصف الشاعر هذه المرأة بطهارة اللسان لم يحدث يوما أنها اتخذت من القول وسيلة للفتنة والشر، وما تلام عليه، كما لم يحدث أنها مشت بين الناس بالنميمة. والشاهد فيه: بالحطب الرطب، والمراد النميمة، واستعير لها بجامع ثوران المكروه من كل منهما.

التمثيل بالجمل: قال الله تعالى: ﴿لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾⁵. قال الزمخشري في تفسير هذه الآية: «وقرئ الجمل بوزن القفل والجمل بوزن النصب والجمل بوزن الحبل ومعناها القلس الغليظ؛ لأنه حبال جمعت وجعلت جملة واحدة. وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- إن الله أحسن تشبيها من أن يشبهه بالجمل. يعني: أن الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سم الإبرة، والبعير لا يناسبه إلا أن قراءة العامة أوقع، لأن سم الإبرة مثل في ضيق المسلك. يقال: أضيق من خرت الإبرة... والجمل مثل في عظم الجرم قال: «جسم الجمال وأحلام العصافير»، إن الرجال ليسوا بجُرُز تراد منهم

¹ - تفسير الرازي، ج 12، ص 45.

² - المسد الآية 04

³ - الكشاف ج 4، 701.

⁴ - البيت من الطويل بلا نسبة في لسان العرب (حطب)

⁵ - الأعراف، من الآية 40.

الأجسام فقيل: لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون أبداً من ولوج هذا الحيوان الذي لا يلج إلا في باب واسع. في ثقب الإبرة وعن ابن مسعود أنه سئل عن الجمل فقال: زوج الناقة استجهالاً للسائل، وإشارة إلى أن طلب معنى آخر تكلف¹. ويؤكد صاحب الدرّ المصون «أنّ الجمل قراءة العامّة، وهو تشبيهه في غاية الحسن، وذلك أنّ الجمل أعظم حيوان عند العرب وأكبره جنة². وهكذا يبدو جلياً رجاحة قراءة العامّة، وأنها أوقع من غيرها، وأنّ التمثيل فيها في غاية الحسن، فسم الإبرة مثل في ضيق الإبرة، والجمل مثل في عظم الجرم، كما قال حسّان رضي الله عنه:

[لا بأس بالقوم من طول ومن عظم] جسْمُ الْجَمَالِ وَأَحْلَامُ الْعَصَافِيرِ³

أي: لا بأس يعتريك من هؤلاء القوم فالطول والغلظ ليس مما يعتدّ به، فقد يكون الجسم جسم جمل، والعقل عقل عصفور. والشاهد فيه: أنّ الجمل حيوان يضرب به المثل في عظم الجسم، وهذا يؤكد استحالة ولوج هذا الحيوان الضخم في سمّ الخياط الذي يضرب به المثل في ضيق المسلك. ومنه فالكفار لا يدخلون الجنة أبداً «لأنّ تعليق الشرط على مستحيل يلزم استحالة وقوع المشروط»⁴. والمقابلة بين الآية والبيت نجد أنّ الجمل يقابل جسم الجمال، وسمّ الخياط يقابل أحلام العصافير.

استعارة الريح للدولة:

قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾⁵.

ذكر الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية «والريح، الدولة شبّه في نفوذ أمرها وتمشيها بالريح وهبوبها فقيل: هبّت رياح فلان، إذا دالت له الدولة، ونفذ أمره»⁶ ممّا درج

¹ - الكشاف، ج 2، ص 20.

² - الدرّ المصون، ج 5، ص 319.

³ - البيت من البسيط لحسان بن ثابت، في الدرّ المصون، ج 5، ص 319.

⁴ - إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين درويش، ج 2، ص 551.

⁵ - الأنفال من الآية 46

⁶ - الكشاف، ج 2، ص 125

عليه العرب في كلامهم أنهم يستعيرون الرّيح للدّولة، والأمر النّافذ بجامع النّفوذ في كلّ من الرّيح والدّولة، أوهم يكون بها عن الدولة والغلبة. وبالنّظر إلى هذا اعتبر الزمخشري كما نقلنا عنه أنّ الدولة مشبّهة بالرّيح في نفوذ أمرها، وتشبيهها بالرّيح وهبوبها على سبيل التصريحية. والشّاهد في ذلك، قول الشّاعر:

يا صاحِبِي أَلَا لَأَحْيِي بِالوَادِي إِلا عبيدٌ قُعودٌ بين أنوادي

أنتظران قليلاً ريثَ غفّلتهم أم تَعُدّوانِ فإن الرّيح للعادي¹

لما وقعت عينه على الإبل وأراد سرقتها قال لصاحبيه: أنتظران أم تشاركان بالعمل، فإنّ الغلبة، ونفوذ الأمر للعادي. والشّاهد فيه: دلالة الرّيح على الدولة والهيبة.

الأمر في معنى الخبر: وقال الله تعالى: ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ﴾².

الأمر من أهمّ المباحث التي وقف عندها علماء الفقه الإسلامي والبيان العربي، كلّ يدرسه حسب تخصصه واهتماماته. فالفقيه يسعى إلى بيان واجبه من مندوبه، وكذا المباح منه، والبياني يسعى بدوره إلى الكشف عن معانيه البلاغية ومراميتها. وأما الزمخشري في تفسيره لهذه الآية الكريمة: فإنه يشير إلى التسوية بين الفعل المأمور به ﴿أَنْفِقُوا﴾ وعدمه وذلك للدلالة على نهاية السّخط. إذ يقول الزّمخشري: «فإن قلت: كيف أمرهم بالإنفاق ثمّ قال: ﴿لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ﴾ قلت: هو أمر في معنى الخبر... ومعناه: لن يتقبّل منكم أنفقتم طوعاً أو كرها»³. وهو نظير قول كثير حين أراد أن يعبر لعزّة عن غاية رضاه. فالإساءة منها والإحسان متساويان. فهو في غاية الرّضوان إذ يقول:

أسيئُ بنا أو أحسني لا ملومةً [لدينا ولا مقليةً إن تقأت]⁴

وفي هذا المعنى قول الشّاعر أيضاً:

¹ - البيتان من البسيط لسليك بن سلكة وهو من الصّعاليك وقد وقعت عينه على مجموعات من الإبل أراد هو ومن معه سرقتها. في الدرّ المصون، ج 5، ص 617. والبحر المحيط، ج 42، ص 419. ولسان العرب مادة (روح).

² - التوبة من الآية 53

³ - الكشاف، ج 2، ص 167-168.

⁴ - البيت من الطّويل لكثير عزّة في ديوانه، ص 101.

أخوك الذي إن قمت بالسيف عامدا لتضره لم يستفئك في الود¹
يحدّد معنى الأخوة الحقّة فيقول: أخوك الحقّ الذي يردّ إساءتك حسنة، والذي إن قصدته بالمكاره لم يغشّ في حسن مودّته إليك. والشاهد فيه: أنّ حاله معك في إساءتك وإحسانك سيان، وهذا الاستعمال يلتقي وقوله تعالى: ﴿أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ وقد ذكر القرطبي أنّ لفظ «﴿أَنْفِقُوا﴾» ومعناه الشرط والجزاء. وهكذا تستعمل العرب في مثل هذا تأتي بأو، كما قال الشاعر² «إشارة إلى بيت كثير السابق. فيكون معنى الآية: إن أنفقتم طائعين أو مكرهين فلن يقبل منكم. ويعقب أبو حيّان على هذا التخرّيج فيقول: «ويقدح في هذا التخرّيج أن الأمر إذا كان فيه معنى الشرط كان الجواب كجواب الشرط، فعلى هذا يقتضي أن يكون التركيب فلن يتقبل بالفاء؛ لأنّ لن لا تقع جوابا للشرط إلا بالفاء، فكذلك ما ضمن معناه»³.

الاستعارة المجرّدة:

لقد قسم البلاغيون الاستعارة باعتبار الخارج على ثلاثة أقسام: مطلقة «وهي التي لم تقترن بصفة، ولا تفرّيع كلام»⁴، ومجرّدة «وهي التي قرنت بما يلائم المستعار له»⁵. ومرشحة «وهي التي قرنت بما يلائم المستعار منه»⁶ ومن الاستعارة المجرّدة قوله تعالى: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾⁷. حيث قال الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية الكريمة: «فإن قلت: الإذاقة واللبّاس استعارتان فما وجه صحتها؟ والإذاقة المستعارة موقعة

¹ - البيت من الطويل ، بلا نسبة، في الدرّ المصون 3 / 472.

² - الجامع لأحكام القرآن، ج 10، ص 236.

³ - البحر المحيط، ج 5، ص 54.

⁴ - الإيضاح في علم البلاغة للقرويني ص 452.

⁵ - المصدر نفسه ص 453.

⁶ - المصدر نفسه ص 454.

⁷ - النحل من الآية 112.

على اللباس المستعار، فما وجه صحة إيقاعها عليه؟ قلت: أمّا الإذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلى والشدائد، وما يمسّ الناس منها، فيقولون ذاق فلان البؤس والضّرّ وأذاقه العذاب. شُبّه ما يدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المرّ والبشع، وأمّا اللباس فقد شبه به — لاشتماله على اللبس — ما غشي الإنسان والتبس به من بعض الحوادث، وأمّا إيقاع الإذاقة على لباس الجوع والخوف؛ فلأنّه لمّا وقع عبارة عما يغشي منهما ويلبس، فكأنه قيل: فأذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ولهم في نحو هذا طريقان لابد من الإحاطة بهما فإن الاستتار لا يقع إلا لمن فقدهما أحدهما: أن ينظروا فيه إلى المستعار له، كما نظر إليه ها هنا¹. فنخلص من هذا أن في هذه الآية استعارتين إحداهما: استعارة الذوق للباس باعتبار أن الإذاقة كادت تجرى عند العرب مجرى الحقيقة؛ لشيوعها في البلى، فيقولون ذاق فلان البؤس والضر حيث شبه ما يدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المرّ والبشع. وصح التشبيه باللباس؛ لأنّه يشتمل على لابس. والثانية استعارة اللباس للجوع والخوف باعتبار أن الجوع والخوف أحاطا بهم، واشتملا عليهم، كما يشتمل اللباس على لابس. وهي استعارة مجردة حيث ذكر الوصف ملائماً للمستعار له، وهو الجوع والخوف، ولو قال: كساها لكانت مرشحة. وقد استشهد الرمخشري بقول كثير باعتباره نظيراً للآية لكونه متضمناً لاستعارة مجردة إذ يقول:

غَمْرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا غَلِقَتْ لَضِحْكَتِهِ رِقَابُ الْمَالِ²

يصف ممدوحه بوفرة المعروف حيث أنه إذا ضحك غضبت الأموال؛ لعلمها أنها ستفق ويملكها غيره. والشاهد فيه: استعارة الرداء للمعروف «لأنّه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقي عليه ووصفه بالغمر الذي وصف للمعروف لا الرداء فنظر

¹ - الكشاف ج2، ص465.

² - البيت من الكامل لكثير عزة في ديوانه. ص288.

إلى المستعار له»¹. وهي ما تعرف بالاستعارة المجردة. وذكر الزمخشري: «والثاني أن ينظروا إلى المستعار»². وهو ما اصطلح عليه بالاستعارة المرشحة. كقول الشاعر:

ينازعني ردائي عبْدُ عَمْرٍو رويدك يا أبا عَمْرٍو بن بكر
لي الشطر الذي مَلَكْتُ يميني ودونك فاعنَّجِرْ منه بشطر³

في هذين البيتين يتهدد الشاعر من ينازعه سيفه قائلاً له: بأن سيفي شطران: لي شطره الذي في يدي، وهو مقبضه، ولك الشطر الثاني، وفيه نوع من التهكم. والشاهد فيه: استعارة الرداء للسيف «ووصفه بالاعتجار الذي هو وصف للرداء فنظر إلى المستعار»⁴. وهذا ما يعرف بالاستعارة المرشحة.

استعارة أم مجاز عقلي: قال الله تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ﴾⁵.

ذكر الزمخشري: «﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ﴾ استعيرت الإرادة للمدانة والمشاركة، كما استعير الهم والعزم لذلك»⁶. يعني: أنه أشرف على الانقضاض، أي: السقوط، أي يكاد يسقط. وذلك بأن مال فعبر عن إشرافه على الانقضاض بإرادة الانقضاض عن طريقة الاستعارة: حيث الإنسان هو المستعار، والجدار المشرف على السقوط هو المستعار له، والجامع بينهما مقاربة وقوع الفعل وحصوله منهما. «ويجوز أن يكون مجازاً عقلياً، وهذا الخلاف مطرد في كل نسبة إلى ما يعقل»⁷. وقد استشهد الزمخشري على ذلك بشواهد عدة تشتمل على استعارات على نحو ما جاء في الآية الكريمة:

1. قال الراعي:

¹ - الإيضاح في علم البلاغة للقرظيني ص 453.

² - الكشاف ج 2 ص 465

³ - البيتان من الوافر بلا نسبة. في الكشاف ج 2 ص 465

⁴ - الإيضاح في علم البلاغة للقرظيني ص 454.

⁵ - الكهف من الآية 77.

⁶ - الكشاف ج 2 ص 547-548.

⁷ - إعراب القرآن وبيانه. محيي الدين الدرويش دار ابن كثير. ط7 بيروت 1999. ج4. 534-535

في مَهْمَه قَلِقَتْ به هَامَاتِهَا قَلَقَ الفئوس إذا أردن نُصُولاً¹
 يصف الإبل في مفازة قاسية شديدة تضطرب فيها رؤوس الإبل، كما تضطرب الفؤوس
 حين تقارب النصول. والشاهد فيه: أَرَدْنَ بمعنى المداناة والمقاربة حيث استعار الإرادة
 للمداناة والمشاركة بجامع مقاربة الفعل وحصوله.

2. يُرِيدُ الرُّمْحُ صَدْرَ أَبِي بَرَاءٍ وَيَعْدِلُ عن دِمَاءِ بَنِي عَقِيلٍ²
 أي: إذا وجهت رمحي نحو صدر أبي براء داناه وعزم على الوصول إليه، وعدل عن
 دماء بني عقيل. والشاهد فيه: يريد بمعنى المداناة والمشاركة، حيث استعار الإرادة وهي
 للإنسان لمداناة الرمح ومشارفته على التوجه إلى صدر أبي البراء.
 3. وقال حسان:

إِنَّ دَهْرًا يَلْفَ شَمْلِي بِجُمْلٍ لَزَمَانَ يَهُمُّ بِالْإِحْسَانِ³
 يقول: إن الدهر الذي يجمع شملي بمحبوتي جُمْلٌ لدهر يهم بالإحسان، ويريده أي
 يقاربه. والشاهد فيه: أنه شبه الزمان بإنسان يصح منه إرادة الإحسان على طريق الاستعارة
 المكنية، وفيه تأتي يَهُمُّ بمعنى المقاربة. ثم أضاف الزمخشري: «وسمعت من يقول: عزم
 السراج أن يطفأ وطلب أن يطفأ، وإذا القول والنطق والشكايَةُ والصدق والكذب والسكوتُ
 والتمردُ والإبَاءُ والعزَّةُ والطواعيةُ وغير ذلك مستعارة للجماد ولما لا يعقل، فما بال
 الإرادة؟»⁴ هذه جملة أخرى من الاستعارات، أو المجازات العقلية تسوغ ما جاء من قوله
 تعالى: ﴿جَدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ﴾.

1. استعارة القول أيضا للسن: قال الشاعر:

تَقُولُ سَنِّي لِلنَّوَاةِ طِنِّي⁵

¹ - البيت من الكامل للراعي في ديوانه 222.

² - البيت من الوافر بلا نسبة في لسان العرب (رود).

³ - البيت من الخفيف لحسان بن ثابت. في ديوانه ص 517

⁴ - الكشاف ج 2 ص 548.

⁵ - البيت من الرجز بلا نسبة. في الكشاف ج 2 ص 548

2. استعارة النطق للهو والعود: قال الشاعر:

[فاستنطق العود فطال السكوت به] لا ينطق اللهو حتى ينطق العود¹

3. استعارة الشكاية للفرس قال عنتره:

[فازور من وقع القنا بلبانه] وشكا إلي بعبرة وتحمم²

4. استعارة الصدق للظن قال الشاعر:

فإن يك ظني صادقاً وهو صادقِي [يشملة يحبسهم بها محبسا وعرا]³

5. استعارة التمرد لحصن دومة الحنبل والعزة لحصن سموأل:

[وقد قالت الزبا لحصن سموأل] تمرّد مارداً وعزّ الأبلق⁴

6. استعارة الإباء للهم وكذلك التمرد والانقياد:

يأبى على أجمانه إغفاءه همّ إذا انقاد الهوم تمرّداً⁵

7. استعارة الإباء للروادف:

أبت الروادف والتدّي لقمصها مسّ البطون وأن تمسّ ظهوراً⁶

¹ - البيت من البسيط بلا نسبة في الكشاف ج2 ص548

² - البيت من الكامل لعنتره بن شداد. من معلقته. في شرح المعلقات السبع للزوزني. تح. عمر حافظ سليم سعيدة. شركة القدس ط1. القاهرة. 2009. ص219

³ - البيت من الطويل بلا نسبة في الكشاف ج2 ص548

⁴ - البيت من الطويل بلا نسبة. الكشاف ج2 ص548

⁵ - البيت من الكامل للزمخشري. الكشاف ج2 ص549

⁶ - البيت من الكامل لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه 492.

الاستفهام الإنكاري التعجبي: قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اِكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾¹.

ذكر الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية «وعن الحسن: أنه قول الله سبحانه يكذبهم وإنما يستقيم أن لو فتحت الهمزة للاستفهام الذي في معنى الإنكار»². أي «كان حق الكلام أن يقرأ اكتبها بهمزة مقطوعة مفتوحة للاستفهام كقوله: ﴿ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ حِجَةٌ ﴾³. ويمكن أن يعتذر عنه: أنه حذف الهمزة للعلم بها، كقوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ ﴾⁴»⁵. وقد استشهد على صحة ورود هذا النوع من الاستفهام مع حذف الهمزة وهي مرادة. بقول الشاعر:

أفرح أن أرزأ الكرام وأن أورث ذوداً شصائصاً نبلاً⁶
يقول: منكرًا على نفسه أن يفرح بما يزار به الكرام، ويصيبهم حين أخذه دية أخيه القتل. لأنه اتهم بسروره بذلك. والشاهد فيه: أفرح بهمزة الإنكار المحذوفة، والتقدير أفرح بأن أرزأ الكرام.

من أغراض الاستفهام: قال الله تعالى: ﴿ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴾⁷.

قال الزمخشري: ﴿ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴾ استبطاء لهم في الاجتماع، والمراد منه استعجالهم واستحثاثهم، كما يقول الرجل لغلامه: هل أنت منطلق؟ إذا أراد أن يحرك منه، ويحثه على الانطلاق، كأنما يخيل له أن الناس قد انطلقوا وهو واقف»⁸. فالغرض منه «استحثاث

¹ - الفرقان الآية 05.

² - الكشاف ج 3 ص 231

³ - سبأ من الآية 08.

⁴ - الشعراء من الآية 22 .

⁵ - الدر المصون ج 8، ص 457.

⁶ - البيت من المنسرح لحضرمي بن عامر في لسان العرب (جزأ)

⁷ - الشعراء 39.

⁸ - الكشاف ج 3، ص 275.

للناس على الاجتماع، فالاستفهام مستعمل في طلب الإسراع بالاجتماع، بحيث نزلوا منزلة من يسأل سؤال تحقيق عن عزمه على الاجتماع»¹، كقول تأبط شراً:

هل أنت باعث دينارٍ لحاجتِنا أو عبدَ ربِّ أبا عونٍ بنِ مخرقٍ²

إذ يقول مستعجلاً مستحثاً: هل أنت مدركي في حالي التي أنا فيها بواحد من الرجلين دينار أم عبد رب؟ والشاهد فيه: الاستفهام هل أنت باعث...؟ أي: لعل أنت باعث ديناراً أي ابعثه سريعاً ولا تبطئ به .

الاستفهام التقريري: قال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾³.

قال الزمخشري: «﴿أَلَيْسَ﴾ تقدير لثوائهم في جهنم»⁴. فالهمزة في «أَلَيْسَ» للاستفهام التقريري «والمراد منه حمل المخاطب على الإقرار، والاعتراف بأمر قد استقر عنده العلم به»⁵. حيث كانت الهمزة للاستفهام، فلما دخلت على النفي أفادت التقرير «لأن إنكار النفي إثبات للمنفى»⁶. ويشهد على ذلك قول الشاعر:

ألستم خيرَ من ركبِ المطايا [وأندى العالمين بطوح راح]⁷

وفي هذا يقرر الشاعر بأن بني أمية خير من اتخذوا المطايا، واعتلوا ظهورها، وأنهم أكرم الناس وأسخاهم على الناس. والشاهد فيه: الاستفهام الداخل على النفي، والمصطلح عليه بالاستفهام التقريري.

¹ - التمر والتنوير ج19، ص125.

² - البيت من البسيط لتأبط شرا في الكتاب ج1 ص171.

³ - العنكبوت من الآية 68.

⁴ - الكشف ج3، ص412.

⁵ - البلاغة العربية ج1، ص277.

⁶ - التحرير والتنوير ج21، ص35.

⁷ - البيت من الوافر لجريير. في شرح ديوانه للصابي ص99

من دواعي التكرير: قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾¹.

قال الزمخشري: «﴿هَذَا﴾ إشارة إلى ما عهد إليهم من معصية الشيطان، وطاعة الرحمن إذ لا صراط أقوم منه، ونحو التكرير ما في قول كثير:

لئن كان يُهدَى بردُ أنيابها العلاء لأفقرَ مني إنني لفقير²

أراد إنني لفقير بليغ الفقر حقيق بأن أوصف به لكمال شرائطه فيّ، وإلا لم يستقم معنى البيت، وكذلك قوله: ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ يريد: صراط بليغ في بابه، بليغ في استقامته، جامع لكل شرط يجب أن يكون عليه³. فيتضح مما نقلناه عن الزمخشري أن من دواعي التكرير التعظيم والتفخيم، حيث تكرر لفظ: ﴿صِرَاطٌ﴾ دلّ على أنه صراط عظيم فخم جليل جامع لكل شرط يجب أن يكون عليه، وهو نظير تكرر (فقير) في قول كثير، حيث دل على أنه فقير بليغ الفقر جدير بهذا الوصف؛ لكمال شرائطه فيه. فإن كان من أفقر منه يمنح برد أنيابها العليا؛ فهو لفقير إلى هذا البرد وأحوج الناس إليه. وهو الشاهد في البيت الذي اعتمده المفسر في بيان الغرض من التكرير في هذه الآية الكريمة.

ومن دواعي التكرير أيضا ما في قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتًا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾⁴ إذ يقول الزمخشري: «﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ﴾ كراهة أن تقول؛ فإن قلت لم نكرت؟ فقلت: لأن المراد بها الأنفس وهي نفس الكافر، ويجوز أن يراد نفس متميزة من الأنفس، إما بلجاج في الكفر شديد، أو عذاب عظيم، ويجوز أن يراد التكرير⁵. فتكرير نفس إما لأن المراد نفسا متميزة من بين الأنفس باللجاج الشديد في الكفر، أو بالعذاب العظيم، أو لأن المراد التكرير. كما جاء في قول الأعشى:

¹ - يس الآية 61 .

² - البيت من الطويل لكثير عزة في الكشاف ج 4 ص 23.

³ - الكشاف ج 4 ص 23.

⁴ - الزمر من الآية 56.

⁵ - الكشاف ج 4 ص 125.

وربّ بقيعٍ لو هتفتُ بحوّه أتاني كريمٌ ينفضُ الرّأسَ مُغضَبًا¹
 يريد: أفواجا من الكرام ينصرونه، وهم غضاب له تائرون لمساندته لا كريما واحدا.
 والشاهد فيه: أراد بالكريم كراما كثيرا، كما أريد بالنفس النفوس الكثيرة .

من المعارض : قال تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾².

قال الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية الكريمة: «إني مشارف للسقم، وهو الطاعون، وكان أغلب الأسقام عليهم، وكانوا يخافون العدوى، ليتفرقوا عنه فهربوا منه إلى عيدهم، وتركوه في بيت الأصنام ليس معه أحد ففعل بالأصنام ما فعل، فإن قلت كيف جاز له أن يكذب؟ قلت قد جوزه بعض الناس في المكيدة في الحرب والتقية، وإرضاء الزوج، والصلح بين المتخاصمين والمتهاجرين. والصحيح أن الكذب حرام إلا إذا عرّض وورّى، والذي قاله إبراهيم عليه السلام معراض في الكلام، ولقد نوى به أن من في عنقه الموت سقيم، ومنه المثل: كفى بالسلامة داء»³. فإن كان الكذب حراما شرعا، ولا يجوز إلا في بعض المواقف والأحوال المحدودة، فإن قوله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ليس من باب الكذب، وحاشاه أن يكذب، بل هو من المعارض ليس إلا، وهي جمع معراض كلمة مشتقة من التعريض خلاف التصريح يلجأ إليه المسلم لينجو من الكذب، وهو نوع من التورية بواسطة التعريض بالقول. قال رسول الله ﷺ: «إن في المعارض لمندوحة عن الكذب» وبالتالي فقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ يقصد أن من في عنقه الموت سقيم. ومنه المثل: كفى بالسلامة داء؛ لأن ليس بعدها غيره. ومنه قول لبيد :
 فدعوتُ ربِّي بالسَّلامَةِ جاهدا ليُصِحِّني فإذا السَّلامَةُ داء⁴

¹ - البيت من الطويل للأعشى في ديوانه ص 115.

² - الصافات الآية 89.

³ - الكشاف ج 4 ص 47.

⁴ - البيت من الكامل للبيد في خزنة الأدب ج 3 ص 70.

فدعوت ربي لينعم عليّ بالصحة، ويمن عليّ بالسلامة، ولم أكن أدري على أنها داء وليس ذلك صحيحاً إلا على سبيل التعريض بالقول.

استعارة **ذو الأوتاد**: قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾¹. قال الزمخشري: ﴿ذُو الْأَوْتَادِ﴾ أصله من ثبات البيت المطنّب بأوتاده²، قال الشاعر: والبيت لا يبتنى إلا بأعمدةٍ ولا عماداً إذا لم تُرس أوتاد³ ومعناه: أن البيت لا بد لإقامته من عمد يستند إليها، ولا بد لأعمدته من أوتاد ترسيه وتثبته، أي: لا ينال الأمر إلا بتوافر أسبابه. والشاهد فيه: الأوتاد، في حقيقة معناها، والذي أصله من ثبات البيت المطنّب بأوتاده. وقد استعير لثبات العز والملك واستقامة الأمر⁴. أي: أن قوله ﴿ذُو الْأَوْتَادِ﴾ استعارة تصريحية أي ذو الملك الثابت الموطّد. كما قال الأسود بن يعفر:

[ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة] في ظلّ ملكٍ ثابتٍ الأوتاد⁵

وفيه يتحدث عن رسوخ الأمر وثبات الملك وعزه، حيث شبه الملك بخيمة مضروبة عليهم، والظل ترشيح على سبيل الاستعارة التصريحية، وهو الشاهد في البيت.

كناية فاستعارة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾⁶.

قال الزمخشري: «فإن قلت ما معنى ذكر النعاج؟ قلت: كان تحكّمهم في نفسه تمثيلاً وكلامهم تمثيلاً؛ لأن التمثيل أبلغ في التوبيخ لما ذكرنا، وللتنبيه على أنه أمر يستحيا من كشفه فيكّنّى عما يستسمح الإفصاح به، وللستر على داود عليه السلام، والاحتفاظ

¹ - سورة ص الآية 12.

² - الكشاف ج 4 ص 72.

³ - البيت من البسيط للرافدة الأودي في لسان العرب. مادة (كيد)

⁴ - الكشاف ج 4 ص 72.

⁵ - البيت من الكامل للأسود بن يعفر في الدر المصون ج 9 ص 361.

⁶ - سورة ص من الآية 23.

بحرمته، ووجه التمثيل فيه أن مثلت قصة (أوريا) مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون، فأراد صاحبه تنمة المائة، فطمع في نعجة خليطه، وأراده على الخروج من ملكها إليه، وحاجه في ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده، والدليل عليه قوله «وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ»¹. وإنما خص هذه القصة لما فيها من الرمز إلى الغرض بذكر النعجة، فإن قلت: إنما تستقيم طريقة التمثيل إذا فسرت الخطاب بالجدال، فإن فسرت بالمفاعلة من الخطبة لم يستقم. قلت: الوجه مع هذا التفسير أن أجعل النعجة استعارة عن المرأة كما استعاروا لها الشاة»².

يبدو من تفسير الزمخشري لهذه الآية الكريمة أن الأمر لا يعدو أن يكون تمثيلاً لقصة أوريا مع داود عليه السلام بقصة رجل له نعجة، وخليطه تسع وتسعون، حيث كنى بالنعاج عن النساء على عادة العرب، وذلك لاعتبارات أخلاقية ذكرها المفسر، وقد ميّز بين أن يكون الخطاب بمعنى الجدال فيستقيم التمثيل، أو يكون الخطاب بمعنى المخاطبة وحينئذ يكون الوجه أن نجعل النعجة استعارة للمرأة على سبيل الاستعارة التصريحية باعتبار أن كل كناية هي استعارة، وأن كلا من المرأة والنعجة تتسم بالسكون والعجز وضعف الجانب، وتكون استعارة وليس تمثيلاً حين يكون فهم داود عليه السلام من الخصمين التحاكم في النساء المعبر عنها بالنعاج كناية. كما استعار العرب للمرأة الشاة أيضاً في قوله :

يا شاة ما قَنَصُ لمن حَلَّتْ لَهُ [حَرَمَتْ عَلَيَّ وَلَيْتَها لَمْ تَحْرُمِ]³

يتغنى الشاعر في أسى بهذه المرأة التي شبهها بالشاة الوحشية في الحسن والجمال والنفرة من الرجال، وقد حرمت عليه وأحلت لغيره. وأن كلا من الشاة والمرأة يصطاد

¹ - سورة ص من الآية 24.

² - الكشاف ج 4 ص 80.

³ - البيت من الكامل لعنترة في ديوانه 178.

بالاحتيال، على طريق الاستعارة التصريحية، وذكر القنص ترشيح؛ لأنه يلائم الشاة، وهذه الاستعارة هي الشاهد في البيت، كما استعار الأعشى أيضا الشاة للمرأة على طريق الاستعارة التصريحية إذ يقول:

فرميت غفلةً عيْنِه عن شاتِه [فَأَصَبْتُ حَبَّةً قَلْبِهَا وَطِحَالَهَا]¹
 كما شبّهت المرأة بالنعجة في قوله :

[قَلت إِذا أَقْبَلت وَزُهْرٌ تهادى] كنعاج الفلا تعسّفنَ رملا²
 حيث شبه النساء بالنعاج الوحشية في حسن المشية، وسعة العيون.

من أنواع الكناية:

قال الله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾³.

قال الزمخشري: «الجنب: الجانب، يقال أنا في جنب فلان وجانبه وناحيته، وفلان لين جنب والجنب، ثم قالوا: فرط في جنبه وفي جانبه يريدون في حقه⁴. فإذا كان جنب بمعنى الجانب، أو الناحية، أو الجهة، فإنه اتسع فيه فقيل: فرط في جنبه، أي: في حقه كما جاء في قول الشاعر:

أما تتقين الله في جنبٍ وامِقٍ له كبدٌ حرى عليك تقطع⁵

يستعطف صاحبه بثينة قائلاً لها: أما تخافين الله في حق عاشق له كبد ذات حر واحتراق تتقطع. والشاهد فيه: الجنب بمعنى الحق الواجب، وهو كناية عن ذلك. وهذا ما عبر عنه الزمخشري بقوله: «هذا من الكناية؛ لأنك إذا أثبت الأمر من مكان الرجل وحيزه

¹ - البيت من الكامل للأعشى في ديوانه ص 27.

² - البيت من الخفيف لعمر بن أبي ربيعة في ملحق ديوانه ص 234.

³ - الزمر من الآية 56.

⁴ - الكشاف ج 4 ص 125.

⁵ - البيت من الطويل لجميل بن معمر في ديوانه. دار صادر. دط بيروت. دت. ص 73.

فقد أثبتته فيه»¹. وهي نوع من الكناية يطلب بها نسبة أي: ثبوت أمر لامرئ، أو نفيه عنه كقول زياد الأعجم يمدح عبد الله بن الحشرج :

إِن السَّمَاةَ وَالْمَرْوَةَ وَالنَّدَى فِي قَبَّةِ ضُرَيْتٍ عَلَى ابْنِ الْحَشْرَجِ²

يعني أنه مختص بهذه الصفات لا توجد في غيره دون أن يصرح بذلك، بل عدل إلى ما تلحظه فجعلها في قبة مضروبة عليه، ولا خيمة هناك، ولا ضرب أصلاً، وإنما هو إثبات لهذه الخلال للممدوح عن طريق الكناية، وهو الشاهد في البيت. وهكذا فـ«ذكر الجنب كَلَّا ذِكْرٍ سِوَى مَا يُعْطَى مِنْ حَسَنِ الْكِنَايَةِ وَبِلَاغَتِهَا، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: فَرَطْتَ فِي اللَّهِ»³.

تكرار أداة التشبيه : قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾⁴.

قال الزمخشري بعد أن بين ما في الآية من جمال الكناية وفائدتها «ولك أن تزعم أن كلمة التشبيه كررت للتأكيد، كما كررها من قال :

وَصَالِيَاتٌ كَمَا يُؤْتَفَيْنَ⁵»⁶

يعني أن كاف التشبيه قد أقحمت على (مثل) فتعين أنها مفيدة للتأكيد «ومن التأكيد اللفظي باللفظ المرادف من غير جنسه»⁷. ونظيره من كلام العرب على ثقله قول خطام المجاشعي، حيث كرر كاف التشبيه في قوله: كَمَا لِلتَّأَكِيدِ، باعتبار أن الكاف الثانية اسم بمعنى مثل؛ لأن حرف الجر لا يدخل على مثله .

¹ - الكشاف ج 4 ص 125.

² - البيت من الكامل لزيادة الأعجم في الكشاف ج 4 ص 126.

³ - الكشاف ج 4 ص 126.

⁴ - الشورى من الآية 11.

⁵ - الرجز لخطام المجاشعي في لسان العرب (أثق)

⁶ - الكشاف ج 4 ص 191.

⁷ - التحرير والتنوير ج 25 ص 46.

الاستعارة المكنية التخيلية: قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾¹. قال الزمخشري: «فإن قلت: هلا قيل صبوا فوق رأسه من الحميم كقوله تعالى: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾². لأن الحميم هو المنسوب لا عذابه؟ قلت: إذا صبَّ عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته إلا أن صبَّ العذاب طريقه الاستعارة»³. فالاستعارة المشار إليها هي استعارة مكنية تخيلية، حيث شبه العذاب بالشيء المائع، ثم خيل له بالصب، كما جاء في قول الشاعر:

[كم امرئ كان في خفض وفي دعة] صُبَّتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ صَبَبٍ⁴

ومعناه: كم امرئ كان في سعة من العيش وهدوء بال، ثم تبدلت حاله؛ فانصبت عليه المصائب من كل ناحية، وفي شدة وتدفق. والشاهد فيه: صبَّ عليه صروف الدهر حيث شبه الحوادث بالسيل على سبيل المكنية، والصبب تخييل.

إنابة الصفة مناب الموصوفات: قال الله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَا عَلَى ذَاتِ الْأَوَاحِ وَدُسْرٍ﴾⁵. قال الزمخشري: «﴿عَلَى ذَاتِ الْأَوَاحِ وَدُسْرٍ﴾ أراد السفينة وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات، فتنوب منابها، وتؤدي مؤداها بحيث لا يفصل بينها وبينها»⁶. ﴿عَلَى ذَاتِ الْأَوَاحِ وَدُسْرٍ﴾ صفة السفينة أقيمت مقامها «عوضاً عن أن يقال: وحملناه على الفلك لأن في هذه الصفة بيان متانة هذه السفينة، وإحكام صنعها... وعادة البلغاء إذا احتاجوا لذكر صفة بشيء، وكان ذكرها دالاً على موصوفها أن يستغنوا عن ذكر الموصوف

¹ - الدخان الآية 48.

² - الحج من الآية 19

³ - الكشاف ج 4 ص 246.

⁴ - البيت من البسيط بلا نسبة في الكشاف ج 4 ص 246

⁵ - القمر الآية 13

⁶ - الكشاف ج 4 ، ص 372

إيجازاً»¹. إضافة إلى أنه لو جمع بين السفينة وبين هذه الصفة «لم يصحّ وهذا من فصيح الكلام وبديعه»². وقد حذا المتنبّي حذو الآية الكريمة فقال :

[مفرشي الحصان] ولكنّ قميصي مسرودةٌ من حديد³

يقول: مفرشي ظهر حصاني، وقميصي درع من حديد. والشاهد فيه: مسرودة صفة قامت مقام الموصوف الدرع ، فنابت منابه وأدت مؤداه. وقال آخر :

[واني لأستوفي حقوقي جاهدا] ولو في عُيونِ النَّازياتِ بأكرع⁴

إنه لا يترك حقوقه، وإنما يستوفيهما، ولو كانت بعيدة، وفي عيون الجراد النازيات بأكرع. والشاهد فيه: النازيات بأكرع صفة قامت مقام الموصوف الجراد، ونابت منابه .

التجريد: قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾⁵.

قال الزمخشري: «وقرأ عمرو بن عبّيد ﴿وَرْدَةً﴾ بالرفع بمعنى: فصلت سماء وردة وهو من الكلام الذي يسمى التجريد»⁶. والتجريد «هو أن ينتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله في تلك الصفة مبالغة في كمالها فيه»⁷. ومنه قراءة من قرأ برفع ﴿وَرْدَةً﴾ بمعنى فصلت سماء وردة، أو كانت منه وردة كالدّهان، كما جاء في قول الشاعر :

فلئن بقيتُ لأرحلنَّ بغزوةٍ تحوي الغنائمَ أو يموتَ كريم⁸

يقسم الشاعر لئن عاش ليقومن بغزوة فيها من الغنائم ما يشاء، وإلا فالموت أجدر به. والشاهد فيه: التجريد في قوله: «أو يموت كريم» يعني الكريم نفسه، وقد انتزع من نفسه كريماً للمبالغة في كرمه، وتقديره أو يموت مني كريم.

¹ - التحرير والتنوير ج 27، ص 184.

² - الدر المصون ج 10، ص 134.

³ - البيت من الخفيف للمتنبّي في الدر المصون ج 10، ص 133.

⁴ - البيت من الطويل بلا نسبة في الدر المصون ج 10، ص 134.

⁵ - الرحمن الآية 37.

⁶ - الكشف ج 4 ، ص 385.

⁷ - الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 527.

⁸ - البيت من الكامل لقتادة بن مسلمة الحنفي. في الدر المصون. ج 10. ص 173

المجاز العقلي : قال الله تعالى: ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾¹.

قال الزمخشري: ﴿تَدْعُوا﴾ مجاز عن إحضارهم، كأنها تدعوهم فتحضرهم². أي: أن في إسناد الفعل ﴿تَدْعُوا﴾ مجازاً عقلياً عن إحضارهم، كأنها تدعوهم فتحضرهم، وهو كما عرفه البلاغيون: «إسناد الفعل، أو ما في معناه إلى غير ما هو له في الظاهر من حال المتكلم لملازمة مع قرينة»³. ويجوز «أن يعتبر استعارة مكنية شبهت لظى في انهيار الناس إليها بضائف لمأدبة، ورمز إلى ذلك بـ(تدعو) وذلك على طريق التهكم»⁴. ومن ذلك قول ذي الرمة يصف ثورا وحشيا:

[أمسى بوهبين مجتازا لمرتعه من ذي الفوارس] تدعو أنفه الرب⁵

إذ يقول: إنه أمسى بوهبين يجتازه لينتهي إلى مرتعه بذي الفوارس، وكان في سيره ينقل أنفه بين أوائل النبات الذي أخرجته الأرض، والذي يفتته، ويستهبه. والشاهد فيه: «يدعو» وهو مجاز عقلي عن التسبب في الأمر؛ لأن النبات الصغير سبب في وصول أنفه للأرض ليرعاه، كما يجوز أن يكون من باب الاستعارة المكنية، حيث شبه الرب بالداعي وحذف المشبه به، وترك شيئاً من لوازمه، وهو الدعاء. وأضاف الزمخشري قائلاً: «وقيل: ﴿تَدْعُوا﴾ تهلك من قول العرب: (دعاك الله أي أهلكك)»⁶. ومعنى هذا ﴿تَدْعُوا﴾ حقيقة وليس مجازاً. قال الشاعر:

دعاك الله من رجلٍ بأفَعَى [ضئيل تنفت السم الذعافا]⁷

¹ - المعارج الآية 17.

² - الكشاف ج 4 ، ص 520.

³ - علوم البلاغة أحمد مصطفى المراغي. دار القلم. دط بيروت. دت ، ص 270.

⁴ - التحرير والتنوير ج 29، ص 164.

⁵ - البيت من البسيط لذي الرمة في ديوانه ص 16

⁶ - الكشاف ج 4 ، ص 521

⁷ - البيت من الوافر بلا نسبة في لسان العرب مادة (قيس)

يدعو قائله على شخص بأن يهلكه الله بأفعى تقضى عليه. والشاهد فيه: دعاك الله، أي: أهلكك.

استعارة اللمس: قال الله تعالى: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَتَّ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا﴾¹.

قال الزمخشري: «واللمس: اللمس فاستعير للطلب؛ لأن الماسَّ طالب متعرِّف»². فاللمس حقيقة اللمس، ويطلق مجازاً على الطلب، أو على اختبار أمر³، لأن الماس طالب، أو لأن الإحساس باليد أقوى إحساس فشبه به الطالب على طريق الاستعارة، كما فعل الشاعر ذلك في قوله:

مسسنا من الآباء شيئاً وكلُّنا إلى نسبٍ في قومِهِ غيرِ واضِعٍ⁴
 إذ يفخر الشاعر على بني عمه، ووجه فخره أنهم جميعاً شرفاء من ناحية الآباء، ثم أنه ينتسب إلى أم كريمة في قومه. والشاهد فيه: مسسنا حيث أطلق اللمس على النيل، أو الاختبار على طريق الاستعارة.

التشبيه المرسل المجمل: قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾⁵. قال الزمخشري: «شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار، والضعف والذلة والتطاير إلى الداعي من كل جانب، كما يتطاير الفراش إلى النار»⁶. فقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ تشبيه مرسل مجمل ذكر المشبه، وهو الناس، والمشبه به، وهو الفراش، وأداة التشبيه الكاف، وحذف وجه الشبه، فهي وجوه كثيرة نذكر منها: الكثرة

¹ - الجنّ الآية 08 .

² - الكشف ج 4، ص 533.

³ - التحرير والتنوير ج 29 ص 227

⁴ - البيت من الطويل ليزيد بن الحاكم الكلابي في لسان العرب مادة (رجل)

⁵ - القارعة الآية 04

⁶ - الكشف ج 4 ، ص 678.

الضعف، التطاير إلى النار للاحتراق. وقد تشبعت العرب بهذه المعاني. فقال جرير يهجو الفرزدق:

إن الفرزدقَ ما علمتُ وقومَه مثلُ الفراشِ غَشِينِ نَارِ المصْطَلِي¹
يهجو جرير الفرزدق وقومه، ويهون من شأنه وشأنهم، فيصورهم فراشا يتهافت على نار من يصطلي بها. والشاهد فيه: تشبيه جرير الفرزدق وقومه بالفراش في الذل والجهل والتطفل على الغير. وهو تشبيه مرسل مجمل.

¹ - البيت من الكامل لجرير في ديوانه 447

ملحق 01:

شواهد متفرقة

شواهد متفرقة :

هذه جملة من الأبيات الشعرية ذكرها الزمخشري، مستدلاً بها على بعض المعاني، وموثقاً ببعضها قصصاً وأحداثاً تاريخية، لا يمكن تصنيفها ضمن مستوى من مستويات اللغة. أكتفي بالإشارة إليها في الكشف، مع ذكر موضوعاتها .

الآية	في الكشف	البيت	الموضوع
255 البقرة	285/1	إن العرانيين تلقاها محسدة	أشرف العلوم وأعلاها منزلة عند الله.
28 آل عمران	323/1	تودُّ عدوي ثم تزعم أنني	النهي عن موالاة الأعداء. النوك:الحمق
36 آل عمران	328/1	لما تؤذن الدنيا به من صروفها	نفي مس الشيطان للإنسان.
41 آل عمران	332/1	متى ما تلقى فردين تزحف	القراءات القرآنية وأثرها النحوي.
71 آل عمران	343/1	القراءات القرآنية وأثرها في المعنى.
97 آل عمران	357/1	كانت حنيفة أثلاثا فتلثمهمو	طي الذكر دلالة على الكثرة

الظفر بالشهادة	وضربة ذات فزع تقذف الزيدا بحرية تتفد الأحشاء والكبدا أرشدك الله من غاز وقد رشدا	لكنني أسأل الرحمن مغفرة أو طعنة بيدي حران مجهزة حتى يقولوا إذا مروا جدثي	384/1	143 آل عمران
نفي الحجة ونزولها	ولا ترى الضب بها ينحجر	387/1	151 آل عمران
الفرزدق الفقيه	حلال لمن يبني بها لم تطلق	وذاث خليل أنكحتها رماحنا	447/1	24-23 النساء
معالجة نشوز المرأة	ولولا بنوها حولها لخبطتها	456/1	34 النساء
الاتصاف بالبخل والأمر به	بنيل يد من غيره لبخيل	وإن امرأ ضنت يداه على امرئ	458/1	37 النساء
أهل الردة	كذابة في بني الدنيا وكذاب	أمّت سجاج ووالاها مسيلمة	568/1	54 المائدة
لغو اليمين	إذا لم تعمّد عاقدات العزائم	ولست بماخوذ بلغو تقولاه	590/1	89 المائدة
العبرة في معرفة الحق من الباطل	ولا ترج من سعد وفاء ولا نصرا	وكاثر بسعد إنّ سعدا كثيرة	597/1	100 المائدة
	فإن جأهم بل كلهم بقر	لا يدهمّنك من دهمائهم عدد	598/1	

<p>من أسباب النزول</p>	<p>قال أبو طالب : والله لن يصلوا إليك بجمعهم فاصدع بأمرك ما عليك غضاضةً ودعوتني وزعمت أنك ناصح وعرضت دينالامحالة أنه ولولا الملامة أو حذاري سُبِّة</p>	<p>619/1</p>	<p>26 الأنعام</p>
<p>العلة في تسمية مكة أم القرى</p>	<p>حتى أُوسد في التراب دفيناً وابشر بذاك وقرّ منه عيوناً ولقد صدقت وكنت ثم أميناً من خير أديان البرية ديناً لوجدتني سما بذاك مُبيناً فأمّ القرى مُلقى رحالي ومنتابي</p>	<p>642/1</p>	<p>92 الأنعام</p>
<p>قصة عاد</p>	<p>لعل الله يسقينا غماماً قد امسوا ما يُبينون الكلاماً وتشقى الرماح بالضياطرة الحمرِ وجماعةً سمّوا هواهم سنةً</p>	<p>31/2</p>	<p>72-65 الأعراف</p>
<p>من توجيه القراءات.</p>	<p>فمن يُلِق في بعض القرّياتِ رحله ألا يا قَيْلُ: ويحك قم فَهَيْنِمُ فيسقي أرض عاد إنّ عاداً</p>	<p>47/2</p>	<p>105 الأعراف</p>
<p>الزمخشري يهجو أهل السنة</p>	<p>وجماعةً حُمِر لعمرى موكفه</p>	<p>63/2</p>	<p>143 الأعراف</p>

البلكفة : (إنه يرى بلا كيف)	شنع الورى فتستروا بالبلكفة	قد شبهوه بخلقه و تخوفوا		
تأويل الضمير في (يشركون)	به من فخار لا يبارى وسؤدد	فيا لقصى ما زوى الله عنكم	91/2	190 الأعراف
صلاة كفار قريش	أداهم سودا أو مُدرجة سُمرًا	وما كنت أخشى أن يكون عطاؤه	117/2	35 الأنفال
الحصن الحقيقي	أن الحصون الخيل لا مدر القرى	130/2	60 الأنفال
نقض صلح الحديبية	حلف أبينا وأبيك الأتلدا	لا همّ إنني ناشدٌ محمدا	141/2	04 التوبة
	ونقضوا ذمامك المؤكدا	إن قريشا أخلفوك الموعدا		
	وقتلونا ركعا وسجدا	هُم بَيَّتُونَا بِالْحَطِيمِ هُجْدَا		
تعدد القراءات (أوضعوا)	والراقصاتُ إلى مِنى فالغيبِ	166/2	47 التوبة
لفظ السبعين	سبعين ألفا عاقدي النواصي	لأصبحنَّ العاصيَ ابنَ العاصي	180/2	80 التوبة
اللذة القصيرة تتبعها الآلام الطويلة	مساءة يوم أريها شبه الصاب	مسرة أحقاب تلقيت بعدها	182/2	82 التوبة
	وراء تقضيها مساءة أحقاب	فكيف بأن تلقى مسرة ساعة		

البغي وعاقبته	فَارِغْ فَخِيرِ فَعَالِ الْمَرْءِ أَعْدَلُهُ لَانِدَاكَ مِنْهُ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ	يَا صَاحِبَ الْبَغِيِّ إِنَّ الْبَغِيَّ مَصْرَعَةٌ فَلَوْ بَغَى جَبَلٌ يَوْمًا عَلَى جَبَلٍ	217/2	23 يونس
الدعوة إلى الصبر	أَمِيرِ الظَّالِمِينَ نَثَا كَلَامِي إِلَى يَوْمِ التَّغَابِنِ وَالْخِصَامِ	أَلَا أَبْلَغُ مَعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ بِأَنَا صَابِرُونَ فَمُنْظِرُوكُمْ	245/2	109 يونس
الدعاء بالهلاك بعد وقوعه	وَبِلىِ وَاللهِ قَدْ بَعِدُوا وَلَا تَكُونُ لَهُ فِي الْأَرْضِ آثَارُ	إِخْوَتِي لَا تَبْعَاؤُوا أَبَدًا لَيْسَ الْفَتَى بَفَتَى لَا يُسْتَضَاءُ بِهِ	271/2	60 هود
الأمر بعمارة الأرض	كَمَا اكْتَلَّ بِالْبُرْقِ الْغَمَامِ الْلَوَائِحُ زَفِيرٍ وَيَتْلُوهُ شَهيقٌ مُحْشَرَجُ	مَرَرْنَا فَقَلْنَا إِيَّاهُ سَلْمٌ فَسَلِمَتْ بَعِيدٌ مَدَى التَّطْرِيْبِ أَوَّلُ صَوْتِهِ	272/2	61 هود
السلم والسلام لغتان	تَعَدَّدَ قِرَاءَةُ أُمَّةٍ تَمَادِي التَّأْسُفِ	بَعْدَ الْفَلَاحِ وَالْمَلِكِ وَالْإِمَمِ وَلَمْ تَتَسَنَّى أَوْ فِي الْمَصِيبَاتِ بَعْدَهُ	274/2	61 هود
الزفير والشهيق	وَلَمْ تَنْزِلْ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ ذَكَرْنَا	289/2	106 هود
تعدد قراءة أمة	329/2	45 يوسف
تمادي التأسف	346/2	84 يوسف
النبوة للرجال	357/2	109 يوسف

الوصف بالإصرار	لهم عن الرّشد أغلال وأقيادُ	361/2	05 الرد
الخوف من النشء والطمع فيه	ويُرجى الحيا منها وتُخشى الصواعق	365/2	12 الرد
الصبر الخالص	أني لريب الدهر لا أتضعع	371/2	22 الرد
الصبر لغاية	تُ ولا يردُّ بكاي زندا	371/2	22 الرد
تبدل حال بحال	بما قد رأى فيها أو أنس بُدنا	372/2	24 الرد
من القراءات القرآنية	قالت له: ما أنت بالمرضيّ	393/2	22 إبراهيم
دلالة الهواء	من الظّلّمان جوّجؤه هواء	404/2	43 ابراهيم
	فأنت مجوّفٌ نحبُّ هواءً	
التبديل متعلق بالذات أم بالصفة	ولا الدار بالدار التي كنت تعلم	406/2	48 ابراهيم
النهي عن الالتفات	وجعت من الإصغاء ليّنا وأخذعا	420/2	65 الحجر
الدعوة إلى مجازاة الوالدين	إذا الركاب نُفّرت لا تنفِرُ	482/2	24 الإسراء

المطالبة بما يجعله يقوى على الحياة	الله ربي ذو الجلال الأكبر بين عيينة والأقعر يفوقان جدّي في مجمع ومن تضع اليوم لا يُرفع حتى ينال القتل آل مرة	ما حمّلت وأرضعتي أكثر أتجعل نهبي ونهب العبيد وما كان حصن ولا حابس وما كنت دون امرئ منهما كل قتل في كليب غرة	485/2	29 الإسراء
الإسراف في القتل.	بسط الشواطب بينهن حصيرا	عفت الديار خلاقهم فكأنما	487/2	33 الإسراء
في اختلاف القراءات	وصيدهم والقوم في الكهف همد	وليس بها إلا الرقيم مجاورا	504/2	76 الإسراء
الرقيم	ترسو إذا نفس الجبان تطّلع	فصبرت عارفةً لذلك حرّة	520/2	09 الكهف
الدعوة إلى الصبر والثبات	فعدّ عما ترى إذ لا ارتجاع له	531/2	28 الكهف
تخريج قراءة أعدى وعدّى	531/2	28 الكهف
إحدى قراءات (ينقض)	549/2	77 الكهف
مكان غروب الشمس	في عين ذي خلب وثأط حرمم	فرأى مغيب الشمس عند مآبها	553/2	86 الكهف

من الأسامي الجميلة	حمرِ تمسُّ الأرضَ بالهُدْبِ	سنعُ الأسامي مسبلي أُرزِ	07/3	07 مريم
المعدوم ليس بشيء أو شيء لا يعتد به	إذا رأى غير شيء ظنَّه رجلا	08/3	09 مريم
الحكمة والحكم	واحكم كحكم فتاة الحي	09/3	12 مريم
اللسان	إني أتتني لسانٌ لا أسرُّ بها	23/3	52 مريم
التطلع إلى ما هو أفضل	وإنا لـنرجو فوق ذلك مظهرها	بلغنا السماءَ مجدُّنا وسناؤنا	24/3	57 مريم
الغي كل شر والرشاد كل الخير	ومن يَغْوَ لا يعدمُ على الغيِّ لائما	فمن يَلْقَ خيرا تحمد الناس أمره	26/3	59 مريم
التنزل على مهل وعلى الإطلاق	تنزل من جو السماء يُصَوَّبُ	فأسئت لانسيِّ ولكن لملاك	28/3	64 مريم
نسبة الشيء إلى الجميع وقد فعلها الواحد	نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد	فسيف بني عبس وقد ضربوا به	31/3	67 مريم
ضرب من التهكم	أصُلا إذا راح المطيِّ غراثا	شجعاء جِرَّتْهَا الذَّمِيلُ تلوكُـه	37/3	76 مريم
دلالة الاستقبال لفعل ينجز في الحال	إذا ما انتسبنا لم تلـدني لئيمة	38/3	79 مريم
توجيه قراءة أخفيها	وإن تبعثوا الحربَ لا نقعد	وإن تدفنُّوا الداءَ لا نخفه	51/3	15 طه

توجيه قراءة لن تخلفه.	فمضى وأخلف من قتيلة موعدا	أثوى وأقصر ليله ليزودا	76/3	97 طه
شماتة الأعداء.	سيلقى الشامتون كما أقينا	فقل للشامتين بنا أفيقوا	102/3	34 الأنبياء
إذا أيسر الله الأمر تيسر.	إذا الله سنّى عقد شيء تيسر	108/3	57 الأنبياء
الضلال الخفي المغطى بأستار الخداع.	طريق نجاة عندهم مستو نهج	ويا رب مقفوا الخطا بين قومه	127/3	03 الحج
	بيان اعوجاج في طريقته عجبوا	ولو قرأوا في اللوح ما خط فيه من		
الجمع بين الفلك والأنعام	سفينة برّ تحت خدي زمامها	161/3	22.21 المؤمنون
الإفضاء بالأسرار عن بله	بلهاء تطلعني على أسرارها	ولقد لهوت بطفلة ميالة	196/3	23 النور
توجيه قراءة حادرون	وأبغضه من بغضها وهو حادر	أحب الصبيّ السوء من أجل أمه	278/3	56 الشعراء
توجيه قراءة أزلقنا	وذبيان إذا زلت بأقدامها النعل	تداركنما عبسا وقد ثلّ عرشها	279/3	64 الشعراء
من الألفاظ الدالة على الواحد والجماعة	أراهم عدوا وكانوا صديقا	وقوم على نوي مرة	281/3	77 الشعراء
استخدام كلمة أخ على عادة العرب	في النائبات على ما قال برهانا	لا يسألون أخاهم حين يندبهم	286/3	106 الشعراء

توجيه قراءاتها	منه إذا هي عرّدت إقدامها	فمضى وقدمها وكانت عادةً	297/3	197 الشعراء
خفض الجناح	فلا تك في رفعه أجدا	وأنت الشهير بخفض الجناح	301/3	215 الشعراء
المجون الصارخ	وبت أفض أغلاق الختام	فبتن بجاني مصرعات	304/3	225.224 الشعراء
إرسال الطرف رائدا	لقلبك يوما أتبعتك المناظر	وكنت إذا أرسلت طرفك رائدا	326/3	40 النمل
المعالنة بالمجانة	فلا خير في اللذات من دونها ستر	وبح باسم من تأتي وذني من الكنى	331/3	55 النمل
المتحرك الذي يظن ساكنا	وقوف لحاج والركاب تهملج	بأرعن مثل الطود تحسب أنهم	344/3	88 النمل
زوال الديار بعد زوال ساكنيها	حيناً ويدركها الفناء فتتبع	تتخلف الآثار عن أصحابها	376/3	58 القصص
اتزان النفس وثباتها	ولست بمفراح إذا الدهر سرني	382/3	76 القصص
	تيقن عنه صاحبه انتقالا	أشد الغم عندي في سرور		
سرعة الوجود من غير إبطاء	دعوت به ابن الطود أو هو أسرع	دعوت كليبا دعوة فكأنما	421/3	25 الروم
تحديد دلالة الشيء	ن كان قد رأى وقد سمعا	الألمعي الذي يظن بك الظ	434/3	03 لقمان

14 لقمان	439/3	أحمل أمي وهي الحماله ولا يُجازى والد فعاله	ترضعنى الدرّة والعُلاله	فضل الأم والتوصية بها
49 الأحزاب	488/3	أسنمة الآبال في سحابه	تسمية الشيء بغيره
72 الأحزاب	503/3	أخوك الذي لا تملك الحسّ نفسه	وترفض عند المحفظات الكتائف	الأمانة وعظمها
19 سبأ	517/3	أيادي سبأ ياعرُ من كنت بعدكم	فلم يحلُ بالعينين بعدكٍ منظرُ	تفرقوا أيادي سبأ
49 سبأ	530/3	أقفرَ من أهله عبيد	فاليوم لا يبيدي ولا يعيد	لا يبيدئ ولا يعيد
08 فاطر	537/3	اسقني حين تراني	حسننا عندي القبيح	الخلط بين الحسن والقبيح
44 يس	19/4	ولم أسلم لكي أبقى، ولكن	سلمت من الحمام إلى الحمام	لا خلود في الدنيا والسلامة قناع إلى حين
69 يس	26/4	أنا النبي لا كذب	أنا ابن عبد المطلب	نفي فرض الشعر عن النبي (ص)
71-72-73 يس	27/4	أصبحت لا أحمل السلاح ولا	أملك رأس البعير إن نفرا	تسخير الأنعام

	ويحبسه على الخسف الجرير	يصرفه الصبي بكل وجه		
	فلا غَيْرٌ لديه ولا نكير	وتضربه الوليدة بالهراوى		
حال الشرب حين يجلسون	محادثَةُ الكرام على المُدام	وما بقيت من اللذات إلا	42/4	50 الصافات
الدعوة إلى التمييز بين الحسن والأحسن	ولا تكن مثل عَيْرٍ قيد فانقادا	110/4	18 الزمر
تفسير البعض بالكل	أو يرتبط بعضَ النفوس حِمَامُها	تراك أمكنة إذا لم أرضها	148/4	28 غافر
الخوف من زهرة الدنيا وكثرتها	وبين بني رومان نبعاً وشوْحطاً	وقد جعل الوسميُّ يُنبت بيننا	200/4	27 الشورى
معاملة العرب للمرأة التي تضع أنثى	يظل في البيت الذي يلينا	ما لأبي حمزة لا يأتينا؟	214/4	17 الزخرف
	ليس لنا من أمرنا ماشينا	غضبان أن لا نلد البنينا		
	وإِثْمًا نأخذ ما أعطينا			
التأسي	أعزي النفس عنه بالتأسي	221/4	39 الزخرف
التفاوت اليسير في التفاضل	مثل النجوم التي يسري بها الساري	من تلقَ منهم تَقُلْ لاقيت سيدهم	224/4	48 الزخرف

من تعظيم مهلك الرجل	كأنك لم تجزع على ابن طريف	أيا شَجَرَ الخابور مالك مُورقا	242/4	29 الدخان
	تبكي عليك نجوم الليل والقمر		
مثل فرط القرب (الوريد)	والموتُ أدنى لي من الوريد	331/4	16 سورة ق
حضور الذهن	بمصقلا باذ لسقي الزروع	ما شئت من زهزة والفتى	337/4	37 سورة ق
دعوة الرسول(ص) على عتبة بن أبي لهب	فما أكيلُ السبع بالمراجع	من يرجع العام إلى أهله	359/4	01 النجم
القضاء على الأصنام وإهانتها	إني رأيت الله قد أهانك	يا عرُ كفرانك لا سبـحانك	362/4	19 النجم
تيسير القرآن	هناك يجزيني الذي كنت أصنع	وقمت إليه باللجام مُيسرا	373/4	17 القمر
تناسي المحذوف	وأربع فكلها ثمان	لها ثايا أربع حسان	382/4	24 الرحمن
تقديم المطعوم على المشروب	سقوا أضيافهم شبيما زلالا	إذا سقيت ضيوف الناس مَحضا	399/4	68 الواقعة
حال المنافقين	خيلا تكرر عليهم ورجالا	مازلت تحسب كل شيء بعدهم	459/4	04 المنافقون
شدة الأمر وصعوبة الخطب	أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها وإن شمّرت عن ساقها الحرب شمرا		506.505/4	42 القلم

	عن خِدامِ العَقِيلَةِ العِذْرَاءِ	تُذْهِلُ الشَّيْخَ عَنِ بَنِيهِ وَتُبُّدِي		
الإصابة بالعين	نظراً يُزَلُّ مِوَاطِيَّ الأَقْدَامِ	يَتَقَارِضُونَ إِذَا التَّقْوَا فِي مِوَطْنِ	508/4	52 القلم
عقاب الله لمن عتا وتجبر	مَلِكِ الأَمَلَاكِ غَلَّابِ القَدْرِ	عَضُدِ الدَّوَلَةِ وَابْنِ رِكْنِهَا	515/4	29 الحاقة
عدم الحض على إطعام المساكين	عَلَى الحَيِّ حَتَّى تَسْتَقِلَّ مِرَاجِلُهُ	إِذَا نَزَلَ الأَضْيَافُ كَانِ عَنُورًا	515/4	34 الحاقة
رجم الشيطان قبل مبعث رسول الله(ص)	يَنْقُضُ خَلْفَهُمَا انْقِضَاضَ الكَوَكِبِ	وَالعَيْرِ يَرهَقُهَا الخَبَارُ وَجَحْشِهَا	534/4	09 الجن
	نَقَعَ يَثُورٌ تَخَالَهَ طُئُبَا	وَانْقَضَ كَالدَّرِيِّ يَتَبَعُهُ		
	أَوْ الثَّورِ كَالدَّرِيِّ يَتَبَعُهُ الدَّمُ	يَرِدُ عَلَيْنَا العَيْرُ مِنْ دُونِ إِفْهِهِ		
من أسوء المآخذ على الزمخشري	وَمَنْ نَائِمٌ عَنِ لَيْلِهَا مِتَزَمَّلٌ	وَكَائِنٌ تَخَطَّتْ نَاقَتِي مِنْ مَفَازَةٍ	540/4	01 المزمّل
	سُهُدَا إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ الهَوِجْلِ	فَأَتَتْ بِهِ حَوْشُ الفُؤَادِ مَبْطُنَا		
	مَا هَكَذَا تَوْرِدُ يَا سَعْدُ الإِبْلِ	أُورِدُهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مَشْتَمَلٌ		
تفانم الهموم والأحزان على الإنسان	وَيُشَيِّبُ نَاصِيَةَ الصَّبِيِّ وَيُهْرَمُ	وَالهَمُّ يَخْتَرِمُ الجَسِيمَ نَحَافَةً	546/4	17 المزمّل

نظر أم انتظار ورجاء	والبحر دونك زدتنني نعما	وإذا نظرتُ إليك من مَلِكِ	566/4	22-23 القيامة
أصل سلسبيل في رأي بعضهم	س براح كأنها سلسبيل	سل سبيلا فيها إلى راحة النفس	574/4	18 الإنسان
انتقاد الزمخشري للمعري.	ترمي بكل شرارة كطراف	حمراء ساطعة الذوائب في الدجى	582/4	23 المرسلات
التعريض بالمانية وتكذيبهم	تُخَبِّرُ إن المانوية تكذب	وكم لظلام الليل عندك من يد	585/4	10 النبأ
الفرزدق يفتخر بجده صعصة	فأحيا الوئيد فلم توأد	ومنا الذي منع الوائدات	605/4	08 التكوير
منع الكفار من رؤية الخالق عز وجل	والناس من بين مرجوب ومحجوب	إذا اعتروا باب عبية رُجِبوا	616/4	15 المطفين
تأكيد المدح.	أنهم يحلمون إن غضبوا	ما نقموا من بني أمية إلا	626/4	06 البروج
استهجان سريرة الشاعر.	سريرة ودّ يوم تُبلى السرائر	سببى لها في مضمرة القلب والحثا	629/4	9 الطارق
الأولون من العرب البائدة .	أدرك عادا وقبيلها إرما	مجدا تليدا بنياه أوله	640/4	6-7 الفجر
المباهاة بالعلم	قُطِفِ الخطا نباله أقصى المدى	ورواقم رُقش كمثل أراقم	666/4	04 العلق
	إلا إذا لعبت بها بيض المدى	سود القوائم ما يجرد مسيرها		

<p>قصة الأعرابي الذي أخرج (خيرا يره) مناجاة عبد المطلب ربّه</p>	<p>كلا جانبي هرشى لهنّ طريق أهله فامنع حلاك ومحالهم أبدا محالك بتتا فأمر ما بدا لك يا ربّ فامنع منهم حماكا</p>	<p>خذ بطن هرشى أوقفاها فإنه لاهمّ إن المرء يمنع لا يغلب بن صليهم إن كنت تاركهم وكعد يا ربّ لا أرجو لهم سواكا</p>	<p>674/4 686/4</p>	<p>7-8 الزلزلة سورة الفيل</p>
<p>الرد على التعبير بحمالة الحطب</p>	<p>أم ما تعيّر من حمالة الحطب كانت سليلة شيخ ثاقب الحسب</p>	<p>ماذا أردت إلى شتمي ومنقصتي غراء شادخة في المجد غرثها</p>	<p>702/4</p>	<p>سورة المسد</p>
<p>الحسد المحمود</p>	<p>وما حاسدٌ في المكرمات بحاسد إن العلاء حسنٌ في مثلها الحسد</p>	<p>.....</p>	<p>708/4</p>	<p>سورة الفلق</p>

خاتمة

خاتمة :

بعد أن أتيت على نهاية بحثي هذا، والذي حاولت فيه أن أدرس الشاهد الشعري دراسة وصفية تحليلية في المستويات اللسانية، وأكشف عن أهميته، ودوره في علوم اللغة وتفسير القرآن الكريم، عند رجل يعد واحدا من أولئك الذين أعطوا العربية كل حياتهم وعنوا بالمحافظة عليها، وتفانوا في خدمتها، والذود عن حماها، وإن كنت لا أدعي أنني قد أوفيت الموضوع حقه من البحث والتمحيص والتحليل، مع ذلك تمكنت من الوقوف على عدد من النتائج أجملها فيما يأتي:

- 1- لا يخلو أي علم من علوم العربية والإسلامية تنظيرا وتطبيقا من شواهد تحقق الغرض وتلبي الحاجة، هذا ما لمسناه في المفصل والكشاف.
- 2- الشواهد المعجمية هي الأكثر عددا؛ لأن نسبتها إلى المعجم لا تعني أنها مقصورة عليه، وتؤكد ذلك نسبتها المرتفعة في بحثي هذا إذ تقدر بـ31% من مجموع الشواهد.
- 3- شواهد الأساليب البلاغية لا يشترط فيها ارتباطها بعصور الاحتجاج خلاف الشواهد المعجمية والنحوية، حيث استشهد الزمخشري بشعر أبي تمام، وأبي الطيب المتنبى وشواهد أغلبها مجهولة القائل .
- 5- شواهد الشعر والرجز أكثر حضورا في الدرس اللغوي وبخاصة في النحو العربي بالنظر إلى منزلة الشعر في نفوس العرب، ولأنه أكثر قدرة على تكثيف المعنى، وأقدر تأثيرا؛ لذا أوغل الزمخشري في الاستشهاد بالشعر قياسا بحجم المفصل .
- 6- دعوة الزمخشري إلى الاستشهاد بشعر العلماء من الشعراء المولدين في اللفظ والمعنى بدعوى: أن ما يقوله هو بمنزلة ما يروييه، دعوة لم تلق رواجاً على المستوى العملي.
- 7- معظم الشواهد مما ورد في كتب سابقه سواء كتب النحو، أو معجمات اللغة وبخاصة في الكتاب .
- 8- استخدم الشاهد الشعري بغية الاستدلال على صحة القواعد المستتبطة، والدلالات القرآنية المشار إليها، وكان له ذلك. دون الإشارة لموضع الاستشهاد.

- 10- لم يكلف نفسه عناء البحث عن قائلِي الكثير من الشواهد، ولذا جاءت الكثير من الشواهد بلا نسبة. والأكثر من هذا اكتفاؤه أحيانا بالشرط، أو بالجزء اليسير من البيت.
- 11- ذكره أكثر من شاهد على القضية الواحدة.
- 12- يكرر الشاهد أحيانا بتكرر موضع الاستشهاد؛ ولذا بلغ عدد الشواهد المكررة: 105 شاهد.
- 13- كان للزمخشري أسلوبه الخاص في التعامل مع الشواهد، حيث كان لا يكتفي بتوجيه العلماء لموضوعاتها، بل ينتقد بعضها، ويؤيد بعضها الآخر، وإلا يعمد إلى القيام بتوجيهها بنفسه.
- 14- اعتماده على الرجز أكثر من غيره، وبخاصة زجر العجاج وابنه رؤية.
- 15- لم يأل جهدا في الانتصار لمذهبه والرد على مخالفيه، بل قد وصل به الأمر إلى حد إخراج مخالفيه من الإسلام؛ ولذا استغل تفسيره الكشاف لنشر مبادئه الاعتزالية.
- 16- حظي المفصل باهتمام كبير لدى العلماء فأقبلوا عليه ثناء وشرحا ونظما واختصارا وردا على أخطائه، كما ذاع صيته بين المتعلمين فأضحى كتابهم المفضل.
- 17- قيام الزمخشري بعرض منهجه في التأليف في مقدمة كتابه المفصل على غير عادة من سبقوه في التأليف في هذا الباب.
- 18- المتعقب لآراء الزمخشري يدرك مما لا يدع مجالاً للشك، أنه في عمومها مع آراء البصريين، بل معتبرا نفسه في كثير من الأحيان واحدا منهم.
- 19- الزمخشري حريص في مستهل كل فصل من فصول كتابه المفصل على تحديد المفاهيم، وضبطها بشكل جامع مانع.
- 20- الكشاف كتاب تفسير عام، أو شبه عام يحتاج إليه غير المعتزلي قبل المعتزلي.
- 21- بني هيكله العام على ما يعرف بالفنقلة.
- 22- الكشاف من الكتب القلائل التي اهتمت بالجانب اللغوي والبلاغي في القرآن الكريم

23- لم يرسم الزمخشري في مقدمة كتابه الكشاف الخطة التي سوف ينتهجها في بناء
منصفه، بل اكتفى بالتلميح إلى ذلك.

ولله الحمد من قبل ومن بعد

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: قائمة المصادر

- 1- الاقتراح. للسيوطي.تح محمود سليمان ياقوت. دار المعرفة الجامعية. د.ط . مصر 2006 .
- 2- انباه الرواة على أنباه النحاة. للقفطي. تح محمد أبو فاضل. دار الفكر العربي.ط1.القاهرة 1989.
- 3- الإتيان في علوم القرآن للسيوطي. تح م الدراسات القرآنية.مجمع الملك فهد. السعودية د.ط. د.ت.
- 4- إصلاح المنطق. لابن السكيت .تح.أحمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون.دار المعارف القاهرة ط4. د ت .
- 5- إعراب القرآن، للنحاس، تح زهير غازي زاهد.عالم الكتب.ط2. 1985.
- 6- إملاء ما منّ به الرحمن، للعكبري. دار الكتب العلمية. دط. بيروت. دت.
- 7- الإنصاف في مسائل الخلاف.ابن الأنباري.تح.د.جودة مبروك.مكتبة الخانجي .ط1.القاهرة.دت.
- 8- الإيضاح في علوم البلاغة.للقزويني.تح محمد عبد المنعم خفاجي.وعبد العزيز شرف.دار الكتاب المصري. ط6. القاهرة. 1999.
- 9- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي مطبعة ابريل. د.ط ليدن.1877.
- 10- الأزهية في علم الحروف ، الهروي، تح عبد المعين الملوحى . مطبوعات مجمع اللغة العربية. ط2 . دمشق . 1995.
- 11- أساس البلاغة للزمخشري.تح.محمد باسل عيون السود.دار الكتب العلمية..ط1 بيروت . 1998.
- 12- أسرار العربية ، ابن البركات الأنباري، تح محمد البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي،دط، دمشق. دت.
- 13- الأغاني.لأبي الفرج الأصبهاني .تح.عبد الستار أحمد فراج. دار الثقافة. دط بيروت . 1983.
- 14- أمالي ابن الحاجب. تح. فخر صالح سليمان قرارة. دار الجيل. دط. بيروت . 1989.
- 15- أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك لابن هشام.تح محيي الدين عبد الحميد. المكتبة المصرية دط . بيروت. دت.
- 16- البحر المحيط.لأبي حيان. تح عادل أحمد عبد الموجود.وعلي محمد معوض.دار الكتب العلمية. ط1. بيروت.1993.

- 17- البرهان في علوم القرآن. للزركشي. تح. محمد أبو الفضل إبراهيم. مكتبة التراث.. د. ط، القاهرة د. ت
- 18- بغية الوعاة للسيوطي. تح محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر . ط2. بيروت 1979.
- 19- البيان والتبيين. للجاحظ. حسن السندوبي. منشورات دار المعارف للطباعة. ط2. سوسة تونس 2012
- 20- تاج العروس للزبيدي. تح عبد العليم الطحاوي. مطبعة حكومة الكويت . ط2 الكويت. 1987
- 21- التحرير والتنوير. محمد الطاهر بن عاشور. الدار التونسية. للنشر. دط. تونس. 1984 .
- 22- تخلص الشواهد وتلخيص الفوائد. ابن هشام . عباس مصطفى الصالحي دار الكتاب العربي لبنان . ط1. 1986.
- 23- التخمير لصدر الأفاضل الخوارزمي. تح عبد الرحمن العثيمين دار الغرب الإسلامي د. ط. د. ت
- 24- تذكرة النحاة. لأبي حيان. تح عفيف عبد الرحمن. مؤسسة الرسالة. ط1. بيروت. 1986.
- 25- التعريفات للجرجاني. ضبطه وفهرسه محمد بن عبد الحكيم القاضي. دار الكتاب اللبناني. ط1. بيروت. 1991
- 26- تفسير الرّازي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. ط1. بيروت. 1981.
- 27- تفسير الطّبري. عبد الله بن عبد المحسن التركي. بدار هجر. دط. دت
- 28- تفسير القرطبي. تح. عبدالله بن عبدالمحسن التركي. مؤسسة الرسالة. ط1. بيروت. 2006.
- 29- تفسير المشكل من غريب القرآن الكريم. لأبي محمد مكي. تح هدى الطويل المرعشلي. دار نور الهدى الإسلامي. ط1. بيروت. 1988.
- 30- التتبيه والإيضاح. لابن بري. تح عبد العليم الطحاوي. الهيئة المصرية للكتاب . ط1. مصر. 1981
- 31- الجامع الكبير. للترمذي. تح بشار عواد معروف. دار الغرب الإسلامي. ط1. بيروت. 1996
- 32- الجنى الداني. للمراذبي. تح فخر الدين قباوة، ومحمد نديم. دار الكتب العلمية. ط1. بيروت. 1992.
- 33- الحيوان للجاحظ. تح، عبد السلام هارون، بشركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر ط 2. 1966.
- 34- خزنة الأدب. عبد القادر البغدادي. تح عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي القاهرة. ط1. 1983.
- 35- الخصائص. لابن جني . تح النجار. المكتبة العلمية. دط. مصر. دت .
- 36- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي. تح . أحمد محمد خراط. دار القلم. د. ط. دمشق. دت
- 37- ديوان أبي تمام . شرح التبريزي. تح. محمد عبده عزام. دار المعارف. ط4. القاهرة. دت.

- 38- ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي. تح مجيد طراد. دار الكتاب العربي. ط1. بيروت 1994
- 39- ديوان جرير. تأليف عبد الله الصاوي. المكتبة التجارية الكبرى. ط1. مصر د. ت .
- 40- ديوان رؤبة بن العجاج. تح. وليم بن الورد. دار ابن قتيبة . د.ط . الكويت. د. ت .
- 41- ديوان عمر بن أبي ربيعة. تح بشير يموت، المطبعة الوطنية. ط 1 بيروت، 1934
- 42- ديوان كثير عزة. تح. إحسان عباس. دار الثقافة. دط. بيروت. 1971.
- 43- ديوان الشماخ. تح صالح الدين الهادي. دار المعارف. دط. مصر. دت.
- 44- ديوان العباس بن مرداس تح يحيى الجبوري. مؤسسة الرسالة. ط1 بيروت . 1991
- 45- ديوان العبيد بن ربيعة. تح . إحسان عباس. وزارة الإرشاد. دط الكويت 1962.
- 46- ديوان العجاج. تح . عبد الحفيظ السطلي. مكتبة أطلس. دط. دمشق. دت.
- 47- ديوان الكميت بن زيد تح. محمد نبيل الطريفي، دار صادر، ط1 بيروت، 2000
- 48- ديوان النابغة الجعدي، تح. واضح الصمد. دار صادر. ط1. بيروت 1998.
- 49- ديوان النابغة الذبياني تح عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت 1996.
- 50- ديوان امرئ القيس تح. عبد الرحمن المصطفاوي. دار المعرفة. ط2. بيروت 2004 .
- 51- ديوان أبي الأسود الدؤلي. تأليف أبو سعيد الحسن السكري. تح محمد حسن آل ياسين. دار ومكتبة الهلال. ط2. بيروت لبنان. 1998.
- 52- ديوان أمية بن أبي الصلت تح. سجع الحبيلي. دار صادر. ط1. بيروت . 1998.
- 53- ديوان أيمن بن خزيم. صنعة وتحقيق. الطيب العشاش. الواهب للطباعة والنشر. ط1. بيروت 1999
- 54- ديوان جميل بن معمر. دار صادر. دط. بيروت. دت.
- 55- ديوان ذي الرمة . شرح التبريزي. تح مجيد طراد. دار الكتاب العربي. ط2. بيروت. 1996.
- 56- ديوان عبد الله بن رواحة . تح. وليد قصاب، دار العلوم للطباعة والنشر. ط1 الرياض. 1981.
- 57- ديوان قيس بن الخطيم. تح ناصر الدين الأسد. دار صادر. دط. بيروت. دت.
- 58- ديوان كعب بن مالك. تح . سامى مكي ، مطبعة المعارف. ط1. بغداد. 1966.
- 59- ديوان تأبط شرا. تح علي ذو الفقار شاكر. دار الغرب الإسلامي. ط1. بيروت. 1984.
- 60- ديوان لبيد بن ربيعة العامري. دار صادر. دط. بيروت. دت.
- 61- ديوان مجنون ليلي العامرية. تح. يسرى عبد الغني. دار الكتب العلمية. ط1. بيروت. 1999 .
- 62- ديوان طرفة بن العبد. تح. مهدي محمد ناصر الدين. دار الكتب العلمية. ط3. بيروت . 2002.

- 63- ديوان ابن أحمر تح .حسين عطوان.مطبوعات مجمع اللغة العربية.دمشق .د.ط .د.ت.
- 64- ديوان ابن مفرغ تح . عبد القدوس أبو صالح. مؤسسة الرسالة. ط2. بيروت.1982.
- 65- ديوان ابن ميادة .تح.حنا جميل حداد .مطبوعات مجمع اللغة العربية. دمشق. د.ط.1982.
- 66- ديوان الأحوص.تح عادل سليمان جمال. مكتبة الخانجي ط2.القاهرة. 1990.
- 67- ديوان الأخطل تح . مهدي محمد ناصر الدين . دار الكتب العلمية. ط2.بيروت. 1994
- 68- ديوان الأعشى تح.محمد حسين. مكتبة الآداب بالجاميزت. دط. دت .
- 69- ديوان الحطيئة.شرح ابن السكيت. تح نعمان أمين طه.مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده. ط1. مصر.1958.
- 70- ديوان الخنساء.تح إبراهيم عوضين.مطبعة السعادة..ط1. المنصورة.1986.
- 71- ديوان الشماخ.تح صلاح الدين الهادي.دار المعارف.دط.مصر.دت.
- 72- ديوان العباس بن مرداس،تح يحيى الجبوري.مؤسسة الرسالة.ط1.بيروت.1991
- 73- ديوان الفرزدق.تح علي فاعور.دار الكتب العلمية.ط1.بيروت .1987.
- 74- ديوان القطامي.تح.إبراهيم السامرائي.دار الثقافة.ط1.بيروت.1960.
- 75- ديوان المهلهل بن ربيعة شرح وتقديم. طلال حرب.الدار العالمية.دط.دت.
- 76- ديوان النمر بن تولب.تح .محمد نبيل طريقي. دار صادر. ط1. بيروت 2000 .
- 77- ديوان أبي قيس بن الأسلت. تح محمد بن جوده، دار التراث ، د ط. القاهرة. د ت.
- 78- ديوان أوس من حجر تح. محمد يوسف نجم. دار بيروت للطباعة والنشر. دط. بيروت.1980.
- 79- ديوان جرير.تح. محمد إسماعيل الصاوي. المكتبة التجارية الكبرى ط1.مصر د ت.
- 80- ديوان جميل بثينة. دار بيروت للطباعة والنشر. دط. بيروت .1982.
- 81- ديوان حاتم الطائي. دار صادر. دط. بيروت. 1981.
- 82- ديوان حسان بن ثابت،تح. وليد عرفات. دار صادر. دط . بيروت. 2006.
- 83- ديوان رؤية.تح. ابن الورد البروشي. دار ابن قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع.الكويت. د.ط، د.ت.
- 84- ديوان زياد الأعجم.تح يوسف حسين بكار. دار المسيرة. ط1. 1983.
- 85- ديوان زيد الخيل ، تح. أحمد مختار. دار المأمون للتراث. ط1، 1988.
- 86- ديوان الطرماح، تح عزة حسن.دار الشرق العربي.ط2 . بيروت .1994.
- 87- ديوان طفيل الغنوي شرح الأصمعي.تح.حسان فلاح أوغلي.دار صادر ط1 بيروت.1997.

- 88- ديوان عبيد بن الأبرص تح أشرف أحمد. دار الكتاب العربي. ط1. بيروت 1994 .
- 89- ديوان عبيد الله الرقيات. تح. محمد يوسف نجم. دار بيروت للطباعة والنشر. بيروت. د.ط. د.ت.
- 90- ديوان عدي بن زيد العبادي تح. محمد جبار المعبيد. شركة دار الجمهورية. بغداد د.ط. 1965
- 91- ديوان عمرو بن أحمد تح..حسين عطوان. مطبوعات مجمع اللغة العربية ، د.ط، دمشق د.ت
- 92- ديوان عمرو بن قميئة تح حسن كامل الصيرفي . معهد المخطوطات العربية. د.ط. 1965
- 93- ديوان عمرو بن معدي يكرب. تح الطرابيشي.م مجمع اللغة العربية.ط2. دمشق. 1985.
- 94- ديوان كعب بن زهير. صنعة الإمام أبي سعيد السكري. تح. مفيد قميحة. دار الشواف للطباعة والنشر. ط1. السعودية.. 1989
- 95- ديوان ليلي الأخيلىة تح. واضح الصمد. دار صادر .ط2 بيروت 2003 .
- 96- ديوان كعب بن مالك. تح. سامي مكي. مكتبة النهضة. ط1. بغداد. 1966.
- 97- رصف المعاني. للمالقي . تح. أحمد محمد الخراط. دار القلم. ط3 دمشق 2002.
- 98- سر صناعة الإعراب. لابن جني. تح حسن الهنداوي. دار القلم. ط3. دمشق. 1993.
- 99- سمط اللآلي لأبي عبيد البكري الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. 1936.
- 100- سنن ابن ماجه . تح محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي. د.ط. دت.
- 101- سنن الدار قطني . تح عادل أحمد. علي محمد معوض . دار المعرفة. ط1 بيروت. 2001.
- 102- سنن أبي داود، للألباني. مكتبة المعارف . ط1. الرياض. 1988.
- 103- شرح ابن عقيل . تح. ح. الفاخوري. دار الجيل بيروت. د.ط. 2003.
- 104- شرح الأصول الخمسة. لقاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد. تح عبد الكريم عثمان. مكتبة الأسرة. دط مصر. 2009.
- 105- شرح الأشموني. تح. محمد محي الدين عبد الحميد. دار الكتاب العربي بيروت. د.ط. 1955.
- 106- شرح التصريح على التوضيح. الأزهرى ، تح محمد باسل، دار الكتب العلمية ط 1، بيروت 2000
- 107- شرح الرضي على الكافية. تح. يوسف حسن. منشورات جامعة قان يونس. ط2. بنغازي. 1996.
- 108- شرح المعلقات السبع. للزوزني. تح. عمر حافظ سليم سعيدة. شركة القدس ط1. القاهرة. 2009.
- 109- شرح المفصل. ابن يعيش. تح. إميل بديع يعقوب. دار الكتب العلمية.. ط1. بيروت 2001.
- 110- شرح أبيات الحماسة للمرزوقي عبد السلام هارون وأحمد أمين. دار الجيل دط بيروت، 1991.
- 111- شرح أبيات المغني للبغدادي. تح عبد العزيز رباح. ودقاق. دار الثقافة العربية. ط2. دمشق. 1993.

- 112- شرح أبيات سيبويه. للنحاس. تح. زهير غازي زاهد. عالم الكتب. ط1. بيروت. 1986.
- 113- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي. للمعري. تح. عبد المجيد دياب. دار المعارف ط2. مصر. 1992.
- 114- شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي. تح. محمد عبده عزام. دار المعارف. ط3. القاهرة. دت.
- 115- شرح ديوان عنتره العبسي. للتبريزي. تح. مجيد طراد. دار الكتاب العربي. ط1. بيروت. 1992.
- 116- شرح شافية ابن الحاجب. للرضي. تح. محمد نور الحسن. دار الكتب العلمية. دط. بيروت. 1982.
- 117- شرح شذور الذهب. لابن هشام. تح. محمد محيي الدين. دار الطلائع. دط. القاهرة. 2004.
- 118- شرح شواهد الإيضاح. لعبد الله بري. تح. عيد مصطفى. المطابع الأميرية. دط. القاهرة. 1985.
- 119- شرح شواهد الشافية. للبغدادي. تح. محمد نور الحسن. محمد الزفزاف. محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الكتب العلمية. دط. بيروت. 1982.
- 120- شرح قطر الندى. لابن هشام. تح. محمد محيي الدين. دار رحاب. دط. الجزائر دت.
- 121- الشعر والشعراء ابن قتيبة. تح. محمد أحمد شاكر. دار المعارف. دط. القاهرة. دت.
- 122- الصاحبى. أحمد فارس. المكتبة السلفية. د. ط. القاهرة. 1910 .
- 123- الصحاح. للجوهري. تح. أحمد عبد الغفور عطار. دارالعلم للملايين. ط4. بيروت. 1990.
- 124- صحيح الإمام البخاري. بشرح الكرمانى. دار إحياء التراث العربى. ط2. بيروت. 1981.
- 125- ضرائر الشعر لابن عصفور الإشبيلي. تح. السيد ابراهيم محمد دار الأندلس. ط1 القاهرة 1980
- 126- طبقات الحنفية للقرشي. تح. عبد الفتاح محمد الحلو. هجر للطباعة. ط2 الرياض. 1993 .
- 127- عيون الأخبار. ابن قتيبة. دار الكتب المصرية. د. ط. القاهرة. 1996.
- 128- فتح الباري لابن حجر العسقلاني. دار إحياء التراث العربى. ط4. بيروت. 1988 .
- 129- الكامل للمبرّد. تح. محمد أحمد الدالى. مؤسسة الرسالة. ط3. بيروت. 1997.
- 130- كتاب المفردات، للراغب الأصفهاني. مكتبة نزار مصطفى الباز. دط. دت.
- 131- كتاب شرح أشعار الهذليين. للسكري. تح. عبد الستار أحمد. مكتبة دار العروبة دط. القاهرة. دت
- 132- الكتاب لسيبويه. تح. عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي بالقاهرة. ط2. 1988.
- 133- الكشاف. للزمخشري. تح. عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض. مكتبة العبيكان ط1. الرياض. 1998.
- 134- الكشاف. للزمخشري. تح. يوسف الحامدي. مكتبة مصر. ط1. القاهرة. 2010.

- 135- كشف الظنون. حاجي خليفة. تح محمد شرف الدين والمعلم رفعت الكليسي. دار إحياء التراث العربي. د.ط. بيروت د.ت.
- 136- لسان العرب. ابن منظور تح. عامر أحمد حيدر. دار الكتب العلمية. ط1. لبنان. 2003.
- 137- مجاز القرآن لأبي عبيدة، تح. محمد فؤاد. مكتبة الخانجي. د.ط. القاهرة. د.ت.
- 138- مجموع فتاوى ابن تيمية. تح. عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. د.ط. السعودية. 2004.
- 139- المحرر الوجيز. بن عطية. تح. عبد السلام عبد الشافي. دار الكتب العلمية. ط1. بيروت. 2001.
- 140- مدارج السالكين. لابن القيم. تح. محمد كمال. الهيئة المصرية العامة للكتاب. د.ط. مصر. 1980.
- 141- مراتب النحويين. لأبي الطيب اللغوي. تح. محمد أبو الفضل. المكتبة العصرية. ط2. بيروت. 2002.
- 142- مروج الذهب. للمسعودي. تح. كمال حسن مرعي. المكتبة العصرية. ط1. بيروت 2005.
- 143- المزهر السيوطي . شرح وتعليق. محمد أبو إبراهيم. المكتبة العصرية. د.ط. بيروت. 1987.
- 144- معاني القرآن للفراء. عالم الكتب. ط3. بيروت. 1983.
- 145- معجم الأدباء لياقوت الحموي. تح. إحسان عباس. دار الغرب الإسلامي. ط1. بيروت. 1993.
- 146- معجم البلدان لياقوت الحموي. دار صادر. د.ط. بيروت د.ت.
- 147- معجم المقاييس في اللغة. ابن فارس. تح. شهاب الدين ابو عمرو. دار الفكر. ط2. بيروت. 1998.
- 148- مغني اللبيب. لابن هشام. تح. عبد اللطيف محمد الخطيب. التراث العربي. ط1. الكويت. 2000.
- 149- المفصل في صنعة الإعراب. للزمخشري. تح. إميل بديع. دار الكتب العلمية. ط1. لبنان. 1999.
- 150- المفصل في علم العربية وبذيله كتاب المفضل في شرح أبيات المفصل لأبي فراس النعساني الحلبي، دار الجيل، بيروت. ط2، د.ت.
- 151- ملحق ديوان العجاج. تح. عبد الحفيظ السطلي. مكتبة أطلس. د.ط. دمشق. د.ت.
- 152- ملحق ديوان عمر بن معدي يكرب الزبيدي تح. مطاع الطرايشي. مطبوعات مجمع اللغة العربية ط2. بدمشق 1985.
- 153- نزهة الألباء لابن الأنباري. تح. إبراهيم السامرائي. مكتبة المنار. ط3. الأردن. 1985.
- 154- وفيات الأعيان. لابن خلكان. تح. إحسان عباس. دار صادر. د.ط. بيروت د.ت.

قائمة المراجع:

- 01- ابن يعيش النحوي. عبد الإله نبهان. منشورات اتحاد كتاب العرب. د.ط. 1997.

- 02- الاستشهاد والاحتجاج باللغة . عيد محمد . عالم الكتب. ط3 . القاهرة . 1988 .
- 03- إشكاليات القراءة وآليات التأويل. نصر حامد أبو زيد. المركز الثقافي . ط7 المغرب . 2005 .
- 04- إعراب القرآن وبيانه. محيي الدين الدرويش. دار ابن كثير. ط7 بيروت 1999.
- 05- الأصول . تمام حسان. عالم الكتب. د.ط. القاهرة. 2000.
- 06- البلاغة العربية. عبد الرحمن حسن حبنكة. دار القلم ط1. دمشق. 1996 .
- 07- تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان. موفم للنشر. د.ط. الجزائر. 1994.
- 08- التحرير والتنوير. محمد الطاهر بن عاشور. الدار التونسية للنشر. د.ط. تونس. 1984 .
- 09- تعقبات أبي حيان النحوية لجار الله الزمخشري في البحر المحيط. رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه. إعداد: محمد حماد ساعد القرشي. إشراف: تمام حسان. 1994.
- 10- التفسير والمفسرون. للذهبي مكتبة وهبة . د.ط. القاهرة د.ت.
- 11- جواهر البلاغة . أحمد الهاشمي. شرح وتحقيق حسن حمد. دار الجيل. بيروت. 2002.
- 12- الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري. صالح السامرائي. دار عمار. ط1 عمان. 2005.
- 13- الشاهد اللغوي ليحيى عبد الرؤوف جبر. مجلة النجاح للأبحاث م 2. العدد 06. (1992).
- 14- شواهد الشعراء المخضرمين في. تأليف مجدي إبراهيم. دار الكتاب المصري. القاهرة. ط1. 2000.
- 15- علوم البلاغة أحمد مصطفى المراغي. دار القلم. د.ط. بيروت. د.ت.
- 16- فجر الإسلام أحمد أمين. دار الكتاب العربي. ط10 بيروت . 1969 .
- 17- في أصول النحو سعيد الأفغاني. مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية. د.ط. 1994 .
- 18- المثال والشاهد في كتب النحويين . حسن حمزة ، دار ومكتبة الهلال بيروت ط 1 . 2010.
- 19- المدارس النحوية. شوقي ضيف. دار المعارف. ط5. القاهرة. د.ت.
- 20- المسائل الاعترالية في الكشف. لصالح الغامدي. دار الأندلس للنشر والتوزيع. ط1. حائل. 1998.
- 21- معجم المصطلحات النحوية والصرفية. نجيب اللبدي مؤسسة الرسالة ط1. بيروت 1985.
- 22- منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه. مصطفى الصاوي الجويني دار المعارف ط2. مصر. د.ت.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

المقدمة	أ- و
المدخل: التعريف بالشاهد الشعري	11-22
1- الشاهد لغة	11
2- الشاهد اصطلاحا	12
3- الشاهد والمثال	13
4- أنواع الشواهد وأقسامها	14
1-4 من حيث الموضوع	14
1-4-1 الشواهد المعجمية	14
1-4-2 الشواهد النحوية	14
1-4-3 شواهد البلاغة والنقد والعروض	15
1-4-4 الشواهد الفقهية	15
1-4-5 الشواهد ذات الأغراض المتعددة :	15
2-4 من حيث الجنس الأدبي	16
1-2-4 الشواهد القرآنية	16
2-2-4 شواهد الحديث النبوي الحديث	16
3-2-4 شواهد الشعر والرجز	17
4-2-4 شواهد النثر العربي	17
5- أهمية الاستشهاد	18
6- ضوابط الاستشهاد عند النحاة	18
1-6 الضابط الزمني	18
2-6 الضابط المكاني	19
7- أغراض الاحتجاج	20
8- الاستشهاد بشعر المولدين	21
الفصل الأول: الزمخشري وكتابه المفصل والكشاف	25-65
1- الزمخشري حياته وأعماله	25

- 1-1 عصره وبيئته 25
- 2-1 اسمه وكنيته ولقبه 26
- 3-1 مولده ونشأته 26
- 4-1 رحلاته 27
- 5-1 عقيدته 28
- 6-1 مذهبه الفقهي 29
- 7-1 شيوخه وتلاميذه 29
- 8-1 كتبه ومصنفاته 31
- 9-1 أقوال العلماء فيه 32
- 10-1 مذهبه النحوي 33
- 2- المفصل في صنعة الإعراب 35
- 1-2 التأليف النحوي قبله 35
- 2-2 بواعث تأليفه 37
- 3-2 طريقته في الترتيب والتأليف 38
- 4-2 طريقته في عرض المادة 41
- 5-2 شواهد 44
- 1-5-2 القرآن الكريم 45
- 2-5-2 الحديث النبوي 45
- 3-5-2 الشعر 46
- 4-5-2 الأمثال والحكم من كلام العرب 46
- 6-2 قيمته العلمية 47
- 7-2 شروحه 48
- 8-2 الردّ عليه 48
- 3- الكشاف 49
- 1-3 التفسير وأقسامه 49
- 1-1-3 التفسير لغة 49

50.....	2-1-3 التفسير اصطلاحا
50.....	3-1-3 التأويل في اللغة
50.....	4-1-3 التأويل اصطلاحا
51.....	5-1-3 أقسام التفسير
52.....	2-3 سبب تأليفه
53.....	3-3 منهجه
59.....	4-3 قيمته العلمية
61.....	5-3 من مأخذه
63.....	6-3 ما أثاره من نشاط فكري
103-68.....	الفصل الثاني: شواهد المستوى الصوتي
68.....	تخفيف الموصول
69.....	استفهام الواقف عن نكرة بـ ((من))
70.....	أن في لغة بني تميم وأسد
70.....	لام التعريف في لغة حمير
71.....	أضرب التنوين
71.....	سكون التنوين
71.....	حذف نون التوكيد الخفيفة
72.....	وجوب تسكين هاء السكت
73.....	الوقف بنقل الحركة
75.....	حذف الواو والياء في الوقف
75.....	إبدال التاء هاء في الوقف
76.....	إجراء الوصل مجرى الوقف
76.....	الوقف على الأسماء المبنية
77.....	إبدال النون ألفا عند الوقف
77.....	تخفيف الهمزة
79.....	النقاء همزتين

79.....	التقاء الساكنين
80.....	الأصل فيما حرك من الساكنين الملتقيين
80.....	سقوط همزة الوصل في الدرج نطقاً
81.....	تسكين هاء ((هو)) و ((هي))
81.....	زيادة حرف الهاء
82.....	زيادة اللام
83.....	إبدال الهمزة
85.....	إبدال الياء
87.....	إبدال الميم
87.....	إبدال التاء
88.....	إبدال الهاء
90.....	إبدال اللام
90.....	إبدال الدال
91.....	إبدال الجيم
92.....	إبدال الصاد
92.....	إدغام اللام
93.....	قلب تاء افتعل وإدغامها
94.....	الحذف بدل الإدغام
95.....	إياك وقرائنها
96.....	أمين بالمد والقصر
97.....	الهمز والتسهيل
97.....	لغات الفعل بقي
98.....	الفعل حبّ وأحبّ
99.....	حذف التنوين
100.....	تسكين عين الفعل
101.....	الإشباع

101	إجراء الوصل مجرى الوقف
102	الاجتزاء بالضممة عن الواو
103	حذف نون التوكيد الخفيفة
103	الترخيم
162-107	الفصل الثالث: شواهد المستوى الصرفي
107	وقوع العلم جملة
109	إجراء المعاني مجرى الأعيان
111	تأويل العلم
113	تعريف المبني والمجموع من الأعلام
114	الاسم الثلاثي الساكن الوسط ومنعه من الصرف
115	المثنى
116	تشبية المحذوف لأمه
117	تشبية الجمع
118	جعل المثنى على لفظ الجمع
119	أوزان الثلاثي
119	جمع المؤنث الثلاثي الساكن الوسط المعتله المنتهي بالتاء
120	حكم المؤنث الساكن الوسط غير المنتهي بالتاء
121	جمع ما وزنه أفعل
121	المؤنث الحقيقي والمؤنث المجازي
122	حكم الفعل المسند إلى ضمير الجمع في التذكير والتأنيث
123	النسبة إلى المسمى بلفظ مثنى
124	النسبة إلى المنقوص
125	النسبة إلى المضاف
125	ما شذَّ في النسبة عن القياس
126	الاجتزاء بلفظ الفرد عن الجمع
127	حكم العقود في التذكير والتأنيث

- 127 الاسم الممدود القياسي
- 128 مصدر الفعل الثلاثي المزيد فيه والرباعي المجرد
- 129 المصدر على وزن الفاعل والمفعول
- 131 بناء المصدر من المعتل اللام من فعَل
- 132 حذف ((مِنْ)) من أفْعَل التفضيل
- 133 استخدام ((دنياً)) و ((جُلِّي))، بغير ((ال))
- 136 اشتقاق اسمي الزمان والمكان من الثلاثي المزيد فيه والرباعي
- 137 فعلا المدح والذم
- 137 تأنيث ((نَعْم)) وتذكيره
- 138 الفعل ((حَبَّ))
- 138 من معاني تفاعل
- 139 من معاني تفاعل
- 139 تصحيح العين شذوذاً
- 140 إعلال اسم المفعول
- 140 رأي سيبويه والأخفش في المعتل العين بالياء التي قبلها ضمة
- 140 إعلال الاسم الثلاثي المجرد
- 141 من أحكام الإعلال
- 141 الإعلال في الجمع
- 142 جمع ما آخره واو
- 143 جمع المعتل الآخر على فعول
- 143 مجيء الإدغام بدل الإعلال
- 144 إنابة المفرد عن الجمع
- 145 حكم الفعل المسند إلى ضمير الجمع
- 146 اشتقاق الفعل من الاسم الجامد
- 146 معاني الزيادة في مزيد فعَل
- 147 ضم عين مضارع صار وكسرها

147	حذف فاء الفعل المثال
149	تفعل بمعنى استفعل
150	توحيد الراجع إلى المثنى
151	الإصباح أم الأصباح
152	طائف أم طيف
153	فعل وأفعل بمعنى واحد
155	جمع الجمع
156	إفراد الضمير العائد إل المثنى
156	المصدر الميمي
157	مؤنث فَعْل
157	عودة الضمير المؤنث على شيء مذكر
158	وصف الواحد بالجمع
158	فعليل بمعنى فعل
159	اسم الجمع
160	مصدر فَعْل
160	مصدر الثلاثي المزيد بحرف
161	تصغير الثلاثي
162	الإعلال بالحذف
312-168	الفصل الرابع: شواهد المستوى النحوي قسم الأسماء
168	الفاعل المضمَر
170	جواز حذف المبتدأ أو الخبر
172	مجيء المبتدأ والخبر معرفتين
172	حذف خبر إن وأخواتها
174	خبر ((لا)) التي لنفي الجنس
175	إعمال لا عمل ليس
175	المنادى النكرة

176	المنادى المنصوب محلا
176	تابع المنادى المضاف
177	الوصف بابن وابنة
178	وصف المنادى المبهم
179	نداء المعرف بالـ
179	تكرار المنادى
181	نداء المضاف إلى ياء المتكلم
181	الاختصاص
183	حذف المنادى
184	المنصوب على الاشتغال
186	حذف المفعول به
187	المفعول فيه
188	المفعول معه
191	المفعول له
193	الحال
194	وقوع المصدر حالا
194	تتكبير صاحب الحال
195	التمييز
196	المنصوب على الاستثناء
196	تقديم المستثنى ولزوم نصبه
197	المستثنى بـ ((لاسيما))
198	حمل إلا على غير في الوصفية
199	حمل البديل على محل الجار والمجرور لا على اللفظ
200	المنصوب بلا التي لنفي الجنس
204	الإضافة المعنوية
206	إضافة ما فيه الألف واللام إلى الضمير المتصل

207	إضافة الأسماء المبهمة
207	أي المضافة
208	حكم ما يضاف إليه كلا
209	إضافة الاسم إلى غيره
211	عدم جواز الإضافة
211	إضافة المسمى إلى اسمه
212	إقحام المضاف
214	إضافة أسماء الزمان إلى الأفعال
216	الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالظرف
217	حذف المضاف إليه من الأول استغناء عنه بالثاني
218	الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف
218	حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه
219	جواز إعطاء حكم المضاف المحذوف في غير الإعراب إلى المضاف إليه
219	حذف المضاف وترك المضاف إليه على إعرابه
220	حذف المضاف والمضاف إليه معا
221	حكم ما أضيف إلى ياء المتكلم
222	إضافة الأسماء الستة
223	التأكيد
224	التأكيد النكرة ((كل)) و((أجمعون))
224	حذف الموصوف وإقامة الصفة مكانه
227	عطف البيان
228	الفرق بين عطف البيان وعطف البدل
229	العطف على الضمير
229	الاسم المبني
230	عدم جواز إحلال الضمير المنفصل بدل الضمير المتصل
231	من الأساليب التي يجيء فيها الضمير منفصلا

232	توالي ضميرين ثانيهما منفصل
233	ضمير كان وأخواتها
234	ضمير الشأن أو القصة
234	الضمائر بعد لولا
235	الضمائر بعد عسى
236	أسماء الإشارة
237	الموصلات
237	أوجه أي
238	ذا بمعنى الذي
239	من أسماء الأفعال: (هيا)
239	أحكام حيهل
240	أحكام بله
241	أحكام ما جاء من الأسماء على وزن فَعَالٍ
243	أحكام هيهات
244	اسم الفعل: شتآن
245	بناء أسماء الأفعال وإعرابها
246	من أسماء الأصوات
247	الظروف
248	من أحكام حيث
249	من أحكام إذ وإذا
250	لدى ولغاتها
251	ظرف الزمان ((أمس))
251	ظرفا الزمان قَطُّ وَعَوَضَ
252	حكم كيف
253	المركب من الأسماء
255	الفصل بين كم الخبرية وبين مميّزها

257	إعراب جمع المذكر السالم بالحركات
258	إعمال المصدر
258	حمل المعطوف على محل المعطوف عليه المجرور
260	إعمال مبالغة اسم الفاعل
261	عمل اسم الفاعل المثني والمجموع
262	مسألة إعراب ((حسن وجهه))
265	أحكام اسم التفضيل
266	عدم إعمال اسم الزمان واسم المكان
267	اجتماع ضميري الفاعل والمفعول في أفعال القلوب
268	حكم الواو والياء لامين إذا سكّن ما قبلها
271	إعراب الحكاية
272	اسم الإشارة ومطابقتها للمشار إليه
273	اسم الإشارة أولئك
274	الاسم النكرة
274	جواز رجوع الضمير إلى محذوف
275	حذف مفعول شاء
276	إجراء الصّفة مجرى الاسم
276	حذف العائد
277	الحال شبه جملة
278	بين وإضافتها إلى مفرد
279	التّمييز المعرفة
280	إعراب كافة
281	الإخبار بالمصدر
282	نصب قليل ورفعها
283	الحال المؤكدة أو النصب على المدح
286	عودة ضمير المؤنث على مذكر

287	جعل الموصوف ظرفاً للصفة
288	إبدال الاسم الظاهر من الضمير
289	عطف الظاهر على المضمَر
290	الاستثناء المنقطع
293	حذف الموصوف
294	المخالفة الإعرابية على نية التقديم والتأخير
295	العلم المنادى الموصوف بابن مضاف إلى علم آخر
296	الفصل بين الفعل والفاعل
297	الانتصاب على الظرفية
298	حكم الرابطة بعد كل اسم ظاهر مسبق بضمير حاضر
299	جريان الخبر على غير ما هو له
300	عطف المصدر المؤول على المصدر الصريح
301	الوصف بالمصدر
301	الضمير العائد
302	من نكرة موصوفة
303	أوجه إعراب سيرتها
304	الجملة الاستثنائية
304	صرف سبأ ومنعها
305	حذف المنادي
306	التقديم البديع في الجملة الاسمية
307	من أسماء الأصوات
308	المصدر المؤول
308	جواز الرفع والنصب باختلاف التقدير
309	تأنيث الفعل لتأنيث المستثنى في الاستثناء المفرغ
310	المفعول معه
310	المنصوب على نزع الخافض

311 مما ينوب عن المصدر
312 إضمار الخبر
312 إضمار الفاعل
412-317 الفصل الخامس: شواهد المستوى النحوي قسم الأفعال والحروف
317 إضمار عامل الفاعل
318 إضمار الفعل الناصب للمفعول المطلق
319 إضمار عامل المفعول به
320 المنصوب باللازم إضماره
321 الجملة الحالية والعائد
321 إضمار العامل في خبر كان
323 مجيء الصفة جملة
324 نون الوقاية
325 أوجه ما
326 أوجه من
326 الجملة المضارعية الواقعة خبرا
327 أوجه إعراب الفعل المضارع بعد ((أو))
328 جواز النصب والجزم بعد الواو في بعض الأساليب العربية
329 جواز الرفع بعد فاء السببية
331 جواز العطف على المضارع المنصوب بالرفع
332 أوجه الرفع إن لم يقصد الجزاء
332 رفع المتوسط بين الشرط والجزاء
333 العطف بالجزم على جواب الأمر المنصوب على توهم سقوط فاء السببية
335 الفعل المتعدي إلى ثلاثة
335 استعمال ((أرى)) و ((أقول)) بمعنى ظننت
337 جواز إعمال أفعال القلوب والغائها
337 عمل كان وأخواتها

339	أوجه كان
339	معاني أضحي
340	معنى الأفعال الناقصة التي أوائلها الحرف النافي
342	تشبيه عسى بكاد والعكس
342	استخدام كاد منفيّة
343	استعمال أو شك
344	نعمَ وعملها
344	استقلال بعض الحروف
345	معاني حتى
345	زيادة الباء
346	من أحكام رب
347	على: بين الاسمية والحرفية
348	حرف الكاف
349	حاشا وعملها
350	حذف أحرف الجر
350	كف إن وأخواتها عن العمل
352	جواز فتح همزة إنّ وكسرها
352	دخول لام الابتداء على خبر إنّ
354	العطف على محل إن واسمها
355	تخفيف ((إنّ))، و ((أنّ))
356	تخفيف كأنّ
357	وقوع أنّ بعد لعلّ
358	أحكام لا النافية
359	حروف التنبيه
361	حروف التصديق والإيجاب
361	حروف الصلة

362	زيادة لا
362	أي التفسيرية
363	ما المصدرية
363	رفع الفعل بعد أن المصدرية
364	لولا التحضيضية
364	فصل قد عن الفعل بالقسم، وطرح الفعل بعدها
365	من أحرف الاستقبال
365	حرف الاستفهام هل
366	حذف همزة الاستفهام
366	فعل الشرط وجوابه
367	فاء الجزاء
367	زيادة ما بعد إن
368	من أحكام إذن
369	مجيء ((أن)) بعد ((كي))
369	اللام الواقعة في جواب القسم
370	لام الأمر
370	أحكام النون المؤكدة
371	الأحرف الواقعة في جواب القسم
374	الحروف المقطعة في أوائل السور
375	توسط العاطف بين الصفات
375	جملة مقول القول
376	وقوع كان مزيدة
377	قد مع المضارع
378	كان وتامها
379	إبدال الفعل من الفعل
380	من حروف المعاني

384	العطف على التوهم أو المعنى
386	تعديّة الفعل أذاع
386	اسم الفعل تعال، أو فعل الأمر
388	الحمل على التوهم
389	إضمار أن
390	النصب بعد واو المعية
391	من معاني أنّ
391	تضمين أو إضمار
393	لام جواب القسم
394	مهما
395	جواز حذف الفعل بعد كيف
396	كسر همزة إن وفتحها
397	الجملة المقتضية وغير المقتضية
398	تعديّة الفعل جرم
398	حاشا
399	لا النافية في جواب القسم
400	لام التعليل
401	من معاني لوما
402	إضمار الفعل وتفسيره
402	دخول الفاء على الخبر
403	تعديّة الفعل اللازم بإلى وباللام
404	من معاني اللام
405	من الأفعال اللازمة المتعدية
406	التعدية بحرف الجر
407	عمل هيهات
408	تعديّة الفعل استجاب

409	من أفعال القلوب
409	ما الزائدة
410	دخول إذا على المضارع
410	النفى بإن
411	من معاني عن
411	تقديم الخبر جوازا
412	العطف بالحرف وأغراضه
517-416	الفصل السادس: شواهد المستوى الدلالي المعجمي
416	الدين
416	يُقيَمُونَ
417	يَخْدَعُونَ
418	صَيَّبَ
419	الند
420	الجنة
421	خالدون
421	البعوض
422	الفاسق
422	لا فارض
423	عوان
424	فالق
424	مريم
425	حنيفا
426	شطر
426	يَنْعِقُ
426	تَفَقَّهُمُ
427	أَحْصِرْتُمْ

428	الميسر
429	عرضة
430	تَعْضُلُوهُنَّ
430	يطعم
430	السنة
431	تُعْمِضُوا
432	الإلحاف
432	الحصور
433	الحواري
433	بكة
434	صر
435	همت
436	يَكْبِتُهُمْ
437	الأجر والجزاء
438	نداولها
439	النزل
440	قنطار
440	طولا
441	الجنب
442	قليلًا
443	مقبتا
444	مراغما
445	المعلقة
446	العقود
447	من أجل
448	يلبس

448	آسى
449	عفوا
450	هدنا
451	انبجست
451	الأطفال
452	الإلّ
452	بعدت
453	أجمع الأمر
454	بِيَدَيْكَ
454	أحكمت
455	تجهلون
456	البخس
456	الغياية
457	همّ بالأمر
457	شغفها
458	متكأ
460	أكبرنه
460	حصحص
461	المحال
462	تهوي
462	الأصفاد
463	بِقِطْع
464	عضين
464	تخوّف
465	تجأرون
466	سكرا

466	حفدة
467	ولا تَقْفُ
468	تبيعا
468	تقرضهم
469	الوصيد
470	مصرفا
470	إمرا
471	حنانا
471	سريا
472	أثانا
471	وردا
473	هوى
473	عَجَل
474	لبوس
474	غمرتهم
474	الفحشاء
475	الأيامى
476	غراما
476	آثاما
477	ريع
477	الأعجمين
478	يعقب
478	شيعا
479	جذوة
479	ردءا
480	عضدك

480	يرجو
480	ختار
481	جَلَابِيهِنَّ
481	كالجواب
482	جدد
482	يصطرخون
483	خامدون
483	يَدْعُونَ
484	زجرة
484	مناص
485	عزني
486	فنتأه
485	الصفات
487	يكور
487	خوله
488	زمر
488	الأعلام
488	مقرنين
489	وَمَنْ يَعْشُ
489	رهوا
489	من ورأئهم
490	أوزارها
490	أسن
491	أشراطها
491	لحن القول
492	أن تطوؤهم

492	امتحان
492	الراشدون
493	قوم
494	إثم
494	توسوس
495	نَقَّبُوا
495	الحبك
496	يهجعون
496	النجم
497	تدلى
496	قاب قوسين
498	تمارونه
498	اللمم
499	مهطعين
499	سعر
500	سحر
499	سقر
501	نحاس
501	الدهان
502	أفنان
502	ثلة
503	موضونة
503	أينة
504	شَحّ
504	زعم
505	نمِيم

503	زَنِيم
505	حَرْد
504	عَزِين
506	السَّمَاء
507	نَاشِئَةٌ
507	لَوَاحَةٌ
506	قَمَطِيرًا
508	زَمَهْرِيرًا
509	فَرَجَتْ
509	صَفْر
508	السَّاهِرَةَ
510	أَبًا
511	انْكَدَرَتْ
511	عَسَعَسَ
512	ثَوْب
512	وَسَق
513	ضَرَبَ
513	وَدَّعَكَ
514	لَنَسْفَعًا
514	ضَبْحًا
514	نَقَعًا
515	هَمْزَةٌ لَمْزَةٌ
515	مُؤَصَّدَةٌ
516	سَجِيل
516	الْكَوْثَر
517	وَتَب

517	مسد
579-518	الفصل السابع: شواهد المستوى الدلالي السياقي
518	ختم
519	تركهم
520	سورة
520	دون
522	فوق
523	يَسْؤُمُونَكُمْ
523	مسلمة
524	أمانِي
524	بديع
525	كن فيكون
525	وسطا
526	لباس
527	درجات
527	تمام الحج
528	العفو
529	القرء
530	أجلهن
531	المولود له
531	السر
532	المن
532	تداينتم
533	وجه النهار
533	كلالة
534	سكارى

535	يشرون
536	النصب
536	اليوم
537	خائنة
538	الوسيلة
539	بعض ذنوبهم
540	مثوبة
541	عَبَدَ الطَّاعُونَ
541	بجهالة
542	تبسل
543	آزر
543	فلق الصَّبْحِ
544	حَرَمَ
545	سَتَسْتَدْرِجُهُمْ
546	فوق الأعناق
547	لِيُنْبِئِي
547	يحييكم
548	حسبك
548	فخلوا سبيلهم
549	الحكيم
550	تَعْنِ
551	الكبرياء
551	وجاوزنا
552	ضائق
553	تَعْبُرُونَ
554	نَجِيًّا

555	من ورائه
555	مبتئس
556	مشهود
557	بقية
557	أمة
558	قبيلًا
558	الرجم
559	مرتفقا
560	اطلع
560	دَعُوا
561	طه
562	أَقْذِفِيهِ
562	أَذْنُكُمْ
563	الزكاة
564	كريم
565	رسول
566	عَبَدتْ
566	استوى
566	أَظُنُّهُ
567	ضالنا
568	التناوش
568	كأس
568	ينزفون
569	أحببت
570	غير ذي عوج
570	زمرًا

570	في أمم
571	جزءا
571	تعسا لهم
572	ذنوب
573	ريب المنون
573	كاذبة
574	الهييم
575	مولاكم
575	حسوما
576	الحافرة
576	غلبا
577	لمًا
578	كبد
578	لشديد
578	هاوية
579	زرتم المقابر
579	الماعون
622-582	الفصل الثامن: شواهد الأساليب البلاغية
582	الالتفات
583	المجاز المرشح (الاستعارة المرشحة)
584	الفرق بين التشبيه والاستعارة
587	الإطناب والإيجاز في التعبير عن المعنى
588	تعدد التمثيل
588	ذكر طرفي التشبيه والتصريح بهما
589	التشبيه المركّب
590	المقابلة وإطباق الجواب على السؤال

592	استعارة الاشتراء
593	من المجاز المرسل
595	استعارة أم تشبيه
597	الفرق بين الكناية والتعريض
597	الكناية عن شدة الغيظ
598	نفي الشيء الواحد عن اثنين
599	إنشاء الدعاء
601	حقيقة أم مجاز
603	التمثيل بالجمل
604	استعارة الريح للدولة
604	الأمر في معنى الخبر
606	الاستعارة المجردة
607	استعارة أم مجاز عقلي
610	الاستفهام الإنكاري التعجبي
611	من أغراض الاستفهام
612	الاستفهام التقريري
612	من دواعي التكرير
613	من المعارض
614	استعارة ذو الأوتاد
615	كناية فاستعارة
617	من أنواع الكناية
617	تكرار أداة التشبيه
619	الاستعارة المكنية التخيلية
619	إنابة الصفة مناب الموصوفات
620	التجريد
621	المجاز العقلي

622	استعارة اللمس
621	التشبيه المرسل المجمل
639-624	شواهد متفرقة
643-641	الخاتمة
652-645	قائمة المصادر والمراجع
682-654	فهرس المحتويات

Summary:

Argument poetry is one of the most important pillars on which linguistic has been built on, its impact is evident in the construction of its origins, foundations, grammars and measurement. It has a deep impact in understanding the peculiar and meaning of Quran. This shows a clear indication of the stature of the witness poetic and its importance in grammar and the interpretation of the holly Quran. Therefore, I choose to study the witness poetic especially with the famous scholar **Elzimkhcri** through his well known books: *Detailed*, *Scouts*. Thus, the title of my thesis is:

***Elzimkhcri's witness poetic through his two books *Detailed and Scouts*:
Linguistic Study***

The study focused on showing its importance, its cognitive and linguistic dimensions, the disclosure of Elzimkhcri's method of witness poetic , its impact on grammar, and in the interpretation of the holly Quran. Due to, the problematic and the objectives of the study we applied the descriptive method built on induction. We proceeded to extrapolate evidence in poetic books (*Detailed* and *Scouts*) then extracted, classified and analyzed the evidences. The research plan is as follows: an introduction, eight chapters and a conclusion.

Introduction: deals with the definition of the witness its types and classifications then citing the importance of the witness both in the field of using or research and identifying its controls with the grammarians and its purposes.

The first chapter is devoted to *Elzimkhcri* and his two books Detailed and Scouts. The others were practical chapters (descriptive and analytical) in which we studied *Elzimkhcri*'s poetic verses cited as evidences to prove the validity of the overall acoustic phenomena, morphological, syntactic, semantic and rhetorical which were treated in his two books Detailed and Scouts. I tried to discuss them as follows:

- In the book Detailed: after selecting the subject of the witness then recalling what it said by *Elzimkhcri* and reporting the full witness, then documenting the witness and recalling its meaning, its subject and reviewing some opinions about it, and then followed as far as possible with the dimensions and draw some provisions.
- In the book scouts we started by identifying the Quranic verse related to the witness poetic, I set the topic, and then remember what *Elzimkhcri* said or some commentators interpretations of the verse then reporting the full witness poetic then I did the same process as the first book.

We conclude the study by the results which we deduced from all the chapters.